

وليد بن راشد السعيدان

حَفِظَهُ الله



f

اسم الكتاب: **فتاوى العقيدة – المجلد الثاني**

فضيلة الشيخ: وليد بن راشد السعيدان

تصميم: محمد هاشم محمد

حجم الكتاب: ١٧سم X ٢٤سم

عدد الصفحات: ٨٠٢ صفحة

f





وليد بن راشد السعيدان

حَفِظَهُ الله

فتاوى العقيدة - المجلد الثاني

١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م

تابع باقي الصفات العلى

إثبات اليدين لله تعالى

١. سُئِل الشيخ عن: قول العلماء: إن لله يدًا حَقِيقِيَّة تليق به، هل كلمة ﴿حَقِيقِيَّة﴾ تعني أنها مثل أيدينا؟ أم لها معنى آخر؟ أحسن الله إليكم.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، أما قولك هل يعني ذلك أنها كأيدينا فهذا احتمال أخْرِجْه من ذهنك وفقك الله. فإن العلماء من أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله ليس كمثله شيء كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيء وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص: [١ – ٤]ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(مريم: ٦٥) – وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢٢البقرة) أي نظراء وأمثالا. وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلاَ تَضرِبُواْ لِلَّهِ الأَمثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]. فإياك أن تفهم من قول من قال بأن لله يدًا أو وجهًا أو سمعًا أو نزولًا. أو استواءً حقيقيًا أنه كما هو في حق المخلوق. إياك أن تفهم ذلك. ولكن العلماء من أهل السنة يقولون (حقيقية) إذا اثبتوا الصفات لله، من باب قطع دابر التأويل والتحريف. كقولك مثلا: كنت في الطريق فرأيت جنازة حقيقية فقولك حقيقية أي تقطع كل شك في كونها جنازة حقيقية، وقولك رأيت حادثًا حقيقيًا فأنت تقطع بقولك حقيقيًا كل دابر التأويل والتحريف. فإذا قلنا أن لله يدًا حقيقية فنقطع دابر التأويل والتحريف. وهذا من باب

إثباتها لا من باب إثبات كيفيتها فإياك أن ينقدح في ذهنك عندما تسمع أهل السنة يقولون حقيقية؛ أنهم يقصدون الأمر الذي يخص المخلوق، فليس كمثل الله عَزَّوَجَلَّ شيء فانتبه لهذا، فالمقصود بكلمة حقيقية أي قطع دابر التأويل والتحريف وأضربُ لك مثلا في صحيح الإمام مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهم قال: خطبنا رسول الله - ﷺ: (فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَمِينِهِ، وَيَقْبِضُ الْأَرَاضِينَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ)[(١)]

انتبه ثم قام النبي ﷺ يهزُّ يديه على المنبر حتى قال الراوي فصار المنبر يهتز حتى أني أقول أساقط هو برسول الله ﷺ فهل هزُّ النبي ﷺ ليديه هزّ تمثيل أم هزّ إثبات حقيقة؟

بل هو هز إثبات حقيقة؛ ليقطع دابر التأويل ويقطع دابر التمثيل ويقطع دابر التحريف فكما أن هذا هو هز يد المخلوق حقيقة فأنا أريد إثبات يد الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة وأما كيفية هذه اليد فلا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى. والله أعلم.

i

٢. سُئِل الشيخ عن: حديث النَّوَّاس بن سمعان في خروج يأجوج ومأجوج حين أوحى الله إلى عيسى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ[(٢)]....... الحديث بتمامه فجاءت اليدان في هذا الحديث بمعنى ﴿القدرة﴾، أفيدونا في هذا التّأويل أحسن الله إليكم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في "التوحيد" باب: [بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾]، برقم: [7412]، و أخرجه مسلم -واللفظ له - في صفات المنافقين وأحكامهم كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم 2788

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم (2937)

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربّ العالمين وبعد، المتقرّر في القواعد أنّ المعنى يُنظَر فيه لِسياقه ولِحاقه، بمعنى أنّ اللّفظة العربيّة الواحدة تكون في سياقٍ لها معنى، بينما تكون في سياقٍ آخر لها معنىً آخر، فلا ينبغي للإنسان أن يفسِّر اللّفظة العربيّة الواحدة في كل سياق بمعنى واحد متغافلاً عن ما سبقها من كلام وما يلحقها من كلام، والمقصود بقول السِّياق؛ أي السِّبَاق وهو الكلام السَّابق، واللِّحاق وهو الكلام اللّاحق، فاليدُ يُنظرُ فيها إلى السِّياق الّذي وردت فيه، فقد يُراد بها النِّعمة والقُدرة تارةً، وقد يُراد بها اليد الحقيقيّة تارةً أخرى، ويُراد بها النّعمة تارةً ثالثة، وكلُّ ذلك يُنظر فيه إلى السِّياق الّذي وردت فيه، وبناءً على ذلك فقول النّبيّ (لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ) [١]. فالسِّياق يدل على أنّ المقصود القدرة والطّاقة والاستطاعة في قتال هذه الطّائفة أي يأجوج ومأجوج، فنحن لا قدرةَ ولا طاقةَ ولا استطاعةَ لنا بقتالهم. لقوّة عتادهم وكثرة عددهم، فلِقوّة عتادهم ولِكثرة عددهم لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم فالسّياق يدلُّ على أنّها القُدرة، ولكن قول الله (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) المائدة – ٦٤ فالسّياق لا يُساعد على فهمها أنّها القُدرة وذلك لأنّ القُدرة لا تستعمل مثنّاةً في كلام العرب،

وكذلك قول الله (مَا مَنَعَكَ أَن تَسجُدَ لِمَا خَلَقتُ بِيَدَيَّ) ص– ٧٥ فوردت مُثنّاة، والقُدرة لا تُستعمل مُثنّاة في كلام العرب، وإذا كان السّائل من أهل السّنّة وأظنُّه كذلك، فإنّه لا ينبغي أن يَرِد في ذِهنه هذا الإشكال، مع إجماع أهل السُّنّة والجماعة، على إثبات صفتيْ اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، وعلى تحريم تحريف نصوصها إلى النّعمة والقدرة فالّذي ندين لله عَزَّوَجَلَّ به أنّ لله يدين اثنتين لائقتين بجلاله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم (2937)

وعظمته لا تُماثل شيئًا من صفات يد المخلوقين، لأنّ الله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.) الشورى - ١١) والخُلاصة من ذلك أنّ اللّفظةَ العربيةَ الواحدة يختلف معناها باختلاف سِباقها ولِحاقها أي باختلاف سياقها الّذي وردت فيه والله أعلم.

i

استواء الله على عرشه

٣. سُئِل الشيخ عن: الردُّ على شبهة الأشاعرة الذين يقولون بأن كروية الأرض تُنافي العلو؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، المتقرر في القواعد أن المتشابه يجب أن يُردَّ إلى المحكم، وأن المحتمِل لابد وأن يرد إلى الصريح، فلا يجوز لنا أن نعارض الأدلة الكثيرة المتواترة التي وردت في إثبات صفة علو الله عَزَّوَجَلَّ على خلقه كتاباً وسنةً، وقد بلغت قرابةَ الألف دليل، بل وقد دلَّ على علو الله عَزَّوَجَلَّ الكتاب والسنة ابتداءً، وكذلك دلَّ على علوه؛ العقل الصريح السليم، ودلّت عليه الفطرة، ودلّ عليه الحس، كما فصّلنا ذلك في موضع أخر، فهذه الأدلة الكثيرة التي تربو على الألف دليل، منها ما هو من قُبيل الوحي، ومنها ما هو من قُبيل العقل، ومنها ما هو من قُبيل الحس والفطرة، فلا يجوز للإنسان أن يترك دلالة هذه الأدلة الصريحة المحكمة القاطعة التي لا يمكن أن يشوبها ريبٌ ولا شكٌ، بمجرد أن الأرض كروية، وأن كرويتها تنافي علو الله عَزَّوَجَلَّ، فكل ذلك من الآراء الشيطانيَّة والمداخل الإبليسيَّة والمتشابهات، التي يراد بها تكدير صفو المحكم، فنصيحتي للمسلمين جميعاً أن يردُّوا المتشابهات إلى الأدلة المحكمات، وكذلك يردُّوا المحتمِلات إلى الأدلة القاطعات اليقينيات، ولا يجوز لأحد أن يترك دلالة المحكم لوجود شيء من التشابه، فإن الذين يتركون المحكمات ويتبعون المتشابهات إنما فعلوا ذلك لزيغ في قلوبهم، كما قال الله تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَٰبَ مِنهُ ءَايَٰت مُّحكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰت فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم زَيغ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِى العِلمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلّ مِّن عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا من أعظم علامات أهل الزيغ، أنهم يأتون إلى الأدلة اليقينية القاطعة التي لا تحتمل شيئًا من الريب ولا الشك ولا التردد، ثم يكدِّرون صفوها بمثل هذه الآراء الشيطانية والشُبه الإبليسية، فعليك أن تؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو العلي

الأعلى ذاتًا وقدرًا وقهرًا، كما أثبتته الأدلة في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى - ١، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ البقرة - ٢٥٥، بل إن العلماء بسبب كثرة الأدلة الدالة على صفة العلو، صاروا يعبرون عنها بالأنواع لا بالأعيان والأفراد، فيقولون مثلا: كل دليل يدل على أنه في السماء فهو دليل على علوه، وكل دليل يدل على أن الأشياء تصعد وتُرفع إليه فهو دليل على علوه، وكل دليل يدل على أن الأشياء تعرج إليه فهو دليل على علوه، وكل دليل يثبت أنه استوى على عرشه فهو دليل على علوه، وكذلك كل دليل يدل على مشروعية رفع اليدين إليه في الدعاء فهو دليل على علوه، وكل دليل يدل على مشروعية الإشارة بالسبَّابة إلى السماء عند ذكر شيء من أسمائه أو تعظيمه فهو دليل أيضا على علوه، أفَيَحِلُّ لعاقلٍ يدري ما يقول أن يترك دلالة هذه الأدلة من أجل أن الأرض كروية قد تكدر على صفة العلو!، فلا وربّك، إن هذا والله من أعظم مداخل الشيطان، أن يُترك المحكم، ويُتبع المتشابه، وأن يترك القاطع، ويتبع المحتمِل، والله أعلم.

i

٤. سُئِل الشيخ عن: احتجاج الأشاعرة بقول ابن جرير الطبريّ عند كلامه على قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] أن العلو هنا علو ملك وسلطان لا علو زوال وانتقال، فهل هذا يدل على تأوليه للعلو وهو من السلف بارك الله فيكم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالين، من المعلوم المتقرر عند العلماء: إن العقيدة السلفية مبنية على كمال التسليم لما ثبتت به أدلة الكتاب والسنة مع العلم بمعناه، وتفويض كيفيته لله -تبارك وتعالى-.

ومن المتقرر عند العلماء كذلك أن أقوال أهل العلم يستدل لها لا بها، فما قاله الإمام ابن جرير -رحمه الله- تعالى إن ثبت ذلك عنه فإنه مما ذلت به قدمه فيه، لأن هذا من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهذا أمر على خلاف ما جرى عليه صحابة النبي ﷺ من السلف الصالح، فلا يجوز لنا أن نؤل أي صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ لا صفة العلو ولا صفة النزول ولا صفة الاستواء على العرش ولا أي صفة من الصفات، لا يجوز لنا أن نخرجها عن مدلولها ولا عن المراد منها إلى معنى آخر إلا بدليل وقرينة صارفة، وقد صفق أهل البدع لكلمة الإمام ابن جرير الطبري هذه، وطاروا بها أي مطار، ولكن ليعلم الجميع أننا على قواعد أهل السلف رحمهم الله تعالى والتي قررها أصحاب رسول الله ﷺ في كيفية تعاملهم مع هذه العقائد، فمن العقائد السلفية أن كل صفة يضيفها الله عَزَّوَجَلَّ له فإننا نعلم معناها ونفوض العلم بكيفيتها لله- -تبارك وتعالى-.

فالله عَزَّوَجَلَّ أضاف صفة العلو له فالعلو معلوم المعنى ولكن مجهول الكيف، وأضاف صفة الاستواء له فالاستواء معلوم المعنى ولكن مجهول الكيف، وأضاف صفة النزول له فالنزول معلوم المعنى ومجهول الكيف، فإذن نحن معاشر أهل السنة والجماعة إنما نتكلم في المعاني ولكن لا نتكلم في الكيفيات، ومن القواعد المقررة في ذلك أيضا عند أهل السنة والجماعة أن الأصل في الكلام الحقيقة فلا يجوز العدول عن حقيقة الكلام إلى مجازه إلا بناقل، والله -عَزَّوَجَلَّ - أضاف العلو له فالواجب علينا أن نقول إن لله علو حقيقي لائق

بجلاله وعظمته وأضاف الاستواء له فالواجب عليه أن نقول إن لله استواء حقيقي لائق بجلاله وعظمته، وأضاف صفة النزول له فالواجب علينا أن نقول إن لله نزول يليق بجلاله وعظمته وهو نزول حقيقي على الكيفية والصفة التي يريدها الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يجوز لنا أن ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في عقيدته من أقحم عقله الضعيف في استكشاف ما وراء الغيب مما هو أعظم من قدرة العقل وإدراكه.

ومن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة في ذلك أيضا: إن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، فلله علو ولنا علو ولله استواء وللمخلوق استواء ولله نزول وللمخلوق نزول فهذه الصفات وإن اتفقت في أسمائها إلا أن المتقرر أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه، وأن الاتفاق في الاسم الكلي العام المطلق لا يستلزم الاتفاق بعد الإضافة والتقييد والتخصيص، فلكل صفته التي تناسبه فإذا أضيف العلو إلى الخالق عَزَّوَجَلَّ صار علوا لائقًا بجلال عظمته وعزت جلاله وإذا أضيف إلى المخلوق فإنه يكون مناسب بحاله، وإذا أضيف الاستواء إلى الله فهو استواء لائق بجلال الله وعز عظمته وإذا أضيف الاستواء إلى مخلوق فإنه يكون مناسب لحاله، وهكذا في سائر صفات الله -تبارك وتعالى-.

ومن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة: أن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته ولم يكن له كفوا أحد ولا سمي ولا ند ولا مثيل له تبارك وتعالى،

قال الله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾الشورى- ١١

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص- ٤]،

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾مريم- ٦٥،

أي نظيرا ومثيلا يساميه وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤] أي الأشباه والنظراء فما أشكل عليك من صفات الله عَزَّوَجَلَّ فالواجب عليك أن تعتمد هذه القاعدة وأن لا تسمح لعقلك أن يتخوض في مسألة من مسائل الغيب، لأن العقل أضعف وأحقر من أن يكتشف ما أخفي عنه من عالم الغيب، الله عَزَّوَجَلَّ لما خلق العقل جعل له حدود وطاقات لا يزال تفكير العقل سليما مادام في هذه الحدود والطاقات.

ولكن متى ما أخرجه صاحبه عن هذه الدائرة فإنه لا يرجع إلا بالتهوك والضلال والحسرة والخيبة والضلال، فلابد من إحجام عقولنا عن مثل ذلك، فالله عَزَّوَجَلَّ له وجه وللمخلوق وجه ولكن وجه الله ليس كمثله شيء

والله عَزَّوَجَلَّ له يد وللمخلوق يد ولكن يد الله ليس كمثلها شيء

، والله عَزَّوَجَلَّله علوا واستواء ونزول وللمخلوق علو واستواء ونزول ولكن علو الله واستواء الله ونزول الله ليس كمثله شيء

فليس لله عَزَّوَجَلَّمماثل في شيء من صفات كماله وعز جلاله تبارك وتعالى، وإن جميع الذين حرفوا صفات الله عَزَّوَجَلَّ وأخرجوها عن مدلولاتها الصحيحة وأقحموا فيها مدلولات غريبة إنما سبب ذلك أنه قام محذور مماثل بصفة الخالق عن صفة المخلوق فأرادوا أن ينزهوا الخالق عَزَّوَجَلَّعن مماثلة المخلوق.

فحرفوا صفات الله تبارك وتعالى ولو أنهم أخرجوا محذور التمثيل من عقولهم وصفّوا قلوبهم منها بقوله عَزَّوَجَلَّ :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى- ١١وبقوله ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[الإخلاص- ٤]،، لما لزم

تحريف كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لأنهم سمحوا لعقولهم وجود التمثيل بين صفات الخالق وصفات المخلوق، حينئذ وقعوا في التمثيل فأرادوا أن يفروا من التمثيل فوقعوا في محذور التعطيل فهم فروا من حفرة ووقعوا في حفرة أخرى، فإذن الحجة في ذلك هو ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من أصحاب القرون المفضلة، هؤلاء قولهم هو الحجة، فإذا جاء من بعدهم ممن ينتسب إلى سلف الأمة وأئمتها حتى وإن كان إمام من الأئمة إذا هفا به قدمه ونبا به فكره في بعض المسائل فخرجها على غير ما عليه أهل السنة والجماعة من الأصول والقواعد، فإن قوله ردٌّ عليه وليس بحجة على الشرع، خطأ العالِم، مع حفظ منزلته وبقاء حقه وحفظ كرامته ووجوب تقديره وعدم التطاول عليه.

لكن في هذه الهفوة لا نقبل كلامه ولذلك لم يقبل أهل السُّنة والجماعة تأويل -الإمام ابن خزيمة -لحديث الصورة ؛ أنها سورة آدم، لم يقبلها الأئمة منه، وكذلك لم يقبل الأئمة بعض التفسيرات الشاذة الغريبة المنقولة عن إمام التفسير: مجاهد بن جبر المكي- رحمه الله تعالى وغفر له- فإذن ليس كِبَر منزلة العالم في الدين إذا هفا به قدمه ونبا به فكره بحجةٍ على تبديل الشرع، بل خطأه مردودٌ عليه مع وجوب حفظ كرامته وبقاء منزلته على ما هي عليه.

لأن المتقرر عند العلماء أن الحق يقبل ممن جاء به وأن الباطل يُرَدُّ ممن جاء به، وإذا استعظم علينا مستعظم هذا الكلام على ابن جرير الطبري -رحمه الله- وقال كيف تردون هذا الكلام من إمام أئمة التفسير، فنقول أو ما رأيت الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نرد كلام إبراهيم الخليل في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤] فلما كانت هذه

الكلمة الصادرة من إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام على غير الشرع، أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن لا نقتدي بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فيها، أمرنا إلا نقتضي به فيها، مع أن في أول الآية قال ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] إلى أن قال إلا قول إبراهيم،

فبما أن هذه الكلمة ليست بصحيحة فلا يُقتَدَي بأحد فيها مهما كان من جاء بها؛ فإنه لا يقتدي به فيها والحق ما عليه أهل السُّنة من وجوب بقاء اللفظ على ظاهره وعدم تحريفه أو تأويله إلى معاني أخرى إلا بدليل، ومن بقاء اللفظ على حقيقته، ولا يجوز أن نتخوض في الكيفيات لأن عقولنا أقصر وأحقر من أن تدرك شيء من ذلك والله أعلم

i

إثبات أن القرآن منزل من الله تعالى

٥. سُئِل الشيخ عن: تشبيه القرآن بالنهر الصافي مثلاً؟ مع إيماننا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، إن تشبيه القرآن بشيءٍ من المخلوقات لا يقصد به تشبيه عين ذات كلام الله، فإن كلام الله عَزَّوَجَلَّ لا يشبهه شيءٌ من الكلام، فالله تبارك وتعالى لا يماثله شيء من صفات خلقه، حتى وإن اتفقت معها في الاسم فإن المتقرر عند العلماء هو أن الاتفاق في

الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، ولأن الله تبارك وتعالى يصف نفسه فيقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١

ويقول: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص/ ٤]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾مريم- ٦٥]، أي نظيرا ومثيلا يساميه وقال سبحانه ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾النحل: ٧٤أي الأشباه والنظراء؛ فالله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله أحد لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته وأفعاله تبارك وتعالى، فإذا ضرب الإنسان مثالاً يقصد به تقريب المعنى الذي أورده القرآن كأن يقصد مثلاً أن يضرب معنى لوضوح القرآن، أن يضرب معنى لهداية القرآن، أن يضرب معنى للعمل بالقرآن، فإن هذا لا حرج فيه ولا بأس إن شاء الله، لا حرج فيه ولا بأس فإن الله تبارك وتعالى قد أطلق على القرآن بأنه حبله، فقال الله عَزَّوَجَلَّ :﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٣، وفي الحديث من رواية الحارث بن علي وهو حديث فيه ضعف أن النبي - ﷺ - قال (وَهُوَ حَبْلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ الذّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ،)[1] إلى غير ذلك من الصفات، وكذلك إذا قلنا بأن القرآن كالنهر الصافي فنحن لا نقصد به عين ذات كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما نقصد به وضوح القرآن، بلاغة القرآن، فصاحة القرآن، آه يعنى سهولة القرآن، صفاء القرآن من كدر الشبهات والشهوات، هذا هو الذي نعنيه فإذاً لابد من التفصيل في هذه المسألة، فإذا كان الذي يطلق هذه التمثيلات أو التشبيهات، فيقول القرآن هو كنور الشمس أو كضوء الصباح أو كالنهر الصافي أو كالعين

---

(١) رواه أحمد برقم ٧٠٤، والترمذي برقم ٢٩٠٦ قال أبو عيسى: هذا حديثٌ غريبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلا مِنْ هذا الوجه، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفي الحارث مَقَالٌ.

أو كالسلسبيل الذي لا شوب فيه ولا كدر، هذه الأمثلة إن كان يقصد به تمثيل عين ذات كلام الله عَزَّوَجَلَّ فهذا لا يجوز، هذا لا يجوز، إذا كان يقصد تمثيل هذا الشيء بكلام الله تبارك وتعالى فهذا أمرٌ لا يجوز، وأما إذا كان يريد أن يضرب مثلاً على إحكام القرآن وبلاغة القرآن، وفصاحة القرآن، فهو يريد أن يضرب مثالاً حسياً يوضح به المقاصد؛ يعني فصاحة القرآن ووضوحه وسلاسة ألفاظه وتماسك عباراته وقوة معانيه، فإن هذا لا بأس به إن شاء الله لا حرج فيه، وهذا أمرٌ جرى عليه بعض السلف لا حرج فيه، فإنه قد ورد عن بعض السلف رحمهم الله؛ تمثيل القرآن بالحبل الممدود بين الله عَزَّوَجَلَّ وبين عباده، فإذا استمسكوا بهذا الحبل واعتصموا به فإنهم سيصلون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه أمثلة حسية لا يقصد بها أنه كلام الله أو تمثيل كلام الله وإنما يراد بها أن تضرب الأمثال فمن استمسك بالقرآن واعتصم بالقرآن وقريبٌ من هذا أن القرآن يمثل يوم القيامة أقصد سورة البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غيايتان أو غمامتان أو كأنهما فرقان من طيرٍ صواف، فهذا من باب تمثيل ثواب من يقرأ القرآن. وعلى كل حال، فالذي يطلق هذا الكلام ويقصد به توضيح، يعني يقصد به ضرب المثال على وضوحه، أقصد وضوح القرآن وبلاغة القرآن وفصاحة القرآن، فإن هذا لا بأس به، وإن كان يقصد به تمثيل كلام الله عَزَّوَجَلَّ بشيءٍ من المخلوقات فإن هذا لا يجوز ولا يصح، والله أعلم.

i

٦. سُئِل الشيخ: أحسن الله إليكم ما معنى قولكم كلام الله بحرف وصوت؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، معناه واضح وهي أن

الكلام الذي يوصف الله به بصوت يسمعه – من يشاء الله أن يسمعه – وهو عبارة عن حروف وكلمات، كما قال الله في القرآن ﴿الم﴾ البقرة- ١ أو ليست هذه حروف؟ فإذا كلام الله بحرف وصوت، وكذلك قول النبي ((لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ))[١] فوصف كلام الله بأنه حرف، وقال ((لا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ))[٢] فإذا وصف كلام ربه بأنه من حروف فكلام الله بصوت وحرف خلافا للأشاعرة ومن نحى نحوهم في إثبات الكلام النفسي لله، فالأشاعرة عندهم إن الله لم يتكلم بكلام مسموع وليس له نداء يسمع وكلامه ليس عن حروف وهذا خلاف الأدلة فكلام الله بحرف وصوت، فقولنا بحرف عبارة عن أفراد الكلام، وقولنا بصوت عبارة عن أنه كلام مسموع، كما قال الله في آيات كثيرة، قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ مريم-٥٢ والنداء لا يكون إلا بصوت، وكذلك بحديث الترجمان قال ((ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ))[٣]

والأدلة ذكرتها لكم في شرح الكتاب المذكور، والله أعلم.

i

---

(١) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة برقم (٨٠٦)

(٢) رواه الترمذي في السنن برقم 2910 وصححه الألباني في الصحيحة برقم 3327

(٣) أخرجه البخاري معلقا، وأخرجه أحمد ١٦٠٤٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦٠٨).

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

٧. سُئِل الشيخ: ذكرتُم أنّ رُؤية الله مُمتَنعة في الدّنيا لضعف الأبصار، وأنّهم سيرَونَه أي يَرون الله في الآخرة، وأنّه يزيدهم قُوّة إلى أبصارهم، فهل هناك دليل على ذلك؟ أي هُناك زيادة في قُوّة البصر يوم القيامة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله ربّ العالمين وبعد، لا جرم أنّ السّائل خفيَ عليه حقيقة مهمة في هذا الباب وهي أنّ الله يُعطي الإنسان من القوّة والقُدرة في كُلّ دارٍ ما يناسبها، فالله في دار الدّنيا أعطانا من القوّة والقدرة في أبدانِنا وأسماعِنا وأبصارنا وعُقُولنا وتفكيرنا ما يناسبها، ثمّ يزداد ذلك إذا انتقلنا إلى دار البرزخ، فإنَّ الإنسان في قبره يسمع ولكن يُعطَى من القوّة ما يناسب هذه الدّار، ولذلك نحن لا نحتاج في دار البرزخ إلى نفسٍ ولا إلى طعامٍ ولا إلى أكسجين ولا إلى هواءٍ ولا إلى نورٍ حتى نرى الملكين الموكَّلين بالسّؤال، ولا تحتاج أسماعنا إلى منفذ حتى نسمع كلامهما وسؤالهما، فإذا انتقل الإنسان من دار البرزخ إلى الجنّة الّتي عرضها السّماوات والأرض، فلا جرم أنّه سيدخلُها على أتمّ حال وأكمل مثال في حياته؛ فلا يموت أبدًا، وفي شبابه فلا يهرم أبدًا، وفي سعادته وصحَّته فلا يبأس ولا يمرض أبدًا، وكذلك أيضًا في طوله، وكذلك أيضًا في قوّة جسده وقوّة جِماعه، فقد دلّت الأدلّة بمجموعها على أنّ أحوال أهل الإيمان بعد دخولهم للجنة أنّها تُضاعَفُ، ومن جملة ما يُضاعَف؛ أسماعهم وأبصارهم وجَمالُ وجوههم، وأعمارهم وصحَّتهم وقوّة أبدانهم، وقوَّة وطْئِهم، فكُلُّ ذلك ممّا يُضاعف، فإذا تصوَّر الإنسان هذه الحقائق وهي أنّ الله يُعطي الإنسان من القوّة والطّاقة في كلِّ حواسهِ الظّاهرة والباطنة، ما يُناسب الدّار الّتي هو فيها. فلِدَار الدّنيا ما يناسبها من ذلك. ولِدار البرزخ

ما يناسبها من ذلك، ولِلجنّة وهي الدّار الآخرة أيضًا ما يناسبها من ذلك، ثمّ يَقرِن ذلك مع قول الله لموسى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ مُعلِّلا ذلك بقولِهِ ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾الأعراف-١٤٣ فلمّا رأى موسى ما حلَّ بالجبل لم تتحمل قُوّاه ولا طاقة نفسه ولا قُدرة قلبِهِ على رؤية هذا المنظر العظيم الّذي يَفجَع القلوب ويهزُّ البدن فخرَّ موسى صعقًا، فما بالك لو رأى موسى ربَّه مع هذا الضّعف العظيم في قوّته وطاقته؛ ولذلك الله احتجب عنّا في هذه الدّار الدُّنيا لأنّ قوّانا وأسماعنا وأبصارنا وطاقتنا وقوّة قلوبنا وتحمُّلنا لا تطيق رؤيتهُ على ما هو عليه، فإذا دخل أهل الجنّة: الجنّة أُعطوا من القوَّة ما يتناسب مع رؤية الله، فلو تأمّلت في مجموع ذلك لوجدتَّ كلامي فيما مضى ونقلتَه صحيحًا إن شاء الله وعلى ذلك تقريراتٌ كثيرة من أهل السُّنَّة والجماعة. والله أعلم.

٨- في إثبات العلو

٨. سُئِل الشيخ عن: الرد على من يقولون ﴿إن الله في كل مكان﴾ ويستدلون ببعض الآيات من القرآن، مثل قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾﴿الحديد - ٤﴾ وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾﴿النور - ٣٥؟﴾.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن كل فَهم في أدلة اعتقادية يخالف فهم السلف الصالح؛ فإنه فَهم باطلٌ ورأيٌ عاطلٌ، والسلف رحمهم الله تعالى يقرأون هذه النصوص كتابا وسُنَّة، وكلهم

يعتقدون أن الله بذاته على عرشه قد استوى، استواء يليق بجلاله وعظمته، وأن عِلمه في كل مكان، فهو مع خلقه بعِلمه، وأما ذاته ففوق عرشه على الوجه اللائق به عَزَّوَجَلَّ، فَمَعِيَّة الله لخلقه بإجماع الصحابة وإجماع التابعين وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة والسلف الصالح، لا تقتضي اختلاطا بالخلق ولا ممازجة لهم، وقد أجمع أهل السُّنَّة على أن الله فوق عرشه بذاته، وأنه ليس في ذاته شيء من ذوات خلقه، ولا في ذوات خلقه شيءٌ من ذاته، هذا كله بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة، ولا يجوز للإنسان أن يفهم من هذه الأدلة أن الله مختلط معنا بذاته، فإن مَعِيَّة كل شيء تختلف باختلافه، فإذا قال الله: إني مع عبادي، فإنها مَعِيَّة لا تقتضي اختلاط ذاته بذواتنا، ولا تقتضي حلول ذاته في أي مكان، وكل من فهم ذلك؛ فإنما فهم في الدليل فهما إبليسيا شيطانيا بدعيا يوجب له الخروج من ملة الإسلام والعياذ بالله، فإن العلماء متفقون على أن من اعتقد أن الله حالٌّ بذاته في ذوات خلقه فإنه خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية، فالواجب عليك في مثل هذه النصوص -أعني نصوص المَعِيَّة- أن تفهمها على ما جرى عليه فهم السلف الصالح، واحذر من أن تُشاقق الكتاب والسُّنَّة وفهم السلف، حتى لا تكون ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء - ١١٥) ثم لا تزال العرب تقول (ما زلنا نسير والقمر معنا) فأثبتوا أن القمر معهم مع أنه في السماء الدنيا بذاته، فإذا كان القمر المخلوق استطاع أن يجمع بين العلو الذاتي وبين كونه مع المسافر وغيره، أفيكون ذلك معجوزا في حق الله عَزَّوَجَلَّ، فالله على عرشه قد استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو مع خلقه بإحاطته، ومع خلقه بهيمنته، ومع خلقه بعلمه وهي المَعِيَّة العامة، ومع بعض خلقه بنصره وتأييده وسلطانه وهي المَعِيَّة الخاصة،

هذا الذي نوصي عامة المسلمين بأن يعتقدوه في نصوص المَعِيَّة، والله أعلم.

i

مسائل رؤية الله في الآخرة والأولى

٩. سُئِل الشيخ: ذكرت في شرحك على لمعة الاعتقاد أن من أنكر رؤية الله عَزَّوَجَلَّ فإنه كافر، ثم قلت: وأن الأشاعرة أوَّلوا رؤية الله عَزَّوَجَلَّ وأثبتوها ظاهراً وحرَّفوها، وقالوا أنها رؤية علم لا رؤية بصر، السؤال: هل الأشاعرة بهذا التأويل يكفرون؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الإنكار ينقسم إلى قسمين: إلى إنكار جحود وتكذيب، وإلى إنكار تأويلٍ وشبهة.

والأشاعرة لما أوَّلوا رؤية الله عَزَّوَجَلَّ لم يؤوِّلوها تأويل إنكارٍ وجحودٍ وتكذيب، وإنما أوَّلوها تأويل شبهة عرضت لهم، فحينئذٍ لا يجوز أن نكفِّر الأشاعرة لهذا السبب، لماذا؟ لأنهم حرَّفوا وأنكروا إنكار تأويلٍ وشبهة، وليس إنكار جحود وتكذيب وإنكار.

i

١٠. سُئِل الشيخ: عن رؤية البشر لربهم في النوم هل هي ممكنة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد–رأينا في هذا الكلام ينقسم إلى قسمين.

القسم الأول: لقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله يرى في المنام إلا أنهم مجمعون على أن رؤية المنام لا تستلزم أن تكون موافقة لرؤية الحقيقة فالله عَزَّوَجَلَّ وإن قال أهل السنة باتفاقهم أنه يرى في المنام إلا أنها رؤية لا تعلق لها برؤية ما هو عليه في الواقع ألا ترى أن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أمه وأباه وإخوته على صورة الشمس والقمر وعلى صورة أحد عشر كوكبا وكذلك في رؤيا الملك لما قال ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يوسف-٤٣ فعبرت هذه الأبقار العجاف والسمان بالسنين الخصبة وسنين القحط فرؤية المنام تختلف عن رؤية اليقظة فالإنسان قد يرى سحابًا عظيمًا فيقع في قلبه أنه الله، وقد يرى نورًا عظيمًا ساطعًا فيقع في قلبه أنه الله، أو يرى شيئًا ساقطًا من السماء فيقع في قلبه أنه الله، والعبرة في تفسير الرؤى هو بما يقع في قلب الرائي لا بحقيقة ما رأى؛ ولذلك روي عن بعض السلف أنهم قالوا رأيت الله في المنام بل ثبت عن النبي ﷺ: (رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ)[١] - قال العلماء إنها رؤية منام والخلاصة من ذلك أن الله يرى في المنام في قول عامة أهل السنة والجماعة إلا أن رؤيته في المنام ليست كرؤيته في الحقيقة ولكن يقع في قلب الرائي أنه قد رأى الله عَزَّوَجَلَّ وأما النقطة الثانية فطريقة الاستدلال التي سار عليها هذا الرجل طريقة خاطئة وهي طريقة أهل البدع وهي إنكار الشيء وإن كان عليه دليل وإثباته بمجرد الرؤى والأحلام فإذا كان منكرا لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ في المنام مع ثبوت الأدلة وكلام السلف فيها وهو قول جماهير أهل السنة والجماعة ثم تغير رأيه فأثبتها بعد أن كان منكرا لها بمجرد رؤية منامية فهذا خطأ عظيم إذ

(١) أخرجه أحمد برقم (3484) والترمذي برقم (3234) والنسائي في الكبرى برقم (11473) وصححه الألباني في الصحيحة برقم 3169

لا مدخل للرؤى ولا للأحلام ولا للمكاشفات في مسألة الإثبات من عدم الإثبات فنحن إنما نثبت ما أثبته النص كتابا وسنة وننفي ما نفاه النص كتابا وسنة وأما مسألة الرؤى فإنها لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ولا تثبت منفيا ولا تنفي مثبتا فلا يجوز أن نجعل الرؤى والأحلام والمكاشفات عمدة في إثبات شيء أو نفي شيء والله أعلم

i

١١. سُئِل الشيخ :ما رأيكم في رؤية عَزَّوَجَلَّ الله بالبرزخ.. هل تثبت..؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد.

لا أعلم كثيراً في هذه المسألة، ولكن الذي أعلمه أن المؤمنين يرون الله مرتين :

المرة الأولى يرونه في العرصات إلا أن هذه الرؤيا مما اختلف فيه أهل السنة والجماعة على ثلاثة أقوال

المرة الثانية: بعد دخول الجنة فأمّا رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بعد دخول الجنة فإنها من جملة ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة وقد ألفت في ذلك مؤلفات متعددة كما لا يخفى على شريف علمك فهي من المسائل القطعية المعلومة من الدين والأدلة المتواترة بالضرورة وأن من أنكر رؤية المؤمنين لربهم في الجنة فإنه يعتبر كافرا وكذلك رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في العرصات إلا أن هذه الرؤيا مما اختلف فيه أهل السنة والجماعة على ثلاثة أقوال فهي من المسائل التي ثبت الخلاف فيها في دائرة أهل السنة والجماعة وكل خلاف دائر بين أهل السنة فلا يعتبر من مسائل العقيدة الكبار التي يوالي ويعادي عليها أو توجب بدعة أو خروجا عن دائرة

السنة فمن أهل السنة منهم من قال: يراه المؤمنون في العرصات فقط ومنهم من قال: بل يراه المؤمنون والمنافقون ومنهم من قال: بل يراه الجميع مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم ثم يحتجب عن منافقهم وكافرهم ويبقى يراه المؤمنون حتى يدخلوا الجنة، وأما رؤية البرزخ فإن فيها خلافا كبيرا أيضا في دائرة أهل السنة والجماعة أنبه السائل وفقه الله على أن كل خلاف دائر بين أهل السنة والجماعة فإنه ليس معتبرا من المسائل العقدية الكبيرة التي تدخل تحت الولاء والبراء والله أعلم .

i

١٢. سُئِل الشيخ عن: إمكانية رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في المنام؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، قبل أن أجيب لابد أن أذكر لك قاعدة متفقا عليها بين العلماء، وهي: أن الرؤيا المنامية تختلف عن رؤيا اليقظة، فليس كل شيء يراه الإنسان في منامه لابد وأن تكون صفته هي هي في اليقظة، ولذلك يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين، فعُبِّرت بأن الشمس والقمر أمه وأبوه، والأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته، وكذلك أيضا الرؤية التي عرضت على يوسف– عليه الصلاة السلام –وهي: أن الملك رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، فعُبِّرت بالسنين العجاف وسنين الخصب، وكذلك رأي النبي ﷺ قبل غزوة أحد بقرا تُنحر، فعبَّرها بطائفة من أصحابه يُقتلون، فليس كل شيء يراه الإنسان في منامه يكون على حقيقته في اليقظة، وبناء على ذلك ؛ أي على هذا الأصل العظيم :بأن رؤية

المنام تختلف عن رؤيا اليقظة، فلا أعلم نزاعا بين أهل السنة والجماعة في أن الله يُرى رؤية منام لا رؤية عيان يقظة، فإن النبي ﷺ قال ((رَأَيْتُ رَبِّي اللَّيْلَةَ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ))[١] فهي رؤية منام لا رؤية يقظة، فقد يرى الإنسان نورا ساطعا من السماء أو سحابة أو غمامة أو يرى جبلا عظيما فيقع في قلبه أنه الله، فلا بأس عليه إذا استيقظ أن يقول رأيت الله في المنام، لكن لا يجوز لنا أن نعتقد أن صفة ما رآه هي حقيقة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الرؤية المنامية تختلف عن رؤية اليقظة، وأظن الفتوى واضحة والأصل واضح، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (3484) والترمذي برقم (3234) والنسائي في الكبرى برقم (11473) وصححه الألباني في الصحيحة برقم 3169

١٣. سُئِل الشيخ عن: حكم الدعاء برؤية الله عز وجل في الجنة؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين. المتقرر في القواعد (أن الاصل في باب الادعية الحل والإباحة) فلا بأس على الإنسان أن يدعو بمثل هذا الدعاء لأنه يتضمن طلب الله عَزَّوَجَلَّ أي يكون ذلك العبد ممن يرى ربه يوم القيامة. وهذا قد ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة. كما قال ﷺ أنه كان من جملة دعائه: (وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِك والشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ.) [١] فهذا لا بأس به ولا حرج إن شاء الله..

كون الإنسان يدعو أن يرى الله في الجنة فهذا جائز. بل أن رؤية الله في الجنة من أعظم النعيم على الإطلاق. والله أعلم.

i

عقيدة أهل السنة في الصحابة والخلفاء الراشدين

١٤. سُئِل الشيخ :ما الضابط في تحديد كون الخلافة التي أعقبت رسول الله ﷺ راشدة أم لا؟ وكذلك يقول كيف حددنا أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم خلفاء راشدين. أقصد أن الرسول ﷺ لم يحدد أسماء في الحديث.؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين. وبعد، ، أما وصف أبي بكر

(١) أخرجه النسائي برقم (1305) وصححه الألباني في صفة صلاة النبي (ص: 1009) طبعة مكتبة المعارف – الرياض - ط1

وعمر وعثمان وعلي بأنهم من الخلفاء الراشدين فقد ورد من حديث العرباض ابن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجدت منها القلوب (فقال رجل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصينا) (قال أوصيكم بِتقوى اللهِ والسّمع والطّاعةِ وإنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُم فَسَيَرى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخَلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيين مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)[١] وقد دل الدليل الصحيح بأن الخلافة الراشدة بعد موت النبي ﷺ سوف تستمر إلى ثلاثين سنة أي بعد موت النبي ﷺ ففي السنن أن النبي ﷺ قال: (خِلافةُ النُّبوَّةِ ثَلاثون سَنةً، ثمَّ يُؤتِي اللهُ الملكَ- أو مُلكَه- مَن يشاءُ)[٢] وفي حديث السفينة أن النبي ﷺ قال :(الخلافةُ ثلاثونَ سنةً، ثم تكونُ مُلْكًا).[٣]

وقال النبي ﷺ :(الخلافةُ بعدي ثلاثونَ سنةً)[٤] يعني أنها الخلافة الراشدة التي لا يكون فيها شيءٌ من التبديل ولا تغيير الدين الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١/١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ](٥/٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/٥٨) برقم: [١٦٥]. في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٧

(٢) أخرجه أبو داود 4646 والترمذي ٢٢٢٦ والنسائي في الكبرى ٨٠٩٩ وصححه الألباني برقم: ٣٢٥٧ في صحيح الجامع

(٣) أخرجه أبو داود برقم ٤٦٤٦ الترمذي برقم ٢٢٢٦ وصححه الألباني برقم: ٣٢٥٧ في صحيح الجامع، وصححه الشيخ شعيب في تعليقة على المسند برقم ١٨٤٠٦

(٤) أخرجه ابن حبان "6657" وصححه الشيخ الألباني «الصحيحة» (٤٥٩)

تكون ملكا وجبروتا ولو أنك فصلت مدة خلافة كل واحد من الخلفاء الأربعة مضمومة إلى خلافة الحسن ببضعة اشهر، لَتبيَّن لك أن ما قاله النبي ﷺ أن مدة الخلافة ثلاثون سنة أنها من جملة علامات نبوته ﷺ فإن الخلفاء من بعده أربعة وقد حكم أبو بكر رضي الله تعالى عنه؛ فكانت مدة خلافته (سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام. وكانت مدة خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام.) ومدة خلافة عثمان (إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا) وكذلك مدة خلافة علي (استمرت إلى أربع سنين وتسعة أشهر) هكذا حسبها كثير من أهل العلم رحمهم الله تعالى وفي الحديث عن ابي هريرة (أن النبي ﷺ قال (يَكُونُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءُ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَعْدِلُونَ فِي عِبَادِ اللهِ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ مُلُوكٌ يَأْخُذُونَ بِالثَّأْرِ، وَيَقْتُلُونَ الرِّجَالَ وَيَصْطَفُونَ الْأَمْوَالَ، فَمُغَيِّرٌ بِيَدِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِلِسَانِهِ، وَمُغَيِّرٌ بِقَلْبِهِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ))[١] وهذا الحديث وإن كان فيه شيءٌ من الضعف إلا أن بعض أهل العلم حكم عليه بالحسن. فتُبيِّن لك صدق كلام رسول. ﷺ سيكون بعده خلفاء، وخلافتهم خلافة راشدة مهدية حتى يأتي زمن الملك العضوض والله اعلم.

i

١٥. سُئِل الشيخ: هل يجوز لنا سرد بعض الأحاديث الضعيفة للعامة في سير الخلفاء الراشدين التي لا تنتقص منهم، من باب الاستئناس بها وتكون حالها كحال الإسرائيليات؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين إذا كانت هذه الأحاديث

---

(١) أخرجه البيهقي (6\340)

الضعيفة مما يُستنبط منها بعض الأحكام الشرعية فلا يجوز سردها لا للعامة ولا لغيرهم، إلا مقرونةً ببيان ضعفها، لأن المتقرر عند العلماء: أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة، وإذا كانت هذه الأحاديث الضعيفة تتضمن نقدًا أو قدحًا في شيءٍ من خلفاء المسلمين فإنه لا يجوز قولها؛ لأنها تُعارض عقيدة المسلمين في وجوب تعظيم أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وأما إذا كانت تتكلم عن أشياء أخرى كسرد تاريخي لا يُسْتنبط منه شيءٌ من الأحكام الشرعية ولا يتضمن شيئًا من الإخلال بمنزلة الصحابة، فأنا أرى والله أعلم: أن علماء السِّيَر يتهاونون في مثل هذا، وإنما يُشددون في أمرين: في السرد التاريخي إذا كان ضعيفًا ويتضمن استنباط حكم شرعي، أو في السرد التاريخي إذا كان ضعيفًا ويتضمن قدحًا في بعض أصحاب النبي ﷺ، فهنا نقول: لا. والله أعلم

i

١٦. سُئِل الشيخ :كيف الجمع بين أن الدين اكتمل بموت النبي ﷺ ونهيه عن الإحداث في الدين، وبين قوله ﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ؟[1]

فأجاب – عفا الله عنه–: ما قرره الخلفاء الراشدون يُعتبر من الدين لأنه فُوِّض

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١/١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ](٥/٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/٥٨) برقم: [١٦٥]. في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٧

لهم هذا الحق، فلا يكون ما يأتي به الخلفاء الراشدون زائداً على الدين بل هو منه بنص رسول الله ﷺ.

i

١٧. سُئِل الشيخ: هل تخلف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بيعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما تزعم الرافضة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين. لم يتخلف عن بيعة أبي بكر، فقد بايعه، ولكنَّه تأخَّر في مبايعته؛ لا لعدم رضًى بها وإنما لاشتغالهم بتجهيز النبي ﷺ ومراعاةً لأحوال وفاته، وإلا فهو قد بايع مع من بايع من أصحاب النبي ﷺ رضًى وطواعيةً واختيارًا لا جبرًا وقصرًا كما يقوله الخرقاء من الرافضة.

i

١٨. سُئِل الشيخ: أُشكل إجماعُ العلماء أن أبا بكر أعلم الأمة بعد رسول الله ﷺ، وحديث قول النبي ﷺ عن معاذ أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، أما قولك أيها السائل الكريم أجمعت الأمة على أن أبا بكر أعلم الأمة بعد نبيها ﷺ فهذا إجماع لا أعلمه ولم أطلع عليه، ولا أظنه يصح، وأظنك وفقك الله قد اختلط عليك بين مسألة الأعلمية والأفضلية، فالذي أجمعت الأمة عليه؛ هو أن الأمة قد أجمعت على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر، وأن أفضل الأمة بعد نبيها وأبي بكر؛ عمر رضي الله تعالى عنه، فالذي أجمعت عليه الأمة ليس هي

أعلمية أبي بكر على غيره وإنما هي أفضلية أبي بكر على غيره، فلعلك تراجع ما ذكرتَه من الإجماع، أو أن تَنقل لنا مَن قال هذا الإجماع، ولكن أرجع وأقول لعلك خلطت بين مسألة الأعلمية والأفضلية، فالأمة لم تجمع على أن أبا بكر أعلم من غيره، وإنما أجمعت الأمة على أن أبا بكر أفضل الأمة بعد النبيﷺ والله أعلم.

i

١٩. سُئِل الشيخ: ما حكم التفاخر بقبيلتي؟ وما حكم التفاخر بالصحابي الذي يكون من قبيلتي؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، إن من جملة ما حرمه الشرع: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، وفي حديث أبي عامر الأشعري قال: قال النبي ﷺ: ((أربعٌ في أمَّتي من أمرِ الجاهليةِ، لا يتركوهنَّ: الفخرُ في الأحسابِ، و الطعنُ في الأنسابِ، و الاستسقاءُ بالنجومِ، و النياحةُ.))،[١] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

فلا يجوز للإنسان أن يفاخر بحسبه ونسبه مفاخرةً تتضمن الكبرياء أو الكبر والتعالي على الآخرين، فالله عَزَّوَجَلَّ لم يجعلنا شعوباً وقبائل حتى يفتخر بعضنا على بعض، وإنما حتى نتعارف، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات:١٣]، ولم يقل ليفتخر بعضكم على بعض.

فلا يجوز للإنسان أن يفاخر بقبيلته وأن يحتقر الآخرين، حتى وإن كان من

(١) صحيح مسلم برقم ((934))

قبيلته صحابي من الصحابة، فلا يجوز أن يفاخر بقبيلته بكون هذا الصحابي منها، ولا يجوز للإنسان أن يسلك ذلك المسلك أبداً؛ لأن النبي ﷺ سمَّاه مسلك الجاهلية.

ففي الصحيح أن أبا ذرٍّ لَمَّا قال لبلال: يا ابن السوداء. غضب النبي ﷺ وقال: ((يا أبَا ذَرٍّ أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ،...))[١] الحديث بتمامه.

والمتقرر في القواعد: أن كل أمرٍ منسوبٍ إلى الجاهلية فمحرَّمٌ وكبيرة. فالفخر بالأحساب والطعن في الأنساب من جملة المحرمات الشرعية بل ومن جملة الكبائر في الدين، وإن الإنسان لا يجوز له أن يفاخر بما ليس بفخرٍ معتبَرٍ عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما حقيقة الكرامة والإكرام هي التقوى والإيمان وصحة التوحيد والعقيدة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قال في أبي لهب الحسيب القرشي: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[المسد: ١]، وأما بلالُ العبد الحبشي (فقد قال فيه النبي ﷺ: ((يا بلالُ بما سبقتَني إلى الجنَّةِ؟ فما دخلتُ الجنَّةَ قطُّ إلَّا سَمِعْتُ خَشخَشتَكَ أَمَامِي...))[٢]، فليست القضية عند الله قضية طول وقِصَر، وبياض وسواد، وقبيلة وحسب ونسب، وعبودية وحرية، وإنما القضية قضية تقوى وإيمان، فالتفاضل عند الله عَزَّوَجَلَّ ليس ميزانه المناصب، وليس ميزانه الأحساب والأنساب ولا الأموال

---

(١) أخرجه البخاري برقم (30)، و مسلم في الإيمان والنذور باب إطعام المملوك مما يأكل رقم ١٦٦١

(٢) أخرجه أحمد (22996)، والترمذي (3689)، وابن خزيمة (1209)، وابن حبان (7086) وأصله في صحيح مسلم برقم (2457)

ولا الجمال، وإنما ميزان التفاضل عند الله هو التقوى.

حتى وإن كان الإنسان من آل البيت فلا يجوز له أن يفاخر بهذا النسب مفاخرة تقتضي احتقار الآخرين أو التعالي عليهم. هذا أمرٌ لابد أن يتقرر في قلوب الناس، لأننا نرى في الحقيقة أن المفاخرة بالأحساب وأن الطعن في الأنساب قد رجعت إلى الظهور مرة أخرى بأسبابٍ أنتم تعرفونها ولا تخفى عليكم.

فيجب على المسلمين أن يتواصوا فيما بينهم وأن يتركوا ذلك، وأن ينهوا عنه، وأن ينكروه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعصمنا وإياكم منه، والله أعلم.

i

٢٠. سُئِل الشيخ: هل يجوز قول ﴿رضي الله عنه﴾ لواحدٍ ليس من الصحابة رضوان الله عليهم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: نعم، يجوز ذلك دعاءً لا إخباراً، فيجوز أن نقول فلانٌ ولو من غير الصحابة (لكنها ليست من باب الإخبار، لأن رضا الله عن العبد لابد فيه من دليل لأنه غيبي، والمتقرر في القواعد: أن ما كان غيبياً فيكون توقيفياً.

فإذا أطلقنا قولنا (رضي الله عنه) لغير الصحابة فلنستشعر في قلوبنا أنه من باب الدعاء، وأما إذا ذكرنا أحد الصحابة فإننا نقول (رضي الله عنه) إخباراً.

فإذن: كلمة (رضي الله عنه) تُقال في حق الصحابة إخباراً، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا أنه رضي عنهم ورضوا عنه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠] إلى آخرها.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨]، وفي آيات كثيرة يقول: (رضي الله عنهم ورضوا عنه) فإذن: كلمة (رضي الله عنه) تُقال في حق الصحابة إخباراً، وتُقال في حق غيرهم دعاءً، والله أعلم.

i

٢١. سُئِل الشيخ: أحسن الله إليكم: أخبر النبي ﷺ الصحابي حذيفة بأسماء المنافقين، يقول أيضًا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: للنبي عليه السلام إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ[(١)]، يقول هل نفهم من ذلك أنه كان من بين الصحابة من هو منافق؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر عند العلماء أن الصحابي هو من اجتمع بالنبي ﷺ، مؤمنًا به ومات على الإيمان، فمتى ما توفرت هذه الشروط الثلاثة في أحدٍ من الناس فإنه يسمى صحابيًا باطنًا وظاهرًا، والصحابة باطنًا وظاهرًا ممن اجتمعت فيهم شروط الصحبة الثلاثة المذكورة في هذه القاعدة السُّنيَّة، هم الذين يجب علينا أن نعتقد فيهم الاعتقاد المقرر في كتب أهل السنة والجماعة، من أننا نحبهم ولا نفرط في حب أحد منهم وأنهم عندنا عدولٌ أثباتٌ ثقاتٌ، وأنهم لا كان ولا يكون مثلهم، وأننا نتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بالترضي عنهم جملةً وأفرادًا، وأنه يجب علينا أن نسكت عما شجر فيما

(١) أخرجه البخاري برقم (402)

بينهم من أمر القتال والفتنة، وأن نعتقد أنهم فيه مأجورون مثابون، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ منهم له أجر واحد، فهذه العقيدة التي يقررها أهل السنة والجماعة هي في ذلك الصحابي الذي لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإيمان، ولكن هناك ممن لقي النبي - ﷺ - ممن لم يؤمن به في باطنه، وإنما كان يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر، فهؤلاء وإن كانوا في عهده وإن كانوا قد لاقوه؛ إلا أنهم لا يُعتبرون من الصحابة باطنًا، ولا نطبق عليهم هذه العقيدة المقررة عند أهل السنة والجماعة، وهم الذين ذكرهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[التوبة: ١٠١] فهؤلاء ليسوا بصحابة عند الله - عَزَّوَجَلَّ - وهم يدخلون دخولًا أوليًا فيمن يذادون عن حوضه ﷺ يوم القيامة، في قول النبي -عليه الصلاة والسلام- ((لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ مِن أصْحابِي الحَوْضَ، حتَّى عَرَفْتُهُمْ، اخْتُلِجُوا دُونِي، فأقُولُ: أصْحابِي! فيَقولُ: لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ.))[١]

فالعلماء يفسرون هذا الحديث بعدة تفسيرات، من جملتها أنه من كان منافقًا في الباطن على عهد النبي ﷺ والقرآن في آيات كثيرة أثبت وجود المنافقين والنفاق في عهد في حال حياته ﷺ، ورأس المنافقين كما هو معلوم هو عبد الله بن أُبي بن سلول، وقد تكلم هؤلاء المنافقون بكلمات كثيرة سجلها القرآن وردّ عليها في سورة التوبة وفي غيرها من سور وآي القرآن، فنحن نُجزم أن مَن كان يُظهر الصحبة في الظاهر مخادعةً للمؤمنين، من كان منافقًا ولكن هؤلاء وإن كانوا يعاملون في ظاهر الأمر بأنهم مسلمون إلا أنهم في الباطن فيما بينهم وبين الله كفار، وليسوا بصحابة لعدم صدق تعريف الصحابي عليهم، لأنهم وإن ثبت

---

(١) رواه البخاري برقم (4625) ومسلم برقم (2304)

لقاؤهم بالنبي ﷺ، وثبت أنهم نطقوا بالشهادة ظاهرًا بين يديه، وحُكِم عليه بالإسلام في الظاهر، إلا أنهم في الباطن ليسوا بصحابة، فمن عُلِم منهم وشهد عليه أهل السنة بأنه من جملة المنافقين فلا يجوز لنا أن نعامله معاملة الصحابي الذي انطبقت عليه هذه الشروط، ومن كان مجهول الحال فإن الواجب علينا أن نعامله في الظاهر معاملة المسلمين، لأن المتقرر عند العلماء أنّ لنا الظاهر والله يتولى السرائر، وهذا الجواب كافٍ إن شاء الله، فالنفاق قد أثبتت الأدلة أنه موجود في العهد النبوي، وكذلك المنافقون ؛لكنهم في الظاهر يعاملون معاملة المسلمين، ما لم تظهر منهم القرائن الدالة على كفر قلوبهم، وأما عند الله فليسوا بالصحابة وليسوا بمسلمين، فباطن قلوبهم وما يحملونه من الكفر في بواطنهم لا شأن لنا به لأن لنا الظاهر والله يتولى السرائر، والمتقرر عند العلماء أن الأحكام في الدنيا مبنية على الظواهر؛ والسرائر تبعٌ لها، وأن الأحكام في الآخرة مبنية على السرائر والظواهر تبع لها. والله أعلم

i

٢٢. سُئِل الشيخ :كيف نجمع بين قاعدة كلّ من أثنى عليه القرآن فسيموت وُفق ثنائهِ، وبين من قال إنّ بعض الصّحابة قد ارتدَّ بعد موت النّبيّ ﷺ؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربّ العالمين وبعد،

لا بدّ أولًا أن نعرف من هو الصّحابي، حتّى ننظر هل موتهم على الرِّدَّة يُبقي لهم مسمّى الصُّحبة أو يُخرجهم عن دائرة الصُّحبة، حتّى يكون ذلك الإشكال سليمًا، فالصّحابي هو من توفَّر فيه ثلاثة شروط، الشّرط الأوّل أن يلقى النّبيّ ، الشّرط الثّاني أن يكون حال اللّقاء مؤمنًا به، الشّرط الثّالث أن يموت على

الإيمان، وبناءً على ذلك فالّذي ارتدَّ بعد حياة النّبيّ ، وقد لقيَه وآمن به ولكن مات على الكفر فإنّه لا يُسمَّى صحابيًا لفوات شرط من شروط الصُّحبة، فلا يَرِدُ هذا الإشكال أصالةً، لأنّ الّذي مات بعد لقاء النّبيّ، والإيمان به، ولكنّه مات مرتدًا؛ فإنّه لا يُسمَّى صحابيًا، وإذا أخرجناه عن دائرة الصُّحبة؛ نكون قد أخرجناه عن ثناء القرآن فلا إشكالَ في ذلك. والله أعلم.

i

كتاب الإيمان بالملائكة

٢٣. سُئِل الشيخ: هناك رسالة متداولة بين الناس، في مواقع التواصل، مبناها أن هناك عشرة من الملائكة، تحيط بالإنسان، ويتغيرون في الليل والنهار إلى آخرة..، فما حكم هذه الرسالة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: المتقرر عند العلماء:، أن ما كان من قبيل الأمور الغيبية، فإنه لا يثبت إلا بالنص، الصحيح، الصريح. وأمور الغيب، توقيفية على النصوص، فلا يجوز الاجتهاد، أو التخوض في شيءٍ منها.

فإن علم الغيب، من خصائص الله تبارك وتعالى، إذا عُلم هذا، فليعُلم أن تبدل الملائكة في الليل والنهار، هذا ثابت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة (قال: قال النبي ﷺ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ، وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ،

فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ))[١]. فهذا ثابت عن النبي ﷺ: وأما ما سوى ذلك، من بعض التفاصيل، التي وردت في هذه الرسالة الطويلة، فإنها تحتاج إلى شيءٍ من النظر؛ لأنها أمر غيبي، والأمور الغيبية، لابد في إثباتها من الأدلة.

فتفصيل الملائكة، بأن هناك ملك للسمع، وملكُ للعينين، وملكُ في كذا، وملكُ في موضع كذا، كل هذه التفاصيل، مبنية على أمور غيبية، لا يجوز إثباتها، إلا إذا أثبتها النص. ولا أعلم شيءً من النصوص، لا من الكتاب، ولا من السُنة، يُثْبِتُ هذه الدقائق والتفاصيل.

وإن كنّا نؤمنُ إيمانً إجماليًا، بأن الإنسان تكتبُ أعمالَهُ ملائكةٌ حفَظَه، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيكُمْ لَحَافِظِينَ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[الانفطار: ١١: ١٠].
ونؤمن بأن هناك مُعقِّبات من بين الإنسان، ومن خلفهِ، يحفظونهُ من أمر الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُ مُعقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الرعد: ١١]. ونُجزم كذلك جزمًا، بأنّ هناك ملائكة تكون مع النطفة في الجنين في رحم المرأة، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبعث إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيْدٌ، فَوَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ فَوَالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهل الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُوْنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (صحيحه) باب: [كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيلَ، وَنِدَاءِ اللَّهِ المَلَائِكَةَ](٩/١٤٢) برقم: [٧٤٨٦]، وأخرجه مسلم في (صحيحه) باب: [فَضْلِ صَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا] (١/٤٣٩) برقم: [٦٣٢].

الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهل النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهل النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهل الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا))(١)

. ونحو هذه النصوص، التي تثبت شيءً من أعمال الملائكة.

ولكن ؛أن نتجاوُز هذا؛ فنحدد أماكنهم، ونقول إن ملكًا في عينية، وملكًا في أُذنيهِ، وملكًا أمامهُ، وملكًا خلفهُ، وهذا التحديد، أو أنهم خمسةُ ملائكة، أو عشرة ملائكة. كل هذا من التخوض في علم الغيب ولا دليل عليه.

فهذه الرسالة، مبنية على شيءٍ قد ثبُت أصلهُ، ولكن تفاصيله، ودقائقهُ، وإعدادهُ، ومواضعه لا دليل عليه من الشرعِ، فنحن نثبت أصلة، إثبات الدليل، وأما تلك التفاصيل، فتحتاج إلى شيءٍ خاص.

فالذي نثبتهُ عدة أمور:

الأمر الأول: نحن نثبت أن الملائكة يتبدلون بالليل والنهار، ويستمعون في صلاة الصبح والعصر، ونعتقد اعتقادًا جازمًا، بأن هناك ملائكة، يكتبون على العبد أعماله، ويحصونها عليه، ويستنسخونها منهُ، ومما نؤمن به أيضًا، أن هناك ملائكة، يحفظون العبد، من بين يديه ومن خلفهِ.

وأما ما زاد على ذلك، من إثبات أعدادهم، وأشكالهم، ومواضعهم من بني

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في (صحيحه) باب: [ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ](١١١/٤) برقم: [٣٢٠٨]، وأخرجه مسلم في (صحيحه) باب: [كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ...](٢٠٣٦/٤) برقم: [٢٦٤٣].

آدم، فإن هذا يحتاج على دليل.

i

٢٤. سُئِل الشيخ: في حديث الملائكة وأنها لا تدخل بيتًا فيه صور وتماثيل، أنا أعتني بذلك في غرفتي ؛ ولا أملك القدرة غالبًا في إقناع أهلي في ترك الصور والتماثيل بما فيها بعض الزينة والمجسمات في الأواني، فهل تنقطع عن غرفتي الملائكة.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين. كل غرفة في البيت تعتبر بيتاً فإذا كان الأب قد جامع الزوجة في غرفة نومهما ثم بات جنباً وبقية الأبناء والبنات لم يصبهن شيء من الجنابة؛ فإن غُرفهن تعتبر بيوتاً فلا يلزم من كون الأب بات في غرفة نومه التي هي أربعة جدران ولها باب مغلق، وربما يكون دورة مياهها داخلها؛ لا يعتبر نومه جنباً بحارم لأهل البيت كلهم من دخول الملائكة عليهم في غرفهم، إذا لم يكن فيها جنبٌ و لا كلبٌ أو صورة، ففي هذه المنازل الكبيرة نفتي بهذا فإن دخول الملائكة في البيت على الإنسان، هذه بركة عظيمة ولا ينبغي أن يعاقب الآخرون بعدم دخول الملائكة عليهم بأن رجلاً منهم كان جنباً فالبيوت قديماً كانت عباره عن غرفة أو غرفتين وشيء يسير من مكان الجلوس و أما بيوتنا فإنها بهذا الزمان تكاد أن توصف بأنها قصور فربما يكون البيت الواحد مبنياً على عشرة بيوت من البيوت القديمة ولو سكنها عشر عوائل لكفتهم فلذلك أنا أقول في هذا الزمان إن بيوتنا تأخذ كل غرفة من الغرف حكم البيت فإذا بات الإنسان في غرفته غير جنب وليس فيها كلب ولا صورة فإن وجود الجنب في الغرفة المجاورة لا يمنع من دخول الملائكة

عليه وأضرب لك مثالاً بسيطاً وهي أن هناك عمارة ذات شقق وفي كل زاوية منها شقة ولكل شقة مدخل خاص ومكان مستقل فهل إذا بات أحد عُمار هذه الشقق جنباً حرم أهل البيت كلهم يعني حرم أهل الشقق كلهم من دخول الملائكة عليهم في هذه العمارة جملةً وتفصيلاً الجواب لا لأن كل شقة منها مستقله وكذلك أيضاً غرف البيت كل غرفة منها مستقلة فلذلك أنا أقول في هذه الأزمنة لو قلنا بأن كل غرفة من هذه الغرف تعتبر بيتاً خاصاً لكان لذلك وجهاً من النظر وحظاً منه والله أعلم

i

٢٥. سُئِل الشيخ: هل لكل شخص قرين من الجن ومن الملائكة؟ وهل الله سبحانه وتعالى أطلعهم على شيءٍ من الغيب؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، أما بالنسبة لسؤالك الأول فأقول فيه: نعم، ما منا من أحدٍ إلا ومعه قرينان: قرينٌ من الجن وقرينٌ من الملائكة، وبرهان ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن مسعودٍ (قال: قال النبي ﷺ: ((ما منكم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بِهِ قرينُهُ منَ الملائِكةِ وقرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: وإيَّايَ إلا أنَّ اللَّهَ أعانَني عليْهِ فأسلمَ))[١].

وقوله: (فَأَسْلَم) أي: استسلم وانقاد اضطراراً لا اختياراً، فليس المقصود به (أسلم) يعني دخل في الإسلام، وإنما استسلم وانقاد، واختار هذا أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (2814)

وفي جامع الترمذي بإسنادٍ صحيح أيضاً من حديث ابن مسعود (يقول النبي ﷺ: ((إن للشيطانِ لَمَّةً بابنِ آدمَ، وللمَلِكِ لَمَّةً، فأما لمةُ الشيطانِ فإيعادٌ بالشرِّ، و تكذيبٌ بالحقِّ، وأمَّا لَمَّةُ الملَك فإيعادٌ بالخيرِ، وتصديقٌ بالحقِّ.))[1].

وأما قولك: هل يعلم قريننا من الملائكة أو من الشياطين شيئاً من الغيب؟ فنقول: المتقرر في قواعد أهل السنة: أن الغيب المطلق لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه صفة يُخص الله عَزَّوَجَلَّ بها، وهي من مقتضيات ربوبيته، فلا يجوز لنا أن نعتقد في مخلوقٍ أيًّا كان نوعه، وأيًّا كان جنسه، وأيًّا كانت مرتبته، مَلَكاً كان أو جنِّيًا؛ أنه يعلم شيئاً من الغيب المطلق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[الجن:٢٦]، ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩].

فمن اعتقد أن مخلوقاً يعلم شيئاً من الغيب المطلق؛ فإنه قد جعله ربًّا مع الله عَزَّوَجَلَّ، فكل من اعتقد أن أحداً من المخلوقين يعلم شيئاً من الغيب المطلق فإنه يُعتبر كافراً، فالملائكة لا تعلم شيئاً من الغيب المطلَق إلا ما أطلعهم الله عَزَّوَجَلَّ - عليه من غيبه المطلق، والشياطين والجن لا تعلم شيئاً من الغيب المطلَق إلا ما أطلعهم الله عَزَّوَجَلَّ عليه فقط، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن:٢٦-٢٧].

وأما الغيب المطلَق فإنه من خصائص الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي (2988) وصححه الألباني- صحيح الموارد (٣٨)

i

٢٦. سُئِل الشيخ: هل الملائكة مكلَّفون، ما القول الراجح في ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه – :– الحمد لله رب العالمين وبعد، هذه المسألة ليست من المسائل العقدية الكبيرة التي يُوالَى ويُعادَى عليها، والبحث فيها من فضول العلم الذي لم نُؤمَر به، وكان السكوت عن هذا السؤال هو الأولى، لأنه أمر لم نكلف بمعرفته، ولكن بما أن السائل له نهمة في معرفة الجواب فأقول وبالله التوفيق: اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه المسألة، والخلاف فيها منقول عن أهل السنة والجماعة –رحمهم الله تعالى– على ثلاثة أقوال، فمنهم من نفي تكليفهم مطلقا، ومنهم من أثبته مطلقا، ومنهم من فصَّلَ؛ فقال مكلفون وغير مكلفين ؛ أي هم مكلفون بنوع من التكاليف وليسوا بمكلفين بنوع من التكاليف. والذي يترجح عندي والله تعالى أعلم أن الخلاف في هذه المسألة يحتاج إلى تحرير لأنه بتحرير محل النزاع يتبين لنا أنه لا نزاع حقيقي بين أهل العلم، وبيان الحال أن نقول: إن الجميع متفقون على أن الملائكة مأمورون ولهم أعمال يقومون بها امتثالا وطاعة لله تعالى،

قال تعالى ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

وقال تعالى ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩]

والآيات في إثبات كثير من أعمالهم متعددة، وفي الحديث: ((أَطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ إنَّهُ ليسَ فيها مَوضعُ قدمٍ إلَّا وعليهِ ملَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ، وقالَ الملائكةُ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦])) [١] وفي الحديث لما ذكر النبي ﷺ البيت المعمور قال :((يُصَلِّي فيه كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ)) [٢]، والنصوص كثيرة في هذا المعنى من إثبات عبادتهم وركوعهم وسجودهم وطاعتهم وعدم معصيتهم، بل وورد تهديدهم من الله فيما لو قال أحدهم إني إله من دون الله كما قال تعالى ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] إلى هذا الحد كله متفقٌ عليه بين أهل السنة، لا ينكره منهم منكرٍ ومن كذّب بشيء من ذلك؛ فقد كذّب القرآن والسنة.

ولكن الخلاف بين أهل السنة هو: هل هذه الأعمال والعبادات الصادرة منهم تسمى تكليفاً أم لا يصح تسميتها تكليفاً؟

فأنت ترى أن الخلاف بينهم فقط في تسمية هذه الأعمال، وأما أصل إثباتها واعتقادها والإيمان بها فهو متفق عليه بينهم، وفي هذه الحالة يكون الخلاف إنما هو خلافٌ في التسمية فقط فهو خلاف خفيف.

ولذلك فالراجح عندي في هذه المسالة بعد الإيمان بكل ما قدمنا، هو أن نقول :إن الله تعالى كلفهم بأعمال معينة وفطرهم على القيام بها وعدم

(١) أخرجه الترمذي برقم (2312) وابن ماجه (٤١٩٠)، والبزار (٣٥٢٤) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٨٥٢؛ ١٧٢٢)

(٢) أخرجه مسلم برقم (162)

عصيانها، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فتكليفهم ليس كتكليف البشر، ولا كتكليف الجن بل أعطي كل جنس من هذه العوالم ما يناسبه من التكليف ؛ فالإنس مكلفون بما يناسبهم، والجن مكلفون بما يناسبهم، والملائكة مكلفون بما يناسبهم، فنحن إن وصفناهم بالتكليف فلا نقصد التكليف الذي يخص الثقلين بل هو تكليف خاص بهم. .. والخلاصة..

أنهم مكلفون بما أمرهم الله تعالى به ولا يمكن أن يصدر من أحدهم مخالفة للأمر ولا معصية له، فهم مكلفون بالتكليف المناسب لهم وليسوا مكلفين بالتكاليف المناسبة للجن والإنس، فلفظ التكليف في سؤال السائل لفظ مجمل، فإن كان يقصد بتكليفهم ما يناسبهم مما أمرهم الله تعالى به فهو حق، وإن كان يقصد تكليفهم بما كُلف به الجن والإنس فلا، وبالتفصيل والتحرير يتحرر الجواب ولا يكون هناك إشكال إن شاء الله تعالى.والله أعلم ..

i

٢٧. سُئِل الشيخ: ما تعليقكم على ما ذكره ابن العربي المالكي رحمه الله حينما نقل كلام الباجي الذي قرر فيه أنه ﷺ كتب بيده في صلح الحديبية وأنه لم يمت حتى تعلم القراءة والكتابة؟؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله وبعد :ردنا على ذلك أنه ليس هناك دليل يدل على أن النبي ﷺ كان يتقن القراءة والكتابة ولم ينقل ذلك أحد عنه، لا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ولا عن أحد من سلف الأمة وأئمتها المقبول قولهم في الأمة، مع أنه يخالف قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن

قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨] فهذا دليل على أنه لم يكن يقرأ ﷺ، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وهذا دليل على أنه لم يكتب بيده ﷺ،

فظاهر هذه الآية تفيد أن النبي ﷺ قد استمر على أميته لحكمة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ حتى مات وهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولذلك وصفه الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الأعراف بقوله :(النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)

ولكن الذي ينبغي لنا أن نتنبه له أن وصف الأمية في حقه ﷺ إنما هي من أوصاف الكمال، لا من أوصاف النقص، فإن الأمية وإن كانت من أوصاف النقص في حق غيره.إلا أنها في حقه بخصوصه ﷺ من أوصاف الكمال.وذلك لأن من جملة ما اتُهم به النبي ﷺ لما جاءهم بالقرآن ببلاغته العظيمة وفصاحته الكبيرة العالية ونظمه الرفيع الرائع، قالوا إنك تنسخ كتب المتقدمين، ولذلك يقولون إنما يعلمه بشر، فأراد الله عَزَّوَجَلَّ من نبيه ﷺ أن يكون أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، حتى تنتفي هذه التهمة عنه. فهو لم يقرأ شيئا من كتب المتقدمين ولم ينسخها بيده ومع ذلك جاءهم بقرآن معجز تحداهم الله عَزَّوَجَلَّ بأن يأتوا بمثله وبعشر سور من مثله وبسورة من مثله وعجزوا فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ :﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء- ٨٨ وتأمل معي قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] يعني لو كنت تعرف يا محمد القراءة والكتابة فإن ذلك سيكون طريقا لتصديق ريب المرتابين فيك، إذا اتهموك بأنك قرأت شيئا من الكتب الماضية.

وخلاصة ذلك أن الوصف بالأمية في حقه ﷺ إنما هي من أوصاف الكمال، لا

من أوصاف النقص، ولذلك لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْتَمِرَ أَرْسَلَ إلى أَهْلِ مَكَّةَ يَسْتَأْذِنُهُمْ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ، فَاشْتَرَطُوا عليه أَنْ لا يُقِيمَ بهَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ، ولَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بجُلُبَّانِ السِّلَاحِ، ولَا يَدْعُوَ منهمْ أَحَدًا، قالَ: فأخَذَ يَكْتُبُ الشَّرْطَ بَيْنَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَكَتَبَ هذا ما قَاضَى عليه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ، فَقالوا: لو عَلِمْنَا أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ لَمْ نَمْنَعْكَ ولَبَايَعْنَاكَ، ولَكِنِ اكْتُبْ هذا ما قَاضَى عليه مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، فَقالَ: أَنَا واللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، وأَنَا واللَّهِ رَسولُ اللَّهِ قالَ: وكانَ لا يَكْتُبُ، قالَ: فَقالَ لِعَلِيٍّ: امْحَ رَسولَ اللَّهِ فَقالَ عَلِيٌّ: واللَّهِ لا أَمْحَاهُ أَبَدًا، قالَ: فأرِنِيهِ، قالَ: فأرَاهُ إيَّاهُ فَمَحَاهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيَدِهِ، "[١].فلو كان النبي ﷺ يعرف القراءة لما احتاج إلى علي أن يدله على موضع هذه الكلمة، والله أعلم.

i

٢٨. سُئِلَ الشيخ: هل لكل إنسان قرين وإذا كان كذلك فهل هذا القرين يؤثر على الشخص إيجابا أو سلبا وكيف نتعامل معهم؟

فأجاب – عفا الله عنه –: الحمد لله رب العالمين وبعد، في صحيح الإمام مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((ما منكم من أحدٍ إلَّا وقد وُكِّلَ بِهِ قرينُهُ منَ الملائِكةِ وقرينُهُ منَ الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: وإيَّايَ إلا أنَّ اللَّهَ أعانَني عليْهِ فأسلمَ))[٢]

وفي الصحيحين من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (3184)، ومسلم (4731).

(٢) أخرجه مسلم برقم (2814)

(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ.)[١] وفي جامع الإمام الترمذي بإسناد صحيح لغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: (إن للشيطانِ لَمَّةً بابنِ آدمَ، وللمَلِكِ لَمَّةً، فأما لمةُ الشيطانِ فإيعادٌ بالشرِّ، و تكذيبٌ بالحقِّ، وأمَّا لَمَّةُ الملَك فإيعادٌ بالخيرِ، وتصديقٌ بالحقِّ. فمَن وَجَدَ ذلك فلْيَعْلَمْ أنه مِن اللهِ تعالى، فلْيَحْمَدِ اللهَ، ومن وَجَدَ الأخرى فلْيَتَعَوَّذْ باللهِ من الشيطانِ.)[٢] والأدلة في هذا المعنى كثيرة ولله الحمد. فهذا دليل أن كل واحد منا فلابد أن يصحبه قرين من الشياطين، وقرين من الملائكة، فأما قريننا من الملائكة فيأمرنا بالخير ويدلنا عليه. وأما قريننا من الشياطين فيبعثنا على التكذيب بالحق ويخذلونا عن الطاعة.وعلى الإنسان أن يقوي سلطان قرينه من الملائكة بكثرة الأذكار، والمحافظة على الفرائض، وترك المحرمات، والبعد عن أماكن الشبهات، ونحو ذلك. فإنه كلما ترقى الإنسان في مدارج التعبد، كلما قوي جانب قرينه من الملائكة. وأما إذا تقحم الإنسان في الذنوب والمعاصي، وترك الأذكار، والفرائض، فإنه يقوى بذلك جانب قرينه من الشياطين والعياذ بالله.والله أعلم.

i

كتاب الإيمان بالرسل

٢٩. سُئِل الشيخ: هل يجوز تشبيه شخص بشخص آخر كأن تقول له: أنت

---

(١) أخرجه البخاري برقم (2039) ومسلم برقم (2175)

(٢) أخرجه الترمذي (2988) وصححه الألباني- صحيح الموارد (٣٨)

شبيه الرسول ﷺ؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد، هذا فيه تفصيل، فأما إن كان يقصد مشابهة النبي ﷺ في هديه وتعبده فهذا لا بأس بذلك، فالنبي ﷺ أمرنا في عباداتنا قوليةً كانت أو عملية أن نتشبه به وأن نتابعه، بل جعل الله عَزَّوَجَلَّ العمل الذي خولفت فيه المتابعة عملٌ باطل جعله الله عَزَّوَجَلَّ عملاً باطلاً، ولذلك في أحاديث كثيرة ربما يقول الصحابي: ما رأيت أحدًا أشبه برسول الله ﷺ من هذا، يقصد بصلاته يعني، كما قالها أبو هريرة قال لما صلى بأصحابه قال بعد الفراغ من الصلاة: ((إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلاَةً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[1].

وقالها مرةً أيضًا أبو هريرة كما في سنن النسائي بسند صحيح من حديث سليمان بن يسار، قال: قال أبو هريرة: ما صليت وراء أحدٍ أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من هذا-.

فإذًا إذا كانت المشابهة في أمور التعبدات فلا جرم أن هذا لا حرج فيه ولا بأس بل هو شرط من شروط صحة الأعمال فإن تكون صلاتنا شبيهةً بصلاته، أن تكون زكاتنا شبيهةً بزكاته حتى يتحقق فيها شرط المتابعة.

الأمر الثاني أو التشبيه الثاني: التشبيه بالنبي ﷺ في بعض خلقته البشرية كالتشبيه به في صوتك أن تقول: صوت هذا يشبه صوت رسول الله، أو وجه

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِتمَامِ التَّكْبِيرِ فِي الرُّكُوعِ](١/١٥٧) برقم: [٧٨٥]. وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [إِثْبَاتِ التَّكْبِيرِ فِي كُلِّ خَفْضٍ، وَرَفْعٍ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا رَفْعَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَيَقُولُ: فِيهِ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ] (١/٢٩٤) برقم: [٣٩٣].

هذا يشبه وجه رسول الله ﷺ، أو منكب هذا يشبه منكب رسول الله ﷺ، ومشية هذا تشبه مشية رسول الله ﷺ، فإذا كان المقصود بالمشابهة المشابهة في أحوال الجسد أو حركات الجسد أو صفات الجسد فهذا لا بأس به إن شاء الله، فإنه بشرٌ، مخلوقٌ مما خُلق منه البشر، فقد يتفق معه بعض البشر في بعض الصفات، وقد ثبت عن بعض الصحابة أنه كان يشبه الحسن أو الحسين بالنبي ﷺ، وشبهوا بعض التابعين به، فكل ذلك أمرٌ لا بأس به، فهو بشرٌ مخلوقٌ من جملة ما خُلق منه البشر من أبٍ وأم، ففيه الصفات الوراثية، التي ربما يشابهه فيها أبناؤه أو بعض أقربائه إما في صفة مشيته أو صفة كلامه أو صفة نظراته أو صفة عينيه أو صفة جبهتيه أو وجهه أو صفة جسده، وهذا معروف أن الاتفاق بين الأقارب بسبب العوامل الجينية الوراثية هذا أمرٌ لا يؤثر في

ولا يكون سببًا في قلة الأدب على النبي ﷺ، كونك تقول: والله وجه هذا يشبه وجه رسول الله ﷺ هذا لا بأس به، ولكن أنتم تعرفون أن هذا في حق من كان يرى وجه رسول الله ﷺ، ويرى صفاته، وأما في الأزمنة المتأخرة فإنما نقرأ صفاته ﷺ مجرد قراءة في الكتب، وأنتم تعرفون أن القراءة ربما لا يستوعب فيها أو منها الإنسان الصورة الكاملة كاستيعابه للرؤية، وكما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة، فإذًا إذا كان التشبيه به في أمر تعبدي فلا بأس به بل هذا شرطٌ من شروط كمال العمل، وإذا كان التشبه به في أمرٍ جسدي في أمر ظاهري بشري لا بأس بذلك أيضًا.

وأما الحالة الثالثة: فهو أن يُشبه به فيما هو من خصائصه ﷺ فهذا أمر لا يجوز، كونه والله يقول: هذا يجوز التبرك به مشابهةً بجواز التبرك بالنبي ﷺ؟ هذا أمرٌ

لا يجوز، أو أن يضفي عليه شيءٌ من صفات النبوة تشبيهًا له بالنبي ﷺ؟ أيضًا هذا أمرٌ لا يجوز، أو أن...على أحد من البشر صفة العصمة تشبيهًا له بالنبي ﷺ؟ هذا أمر لا يجوز، فإن الله عَزَّوَجَلَّ لعلو رتبة رسول الله ﷺ قد خصه ببعض الخصائص التي ينفرد بها عن سائر البشر عن سائر أمته لا يجوز للأمة أن تقتدي به فيها، ولا أن تتشبه به فيها، فإذًا التشبه به فيما كان يفعله من صورة العبادات هذا شرطٌ من شروط صحة العمل.

الحالة الثانية: كون الإنسان يُشبهه في بعض صفاته الخَلقية أو الخُلقية هذا لا بأس به كذلك.

والأمر الثالث: أن نتشبه به فيما هو من خصائصه التي اختصه الله عَزَّوَجَلَّ بها هذا أمرٌ لا يجوز، وبهذا التفصيل لعل الحالة تتضح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم.

i

٣٠. سُئِل الشيخ :لما استتب الأمر للنبي ﷺ وفتح مكة لماذا لم يرجع إلى ديار مكة ويتخذها مقرا له مع حبه الشديد لمكة....؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، وبعد..

المتقرر في القواعد أن الأصل في الخصائص التوقيف إلا بدليل ومن جملة ما خصّ الله به نبيه ﷺ وصحابته الكرام من المهاجرين أنهم لَمّا هاجروا من مكة إلى المدينة فإن الشارع حرّم عليهم العودة إليها ولذلك قال ﷺ (يُقِيمُ

المُهَاجِرُ بِمَكَّةَ بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ ثَلاَثًا.)[١] ولما ذكر للنبي ﷺ أمر سعد ابن خولة قال(لكنِ البائسُ سعدُ بنُ خَولةَ) يرثي له النبيﷺ - أن مات بمكة[٢] وهو الأمر الذي خافه سعد ابن أبي وقاص في سفرةٍ سافرها إلى مكة فمرض فقال:(يا رسولَ اللهِ، أُخلَّفُ عن هجرتي؟)[٣] فكأنه حزن الحزن العظيم لما مرض في مكة خوفاً من أن يموت فيها وقد هاجر منها لله عَزَّوَجَلَّ وتركها لله وهذا لا يكون في أي هجرة وإنما في تلك الهجرة الخاصة التي هاجرها النبي ﷺ وصحابته الكرام ولو لم يمنع الشارع النبي ﷺ وصحابته من الرجوع لرجعوا فإن مكة أَحبُ ديار الله إليهم وفيها بقيّة أهلهم وعشيرتهم وفيها بقية أموالهم وهي أحب إليهم من المدينة في بادئ الأمر وهو الذي جعل النبي ﷺ دائماً ما يدعو أن يحبب الله عَزَّوَجَلَّ إليه طيبة أشد حباً من مكة كما قال ﷺ:(اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ،)[٤] فإذا قلت لما لا يرجعون فأقول لأن الشارع منعهم من الرجوع وهذا من خصائص هذه الطائفة ومن خصائص هذه الهجرة فقط ولا يقال ذلك في أي هجرة فلو أن الإنسان هاجر من بلد الكفر في هذا الزمان إلى بلد الإسلام ثم فتح المسلمون بلاده فله أن يرجع ولا بأس عليه ولكن في الهجرة من مكة إلى المدينة التي هاجرها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام هي بخصوصها يعني هي التي تخص بهذا الحكم فقط وفقك الله فلا يشكلن عليك عدم رجوعه ورجوع أصحابه بعد فتحها

---

(١) أخرجه البخاري "باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نُسكه برقم (3933) أخرجه مسلم برقم (1352)،

(٢) أخرجه البخاري برقم (1295) أخرجه مسلم باب الوصية بالثلث رقم 1628

(٣) أخرجه البخاري برقم (1295) أخرجه مسلم باب الوصية بالثلث رقم 1628

(٤) أخرجه البخاري برقم (1889)، وأخرجه مسلم برقم (1376)

لأن ذلك مما هو حرام في حقهم والله أعلم.

i

٣١. سُئِل الشيخ :- قلت لشخص النبي ﷺ معصوم من الخطأ؟ قال كيف معصوم وقد أخطأ ﷺ حينما عبس في وجه الأعمى وفي الحكم على أسرى بدر؟ فما هو الرد؟

فأجاب – عفا الله عنه- :- معصوم من الخطأ فيما يخص التشريع والوحي، لا فيما يرجع إلى بشريته، وفي القرآن بعض العتابات الربانية له بأبي هو وأمي ﷺ.

فما يتعلق بالتشريع والبلاغ هو معصوم فيه، وما يرجع إلى بشريته فقد يصدر منه الخطأ، والأمثلة على ذلك معروفة.

i

٣٢. سُئِل الشيخ: هل لرسول ﷺ ظل؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر عند العلماء أن النبي ﷺ بشر وله أحكام البشر مخلوق له أحكام المخلوقات، ومن جملة أحكام المخلوقات وجود الظل لها إذا كان النور في أحد الجانبي الجسد، أو الجسم؛ لأنه لا بد أن يكون في الطرف الأخر ظلٌ فبما أن النبي ﷺ له أحكام البشرية الخلقية فإنه لابد أن يكون له ظل كما يكون لسائر الخلق ظل وسائر البشر ظل، ولا ينبغي أن يخفي على بشريته ﷺ ما يوجب خروجه عنها فإنه ﷺ يرفض الرفض الكامل أن يوصفَ بما يوجب خروجه عن بشريتهَ، وقد كان يغضب ﷺ إذا بُلغ في وصفه، وكان ينهي عن الغلو و

الإطراء كما ثبت ذلك في الأدلةَ المتعددة، لما جاءهم قومًا فقالوا سيدناَ وابن سيدناَ فقال: أيها الناس قولوا لبعضكم ما يستجرينّكم الشيطان، والاستجراء؛ هو اتخاذ الرسول الذي يرسِل مقصود المرسِل، بمعنى لا يتخذكم الشيطان رسلاً يحقق به مأربهُ لا يستجرينّكم الشيطان أي لا يجريكم رسلاً تحققون مآربه التي يريد.

ومقاصده العقيدة الخبيثة في إفساد التوحيد عليكم، فإنما أنا عبدًا فقولوا عبد الله ورسوله، وقال النبي ﷺ: ((يا أيُّها النَّاسُ إيَّاكم والغُلوَّ في الدِّينِ فإنَّهُ أهْلَكَ من كانَ قبلَكُمُ الغلوُّ في الدِّينِ))،[١]

وقد أضفي على النبي ﷺ وشخصه إطراءً وغلوًا كثيرًا كما هو حال الصوفية الغُلاة زعموا أنه مخلوقًا من نور الله، ومنهم من زعم أنه مخلوقًا من ذات الله عَزَّوَجَلَّ

ومنهم من يزعم أنه بلا ظل، فهذه من المزاعم المرفوضة شرعًا وعقلاً وعادةً، فلا يجوز أن نعتقد أن النبي ﷺ لا ظلَ له بل هو بشرٌ له أحكام البشرية فيجوع كما نجوع ويعطش كما نعطش، ويبيع ويشترى كما نبيع ونشترى ويحتاج ويفتقر إلى أموره الضرورية الحياتية من غائطٍ وبولٍ كما يحتاجها غيره من سائر البشر، ومخلوقًا بين أبوين كما هو عادة البشر أن يخلق أبويه، فأبوه عبد الله وأمه أمنة، كما أن البشر لهم آباء وأمهات ويقوم كما يقوم البشر ويأكل كما يأكل البشر ويضجع كما يضجع البشر، وينام كما ينام البشر كما قال الله – عَزَّوَجَلَّ –: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] وإنما ميّزه علينا بقوله: يُوحَى إِلَيْهِ فالذي ميزه ربه به أنه يوحى إليه، وأننا لا يوحي إلينا ليتحقق به النبوة، أو الرسالة فلا

(١) أخرجه النسائي برقم (3057) وابن ماحه وصححه الألباني

ينبغي قبول مثل هذه الشائعات العقيدية عن شخص رسول الله ﷺ؛ لأنها توجب الغلوَ فيه وأن يرفع عنه مقام بشريتهِ إلى مقام ملائكيٍ، ثم بعد ذلك إلى مقام رُبوبية والألوهية والعياذ بالله، والله أعلم .

i

٣٣. سُئِل الشيخ: قول النبي ﷺ في التشهد (كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)[١] المتقرر أن المشبه دون المشبه به، والواقع هنا عكسه إذ أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم فكيف الجواب؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، إذا فرقت بين كاف التشبيه وكاف السببية، فإن الكاف هنا في قوله كما صليت ليست كاف التشبيه، وإنما هي كاف السببية يعني بمعنى لأنك صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فمحمد وآل محمد أحقّ بالصلاة، فإذا هي كاف السببية وليست كاف التشبيه أو الذي ذكرته أنت في السؤال أنها من باب أن المفضول ليس بأحق بالصلاة من الفاضل، فإذا هي تجرى مجرى السببية يعني بمعنى صلي على محمد لأنك صليت على إبراهيم فمن صلى على إبراهيم فلأن يصلي على محمد ﷺ من باب أولى ومن صلى على آل إبراهيم فلأن يصلي على آل النبي ﷺ من باب أولى فافهم الفهم الصحيح حتى لا يشكل عليك ذلك والله أعلم.

٣٤. سُئِلَ الشيخ: هناك قاعدة تقول أن النبي ﷺ لا يفعل محرّمًا ولا يترك واجبًا، فهل النبي ﷺ قد يفعل المحرّم ناسيًا؟.

الحمد لله، لا أعلم ذلك، ولكن من المعلوم أن المتقرر في القواعد أن فعل

(١) أخرجه البخاري برقم (3370) و أخرجه مسلم باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد رقم(٤٠٦)

المنهي عنه لا يؤثر إلا بذكر وعلم وإرادة، والنبي ﷺ يجري عليه ما يجري على سائر البشر، كما قال ﷺ ((ولَكِنْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ))[(١)] فإذا كان الواحد منّا قد ينسى ويوقعه نسيانه في أمرٍ محرّم، فإنه قد يجري ذلك على النبي ﷺ لأنه بشر، والأصل أنه يجري عليه ما يجري على البشر، وأنا أضرب لك مثالًا أو مثالين، المثال الأول: أوَ لم يثبت عن النبي ﷺ، أنه صلى إحدى صلاتي الظهر أو العصر وهي أربع عند الله وفي الشرع، لكنه صلى ركعتين ثم سلم وتسليمه ليس في محله، فيكون قد أدى الصلاة على غير وجهها الشرعي، لكن الذي أوقعه في ذلك إنما هو نسيانه، فهذا نسيان قد أوقع النبي ﷺ في أمر يوصف بأنه مخالفٌ للشرع، لأنه بشر، ولكن لا يؤثر هذا الفعل إلا بذكر وعلم وإرادة، مثال ثان :من المعلوم أن العلماء مجمعون على حرمة الزيادة على الصلاة المفروضة، فلو صلى الإنسان الثنائية ثلاثًا أو صلى الثلاثية أربعًا أو صلى الرباعية خمسًا فهذا محرّمٌ، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر، فصلى خمسا. ولكنه علل ذلك بأنه بشر ينسى كما ننسى، فإذا لا بأس بذلك ولا حرج يا أخي الكريم، ولا نستعظم أن نقول ذلك إذا علمنا بأن فعل المنهي عنه إنما يترتب عليه أثره إذا فعله الإنسان عالما غير جاهل وذاكرًا غير ناس ومختارًا غير مكره، والله أعلم.

٣٥. سُئِل الشيخ: نعرف أن الرسول ﷺ يقال له الأمي فهل من المقصود هنا أنه من أم القرى أم من الجهل بعدم معرفته للقراءة والكتابة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، النبي ﷺ أمّيٌّ

---

(١) أخرجه البخاري (401) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له رقم 572

والمقصود بقولنا أمّي أي أنه لا يقرأ ولا يكتب وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] ولما أراد سهل بن عمرو أن يكتب مع النبي ﷺ صلح في يوم الحديبية عرض النبي ﷺ بعض الصحابة أن يكتب، فلما قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم اعترض سهيل على تسمية الله عَزَّوَجَلَّ بالرحمن الرحيم فقال: أمحو وقال: اكتب بسم الله ثم قال هذا ما صالح عليه رسول الله اعترض سهيل مرة أخري وقال لو كنا نعلم أنك رسول الله لما صددناك عن البيت فقال لعلي أمحوها فكأن الكاتب رفض أن يمحوها احتراما لمقام رسول الله ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَرِنِي مَكَانَهَا) فَأَرَاهُ فَمَحَاهَا) وهذا متفق عليه بين العلماء، فالعلماء ينصُّون على أمية النبي ﷺ في أنه لا يقرأ ولا يكتب فإن قلت أليست الأمية ليست بصفة كمال، فنقول بلا ليست بصفة كمال في آحاد الأمة ولكنها صفة كمال في موضعين، الموضع الأول صفة كمال في النبي ﷺ لأنه لما جاء بهذا القرآن البليغ الذي قد بلغ في الفصاحة والبلاغة مبلغها، نأسف ذلك أن يكون صادرا مما لا يعرف القراءة والكتابة، حتى لا يتهم بأنه كان يقرأ حكمة الأمم الأوائل وما ستره من قبله من الحكماء، فحتى تنتفي هذه التهمة ويسد بابها، قدر الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون النبي ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب ومع هذا فقد اتهمه المشركون بهذه التهمة في قوله الله تبارك وتعالى عنهم أنهم قالوا في تهمته هذه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان:٥].

فإذا كانت هذه تهمة وجِّهت له مع أنه أمي، وهم يعرفون أميته وأنه لا يقرأ ولا يكتب، فإن التهمة سوف تكون حينئذ ربما تمشي على بعض المغفلين إذا كان

النبي ﷺ يقرأ ويكتب، فإذن الأمية في النبي ﷺ صفة كمال لأنها طريق لإثبات صفة نبوته وأن هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى، فليس مما قراءه في كتب الحكماء الأوائل، ولا مما يملي عليه بكرة وأصيلا، بل إنه يوحي إليه هذا القرآن ثم يبلغه لنا كما سمعه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ* وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٦].

والموضع الثاني: أمية الأمة على وجه العموم، فإن أمية الأمة على العموم صفة الكمال، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا)) وَعَقَدَ الْإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ ((وَالشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا))[(١)] هكذا وهكذا الحديث وهو في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، فإذا سألك سائل هل الأمية صفة كمال فقل إن الأمية صفة كمال في موضعين في حق النبي ﷺ وفي حق الأمة بالنظر إلى عمومها، ولكنها ليست بكمال في حق الأفراد فقد أمرنا بتعلم القراءة والكتابة وقد أثني الله عَزَّوَجَلَّ على من يعرف ذلك والله أعلم ..

٣٦. سُئِل الشيخ: عندي إشكال في الآية عندما احتج مؤمن فرعون بهذا الاحتجاج ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾﴿غافر - ٢٨﴾، كيف نجمع بين هذا وبين قتل مدّعي النبوة، لأن

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في "صحيحه" باب: [قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ»](3/27)، برقم: [1913]، وأخرجه مسلم في "صحيحه" باب: [وُجُوب صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الهِلَالِ، وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الهِلَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا غُمَّ فِي أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ أُكْمِلَتْ عِدَّةُ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا] (2/761)، برقم: [1080].

مؤمن فرعون احتج بهذا الاحتجاج لئلا يقتلوا موسى عليه السلام؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، لا بد أن تعلم أن إجماع العلماء على وجوب قتل من يدعي النبوة إنما هو بعد ختمها بمحمد ﷺ، ولذلك نص علماء أهل السُّنَّة على ذلك في قولهم: وكل من يدعي النبوة بعده فغيٌّ وردّةٌ وكفرٌ عن الإسلام، فلما ختم الله عَزَّوَجَلَّ النبوات والرسالات بمحمد ﷺ وقع إجماع العلماء على أن كل من ادّعى شيئا من النبوة أو شيئا من الرسالة فإننا نجزم بكذبه جزمًا قد وقع عليه الإجماع وذلك لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍمِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾﴿الأحزاب – ٤٠﴾ وقال النبي ﷺ ((وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)) [١] ويقول النبي ﷺ ((وإنَّهُ سيخرجُ مِن أمَّتي كذَّابونَ ودجَّالونَ قريبٌ مِن ثلاثينَ وإنِّي خاتمُ النَّبيِّينَ لا نبيَّ بعدي)) [٢]فحينئذ وقع إجماع العلماء على وجوب قتل كل من يدعي النبوة، لأنه يدعي شيئا ليس له ويدعي شيئا قد خُتم بابه، وأما كلمة مؤمن آل فرعون فإنها قيلت في زمان لم تختم فيه الرسالات ولم تختم فيه النبوات ولا يزال باب النبوة والرسالة مفتوحا من الله عَزَّوَجَلَّ، فالله يصطفي من أهل الأرض رسلا وأنبياء على ما تقتضيه حكمته عَزَّوَجَلَّ، فلا تخلط بين الزمان الذي قال فيه مؤمن آل فرعون هذا القول، وبين الزمان الذي وقع فيه إجماع العلماء على وجوب قتل من يدعي النبوة، فبالتفريق بين الزمانين ينحل الإشكال، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة بَابُ الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ برقم ((1842))].

(٢) أخرجه أحمد برقم22395 أبو داود برقم (4252) والترمذي برقم 2219 وصححه الألباني في المشكاة برقم 5406].

i

٣٧. سُئِل الشيخ: هناك من ينكر سحر النبي ﷺ، ويستدل على ذلك بأن الله ذكر أنه سيعصمه من الناس، فكيف نرد عليه؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، لا إشكال في ذلك وفقك الله، فإن قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(المائدة – ٦٧) إنما المقصود بذلك أن لا يقتلوك، ولذلك بعد نزول هذه الآية لا يزال النبي ﷺ يعاني الأمرين من أعدائه في قتالهم وفي غزواتهم وفي غير ذلك، فليس المقصود أنه لا يصيبك من الناس أي أذى، وإنما المقصود بذلك أنه لا يستطيع أحدٌ أن يمتد إليك بالقتل، كما كان الأنبياء من قبلك قد تصل إليهم أممهم بالقتل، وقوله ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي من القتل، فلا يستطيع أحدٌ أن يقتلك، أو أن يمد يده لقتلك، وأما سحر النبي ﷺ فهو من الأذى الذي دون القتل، وإنَّ سحره ﷺ لم ينفذ إلى قلبه أبدًا، فلا يزال يبلغ الناس الوحي وهو مسحور عليه الصلاة والسلام، وإنما كان قصارى سحره أنه يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه، فهو سحرٌ جسدي لا قلبي، والله أعلم.

i

٣٨. سُئِلَ الشيخ: هل يجب وصف الرسول ﷺ بالأفضلية على الناس في كل شيء؟ مثلاً هل يجوز أن نقول أن هناك من هو أكرم من النبي ﷺ أو هناك من هو أرق منه وهكذا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لابد أن نفرق بين الصفات الشرعية والصفات الخِلْقية فأما الصفات الخلقية من الجمال أو طول

الشعر أو بياض البشرة أو غيرها فالناس يتفاضلون فيها، إذ لا مدخل فيها لنبوة أو غير نبوة وأما الصفات الشرعية فلا بد أن نقدم فيها رسول الله ﷺ فنقول إذاً هو أكرم الناس باعتبار الشرع، هو أجود الناس باعتبار الشرع، هو أفضل الناس باعتبار الدين والإيمان والتوحيد والعقيدة، وهو أتقى الناس وهو أخشع الناس؛ فلا يمكن لأحد أن يتفوق على رسول الله ﷺ في الصفات الدينية والشرعية؛ وأما في الصفات الخِلْقية فلا جرم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا عظيمًا ولذلك قال النبي ﷺ: ((أُعْطِيَ يوسفُ شطرَ الحُسنِ))[1] فإذا قلنا بأن يوسف أجمل من النبي ﷺ فلا حرج علينا في ذلك لأن الجمال من عدمه إنما هو صفةٌ خِلْقية فإذا فرقت وفقك الله بين الصفات الخلقية وبين الصفات الأمرية الدينية الشرعية زال عنك الإشكال والسلام عليكم.

i

٣٩. سُئِل الشيخ: وردتنا هذه الرسالة حيث وضع فيها نسب رسول الله ﷺ وأسماء زوجاته وبناته على أساس دفتر العائلة المتعامل به بيننا فهل هذا جائز؟

فأجاب - عفا الله عنه-:الحمد لله رب العالمين، ينبغي يا إخواني أن نعظم مقام رسول الله ﷺ في قلوبنا ومقام آل بيته من الأزواج والأولاد ذكورا وإناثا، فإن تعظيم النبي ﷺ أصل من أصول الإيمان، وتعظيم آل بيته تابعا لتعظيمه، فلا ينبغي أن نفعل أي فعل لا مصلحة كبيرة فيه، ولكن يتضمن تنكيس قدر النبي ﷺ في قلوبنا، والذي أرى والله أعلم في مثل هذا الأمر أنه

(١)رواه مسلم برقم (١٦٢).

لا ينبغي فعله، لأنه يقلل من مقام النبي ﷺ في نفوس المؤمنين، فإن كل مؤمن يفديه بنفسه وماله ويجب أن يكون العالم كله محبًا ومجلاً ومعظمًا له ﷺ وهذا أمر لا شك فيه عندنا.

ولكن إخراج هذه المحبة وإخراج هذا التعظيم في صورة لا تليق بمقامه ﷺ هذا أمر لا ينبغي فعله، فلاشك أن مثل هذا الفعل ليس فيه توقير للنبي ﷺ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[الفتح:٩] وكل فعل يتضمن القدح في هذا التعظيم والتوقير والتعزير فإنه ملغيٌّ، فإخراج النبي ﷺ والتعريف به كالتعريف بغيره في هذه البطاقات، هذا في الحقيقة لا ينبغي فعله وينبغي للمسلمين أن لا يتبادلون مثل هذه البطاقات بينهم، وأن يكتفوا بما خططه أيدي العلماء في كتب السيرة، وأن يكتفوا بما ذكره المترجمون له ﷺ، فلا ينبغي اختصار هذه الترجمة على شكل بطاقة، كما هي بطاقة الواحد منا في عائلته، فهذا ليس من الأدب ولا التوقير.

فينبغي إتلاف مثل هذه البطاقة ورد الناس إلى طرق المعرفة الصحيحة وهى هذه الكتب أو اختصارها لكن في غير صورة هذه البطاقة،

، فأنت تزيله كأحد الناس وتعرف به كما تعرف بأحد الناس، وهذا في الحقيقة لا ينبغي فلابد من سد هذا الباب ولابد من إغلاقه سدا لذريعة ما يأتينا بعد ذلك من الأمور التي لا تحمد عقباها، وأنني أخشي ما أخشاه في قول من أجاز صناعة هذه البضاعة أن توضع عليها صورة ﷺ ولو من غير المسلمين تهكمًا وسخرية، أو من الرافضة، أو من بعض المجتهدين من المسلمين يرسمون صورة له على حسب الأوصاف النبوية الواردة في الأحاديث الصحيحة.

لابد من سدِّ هذا الباب، ولابد من إغلاقه وإحكام سدِّه حتى لا نصل إلى نهايات لا تنبغي فإذن رأيي في هذه البطاقة أنها ممنوعة، لوجهين الوجه الأول لأنها ليست من الأدب ولا من التعظيم ولا من التوقير والتعزير الذي أمرنا به شرعا مع النبي ﷺ، والأمر الثاني أنها قد تكون ذريعة لبعض الأمور التي لا تنبغي مع النبي ﷺ والله أعلم ..

i

٤٠. سُئِلَ الشيخ :هل الأنبياء محصورون بعدد؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد أن الأمور الغيبية مبنية على التوقيف. ولا نعلم حديثًا صحيحًا ينص فيه النبي ﷺ على عدد الأنبياء أو على عدد الرسل ولكن ورد بعض الآثار التي هي ضعيفة باعتبار سندها. تنص على أن الأنبياء في قرابة مئة ألف وأربعة وعشرين ألفًا. وأن الرسل في ثلاث مئة وبضعة عشر رسولًا ولكنه لا يثبت عن النبي ﷺ شيء من ذلك.

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦] وهم أنبياء بني اسرائيل فلا أحد يعلم عددهم إلا الله تبارك وتعالى. وهذه المسألة أي مسألة أعداد الأنبياء والرسل ليست من المسائل العقدية الكبيرة التي يوالى ويعادى عليها أو التي يتعلق بها صحة اعتقاد من عدمه وإنما المقصود من ذلك الإيمان بما جاء به هؤلاء الأنبياء والرسل وتصديقه والعمل به والله أعلم.

i

٤١. سُئِلَ الشيخ كيف نجمع بين حديث ﴿ما مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ﴾[١] وبين حديث ﴿وَيَأتِي النَّبِيُّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ﴾[٢]؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد (أنه ليس هناك تعارض ذاتي بين دليلين صحيحين صريحين) والمتقرر في القواعد (أن الجمع بين الأدلة واجب ما أمكن) والمتقرر في القواعد (أن لا نسخ في خبر) والمتقرر في القواعد (أن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما ما أمكن)

والمتقرر في القواعد ان العام مقدم على الخاص فنجمع بين هذين الحديثين بقاعدة العام والخاص فنحمل قول النبي ﷺ في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ((ما مِن نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، ويَسْتَنُّونَ بسُنَّتِهِ))[٣] الحديث بتمامه على انه من القضايا العامة في الانبياء والرسل كلهم ونحمل حديث ابن عباس (في قول النبي ﷺ (وَيأَتِي النَّبِيُّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ)[٤] على انه قضية خاصة في هذا النبي ولا تعارض بين عام وخاص لأن الخاص مقدم على العام ولأن العام يُبنى على الخاص والله اعلم.

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥) ومسلم برقم (٢٢٠) أحمد برقم (٢٤٤٨)

(٣) رواه مسلم برقم (٥٠).

(٤)) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥) ومسلم برقم (٢٢٠) أحمد برقم (٢٤٤٨)

i

٤٢. سُئِلَ الشيخ: متى يوصف الإنسان أنه متابع النبي ﷺ؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر عند العلماء: –رحمهم الله تعالى– أن الله لا يقبل من الأعمال، إلا ما كان خالصًا صوابًا والمراد بالخالص: أي ما كان لله عَزَّوَجَلَّ خالصًا لوجهه الكريم، والمقصود بالصواب، أي المتابع، أي على أن يكون هذا الفعلُ على وفق سُنة النبي الكريم ﷺ، فإذا اختل واحدٌ من هاذين الشرطين، فإن العمل لا يعتبر مقبولًا، فمن عمل عملاً لا إخلاص، ولا متابعة فيه، فهو مرفوضٌ غير مقبولٍ.

ومن عمل عملاً فيه إخلاص، ولا متابعَ فيهِ، فهو مرفوضٍ غير مقبولٍ. ومن عمل عملاً فيه متابعةً، ولا إخلاص فيه فغير مقبولٍ، فلا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ إلا القسم الرابع، وهو العمل الذي أجتمع فيه الإخلاص، والمتابعة.

ولا يوصف الإنسان أنه تابع النبي ﷺ:، إلا إذا توفرت المتابعة له في الجهات الست، والتي يسميها العلماء (جهات المتابعة الست) وهي أن:–

الأمر الأول: يتابع النبي ﷺ: في جنس العبادة، فلا يجوز لأحد منا أن يخترع في الدين عبادةً لا دليل على أصلها، وجنسها.

الأمر الثاني: أن يتابعه في سبب العبادة، فلا يجوز لأحد منا، أن يربط عبادةً من العبادات بسبب لم يدل على سببيتهِ دليل الشرع الصحيح، الصريح.

والأمر الثالث: متابعته في الصفة، فلا يجوز لنا أن نحدث لأي عبادة من العبادات الشرعية، صفةً جديدةً، غريبةً على الشرعِ.

الأمر الرابع: متابعته في الزمان عبادة؛ أي أن نوقع هذه العبادة في الزمان الذي حددهُ لنا. فلا يجوز لنا أن نخترع زمانً للعبادة، نعتقد فضيلة فيها فيهِ بخصوصهِ، إلا بدليلٍ.

الأمر الخامس: متابعتهُ في المكان، فلا يجوز لنا أن نوقع العبادة المحددة بمكانٍ معين، إلا في هذا المكان، ولا يجوز لنا أن نربط عبادةً بمكانٍ نعتقد فضيلة فعلها فيه، إلا وعلى ذلك التحديد المكاني دليلٌ من الشرع.

والأمر السادس: متابعة النبي ﷺ: في المقدار؛ أي في قدر العبادة، فنفعل العبادة، بالمقدار الذي حدده لنا، بلا زيادة على هذا المقدار، ولا نقصان عنهُ. ولا يجوز لأحد منا أن يُحدث لعبادة من العبادات مقدارًا جديدًا، يعتقد فعلها على هذا المقدار المعين، إلا وعلى ذلك دليلٌ من الشرع.

وبناءً على ذلك فهنا جملاً من الأصول لابد من فهمها:

- **الأصل الأول: أن الأصل في العبادة التوقيف على الأدلة.**

- **الأصل الثاني: أن الأصلَ في سبب العبادةِ التوقيف على الأدلة.**

- **الأصل الثالث: أن الأصل في صفة العبادات التوقيف على الأدلة.**

- **الرابع: أن الأصل في زمان العبادة التوقيف على الأدلة.**

- **الخامس: الأصل في مكان العبادة التوقيف على الأدلة.**

- **السادس: الأصل في تحديد العبادة بمقدارٍ التوقيف على الأدلة.**

إذًا نأخذ من هذه الأصول قاعدة عامة لابد من حفظها، والاهتمام بها؛ لأنها تُقفل عنا أبواب البدعِ، والمُحدثاتِ كلها.

تقول هذه القاعدة: الأصل العبادة بكل مُتعلقاتها التوقيف، ونعني بكل متعلقاتها، أي الزمان، أي الجنس، والسبب، والصفة، والزمان، والمكان، والمقدار. فإذا تابعت نبيك ﷺ: في هذه الجهات الست، فإنك تكون قد تابعتهُ المتابعةَ الكاملة، ويكون عملك حينئذٍ مقبولًا، صحيحًا.

i

٤٣. سُئِلَ الشيخ: هل كل الأنبياء والرسل بعثهم الله في العرب؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، لقد ذكر أهل السير والأخبار أن الأنبياء المرسلين من العرب، إنما هم خمسه أول هؤلاء الخمسة محمد ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وقد بعث إلى الثقلين كافه عربهم وعجمهم يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

ويقول ﷺ: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ

يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً))[١].

فالنبي ﷺ نبيا عربيا لكن بعثه الله عَزَّوَجَلَّ إلى الثقلين الأنس والجن، يقول ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[٢]، وثاني هؤلاء الأنبياء إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإنه نبي عربي ولكن من المعلوم أن إسماعيل إنما بعث لبني قومه قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[مريم:٥٤]، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[مريم:٥٥].

فهو وإن كان نبياً عربياً إلا أنه مبعوث إلى بني قومه، ومنهم كذلك هود عليه الصلاة والسلام، فأنهم يقولون بأنه عربي ولكن أيضا هو مبعوث إلى قومه، ومنهم كذلك صالح عليه الصلاة والسلام فهو وإن كان عربياً إلا أنه أيضا مبعوث إلى قومه؛ فإذاً الأنبياء العرب قبل -محمد ﷺ- وإن كانوا مبعوثين إلى العرب، إلا أنهم مبعوثين إلى بني قومهم ممن كانوا معهم في ديارهم كما نص الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك في القرآن في مواضع متعددة إلا النبي العربي الخاتم ﷺ فإنه وإن كان عربيا إلا أنه مبعوث إلى الثقلين، فإذا سُئِلتُ هل هناك أنبياء عرب غير النبي عليه الصلاة والسلام ؛فأنا أقول نعم هم (إسماعيل وهود وصالح) وكذلك أيضا (شعيب) عليهم الصلاة والسلام -هؤلاء من العرب فإن قيل لك وهل بُعِثوا إلي العرب كافة؟ فقل لا لم يبعثوا إلى العرب كافة وإنما بُعِثوا إلى

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [التيمم](٧٤/١)، برقم: [٣٣٥].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ](١٣٤/١) برقم: [١٥٣].

العرب من بني قومهم فقط فإن قيل لك ومن آخر الأنبياء العرب؟ فقل هو -محمد ﷺ- فإن قيل لك وهل بُعث إلى بني قومه من العرب خاصة؟ فقل لا بل بُعث إلى كل عربيٍّ وعجميٍّ على وجه هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة كل من جاء بعد بعثته إلى أن تقوم الساعة يجب عليه أن يؤمن بنبوته -صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم- وأما (يوسف) عليه الصلاة والسلام فقد صرح غير واحد بأنه بعث إلى القبط ويشهد لهذا قول الله تبارك وتعالى على لسان مؤمن آل فرعون ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤]، والله أعلم ..

i

٤٤. سُئِل الشيخ :التحديث مراتب وكذلك الوحي مراتب فهناك وحي تحصل به النبوات وهناك وحي تحصل به الرسالات وهناك إلهام وتحديث تحصل به الكرامات وقول النبي ﷺ ﴿فإنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فعُمرُ بنُ الخطَّابِ﴾(١) هذا من باب تحديث الولاية ولكن لا تحصل به النبوة ولا الرسالة فإذا قلت هل يوحي الله عَزَّوَجَلَّ إلى بعض عباده إن لم يكن نبيا أو رسولا؟

فأجاب - عفا الله عنه -: الحمد لله وبعد، فأقول نعم يوحي الله عَزَّوَجَلَّ إلى بعض عباده وحيًا لا يقتضي نبوته ولا تقتضي رسالته كما قال الله وجل: ﴿وَأَوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ﴾ [النحل: ٦٨] هو وحي تسخير لمصالحها وغذائها وبناء عشها ونحو ذلك وكقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَوحَينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] فهذا وحي إلهام ومن قول النبي ﷺ: ((قد كانَ في الأممِ قبلَكم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٩٨).

محدَّثونَ فإن يَكن في أمَّتي أحدٌ فعمرُ)) [١] فقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يتكلم بالكلمة فينزل الوحي مطابقا لقول عمر؛ فقال مرة من المرات يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلّى فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال مرة يا رسول الله لو حجبت نسائك فنزلت آية الحجاب [٢]

فهذه علوم من الوحي والتحديث الإلهي يشرح الله عَزَّوَجَلَّ بها قلب من يشاء من أوليائه وعباده فيخلق في قلبه معلومة اضطرارا لا يكاد القلب يكذبها فينطق الإنسان بها فيقع قدر الله الكوني مطابقا لما حدث به ولكنه ليس التحديث الذي يوجب للإنسان نبوة وليس التحديث الذي يوجب للإنسان رسالة، وأما طريقة هذا التحديث فإنها تختلف باختلاف إرادة الله -عَزَّوَجَلَّ- فمن الناس من يُحدث بالرؤيا فيرى رؤيا صالحة فإن الرؤيا الصالحة نوع من التحديث الإلهي ومن الناس من يحدث بإلهام كأن أحدا يصب في أُذنيه كلامًا ثم يجد في قلبه قبولا لهذا الكلام، ومن الناس من ينطق بالكلمة من غير قصد فتوافق قدرًا كونيًا، ومن الناس من يشرح الله -عَزَّوَجَلَّ- له شيئا من المكاشفات العلمية فيتحدث بالكلمة فيرى الناس آثارها كونًا؛ فالطريقة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ولكن فإن قلت كيف أفرق بين التحديث الإلهي وبين الزخرفة الشيطانية؟ فأقول هذا يختلف باختلاف نوعه وآثاره فإن كان تحديثا يتعلق بنصرة الدين ورفع رايته ونصرة الكتاب والسنة ولا يكون تحديثا مخالفًا لشيءٍ من الشرع فهو من الله وإما يلقى في قلب العبد من الأمور التي تخالف شريعة الله أو

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٩٨).

(٢) حديث وافقت ربي في ثلاث: أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم برقم (٢٣٩٩)

كتابه أو سُنَّة نبيه ﷺ أو تزخرف باطلاً أو تزين بدعةً فإن هذا من الشيطان والله أعلم

i

٤٥. سُئِل الشيخ: هذا أخونا عبد الله من الكاميرون يسأل ويقول: ما المقصود في حديث (لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه)[(١)]، وعندنا هنا بعض الناس يقرؤون أبياتًا مفادها

﴿يا أكرم الخلق ما لي من ألوذُ به... سواك عند حلولِ الحادثِ العممِ

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي... فضلاً و إلا فقل يا زلة القدمِ

فإن من جودك الدنيا وضرتها....ومن علومك علم اللوحِ والقلمِ﴾

فما حكم من يقرأ هذا ويعتقد؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن كل ذريعةٍ تفضي إلى الشرك فإنها محرمةٌ؛ لأن المتقرر في القواعد أن الشارع إذا حرّم شيئًا فإنه يحرِّمهُ أصالةً ويُحرِّم كل طريقٍ يفضي إليه، والمتقرر في القواعد أن وسائل الحرام حرامٌ، ومن جملة ما حرّمه الشارع من باب سد ذرائع الشركِ؛ باب الغلو في الأَنبياء أو الأولياء والصالحين، فإن الأنبياء والأولياء والصالحين إنما عُبِدوا بسبب الغلو فيهم، ولذلك في الحديث يقول النبي صل الله عليه

---

(١) (())أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

وسلم: ((فإنَّما أَهلَكَ مَن كانَ قَبْلَكم الغُلُوُّ في الدِّينِ))[١]، فما عُبدت الملائكة إلا بالغلو وما عبد الأنبياء والرسل إلا بالغلو ولا طِيفَ حول قبور الأولياء والصالحين إلا بالغلو ولا قالت اليهود عزيرٌ ابن الله إلا بالغلو ولا قالت النصارى المسيح ابن الله أو المسيح هو الله أو أن المسيح ثالثُ ثلاثة إلا بسبب الغلو والعياذ بالله ولا ذُبِح عند قبور الأولياء والصالحين ولا اعتكف عند قبورهم الليالي ذوات العدد إلا بسبب الغلو، ولذلك حذرنا الشارع منه فقال: ﴿لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُم﴾ [النساء: ١٧١] ﴾ وفي حديث أبي هريرة (قال عليه الصلاة والسلام ﴿لا تتَّخذوا بيتي عيدًا، ولا تجعَلوا بيوتَكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ حيثُما كنتُم)[٢]، وفي موطأ الإمام مالك بإسنادٍ جيد يقول النبي ﷺ: ﴿اشتدَّ غضبُ اللهِ على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ)[٣]، وفي الصحيحين من حديث عائشة (قالت: قال النبي ﷺ: (قاتَلَ اللهُ اليَهودَ، اتَّخَذوا قُبورَ أنبيائِهم مساجِدَ) زاد مسلمٌ (والنصارى)[٤]، وفي حديث جندب عند مسلمٍ وغيرِهِ يقول النبي ﷺ: ﴿ألَا وإِنَّ مَنْ كان قبلَكم كانوا يتخذونَ قُبورَ أنبيائِهم

---

(١) أخرجه النسائي برقم (3057) وابن ماحه وصححه الألباني في حجة النبي ص80، والصَّحِيحَة: 2144.

(٢) (())أخرجه أو داود برقم(٢٠٤٢) وصححه النووي في الأذكار (برقم ٣٣٣). وقال شيخ الإسلام في الاقتضاء: «إسناده حسن». وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار (١٤/ ٢٢) وصححه الألباني في تحذير الساجد ص ٨٥).

(٣) (())أخرجه البخاري برقم (٤٣٥) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور رقم ٥٣١

(٤) (())المرجع السابق).

وصالحيهم مساجِدَ، ألَا فلا تتخِذوا القبورَ مساجِدَ، إِنِّي أنهاكم عن ذلِكَ)[١]، وقال الشيخ محمد رحمه الله في كتاب التوحيد: ﴿باب ما جاء في الغلو﴾ وفي الباب الآخر يقول: ﴿باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله﴾ وقال في الباب الذي بعدهُ: ﴿باب ما جاء من التغليظ فيمن عُبِد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟﴾، وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّا وَلَا سُوَاعا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسرا﴾ [نوح: ٢٣] ﴾. في صحيح البخاري من حديث ابن عباس ﴿أن هذه الاسماء كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى أقوامهم أن اصنعوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد في زمن من بَنَوْها، ولَـمَّا هلكت تلك الأجيال ؛عُبِدت هذه الأنصاب﴾، فأعظم طريقٍ من الطرق التي تُفضي إلى الشرك والوثنية هي الغلو في الأولياء والغلو في الصالحين ولا سيما الغلو في الأنبياء، وبناءً على ذلك شدّد النبي ﷺ وأغلق هذا الباب الإغلاق المحكم حتى جاءه رجلٌ فقال: يا محمد ما شاء الله وشئت فقال: (أجعلتَني للهِ نِدًّا قُلْ ما شاء اللهُ وحدَه)[٢]، ولما جاءه طائفةٌ أخرى يقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا قال: (يا أيها الناس قولوا ببعض قولكم ولا يَستَجرِيَنَّكمُ الشَّيطانُ. - أي لا يأخذكم الشيطان أُجراء توصلون له رسائله - فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبد الله ورسوله[٣])،ولذلك ما وقع من وقع في عبادة القبور إلا بسبب الغلو، وبناءً

---

(١) (())أخرجه مسلم برقم (٥٣٢)

(٢) (())أخرجه أحمد برقم (١٨٣٩ -)وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٣٩).

(٣) (())أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٤٩٠٠

على ذلك فكل طريقٍ يفضي إلى الغلو في النبي صل الله عليه وسلم فالواجب سده، سواءً أكان هذا الطريق طريقًا قوليًا أو عمليًا، وسواءً أكان قولًا من باب النثر أو قولًا من باب الشعر، فكل شعرٍ يتضمن الغلو في حق النبي ﷺ فإن الواجب سده كالقصيدة التي ذكرت جملاً من أبياتها وهي القصيدة الوثنية الشركية البوصيري التي جعل فيها النبي صل الله عليه وسلم بيده تصريف الأقدار وتدبير الأمور وتصريف الرياح ومعرفة ما في اللوح المحفوظ وتقسيم الناس إلى أهل جنةٍ وإلى أهل نار وأنه هو الذي يغيثهم وهو الذي يرزقهم وهو الذي ينصرهم وهو الذي يستجيب دعواتهم وأن كل طريقٍ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإنه مسدود إلا إذا استغثت بالنبي صل الله عليه وسلم ليوصلك إلى الله، فهذه قصيدةٌ وثنيةٌ شركيَّةٌ مبنيةٌ على هذا الغلو العظيم الذي يجعل معتقده كافرًا مرتدًا خالعًا ربقة الإسلام من عنقهِ بالكلية. والله أعلم.

i

٤٦. سُئِلَ الشيخ: كيف نجمع بين الأدلة التي تثبت عدم موت عيسى عليه السلام، وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾(آل عمران – ٥٥)؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن الأدلة لا تتعارض تعارضًا ذاتيًا لأن كلها حق والحق لا يعارض بعضه بعضا، والمتقرر في القواعد أن الجمع بين الأدلة واجبٌ ما أمكن، والمتقرر في القواعد أن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما ما أمكن، وهذه النصوص نجمع بينها بقاعدة عظيمة في الجمع بين ما ظاهره التعارض وهي قاعدة (اختلاف الحال) وبيان ذلك أن نقول، بأن الوفاة تنقسم إلى قسمين، إلى وفاةٍ كبرى وإلى

وفاةٍ صغرى، فنعني بالوفاة الكبرى: أي خروج الروح من الجسد بالموت هذا نسميه بالوفاة الكبرى، وأما الوفاة الصغرى فنعني بها النوم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الزمر - ٤٢) فسمى الله -عَزَّوَجَلَّ- النوم وفاة، ولا يزال العلماء يُسمُّون النوم أخو الموت ؛أي الوفاةُ الصغرى، وبناءً على ذلك فنحمل قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي منيمك، ولا يقصد الله مميتك، وإنما يقصد منيمك، وبهذا تتآلف الأدلة ولله الحمد والمنة، ثم أنا أريد من السائل أن ينتبه لما سأقوله ؛لأنها قاعدة سوف ينتفع بها كثيرًا، وهي أنه إذا ورد في المسألة دليلان أحدهما محكم والثاني متشابه محتمل، فإن الواجب أن يرد المتشابه إلى المحكم، وأن يرد المحتمل إلى الصريح، فعندنا أدلة تدل على أن عيسى لم يمت كقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(النساء - ١٥٧) وعندنا أدلة تدل على أنه قد مات ولكن فيها شيء من الاحتمال والتشابه، فحينئذ ينبغي للإنسان أن يرد الأمور المتشابة إلى المحكمة، والأمور المحتملة إلى الصريحة القاطعة التي لا إشكال ولا لبس فيها.

والخلاصة من ذلك أن معنى قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي منيمك لا مميتك، والله أعلم.

i

٤٧. سُئِلَ الشيخ: هل صحيح أن الغلو إما أن يكون إفراطا أو تفريطا؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، نعم صحيح، لأن الغلو هو الخروج عن

طريق الاستقامة، وهذا الخروج قد يكون على سبيل الزيادة والإفراط، وقد يكون على سبيل النقص والتفريط، فكل من غلا أي كل من خرج عن طريق الحق، فإما أن يكون خروجه بزيادة زادها أو بنقصٍ انتقصه، فكلا طرفي الطريق يوصف صاحبه بأنه قد غلى، فكل من بَعُدت قدمه عن الطريق المستقيم يمينا أي بالزيادة أو شمالا أي بالنقص والتفريط، فإنه يعتبر قد غلا، والله أعلم.

i

٤٨. سُئِلَ الشيخ: في حادثة الإسراء هل صَلَّى النبي ﷺ بالأنبياء بأجسادهم أم بأرواحهم؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، أجاب أهل السُّنَّة عن ذلك بقولهم إنه ﷺ صَلَّى بأرواح الأنبياء متمثلة في أجسادهم، وأما أجساد الأنبياء فمن المعلوم أنها في قبورهم، ولكن الشأن في الأرواح، فقد صَلَّى النبي ﷺ في بيت المقدس بأرواح الأنبياء متمثلة في أجسادهم، والله أعلم.

i

٤٩. سُئِلَ الشيخ: هل الدين الذي كان عليه عيسى عليه السلام يسمى بالإسلام أم النصرانية؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، سأعطيك في ذلك قاعدة أرجو أن تحفظها أيها السائل وفقك الله، القاعدة تقول: إن الدين عند الله الإسلام، فكل الدين الذي جاء به الأنبياء والرسل إنما هو دين الإسلام باعتبار العقائد، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَٰمُ﴾(آل

عمران - ١٩) فالدين الذي جاء به آدم هو الإسلام، والدين الذي جاء به نوح هو الإسلام، والدين الذي جاء به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وكافة إخوانه من الأنبياء والرسل إنما هو الإسلام، بغض النظر عن تسميته نصرانية أو يهودية، فإنما هو الإسلام، فالنصرانية التي جاء بها عيسى عليه الصلاة والسلام إنما هي حقيقة الإسلام، وكذلك اليهودية التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام إنما هي حقيقة الإسلام، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾(آل عمران - ٨٥) وقال يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ (يوسف - ١٠١) وقال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(البقرة ١٢٧ - ١٢٨) فكل نبي إنما جاء بدين الإسلام، وإنما الذي يختلف في رسالة الأنبياء إنما هي الشرائع والأمور الفقهية فقط، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة - ٤٨) فشرائع الأنبياء إنما تختلف في اعتبار الأعمال لا باعتبار العقائد، ويفسر ذلك قول النبي ﷺ ((إنَّا معاشرَ الأنبياءِ دينُنا واحدٌ، والأنبياءُ أخوةٌ لعلاَّتٍ))[1] وتأمل معي وفقك الله قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء - ٢٣) وقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّٰغُوتَ﴾(النحل - ٣٦) إذا العقيدة بين الأنبياء والرسل واحدة لا تختلف، وتأمل معي قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(الأنبياء - ٢٥) فكل نبي إنما

---

(١) أخرجه البخاري 3443، في كتاب الأنبياء، ومسلم 2365 في كتاب الفضائل)

جاء بدين الإسلام، سواء سُمِّي يهودية سواء سُمِّي نصرانية كل هذه أسماء لا تختلف بها هذه الحقيقة الشرعية التي بينتها لك، والله أعلم.

i

٥٠. سُئِلَ الشيخ: اطلعت على صورة للقُبَّةِ الخضراء لمسجد رسول الله ﷺ مكتوب عليها بيت شعري يبدو لي من قصيدة البوصيري يقول أنت الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم، فهل في عجز هذا البيت محذور شرعي؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعين بلاد التوحيد ودولة التوحيد المملكة العربية السعودية على تصحيح ذلك إن كان موجودا، فإن الدولة لا تزال ولله الحمد والمنَّة تُظْهِر آثار التوحيد وتَنصُرُه وتَنْصر قضاياه وتعين أهله بالمقدور عليه، على كل حال وفقك الله هذه القصيدة فيها أبيات كثيرة تتضمن غلوًا في مناداة النبي ﷺ ودعائه ووصفه بالأوصاف التي لا تليق به كبشر وإنما لا تليق إلا بالله عَزَّوَجَلَّ، كما قال البوصيري في بعض منظومته: فإن من جودك الدنيا وضَرَّتَها ومن علومك علم اللوح والقلم!، وجعله هو المستغاث به والمستعاذ به عند حدوث الحوادث ودواف الدهر، وكل ذلك من باب الشرك كما نص على ذلك كثير من أهل العلم، فالذي يعد للأهوال إنما هو الله تبارك وتعالى، والذي يستغاث به عند الشدائد والنوازل إنما هو الله عَزَّوَجَلَّ، فكل من دعا غير الله دعاء مسألة في أمر لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر وأشرك الشرك الأكبر، وكل من استعان بغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر وأشرك الشرك الأكبر، وكل من

استعاذ بغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر، وكل من استغاث بغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر، والله أعلم.

i

٥١. سُئِلَ الشيخ: كيف نردُّ على من يقول أن الأنبياء أُرسلوا في أراضي العرب لأن أهلها أهلُ فسقٍ وطغاة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا الكلام كلامٌ لا يصدر إلا من ساقط يريد أن يقدح في الجنسيات فقط وأن يقدح في الأعراض، وأن يثير النعرات والعصبيات القبلية الجاهلية، وأن يحيي سنَّة أبي لهب وأبي جهل، فهذا فلان من البلاد الفلانية وهذا فلان من البلاد الفلانية هذا كله لا يجوز لأن من مقاصد الإسلام إخماد مثل هذه النعرات ؛فكلُّنا أبناء أدم، وأدم خلقه الله عَزَّوَجَلَّ من تراب ولا فضل لا لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض ولا لطويل على قصير والعكس، ولا لهندي على عربي، ولا لعربي على هندي، ولا إفريقي على أسيوي، ولا أوروبي على أمريكي؛ مادام يدخل الجميع تحت مظلة الإسلام فكلهم عباد الله عَزَّوَجَلَّ.

وإنما يتفاوت الناس عند الله عَزَّوَجَلَّ بما يحملونه في قلوبهم من الإيمان والتقوى فلا ينبغي نشر مثل هذه النعرات ولا إحياء مثل هذه السفاهات والحماقات القبلية لأن النبي ﷺ حذرنا من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام (إِنَّ فِي

أُمَّتِي أَرْبَعًا مِنَ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَيْسُوا بِتَارِكِيهِنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، فَإِنَّ النَّائِحَةَ إِنْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ فَإِنَّهَا تَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا سَرَابِيلُ مِنْ قَطِرَانٍ، ثُمَّ يُعَلَّ عَلَيْهَا دِرْعٌ مِنْ لَهَبِ النَّارِ))(١).

والله عَزَّوَجَلَّ من حكمته في جعلنا شعوبًا وقبائل لا ليترفع بعضنا على بعض وإنما لنتعارف ونتآلف ونتكاتف ونتعاون على البر والتقوى قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣].

مثل هذا لابد أن يزجر عن هذا الكلام ولابد أن يُؤَدبَ على مثل هذا الكلام الذي فيه إثارة النعرات وإثارة القبليات والعصبيات التي تمزق وحدة المسلمين في زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة وإلى اتفاق الكلمة وإلى لَمِّ شعث الأمة المتمزق وإلى إعداد العدة في صد هذا العدوان من أعدائنا علينا فلا يجوز مثل هذا الكلام أبدا مع إننا لو نظرنا إلى كلامه لوجدناه كلامًا باطلاً مبنيًا على عدم المعرفة بالتاريخ وعدم المعرفة بنصوص الشريعة فإن جزيرة العرب بدايتها ما بين البحر الأحمر والخليج من الغرب إلى الشرق وما بين أقصى اليمن وأطراف الشام والعراق من الجنوب إلى الشمال وهذا هو ما يفيده كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى عند تعريفهم لجزيرة العرب فإذا تقرر هذا فإننا نعلم أن اغلب الأنبياء إنما بُعثوا من خارج جزيرة العرب فقد كان بعض الأنبياء بالعراق وبعضهم كان بالشام وبعضهم كان بمصر وبعضهم بل إن

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٥٣٨/٣٧)، برقم: [٢٢٩٠٤] وصححه الألباني في «الأحاديث الصحيحة» (٣٦٢/٢)، برقم: [٧٣٤].

أغلب الأنبياء لم يكونوا عَربا وإنما أنبياء العرب كما ذكر أهل السير والتاريخ إنما هو إسماعيل عليه السلام وهود عليه السلام وصالح عليه السلام وشعيب عليه السلام وأخرهم محمدﷺ وأما يوسف عليه الصلاة والسلام فإنه مبعوث للقِبط كما تبين في ذلك من قول الله عَزَّوَجَلَّ عن مؤمن آل فرعون ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤].

فأنبياء العرب قليل بل أكثر الأنبياء من بني إسرائيل وكانوا من خارج الجزيرة العربية فهذا سؤال مبني على القدح في العرب فقط وعلى تقبيح العرب وعلى تسفيه العرب، والعرب هم مادة الإسلام وهم نقاوة الإسلام وهم رجال الإسلام فلا يجوز القدح فيهم، فالقرآن نزل باللغة العربية والنبي ﷺ الخاتم الذي هو أفضل الأنبياء والرسل إنما بعثه الله عَزَّوَجَلَّ من العرب والسنة عربية فيجب علينا أن نتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ في مثل هذه الكلمات التي تحيي مثل هذه النعرات القبيلة الجاهلية فإننا أحوج ما نكون إلى لم الكلمة وجمع الشمل، نسال الله أن يكف السنة الحاقدين على الأمة وأن يقطع دابرهم، والله أعلم ..

i

٥٢. سُئِل الشيخ: ما صحة هذين الحديثين (إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قُبورِهم يُصَلُّونَ)، وحديث الذي فيما معناه: (ما مِن أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ علَيهِ السَّلامَ:) يقول قال بعض أهل العلم: أن هذه الأحاديث تصادم غيرها فهي ضعيفة، فماذا نقول أحسن الله إليكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، أما الحديث الأول إنَّ الأنبياءَ

أحياءٌ في قُبورِهم يُصَلُّونَ)[١]، فهو حديثٌ صحيح، وأما الحديث الثاني (ما مِن أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ علَيهِ السَّلامَ.)[٢]، فهو حديثٌ حسنٌ أخرجه أبو داود في سننه وغيره، وأما قوله إنها تُصادم غيرها من الأحاديث فلا أدري ماذا يقصد بقوله تُصادم غيرها من الأحاديث؟ ولكن على السائل أن يبين لنا تلك الأحاديث التي تصادم هذه الأحاديث المذكورة في السؤال؛ لأن المتقرر عندنا أنه لا يمكن أن يتعارض حديثان صحيحان ولا آيتان أبدًا؛ ليس شيءٌ من النصوص إذا صحَّ؛ يتعارضوا مع النصوص الأخرى هذا يجب علينا وفقكم الله أن نؤمن بِهِ وأن نعتقدهُ الاعتقاد الجازم، فإن الذي أنزل آيات القران هو الذي أنزل أحاديث السُّنة، وقد كانت السُّنة تنزل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كما ينزل عليه القرآن كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. وفي قول عامة المفسرين أن الحكمة إذا قُرنت بالقرآن في مقام الإنزال فإن المراد بها السنة، وقال ﷺ: (ألا إنِّي أُوتيتُ الكتابَ ومِثْلَهُ معه)[٣]، وقوله: (ومثله معه) أي السنة، فإذا صح الحديث فلا يمكن أن يتعارض مع القرآن أبدًا، فلا تتعارض آيتان أبدًا، ولا يتعارض حديثان صحيحان أبدًا، ولا يتعارض آيةٌ مع حديثٍ

---

(١)أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٥) والبزار برقم ٦٨٨٨- وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢١)

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٠٨١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٥/ ٢٤٥، وفي «الدعوات الكبير» (١٥٨)، وفي «شعب الإيمان» (١٥٨١) وأخرجه أبو داود برقم ٢٠٤١ وصححه النووي في الأذكار برقم٦٣٩- وحسنة الألباني في المشكاة برقم ٩٢٥

(٣)أخرجه أحمد برقم (١٧١٧٤) وأبو داود برقم ٤٦٠٤ وصححه الألباني في «الأحاديث الصحيحة»

صحيح، ولكن بما أننا لا ندري عن قول السائل تعارض الأحاديث الأخرى فحينئذٍ لا نستطيع أن نجمع بين شيءٍ مجهولٍ عندنا فليبين لنا السائل تلك الأحاديث التي يزعموا أنها تتعارض مع هذه الأحاديث، ولكن لابد أن نبين قاعدةً عند أهل السنة والجماعة لعلها تبين لسائل خطأه، وهي أن الإنسان سيعيش في ثلاثةِ دورٍ: الدار الدنيا، والدار البرزخ، والدار الآخرة، ولكل دارٍ حياتها الخاصة بها، فهذه الدار الدنيا لها حياتها الخاصة بها، وإذا انتقل الإنسان من دار الدنيا إلى دار البرزخ فإن لدار البرزخ حياةً غيبيةً خاصةً بها، فلا يجوز أن نجعل أحكام هذه الدار لهذه الدار ولا تلك الدار لدار الأولى، فإن الخلط يأتي عند الإنسان إذا كان يحكم على من مات في دار البرزخ بأحكام شيءٍ من الدنيا فحينئذٍ يقول: كيف يصلي وإن الصلاة واجبةٌ على العبد في الدنيا وقد انقطع عمل العبد؟ فنقول: تلك صلاةٌ برزخيَّة لا يعلم كيفيتها إلا الله تبارك وتعالى، ثم يقول: كيف وقد مات النبي ﷺ يرد الله عليه روحه وهو في قبره ثم يرد السلام؟ فنقول: إن هذا الرد من أحكام الحياة البرزخيَّة وإن هذا الرد -أي رد السلام- من أحكام الحياة البرزخيَّة، فلا يجوز لنا أن يُشكل علينا شيءٌ من ذلك؛ لأن ما ذكر مما سيكون للإنسان في قبرِهِ من سؤالٍ أو نعيمٍ أو عذابٍ وسؤالٍ وجوابٍ وضربٍ واتساعِ قبرٍ وغير ذلك، إنما هو من أحكام حياة البرزخ التي لا يمكن أن يحس بها من كان لا يزال في هذه الدنيا، فلكل دار أحكامهُ، فإياك أن تفهم من قوله ﷺ: (إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قُبورِهم يُصَلُّونَ)، أنك تفهم أنها الحياة الدنيوية التي تحتاج إلى طعامٍ أو شرابٍ أو نفس أو هواء، وإياك أن تفهم من قوله: (يصلون)، أنها الصلاة ذات الركوع والسجود التي كُلِّف بها الإنسان التي تحتاجُ إلى طهارةٍ أو استقبالِ قبلةٍ ونحو ذلك، وإنما نقول: إنهم أحياء في قبورهم حياةً برزخيةً لا يعلم كيفيتها ولا صفتها إلا الله تبارك

وتعالى، ويصلون في قبورهم صلاةً هي من أحكام البرزخ لا يعلم صفتها ولا كيفية وقوعها إلا الله تبارك وتعالى، فإذا فرقت بين أحكام حياة الدنيا وأحكام حياة البرزخ خفَّ عليك ذلك. والله أعلم.

i

٥٣. سُئِلَ الشيخ: سائل من إفريقيا الوسطى يسأل :هل سيدنا الخضر عليه السلام نبي أو ولي من أولياء الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، أجمع جمهور أهل السُّنة والجماعة على أنه نبي، وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة يعرفها المتأمل في قصته في آخر سورة الكهف، ومن ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف-٦٥)، هذا العلم اللَّدُنِّي إنّما هو من علوم الأنبياء والمرسلين وكذلك يقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف -٨٢) بمعنى أنه إنما فعلته عن وحيٍ من الله عَزَّوَجَلَّ ؛ وهو الوحي الذي تحصل به النبوة وليس وحي الإلهام أو التحديث الذي يكون للأولياء والصالحين، فهاتان الآيتان قرينتان عظيمتان على أنه نبي من أنبياء الله تبارك وتعالى، وأضف إلى هذا أنه فعل أفعالاً لا يفعلها إلا نبي عن وحيٍ يفيد الحكم القاطع، فقتل النفس لا يكون عن مجرد إلهام وتحديث وإنما يكون عن وحي من الله لأنه قال: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾(الكهف-٨٠)، وهذا من الغيب المطلق الذي لا يمكن أن يطّلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح إلا بالوحي لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾(الجن ٢٥-٢٧)، فلا يمكن للخضر مهما بلغت ولايته

أن يعلم هذا الغيب المطلق في هذا الغلام، فلما أخبرنا بمستقبل هذا الغلام وأنه سيكون كذا وكذا ثم بنى على هذا المستقبل قتله الآن، فهذا دليل على أن مستقبل الغلام كان مفسدة متحققة وأن قتله الآن هو الذي يدفع من الوقوع أي وقوع الوالدين في هذه المفسدة المتحققة، وكذلك خرق السفينة أيضاً هذه لا يفعلها إلا من يوحى إليه بأن هذه السفينة إن وصلت إلى هذا الملك الظالم الغاصب سليمةً فإنه سيأخذها، وغير ذلك من الأشياء التي لو تأملها المتأمل لتبين له حقيقة أن الخضر – نبي –فالقول الحق في هذه المسألة هو: أن الخضر نبي فإن قلت وما فائدة هذه المسألة أصلاً؟ فأجاب – عفا الله عنه– إنّ لهذه المسألة فائدة عظيمة، والله من أعظم الفوائد، هل الخضر نبي أو ولي؟ وإن من أعظم فوائدها فك عقدة ما عليه الصوفية من أن الولاية أفضل من النبوة؛ فإنهم يزعمون بأن الخضر ولي، وأن موسى نبي أُمر بمتابعة الولي؛ فيقولون بأنَّ الولاية خيرٌ من النبوة، كما قال قائلهم مبيناً أنَّ مرتبةَ الولاية مرتبة عظيمة، وأنّها فوق مرتبة النبوة مستدلين بأن الخَضِر وليّ وأُمر موسى بمتابعته وهو نبي، فإذا قلنا بأن الخضر نبي؛ انكسر هذا الاعتقاد فيكون نبياً أُمِر بمتابعة نبي فيفسد هذا المذهب عليهم جملةً وتفصيلاً، والله أعلم.

i

٣٠٥– سئل الشيخ: هل الأفضل في حقه ﷺ النبوة أم الرسالة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة أن الرسالة أكمل من النبوة والمتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة أن كل رسول فهو نبي وليس كل نبي رسولا فوصف الرسالة

له ﷺ وصفٌ أكمل من مجرد كونه نبيا إلا أن النبوة تسبق الرسالة فنبَّأَهُ الله عَزَّوَجَلَّ بإقرأ، وأرسله بالمدثر كما نصّ على ذلك كثير من أهل العلم رحمهم الله تعالى ولذلك فلا نعلم نزاعًا بين أهل السنة والجماعة -رحمهم الله تعالى- على أن الأنبياء أفضل البشر، وأن الرسل أفضل من الأنبياء، وأن أولي العزم الذين هم إبراهيم وموسى وعيسى ونوح ومحمد- صلى الله عليه وعلى الجميع وسلم- أكمل الرسل أو أفضل الرسل ولا نعلم نزاعًا بأن الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام أفضل أولي العزم ؛فهذا لا نعلم نزاعا فيه بين أهل السنة والجماعة وهذا يدلك على أن منزلة أو مرتبة الرسالة أكمل من مرتبة النبوة والله أعلم ...

i

٥٤. سئل الشيخ: ما حكم وضع اليد على الصدر عندما يذكر اسم النبي ﷺ؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين المتقرر في القواعد (أن الأسباب الشرعية مبنية على التوقيف) فمن اعتقد سببية وضع اليد على الصدر عند ذكر شيء من أسماء النبي ﷺ فهو مطالب بالدليل الدال على الربط بين هذا الوضع وبين ذكر اسم النبي ﷺ فإن اسم النبي ﷺ كان يطرق مسامع الصحابة ليلاً ونهارًا. ولم يثبت عن أحدٍ منهم أنه كان من باب تعظيم رسول الله أنه يضع على رأسه أو يضع يده على صدره. فكل ذلك من الأفعال التي يظن أصحابها أنها تدخل في تعظيم رسول الله ﷺ وهي في حقيقتها من المحدثات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان. فهذا عملٌ ليس عليه عمل

النبي ﷺ ولا عمل أحد من الصحابة.

والمتقرر في القواعد أن كل إحداث في الدين فهو ردّ. وأن كل بدعة في الدين فهي ضلالة. وأن كل فعل توفر سببه على عهد النبي ﷺ ولم يفعله اختيارًا فإن المشروع تركه.

وأن كل تعبد لا يعرفه أصحاب محمد ﷺ فليس من التعبد في صدر ولا ورد. وإذا كنت يا أخي الكريم تريد أن تعظِّم رسول الله ﷺ فاتبع شريعته. فإن محبته وتعظيمه عنوانها الأعظم اتباع شريعته كما قال الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.(آل عمران-٣١) هذا هو أعظم. طريق يدلنا على صدق متابعتك و تعظيمك للنبي ﷺ. والله أعلم.

i

٥٥. سُئِلَ الشيخ: ماحكم قول ﴿قد أشرقت شمسك الكبرى ولم تغب ** لأنك الحق نور غير محتجب﴾ ويقصد النبي ﷺ، وهل يجوز أن يسمى الحق؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المقصود بقوله (أشرقت شمسك الكبرى) أي شمس الرسالة والنبوة، وقوله (لم تغب) وذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ جعله خاتم النبيين فلا تزال أنوار نُبُوَّته وشمس رسالته مشرقة على الأرض، لا يعقبها ضلال ولا غواية، فإن الأمة وإن وقعت في شيء من الجهل في بعض جزيئاتها أو أطرافها، فإنها لا تقع فيما يسمى بالجاهلية المطلقة، فالجاهلية المطلقة قد انتفت ببعثة النبي ﷺ، فقول الشاعر قد أشرقت شمسك الكبرى أي شمس الرسالة والنبوة، قوله ولم تغب أي لا تزال أنوارها يتفيأها الناس في حياتهم الدينية والدنيوية إلى أن تقوم الساعة، وأما تسمية

النبي ﷺ بالحق، فإنه لابد أن نفرق بين باب التسمية وباب الأوصاف حتى نقرر بأن القاعدة المقررة عند أهل السُّنَّة والجماعة أنه يتوسع في باب الصفات ما لا يتوسع في باب الأسماء، فإطلاق الشاعر الحق على النبي ﷺ ليس إطلاق أسماء وإنما إطلاق صفات، فلا أرى في ذلك مخالفة، ألا ترى أن النبي ﷺ لما قيل له: أنت سيدنا وابن سيدنا قال إنما السيد الله أي اسمًا، ولكنه هو نفسه قال عن نفسه أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر أي وصفًا، فيتوسع في باب الوصفية ما لا يتوسع في باب الاسمية، فوصف رسالته بأنها الشمس الكبرى التي لا تزال أنوارها تطل على العالم ولم تغب إلى أن تقوم الساعة، هذا من باب الوصف ولا بأس به، ووصفه ﷺ ووصف شريعته بأنها الحق هذا من باب الصفات، ويتوسع فيها ما لا يتوسع في باب الأسماء، والله أعلم.

i

٣٠٨–سُئِلَ الشيخ: هل يجوز أن أقول في ثَنائي على النبي ﷺ أنه مُخرجنا من الظلمات إلى النور؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين :لا بأس بذلك إن شاء الله إذا كان هذا الإخراج إخراج تبليغ للشريعة .فإنه الواسطة بيننا وبين الله– تبارك وتعالى– في تبليغ الشريعة وبيان الأحكام .فلا جرم أن الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور ابتداء إنما هو –الله –تبارك وتعالى ولكن تبليغاً هو النبي –ﷺ –.ولذلك وصف الله عَزَّوَجَلَّ رسالته بأنها فرقان وأنها هُدى وأنها نورٌ وأنها رحمةٌ وأنها خيرٌ كلها وعدلٌ كلها ومصالحٌ كلها .فالله عَزَّوَجَلَّ أخرجنا من الظلمات إلى النور ابتداء، والنبي ﷺ أخرجنا من الظلمات إلى النور تبليغًا

وأداءً .والله أعلم.

i

مسائل في البركة الذاتية والمعنوية

٥٦. سُئِل الشيخ: البركة بركتان كما قررتم: بركة معنوية لازمة، وبركة ذاتية منتقلة، البركة الذاتية المنتقلة خاصة بالنبي ﷺ، هل البركة هذه الذاتية المنتقلة التي هي خاصة بالنبي ﷺ كل ما مس جسد النبي عليه الصلاة والسلام تنتقل إليه البركة من ماءٍ وشعرٍ وجدارٍ وزوجة وفراش، ما ضابط الانتقال؟

فأجاب – عفا الله عنه–:الحمد لله رب العالمين وبعد، نعم، كل ما مس بشرة النبي ﷺ وكل ما مسَّ عرقه أو مس شعره؛ البركة فيه تنتقل، تنتقل من شعره، تنتقل في ثيابه، تنتقل في وضوئه، تنتقل مع بُصاقه ونخامته، تنتقل في قطرات الماء التي تلامس جسده ﷺ، وكذلك يده الشريفة إذا وضعها على شيءٍ حلَّت فيه البركة، هذا معنى كونها منتقلة، تنتقل إلى كل شيء.

i

٥٧. سُئِلَ الشيخ: إذا كانت بركة ماء زمزم معنوية لازمة فكيف في الحديث ماء زمزم لما شرب له؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين:

يا أخي وفقك الله هذا من باب أثر هذه البركة ألا ترى أننا نقول بأن العلماء

مباركون بركة معنوية وأنت تستفيد منهم أنت تستفيد من علمهم ؛فانتقال علمهم منهم إليك انتقال، تأديبهم منهم إليك انتقال؛ أخلاقهم الطيبة منهم إليك هل هذا من باب انتقال البركة؟ الجواب لا وإنما لكل بركة معنوية آثار فهذا من باب آثار البركة والسلام عليكم.

i

٥٨. سُئِلَ الشيخ: ما حكم شرب ماء زمزم بنية الشفاء للغير؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

لو سألنا السائل وقلنا له إن الإنسان تناول نوع من الدواء؛ ليشفي غيره يعني لو أصاب غيرك حرارة ثم أنت شربت مخفض الحرارة بنيّة أن تنخفض الحرارة عن من ارتفعت عليه،،،

الجواب نعد ذلك من العبث؛ لأن هذا الدواء إنما يشربه الإنسان لمصلحته المتصلة وأما مصلحة غيره فإن غيره يتناول الدواء أما أن يشرب الإنسان دواءً؛ ليشفي غيره فإن هذا من العبث فإذا فهمت هذا علمت جوابي على سؤالك في ماء زمزم فإن المنافع التي يشتمل عليها ماء زمزم إنما تكون منافع للمقاصد المتصلة فإذا كنت تريدُ منفعةً متصلة بك من شفاءٍ من سقمٍ أو شبعٍ من جوعٍ، أو ري من ظمأ، أو حفظ علمٍ، أو نحوها أي من منافعك المتصلة بك وشربت ماء زمزم ونويت به هذه النيّة فلعلهُ إن شاء الله يتحقق كما تريد، وأما أن تشرب من ماء زمزم؛ لينتفع بشربك غيرك من الناس فهذا من العبث الذي لا ينبغي نيتهُ.

وأما قول النبي ﷺ - ((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))[١] بأن هذا الحديث حديث حسنًا يعني أنه بلغ رتبه الاحتجاج فإنما هو مقيد بالمنافع المتصلة لا المنفصلة وقد سألني سائل سؤال كهذا أو قريبا منه قال ما الحكم لو شربت ماء زمزم بنية إصلاح سيارتي؟ هل يمكن أن السيارة تصلح؟

وهذا في الحقيقة توسع في فهم الحديث توسعًا لا ينبغي حمل كلام الشارع عليه؛ لأنه أقرب إلى العبث من كونه تفسيرًا لمقاصد الشارع فالمنافع التي يضفيها ماء زمزم إنما هي المنافع المتصلة بالشارب، وأما المنافع المنفصلة عنه فلا ينبغي نيتها حال الشرب والله أعلم ..

i

٣١٢-سُئِلَ الشيخ :كيف تُنال البركة في العلم والعمر والوقت، فنجد أن العلماء من مات في سن الشباب ولكن كتب الله بركة في مؤلفاته؛ فمثلاً الشيخ/ حافظ الحكمي مات بعمر أربعة وثلاثون عامًا ومؤلفاته تدرس بعضها في الجامعات، فما هو في اعتقادكم الشيء الذي كان سببا لهذه البركة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد. في نظري- والله أعلم .- أن هذه البركة في هذه المؤلفات مع صغر السن، وهذه الكثرة الكاسرة في مؤلفات من هو صغير في سنه من أهل العلم (كالإمام النووي والشيخ حافظ الحكمي...) وغيرهما من أهل العلم- رحمهم الله الرحمة الواسعة- وجعل قبورهم روضة من رياض الجنة، وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى؛ يرجع ذلك

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند»برقم: ١٤٨٤٩ وابن ماجه برقم (٣٠٦٢) وصححه الألباني صحيح الترغيب: ١١٦٥ والسلسلة الصحيحة ٨٨٣

إلي عدة أمور:

الأمر الأول: إلي توفيق الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته؛ فتوفيق الله هو البوابة الكبرى التي من يسر الله له الدخول فيها فإنه سيقطع في الزمن اليسير مالا يقطعه غيره في الزمن الطويل، وسيُنتج في الزمن القصير مالا يستطيع غيره في الأزمان المتطاولة، وسيُنتج من الأعمال ما لو اجتمعت عليها كثير من الناس لا يستطيعون إنتاجها؛ فالقضية قضية توفيق؛ فمن أراد الولوج في هذا الباب فليكثر دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بأن يوفقه، وأن يسدد قلبه ولسانه، وأن ييسر أعماله، فأعظم ما يدعو الإنسان به سواء كان (عالمًا أو طالب علم) هو توفيق الله عَزَّوَجَلَّ فالله الله بالإكثار بالدعاء بالتوفيق. أدعو الله عَزَّوَجَلَّ بأن يوفقك وأن يأخذ بناصيتك للبر والتقوي، وأن يهديك إلي أقرب السبل والطرق إلي تحصيل مقصودك؛ فإذا فتح الله عَزَّوَجَلَّ لك أبواب التوفيق؛ فقد أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن تكون مثل هؤلاء العلماء الذين أنتجوا إنتاجات عظيمة لو اجتمعت أمة كاملة لا تستطيع أن تنتج مثل إنتاجهم في هذا الزمن اليسير. فظني - والله أعلم .- أن هذا يرجع إلي التوفيق وكثرة الدعاء هذا من أعظم ما ينبغي أن يحرص الإنسان عليه.

والأمر الثاني: أن يحرص علي محاسبة النفس بالإخلاص؛ فالإخلاص له دوره الكبير في نشر العلم أيضًا، وفي بركة الوقت، وبركة الإنتاج؛ فكون الإنسان لا يزال في صغر سنه تنتشر كتبه ويدرسها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ومنهم من يحفظها، ومنهم من يطلع عليها ويحققها ويتبادلونها فيما بينهم؛ هذا مردُّه بعد التوفيق إلي إخلاص مؤلفها؛ فإن الإخلاص ما حلّ في قليل إلا كثّره، وما حلّ في حقير إلا عظّمه، ولا في ذليلٍ إلا جعله شيئًا عظيمًا. فالله

الله بالإخلاص؛ فعليك بالإخلاص، فإن الإنسان بالإخلاص يقطع الأشياء الطويلة في الأزمنة اليسيرة، ويكتب الأشياء الكثيرة في الأوقات اليسيرة؛ وهذا شيء قد جُرب علي كثير من أهل العلم ممن نحسبهم والله حسيبهم أنهم من أهل الإخلاص والتوفيق.

فهذان الأمران أظن والله أعلم أنهما رأسان ينبغي تنبيه الناس عليها وهي كثرة دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بالتوفيق والتيسير، ومراقبة النية في الإنتاج وفي الأعمال؛ فإذا تحقق للإنسان توفيق الله عَزَّوَجَلَّ، ورزقه الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص؛ فإن الله سيكتب لأعماله البقاء والدوام والانتشار والنفع بإذنه عَزَّوَجَلَّ. والله أعلم ....

i

٥٩. سُئِلَ الشيخ: هل البركة في ماء زمزم بركة معنوية وجزاكم الله خير...؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله لقد قسم أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى البركة التي وردت بها الأدلة إلى قسمين إلى بركة ذاتية منتقلة وإلى بركة معنوية لازمة ونصوا على أن البركة الذاتية المنتقلة هي بركة ذات النبي ﷺ فإن النبي ﷺ ذاته مباركة، والبركة التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ وخلقها في ذاته بركة منتقلة بمعنى أن أي شيء يمس جسده ﷺ أو إذا أخذ الإنسان شيئا من آثاره فإنه تحل فيه البركة؛ ولذلك ثبت عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أنهم كانوا يتبركون بنخامته، بعرقه، وبملابسه، بوضوئه، وبغير ذلك وهذه البركة متفق عليها بين أهل العلم رحمهم الله تعالى في حياته وبعد مماته إذا تحققنا جزمًا أن هذا الأثر من جملة آثاره ﷺ وأما البركة الثانية فهي البركة المعنوية: فيدخل فيها بركة الزمان كبركة العشر الأوائل من ذي الحجة وبركة

شهر رمضان وبركة يوم عرفة ويوم عاشوراء هذي بركة زمان نصت الأدلة على أنها مباركة ولكن بركتها بركة معنوية بمعنى مضاعفة الأجر فيها وكذلك يدخل فيها بركة المكان كبركة المسجد الأقصى الذي باركنا حوله كما قاله الله عَزَّوَجَلَّ وكذلك بركة المسجد النبوي وأعظمها بركة المسجد الحرام أيضا هذه كلها فيها بركة ولكن بركتها ليست بركة ذاتية منتقلة وإنما بركة معنوية لازمة وهي وجود الأمن لمن دخلها ومضاعفة الأجر والثواب وعظم ملازمتها والعكوف وفعل الطاعة عندها هذه بركتها وكذلك بركة القرآن أيضا القرآن مبارك ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠] والآيات في هذا المعنى كثيرة فبركة القرآن ليست بركة ذاتية منتقلة بمعنى أنك إذا مسست أوراق المصحف ما تنتقل ليدك البركة وإنما هو بركة معنوية لازمة بركة في تدبره، بركة في الاهتداء به، بركة في مضاعفة أجر قارئه والعامل به، وكذلك بركة ماء زمزم في أصح القولين أنها بركة معنوية لازمة بمعنى أن الجسد ينتفع بماء زمزم إذا حلّ فيه كانتفاع الجسد بالدواء إذا حلّ فيه فكما أننا نقول أن الدواء يعني وإن كان مباركا ولكن بركته معنوية وبركته ترجع إلى شفاء الجسد من الأسقام، وشبعه إذا خلى عن الطعام، فماء زمزم ماءٌ مباركٌ فهو شفاء سُقمٍ وطعام طُعم فإذا شربه الإنسان ونوى به شفاءً؛ شُفي بإذن الله أو شرب أو نوى به شيئًا من أمور الدنيا تحقق له بإذن الله فهي بركة معنوية لا يجوز أن يتجاوز بها حدها بمعنى أننا نرى أناسًا يريقون ماء زمزم على أجسادهم ظنًا منهم أن البركة ستحل في هذه الأجساد بمجرد الاغتسال به فهذا تجاوز في الحد وغلو في الاعتقاد وكذلك بعض الناس مثلاً ربما يغسل ثيابه أو أثاثه و متاعه في ماء زمزم ظنا أن البركة ستحل في ثيابه أو متاعه وكل ذلك مما لا ينبغي، بل بعضهم تجاوز حد القنطرة وصار يملئ سيارته من ماء زمزم بحجة أن الماء مادام في

السيارة يدور بين جنبات مكينتها وأشغالها هذه التي في الكبوت هذا يظن أن سيارته ستحل فيها البركة، فهذا اعتقادٌ جائرٌ زائغٌ فيه غلوٌّ.

حينئذ بركة ماء زمزم في شربه فيجب أن لا نتجاوز الأمور التي دلت الأدلة أن فيها بركة إنما نستعملها على الوجه المأمور به شرعا والله أعلم .

i

٦٠. سُئِلَ الشيخ: مما ذكرتم أن البركة بركتان بركة معنوية لازمة وبركة منتقلة يقول وذكرتم أنه لا يوجد بركة منتقلة إلا بركات ذات الرسول ﷺ يقول لكن أُشكِل علينا ماء زمزم والقرآن أنكم ذكرتم أنها بركة لازمة مع أنه يقول في زمزم طعام طعم و أيضا في القرآن أنه شفاء فكيف تكون هذه البركة أحسن الله إليك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، ما ذكرته وفقك الله إنما هو من آثار البركة لا من انتقالها ونحن نتكلم عن البركة الذاتية المنتقلة بمعنى أن المحل الذي انتقلت إليه يوصف بأنه صار محلاً مباركا وأما ماء زمزم فلو غسلنا به ثيابنا مثلا هل تكون ثيابنا مباركة أو تنتقل البركة إليها؟ ولو أن الإنسان غسل يديه بماء زمزم فهل تعتبر يده صارت مباركة؟ ولو أن الإنسان غسل بيته بماء زمزم مثلا هل يعتبر أن بيته حلّته البركة وأن جدرانه صارت مباركة؟ وكذلك لو أنك مسست ورقة المصحف فهل ثمة بركة؟ سوف تنتقل إلى يدك كانتقال بركة رسول الله لكل شيء مسّ جسد، فإذا لبس ثيابًا انتقلت إليها البركة وصارت البركة من لوازمها فيجوز التبرك بثيابه في حياته وبعد مماته وكذلك لو أنه مسّ ماء فإن البركة تنتقل إلى هذا الماء فهذا الماء يوصف بأنه

ماءٌ مبارك لكن لو أننا غسلنا فيه في ماء زمزم هل توصف ثيابنا بأنها مباركة؟ فما تكلمت عنه من شرب وطعم وشفاء مرض فإنما هي من آثار البركة لا من انتقالها، ففرقٌ بين أثر البركة، وبين انتقال البركة؛ فالذي نعنيه وفقك الله أن ماء زمزم بركته معنوية بمعنى أنه لا يوصف بالبركة كل شيء غُسل بماء زمزم، وقولنا بأن القرآن بركته معنوية لازمة بمعنى أن ورقة المصحف مثلا أو أن القرآن لو كتب على شيء كجدار أو لوح فلا يوصف أن هذا الجدار بأنه مبارك، ولا هذا اللوح الذي خطّ عليه القرآن بأنه مبارك، لكن من آثار القرآن عِظَم الثواب وهدوء النفس وانشراح الصدر وزوال الأمراض بالاستشفاء به، فكل هذا من آثار البركة لا من انتقالها فإذا فرّقت بين الأثر والانتقال حينئذ زال عنك الإشكال. والله أعلم .

i

٦١. سُئِلَ الشيخ: ما حكم التّبرُك بالأحجار؟ ومتى يكون التّبرُك شرك أصغر ومتى يكون شرك أكبر؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، وبعد.....

إذا اعتقد الإنسان بركة في شيء ولم يدل الدليل على وجود البركة فيه، فلا يخلو من حالتين :

إما أن يعتقده سبباً للبركة فقط. ولكن يعتقد أن واضع البركة إنما هو الله(عَزَّوَجَلَّ) والخالق للبركة، والمنشيء للبركة في هذه العين. إنما هو الله ولكنه يعتقد أن مماسة هذه العين. سبب للبركة فقط. فإذا كان اعتقاده في دائرة السببية فهذا شرك أصغر. لأنه اعتقد سببا ما ليس بسبب لا شرعا ولا قدرا. ولأنه وسيلة

للشرك الأكبر. وأما إذا اعتقد أن ما يتبرك به الأن مما لم يدل عليه دليل. أنه هو خالق البركة ومقدرها وواضعها فهو يفيد بركة نفسه إفادة ذاتية بمعنى أنه هو واضع البركة في نفسه. فالشجرة هي التي وضعت البركة مثلا في نفسها. فإن هذا الاعتقاد شرك أكبر. لأن المتقرر في القواعد أن كل من اعتقد سببا لم يدل على سببيته شرع ولا قدر فشرك أصغر. وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته فهذا شرك اكبر. فيكون شركا أصغر إذا كان في دائرة السببية فقط. ويكون شركا أكبر إذا تعدى إلى دائرة التقدير والخلق والإيجاد. والله أعلم.

i

٦٢. سُئِلَ الشيخ: ما حكم قول أحدهم إذا رأى من يعز أو من يحب قال: هذه الساعة المباركة أو عند زيارة أحد قال: زارتنا البركة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذه من الألفاظ الدارجة على ألسنة كثير من الناس، والتي غالبًا ما أُوصي فيها على أحسن محاملها الشرعية التي تتفق مع العقيدة الصحيحة، فلا ينبغي تكليف العامة بتفاصيل ودقائق وأمور هم لا يفهمونها أو قد يفهمونها، فوصيتي لإخواني من طلبة العلم إذا سُئلوا عن مثل ذلك أن يحملوا كلام العامة دائمًا على المحامل الحسنة، ولكن بما أن السائل سأل فحينئذ أقول: إن قول القائل: زارتنا البركة لا يخلوا من حالتين: إما أن يقصد بالبركة أي البركة الذاتية المنتقلة، وإما أن يقصد بالبركة أي البركة المعنوية اللازمة فإن كان يقصد بقوله: زارتنا البركة أي: البركة الذاتية المنتقلة فهذا بدعة وهذا محرم لا يجوز، لأن البركة الذاتية المنتقلة في هذه الأمة إنما هي في ذات رسول الله ﷺ فالصحابة كانوا يتبركون

ببركته، وكانت بركته ذاتية منتقلة بمعنى أنهم كانوا يتبركون بعرقه وبشعره وبنخامته وبفضل وضوئه وغيره وملابسه فهذه البركة بهذا الاعتبار إنما هي في جسد رسول الله ﷺ وأما النوع الثاني: فهو البركة المعنوية اللازمة فهذه في كل مسلم ولله الحمد والمنة، وتختلف باعتبار تمسُّكه بالدين وصحة عقيدته وعمله الصالح، فكل مؤمن فيه بركة، وتختلف هذه البركة باختلاف تمسكه بالشرع، وعمله للصالحات، ولذلك يقول أُسيد بن حضير: ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر، وقبل قول أُسيد قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ))[(١)] فجعل النبي ﷺ لكل واحدٍ بركة لكل مؤمن بركة، فإذا قلت: زارتنا البركة وتقصد بركة العمل والإيمان والتوحيد فهذا لا بأس به.

وإذا قلت: زارتنا البركة وتقصد البركة الذاتية المنتقلة فهذا بدعةٌ لا تجوز، ولكن مثل هذه التفاصيل لا تُعرض أمام العامة لأنهم ربما لا يفقهونها ويتركون على حالهم إذا كان الأمر محتملاً وتُحمل ألفاظهم مع ما يتوافق مع العقيدة الصحيحة، لأن العوام ولله الحمد عندنا نشئوا على التوحيد، ونشئوا على العقيدة الصافية، والله أعلم.

i

٦٠. سُئِلَ الشيخ: قررتم حفظكم الله أن البركة بركة معنوية لازمة وبركة منتقلة وقلتم أن القرآن الكريم بركته لازمة يقول فكيف نجمع بين هذا وبين ما يفعله الناس عندما يقرأ القرآن على مريض فيشفى أو يقرأ القرآن في الماء ثم

---

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[أَكْلِ الجُمارِّ] (٧/٨٠) برقم:[٥٤٤٤].

يشرب منه يشرب منه مريضا فيشفى أليست هنا أصبحت البركة منتقلة؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله... لا لم تصبح منتقلة بذلك لأنك لم تعلم معنى كلمة منتقلة لو أنك مسست القرآن بيدك وفقك الله هل ثمة بركة سوف تلتصق في يدك لو أنك غسلت ثيابك بماء زمزم هل ثمة بركة ستنتقل إلى ثيابك لو أنك وضعت أو غسلت بيتك بماء زمزم فهل يوصف بيتك بأنه مبارك فمعنى الانتقال هو أن تكون البركة منتقلة لكل شيء مسها بمعنى أن تكون العين المنتقل إليها عين مباركة وهذا لا نجده إلا في ذات النبي ﷺ فقد كان أي شيء يمس جسده الشريف يعتبر مباركًا فإذا لبس ثيابًا باركها أي انتقلت البركة للثياب فتكون الثياب مباركة وتبقى بركتها دائمًا وأبدا وكذلك إذا حلق شعره فلا يزال الشعر المحلوق يوصف بأنه مبارك وإذا اغتسل أو توضأ في ماء وصف بأنه مبارك وإذا تقاطر منه عرق يوصف بأنه مبارك فكل من مس عرقه فإن البركة تنتقل إليه وكل من شرب الماء الذي غسلت فيه ثيابه فإن البركة تنتقل إليه فهل هكذا القرآن بمعنى أننا لو وضعنا صفحة من المصحف في ماء فهل يعتبر هذا الماء مبارك بهذه الصورة لو أنك وضعت القرآن على صدرك هل ثمة بركة ستنتقل إلى صدرك من القرآن الجواب لا إذًا ليس شفاء المريض إذا قرئ عليه قرآن بدليل على أن بركة القرآن منتقلة، ولكن الرقية لها آثارها؛ هذا الشفاء من آثار الرقية ؛ كالعلاج الذي يشربه الإنسان ثم يشفى هل هذا دليل على أن هذا العلاج مبارك بركة منتقلة الجواب لا ولكن لكل شيء أثره لكل شيء أثره فالشفاء بعد الرقية هذا أثر للرقية والشفاء بعد شرب ماء زمزم هذا أثر لزمزم ولكن ليس انتقالًا للبركة فإذا عرفت معنى الانتقال ومعنى الأثر حينئذ يتميز لك الأمر ويتحرر لك الجواب إن شاء الله. والله أعلم.

i

٦٣. سُئِلَ الشيخ: هل عدم رؤية ما تبقى في الشيء من أسباب البركة مثل عدم رؤية ما تبقى من الزيت أو ما تبقى من الأرز أو من القمح؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: لا أعلم ذلك ثابتًا عن النبي ﷺ ولا أعلم ذلك من جملة الأسباب التي توجب البركة في الشيء. وأما خُرْج أبي هريرة رضي الله عنه الذي كان فيه التمر ولم ينفد فإن ذلك كان معجزة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولذلك لا أعلم دليلاً بخصوصه يدل على أن عدم النظر في الشيء يوجب بركته وكثرته، وهذا الأمر لابد فيه من دليل تعييني صحيح صريح لأن الأمر غيبٌ؛ وأمور الغيب مبنيَّةٌ على التوقيف. والله أعلم.

i

٦٤. سُئِلَ الشيخ: هل إذا وضعت قارورة ماء من زمزم في خزان البيت هل يصبح الماء كلّه مباركًا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد أن ما كان غيبيًا فإنه يكون توقيفيًا ومن المعلوم أن وجود البركة في الزمان أو العين أو المكان هي من الأمور الغيبية التي لابد في إثباتها من نص صحيح صريح

وبناء على ذلك فلا نستطيع أن نجزم في الجواب لعدم وجود دليل يدل على أن خلط ماء زمزم بغيره من السوائل يوجب أن يكون الكل مباركًا. فحيث لم يأتنا دليلٌ يدل على شيء من ذلك ؛فإننا نقول الله أعلم ؛ لأن الأمر غيبي، والبركة

غير مدركة بالحواس كما هو معلوم. وإنما ثبت الدليل بأن ماء زمزم ماء مبارك. ولكن لم يأتنا دليل يدل على أنه إن جرى في غيره من السوائل أنه يضفي عليها البركة. فحيث لا دليل عندنا يَثبت أو يَنفي فإننا نردُّ الأمر إلى عالمه - عَزَّوَجَلَّ - والله أعلم.

i

٦٥. سُئِلَ الشيخ: سمعت أحدهم يقول يجوز التبرك بالصالحين والأولياء، واستدل بأثر عن ثابت البُناني أنه كان يُقبِّل يد أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول يد مست يد النبي ﷺ ويقول هي مسألة خلافية أي التبرك بالصالحين الأحياء؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد ليست مسألةً خلافية عند أهل السنة والجماعة وفقك الله وإنما لا بد فيها من التفصيل وهي أنَّ البركة تنقسم إلى قسمين: إلى بركة ذاتية منتقلة، وإلى بركة معنوية لازمة؛ فأما البركة الذاتية المنتقلة فهي بركة النبي ﷺفإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد جعل البركة التي خلقها في النبي محمد ﷺ من شأنها وخصائصها أن تنتقل لما يلامسه فإذا توضأ في ماءٍ انتقلت البركة إليه وإذا طال شعره انتقلت البركة إليه وإذا لبس ثياباً انتقلت البركة لها وإذا تعرّق صار عرقه بركة فكل من مس شيئًا مما مس جسد النبي ﷺ فإنَّ البركة تنتقل إليه ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بشعره وبملابسه وبعرقه وبفضل طهارته، وأما بركة غيره كأبي بكر وعمر وبقية العشرة وبقية المهاجرين والأنصار وغيرهم من أهل العلم قديماً وحديثًا ففيهم بركة ولكن ليست كبركة النبي ﷺ وإنما هي بركة معنويةٌ لازمة فلا نتبركُ

بالصالحين كما كان الصحابة يتبركون بالنبي ﷺ أبداً ولذلك أعظم الناس بركةً بعد النبي ﷺ هو أبو بكرٍ ولم يكن الصحابة المهاجرون ولا الأنصار يتبركون بأبي بكرٍ كما كانوا يتبركون بالنبي ﷺ فلا يُعرف عن أحدٍ منهم أنه كان يتبرك بعرق أبي بكرٍ أو بمس يد أبي بكرٍ أو بشيءٍ من ملابس أبي بكرٍ أو بشيءٍ من فضلة طعامه، ولو كان ذلك مفعولاً مع أبي بكرٍ لقلنا بصحة الاستدلال الذي ذكره السائل وفقه ؛ بل إنَّ كل مسلمٍ مِنَّا فيه بركة كما قال ﷺ ((إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ))[1] ولكنها بركة عمله الصالح وتوحيده وإيمانه ؛ فهي بركةٌ معنوية لازمة وبناءً على ذلك فلا يجوز لنا أن نتبرك بالأولياء والصالحين كما كان الصحابة يتبركون بالنبي ﷺ ؛ وأما قولك بأنّ ثابت البُناني كان يُقَبِّل يد أنس ويقول أُقبلها لأنها يد مست يد رسول الله ﷺ فإنَّ هذا عليك لا لك، فإنه يُثبت أنّ أنس ليس فيه بركة تنتقل وإنما هو يمس يده لأنها يدٌ مست يد رسول الله ﷺ فانتقل شيءٌ من بركة رسول الله ﷺ إلى يد أنسٍ فهو يقبلها لأنها حديثة عهدٍ بمس يد النبي ﷺ فهو لم يزعم أنَّ البركة التي في أنس وهي البركة المعنوية اللازمة توجب الانتقال لمن مس يد أنس وإنما كتلك الشعرة التي كان يتناقلها آل أنس من النبي ﷺ وكالجبة التي كانت تغمس ويستشفي بها المريض، فهذا إنما يتبرك ببركة رسول الله ﷺ لا ببركة أنسٍ في شخصه وذاته وعينه ثم لابد أن نفرق تفريقاً عظيماً وهي مسالة كبيرة وخطيرة يطول المقام بذكرها ولكن أختصرها لكم وهي أنَّ البركة الذاتية المنتقلة التي كان الصحابة يتبركونها من النبي ﷺ ليس لصلاحه ولا لأنه ولي من أولياء الله فالبركة الذاتية المنتقلة تلك البركة التي كان الصحابة ينهالونها من طهارته

---

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[أَكْلِ الجُمَّارِ] (٨٠/٧) برقم:[٥٤٤٤].

ومن ثيابه ومن عرقه و شعره ليس لأنه وليٌّ أو صالح حتى نلحق به كل ولي وصالح ؛ بل لأنه رسول الله وخاتم النبيين وأفضل الخلق عند الله عَزَّوَجَلَّ وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود. هل أحدٌ من الأولياء والصالحين في الأمة يشاركه في هذه العلة؟الجواب لا؛ فلا يشاركونه في نوع التبرك ؛ ومع اختلاف العلل تختلف الأحكام فهذه الصورة من التبرك وهي التبرك بطعام الولي التبرك بثياب الولي التبرك بصُغر شراب الولي التبرك بنخامة الولي التبرك بعرق الولي وشعر الولي وملابس الولي وفراش الولي وموطئ الولي ومس يد الولي هذه كلها من البدع التي لا نعلم خلافاً بين أهل السنة والجماعة في إنكارها وإنما المنقول عن بعض من ينتسب للسنة تجويز ذلك ولكن ليس هذا بصحيح بل أهل السنة يقولون بأنَّ هذا النوع إنما هو من خصائص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والله أعلم.

i

٦٦. سُئِلَ الشيخ: أنا طالب علم وعندي شيخ من أحد المذاهب ومرة وأنا أرد عليه في مسألة التبرك يقول لي الشفاء أمر غيبي والدواء سبب والبركة أمر غيبي ومصاحبة الصالحين سبب فكيف أرد أحسن الله إليكم عليه؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: أولًا ننصحك ألا تواصل طلب العلم عند هذا الرجل المبتدع إذا كنت تجد من يعلمك هذا النوع من العلم عند رجالات أهل السُّنَّة والجماعة ؛ سدًا لذريعة فساد اعتقادك وفقك الله فاحرص على ما قلته وقررته لك. من الحذر الشديد من مواصلة طلب العلم عند هذا الرجل، إذا كنت تجد بابًا سُنيًّا سلفيًا تطلب عنده العلم

أو تطلب منه العلم. وأما بالنسبة لخصوص سؤالك فإنَّ هذا الرجل عرض عليك شبهة مبناها الجمع بين المختلفين. فإنَّه خلط بين الأشياء التي أسبابها توقيفية على النص وبين الأشياء التي أسبابها متاحة للتجارب. فإن العلاج للدواء الحسي الظاهر مبني على التجارب. فهذا لا نطلب فيه توقيفًا ولا دليلاً من الشرع لأن أسبابه معلومة وأثاره معروفة. وأما التبرك فإنه شيء غيبي. فإننا لا ندري عن وجود البركة في هذا الزمان إلا إذا أخبرنا النص بأن فيه بركة. ولا نحسُّ بوجود البركة في هذا المكان إلا إذا أخبرنا النص بأن في هذا المكان بركة. ولا ندري عن بركة هذه العين أو الذات إلا إذا أخبرنا النص بأن فيها بركة.

ولذلك فإن الأصل في بركة الزمان التوقيف على النص لأن بركتها غيب. فلابد فيه من دليل الوحي والأصل في بركة الزمان والعين؛ التوقيف على النص فلأن التبرك من الأبواب الغيبية فتكون أسبابه توقيفية؛ فإذا دلّ الدليل على جواز التبرك بهذا الشيء فإننا نقول بجواز التبرك به في حدود ما أجازه الدليل، فإياك أن يقرن لك بين الأسباب التي آثارها غيبية كأسباب البركة وبين الأسباب الحسيَّة؛ الظاهرة فبالتفريق بين نوعي السبب حينئذ يتبين لك الأشكال. فلا يزال الأطباء يعرفون الأسباب لمعرفتهم الداء، أما البركة فإن أمرها غيبي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فاحتجنا إلى دليل الوحي حتى يبصرنا في الأشياء التي يجوز التبرك بها والأشياء التي لا يجوز التبرك بها. فإذا رددت عليه بالتفريق بين الأسباب ؛فإن الأسباب إذا كانت آثارها حسية كالعلاجات والأدوية هذا لا بأس به، لأن مبناه على التجارب، وأما الأسباب إذا كانت آثارها غيبية كالتبرك والأشياء التي يُتبرك بها هذه لابد فيها من دليل الوحي.

فهو جمع لك بين الأمرين من باب التلبيس فإذا فرّقتَ زالت الشبهة إن شاء الله. والله أعلم.

i

٦٧. سُئِلَ الشيخ: ما المراد بالبركة في قول المال ببركته لا بكثرته؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد: البركة في اللغة العربية معناها كثرة الخير ولزومه وثبوته. فإذا قيل بأن المال ببركته لا بكثرته معناه أن قليل المال مع البركة يُغني عن كثيره بلا بركة.فكم من قليل مال اكتفى به كثيرٌ من الناس لأنه مالٌ مباركٌ خيراته كثيرة وبركاته كثيرة، فقليل المال مع البركة يغني في حاجات كثيرة عن مال لا بركة فيه وهذا يؤكد على المسلم أن يكون طالبًا للبركة في المال لا طالبًا للكثرة. وكما قال العلماء رحمهم الله تعالى ما حلَّت البركة في شيء قليل إلا كثرته. ولا في عسير إلا يسرته ولا في بعيد إلا قربته. ومتى ما خلي شيء من الأمور عن بركة الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يكون مسلوب الخير. فكل مال لا بركة فيه فلا خير فيه.

ولذلك نبهنا الله عَزَّوَجَلَّ في آيات كثيرة. بأن من الناس من يحرصوا على كثرة المال الذي لا بركة فيه. كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن من يدخل النار من أهل الأموال: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة ٢٨ – ٢٩]

وكما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ عن قارون الذي أتاه الله عَزَّوَجَلَّ من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة. قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأحسن كَمَا أحسن اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٦ - ٧٨].فلما أهلكه الله عَزَّوَجَلَّ ما أغنى عنه ماله شيئًا وصار ماله عذابًا ولعنة عليه في الدارين، ولقد تمنى أناس أموالًا كثيرة فصار هلاكهم في عين أمنيتهم.كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة٧٥ - ٧٧].فلا يغرنك أيها المسلم كثرة المال إذا كان من أوجه حرام. وإنما عليك بتحصيل المال من الأوجه الحلال فإن المال الحلال فيه بركة. فقليل المال مع البركة خير من كثيره بلا بركة ولا نزال نرى في واقع الناس أن أُناس رواتبهم الشهرية قليلة. ولكن لا حوائج لهم، فالله عَزَّوَجَلَّ قد جعل ماليتهم القليلة مغطية وكافية لضروراتهم ولحاجياتهم الدنيوية الحياتية، وكذلك أيضًا كافي لكثير من أمورهم التوسعية الكمالية بينما نرى في نفس الوقت أناسًا لهم طائلة ولا يزالون يستشعرون الفقر والخوف والحاجة إلى تكثير المال. فوصيتي لنفسي والمسلمين جميعًا أن يحرصوا على تطهير المال فإن المال ببركته لا بكثرته والله أعلم.

i

٦٨. سُئِلَ الشيخ: قلتم أن التبرك الممنوع هو الذي لا دليل عليه، فما حكمه؟ وهل يقال أنه شركٌ أكبر، أم شركٌ أصغر، أم بدعة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا جرم أن الإنسان إذا

تبرك بشيءٍ لم يدل على جواز التبرك به دليلٌ من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، فإنه يكون قد سلك سبيلاً من سبل الشرك، ولكن هل يكون ذلك من الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر؟ الجواب: التبرك يعتبر شركًا أصغر إذا كان يعتقد أنه مجرد سببٍ وأن الله هو الذي يضفي هذه البركة على هذه العين، فإذا تبرك الإنسان بشجرةٍ ورأى أنها سببٌ لحصول البركة، وأن الذي يخلق البركة هو الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا أعتقد سببًا ما ليس بسببٍ، لا شرعًا ولا قدرا، والمتقرر في القواعد أن كل من أعتقد سببًا لم يدل على سببيته شرعٌ ولا قدر فشركٌ أصغر، وأما إذا أعتقد أن هذه الشجرة هي التي تخلق البركة فيه بذاتها، وهي التي تقدر البركة بذاتها، وهي التي أوجدت البركة بذاتها، فهذا ينقلب من كونه شركًا أصغر إلى شركٍ أكبر، فإذا تبركت بشيءٍ لم يدل دليلٌ على جواز التبرك به، أو اعتقدت أنه مجرد سببٍ للبركة وأن الله هو من يقدر ويخلق ويُوجِدُ البركة فهذا شركٌ أصغر، وإن اعتقدت أن ما تبركت به هو الذي يوجد ويخلق ويقدر ويضفي عليك البركة فهذا شركٌ أكبر. والله أعلم.

i

٦٩. سُئِل الشيخ: التبرك بالأحجار والأشجار أو بشيء لم يثبت بركته، متى يكون شركاً أكبر ومتى يكون شركاً أصغر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: إذا اعتقد الإنسان البركة في شيءٍ لم يدل الدليل على وجود البركة فيه فلا يخلو من حالتين: الأولى: إما أن يعتقده سبباً للبركة فقط، ولكن يعتقد أن واضع البركة إنما هو الله عَزَّوَجَلَّ، والخالق للبركة والمنشئ

للبركة في هذه العين إنما هو الله، ولكنه يعتقد أن مماسة هذه العين سبب للبركة فقط، فإذا كان اعتقاده في دائرة السببية فهذا شركٌ أصغر، لأنه اعتقد سبباً ما ليس بسببٍ لا شرعاً ولا قدراً، ولأنه وسيلة للشرك الأكبر.

الثانية: وأما إذا اعتقد أن ما يتبرك به الآن مما لم يدل عليه دليلٌ أنه هو خالق البركة ومقدِّرها وواضعها، فهو يفيد بركة نفسه إفادة ذاتية، بمعنى أنه هو واضع البركة في نفسه، فالشجرة هي التي وضعت البركة - مثلاً - في نفسها؛ فإن هذا الاعتقاد شركٌ أكبر، لأن المتقرر في القواعد: أن كل من اعتقد سبباً لم يدل على سببيته شرعٌ ولا قدر فشرك أصغر، وإن اعتقده أنه الفاعل بذاته فهذا شركٌ أكبر. فيكون شركاً أصغر إذا كان في دائرة السببية فقط، ويكون شركاً أكبر إذا تعدى إلى دائرة التقدير والخلق والإيجاد، والله أعلم.

i

٧٠. سُئِل الشيخ: قررتم أن الأسباب لا تثبت إلا من مصدرين: الشرع، والقدر، أو التجربة، فهل هناك قيدٌ للتجربة؟ لأن بعض الناس يضع في يده خيطًا مثلاً من الصوف، ويقول شُفيت يدي بإذن الله تعالى بسبب هذا الخيط.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، اعلم رحمك الله تعالى أن الأسباب تُفضي إلى آثارها عن طريقين: ١- عن طريق الغيب، ٢- وعن طريق الحس، فهناك أسباب تفضي إلى آثارها، ويكون الإفضاء غيبيًا، فما كان من الأسباب من قبيل الغيب، فإن الأصل في الأسباب الغيبية وآثارها التوقيف على الأدلة، فهذه أسبابٌ لا بد أن نأخذها من الشرع، وهناك أسبابٌ تفضي إلى آثارها عن معرفة من الإنسان، بمعنى أنه يعرف كيف يفضي هذا السبب إلى

آثاره، فحينئذٍ هذه الأسباب مبنيةٌ على القدر، وبناءً على ذلك فيأتينا الإنسان مريضًا بالجن ثم نقرأ عليه ويشفى، ما العلاقة بين الرقية والشفاء؟ ما الذي خرج من فم القارئ حتى يشفى هذا المريض؟ هل أنت تعرف وجه الربط بين الرقية والشفاء؟ فنحن لا ندري عن كيفية تأثير القران في الجن، فهنا أسبابٌ آثارها الرابط بين السبب وآثره غيبي، فما كان الرابط بينه وبين آثره الغيب فإن مبناه على التوقيف، فبالله عليك يدٌ تؤلم الإنسان ثم يربط شيئًا من أصابعه بخيط الصوف، فما الذي دخل في يده؟ وما الذي جعل يده تشفى؟ وما الرابط بين خيط الصوف وبين هذا الشفاء؟ هذا أمرٌ غيبي، فحينئذٍ لا نجعل ذلك المثال الذي ذكرته من جملة الأسباب الحسية التي تدخل تحت معرفة الإنسان، وإنما هو من الأسباب الغيبية، أفهمت هذا؟ لكن كون العسل يكون شفاءً لكل داء ؛ لأن العسل يقوي المناعة، وإن الداء إنما يصاب به الجسد لضعف مناعة الجسد، فإذا وافق الداء جسمًا مناعته قوية فإنه يستدفع كله أو أغلبه، فلا يتضرر الجسد بذلك، وكذلك الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء لماذا؟ لأن الحبة السوداء تتعامل مع مناعة الجسم، فتكون مناعة الجسم قوية فحيث ما حلَّت بهذا الجسم الأمراض، فإنها إما أن تشفى بسرعة، بسبب قوة مناعته أو لا تصيبه أصالة، وكذلك البنادول مثلاً فإن الأطباء يعرفون وجه تفاعله مع الصداع حتى يشفى، فهناك أسبابٌ تفضي إلى آثارها عن طريق الحس، وهناك أسبابٌ تفضي إلى آثارها عن طريق الغيب، فما كان يفضي إلى آثاره غيبًا فالأصل فيه التوقيف، وما كان يفضي إلى آثاره حسًا فالأصل فيه القدر والتجربة. والله أعلم.

i

٧١. سُئِلَ الشيخ: ما حكم التعلق بأستار الكعبة أو بجدار الملتزم عند الدعاء؟.

الحمد لله، أما التعلق بأستار الكعبة ففعل لا أصل له لا من فعل النبي ﷺ ولا من فعل أحد من صحابته الكرام، ولا من فعل أحد من سلف الأمة وأئمتها فيما أعلم، وذلك لأن البركة التي خلقها الله في الكعبة إنما هي البركة المعنوية اللازمة، فإذا تعلق الإنسان بأستارها أو وضع صدره ويديه وبطنه على جدارها، فليس ثمة بركة سوف تنتقل من الكعبة إليه، فهذا التعلق بالأستار والالتصاق بجدارها مبني على هذا الاعتقاد، أي مبني اعتقاد أن ثمة بركة أو خيرا أو طمأنينة سوف تنتقل من الكعبة وجدرانها إليه وهذا ليس بصحيح، ولما رأى ابن عباس معاوية يمس الأركان كلها من البيت قال: لم يثبت عن النبي ﷺ أنه مس من الأركان إلا الركنين اليمانيين، فقال معاوية معترضا على هذا الكلام: يا ابن عباس ليس شيء من البيت مهجورا، فقال له: أو لم يكن لك في رسول الله أسوة حسنة؟ فقال: بلى صدقت. فليس من هدي -رسول الله ﷺ- أن يمس شيئا من الكعبة لا ستارة ولا ركنا إلا الركنين اليمانيين، فالمشروع في الركن الأسود أن يمس باليد وتقبل اليد، أو يمس بشيء كعصا ثم تقبل العصا، أو أن يشار له من غير أن تقبل ما أشرت به إليه، والمشروع في الركن اليماني شيء واحد وهو أن يمس باليد فقط، فالتقبيل إنما يكون في الركن الأسود أي في الحجر الأسود لا الركن اليماني، فالمشروع في الركن اليماني إنما هو الاستلام فقط، وأما الركنان الشاميان الموازيان للحِجْرِ فإنه لا يشرع فيهما لا تقبيل ولا استلام، لأنهما ليسا على قواعد إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والملتزم هو هذا الجزء الذي يكون بين الباب والركن الأسود، وقد

ورد عن كثير من السلف أنهم التزموه وجعلوه موطنا من مواطن استجابة الدعاء، فإن حصل ذلك بلا زحام ولا إيذاء للآخرين فلا بأس، وأما بقية أركان البيت فليس يشرع فيها شيء لا استلام ولا التصاق، والله أعلم.

i

٧٢. سُئِلَ الشيخ..ما حكم التبرك بالكعبة..؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، المتقرر في القواعد أن الأصل في باب التبرك التوقيف والمتقرر في القواعد أن الأصل في بركة الذوات والزمان والمكان أنها مبنيَّة على التوقيف فلا يحل لأحد أن يدَّعي أن في عين ما بركة إلا وعلى ذلك دليل والمتقرر في القواعد أن التبرك أصالة، وصفة أنه مبني على التوقيف ؛بمعنى أن الشيء إذا ثبتت فيه بركةُ زمانٍ كان أو مكانٍ أو عينٍ فلا حق لنا أن نطلب البركة من هذا الشيء بصفةٍ نخترعها من عندنا نحن، وإنما نطلب البركة بالصفة التي دلنا عليها الشرع فأصل وجود البركة مبني على التوقيف وصفة طلب البركة من هذه العين المباركة مبنية على التوقيف هذه قواعد لابد من فهمها، فالأصل في باب التبرك التوقيف، والأصل في بركة الزمان، التوقيف والأصل في بركة المكان التوقيف، والأصل في بركة الأعيان التوقيف، والأصل في صفة طلب البركة التوقيف، وما ذلك إلا لأن وجود البركة من عدم وجودها أمر غيبي غير مدرك بالحواس، وما كان غيبي فيكون توقيفيا ولا بد أن نفرق بين ما كانت بركته ذاتية منتقلة، وبين ما كانت بركته معنوية لازمه، فالكعبة والمسجد الحرام قد ثبتت الأدلة أن فيها بركة إلا أن بركتهما هي البركة المعنوية اللازمة، وليست البركة الذاتية المنتقلة؛ وبناءً

على ذلك فلا بأس للإنسان أن يقترب من جدار الكعبة وأن يدعوا الله عَزَّوَجَلَّ وأن يبتهل إليه في هذا المكان العظيم والذي لا ترد فيه الدعوات غالبًا ولكن ليس من السنة أن يلتصق بيديه وصدره على جدار الكعبة ظانًّا أن ثمة بركة تخرج من الكعبة محققةً لشيءٍ من بركته هو أو أنه سوف ينتقل إلى جسده شيء من الطمأنينة أو غير ذلك ظنًا منه أن البركة التي خلقها الله في المسجد الحرام في الكعبة أنها من البركة الذاتية المتنقلة وحقيقتها أنها بركة معنوية لازمه فتلك الصفة بخصوصها لا نعلمها ثابتةً عن النبي -صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم- وإنما بعض أهل العلم تجاوز في مثل هذه الصورة فيما يقال له الملتزم وهو فيما بين الباب والحجر الأسود قالوا لا بأس أن يلتصق الإنسان بالملتزم وأن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ في هذا المكان لثبوته عن بعض السلف رحمهم الله تعالى وأما بقية أجزاء الكعبة فإننا لا نعلمها ثابتة بل إنّ ابن عباس رضي الله عنه لما رأى معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه يستلم الأركان كلها فيستلم الركنين اليمانيين ويستلم الركنين الشاميين أنكر عليه وقال لم أرى النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين أي الحجر الأسود والركن اليماني فقال معاوية رضي الله عنه يا ابن عباس ليس شيء من البيت يهجر فقال ابن عباس رضي الله عنه أليس لك في رسول الله أسوة حسنة فقال صدقت فرجع معاوية عن هذا القول رضي الله عنه كعادة أصحاب النبي ﷺ متى ما تبين لهم الحق في المسألة فإنهم يتركون أقوالهم واجتهاداتهم ومذاهبهم ما يرجعون إلى الحق، فالحق أحقُّ أن يتبع ليس هناك داع لإلصاق البطن والصدر واليدين بالكعبة حال الدعاء لأن البركة التي في الكعبة إنما هي بركة معنوية لازمه وليست بركة ذاتية منتقلة، ولعدم ثبوت ذلك عن النبي ﷺ والله أعلم.

i

٧٣. سُئِلَ الشيخ: ورد أن النبي ﷺ كان يجمع كفيه ويقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين ثم يمسح ما استطاع من جسده. فهل القصد من ذلك هو ايصال بركة القرآن إلى بشرة القارئ؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد... هكذا فعل النبي ﷺ فنحن نقتدي به كما فعل والحديث هذا في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها (أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا أوَى إلى فِراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَع كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِما، فَقَرَأَ فِيهِما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِما ما اسْتَطاعَ مِن جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِما علَى رَأْسِهِ ووَجْهِهِ وما أقْبَلَ مِن جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.[١] وهذا لا شك أن له حكمة عظيمة وهي أن يحفظ هذا الجسد من الشيطان ومن تأثيره وأن يقرأ الإنسان على نفسه الرقية الشرعية من ألم يصيبه دفعا أو رفعا أو نحو ذلك من الحِكَمْ ولا يكفي المسلم أنها سنة ثبتت عن النبي – ﷺ- وأما قضية أنه تنتقل بركة القرآن من الفم إلى الجسد فهذا يحتاج إلى دليل، لأن بركة القرآن بركة معنوية لازمة، ولكن نقول هذا من جملة آثار الرقية كالدواء يشربه الإنسان، فهذا من جملة أثر هذا الكتاب العظيم... والله أعلم.

i

٧٤. سُئِلَ الشيخ: نرى كثيرًا من الناس إذا أقام وليمة عشاء على شرف شخصٍ آخر يقول صاحب العزيمة لهذا الضيف فلان كله بركة، جمَّع لنا هذه

---

(١)أخرجه البخاري برقم:[٥٠١٧].

الوجوه، فما حكم ذلك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة لا تُقبل مطلقًا ولا تُرد مطلقًا وإنما هي مبنية على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبلُ وباطلها فيُردُّ، فإذا كان يقصد بقوله إن فلانًا بركة يقصد البركة الذاتية المنتقلة فهذا هو عين البدعة، فإن البركة الذاتية المنتقلة من خصائص النبي ﷺ فليس هذا النوع من البركة في أحدٍ من الأمة أبدًا لا في أبي بكر ولا في عمر ولا في علي بن أبي طالب ولا في عثمان بن عفان ولا في أحد من المهاجرين ولا في أحد من الأنصار فضلاً عمن دونهم إلى أن تقوم الساعة، فكل مسلم وإن كان فيه بركة إلّا أنَّ البركة التي تحل في كل مسلم إنما هي البركة المعنوية اللازمة وأما البركة الذاتية المنتقلة فإنها من خصائص محمد ﷺ فإذا قلت أن فلانًا فيه بركة فإن كنت تقصد البركة الذاتية المنتقلة فهذا خطأ وبدعة وإن كنت تقصد البركة المعنوية اللازمة فلا جرم أنه قول صحيح إذ ما من مسلم إلا وفيه بركة معنوية لازمة وتختلف البركة المعنوية بين مسلم وآخر على حسب تفاوت الناس في التوحيد والإيمان والعمل الصالح وبرهان ذلك :أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ: -ما هي بأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يا آلَ أبِي بَكْرٍ-[١] أي البركة المعنوية اللازمة ويقول النبي ﷺ - إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ[٢] -فكل مسلم فيه بركة فإن كنت تقصد البركة الذاتية المنتقلة فحرام وممنوع وإن كنت تقصد البركة المعنوية اللازمة فجائز سائغ. والله أعلم.

i

(١)أخرجه البخاري برقم:[٣٣٤]،مسلم (٣٦٧)

(٢)أخرجه البخاري برقم:[٥٤٤٤].

٧٥. سُئِل الشيخ: ورد في الحديث أن كل مسلم فيه بركة وقد علمنا بأنها بركة معنوية لازمة غير منتقلة.

فإذا زارنا ضيف هل جاز لنا القول زارتنا البركة؟ بحكم أنه مسلم حامل للبركة المعنوية دون الاعتقاد أنها بركة ذاتية، أم أن هذا اللفظ لا يجوز؟ مع التوضيح لأن هذه العبارة تستعمل في حياتنا كثيرا أحسن الله إليكم.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد: (أن ما كان من الألفاظ مجملا فلا نقبله مطلقا ولا نرده مطلقا وإنما هو مبني على الاستفصال حتى يتميز حقه من باطله فيُقبل الحق ويُرد الباطل) فإذا زارك أحد من المسلمين وقلت زارتنا البركة فإن كنت تقصد البركة المعنوية فهذا جائز وإن كنت تقصد البركة الذاتية فهذا ممنوع، فإذا قلت زارتنا البركة في حق من زارك فلتضمر في قلبك أنك إنما تقصد -البركة المعنوية اللازمة- فإذا جرى هذا اللفظ على لسانك وقصدت بقلبك أنها البركة المعنوية فهذا جائز، وإن كنت تخشى من اختلاط الأمر على الزائر لعدم معرفته لهذا التفريق بين نوعي البركة فالابتعاد عن هذا اللفظ هو الأولى من باب سد ذريعة انقداح الاعتقاد الفاسد، ولكن إذا كان الزائر من طلاب العلم ممن يعرف هذا التقسيم، ولا يحمل قولك زارتنا البركة إلا على البركة المعنوية اللازمة، فحينئذ يزول هذا المحذور ولا بأس بقولها.

والله أعلم.

i

مسائل في التوسل

٧٢. سئل الشيخ: ما حكم هذا الدعاء: أسألك بحق نبيك محمد أو بحق كذا أو بحق كذا. فهل هو جائز؟

فأجاب- عفا الله عنه-:- الحمد لله رب العالمين. هذا من الأمور التي منعها أهل السنة والجماعة.

لأنها توسل إلى الله- عَزَّوَجَلَّ بما لم يكن هناك دليل يدل على جواز التوسل به، ولأنها من باب الإقسام بالمخلوق على الله، والله- عَزَّوَجَلَّ لا يجوز الإقسام عليه ببعض مخلوقاته.

فلعدم وجود الدليل الدال على جواز التوسل بهذا الشيء، ولأنه قد يكون من باب الإقسام بالمخلوقات على الله حينئذ نقول هذا من الأمور التي لا تجوز ولا تنبغي. والله أعلم.

i

٧٦. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز التصدق بنية صلاح الأبناء أو أي شيء آخر؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، المتقرر عند العلماء في قواعد أهل السُّنَّة والجماعة: جواز التوسل لله بالأعمال الصالحة، فالمؤمن لا حرج عليه في أن يعمل العمل الصالح ويريد به في الأساس وفي القصد الأول -وجه الله والدار الآخرة- ثم يلتمس بهذا العمل بعد ذلك أن ييسر الله

له شيئًا من أمور هذه الدنيا، فهذا دربٌ من التوسل في العمل الصالح، وقد دلَّت الأدلة على جوازه، فالنصوص مستفيضةٌ في ذكر ثواب الدنيا وحسنتها للمُؤْمِنِ على الأعمال الصالحة.

والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة أمرٌ جائزٌ، فلا بأس أن يتصدق الإنسان وينوي في المقام الأول بصدقته: وجه الله والدار الآخرة، ثم يذمر بعد ذلك في نفسه أمرًا تبعيًا لهذا المقصود.

وهو أن يصلح الله أولاده، فكأنه توسل إلى الله في صلاح أولاده بهذه، الصدقة فهذا لا بأس به ؛ ولكن لا يكون ذلك في المقام الأول أو القصد الأول، وإنما يكون ذلك بالقصد التبعي الثانوي أي الثاني.

أو أن يقرأ الإنسان شيئًا من الْقُرْآنْ، ويتوسل إلى الله بهذا العمل علي أن يصلح الله له ولده، وأن يبارك له في عمره وعمله وأن ييسر له ولأولاده وأهل بيته طريق الصلاح، ويذلِّلُ لهم عقبات الاستقامة، فهذا من باب التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، فلا حرج في العبادة بالصدقة أو غيرها ابتغاء وجه الله أولًا في القصد الأول، مع إرادة صلاح الأبناء أو إرادة تيسير الوظيفة أو غير ذلك والعمل الصالح من المعلوم أن الإنسان كان قد يعجل له شيءٌ من ثوابه في هذه الدنيا، مع ما يدَّخره الله له في الآخرة، فالعمل الصالح قد يُثاب عليه المُؤْمِنِ في أبناءه وفي ذريته وصلاحهم.

كما قاله العلماء -رحمهم الله- فقد يحفظ الله العبد بصلاحه، يحفظه في ولده، يحفظه في ماله، يحفظه في أحفاده، فالعبد قد يحفظ أولاد أولاده بصلاحه كما قال الله في سورة الكهف:﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾(الكهف-٨٢)، فقال:

حفظ الله أموالهما بصلاح أبيهما.

بل أن من أهل العلم من قال: إن المراد بقوله: ﴿أبوهما﴾، في الآية أي جدهما فالأعمال الصالحة له دورها في صلاح الإنسان، وفي صلاح زوجه وفي صلاح أولاده.

كما أن الأعمال السيئة إذا فعل الإنسان شيئًا من المحرّمات، فيجد ذلك في خُلقه هو وخُلق من حوله من زوجةٍ وأبناء، فعلى الإنسان أن يُحسن نيته فلا يكون مقصوده الأول في تعبُّدَاتِهِ إلا التقرب لله.

فإن نوى مع ذلك بعض المقاصد التابعية الثانوية، أو الحوائج الأُخر الدنيوية فلا بأس ولا حرج عليه في ذلك؛ ولكن لا يكون ذلك في القصد الأول وعلى ذلك الحديث الذي يروى عن النبي في قوله: (داوُوا مرضاكم بالصَّدَقةِ)[١] والله أعلم.

i

٧٧. سُئِل الشيخ: الدعاء الدارج عند الناس ﴿بجاه النبي ﷺ﴾ هل يعتبر شرك أصغر؟ وجزاكم الله عنا خيرا وبارك بكم وبعلمكم.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، المتقرر في القواعد أن التوسل مبني على التوقيف، فلا يجوز لنا أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلا بالوسيلة التي ثبت جواز التوسل بها في الكتاب أو السُّنَّة، كالتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بصفاته والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذكر الحال وبالعمل

---

(١)حسنه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: ٣٣٥٨، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٧٤٤

الصالح والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الحي الحاضر القادر فهذه يجوز أن يُتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها لثبوت الدليل بجواز التوسل بها، وأما الوسيلة التي لم يدل دليل على جواز التوسل بها ؛ فلا حق لنا أن نتخذها وسيلة، واتخاذها وسيلة لا نقول فيه بأنه شرك ؛وإنما نقول فيه بأنه بدعة، ونقول فيه بأنها محرمة، ونحو هذه العبارات التي تصفها بالتحريم أو البدعية، ولكن لا نتجاوز ذلك فنقول مثلاً شرك؛ لأنه ليس ثمة تنديد ولا مساواة الآن، وإنما هو يتخذ وسيلة لم يدل على جوازها دليل فيكون قد أحدث في دين الله ما ليس منه، ومن ذلك التوسل بجاه النبي ﷺ فإنه لم يدل دليل لا من القرآن ولا من صحيح السنة على جواز التوسل بجاهه وكل حديث في جواز التوسل بجاهه فمكذوب موضوع، و كذلك لم يدل دليل على جواز التوسل بذات أحد من الأنبياء، أو ذات أحد من الملائكة، أو ذوات أحد من الأولياء والصالحين، فالتوسل إلى الله بذات أحد من الناس هذا توسل بدعي لا دليل عليه، وأما حديث الأعمى ((اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ))[١] فإن لفظ التوسل متى ما جرى على لسان أصحاب النبي ﷺ فيراد به طلب الدعاء، بدليل الرواية الأخرى ((وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ (. قَالَ: لَا بَلْ ادْعُ اللهَ

---

(١)أخرجه أحمد برقم(١٧٢٤٠) وأخرجه الترمذي رقم ٣٦٤٩»، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وابن ماجه «حديث رقم ١٣٨٥» وفي آخره: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح وصححة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٨١) وفي المشكاة برقم (٢٤٩٥)

لِي))[١] فهو أراد من النبي ﷺ أن يدعو له، فلا نعلم دليلاً أبداً يدل على جواز التوسل لا بجاه النبي ﷺ ولا بذات -النبي ﷺ- ولا بذات أحد من الأولياء والصالحين، فالواجب على المسلم السُّنِّي الحصيف العاقل أن يقتصر على تلك الوسائل التي ثبت بها النص وأن يدع عنه ما لم يثبت به نص. والله أعلم.

i

٧٨. سُئِلَ الشيخ: سمعت أحد الصالحين فيما أحسبه يدعو فيقول يا ربي بالمصطفى بلغ مقاصدنا واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم. فهل في هذا محظور شرعي وهل هو من الشرك بالله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله العالمين وبعد.. المتقرر في قواعد أهل السُّنَّة والجماعة أن الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تُقبل مطلقًا ولا تُنفى مطلقًا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيُردُّ، وقول القائل أسألك بالمصطفى هذا من باب التوسل بالنبي ﷺ، والتوسل بالنبي ﷺ منه ما هو سائغ جائز، ومنه ما هو زائغ ممنوع فإذا كان قصده بقوله أسألك بالمصطفى ؛ أي بإيماني به وبمحبتي له وباتباعي لشريعته واقتفاء أثره وبتعظيمه وبتقديره فهذا لا جرم أنه توسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بشيء من الأعمال الصالحة والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمثل هذه الأعمال جائز بإجماع

---

(١) أخرجه أحمد برقم ١٧٢٤١ وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣٧٩)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٥)، و «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم ١/ ٣١٣ و ٥١٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٨١) وفي المشكاة برقم (٢٤٩٥)

أهل السنة والجماعة ولا نعلم في ذلك خلافًا بين أهل السنة والجماعة وأما إذا كان يُقصد أتوسل إليك بالمصطفى أي بجاهه وذاته فإن هذا من جملة التوسل الممنوع لقول عامة أهل السُّنَّة والجماعة وكل حديث يجيز التوسل بجاه النبي ﷺ أو بذاته فإنه حديث ضعيف كحديث (إذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ بجاهي؛ فإنَّ جاهيَ عندَ اللهِ عظيمٌ [(١)]-) فهو كذب مختلق لا يصح حرف منه عن النبي ﷺ وأما حديث الأعمى اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ [(٢)] -فإن المتقرر في القواعد إن خير ما فُسِّرت به السُّنَّة هو السُّنَّة وقد ورد في بعض روايات الحديث (فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ: (إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ، فَهُوَ أَفْضَلُ لِآخِرَتِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ (. قَالَ: لَا بَلْ ادْعُ اللهَ لِي[(٣)]) ومتى طلب الدعاء من المتوسل به كما في صحيح البخاري من حديث أَنَسٍ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ) [(٤)] -يعني طلبوا الدعاء من العباس فمتى ما رأيت الصحابي يقول أتوسل إليك بكذا؛ فإنما يعني أطلب

---

(١) قال الألباني في الضعيفة (رقم ٢٢، والتوسل ص١٢٨): لا أصل له.

(٢)أخرجه الترمذي برقم: ٣٥٧٨ وابن ماجه برقم ١٣٨٥ وصححة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٨١) وفي المشكاة برقم (٢٤٩٥)

(٣) أخرجه أحمد برقم ١٧٢٤١ وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (٣٧٩)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٥)، و «عمل اليوم والليلة» (٦٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم ١/ ٣١٣ و ٥١٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٨١) وفي المشكاة برقم (٢٤٩٥)

(٤)أخرجه البخاري برقم:[١٠١٠].

الدعاء منه اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، بمعنى أنني يا ربي أطلب منه هذا الدعاء، وأطلب منك يا الله إذا دعا لي النبي أن تستجيب، فإذا كان قول القائل أسألك بالمصطفى أي بجاهه فإنه توسلٌ ممنوع وإذا كان يقصد بقوله أتوسل إليك بالمصطفى أي بذاته فإنه توسل ممنوع أيضًا، وأما إذا كان يقصد أتوسل إليك بالمصطفى أي بحبي له وبإيماني به واتباعي لشريعته واقتفاء أثره فإن هذا توسلٌ جائزٌ لا بأس به ولا حرج إن شاء الله، وبالتفصيل يُعرف الحق فيقبل من الباطل فيرد والله أعلم

i

٧٩. سُئِلَ الشيخ: كيف نردُّ على من أجاز التوسل بجاه الرسول ﷺ وبآل بيت الرسول، وهل التوسل بمعنى الشرك أم أن هناك تفصيل؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، نرد عليهم بما يلي:

أولاً: أن نقول لهم: إن الأصل المتقرر في العبادات أن مبناها على التوقيف، فلا يجوز لنا أن نتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ - إلا وعلى هذا التقرب دليل من الشرع، فالله عَزَّوَجَلَّ - لا يُعبد بالشهوات، ولا بالهوى، ولا بالبدع، وإنما لا يعبد إلا بما شُرع على لسان نبيه ﷺ.

فالعبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع، وعلى الاقتفاء، لا على الابتداء، ولذلك أنكر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه في مواضع كثيرة على من يعبد دونه بما لا دليل عليه، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى/ ٢١].

ولو كان الناس يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ كيفما اتفق بدليل أو بغير دليل، والله يقبل كل هذه العبادات، ولو لم يكن عليها دليل، لما احتاجت البشرية إلى إنزال كتب، ولا إلى إرسال رسل، إذ أن الباب مفتوح، كل يعبد الله بما شاء، ولكن لما كانت عبادة الله لا طريق لها إلا بالوحي، فحينئذ يتوقف طريق التَّعبُّد على الوحي، فما أقره النبي ﷺ على أنه عبادة، فهو العبادة الصحيحة المقبولة التي ترضي الله عَزَّوَجَلَّ وأما ما لم يقره من العبادات. فالأصل في هذا الباب مقفل، وقد سُدَّ وأُحكم سدّه، فليس لكل أحد أن يفعل في دينه ما يشتهي؛ لأن الباب توقيفي، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٣١]، ويقول النبي ﷺ ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ))[١]، رواه مسلم من حديث جابر- ويقول النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، ومن حديث عائشة، يقول النبي ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[٣]. إذا هذا هو أول رد عليه، وهي أن التوسل عبادة، والعبادات

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١/ ١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ](٥/ ٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥٨) برقم: [١٦٥].

(٢) أخرجه البخاري باب: [النَّجْشِ] (٣/ ٦٩)، وأخرجه مسلم باب: [نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ](٣/ ١٣٤٣) برقم: [١٧١٨].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ] (٣/ ١٨٤) برقم: [٢٦٩٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ](٣/ ١٣٤٣) برقم: [١٧١٨].

مبناها على التوقيف.

الأمر الثاني: أن نرد عليه بقاعدة مقررة بإجماع أهل السُّنَّة، وهي أن الأصل فيما يُتوسّل به إلى الله عَزَّوَجَلَّ التوقيف على الأدلة، فلا يجوز للإنسان أن يتخذ وسيلة [يتقرب إلى الله] يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها، إلا وعلى هذه الوسيلة دليل من الشرع؛ لأن التوسل مبني على أن نتوسل بما يحبه الله ويرضاه، ومحبة الله ورضاه عن هذه الطريقة، إنما هو أمر غيبي.

هل تدري أنك إذا اتخذت طريقة تتوسل إلى الله بها، وتتقرب بها إليه أنه راض في السماء عنك؟ الجواب: لا، فإن محبته ورضاه أمر غيبي، فلا يجوز لنا أن نتخبط في باب الوسائل، ونختار منها كيفما اتفق، لأننا لا ندري هل تلك الوسيلة مما يحبها الله ويرضاها أم لا؟

وعليه فباب التوسل مما يُتَقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ فيما يحبه ويرضاه، وبما أن محبته ورضاه أمر غيبي، فلابد أن نجعل [الوسائل] التوسل أيضًا أمر توقيفي، فما أجازه نبينا ﷺ وجعله توسلاً صحيحًا فإننا نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ به، وما لا، فلا.

ولا حق لأحد أن يخترع في باب التوسل وسيلة، ويقول للناس: هيا توسلَّوا إلى الله بها، وما الذي أدراك أن هذه الوسيلة مما يحبه الله ويرضاه؟ أو أنت يوحى إليك؟ أو أنت يُنزل عليك؟ أو جاءك جبريل أو ميكائيل أو إسرافيل أو أحد من الملائكة يخبرك أن الله راض عن هذه الوسيلة، وأنك تأمر الناس بها؟ إذا كما أنه لا يجوز الإحداث في باب العبادات، فكذلك لا يجوز الإحداث في باب التوسل، إلا بتلك الوسائل التي أقرها الشرع، وهي أن نتوسل إلى الله

عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف/ ١٨٠]، فلما دلَّ الدليل على جواز التوسل بها، جعلناها وسيلة صحيحة.

وكذلك التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان والعمل الصالح، كما دلت على ذلك الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة، كتوسل هؤلاء الثلاثة النفر الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فمنهم من توسل إلى الله - عَزَّوَجَلَّ- ببرِّه لوالديه، وهو عمل صالح، ومنهم من توسل بعفته ومراقبته وهو عمل صالح، والثالث توسل بأمانته، وحفظ حقوق الخلق من الفقراء والأجراء، فقبل الله عَزَّوَجَلَّ وفرَّج عنهم، فإذاً التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل الصالح جائز، لا لأننا اخترعناه من عندنا، لا، وإنما لثبوت الأدلة به.

كذلك التوسل إلى اللهعَزَّوَجَلَّ بطلب الدعاء من الحي الحاضر القادر، أيضًا هذا لا بأس به، فقد دخل رجل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السُّبل، فادع الله يُغيثنا. هذا توسلٌ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بوساطة رجل صالح، وكذلك كانوا إذا قُحطوا في المدينة في عهد عمر رضي الله عنه - استسقوا بالعباس بن عبد المطلب، فكان يقوم يدعو، وينزل الله عَزَّوَجَلَّ المطر، وكذلك: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر/ ١٠]، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص/ ٢٤]، والأدلة في هذه الأنواع من التوسل كثيرة، فإذاً كل من اتخذ وسيلة يتوسل بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ- لطلب مرضاته، فلابد أن يكون على هذه الوسيلة دليلٌ من الشرع؛ لأن الأصل في باب التوسل التوقيف على الدليل، فما أن الأصل في العبادة التوقيف، والأصل في باب التوسل التوقيف، فأين الدليل الدال

على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ، ولا يعني هذا أنه ليس له جاهًا عند الله، بل نقسم بالله أنه من أعظم الخلق جاهًا عند الله، وأن جاهه من أعظم الجاه عند الله–تبارك وتعالى– ولكن ثبوت الجاه له، لا يدل ولا يلزم من أن نتوسل إلى الله بجاهه، وكل حديث فيه: – إذا سألتم الله فاسألوا الله بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم–، كل حديث يثبت ذلك فإنه كذب موضوع على النبي ﷺ، وكذلك السلف الصالح، لا نعلم عن أحد منهم أنهم توسلوا بجاه النبي ﷺ، أفيخفَى عليهم جواز التوسل به، ويعرفه من بعدهم، هذا لا يكون أبدًا، فنحن لا نقول: فلو كان خيرًا ما سبقونا إليه، بل نقول: لو كان خيرًا، لو كان التوسل بجاه النبي ﷺ من الخير لسبقونا إليه. فلا دليل يدل على جواز التوسل بجاهه، وأخيرًا فإن قلوب العباد بيد الله –تبارك وتعالى، وإنما علينا هداية الدلالة والإرشاد، وإما هداية القبول والامتثال والتوفيق والإلهام، فإنما هي إلى الله–تبارك وتعالى– وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص/ ٥٦].

i

٨٠. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز قول أحدهم: اللهم بحبك لي كما أَعَنْتني على أداء العبادة أن تجيب دعائي، فهل يجوز قوله بحبك لي؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا الأمر ننظر له باعتبارين، الاعتبار الأول: أن الأصل في الأمور الغيبية التوقيف على الأدلة، وكون الله عَزَّوَجَلَّ يحب هذا العبد بخصوصه وعينه، هذا إثبات أمر غيبي، فلابد من دليل يدل على صحة هذا الإثبات، وإلَّا فتُعتبر دعوى وتخرصًا،

فإن العبد لا يدري هل الله يحبه أو لا، وإن كنا نوجب إحسان الظن في الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن بما أنه شهد لنفسه أن الله يحبه شهادة تعيين وجزم، فحينئذ نقول هذا تخوضٌ في أمرٍ غيبي، فلا يجوز للإنسان أن يُثبت شيئًا من أمور الغيب إلَّا وعلى ذلك الإثبات دليل من الشرع، الاعتبار الثاني: المتقرر في القواعد أن صفات الله عَزَّوَجَلَّ يجوز أن يتوسل العبد بها، فبدل أن يقول اللهم (بِحُبِّك لي) فيثبت أمراً غيبيا لا دليل عليه، يقول أسألك بمحبتك، أسألك بصفة المحبة، كما يقول أسألك برحمتك، أسألك بقوتك، أسألك بعزَّتك، أسألك بغناك، أسألك برضاك، فيقول أسألك بمحبتك بمعنى أن المحبة من صفات الله، وصفات الله يجوز أن يُتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها، فبدل أن يثبت المحبة التعيينية له وهي أمر غيبي، يتوسل إلى الله بالمحبة المطلقة غير مضافة إلى السائل، ولا إلى غيره ممن لم تثبت الأدلة بإثبات هذا الأمر الغيبي لهم، فبدل أن يقول اللهم بمحبتك لي، يقول اللهم بمحبتك، اللهم بقوتك، اللهم برحمتك، فيكون هذا من باب التوسل الجائز، لأن التوسُّل بالصفات جائز، ويخرج هو من المحظور الذي ذكرته في الأمر الأول، والله أعلم.

i

٨١. سُئِلَ الشيخ: عن نوع التوسل في القصة التي تتعلق بأويس القرني؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، قبل أن نتعرف على أويس القرني ووصية النبي ﷺ في حق من لقي هذا الرجل لابد أن نتعرف على قاعدة من قواعد أهل السُّنة والجماعة وهي: ﴿أن الأصل في باب التوسُّل التوقيف﴾ فلا يجوز لنا أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأي وسيلة من الوسائل إلَّا

إذا ورد على جواز التوسل بها دليلٌ من الكتاب أو السُّنة، ومن جملة الوسائل الصحيحة التي دلَّ عليها دليل السنة الصحيحة: التوسُّل بطلب الدعاء من الرجل الحي الحاضر القادر، وقد كان الصحابة يطلبون الدعاء من النبي ﷺ في عدة مواطن والأحاديث في هذا متعددة، فإذا عرفت جواز التوسل بدعاء الرجل الحي الحاضر القادر؛ أي بطلب الدعاء منه، فحينئذٍ تعرف قصة أويس القرني ذلك التابعي الجليل الذي أوصانا رسول ﷺ بأن نطلب منه الدعاء إذا لَقِيناه فإنه رجلٌ مستجابُ الدعوةِ، وقد علَّلَ النبي ﷺ استجابة دعوة الله لهذا الرجل ؛ بأنه كان بارًا بِأُمِّهِ، فكان له أمٌّ بَارٌ بها. هذه قصته باختصار، فهي تُخرج على جواز التوسُّلِ بطلب الدعاء من الحي الحاضر القادر. والله أعلم.

i

٨٢. سُئِلَ الشيخ: رجلٌ قال لي إذا ذهبتَ إلى قبر النبي ﷺ فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم قل بعد سلامك يا رسول الله استغفر لي، ويَستدلُ بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابً... ﴾ [النساء:٦٤-٦٥].فهل استدلاله صحيح؟ وهل يشرع لي أن أقول يا رسول الله استغفر لي وهو ميت؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد عقيدتنا مبنيَّة على كتاب ربِّنا عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة نبينا ﷺ وفهم السلف الصالح، فلا يجوز لنا أن نفهم شيئًا من أدلة الاعتقاد مخالفين بفهمنا فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقول الله عَزَّوَجَلَّ :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ....﴾ أجمع أصحاب النبي ﷺ على أنَّ

المجيء للنبي ﷺيكون في حياته لا بعد مماته، فإنه قد كانت تُصيبهم الأمراض ويصيبهم القحط والحروب وليس بينهم وبين القبر إلا عدة خطوات، ولم يثبت عن أحدٍ منهم بعد وفاة النبي ﷺ أنه كان يجلس عند قبر رسول الله ويدعو لنفسه، أو يدعو للأُمَّة عند قبره، أو أنه يطلب من النبي ﷺ أن يستغفر له أو يستغفر لغيره بعد مماته، هذا لا يُحفظ عن أحد من السلف أبدًا أبدًا، وهذا استقراءٌ قطعيٌّ لجميع أحوالهم بل كانوا ينكرون ويغلِّظون التغليظ الشديد على من كان يكثر الصلاة والسلام على النبي ﷺ عند قبره ويقولون قال النبي ﷺ ((صلُّوا عليَّ وسَلِّمُوا، فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حيثُمَّا كنتُمْ)).[1] وما صلاتك عليه وأنت عند قبره إلا كصلاة من بالأندلس عليه، فكانوا يحرصون على أن لا يبتدع شيء من التعبدات عند قبره ﷺ وبناءً على ذلك فالذي يقول: إنّ هذه الآية تفيد جواز المجيء طلبًا للاستغفار من النبي ﷺ في حياته وبعد مماته فنقول: كلمة -وبعد مماته- من أين فهمتها أنت؟ مَن الذي قال بأن المجيء هنا يدخل فيه المجيء بعد مماته؟ مَن الذي قال لك بأنه يجوز أن تأتي إلى قبر رسول الله بعد وفاته فتطلب منه الاستغفار؟ وتستدل على هذا بالآية الكريمة؟ فإنك فهمت فهمًا مخالفًا لفهم الصحابة والسلف الصالح والمتقرر في القواعد أن كل فُهم في الاعتقاد وبُني على خلاف فهم السلف الصالح ؛ فإنه باطل. فأصح الفهوم في كتاب الله - عَزَّوَجَلَّ - إنما هو فهم أصحاب رسول الله ﷺ فإياك أن تشاقق الصحابة في فهمهم، وإياك أن تتبع غير سبيلهم في هذا الفهم فإن من اتبع غير سبيلهم ؛ ولّاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا، فإن قلت ولِمَ تُلزمُني بفهم أصحاب رسول الله فأقول: نعم يَلْزمُك أن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٢٢٦ - ٢٤٨٢

تفهم أدلة الاعتقاد على فهم أصحاب النبي ﷺ لعظيم الثناء عليهم وتزكيتهم ظاهرًا وباطنًا في كتاب الله وتزكية عقائدهم ومقاصدهم ونياتهم وأعمالهم وغير ذلك من مجالات التزكية الربانية كما في آيات كثيرة، وكذلك النبي ﷺ لما سُئِل من الناجية؟ (من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)[1]. فكل من فهم الكتاب والسنة على غير كلمة -وأصحابي- فإنه فهم فهمًا مخالفًا لفهم السلف الصالح، وكل من فهم فهمًا مخالفًا لفهم السلف الصالح فإنه باطل، وبناء على ذلك فلا يجوز طلب الدعاء من النبي ﷺ بعد ممات ولا طلبوا المدد منه ولا الاستغاثة به ولا طلبوا الاستغفار منه فكل ذلك من دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله وهذا من الشرك الصريح -والعياذُ بالله- فالواجب على الإنسان أن يتوب إلى الله وأن يتَّقي الله فيما يفهمه من أدلة الكتاب والسُّنَّة. والله أعلم

i

٨٣. سُئِلَ الشيخ: ذكرتم في قاعدة الأصل في التوسل التوقيف على الأدلة صحيح وذكرتم أن التوسل إلى الله بذات أحدٍ من الخلق بدعة، والتوسل إلى الله بجاه أحد من الخلق بدعة ؛ صحيح. فما الفرق بينهما؟ وهل البدعة هي شرك أكبر أم أصغر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد...

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة: ٧ / ١١، وأخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع: ٧ / ٤٣٧-٤٤٢، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، برقم (٤٢ و٤٣): ١ / ١٥-١٦، والدارمي في المقدمة: ١ / ٤٤، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٤)

أما التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ فلا جرم عندنا أنه مبني على التوقيف، لأن التوسل مبناه على أن تتوسل بالأمر المحبوب لله عَزَّوَجَلَّ ومعرفة ما يحبه الله ويرضاه مما يبغضه ويأباه هذا أمرٌ غيبي، فالتوسل مبناه على الغيب، وما كان غيبياً فيكون توقيفيا كما تقرر بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة. ولذلك قلنا بأن التوسل بذوات المخلوقين بدعة ؛لأنه تعبُّدٍ لله – عَزَّوَجَلَّ– بالتوسل بما لا دليل عليه، وكل من تعبَّد لله بما لا دليل عليه فقد ابتدع وأحدث في الدين ما ليس منه، وكذلك إذا توسل إلى الله بجاه أحدٍ من المخلوقين فإنه بدعةٍ أيضاً لأنه تعبد لله بالتوسل، والتوسل عبادة بما لا دليل عليه. وأما قولك ما الفرق بين التوسل بالذات والجاه؟ فبينهما فرقٌ يسير وهو أن الجاه صفةٌ للذات فقد يكون الإنسان أميراً فيتوسل إلى الله بجاهه أي بإمارته، وقد يكون الإنسان حسيباً نسيباً فيتوسل إلى الله بحسبه ونسبه، وقد يكون الإنسان عالماً تقياً زاهداً فيتوسل إلى الله بتقاه او علمه وزهده. فهل هذه الاشياء ملازمة للذات أو صفات زائدة على الذات؟ الجواب بل هي صفات زائدة على الذات فالتوسل إلى الله بصفات الذات هذا توسل بالجاه، وأما التوسل إلى الله بذات الشيء نفس الشيء هذا توسل إلى الله بالذات. فالتوسل إلى الله بالذات بدعة والتوسل إلى الله بشيء من صفات هذه الذات كالتقوى والزهد والورع والعلم والخشية التي يتصف بها العباد العارفون أيضا محرم ؛ لأنه توسل إلى الله بالجاه فإذا توسلنا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بمحمد بذاته محرم، وبنبوته وعلو منزلته عند الله أيضاً محرم فهذا توسل بالذات، وهذا توسل بالجاه فالتوسل بالذات هو التوسل بذات الشيء نفسه والتوسل إلى الله بالجاه توسل بشيء من الصفات التي اكتسبتها هذه الذات. والله أعلم.

i

٨٤. سُئِلَ الشيخ: ما حكم قولهم اللهم إنا نسألك بحق الشيبان الركع والأطفال الرضع والبهائم الرتع.؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد..

عندنا في جواب هذا السؤال قاعدتان قبل أن نبدأ في التخريج الجواب عليهما لابد أن نبين قاعدة سُنِّيَّة سلفية عظيمة فخمة وهي:

(إن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد)

لأننا إن قبلناها مطلقًا ففيها باطل والباطل لا يقبل وإن رددناها مطلقًا ففيها حق والحق لا يرد فماذا نفعل فيها؟

الجواب: نستفصل فيها حتى يتميز حقها من باطلها فنقبل الحق ونرد الباطل. فقول الإنسان أسألك يا ربي بحق كذا هذا لا يخلو من حالتين وفي كل واحدة منهما قاعدة.

الحالة الأولى: قاعدتها لا يجوز أن يقسم على الله –عَزَّوَجَلَّ– بحق أحد من الخلق وان عظمت منزلته عند الله. فالله عَزَّوَجَلَّ أعظم وأجل وأكبر من أن يقسم عليه بشيء من مخلوقاته فإذا كانت الباء في قوله أسألك بفلان هي باء القسم، فالإقسام أمر لا يجوز، لأن المخلوق لا يجوز أن يُقسم به على الله عَزَّوَجَلَّ. فلا يجوز أن يقال أسألك بحق أنبيائك بحق رسلك إقسامًا يعني أُقسم عليك بأنبيائك أُقسم عليك برسلك، فما كان من قبيل المخلوقات فلا

يصلح أن يقسم به على الله عَزَّوَجَلَّ ، فإذا كانت الباء في قوله بحق فلان أو بحق الأشياخ الركع والاطفال الرضع والبهائم الرتع إنها باء الاقسام فإنه لا يجوز أن يقسم على الله عَزَّوَجَلَّ بأحد من خلقه.

احفظوا هذه القاعدة لا يقسم على الله بأحد من خلقه فشأن الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من ذلك.

الحالة الثانية: فقاعدتها الأصل جواز التوسل بما دلَّ الدليل على جواز التوسل به. وذلك لأن الأصل في التوسل المنع إلا بما دلَّ الدليل على جواز التوسل به. فإذا كانت هذه الباء باء التوسل فهي جائزة لا بأس بها لأنه يتوسل إلى الله بذكر الحال. ومن الامور التي دلَّ الدليل على جواز التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بها أن يتوسل المتوسل أو الداعي بذكر حاله. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] . ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧]. وغير ذلك من توسلات الأنبياء كان أغلب توسلات الأنبياء إنما هي توسل إلى الله بذكر حالهم. فإذا قال أسألك بالأشياخ الركع أي توسلاً لا إقسامًا فلا بأس به. لأن هذا من باب ذكر الحال. يعني كأنه يقول ربي ارحمنا وأغثنا فإن فينا أشياخا ركع وأطفالا رضع وبهائم رتع وهكذا. فهو يتوسل إلى الله بذكر حاله وحال قومه. فإن كانت باء إقسام فلا يجوز وإن كانت باء توسل بذكر الحال فيجوز والله أعلم.

i

٨٥. سُئِلَ الشيخ: ما الضابط في ما يجوز الدعاء به والاستعاذة به مثلا أن يقول أعوذ بعزة الله أو يقول أنجته رحمة الله فما الضابط في الصفة التي يُدعى

بها؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين. يجوز أن ندعو الله عَزَّوَجَلَّ بكل صفة له سواء أكانت من صفاته الذاتية أو صفاته الفعلية. ولا يجوز أن ندعو الصفة بعينها.. وذاتها سواء أكانت من الصفات الذاتية أو من الصفات الفعلية. وفيصل ذلك أنك لابد أن تُفرِّق بين ما كان دعاء وبين ما كان توسلاً.

فأما باب التوسل فيجوز بالصفة ذاتية كانت أو فعلية. وأما باب الدعاء فلا يجوز بالصفة يعني بمعنى لا يجوز أن ندعو الصفة سواء أكانت من صفات الذات أو من صفات الفعل فقولك أسألك برحمتك هذا توسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بصفة الرحمة التي هي صفة فعلية وقوله أسألك بوجهك هذا توسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بوجهه والذي هو صفة ذاتية فباب التوسل يجوز بالصفات مطلقا سواء أكانت من صفات الذات كالوجه واليدين والعين والحياة والعلم. والعلو وغيرها أو كانت من صفات الفعل كالمحبة والرضا والنزول إلى السماء الدنيا وغيرها. فهمت هذا؟

وأما باب دعاء الصفة فإنه محرم إجماعا. سواء أكانت من صفات الذات كقولك يا وجه الله انظر لي يا قوة الله انصريني. أو كانت من صفات الفعل كقولك يا رحمة الله ارحميني ونحو ذلك. فباب التوسل شيء وباب الدعاء شيء آخر. والله أعلم.

i

٨٦. سُئِلَ الشيخ: ما حكم قول اللهم إني أسألك بنبيك الكريم أو أسألك بعبدك فلان؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد

المتقرر في القواعد (أن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها من باطلها)

- فنقبل الحق ونرد الباطل

والمتقرر في قواعد أهل السُّنَّة في باب التوسل (أن الأصل فيه التوقيف على الأدلة)

فلا يجوز لنا أن نتوسل بوسيلة إلا وعلى إثبات جواز التوسل بها دليل من الكتاب أو صحيح السُّنَّة فإذا علم هذا فليعلم أن قول الإنسان أتوسل إليك بنبيك هذا لا يخلو من عدة أحوال الحالة الأولى: إن كان يقصد أتوسل بإيماني به أو بطاعتي له أو بتصديقي برسالته أو بمحبتي له واتباعي لشريعته، فإن هذا من التوسل الجائز الذي لا بأس به ولا حرج وهو من التوسل الذي يجوز بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته أن يتوسل المرء إلى الله عَزَّوَجَلَّ بحب رسول الله والإيمان به واتباع شريعته فإن هذا من التوسل المشروع في حياته ﷺ وبعد مماته. الحالة الثانية: أن يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء النبي ﷺ كقول عمر: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا أي نتوسل إليك بدعائه وكقول الأعرابي الأعمى أتوسل إليك بنبيك محمد أي أتوسل إليك بدعائه فهذا جائز في حياة النبي ﷺ فقط وأما بعد مماته فلا يجوز لأحد أن يطلب الدعاء منه بإجماع أهل السنة والجماعة وأما الحالة الثالثة: أي يقصد بقوله أتوسل إليك بنبيك أي بذاته فهذا من التوسل البدعي فلا يجوز لأحد أن يتوسل بذات رسول ﷺ

الحالة الرابعة: أن يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بجاه رسول الله وكل حديث في جواز التوسل بالجاه فكذب موضوع وبناءً على ذلك فإذا كنت تقصد بقولك أتوسل إليك بنبيك أي بطاعتي وإيماني ومحبتي واتباعي لشريعته فهذا جائز وإن كنت تقصد بقولك أتوسل بنبيك أي بطلب الدعاء منه فهذا جائز في حياته لا بعد مماته وإن كنت تقصد بقولك أتوسل إليك بنبيك أي بذاته أو بجاهه فإن هذا لا يجوز مطلقًا باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة وأما قولك وفقك الله أتوسل إليك بفلان فإن كنت تقصد أن تتوسل إليه بذاته فأيضا نقول هذا من التوسل البدعي وإن كنت تقصد أن تتوسل إلى الله بجاه فلان فهذا من التوسل البدعي وأما إن كنت تقصد أن تتوسل إلى الله بفلان أي بطلب الدعاء من فلان فهذا جائز إن كان حيا حاضرا قادرا على أن يدعو لك وبالتفصيل يتميز الحق فيقبل من الباطل فيرد والله أعلم.

i

سُئِلَ الشيخ :ما حكم قول بعض الناس في الدعاء﴿اللهم اغفر لي بقوة لا إله إلا الله وبقوة قل هو الله أحد﴾يقول استشكلت علي؟؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين

هذا من التوسل الذي لا نحبه في مسألة التوسل، فإن الإنسان لا ينبغي له أن يتوسل إلَّا بما دلَّت الأدلة على جواز التوسل به فبدل أن يقول (بقوة لا إله إلا الله) يقول (اغفر لي بقول لا إله إلا الله) فإن قوله (لا إله إلا الله) عمل صالح والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالعمل الصالح جائز وقوله (اغفر لي بقوة قل هو الله أحد) لو استبدلها وقال (اغفر لي بقل هو الله أحد) فإنه توسل إلى

الله عَزَّوَجَلَّ بكلامه، وكلامه صفةٌ من صفاته، والتوسل إلى الله بصفاته، جائز وأما أن يستبدل ذلك بقوله (بقوة قل هو الله أحد) أو (بحول لا إله إلا الله) فكل ذلك من التوسع في الألفاظ في باب توقيفي لا ينبغي الاجتهاد فيه فبدل أن (يقول بقوة لا اله إلا الله)يقول (بقول لا إله إلا الله)ليكون توسلا بعمل صالح وبدل أن يقول (بقوة قل هو الله أحد) يقول (بقل هو الله أحد) ليكون توسل بكلام الله وكلامه صفة من صفاته والصفات يجوز أن يتوسل بها العبد والله أعلم.

i

٨٧. سُئِلَ الشيخ: هل موفق الدين ابن قدامة المقدسي -رحمه الله- ذهب إلى تجويز التوسل بالنبي ﷺ؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، وبعد.

لا شأن لنا؛ هل قاله ابن قُدامة، أو لم يقُله؛ وإنما الشأن عندنا، أن المُتقرر عند أهل السُّنة، والجماعة أن التَّوسل بالنبي ﷺ لا يخلو من عدة أقسام؛ منها ما يجوز، ومنها ما هو ممنوعٌ، لأن لفظ التَّوسل بالنبي صار من الألفاظ المجملة بحسب استعمال الطوائف البِدعية له، والمتقرر في قواعد أهل السُّنة، والجماعة -رحمهم الله- تعالى أن الألفاظ المجمَّلة المحتملة للحقِّ، والباطل لا تُقبلُ مُطلقًا، ولا تُردُّ مُطلقًا؛ وإنما هي موقوفةٌ على الاستفصالِ حتى يتميز حقُّها، فيُقبل من باطلها، فيُردْ.

وبناءً على هذه القاعدة؛ فإن كان المقصود بالتَّوسل بالنبي، أي التَّوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان به، وبطاعته، وبمحبته، وتقديم حُبه على محبة النفس، والولد،

والمال، والأهل، والناس أجمعين، فلا جَرَمَ أن التَّوسل بهذا المعنى هو أصلُ الدين، وهو أساسُ المِلة، فالتَّوسل بالنبي بمعنى الإيمان به، وطاعته، وامتثال أمره، ومحبته، هذا تَّوسلٌ واجبٌ بإجماع العُلماء، بل لا يقوم دين الإنسان إلا بذلك.

وأما المعنى الثاني، أي يكون المقصود التَّوسل بالنبي، أي التَّوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذات النبي ﷺ، فهذا من التَّوسل البِدعي الذي نَص أهل السُّنة على كونه بِدْعةً، لأن المتقرر عند العُلماء أن الأصلَ في التَّوسلِ، التوقيف على الأدلة، فلا يجوز لنا أن نتوسل إلا بما وَرَدَت الأدلة بتجويز التَّوسل به، ولا أعلمُ دليلاً من الكتابِ، ولا من السُّنة الصحيحة، ولا من فِعل أحدٍ من الصحابة، ولا من سَلفِ الأمةِ، وأئمتها من المعتدِّ بقولهم في الأمة، أنهم أجازوا التَّوسل بذات النبي ﷺ.

والأمر الثاني؛ التَّوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالنبي ﷺ، أي بجَاهِه، أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بجاهِ رسول الله، وهذا أيضًا من الأمور البِدْعيةِ التي لم يُدل دليل على جواز التَّوسل بها.

فإذن؛ لا يجوز أن نتوسل بالنبي ﷺ إلا إذا كان معنى التَّوسل به؛ الإيمان به، فنجعل الإيمان به وسيلةً توصلنا إلى الله، ومحبته، فنجعل محبته وسيلةً توصلنا إلى الله، وإلى مرضاة الله، ورحمته، أو أن نتوسل إلى الله بطاعته.. بطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهي عنه، وزَجَر، ونتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، باتباع شريعته.

هذه هي أنواع التَّوسل الجائزة، وأما دعاؤه من دون الله، فإنه من الشرك الأكبر، والاستغاثة به من دون الله، فإنها من الشرك الأكبر؛ في حياته، وبعد مماته، فلا

يجوز لأحدٍ أن يقبل خلاف هذا الكلام حتى، وإن قاله عالِمٌ من العُلماء.

وبناءً على ذلك؛ فلو ثبتَ أن الإمام ابن قُدامة أجاز التَّوسل البِدْعي بالنبي ﷺ، فإن كلامه يُعتبر رَدًا عليه، ونعتذر له باختلاط ألفاظ التَّوسل بحقِّه، ولكن لا يجوز لنا أن نقبل كلامه، أو أن نجعله قولًا لأهل السُّنة، لأن أهل السُّنة المتقدمين مُجمعون على حُرمة التَّوسل بذاته، ومُجمعون على حُرمة التَّوسل بجاهِه؛ وإنما التَّوسل المشروع هو التَّوسل بالإيمان به، وبطاعته، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وبمحبته، واتباع شريعته، فليس كلام ابن قُدامة (إن صحَّ وثبت عنه) بحُجةٍ على مذهب أهل السُّنة، أو يُجيزُ، أو يُسوِّغُ لأحدٍ، أن يتوسل التَّوسل البِدْعي الذي منعه أهل العلم، والله أعلم.

i

٨٨. سُئِلَ الشيخ: هل تجيزون أحسن الله إليكم أن يأتي إنسان لرجل يتوسم فيه الصلاح ويقول له أدعو الله لي؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن الأصل في التوسل المنع إلا فيما أجازه الشرع فيجوز لنا أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالأمور التي أجاز الشارع أن نتوسل إليه بها وأذن فيها ومن جملة ذلك أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء الرجل الحي الحاضر القادر وهذا أمر أذن الشارع فيه وأجازه كما كان كثير من الصحابة يأتي النبي ﷺ وهو حي حاضر بين أيديهم فيطلبون منه أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ لهم في بعض مضائقهم أو ضروراتهم أو حاجياتهم الدينية والدنيوية ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه (نَّ رجلاً دخلَ المسجدَ ورسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قائمٌ

يخطُبُ، فاستقبلَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قائمًا وقالَ: يا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ هلَكَتِ الأموالُ، وانقطَعتِ السُّبلُ، فادعُ اللَّهَ أن يُغيثَنا، فرفعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يديهِ ثمَّ قالَ: اللَّهمَّ أغِثنا، اللَّهمَّ أغِثنا، اللَّهمَّ أغِثنا، قالَ أنسٌ: ولا واللَّهِ ما نَرى في السَّماءِ مِن سحابةٍ ولا قزعةٍ وما بينَنا وبينَ سلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، فطلَعت سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطتِ السَّماءَ انتشَرت وأمطَرت)[1] فهذا رجل توسل إلي الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء النبي ﷺ وكذلك أيضا ذلك الرجل الأعرابي الأعمى الذي جاء وتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء محمد ﷺ في أن يرد عليه بصره فدعا له النبي ﷺ فردَّ الله عليه بصره بل إن النبي -ﷺ- أمرنا إذا التقينا برجل يقال له أويس القرني أن نطلب منه الدعاء فإنه رجلٌ صالحٌ، بارٌ بأمه فهو مستجاب الدعوة وفي صحيح الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال (أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قالَ: فَيُسْقَوْنَ)[2] -فلا باس في ذلك إن شاء الله فقول السائل وهل أذن الله في ذلك فأقول نعم كما ذكرت لك في هذه الأدلة فقد أذن الله بإذنه الشرعي أن نطلب الدعاء من الرجل الحي الحاضر القادر فهو من جملة صور التوسل الجائز والله أعلم.

i

٨٩. سُئِلَ الشيخ: ما الفرق بين التوسل والاستغاثة؟وهل صحيح أنه وقع

---

(١)أخرجه البخاري برقم(٩٣٣)، وأخرجه مسلم في صلاة الاستقاء باب الدعاء في الاستسقاء رقم ٨٩٧

(٢)أخرجه البخاري برقم:[١٠١٠].

الخلاف بين تجويزها وتحريمها؟ وهل صح أن الإمام الشوكاني أباح التوسل؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، الاستغاثة سؤال وطلب بإلحاح وافتقار والتوسل هو أن يضع الإنسان بين يدي سؤاله أمرًا محبوبًا لله عَزَّوَجَلَّ فالاستغاثة تدخل تحت باب الدعاء وأما التوسل فإنه أمر محبوب يتوسل به العبد بين يدي مطلوب عند ربه عَزَّوَجَلَّ فإن قلت وما الأصل في ذلك؟ أقول الأصل المتقرر عند أهل السُّنَّة والجماعة أن الأصل فيما يتوسل به التوقيف فلا يجوز لنا أن نتوسل بأمر من الأمور إلا وعلى جواز التوسل به دليل شرعي صحيح صريح كالتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته والإيمان والعمل الصالح ودعاء الرجل الحي الحاضر القادر أو التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذكر الحال والإنطراح بين يدي الرب عَزَّوَجَلَّ وأما التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذوات الملائكة أو ذوات أحد من الأنبياء أو أن نتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بجاه أحد من المخلوقات فإنه توسل ممنوع لعدم وجود الدليل الدال على جواز التوسل به وذلك لأن التوسل مبني على الأمر المحبوب لله عَزَّوَجَلَّ ومحبة الله أمر غيبي فلا يجوز لنا أن نتوسل إلى الله بوسيلة إلا وعلى جواز التوسل بها دليل لأنه مبني على أمر غيبي و المتقرر في القواعد أن ما كان غيبيًا فيكون توقيفيا وأما الاستغاثة فإن دعاء وطلب وسؤال بافتقار فإن كانت منصرفة لميت من الأموات فلا جرم أن كل من استغاث بميت فهو كافر مشرك وإن كانت منصرفة إلى حي غائب عنك فلا جرم أن كل من استغاث بحي غائب فإنه مشرك وإن انصرفت لحي حاضر عاجز عن الأمر المستغاث فيه فإن هذا شرك فإن كل من استغاث بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى فإنه يعتبر كافرًا مشركًا وأما من استغاث بالحي الحاضر القادر أي في أمر يقدر

عليه المستغاث به فإن هذا جائز لا بأس به ولا حرج لقول الله - عَزَّوَجَلَّ ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥] والله أعلم.

i

٩٠. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز التوسل بكلمة ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾، ويقول أيضا: ولماذا لا يجوز التوسل بما تشتهيه أنفسنا؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في قواعد أهل السُّنَّة والجماعة أنه لا يجوز أن يتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ إلا بما دلَّ على جواز التوسل به دليل شرعي صحيح صريح، فباب التوسل عند أهل السُّنَّة والجماعة من الأبواب العقدية التي يبنونها على التوقيف، فلا يجوز لنا أن نتوسل إلا بالوسيلة التي دل على جواز التوسل بها دليل شرعي، كالتوسل إلى الله بأسمائه لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسماء الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾الأعراف ١٨٠، والتوسل إلى الله بصفاته، والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء الرجل الحي الحاضر القادر، والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذكر الحال، والتوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بشيء من الأعمال الصالحة، وأما ما عداها من الأمور التي لم يدل دليل على جواز التوسل بها، فإنه لا يجوز للإنسان أن يتوسل إلى الله بها.

فإن قلت: ولماذا لا نفتح الباب، فيتوسل الإنسان بما يشتهي؟

فنقول: يا أخي لابد أن نقرر أصلا وهو أن ما كان غيبيًا فيكون توقيفيا، فلا

مدخل للعقول في أبواب الغيب، ولا مدخل للآراء ولا للأمزجة ولا للأذواق ولا للمواجيد ولا للمكاشفات في باب الغيب أبدا، فباب الغيب لا يثبت إلا بدليل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو حديث صحيح عن النبي ﷺ، فليس كل أحد يفعل في دينه أو عقيدته ما يشتهي -وفقك الله، فلو كان الباب مفتوحًا للشهوات والأمزجة والاستحسانات، لما احتاجت البشرية إلى إرسال الرسل ولا إلى إنزال الكتب، ولترك الله الناس يعبدونه كيفما يشاؤون ويشتهون، فباب العقائد والتعبدات باب غيبي لا يجوز أن نتعبد لله إلا بما دل على جواز التعبد به دليل، ولا يجوز لنا أن نعتقد عقيدة إلا إذا وقف وراءها برهان الكتاب أو صحيح السُّنة، فهذه أبواب شرعية عقدية تعبدية ليست مفتوحة للأمزجة، وليست مفتوحة للأهواء والآراء، ولا للاجتهادات ولا للأمزجة ولا للرؤى والمكاشفات والأحلام، ولا للعقول ولا للأقيسة الفاسدة -وفقك الله، فاتق الله عَزَّوَجَلَّ في نفسك لأنك قلت في آخر سؤالك، ولماذا لا يفتح الباب على ما نشتهي؟ فهذا لا يجوز، لأن الباب باب شرعي تعبدي عقدي، والأصل في ذلك التوقيف، ثم أضف إلى هذا: أن التوسل إنما هو مبني على ما يحبه الله، ومحبة الله أمر غيبي، فنحن لا نعلم هل الله يحب هذه الوسيلة بخصوصها أو لا، فاحتجنا إلى دليل يدلنا على أن الله يحب هذه الوسيلة، فالتوسل مبني على محبة الله، ومحبة الله أمر غيبي، وأمور الغيب مبنية على التوقيف، والله أعلم.

i

٩١. سُئِلَ الشيخ: لا ريب أن أقل أحوال طلب الشفاعة من الميت أنه بدعة منكرة ولكن يقول من العلماء من عده شركا أكبر فهل السبب أن المطلوب منه ميت فلا يقدر أم عموم طلبها حتى من الحي الذي لم يؤذن له يعد شركا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين المتقرر في القواعد عند أهل السُّنة أن كل من سأل مخلوقًا في أمر لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يعتبر مشركًا لأنه لم يسأل المخلوق هذا الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله إلا لأنه يعتقد أن لهذا المخلوق تصرفًا خفيًّا في الكون وكل من اعتقد أن للمخلوق تصرفا خفيا استقلاليا في الكون فإنه يعتبر مشركًا فلو أنه لم يعتقد في المخلوق هذا الاعتقاد فإنه لا ينصب عليه بهذا السؤال وبناء على ذلك فطلب الشفاعة من المخلوق إنما هو طلب مخلوقٌ في أمر لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ وهذا شرك والعياذ بالله وكذلك لو طلبها من ميتٍ فإنه يطلب إنسانًا غير قادر على تحقيق ما طلب على تحقيق مطلوبه هذا فكل من دعا مخلوقًا في أمر لا يقدر عليه هذا المخلوق وإنما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ ولا يملكه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يعتبر قد دعا مخلوقًا دعاءً شركيًّا سواء أكان في أمر الشفاعة أو أكان في أمر المغفرة أو أكان في أمر رزق الولد أو شفاء المريض أو غير ذلك فاحفظ هذه القاعدة وفقك الله ولا تسأل عن كثرة التفاصيل ولا يشكلن عليك تفريعاتها كل من دعا مخلوقًا حيًّا أو ميتًا في أمر لا يقدر عليه إلا الله -تبارك وتعالى- فقد وقع في الشرك الأكبر. والله أعلم ...

i

٩٢. سُئِلَ الشيخ: أهل السُّنَّة يذكرون قاعدة في الأسباب وهي: أن من جعل شيئًا سببًا وهو في الأصل ليس بسبب لا شرعي ولا حسي فقد أشرك الشرك الأصغر، ومن اعتقد في الشيء أنه يفعل بنفسه فقد أشرك الشرك الأكبر، فلماذا لا نقول هذا في الدعاء لغير الله، ونقول من دعا غير الله وكان يعتقد أنه سبب فقط فقد أشرك الشرك الأصغر، وإن اعتقد أنه يفعل ذلك بنفسه فقد أشرك

الشرك الأكبر؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا يمكن أن نقول ذلك -وفقك الله- لأن من صور الشرك ما لا أصغر فيه، كالنذر لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فإن النذر لغير الله يعتبر من الشرك الأكبر وليس في صور النذر ما يعتبر من الشرك الأصغر، وكذلك دعاء غير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى، فلا يتصور فيها صورة من صور الشرك الأصغر، وإنما كل ذلك يدخل تحت دائرة الشرك الأكبر، وكذلك الذبح لغير الله، ذبح تعظيم وتعبد فليس هناك صورة من صور الذبح لغير الله تعتبر شركًا أصغر؛ وإنما كله يعتبر من الشرك الأكبر، وكذلك الاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله ليس فيها صورة يقال فيها بأنها من الشرك الأصغر وإنما كل ذلك يدخل تحت دائرة الشرك الأكبر، وبناءً على ذلك فالقاعدة التي تفضلت بها، إنما تتصور في مسائل الشرك التي تنقسم إلى أصغر وإلى أكبر، كالأسباب والتمائم والطيرة ونحوها، فهذه فيها ما يكون من قبيل الشرك الأصغر إذا اعتقد مجرد السببية، وفيها ما يكون من قبيل الشرك الأكبر إذا اعتقد فيها أنها الفاعلة أو المقدرة أو الموجدة الخالقة بذاتها، وأما غيرها من صور الشرك فإن الجميع يوصف بأنه أكبر، وبالتفريق بين هاتين الصورتين ينحل عندك الإشكال إن شاء الله، والله أعلم ..

i

٩٣. سُئِلَ الشيخ: ما حكم طلب الدعاء من الآخرين؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد، المتقرر عند العلماء أن طلب الدعاء

من الحي الحاضر القادر مما يجوز التوسل به، فلا بأس أن تطلب الدعاء ممن تراه صالحًا فإن الصالح ممن ترجى إجابته بإذن الله - عَزَّوَجَلَّ - فقد كان الصحابة يطلبون من النبي - ﷺ - أن يدعو لهم وهذا في أحاديث كثيرة، أذكر لك منها ما في الصحيحين من حديث أنس قال: ((أنَّ رجلاً دخلَ المسجدَ ورسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قائمٌ يخطُبُ، فاستقبلَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قائمًا وقالَ: يا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ هلَكَتِ الأموالُ، وانقطَعتِ السُّبلُ، فادعُ اللَّهَ أن يُغيثَنا، فرفعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يديهِ ثمَّ قالَ: اللَّهمَّ أغِثنا، اللَّهمَّ أغِثنا، قالَ أنسٌ: ولا واللَّهِ ما نَرى في السَّماءِ مِن سحابةٍ ولا قزعةٍ وما بينَنا وبينَ سلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ، فطلَعت سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطتِ السَّماءَ انتشَرَت وأمطَرَت))[1]. وكذلك كان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - يطلبون من العباس أن يدعو لهم في صلاة الاستسقاء ففي صحيح الإمام البخاري من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: (أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قالَ: فيُسْقَوْنَ.)[2]

وكذلك ندبنا النبي - صلَّى الله عليه وسلمَّ - أن من رأى أويسًا القرني وهو من كبار التابعين أن يطلب منه أن يستغفر له لأنه كان بارًا بأمه، يعني أن نطلب من أويسٍ أن يستغفر لنا لعظم منزلته عند الله بسبب بره بأمه. وكذلك استسقى

---

(1) أخرجه البخاري برقم(٩٣٣)، وأخرجه مسلم في صلاة الاستقاء باب الدعاء في الاستسقاء رقم ٨٩٧

(2) أخرجه البخاري برقم(١٠١٠)

معاوية وأهل الشام بيزيد بن عبد الأسود. فإذا لا بأس بذلك إن شاء الله، كون الإنسان يتوسم الصلاح في رجل ويسأله الدعاء فلا حرج في ذلك، وهذا من باب التوسل بدعاء الحي الحاضر القادر، ولكن لابد من هذه الشروط المذكورة فيما مضى وهي أن يكون من تطلب منه الدعاء لك أن يكون حيًا وبناءً على اشتراط هذا الشرط فلا يجوز للإنسان أن يطلب الدعاء من الأموات لأن هذا من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ

الشرط الثاني: أن يكون حاضرًا عندك بمعنى أنك تراه وسواءً أكان حضوره حقيقيًا أي أمام عينك أو كان حضوره حكميًا وهي أن تخاطبه في الهاتف مثلاً وهو في مسافة بعيدة لكنه في حكم الحاضر عندك، وبناءً على اشترط الحضور فلا يجوز لك أن تطلب الدعاء من أناس غائبين عنك ليس بينك وبينهم وسيلة توصل لهم مرادك ومطلوبك، كما يفعله أتباع الصوفية أو غلاتهم فإنهم يستغيثون ويطلبون المدد من أوليائهم من مسافات بعيدة، ليسوا بحاضرين عندهم.

فإذا طلب الدعاء من الأموات :محرمٌ وشرك، وطلب الدعاء من الغائبين: محرمٌ وشرك، فلابد أن يكون المطلوب منه أن يدعو لك أن يكون حاضرًا حيًا وأن يكون صالحًا وهذا شرط لا حاجة إلى التنبيه عليه لأن الإنسان عادة وفطرة لن يذهب إلى رجل فاسق يطلب منه الدعاء وإنما الناس إذا توسموا الصلاح في رجل فإنهم يطلبون منه الدعاء.

هذا هو جواب المسألة باعتبار الأصالة، وهي أنَّه أمرٌ جائزٌ ولا حرج فيه ولا بأس، ولكن لو سألتني وقلت: هل هو الأولى والأفضل؟ أم أن الأولى والأفضل تركه؟

فأجاب - عفا الله عنه-: بل الأولى والأفضل أن لا تتطلب من أحد شيئًا، وأن لا تحتاج إلى أحد في شيء، فقد كان النبي - ﷺ - يأخذ العهد على بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا حتى كان سوط أحدهم يسقط فينزل من على دابته، ولا يقول لمن أسفل منه ناولنيه، ولأن المتقرر في طبائع الناس أن مقدارك من قلوبهم يسقط ويضعف بقدر سؤالك وحاجتك لهم حتى وإن احتجت إليهم في شربة ماء، فإذا كنت مستغنيًا عن أن يدعو لك غيرك فلا تطلب من أحد شيئًا هذا هو الأولى والأكمل، لكن إن طلبت فإنه أمر جائز لا بأس به ولا حرج فيه، والله أعلم ..

i

٩٤. سُئِلَ الشيخ: يقول ما الحكم في طلب الدعاء من الآخرين؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد:

المتقرر عند العلماء أن طلب الدعاء من الحي الحاضر القادر مما يجوز التوسل به، فلا بأس أن تطلب الدعاء ممن تراه صالحاً، فإن الصالح ممن ترجى إجابته بإذن الله -عَزَّوَجَلَّ-، فقد كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ أن يدعوا لهم، وهذا في أحاديث كثيرة، أذكر لك منها ما في الصحيحين من حديث أَنَسُ بْنُ مالكٍ، قَالَ: ((أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ المَالُ، وَجَاعَ العِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَسْقِيَنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ، قَالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ،

قَالَ: فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَفِي الغَدِ، وَمِنْ بَعْدِ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، فَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ - أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا)) قَالَ: فَمَا جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ، حَتَّى صَارَتِ المَدِينَةُ فِي مِثْلِ الجَوْبَةِ حَتَّى سَالَ الوَادِي، وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، قَالَ: فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ))[١]، وكذلك كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يطلبون من العباس أن يدعوا لهم في صلاة الاستسقاء.

ففي صحيح الإمام البخاري من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا)) قَالَ: فَيُسْقَوْنَ))[٢]، وكذلك ندبنا النبي ﷺ أن من رأى أويس القرني وهو من كبار التابعين أن يطلب منه أن يستغفر له، لأنه كان براً بأمه، يعني أن نطلب من أويس أن يستغفر لنا لعظم منزلته عند الله بسبب بره بأمه، كما جاء في الحديث: عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، ((أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَفَدُوا إِلَى عُمَرَ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنَ الْقَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: ((إِنَّ رَجُلاً

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَنْ تَمَطَّرَ فِي المَطَرِ حَتَّى يَتَحَادَرَ عَلَى لِحْيَتِهِ] (٣٢/٢)، برقم: [١٠٣٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ](٦١٤/٢)، برقم: [٨٩٧].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [ذِكْرِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ](٢٠/٥)، برقم: [٣٧١٠].

يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ))(١).

كذلك استسقى معاوية أهل الشام بيزيد بن عبد الأسود، فإذا لا بأس بذلك إن شاء الله، كون الإنسان يتوسم الصلاح في رجل ويساله الدعاء، فلا حرج في ذلك وهذا من باب التوسل بدعاء الحي الحاضر القادر، ولكن لابد من هذه الشروط المذكورة فيما مضى، وهي أن يكون من تطلب منه الدعاء لك أن يكون حياً، وبناء على اشتراط هذا الشرط فلا يجوز للإنسان أن يطلب الدعاء من الأموات، لأن هذا من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ،

الشرط الثاني أن يكون حاضراً عندك بمعنى أنك تراه، وسواء أكان حضوره حقيقياً أي أمام عينك، أو كان حضوره حكمياً وهي أن تخاطبه في الهاتف مثلاً وهو في مسافة بعيدة لكنه في حكم الحاضر عندك، وبناء على اشتراط الحضور فلا يجوز لك أن تطلب الدعاء من أُناس غائبين عنك ليس ببينك وبينهم وسيلة توصل لهم مرادك ومطلوبك، كما يفعله أتباع الصوفية أو ولاتهم، فإنهم يستغيثون ويطلبون المدد من أولياءهم من مسافات بعيدة ليسوا بحاضرين عندهم فإذا طلب الدعاء من الأموات محرم وشرك، وطلب الدعاء من الغائبين محرم وشرك، فلابد أن يكون المطلوب منه أن يدعوا لك أن يكون حاضراً حياً، وأن يكون صالحاً وهذا شرط لا حاجة إلى التنبيه عليه، لأن الإنسان عادة وفطرة لن يذهب إلى رجل فاسق يطلب منه الدعاء، وإنما

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مِنْ فَضَائِلِ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] (١٩٦٨/٤)، برقم: [٢٥٤٢].

الناس إذا توسموا الصلاح في رجل فإنهم يطلبون منه الدعاء، هذا هو جواب المسألة باعتبار الأصالة، وهي أنه أمر جائز ولا حرج فيه ولا بأس، ولكن لو سألتني وقلت هل هو الأولى والأفضل أم أن الأفضل والأولى تركه؟ الجواب: بل الأولى والأفضل ألا تطلب من أحداً شيئاً، وألا تحتاج إلى أحد في شيء، فقد كان النبي ﷺ يأخذ العهد على بعض أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً، حتى كان سوط أحدهم يسقط فينزل من على دابته ولا يقول لمن أسفل منه ناولني.

ولأن المتقرر في طبائع الناس أن مقدارك من قلوبهم يسقط ويضعف بقدر سؤالك وحاجتك لهم، حتى وإن احتجت إليهم في شربه ماء، فإذا كنت مستغنياً عن أن يدعوا لك غيرك، فلا تطلب من أحد شيئاً هذا هو الأولى والأكمل، لكن إن طلبت فإنه أمر جائز لا بأس به ولا حرج فيه، والله أعلم

i

مسائل في الاستغاثة:

٩٥. سُئِلَ الشيخ :ما رأيكم فيمن يستدلون على جواز الاستغاثة بحديث إذا أصاب أحدكم عرجة أو عرجة بأرض فلاة فلينادي أعينوني عباد الله؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد من المعلوم أن استنباط شيء من الأحكام الشرعية وإقرار أنه من الشريعة ؛ هذا لا بد أن يكون مبنيًّا على صحة الحديث أولًا فلا بد أولًا أن ننظر في صحة الحديث أهو حديث صحيح يصلح أن يستنبط منه الحكم الشرعي أم لا؟ وبعد النظر في هذا

الحديث وجدنا أنه مرويٌّ من عدة طرق لا يصح منها شيء عن النبي -صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم- وبما أنه لا يصح من هذا الحديث شيء من طُرقه، فلا ينبغي أن نجعله محلاً صالحًا للاستنباط لأن المتقرر في القواعد: أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة. وأما ما كان من قبيل الحديث الضعيف فإنه ليس محلاً صالحًا للاستنباط هذا أولًا ؛ ولكن على القول أنه حديث حسن: فنجيب عنه بما أجاب به بعض أهل العلم من أن لله عبادًا لا تراهم أعيننا يسمعون خطاب هذا الشخص فليس ذلك من دعاء الغائبين ولا مقيسًا على دعاء الأموات ولا مقيسًا على دعاء من بينك وبينه آلاف الأميال، وتطلب منه الغوث والمدد وإنما هذا نداء لمخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ حاضرة من ملك أو جن مسلم ومن المعلوم أن الأرض ممتلئة بالملائكة كما أن السماء قد أطت وحق لها أن تئط لامتلائها بالملائكة، وكذلك الجن قد عمَّروا الأرض، منهم المسلم ومنهم الكافر فإذا قال يا عباد الله أغيثوني، يقصد بذلك نداء من كان قريبا منه من عباد الله من ملك أو جن حاضر فلا يجوز أن يستدل بهذا الحديث على دعاء الأموات الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (سورة فاطر-٢٢) ولا يجوز أن يستدل به على دعاء الأحياء الغائبين عنك والذين بينك وبينهم مسافات شاسعة فإنك لا تفعل ذلك إلَّا لأنك تعتقد أن لهم تصرفًا خفيًّا في الكون هذا إذا سلمنا صحة الحديث فلا يكون ذلك من الاستغاثة بالأموات ولا من الاستغاثة بالغائبين من الأحياء وإنما هو استغاثة بالقادر الحاضر من عباد الله ممن أخفى الله عَزَّوَجَلَّ عالمهم عنا من ملك أو جن مسلم حاضر وقت النداء، سامع لكلامك واستغاثتك فهي من باب الاستغاثة بالحي في الأمر بالحي الحاضر في الأمر المقدور عليه، فلا يفرح بذلك أحدٌ ممن

يقر جواز الاستغاثة بالأموات أو الاستغاثة وطلب المدد من الأحياء الغائبين فأنا إما أن نجعله من الأحاديث الضعيفة وهو الأصح عندي وإذا حكمنا عليه بأنه حديث حسن ؛ فيجاب عليه بأنه من قبيل الاستغاثة بالحي الحاضر القادر والله أعلم.

i

٩٦. سُئِلَ الشيخ: البعض يقول يا حبيبي يا رسول الله فهل هذا يجوز؟ أم غير جائز ويدخل في الاستغاثة؟؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد –

المتقرر في القواعد (أن الأمور بمقاصدها وأن الأعمال بنياتها وأن الألفاظ قوالب للمقاصد) فهذا الكلام نرده إلى مقصده، فإن كان يقصد به مجرد الإخبار أن النبي ﷺ حبيبه وخليله فلا بأس ولا حرج في هذا، فإنه يعتبر تصريحًا بما يجب اعتقاده في القلب لقول النبي ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبُّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين

(فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَا، والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ، فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: الآنَ يا عُمَرُ.) وفي الصحيحين من حديث أنس قال :قال النبي ﷺ (ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ بهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَن كانَ اللَّهُ

ورَسولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما»[1]) فإذا قال يا حبيبي يا رسول الله يقصد به الإخبار عن عقيدته في قلبه فهذا لا بأس به ولا حرج وأما إذا كان يقصد بذلك الاستغاثة ومناداة رسول الله ﷺ ودعائه من دون الله؛ فلا جرم أن هذا من صرف الدعاء لغير الله.

والمتقرر في القواعد (أن كل من صرف شيء من الدعاء لغير الله عَزَّوَجَلَّ فقد كفر أو أشرك) والله أعلم.

i

٩٧. سُئِلَ الشيخ: كيف نرد على من يقول في قوله يا رسول الله مدد أغثني، يقول ﴿محرم ولفظ ممنوع، ولا يحكم على قائله بالشرك لأنه متأول، ومراده الإقسام على الله أو التوسل إليه﴾؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، المتقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة والجماعة أن كل من دعا ميتا فإنه يعتبر مشركًا، والمتقرر في القواعد أن كل من دعا غائبًا فإنه يعتبر مشركًا، والمتقرر في القواعد أن كل من دعا حيًّا حاضرًا في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله -تبارك وتعالى- فإنه يعتبر مشركًا، ومن المعلوم أن الشرك أعلى درجات التحريم، فإذا سمعت أهل العلم يقولون هذه اللفظة محرمة فإن وصفها بالتحريم لا يتنافى مع كونها شركًا، ووصف الفعلة بأنها محرمة لا يتنافى مع قولنا بأنها بدعة، فهم يريدون بيان حكمها العام وهي أنها محرمة، ولكن حكمها الأخص أنها من الألفاظ الشركية، فوصف الشيء

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٦) مسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم ٤٣.

بأنه محرم لا يتنافي مع وصفه بأنه شرك، والله أعلم ..

i

٩٨. سُئِلَ الشيخ: متى تكون الاستغاثة شرك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين ؛ كل من صرف شيئا لغير الله عَزَّوَجَلَّ على وجه لا يليق صرفه إلا لله فقد وقع في الشرك، ومن ذلك الاستغاثة، فإن الاستغاثة لا يجوز صرفها لغير الله إن كانت في أمر لا يقدر عليه إلا الله، وبناءً على ذلك فكل من استغاث بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله فقد استغاث استغاثة شركية، ومثال على ذلك: أن يستغيث بالأموات، فاستغاثته بالأموات تعد استغاثة في أمر لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك الأحياء الغائبين، وذلك لأن المستغيث إنما استغاث بهم ظناً منه أن لهذا المستغاث به تصرفاً بالكون، وهذه حقيقة الاستغاثة الشركية، فكل من استغاث بميت أو بالأحياء الغائبين أو بالأحياء الحاضرين في أمر لا يقدرون عليه فقد استغاث استغاثة شركية، ويقابلها الاستغاثة الجائزة وهي أن يستغيث بإنسان حيٍّ حاضرٍ قادرٍ وهذا جائز والله أعلم.

i

الباب الثالث: الإيمان باليوم الآخر

الفصل الأول: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت.

٩٩. سُئِلَ الشيخ: هل الأموات يحسون بالأحياء؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، المتقرر عند العلماء: أن أحوال الأموات غيبيةٌ، وما كان من أمور الغيب فإن مبناه على التوقيف إثباتًا ونفيًا، فلا نثبت لعالم الأموات إلا ما أثبته النصُ، ولا ننفي عن عالم الأموات إلا ما نفاه النص.

وأما ما لم يرد الدليل بنفيه ولا إثباته، فإنه لا حق لأحدٍ أن ينفيه ولا أن يثبته، إذا عُلم هذا فليعلم أن الأدلة قد أثبتت جملاً من الأشياء في عالم الأموات:

أثبتت الأدلة أولًا: أن الميت قد يسمع قرع نعال من دفنه، إذا ولَّوا عنه مدبرين، فالميت يسمع قرع نعالهم لما في الصَّحِيحَ من حديث أنسٍ –رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ–، قال: ﴿إذا وُضِعَ في قَبرِه، وتَولَّى عَنه أصحابُه، إنَّه ليَسمَعَ قَرْعَ نِعالِهم...﴾[1].

وهذا السماع سماعٌ في عالم البرزخ، ليس كسماع الإنسان في هذه الدنيا، لأنه سماعٌ في أمرٍ غيبي، فالواجب علينا أن نتوقف في كيفية سماعه مع إغلاق أذنيه بالكفن، وإغلاق اللبن عليه وإهالة التراب عليه، فكيف يسمع مع هذا كله؟.

فنقول: هذا وإن كان غير مقدورٍ في حق سماع الأحياء، فإننا لا نتكلم عن سماع الأحياء الآن، وإنما نتكلم عن سماع الميت.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠)

ومن جملة ما أثبتته الأدلة كذلك: أن الإنسان إذا مات واستغفر له أحد الأحياء، فإنه ربما يخبر بمن استغفر له من الأحياء، كما ثبت ذلك في مسند الإِمَام أحمد، وسنن الإِمَام ابن ماجة، وحسنه الإِمَام الألباني من قول النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّى هذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ﴾[١]، فأخبروه بمن أوصل له هذا، فأخبروه بمن كان سببًا في وصول هذا الخير له.

ويؤكد ذلك أَيْضًا عموم قول النبي ﷺ: ﴿إنَّ أعمالَكم تُعرَضُ على أقارِبِكم وعشائِرِكم من الأمواتِ، فإنْ كان خيرًا استَبْشَروا به، وإنْ كان غيْرَ ذلك، قالوا: اللهمَّ لا تُمِتْهم، حتى تَهديَهم كما هَدَيْتَنا﴾[٢]، فإذًا ؛ عِلْمُ الميت بمن استغفر له، علمٌ إجمالي لا يلزم أن يكون تفصيليًا، وعِلْمُ الميت بمن زاره إنما هو علمٌ إجمالي لا يلزم أن يكون تفصيليًا، وعِلْمُ الميت بمن أهدى له شيئًا من ثواب الأعمال أَيْضًا هذا علمٌ إجمالي لا يلزم أن يكون تفصيليًا، وعلمه بما حصل في بيته من الأمور التي تُسعد، أو الأمور المحزنة المقلقة أو المصائب، هذا يعلمها الميت علمًا إجماليًا لا علمًا تفصيليًا، كما ثبت بذلك الدليل، وفي صحيح الإِمَامِ مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ؛ أنه قال للناس في مرض موته قال: ﴿ثُمَّ أقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ ما تُنْحَرُ جَزُورٌ ويُقْسَمُ لَحْمُها، حتَّى أسْتَأْنِسَ بكُمْ، وأَنْظُرَ ماذا أُراجِعُ به رُسُلَ رَبِّي﴾[٣].

إذًا أثبتت أنه يستأنس بهم إذا كانوا عند قبره يدعون له، فالأدلة أثبتت ذلك الأمر ولكن لا يلزم أن يكون ذلك على وجه التعيين والتفصيل، وإنما يكون

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٦٦٠) وصححه الألباني في [الصحيحة: ١٥٨٩]

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٢٦٨٣) وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٥٨)

(٣) أخرجه مسلم برقم ((١٢١))

على وجه الإجمال.

فهو يعلم أنه حصل في بيته أمورٌ مفرحة؛ لكن لا يلزم أن يعلم بها على وجه التفصيل، ويعلم أنه حصل في بيته مثلاً أمورٌ مقلقة ومصائب محزنة؛ ولكن لا يلزم أن يعلمها على وجه التفصيل، هذا ما ظهر لي في هذه المسألة بناءً على هذه الأدلة -واللَّهَ تعالى- أعلم.

i

١٠٠. سُئِلَ الشيخ: هل ملك الموت الذي يقبض الأرواح هو نفسه الذي يقبض أرواح الحيوانات؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر عند العلماء أن المسائل الغيبية لا يجوز إثباتها أو نفيها إلا بدليل يثبتها أو ينفيها فما أثبته النص كتابًا وسنة في أمر من أمور الغيب وجب إثباته وما نفاه الكتاب والسُّنة منها فإن الواجب نفيه وما لم يثبته الكتاب ولا السُّنة فإن الواجب علينا ألَّا نثبته وألَّا ننفيه، والمتقرر عند العلماء أنه لا مدخل للعقول في مسائل الغيب.

فينبغي في مثل هذه المسائل أن نربي أنفسنا وأبناءنا وطلابنا على ألا يُدْخلوا عقولهم فيها وألا يُكثروا من مثل هذه الأسئلة التي ربما أوجبت لهم شيئًا من الشُبهات أو الخيالات الفاسدة التي تفسد عقيدتهم، وعلينا أن نربيهم على أن يعظموا أمر الله تبارك وتعالى - وألا يدخلوا في مثل هذه المتاهات.

إذا علم هذا ؛ فليعلم أن الله تبارك وتعالى - أخبر أن الملك الذي يقبض الأرواح إنما هو ملك الموت قال الله تبارك وتعالى - في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة:١١]

فالذي يقبض أرواح بني آدم إنما هو ملك الموت، وأما أرواح البهائم والطير وغيرها من سائر أصناف الحيوانات على وجه الكرة الأرضية فإننا لا نعلم نصًا ورد في ذلك لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة فيما نعلم، لا نعلم دليلاً يدل لا من الكتاب ولا من السُّنة الصحيحة على أن ملك الموت هو الموكل بقبض أرواح البهائم والطير، وإنما ورد في ذلك بعض الآثار أو بعض الأحاديث التي لا تصح من جهة إسنادها كالحديث الذي رواه بعضهم بلفظ: آجالُ البَهائمِ كلِّها منَ القملِ والبراغيثِ والجرادِ والخيلِ والبغالِ كلِّها، والبقرِ وغيرِ ذلِكَ، آجالُها في التَّسبيحِ، فإذا انقضى تسبيحُها قبَضَ اللَّهُ أرواحَها وليسَ إلى ملَكِ الموتِ من ذلِكَ شيءٌ[1]). وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء.

لكن هذا الحديث بهذا اللفظ لا يصح مرفوعًا للنبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - بل حكم عليه جمع كثير من أهل العلم بأنه حديث موضوع.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الملك الموكل بقبض الأرواح على وجه العموم والإطلاق سواءً بني آدم أو الجن أو غيرهما من أصناف المخلوقات من الحيوانات وسائر البهائم والطير أن الموكل بقبض الجميع إنما هو ملك الموت.

ومن أهل العلم من قال بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يتوفى أرواح البهائم والطير بنفسه فيعدم حياتها كما ذكر ذلك جمع من أهل العلم - رحمهم الله تعالى - فالله أعلم بالحال، فالذي يخصنا هنا أن الموكل بقبض أرواح بني آدم إنما هو ملك الموت وأن الموكل بقبض أرواح البهائم أمره إلى الله تبارك وتعالى - ولم يكلفنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتعرف على شيءٍ من ذلك ولا أن نعتقد شيء من ذلك، فالتنطع في البحث عن إجابات لمثل هذه الأسئلة من جملة ما نهى عنه النبي

(١) قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٨٨/٤): موضوع

ﷺ في قوله: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))[١]، فهذا من البحث الذي لا فائدة فيه ومن التعمق والتكلف الذي نُهينا عنه شرعًا لأنه لا يترتب عليه لا ثمرة دينية ولا ثمرة دنيوية، والله تبارك أعلى وأعلم.

i

١٠١. سُئِلَ الشيخ: هل يوجد سبعة أبحر مثل السماوات والأرضين فإن كان يوجد فأين هي؟ أم هو من علم الغيب؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد أن ما كان غيبيًّا فإنه يكون توقيفيًّا على النص، فلا حق لأحد أن يعمد إلى شيء من أمور الغيب فيثبت له شيئًا إلّا وعلى ذلك الاثبات دليل من الشرع ولا أن ينفي عنه شيئًا إلّا وعلى هذا النفي دليل من الشرع وهذه الأبحر هي من أمر الغيب الذي لا يعلمه الا الله عَزَّوَجَلَّ فليس هناك دليلٌ يصح مرفوعًا للنبي ﷺ في هذه الأبحر السبعة وكل حديث في هذه الأبحر السبعة فإنه حديث ضعيف جدًا لا تقوم بمثله الحجة ولا يصلح أن يكون مستندا لإثبات هذا الأمر الغيبي فالراجح عندنا في هذه المسألة هي التوقف فلا نثبت لعدم وجود الدليل الدال على هذا الإثبات ولا ننفي لعدم وجود الدليل الدال على هذا النفي، وما لم يرد إثباته في شيءٍ ولا نفيه في الأمر الغيبي فإنه لا حقَّ لأحدٍ أن يثبته ولا أن ينفيه والله أعلم.

i

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ] (٤/٢٠٥٥)، برقم: [٢٦٧٠].

فتنة القبر ونعيمه وعذابه وما يكون فيه.

١٠٢. سُئِلَ الشيخ عن :حديث ﴿وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ﴾ [(١)] هل هذا صحيح أحسن الله إليكم؟ وهل الضمَّة تشمل المسلمين والكافرين سويًا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ فنؤمن بما قاله النبي ﷺ إيمانًا مقرونًا بالتسليم والإذعان وعدم السؤال عن الكيف، وعدم عرض ذلك الأمر على العقل (أيقبله أو لا يقبله)، آمنَّا بما قاله النبي ﷺ وصدَّقنا به التصديق الجازم الكامل؛ بأن من قُبر فسيصيبه شيءٌ من ذلك، ولكن ليست هذه ضمَّة التعذيب التي تكون للكفار حتى تختلف أضلاعهم فيها ؛ وإنما يقول كثير من أهل العلم بأنها ضمَّة الترحيب وليست ضمَّة التعذيب... والله أعلم.

i

١٠٣. سُئِلَ الشيخ: ما صحة كلام بعض الأشخاص في أن سؤال منكر ونكير يسقط عن بعض الناس فهل هذا صحيح؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد(أن ما ورد من الألفاظ عاما، فالواجب بقاؤه على عمومه ولا يجوز أن يُخص إلّا بدليل).فهذا حق الألفاظ العامة كتابًا وسُّنة. وقد دلت الأدلة المثبتة لسؤال

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٥٥، قال الهيثمي ٣/ ٤٦: وقال كلا الطريقين رجالها رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٨٠).

منكر ونكير، وفتنة القبر؛ أنها من جملة الفتنة العامة لورودها بالألفاظ العامة. كقول النبي ﷺ: (إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ)(١) فقوله العبد اسم جنس أو مفرد دخلت عليه الألف واللام فيقتضي ذلك العموم. وكذلك في الحديث (إذا أُدْخِلَ المَيِّتُ القبرَ)(٢)وفي الحديث الأخر(إنَّ الميِّتَ يصيرُ إلى القبرِ، فيَجلسُ الرَّجلُ الصَّالحُ في قبرِهِ، غيرَ فزِعٍ، ولا مَشعوفٍ، ثمَّ يقالُ لَهُ: فيمَ كنتَ؟ فيقولُ: كنتُ في الإسلامِ، فيقالُ لَهُ: ما هذا الرَّجلُ؟ فيقولُ: محمَّدٌ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ،)(٣) إلى أخر الأحاديث الواردة في ذلك.

فإذا نظرنا إلى تلك الأسئلة التي سيُسأل عنها المؤمن في قبره وجدنا النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أخرجها بألفاظ عامة. والأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص، وبناءً على ذلك فكل أحد أُدخل في قبره فإنه لابد وأن يُسأل؛ إلّا إذا نص دليل بخصوصه، أن هذا الميت لن يسأل في قبره أو سيقيه الله عَزَّوَجَلَّ فتنة القبر. كالشهيد، فإن الأدلة دلَّت على أنه ليس من جملة من يُسألون في قبورهم. وكذلك من مات مثلا في يوم الجمعة أو في ليلة الجمعة فإن الدليل قد دل بأنه من جملة من سيقيه الله عَزَّوَجَلَّ هذه الفتنة. كما أخرجه

---

(١) أخرجه البخاري كِتَابُ الجَنَائِزِ بَابٌ: المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ برقم (١٣٣٨) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم ٢٨٧٠

(٢)أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٩ مسند ابن عمر رضي اللَّه عنهما، وأخرجه أبو داود في السنن كتاب الجنائز، باب في الدعاء للميت..، الحديث (٣٢١٣). والترمذي في السنن الحديث (١٠٤٦)، وابن ماجة كتاب الجنائز: باب ما جاء في إدخال الميت القبر، حديث «١٥٥٠» وصححه الألباني في المشكاة برقم ١٧٠٧ والإرواء (٧٤٧)

(٣)) أخرجه أحمد (٨٧٥٤) و (٢٥٦٠٣) و«ابن ماجة» ٤٢٦٢ و٤٢٦٨. و«النَّسائي» في «الكبرى» ١١٣٧٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ١٩٦٨، والمشكاة ١٣٩

الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال قال النبي - صلَّي الله عليه وسلَّم- (ما من مسلمٍ يموتُ يومَ الجُمُعَةِ، أو ليلةَ الجُمُعَةِ، إلا وَقَاهُ اللهُ فتنةَ القبرِ)[١]. وكذلك من يموت بداء البطن فإن من قتله بطنه لم يعذب في قبره. كما أخرج الإمام الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال قال النبي ﷺ (مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ)[٢].

والخلاصة: من ذلك أن الأصل هو العموم في هذا السؤال إلا إذا دل الدليل الصحيح الصريح على الاستثناء فإننا نقول بالتخصيص حينئذ لوجود الدليل الدال عليه وإلا فالأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص. والله أعلم

i

١٠٤. سُئِل الشيخ: هل دعاء الأحياء بالمغفرة للميت وفتنته في القبر قد تكفّر عنه الكبيرة بعد موته؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله نثبت ذلك من غير تفاصيل و إنما نقول بأن ما يصاب به الإنسان في قبره فإنه من جملة مكفرات ذنوبه صغيرةً كانت أو كبيرة على ما يريده الله عَزَّوَجَلَّ و كذلك أيضاً دعاء المسلمين للميت واستغفارهم و استرحامهم له فهذا من جملة المكفرات عن الميت صغائر أو كبائر على ما

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٦٥٨٢) والترمذي برقم (١٠٧٤) وحسنه الألباني، المشكاة (١٣٦٧)، الأحكام (٣٥)

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٠٦٤) والنسائي برقم (١٠٦٤) وصححه ا الألباني في أحكام الجنائز ٣٨، المشكاة ١٥٧٣، ٦٤٦١ في صحيح الجامع.

يريده الله عَزَّوَجَلَّ و لذلك شُرع لنا معاشر المسلمين أن ندعو للميت بين أيدينا في صلاة الجنازة وشُرع لنا كذلك أن نستغفر له بعد الفراغ من دفنه، وكل ذلك يشتمل على الدعاء له بالمغفرة كما نقول (اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد) يغسله من ماذا؟ يغفر له ماذا؟ أوَ ليست الذنوب والمعاصي؟ الجواب بلى، وفي حديث عثمان (أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه و قال ﴿استغفِروا لأخيكُم، وسَلوا لَهُ التَّثبيتَ، فإنَّهُ الآنَ يُسألُ.﴾[1] يستغفرون له مما ارتكبه من الذنوب و المعاصي، فما يصيب المؤمن في قبره يعتبر كفارة لذنوبه صغيرةً كانت أو كبيره من غير تفصيل، وما يدعو به المسلمون لإخوانهم و يستغفرون به لأخيهم الميت أيضاً يعتبر من جملة المكفرات عنه في قبره من غير تفصيل، هل لا يكفر إلا الكبائر فقط، أو لا يكفر إلا الصغائر فقط، فكل هذه التفاصيل لا ندري عنها و لكننا نثبت مجملها و هي أنها من جملة الكفارات... والله أعلم.

i

١٠٥ . سُئِل الشيخ: ذكرتم في كتابكم ﴿تمام المنَّة في بعض ما أجمع علية أهل السُّنَّة والجماعة﴾ بالإجماع على كفر من أنكر نعيم القبر وعذابة، وأنَّه محل للسؤال عن الرب، والدين، والنبي، فهل هذا الإجماع ظني أم قطعي أحسن الله إليكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–/ الحمد لله رب العالمين: قبل أن أُجيب عن سؤالك لابد و أن أُبين لك مشكلة خفيفة هي التي أوجبت لك هذا السؤال، هذا

(١) أخرجه أبو داوود برقم (٣٢٢١) وصححه الألباني في المشكاة برقم ١٣٣

الإنكار المذكور في هذا الإجماع - هل هو إنكار الجحود والتكذيب؛ أم أنه إنكار التأويل والشبهه؟ والجواب من ذلك -وفقك الله- أننا نعني الإنكار بالمعنى الأول، فكل من أنكر الأدلة الواردة في شأن نعيم القبر وعذابه وسؤاله ومايجري على الناس فيه بعد دفنهم، وكان إنكاره إنكار تكذيب للأدلة وجَحْد لها؛ فإن هذا لا جرم أنه يعتبر كافرًا ومرتدًّا، ولكن من الناس من لديه شيء من الشبهه والتأويل في هذه الأدلة، فهو لم يجحد ولم ينكر الأدلة لذاتها، ولكنه آمن بها وصدق بها وجزم أنها من قول الله ورسوله ﷺ ولكنه أخطأ في فهمها بسبب شبهة عرضت له، فهذا لابد قبل الحكم عليه بشيء من الأحكام الشرعية من كفرٍ أو فسقٍ أو بدعةٍ، أن نبين له ذلك و أن نزيح عنه تلك الشُّبهه، وأن نبين له الحجة وأن نوضح له المحجة فإن عرف وأصرَّ على جحوده؛ فحين إذٍ يعتبر كافرًا، وهذا من الإجماع المنقول عن أهل السُّنة والجماعة -رحمهم الله- والله أعلم.

i

١٠٦. سُئِلَ الشيخ: هل هناك دليل يدل على أن عذاب القبر وفتنته تكفير للذنوب؟

فأجاب - عفا الله عنه- الحمد لله رب العالمين، لا أعلم خلافاً بين أهل السُّنَّة والجماعة، بأن ما يُصِب مؤمن في قبره، يعتبر كفارة له، ولذلك في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: (مرَّ النَّبيُّ ﷺ على قبرينِ فقال: إنَّهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، ثمَّ قال: بلى، أمَّا أحدُهما فكان يسعى بالنَّميمةِ، وأمَّا الآخَرُ فكان لا يستنزِهُ مِن بولِه، ثمَّ أخَذ عودًا فكسَره باثنينِ ثمَّ غرَز كلَّ واحدٍ منهما

على قبرٍ ثمَّ قال: لعلَّه يُخفَّفُ عنهما العذابُ ما لم ييبَسا) [١]، فهذا من باب التخفيف عنهما في هذا العذاب، فهذا دليل على أن عذاب القبر، يمكن تخفيفه، فما يصيب المؤمن في قبره من ضمَّة القبر وغيرها، إنما هو من باب كفارة ذنوبه، فدليل ذلك حديث ابن عباس الذي ذكرته لك قبل قليل وكذلك الإجماع، وقد نص أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى، بأن من جملة المكفرات العشر للذنوب والخطايا، ما يصيب المؤمن من العذاب في القبر، فجميع ما يصيب المؤمن من عذاب القبر، فإنه يعتبر كفارة له، والله أعلم.

i

١٠٧. سُئِلَ الشيخ: هل حالق الدقن وشارب الدخان إذا مات بدون توبة يُعذب في قبره؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر في قواعد أهل السُّنَّة: أن مرتكب الكبيرة أو من مات مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب والمعاصي فإنه يكون تحت المشيئةِ يوم القيامة، فلا نُجزم له بدخول الجنة ابتداءً، ولا بدخول النار ابتداءً، وإنما يكون تحت مشيئة الله -تبارك وتعالى- فإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ غفر له كبيرته أو ذنبه ومعصيته التي مات مُصِرًّا عليها، وأدخله الجنة ابتداءً، وإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ عذَّبه في النار بقدر معصيته، ثم يخرجه منها إلى الجنة انتقالاً، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لأن المتقرر بإجماع أهل السُّنة والجماعة أن فِعْل الكبيرة أو شيءٍ من الذنوب والمعاصي لا يوجب انتقاض أصل الدين والإسلام والإيمان، وإنما يوجب نقصان كماله الواجب.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨) ومسلم برقم (٢٩٢)

فإذا مات الإنسان مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب أو المعاصي والكبائر فإنه لا يموت كافراً مسلوب أصل الدين، وإنما يموت ومعه شيءٌ من الإسلام والإيمان، لأن فاعل الكبيرة أو مرتكب الذنب والمعصية لا نعطيه الإيمان المطلق كما تقوله المرجئة، ولا نسلبه مطلق الإيمان كما تقوله الوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

والأمر الثاني: أن المتقرر بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة أنه لا يخلد في النار أحدٌ ممن معه أصل الإسلام والإيمان، فمهما طالت فترة عذاب صاحب الكبيرة أو من مات مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب والمعاصي في النار؛ فإنه لابد وأن يخرج منها في يومٍ من الأيام إلى الجنة.

وبناءً على هذه الأصول أقول: من مات مُصِرًّا على شيءٍ من الذنوب والمعاصي، سواءً المعاصي التي ذكرت أو غيرها من المعاصي؛ فإننا لا نجزم له بالنار ابتداءً ولا بالجنة ابتداءً، وإنما يكون تحت مشيئة الله، فإن شاء غفر له معصيته وأدخله الجنة ابتداءً، وإن شاء عذَّبه في النار بقدْرها ثم يخرجه منها إلى الجنة انتقالاً، والله أعلم.

i

١٠٨. سُئِلَ الشيخ: ما حكم مُنكِر عذاب القبر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين لابد وأن يعرف أولا بالأدلة لأنه المتقرر في القواعد أن كل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فإنه يعتبر كافرًا فلابد أولًا أن يُعرَّف بالأدلة، وأن تُكشف شبهته، وأن تقرأ عليه الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، والتي تدل على وجود شيء يقال له عذاب القبر، وأنه من

جملة أحوال البرزخ في الآخرة، وأن الإنسان إذا مات فلابد أن يصله ما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ عليه من سؤال القبر ونعيمة أو عذابه، فإن مسألة عذاب القبر قد تواترت فيها الأدلة، والمتقرر في القواعد أن كل من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فإنه يكفر؛ ولكن قبل الحكم عليه بالتكفير ؛ لابد أن نكشف شُبهته وأن نزيل تأويله، وأن ندحض حجته ثم بعد ذلك يُحكم عليه بمقتضى ما يجب علينا أن نحكم عليه به، فلا نستعجل بمثل هؤلاء لكثرة الشُّبه في هذا الزمان، لا سيما في مثل هذه المسائل، فيجب ذكر الأدلة الدالة على ذلك، وأن نبطل زيف الشُبهة، وأن نبين أن الأمر مبني على التسليم وكمال الإذعان والتصديق، لأنه أمر غيبي، و أمور الغيب ليس للعقل أن يتخوض في شيء منها، وأن الأدلة عليه كذا وكذا قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا ؛ ثم إذا عرف وأصرَّ حين إذٍ ؛ يُكفَّر لا جرم لأنه مكذبٌ للقرآن، ومكذّبٌ لما تواترت به أدلة السُّنه... والله اعلم.

i

١٠٩. سُئِلَ الشيخ: عن حكم من يقول نعتقد قَطعًا أن عذاب البرزخ حق، نصدق عذاب القبر بدون جزم لأن هناك فرق بين عذاب القبر، وعذاب البرزخ لأن النبي ﷺ رأى في المعراج أُناسًا يعذبون في النهر والتنور ويأكلون الجيف ويخمشون وجوههم وصدورهم، كيف نوفق بين عذاب القبر وبين من مات في البحر ومن أكلته الوحوش؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين أن قولنا عذاب القبر هو من باب الإضافة الأغلبية، وإلا فالمقصود أن كلَّ ما يصيب الإنسان بعد مماته من

نعيم أو عذاب أو سؤال أو جحيم أو غير ذلك ؛ فإنه داخل في مسألة عذاب القبر، سواء دُفن أو لم يُدفن وسواء أكلته النار أو سفت جثته الريح، أو أكلته السباع والبهائم، أو أكلته حيتان البحر، فجميع ما يُصيب الإنسان بعد مماته فإنه داخل في عذاب القبر، وإنما إضافة هذا العذاب للقبر إضافة أغلبية لأن أغلب من يموت إنما هو يُدفن وقليلٌ من الناس من يموت فتأكله الحيتان، وقليلٌ من الناس من يموت فتُحرق جثته النار، فهذه إضافة الأغلبية؛ فإياك أن تفهم أن من لم يُدفن لم يأته ما كُتِب عليه من العذاب أو النعيم أو السؤال، فجميع من مات فالله عَزَّوَجَلَّ سوف يوصل لروحه وجسده ما كتبه عليه من السؤال أو النعيم أو العذاب ويدل على ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ لَهُ).[١]

فهذا دليل على أن جميع من مات وخرجت روحه من جسده، ووقعت عليه المِيتَة التي كتبها الله عليه فسواء دُفن أو لم يُدفن ؛فإنه لابد وأن يأتيه ما كتب عليه في البرزخ من النعيم أو العذاب أو السؤال، فإياك أن تفهم أن هذه الإضافة في قولنا عذاب القبر هي إضافة تخصيص بمعنى أن العذاب أو النعيم أو السؤال لا يأتي إلا من دُفن في قبره بل كل من مات سواء دُفن أو لم يُدفن وسواء أُحرقت جثته، أو سفته الرياح أو أكلته السباع فصار في بطونها، أو

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٦) ومسلم برقم (٢٧٥٦)

أكلته الحيتان فصار في بطونها، فكل ذلك لا يمنع من وصول ما كُتب على الإنسان من النعيم أو العذاب أو السؤال والله أعلم.

i

١١٠. سُئِل الشيخ: عندي إشكال في نعيم المؤمن في قبره حيث أن الروح إذا كانت تُنَعَّم تكون في الجنة أو على أبوابها كما ذُكِرَ في الأحاديث الصحيحة، والسؤال هو لماذا ندعو باللهم وسع عليه قبره واجعله روضة من الجنة مع أن الروح إذا نُعمت تكون في السماء وكذلك الجسد يفنى ولا يبقى فلماذا ندعو بذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد عند أهل السُّنة والجماعة أن الأمور الغيبية مبنيَّة على التوقيف، والمتقرر في القواعد أن لا عقل استقلالًا في مسألة غيبيَّة، فهكذا أمرنا النبي ﷺ أن ندعو، فنحن ندعو ونقول كما دعا وقال النبي ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ومن غير إقحام للعقل في مثل هذه المسائل الغيبية، فوصيتي لك وفقك الله أن لا تسمح لعقلك أبدا أن يتدخل أو يتخوض في شيء من هذه المسائل الغيبية، وأن تُوقِفَه حيث وقف النص، فإن السلامة في مسائل الغيب أن يكون العقل فيها تابع للنقل، ولا عكس، فقد دلت الأدلة على أن قبر المؤمن يوسَّعُ عليه سبعون ذراعا في سبعين، وأنه يُفتح عليه شيء من قِبَل الجنة وشيء من قِبَل النار، ويقال له هذا مقعدك لو عصيت الله أبدلك الله به مقعدا في الجنة، وكل ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة المنقولة عن النبي – ﷺ– بالأسانيد الصحيحة، فنقول في مقابلها: آمنَّا وصدَّقنا وأذعنا وسلَّمنا، من غير أن نُقحم عقولنا في شيء من

ذلك، فاحذر من هذا المنزلق الخطير الذي ربما لو رضيت به فإنه سوف يُكدِّر عليك صفو إيمانك بكثير من مسائل الغيب، وإني لك ناصح في ذلك، والله أعلم.

i

١١١. سمعنا أن هناك من يقول من يكنس البيت عصرًا فإنه يعمي الموتى في قبورهم وفي الليل يكون يكنس بيت الشياطين فهل هذا صحيح؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد :المتقرر في القواعد أن الأسباب ذات الآثار الغيبيَّة مبنيَّة على التوقيف .فلا حق لأحدٍ أن يحذر الناس من شيءٍ لاعتقاده سببًا في أمر من الأمور الغيبية، إلا وعلى تلك السببية

دليل من الشرع .فمن قال بأن كَنْس البيوت في العصر يُعمي الموتى؛ فإنه يجعل سببًا أثر غيبي، ولكن أين الدليل الذي يدل على أن الموتى يتأذون بكنس الناس بيوتهم عصرًا؟ فإن هذا من الدجل والخرافة ومن العبث والكذب والبهتان والإفك العظيم على دين الله عَزَّوَجَلَّ

وكذلك أيضًا ليس هناك دليل يدل على أن كنسها ليلاً يعتبر كنسًا لبيوت الشياطين أو أن ذلك مما يدخل السعادة على الشياطين .فإن تأذي الموتى في قبورهم من أمور الغيب، وإدخال السرور على

الشياطين من أمور الغيب .فلا يجوز لنا أن نعتقد مشروعية فعل غيبي؛ إلا بدليل ولا أن نعتقد انتفاء أمر أو التحذير من أمر أثره غيبي إلا بدليل .فالواجب ألا نقبل هذه الأطروحات الفاسدة والكلام الكاذب والبهتان والأفك العظيم.

فليس هناك دليل يدل على أن كنس البيت عصرًا مكروه وإنما ذلك متروك لاختيار أصحاب البيت .فمتى ما شاءوا أن يكنسوا بيوتهم صباحًا أو ظهرًا أو عصرًا أو مغربًا أو عشاء أو في آخر الليل أو فيما بين ذلك أو أن لا يكنسوها فكل ذلك مما يدخل تحت دائرة اختيارهم وليس هناك أثر غيبي يترتب على كنس البيت لا ليلاً ولا صباحًا فالواجب أن نحمي عقولنا من هذه الأطروحات الفاسدة والأهازيج والأراجيف الكاذبة التي لا يقف ورائها دليل الشرع... والله أعلم.

i

١١٢. سُئِلَ الشيخ: ورد حديث في فتنة القبر أن الملكين لهما أنياب تحفر الأرض ويطآن في أشعارهما وأعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، فهل يصح هذا الحديث؟ وهل ورد مثل هذه الصفات في منكر ونكير؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، إن المتقرر عند العلماء أن أمور الغيب توقيفية على النصوص الصحيحة الصريحة، وأن العوالم الغيبية أمرها إثباتًا ونفيًا إنما هو توقيفيٌّ على النص، ومن المعلوم أن عالم الملائكة من العوالم التي أخفى الله عَزَّوَجَلَّ أمرها عنَّا، فذكر لهم شيئًا من الأعمال والأسماء والصفات في كتابه، فيجب علينا أن نؤمن بما أخبر به عنهم في كتابه، وصحيح سُنته فقط؛ فلا ندخل في باب الملائكة متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، مع وجوب الحذر الشديد من الأحاديث المكذوبة الموضوعة في شأن هذا العالم الغيبي وهم الملائكة، فإذًا أمر هذا العالم موقوفٌ على النص، فما أثبته النص في عالمهم أثبتناه وآمنَّا به، ومن نفاه النص عن عالمهم نفيناه، وما لم يأت

النص بإثباته أو نفيه فإنه لا يجوز لنا أن نثبته، ولا أن ننفيه بلا علمٍ ولا برهان، فمبدأ هذا الباب إثباتًا ونفيًا إنما هو توقيفي على النص، إذا عُلم هذه القاعدة المتفق عليها بين سلف الأُمة وأئمتها، حينئذٍ لابد أن ننظر فيما صح من صفة الملكين الموكلين بسؤال القبر، والمسمَّيان في بعض الأحاديث الحسنة: أنهما منكرٍ ونكير- فمن الصفات الواردة لهذين الملكين الكريمين: أنهما أسودان يقال لأحدهما: المنكر، ويقال للآخر: النكير

فقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ))[1]. ثم ذكر الكلام في شأن المسئول إذا كان منافقًا، فإذًا هذه أول صفاتهم: أنهما ملكان أسودان أزرقان.

هذا هو الذي نعلمه، وكذلك من صفاتهم: شدة انتهارهم للمقبور، لا سيما

---

(١)أخرجه الترمذي في «سننه» باب:[مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ] (٣٧٥/٣) برقم:[١٠٧١]، وحسنه الألباني في» مشكاة المصابيح» (٤٦/١) برقم:[١٣٠].

إذا كان من أهل الكفر، قال في الحديث: ((فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ))(١)، وفي رواية: ((فَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَيَنْتَهِرَانِهِ))(٢)

يعني: أنهما شديدان غليظان.

وأما حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تتناقله كثيرٌ من وسائل التواصل بلا معرفةٍ لحقيقة حاله فإنه حديثٌ ضعيفٌ ليس له سندٌ يصح مُطلقا، فقد رُوي من طُرق ضعيفة لا يصح منها شيء، فالواجب علينا: أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في مثل هذا العالم؛ فلا نقول فيه ولا نثبت فيه إلا ما عليه دليل، فالحديث الذي يقول: أن لهما أنيابًا، وأن أظفارهما تحفر في الأرض، وأن أشعارهما تجر الأرض جرا، وأن أصواتهما كالرعد القاصف، وأن أعينهما كالبرق الخاطف، وأن مع كل واحدٍ منهما عمود من حديد لو اجتمع عليه أهل الأرض ما حركوه!؟

فكل هذا مما لا يصح عن المعصوم ﷺ، وبناءً على ذلك: فهذا الحديث لا يجوز نقله، ولا روايته إلا مقرونةً ببيان ضعفها وعدم جواز نسبتها للنبي ﷺ، والله أعلم.

i

١١٣. سُئِلَ الشيخ: في حديث النبي ﷺ عندما تصعد روح الكافر لما يأخذها

---

(١)أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/٥٠٠)، وأخرجه النسائي في «سننه» باب:[الْمَسْأَلَةُ فِي الْقَبْرِ] (٩٧/٤)، برقم:[٢٠٥٠]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥١٢/١) برقم:[١٦٣٠]، واللفظ لأحمد.

(٢)أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» باب:[ذِكْرُ مَنْ قَالَ بِتَصْحِيحِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنَ السَّلَفِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْأَحْيَاءِ.] (٥١١/٢) برقم:[٧٣٣].

الملك فيقول: هذا فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فما المراد بهذه الأسماء؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العلمين، المقصود بذلك: تلك الأسماء التي تُهين الإنسان، وكانت تُغضبه إذا أُطلقت عليه في هذه الدنيا، وهي المقصودة بقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَٰبِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَٰنِ﴾(الحجرات - ١١) وهذا من باب زيادة التعذيب والتنكيل لهذا الرجل، فيُنادى بأقبح الأسماء التي كان يُنادى بها في الدنيا، من باب زيادة التعذيب والإهانة، فإن قُلتَ :وإن لم يكن له اسم قبيح في هذه الدنيا؟ فنقول يُنادى بأقبح الأسماء التي يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ فيما لو كانت ستطلق عليه فيما لو أُطلقت، وأمر ذلك بين يدي الله -تبارك وتعالى- والمقصود من ذلك أن الإنسان إذا كان له اسم قبيح في هذه الدنيا، يضيق صدره إذا سُمي به، أو كانت له كنية أو لقب لا يرضى في هذه الدنيا أن يلقب أو يكنى بها، فإنه في ملكوت السماء سيُكنَّى بها، ويطلق هذا الاسم القبيح عليه إن كان من أهل النار - والعياذ بالله - والله أعلم.

i

١١٤. سُئِلَ الشيخ: هل صحيح أن الميت يُسمح له أن يزور أهله وأهل بيته، هل هذه المعلومة صحيحة جزاكم الله خيرا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا نعلم في ذلك شيئًا ثابتًا عن النبي ﷺ، والمسألة -كما لا يخفى على شريف علمكم أيها السائلون- أنها من جملة المسائل الغيبية، والمتقرر عند العلماء: أن باب الغيب مبني على

التوقيف، فلا يجوز لنا أن نثبت شيئًا من الأحكام الغيبية، لا سيما إذا كانت متعلقةً بشيء من الاعتقاد.

إلا وكان على ذلك الإثبات دليلٌ من الشرع، فإذًا؛ الأمر ليس مفتوحًا لا للأهواء ولا للرغبات ولا للخجلات النفسية ولا للرؤى والمنامات مدخلٌ في ذلك ؛ لأن المسألة تفتقر إلى ثبوت شيء من الأدلة، ولا نعلم شيئًا من ذلك يثبت ذلك لا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا من السُّنة الصحيحة المنقولة بالسند الصحيح عن النبي ﷺ، ولا نعلمه كذلك واردًا عن أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، فحيث لم يثبت لا في الكتاب ولا في السُّنة الصحيحة ولا عن السلف الصالح؛ فحينئذٍ لا يجوز لنا أن نقول به، والمتقرر عند العلماء: أن الإنسان إذا خرج من هذه الدنيا فإنه يبقى في دار البرزخ، فكونه يرجع إلى هذه الدنيا هذا رجوع يحتاج إلى شيء يثبته فلا نقبل هذا الكلام أبدًا لعدم ثبوته بالدليل، فهي من جملة الأشياء التي يجب أن نُنزه معتقداتنا عنها، وأن نبتعد بأسماعنا عن قبولها، والله أعلم.

i

١١٥. سُئِل الشيخ: عندما يموت الشخص ويوضع في قبره هل يشعر في ذلك؟ وهل يعلم بأنه انتقل إلى الدار الآخرة؟ وهل يذكر أهله وأولاده؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد: أن ما كان غيبياً فإنه يكون توقيفيًّا. والمتقرر في القواعد: أن أمور البرزخ غيبية، فلا يجوز أن نثبت منها إلا ما أثبته النص، ولا ننفي منها إلا ما نفاه النص، وأما ما لم يأت النص بإثباته أو نفيه فإنه لا حق لأحدٍ أن يثبته وينفيه.

وبناءً على ذلك فأقول: أما قولك: هل يعلم الإنسان بموته ودخوله في قبره أنه انتقل إلى الدار الآخرة؟ الجواب: نعم يعلم ذلك، لأن المتقرر بالأدلة أن الروح بعد مفارقة الجسد تبقى منعَّمة أو معذَّبة، فهو يحسُّ بدخول الملائكة عليه في قبره، ويحسُّ بسؤالهم، ويسمع سؤالهم ويجيب تساؤلهم إذا وفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ للإجابة، ولذلك دلَّت الأدلة على أن العبد إذا وُضِع في قبره أتاه مَلَكان أسودان أزرقان يُقال لأحدهما المنكر ويُقال للآخر النكير، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمدٍ ﷺ. فيقول: هو عبد الله ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. إلى آخر الأحاديث الواردة في مثل هذا النوع، كما في جامع الترمذي من حديث أبي هريرة وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب، والأدلة في ذلك كثيرة[١].

فالإنسان يعلم أنه انتقل إلى الدار الآخرة، وروحه تعلم ذلك، وتبقى منعَّمة أو معذَّبة، ويُسأل ويُجيب، ويُضرب بمطارق من حديد إذا لم يجِب، ويصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، كل ذلك قد ثبتت به الأدلة الصحيحة.

وأما قولك: هل يتذكر أهله؟ الجواب: نعم، بل ويطلب الرجعة إليهم، كما في جامع الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة إذا قال له المَلَكان له بعد إجابته الموفقة: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، قال: حتى أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيُقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، فيبقى فيها منعَّماً حتى يبعثه الله -عَزَّوَجَلَّ- من مضجعه ذلك، والله أعلم.

---

(١)أخرجه أحمد في «مسنده» (٥٠٠/٣٠)، وأخرجه النسائي في «سننه» باب:[الْمَسْأَلَةُ فِي الْقَبْرِ] (٩٧/٤)، برقم:[٢٠٥٠]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥١٢/١) برقم:[١٦٣٠].

i

١١٦. سُئِلَ الشيخ: قرأتُ في بعض الكتب أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور، وأنهم استشهدوا بآثار عن ابن أبي الدنيا، وجزموا بها، فهل هذا القول صحيح؟ وهل هناك أحاديث من السُّنَّة تدل على أن أرواح الموتى تتلاقى أو تتزاور؟.

الحمد لله رب العالمين وبعد، لا أحفظ دليلاً صحيحًا صريحًا مرفوعا للنبي ﷺ يدل على هذه الجزئية بخصوصها، إلا أنَّه وردت فيها بعض الآثار عن بعض الصحابة أو بعض التابعين، وكأن بعض أهل العلم رأى أنَّ تواترها دليل على وجود أصل لها، وإلا فلا أعلم في الحقيقة دليلاً يدل على تزاور أرواح هؤلاء مع هؤلاء، اسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا وإياكم من أهل الإيمان، فحيث كانت المسألة غيبية فإنه لابد في إثباتها من دليلٍ شرعي صحيح، والله أعلم.

i

الفصل الثاني: القيامة الكبرى وأهوالها

١١٧. سُئِلَ الشيخ: أرض المحشر هل هي فلسطين؟ وأين يكون الحساب يوم القيامة؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لقد دلَّت الأدلة على أن الأرض التي يُحشر اليها الناس، ويحاسبون عليها، أنها أرضٌ بيضاءٌ مستوية تسمى (بالسَّاهرة). وأن حساب الناس سيكون على أعمالهم في هذه الدنيا على هذه الأرض، الموصوفة في الأحاديث بهذه الصفة. (﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]) فالأرض التي يُحشر الناس عليها ويحاسبون عليها ؛ هي أرضٌ يُقال لها السَّاهرة. كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣-١٤] فإذا هم بالسَّاهرة. وفي شعب الايمان، أَّن النبي ﷺ قال (يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ علَى أَرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ.) (لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)[1] ؛ أي ليس فيها مناراتٍ ولا حدود أراضي، ولا بيوت، وغير ذلك. وأما صفة الحشر يوم القيامة: فقد بين الله عَزَّوَجَلَّ (بأن المتقين يحشرون إلى الرحمن وفدا).وأما المجرمون (فإنهم يساقون إلى جهنم وردا).كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].وأن حساب الناس يوم القيامة يكون على هذه الأرض التي ذكرتها لك. (﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾ [الانشقاق: ٧-٩]) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]

وينبغي أن تعلم -وفقك الله- أن مثل هذه المسائل الغيبية لا ينبغي أن يثبت الإنسان منها إلا ما أثبته الدليل الشرعي لأن المتقرر عند العلماء أنه لا مدخل للعقول فيما كان من مسائل الغيب وإنما مسائل الغيب توقيفية على النص.. وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١))، و أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب في البعث والنشور وصفة الأرض.. رقم ٢٧٩٠

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾ [إبراهيم: ٤٨] والله أعلم.

i

مسائل في الفتن وعلامات الساعة :

١١٨. سُئِلَ الشيخ: شخص مسلم ولكنَّه ينكر أن هناك علامات الساعة الصغرى أو الكبرى ويقول: إن الساعة تأتي بغتةً ولا دليل من القرآن على وجود علامات لها. فما ردكم أحسن الله إليكم.؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،، وبعد، ردُّنا عليه أنه لا يجوز للإنسان إذا لم يعلم شيئًا أن يجعل عدم علمه علمًا بالعدم؛ فإن المتقرر في القواعد أن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وإنما هو يحكي صورة جهله فقط، وإلا فإن القرآن والسُّنة وإجماع العلماء قد دلَّ على أنَّ للساعة أشراطًا، منها ما يُسمى بالعلامات الكبرى ومنها ما يُسمى بالعلامات الصغرى. وقد تواترت الأدلة بذلك، وورثها علماء الخلف عن علماء السلف، وأُلِّفَتْ فيها المؤلفات، ويكفينا من ذلك في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا -لسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، والمراد بالأشراط أي العلامات في قول عامة المفسرين. وقول الله عَزَّوَجَلَّ عن عيسى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الزخرف:٦١]، أي عيسى بن مريم -عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أزكى الصلاة والتسليم- قال: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١]، يعني أنه علامة لقرب الساعة. وقد فسَّر النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم- كون عيسى علامة لقرب الساعة ؛بأنه سينزل في آخر الزمان، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد رفعه إلى

السماء الثانية حيًّا ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (والَّذي نفسي بيدِه ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكمًا مقسطًا فيَكسرُ الصَّليبَ ويقتلُ الخنزيرَ ويضعُ الجزيةَ ويفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ) [١]. وقال النبي ﷺ: (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ) [٢]ثم عدَّها النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وغيرها من الأحاديث كثير جدًّا يدل على أن للساعة أشراطًا.

فإن قلتَ: وما حكم من يُنكر هذه الأشراط؟ فنقول: إن كان إنكار جهلٍ -ومثله يَجهل-، فيُنتظر بالحكم عليه حتى نعلِّمه، ونعرِّفه بهذه الأدلة من الكتاب والسُّنة، ونعرِّفه بإجماع الأمَّة أن للساعة أشراطًا، فإن عرف واستبان له الأمر واتضحت له الحجة، واستبانت له المحجة، وأصرَّ على إنكاره، فهذا ينقلب من كونه إنكار جهلٍ إلى إنكار تكذيب وجحد، فيُحكم عليه حينئذٍ بالكفر والخروج من الإسلام -والعياذ بالله- لكننا نقول بأنه إنما أنكر ذلك لوجود جهل عنده أو لظنّه وجود مُعارض لهذه الأشراط. فإن قلتَ: وما هذا الظن بوجود المُعارض؟ فأقول: لأن هناك أدلة من الكتاب تدل على أن السَّاعة إنما تأتي بغتة، فكيف تأتي بغتة إذا كان قبلها سيأتي أشراط يعرف الناس بقربها؟ فإذا خرجت أشراطها عرف الناس أنها قريبة، فكيف يعرف الناس بأنها قريبة ثم يصف الشارع مجيئها بأنه بغتة؟ فنقول حينئذٍ: هذا لا إشكال فيه، لأننا نجمع بينهما بقاعدة اختلاف الحال؛ فالعلامات الكبرى والصغرى إنما تدل على ما قبلها، ومجيئها بغتة إنما يدل على ذات قيامها. فأدلة الساعة وردت بعلامات تدل على ما قبلها، ووردت صفات تدل على وصف ذاتها. فأما هي

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٢) ومسلم برقم (١٥٥)

(٢)أخرجه البخاري برقم (٣١٧٦).

في ذاتها فإنها تأتي بغتة. ولكن الله عَزَّوَجَلَّ من عظيم رحمته بعباده جعل لمجيئها علامات هي إرهاصات وممهِّدات لها. فلا تعارض في ذلك. والله أعلم ..

i

١١٩. سُئِلَ الشيخ: نشرت وكالة الفلك خبر بقرب طلوع الشمس من مغربها، فهل يستطيعون تحديده؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، المتقرر عند العلماء أن ما كان من الأخبار مبنيًا على الغيب فإن أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ونحن نؤمن إيمانًا جازمًا بأن الشمس يومًا من أيام هذه الدنيا سوف تطلع من مغربها كما أخبر بذلك القرآن في قول الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقد ورد التفسير النبوي لهذه الآيات بأنها طلوع الشمس من مغربها.

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا)[١].

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (مَن تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عليهه)[٢]-

---

(١)أخرجه مسلم برقم ((٢٧٥٩))

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٣)

قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأبي ذرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أتَدرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ، فيُؤْذَنُ لَهَا، ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ، فلا يُقبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقالُ لَهَا: ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِهَا، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨][(١)]. يعني أنها ستطلع من مغربها في يوم من الأيام، وقد أجمع علماء المسلمين على هذه القضية فيما نعلم، والله أعلم ..

وأما وقتها فإنه لا يستطيع أن يتعرف عليه أحد من المخلوقات لا عالم ولا جاهل، أيًّا كان هذا المخلوق، فإنه لا يستطيع أبدًا أن يتعرف على الوقت الذي سيكون فيه خروج الشمس من مغربها؛ لأنها من العلامات التي تدل على قيام الساعة، فهي علامة من علامة الساعة الكبرى، وأمور علامات الساعة الكبرى إلى الله -تبارك وتعالى-، فلا يستطيع أحدٌ أن يتعرف على وقت خروج يأجوج ومأجوج، ولا على وقت خروج الدَّابة، ولا على وقت الخسوفات الثلاثة، ولا على وقت خروج النار من قعرة عدن، ولا على وقت خروج الدجال، ولا على وقت طلوع الشمس من مغربها؛ لأنها علامة من علامات الساعة الكبرى، فهي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله -تبارك وتعالى-، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ الآية [الأنعام: ٥٩]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٩٩) مسلم برقم (١٥٩)

اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

فلا يستطيع أحدٌ حتى الأنبياء، ومَن دونهم من البشر والجن أن يتعرفوا على وقت خروج الشمس من مغربها؟ فما تتفوه به بعض وكالات الفضاء من أن الشمس سوف تطلع من مغربها في يوم كذا وفي سنة كذا وكذا.. كله من باب الدجل والخرافات والتخرصات والتكهنات التي لم تُبنَ على علم ولا على هدى ولا على بصيرة من الله عَزَّوَجَلَّ، وهو من الكذب الذي لا ينبغي للمسلمين قبوله ولا اعتقاد حقيقته.

وليس هذا يدل على أن هذه لن تأتي ؛بل نحن مؤمنون بأنها ستأتي في يوم من أيام هذه الدنيا، ولكن تحديد وقت مجيئها عيناً بالسَّنة أو بالشهر أو باليوم؛ أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ينبغي لنا أن نعلم أنه ليس أكبر همنا هذه القضية ؛ وإنما أكبر همنا ألَّا تأتي هذه القضية إلَّا ونحن على أتمِّ الاستعداد في استقبال هذا اليوم العظيم بالأعمال الصالحة، وباجتناب الذنوب والمعاصي، وبالدأب والاستمرار على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم لنعلم أننا إذا لم ندرك هذه العلامة، فإننا نخاف من أن نفاجأ بالموت في أي لحظة، فإن مَن مات فقد قامت ساعته، فعلينا أن نبادر بالتوبة النصوح وبالعودة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وبالحرص علي الأعمال الصالحة وبمجانبة الذنوب والمعاصي ؛ حتى إذا حصل شيء من ذلك وجاء الوعد الآخر نكون على أتمِّ الاستعداد للقاء الله عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم

i

١٢٠. سُئِلَ الشيخ: ما الفرق بين التصديق الجازم والتصديق في العقيدة، لقد كثر النزاع في هذه المسألة في بلادنا يقولون وعلى هذا التفريق نؤمن بأن الله والملائكة وغيرهم موجودون جزمًا ولكن لا نؤمن أن المهدي والدجال وعيسى ابن مريم وغيرهم الذين لم يثبت لم يثبتوا بالبرهان القطعي؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، يجب على المسلم أن يعلم أن المتقرر في قواعد الإسلام أنَّ الإيمان مرهون بكمال التصديق بما صحت به النصوص، فكل ما صحَّ به النص كتابًا وسُّنة فالواجب على الإنسان أن يؤمن به وأن لا يخالط إيمانه ريبٌ ولا شك بغض النظر عن نوع هذا النص الذي ثبت به هذا الخبر، أكان من النصوص القطعية المتواترة أو كان من النصوص الأحادية، وإنما المطلوب في ذلك صحة النص وإن المتقرر بإجماع أهل السُّنة والجماعة أن خبر الآحاد في العقائد معتمد إذا صحَّ سنده إلى النبي ﷺ ولا يجوز لنا أن نقصر أمور الاعتقاد على المتواترات كما يفعله المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، فإنهم يقولون بأن أمور الاعتقاد لابد فيها من أدلة متواترة، ولذلك هم يطعنون في أي عقيدة ثبتت بأخبار الآحاد، فلما رأوا أن بعض العقائد إنما تثبت بأخبار آحاد، قالوا نحن لا نصدق بها وهذا جار على هذا الأصل الفاسد وهو قصر أمور الاعتقاد على المتواترات وهو خلاف ما أجمعت عليه كلمة أهل السُّنة والجماعة ولذلك عودًا على بدءٍ أقول: يجب على المسلم أن يعلم أن كل ما صحَّ به النص فالواجب عليه التصديق به والتسليم له والإذعان لمدلوله، وتحرم مخالفته والمجادلة فيه وإنما المطلوب صحة النص لقول الله عَزَّوَجَلَّ (﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦]) وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٥] فأي عقيدة ثبت بها نص صحيح سواء كان متواترًا أو آحاد فالواجب على من صح عنده ذلك النص أن يؤمن بمدلوله، وأن يذعن له، وأن يسلم له وأن يصدق به التصديق القطعي الجازم الذي لا يخالطه ريب ولا شك. وقد صحت الأدلة بنزول عيسى ابن مريم كتابًا وسُّنة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [الزخرف: ٦١] (وفي قراءة) وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ.

وفسَّرها كثير من أهل العلم بأن نزوله في آخر الزمان علامة من علامات قرب الساعة، وكذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]

قال العلماء أي بعد نزوله من السماء يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال(والَّذي نفسي بيدِه ليوشِكنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حَكمًا مقسطًا فيَكسرُ الصَّليبَ ويقتلُ الخنزيرَ ويضعُ الجزيةَ ويفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ)[1] والأدلة في ذلك كثيرة جدًا وقد تواترت النصوص بها فالواجب على المسلم أن يتقي الله وأن يصدق التصديق القطعي الجازم بنزوله في آخر الزمان ولا يجوز لنا أن نعارض ما صحت به النصوص كتابًا وسُّنة بعقولنا أو بآرائنا وأمزجتنا، فإن القضية غيب، وقد ثبت بها ولا مدخل للعقول استقلالًا في أبواب الغيب وإنما أبواب الغيب متى ما صحَّ بها النص فالواجب على الجميع أن يستسلموا للنص وأن يذعنوا وأن يسلموا وأن يقولوا

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٢٢٢) مسلم برقم (١٥٥)

آمنَّا وصدقنا وسمعنا وأطعنا وأن لا يعارضوا ولا يجادلوا في شيء من ذلك أبداً هذه وصيتي للجميع أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في كل عقيدة ثبت بها نصٌّ سواء أكان متواترًا أو آحادًا ؛أن يؤمنوا بها وأن يسلموا لمدلولها وأن لا يعارضوها وأن يتركوا عنهم هذه المعارضات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ،، والله أعلم.

i

١٢١. سُئِلَ الشيخ: هل ولادة الناقة لتوأم من علامات الساعة؟

فأجاب - عفا الله عنه-:الحمد لله رب العالمين، من المعلوم أن علامات الساعة من أمور الغيب، والمتقرر عند أهل السُّنة والجماعة -رحمهم الله تعالى- أن الأصل في مسائل الغيب وأموره التوقيف على الأدلة، فلا يجوز للإنسان أن يثبت مسألة غيبية، أو يربط شيء بشيء غيبي ؛إلا وعلى ذلك دليلٌ من الشرع حتى لا نكون ممن تخوض في أمور الغيب بلا علم ولا برهان، فإن هذا من القول على الله عَزَّوَجَلَّ بلا علم.

إذا علم هذا فإننا لا نعلم لا نصًّا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا نصًّا صحيحا عن النبي ﷺ يثبت أن من جملة علامات الساعة أن تلد الناقة اثنين في بطن واحد، فإن هذا لا نعلمه ثابت من جملة علامات الساعة في الأدلة الصحيحة، وحيث لم يثبت هذا الأمر فلا يجوز أن نجعل هذا الأمر من جملة علامات الساعة، لأن علامات الساعة أمر غيبي، والأمور الغيبة لابد فيها من التوقيف عن النبي ﷺ فالواجب علينا أن لا نعتقد ذلك وأن لا ننشره بين العامة حتى لا نفسد عقيدتهم ولا ندخلهم في اعتقاد ما لم يدل عليه النص الصحيح الصريح، والله أعلم

i

١٢٢. سُئِل الشيخ عن: قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣] هل هذه الآية تشير للمسيح الدجال وأنه يتبعه اليهود وأن الله أعطاه جنة ونارا يفتن بهم الناس؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا أعلم أحداً من أهل العلم فسَّر هذه الآية بأنها تدل على فتنة الدجال، ومن المعلوم أن مثل هذه الغيبيات التي نريد استنباطها من آيات القرآن لابد أن نكون فيها متابعين، فلا ينبغي للإنسان أن يحدِث في شيءٍ من الآيات أمراً غيبياً ليس عليه أمر السلف ولا فهم السلف، فأنا لا أعرف أن السلف – رحمهم الله تعالى – استدلوا بهذه الآية على الدجال وأن المقصود بها الدجال.

وليس بشرطٍ ذِكْر الدجال في القرآن حتى تثبت فتنته، فإن الأدلة من السنة الصحيحة قد تواترت في إثبات فتنته، وأنه علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد وردت الأدلة الصحيحة بذكر خروجه، ومكان خروجه، وأين هو الآن، وعظيم فتنته، ومدة مُقامه ومكثه في الأرض، وماذا سيصنع، ومن يأتي معه، ومن يعينه، كل ذلك ثابتٌ بالأدلة الصحيحة الصريحة.

والسنة في مقام القرآن في مسألة التشريع، فالتشريع يؤخذ من القرآن والسنة، وقد كانت السنة تنزل على النبي ﷺ كما ينزل القرآن، يقول ﷺ: ﴿ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ،

أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ.... »[(١)]. وقبل ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤].

ألا ترى أن الخسوف الثلاثة التي هي من علامات الساعة الكبرى ليس لها ذِكْرٌ في القرآن؟

فإذن: لا ينبغي لنا أن نلوي أعناق الأدلة حتى نستدل للناس بأن فتنة الدجال مذكورة في القرآن، هذا ليس بلازمٍ أبداً، لأننا نثبتها بالسنة، والذي لا تقنعه أحاديث السنة فلا مقنع له.

ففتنة الدجال أصل ثبوتها في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ كغيرها من أشراط الساعة.

وعوداً على بدءٍ فأقول: لا أعلم أحداً من أهل السنة والسلف الصالح فسَّروا هذه الآية بأنها الدجال، والله أعلم.

i

١٢٣. سُئِلَ الشيخ :- من علامات الساعة الكبرى خروج الشمس من مغربها وسؤالي هل يستطيع علماء الفلك تحديد ذلك كما مكّن الله لهم وحددوا الكسوف؟

فأجاب – عفا الله عنه– :- لا، لا يمكن أبدا، فهي من علم الغيب الذي أخفاه عن كل أحد، وهي من مفاتيح الغيب الخمسة، مهما فعلوا وبحثوا وحسبوا لا يمكن البتة أن يتعرفوا على وقت خروجها.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٤) وأخرجه أحمد (١٧١٧٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: ٢٦٤٣

i

١٢٤. سُئِلَ الشيخ: هل التصديق بالمهدي من عقيدة أهل السنة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد نعم هو من عقيدة أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى فقد دلة الأدلة على أنه إذا كثر الفساد والقتل والهرج والمرج في الأرض أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يبعث في أخر الزمان رجل يطابق أسمه أسم النبي ﷺ يصلحه الله عَزَّوَجَلَّ في ليلة ثم يقود أمة محمد ﷺ من الضيق إلى السعة ومن الفساد إلى الصلاح ومن السفول إلى العلو والرفعة ولله الحمد وهذا شيءٌ قد وعدنا به النبي ﷺ وبلغنا في ذلك أحاديث كثيرة كثيرٌ منها قد حكم عليه أهل العلم بالصحة فأحاديث المهدي منها ما هو صحيحٌ مقبول ومنها ما قد بلغ رتبة الحسن لذاتيه أو الحسن لغيره ومنها ما هو ضعيفٌ أو موضوع ولكن يكفينا في ذلك ما صحت به الأثار في الخبر عن المهدي والله أعلم

i

١٢٥. سُئِلَ الشيخ: ما الواجب تجاه ما يحصل من فتن في دول الخليج من تفجيرات مشبوهة وهل الإنسان مطالب بنشر الأخبار حول ذلك والتحليل والكتابة أم أن السكوت هو واجب عليه؟ وما توجيهكم في ذلك؟

فأجاب– عفا الله عنه–: الحمد لله وبعد:

الواجب في ذلك أن يعلم المسلم عدة أمور

الأمر الأول: أنه ينبغي عليه أن يعتصم بجماعة المسلمين وإمامهم في حال ظهور الفتن فإن الالتزام بالجماعة التي تخضع لإمام الشرع هذا حزام أمان من

الضلال بإذن الله عَزَّوَجَلَّ فلا ينبغي أن يشذ الإنسان عن رأي الجماعة برأي ولا باجتهاد ولا بقولٍ ولا بكلمة بل يكون كلامه من ضمن كلام الجماعة ورأيهُ من رأي الجماعة واجتهاده موافقًا من رأي الجماعة فالانطواء تحت جماعة المسلمين والاعتصام بها حزام أمان من الضلال إن شاء الله - عَزَّوَجَلَّ

الأمر الثاني: أن يحرص على أن يلتف حول العلماء وأن لا يصدرَ في أقواله وأفعاله إلا من قبلهم فإن الاعتصام بعلماء أهل السنة والجماعة وقت الأزمات هو المخرج بإذن الله -تبارك وتعالى-.

الأمر الثالث: أن يعتصم بالكتاب والسنة وأن يشد عليهما بيديهِ، وأن يعض عليهما بالنواجد

الأمر الرابع: أن لا يشارك في هذه الفتن لا برأيٍ، ولا باجتهادٍ، ولا بقولٍ، ولا بتصويبٍ، ولا بتأييد؛ لأن من الناس من يكون مشاركًا لمن يفعل هذه الفتن في الأمة مع أنه لم يشاركهم مباشرة، وإنما شاركهم بالرأي والتأييد والتصويب فيعاقب بعقوبتهم ويأثم بإثمهم، وهو لم يفعل شيئًا ولم يفجر إلا أنه أيد ورضي رضا قلبيًا بما يصنعه هؤلاء.

فلا يجوز مشاركة هؤلاء بالتصويب ولا بالتأييدِ، ولا بالمناصرة، ولا بالاعتذار عن فعلهم، ولا بتصحيح هذا الخطأ العظيم بل إذا أراد أن يشارك فليشارك بالإنكار والتغليظ والزجر وتحذير الأمة من أن تنساق وراء هذه الأفعال المدمرة التخريبية وعلى الإنسان أن يبتعد عن الفتنة ما استطاع إلى ذلك سبيلا فإن من مناهج السلامة عند حلول الفتن أن يبتعد الإنسان عنها؛ ولذلك نادي بنا الشارع عند السماع بالدجالِ أنه نزل في البلد أن نهرب في البراري والجبال

والكهوف والمغارات فلا نعرض أنفسنا لفتنتهِ بمقابلتهِ وتحديه فإن الإنسان لا يدري ربما يثق في نفسه قليلاً فيقابل الفتنة فتهلكهُ.

فإذا سلكت أيها السائل هذه المسالك فبإذن الله ستنجو وستعرف الطريق الصحيح في كيفية التعامل مع هذه الفتن.

أولًا: الاعتصام بالكتاب والسنة.

والسنة الثاني: الاعتصام بجماعة المسلمين وإمامهم.

الثالثة: اعتصام بعلماء أهل السنة والجماعة وعدم الصدور إلا عن رأيهم.

الرابع: ألا يشارك الإنسان أهل الفتنة بالتأييد ولا بالمناصرة بل بالإنكار والزجر والتغليب والتحذير من فعلهم.

الأمر الخامس: أن ينئ الإنسان بنفسه عن هذه الفتنة بما أستطاع إلي ذلك سبيلا والله أعلم.

i

١٢٦. سُئِلَ الشيخ عن: أرض المحشر، هل هي فلسطين؟ وأين يكون الحساب يوم القيامة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، وبعد:

لقد دلت الأدلة على أن الأرض التي يحشر إليها الناس، ويحاسبون عليها أنها أرض بيضاء مستوية تسمى (بالساهرة)، وأن حساب الناس سيكون على أعمالهم في هذه الدنيا، على هذه الأرض الموصوفة في الأحاديث بهذه الصفة، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾

[الزلزلة:٧-٨.]، فالأرض التي يحشر الناس عليها، ويحاسبون عليها هي أرضٍ يقال لها الساهرة، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾[النازعات:١٣-١٤]، وفي شعب الإيمان أن النبي -ﷺ- قال: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)[1]، أي ليس فيها منارات، ولا حدود أراضي، ولا بيوت، وغير ذلك، أما صفة الحشر يوم القيامة فقد بين الله عَزَّوَجَلَّ بأن المتقين يحشرون إلى الله وفدًا، وأما المجرمون فإنهم يساقون إلى الله وردًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾[مريم:٨٥-٨٦]، وأن حساب الناس يوم القيامة يكون على هذه الأرض التي ذكرتها لك، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)﴾[الانشقاق:٧-٨-٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦)﴾[الحاقة:٢٥-٢٦]، في آياتٍ أخرى، وينبغي أن تعلم وفقك الله أن مثل هذه المسائل الغيبية لا ينبغي أن يثبت الإنسان منها إلا ما أثبتهُ الدليل الشرعي؛ لأن المتقرر عند العلماء أنه لا مدخل للعقول فيما كان من مسائل الغيبِ، وإنما مسائل الغيب توقيفية على النص، وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾[إبراهيم:٤٨]. والله أعلم ....

i

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٢١) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب في البعث والنشور وصفة الأرض.. رقم ٢٧٩٠

١٢٧. سُئِلَ الشيخ: هل إزالة جبال مكة من علامات الساعة؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، المتقرر عند العلماء: أن ما كان من قبيل الأمور الغيبية، فلا يجوز أن يثبته أو يعتقده الإنسان إلا بدليل، فلا يجوز للإنسان أن يثبت شيئًا من الأمور الغيبية من عند نفسه، أو بالتخوض والتخرص والقول على الله بلا علم.

يقول الله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال الله في سياق المحرمات: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ومن كان من قبيل علامات الساعة الصغرى أو الكبرى، فإن مبناه على إثبات النص الصحيح الصريح، فلا يجوز لنا أن نثبت شيئًا من العلامات إلا وعلى ذلك دليلٌ من الشرع.

فلا يجوز لنا أن نقول: هذا الأمر من علامات الساعة الصغرى، ولا هذا الأمر من علامات الساعة الكبرى، إلا وعلى ذلك دليلٌ شرعيٌ صحيحٌ صريح، لأن هذه من الأمور الغيبية، والكلام في أمور الغيب كما ذكرت لك توقيفٌ.

إذا عُلم هذا فإنني لا أعلم دليلاً يدل على أن من جملة علامات الساعة الصغرى أو الكبرى، زوال جبال مكة ولا أعلم حديثًا يصح في هذه الصدد، والحديث المروي في ذلك لا يصح عن النبي.

وأما الحكم الشرعي في إزالة بعض الجبال، فإن هذا أمرٌ يرجع إلى تحقيق المصالح واندفاع المفاسد، فإذا رأى الناس أن يبعد هذا الجبل، أو أن يبعد جزءٌ منه، أو أن يحفر فيه نفق أو نحو ذلك فهذه أمورٌ يحكم عليها بالأصل الوارد

فيها، وهو أن الأصل في مثل هذه الأشياء الحِل والإباحة.

فتكسير شيءٍ من جبال مكة، أو خرقها لتكون نفقًا من باب التوسعة على الناس لكثرة سكانها، أو لتيسير الوصول إلى مكة وتيسير الخروج منها، هذا أمرٌ ليس بممنوعٍ شرعًا وليس هناك دليلٌ يمنعه والأصل الحل.

والخلاصة: أننا لا نعلم دليلاً يصح، أن من جملة علامات الساعة زوال جبال مكة والحديث الوارد في ذلك ضعيفٌ لا يصح والله أعلم.

i

١٢٨. سُئِلَ الشيخ: كيف نجمع أحاديث الفتن في آخر الزمان وأنه لا يبقى مصلحون وبين أحاديث الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، نجمع بينهما بقاعدة اختلاف الأحوال وفقك الله، فإن أمر الطائفة المنصورة ينتهي عند تلك الريح التي يأمر الله عَزَّوَجَلَّ بهبوبها، فتدخل تحت أباط المؤمنين فتقبض أرواحهم، فأمر الطائفة المنصورة ينتهي عند هذه الريح، ويبقى بعدها في الأرض شرار الخلق يتسافدون كما تتسافد الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة، والله أعلم.

i

١٢٩. سُئِلَ الشيخ: هل من علامات يوم القيامة الكبرى سقوط سبع رؤساء دول، والآن سقط ستة وبقي واحد إذا مات فإن بعده تقوم الساعة؟ ما مدى صحة هذا

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، الجواب: لا نعلم شيئًا من الأدلة الصحيحة

المرفوعة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يُثبت ذلك، وهذا لا أصل له مطلقا في الأدلة الصحيحة، ومثل هذا الأمر أمرٌ غيبي، والمتقرر عند العلماء: أن أمور الغيب توقيفية على النص، فلا يجوز للمسلم أن يعتقد ثبوت شيئًا من الأمور الغيبية إلا وعلى هذا دليل من الشرع تبرأ به الذمة فلا يجوز للإنسان أن يتخوض في أمور الغيب بلا دليل، ولا يصح جميع ما قيل عن النبي ﷺ في هذا الشأن كله من الكذب الموضوع المختلق لعن الله من كذبه، ولعن الله من وضعه ولفقه على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهذا كله من الكذب، فما يقال من ذهاب سبعة حكام! هذا كله كذبٌ على الرسول ﷺ، ولم يذكره الرسول في الصحيحين، ولا يمكن أبدًا أن يكون ثابتًا ويغفل من ألف في أشراط الساعة من السلف عنهم، فإن كتب أشراط الساعة المبنية على الأدلة الصحيحة لا تزال موجودةً سواءً كان مؤلفوها من القدامى من السلف، أو من المعاصرين، وليس ثمة شيءٌ من هذا يُذكر في هذه الكتب، ولذلك نقول لمن قاله كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

ونقول له كذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لما طلب ﴿أَو أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤].

فإذًا لا يجوز هذا الكذب ولا نقل هذا الكذب، ومن نقله عالمًا بحقيقته فهو من جملة الكذابين على رسول الله ﷺ المتوعدين بقوله ﷺ: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ

كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[(١)]. ويقول النبي ﷺ: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))[(٢)] أو كما قال ﷺ.

ويقول ﷺ: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[(٣)].

فلا يجوز إرسال مثل هذه الرسائل التي تتكلم عن هذه العلامة الباطلة التي لا أصل لها في الأدلة الصحيحة، وليس عليها أثارةٌ من علم، نسأل الله أن يهدي قلوبنا، وأن يفقهنا في ديننا، والله أعلم.

i

١٣٠. سُئِلَ الشيخ: هل علامات الساعة الصغرى وقعت كلها؟ .

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، لم تقع كلها، وإنما وقع بعضها وبقي بعضها والله أعلم، وذلك لأن أهل العلم في ذلك الباب قسموا علامات الساعة الصغرى إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ](٢/٨٠) برقم: [١٢٩١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ](١/١٠) برقم: [٤].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [وُجُوبِ الرِّوَايَةِ عَنِ الثِّقَاتِ، وَتَرْكِ الْكَذَّابِينَ](١/٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى المَيِّتِ](٢/٨٠) برقم: [١٢٩١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ](١/١٠) برقم: [٤].

القسم الأول: ما خرج وأنقضي، كبعثة النبي وموته وغيره من العلامات التي ظهرت وانقضت.

والقسم الثاني: علاماتٌ لم تظهر بعد، كعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا ونحوها، ومن ما قد ظهر ويتجدد ظهوره بين الفنية والأخرى، كإغداق المال وانتشار الأمن وغيرها والتطاول في البنيان وغيرها.

فهناك علاماتٌ صغرى للساعة ظهرت وانقضت، وهناك علامات الساعة صغرى لم تظهر بعد وهناك علامات قد ظهرت ويتجدد ظهورها بين الفنية والأخرى والله أعلم.

i

١٣١. سُئِلَ الشيخ: هل خروج الأشراط للساعة الكبرى قريب من حيث الدلائل أو لا يعلم بذلك إلا الله؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله: المتقرر في القواعد أن أمور الساعة مبنية على التوقيف. كما قال الله – عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ولما سأل جبريل النبي ﷺ (فمتَى السَّاعةُ قالَ ما المسئولُ عنها بأعلمَ منَ السَّائلِ) [(١)]

---

(١)

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم برقم (8) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ولكن الله وضع عليها هذه العلامات الصغرى والكبرى من باب الاستعداد الكامل للقاء الله عَزَّوَجَلَّ قبل قيامها. وبناء على ذلك فإن أمر الساعة هو من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ. وهي من جملة مفاتيح الغيب الخمسة. المذكورة في قول الله عَزَّوَجَلَّ في آخر سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية بتمامها. والله أعلم.

i

١٣٢. سُئِلَ الشيخ: هل نزول المطر في غير موعده من علامات الساعة الصغرى؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد أن علامات الساعة توقيفية على النص لأنها من الغيب. والمتقرر في القواعد أن ما كان غيبيًا فيكون توقيفيًا. ولا أعلم دليلاً يدل بخصوصه على أن نزول المطر في غير مواضعه المعتادة أي التي اعتادها الناس أنه من جملة علامات الساعة الصغرى. وحيث لا يثبت بذلك دليل فإننا لا نقول بأن هذا من جملة علامات الساعة لأن علامات الساعة مبنية على التوقيف. والله أعلم.

i

١٣٣. سُئِلَ الشيخ: هل ورد في ظهور أشراط الساعة الكبرى ترتيب معين؟

السائل: هل ورد في ظهور أشراط الساعة الكبرى ترتيب معين؟

فأجاب - عفا الله عنه-: نعم قد ورد في بعضها شيء من الترتيب، فأول هذه العلامات خروجًا: هو المهدي محمد بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه الله، وجعلنا

الله من أتباعه، فأول العلامات الكبرى خروجًا: المهدي، وثاني العلامات: الدجال، وثالث العلامات: نزول عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ورابع العلامات: يأجوج ومأجوج كما هو مذكورٌ في الأدلة التي يطول الكلام بسردها، هذه العلامات الأربع متوالية مُرتبة، ثم بعد ذلك تتوإلى أشراط الساعة البقية، ومنها: هدم الكعبة في آخر الزمان يهدمها رجلٌ من الحبشة يقول النبي ﷺ: (كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ، يَقْلَعُهَا حجرا حجرا)[١]

ومنها كذلك الدخان الذي يملأ أسماع وأبصار الكفرة ويصيبهم كهيئة الزكام، ومنها كذلك نزع القرآن من الصدور ومن المصاحف في آخر الزمان إذا ترك الناس العمل به نُزع من صدورهم ومن مصاحفهم نعوذ بالله عَزَّوَجَلَّ من ذلك، ومنها كذلك: خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وهما متقاربتان، لقول النبي ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ الآيات خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا))[٢].

ومن أشراط الساعة يعني المعروفة: الخسوف الثلاثة، التي يقول فيها النبي ﷺ: ((إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ

---

(١)أخرجه البخاري برقم ١٥٩٥

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي خُرُوجِ الدَّجَّالِ وَمُكْثِهِ فِي الْأَرْضِ، وَنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ إِيَّاهُ، وَذَهَابِ أهل الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ، وَبَقَاءِ شِرَارِ النَّاسِ وَعِبَادَتِهِمُ الْأَوْثَانَ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَبَعْثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ](٤/٢٢٦٠) برقم: [٢٩٤١]،

تَرْحَلُ النَّاسَ))[١] وآخر ذلك نارٌ النار التي تخرج من قعرة عدن تسوق الناس إلى محشرهم في أرض الشام تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، وقبل هذه النار ريحٌ طيبةٌ يُرسلها الله عَزَّوَجَلَّ تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات فلا يبقى إلا الكفرة وعليهم تقوم الساعة، هذا يعني بالإجمال ما نص العلماء عليه، فإذًا هناك أربعة متوالية وبعض العلامات يعني قد ورد من غير ذكر لترتيبه ولعل فيما ذُكر كفاية، والله أعلم.

i

١٣٤. سُئِلَ الشيخ: هل يشعر الأموات بخرج المسيح الدجال واشراط الساعة الصغرى؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، لا يبعث أحد من قبره إلا إذا نفخ إسرافيل في الصور فهذه الأحداث المسماة بأشراط الساعة الكبرى لا يعيشها من مات فمن كتب الله عَزَّوَجَلَّ عليه ميتته في هذه الحياة الدنيا فإنه لن يشهد الدجال ولا نزول عيسى ابن مريم ولن يشهد طلوع الشمس من مغربها ولن يشهد خروج الدابة من موضعها ولن يشهد الدخان ولن يشهد الخسوف الثلاثة التي قال فيها النبي ﷺ خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وغير ذلك من أشراط الساعة فكل من مات قامت قيامته أصالة ومن قامت قيامته في قبره فإنه لا يشهد شيئا من هذه الأشر ط فكل من مات فإنه لا يرجع إلى هذه الدنيا إلا يوم البعث والنشور يوم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور وأما ما قبل ذلك فلا والله أعلم.

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ](٤/٢٢٢٦) برقم: [٢٩٠١].

i

١٣٥. سُئِل الشيخ: هل الدجال أعور العين اليمنى أم اليسرى؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا إشكال في ذلك فقد جاء في شأن الدجال أنه (أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى)[(١)]، وجاء في رواية أخرى: الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى[(٢)] ﴾، وكلاهما روايتان صحيحتان فقد ذكرهما الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه، وأما وجه الجمع بينهما فبأن نقول: إن الدجال له عينان كل واحدة منهما فيها عيبها الخاص بها، فكل واحدةٍ عوراء من وجهٍ إذ أصل العور هو العيب لا سيما ما اُختص بالعين فتكون إحدى عينيه عوراء حقيقة ذاهبة وهي التي قال فيها: ﴿ مَمْسُوحَ الْعَيْنِ ﴾[(٣)]. فإحدى عينيه عوراء بمعنى: ممسوحة يعني أنها عوراء بمعنى: معيبة، لأن العور هو العيب، ووجه عيبها: أنها ممسوحةٌ، والأخرى كذلك عوراء، أي: معيبة وهي التي قال فيها النبي ﷺ: عليها ظفرة وكأنها كوكب أو قال: كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ -[(٤)].

فالجمع بين الروايتين: أن نقول: إن كلا عيني الدجال عوراء فإن قلت: وما معنى: عوراء؟ فأقول: أي معيبة، ولكن عيب العين اليُمنى أنها ممسوحة، وعور العين اليسرى أو عيب العين اليسرى أنها طائفة كعنبةٍ طائفة عليها ظُفرة، يعني حتى عينه الأخرى التي هي اليسرى ليست سليمةً السلامة المُطلقة، وإنما فيها عورٌ أي: فيها عيب، فإذًا كونها ممسوحة هذا عيبٌ والعيب هو العور، وكونها

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» بَابٌ فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَالْمَسِيحِ الدَّجَّالِ برقم: [(٢٧٣)].

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ برقم: [((٢٩٣٤))].

(٣)أخرجه مسلم في «صحيحه» بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ برقم: [(٢٩٣٣)].

(٤)أخرجه البخاري برقم (٥٩٠٢) ومسلم برقم ٢٧٣.

طافية وعليها ظُفرة هذا عورٌ والعور عيبٌ، فلا إشكال في الروايات والجمع بينها يسير كما سمعت هذا وجهٌ أول، وبعض أهل العلم جمع بين الروايتين بالترجيح ولكن أنت خبير بأن المتقرر في قواعد الأصوليين: أنه لا يُصار إلى الترجيح إلا إذا تعذر الجمع بين الدليلين، لأن المتقرر: أن الجمع بين الأدلة واجبٌ ما أمكن، والمتقرر: أن إعمال الدليلين أولى من إهمال أحدهما ما أمكن.

والخلاصة: أن كلا عيني الدجال فيها عورٌ لكن عور كل واحدةٍ يختلف عن عور الأخرى، فعور اليمنى أنها ممسوحة، وعور اليسرى أن عليها ظفرة، أو أنها كعنبةٌ طائفة والله أعلم.

i

١٣٦. سُئِل الشيخ: هل رفع القرآن من أشراط الساعة الصغرى أم الكبرى؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله،

بل هو من جملة أشراط الساعة الصغرى أن يُرفع كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من الأرض، من الصحف، ومن الصدور، كما في سنن ابن ماجة بإسناد جيد من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه قال، قال النبي ﷺ ((يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلاَةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عز وجل فِي لَيْلَةٍ فَلاَ يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا)، فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلاَةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاَثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ: يَا

صِلَةٌ! تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلاَثًا))[١]

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يقبض أرواحنا قبل أن يرفع كتابه من بين ظهرانينا، والله أعلم.

i

١٣٧. سُئِلَ الشيخ: هل هناك قواعد في الإيمان بعلامات الساعة أو الأمور الغيبية، نقف عندها ونَعْلَمْها، وهل ما نسمع عنها صحيح أم خطأ، لأن الناس في بلادي بدأوا يقولون أشياء لم نسمع بها من قبل وهي غريبة، أو لعلكم ترشدوننا إلى كتاب في هذا الموضوع؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، عندنا في باب اليوم الآخر قاعدتان عظيمتان مهمتان، يجب على كل مؤمن أن يؤمن بها، وأن يربي عقله وقلبه ونفسه على مقتضاها، فإن من درس اليوم الآخر وما سيكون فيه وما سيكون قبله من علامات الساعة بناء على هاتين القاعدتين، فإنه سيكون من أهل السنة والجماعة، القاعدة الأولى: علامات الساعة توقيفية على النص، فلا يجوز لنا أن نثبت شيئا من علامات الساعة صغرى كانت أو كبرى، إلا وعلى ذلك الإثبات دليل من الشرع، فلا حق لأحد أبدا أن يقول إن هذا القول أو هذا الفعل أو هذه الظاهرة الكونية أو هذا الخسوف أو هذا البركان أو هذا الفيضان أو هذا الزلزال من علامات الساعة، إلا وعلى ذلك دليل من الشرع، فإن نسبة هذه الأشياء إلى كونها من علامات الساعة، هذه نسبة غيبية، والمتقرر في القواعد أن أمور الغيب توقيفية على النصوص، هذه أول قاعدة، فلا يجوز لنا أن نتخوض في هذه العلامات، ونثبت منها ما نشاء، وننفي منها ما نشاء،

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٤٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم :٨٧.

وإنما مبدأ إثباتها أو نفيها لابد وأن يكون موقوفا على آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو سنة صحيحة من سنن النبي ﷺ،

الأمر الثاني: أن لا نتخوض في إنزال شيء من هذه الأدلة على شيء من هذه الوقائع، إلا بعد مراجعة أهل العلم العارفين الراسخين في هذه المسائل، لأن كثيرا من الناس مولع بأن ينزل تلك الأدلة الصحيحة التي وردت في علامات الساعة الكبرى أو الصغرى، على شيء من الواقع الذي يعيشه هو، فإذا سقط نجم قال إن سقوط هذا النجم علامة من علامات الساعة، وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، وإذا تولى أحد من حكام الزمان بلدة من البلاد قالوا إن توليه هو المقصود بقول النبي ﷺ كذا وكذا، وإذا سقطت دولة أو هبت ريح أو ثار زلزال أو ثار بركان أو حصل شيء من الخسوف في أطراف الأرض، أو نحو ذلك من أمور واقعه، فإنه مباشرة ينزل تلك الأدلة عليها، فاحذروا وفقكم الله من هذين الأمرين، احذروا من أن تثبتوا شيئا من أشراط الساعة الصغرى أو الكبرى بلا دليل، واحذروا وفقكم الله أن تجتهدوا من قبل أنفسكم فتنزلوا شيئا من هذه الأدلة على ما يجري في واقعكم، إلا بعد مراجعة العلماء، فمن دان لله عَزَّوَجَلَّ بهاذين الأمرين وهذين الأصلين والقاعدتين الفخمتين العظيمتين، فسيكون من أهل النجاة في هذا الباب، والله أعلم.

i

١٣٨. سُئِلَ الشيخ: ما صحة ومعنى قول النبي ﷺ: أن من علامات الساعة أن قوما (يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا)

؟[١]

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد.. أما الحديث فإنه حديث صحيح إن شاء الله وأما معناه فيعرف بأن التغني بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وحسن الترتيل وحسن الإخراج إنما هو وسيلة حتى يصل كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى قلوب فلا يعدو ذلك ان يكون وسيلة يوصل إلى مقصود حسن ولكن في آخر الزمان سيقلب الناس هذه الوسيلة حتى تكون مقصودا فيجعلون مبدأ تقديم الإمام بين أيديهم إنما هو جمال صوته وحسن ترنمه وتغنيه بهذه الآيات لا تخشع قلوبهم وإنما ليطربهم فقط ولا ليتدبروا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإنما ليغنّيهم وكأنهم يتخذون إمامهم كما يتخذ أهل الفسق مغنيهم حتى يطربهم فقط فالمقصود بالمزامير هنا جمع مزمار وهو بكسر الميم آلة الزمر التي يتغنى بها من يتغنى من أهل الفسق وهذه الآلة بخصوصها تأتي بنغمات مطربة وقد كثر ذلك في هذا الزمان وانتهى الأمر إلى التباهي بإخراج ألفاظ القرآن عن وضعها فهؤلاء الناس الذين سيكونون في آخر الزمان لا يقدمون الإنسان لأنه أقرأهم ولا لأنه أحفظهم لكتاب الله ولا لأنه أعلمهم أو من تتحقق فيه الشروط الشرعية وإنما يقدمونه ليغني جمال صوته وحسن ترتيله فقط حتى وإن كان من افسقهم وأبعدهم عن الله عَزَّوَجَلَّ فالمقصود بهؤلاء الذين يتكلفون ويتابعون الألحان ويخرجون القرآن على مقاييس أهل الموسيقى حتى تصير الرؤوس تتمايل من ها هنا وها هنا فلا يراعون الخشوع عند قراءة القرآن ولا يتأدبون مع كلام الله عَزَّوَجَلَّ بل يجعلونه والغناء في مساق واحد فيجعلون القرآن مثل الأغاني

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤) (١٦١٣٦)، والطبراني في الأوسط (ج١/ رقم ٦٨٩) وغيرهما، وصححه الألباني في ((الصحيحة)) برقم (٩٧٩)

هؤلاء الأشخاص توعدهم النبي صلى الله عليه بوعيد عظيم وأخبر أنه ربما يأتي بعضهم ويقدم في جمع القوم لا لأنه أفقههم ولا لأنه أعلمهم وإنما لأنه رجل يغني لهم فهذا الغناء والتطريب والعبث بالمدود والزيادة في الحركات أو التأوهات التي يفعلها هؤلاء على ما تسمعونه بين الفينة والأخرى لا شك أنه أمر مذموم وصاحبه آثم ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن القراءة بالألحان قال هي بدعة وقد روي عن النبي ﷺ أنه ذكر في أشراط الساعة يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس باقرئهم ولا بافضلهم إلا ليغنيهم غناءه مثل الغناء فيجب أن نفرق بين تحسين القراءة وتجميل الصوت والخشوع والتحزن وبين أن الإنسان يشابه فيه قراءته أهل الفسق والأغاني ويمطط ويتأوه هذا مذموم محرم هذا معنى الحديث والله أعلم

i

١٣٩. سُئِلَ الشيخ عن :معنى قول النبي ﷺ (أن تلد الأَمَةُ رَبَّتَها)؟[1]

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، ينص العلماء على أن ذلك معناه عودة الناس إلى جهادهم في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وتكثر السراري، والمقصود بالسُّرية أي التي يتخذها السيد موطوءة لفراشه، فإذا استولدها فإن ولدها يكون سيدا أو ابنتها تكون سيدة فحينئذ ولدت الأَمَةُ رَبَّتَها يعني ولدت الأَمَةُ سيدتها وهذا كناية عن عودة الجهاد وعن عودة كثرة السراري كما كان الحال عليه سابقا، والله أعلم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٥٠) ومسلم برقم (٨) واللفظ لمسلم

١٤٠. سُئِلَ الشيخ عن: التوجيه حيال ما يحدث في الدول الإسلامية من فتن وقتل وتشريد؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا سؤال عظيم القدر جليل المنفعة وهو يراود كل مسلم غيور على دينه وعلى أمته وهذه الوقائع والنوازل التي تنزل بالأمة الإسلامية صباح مساء، هذه قلاقل عظيمة تضطرب لها القلوب وتتكدر بسببها الخواطر وتتفلت بسببها القلوب والعياذ بالله، فهي فتن كقطع الليل المظلم تتغير فيها أحوال الناس وتتبدل فيها حياتهم وتتقلب فيها أوضاعهم، بل إننا رأينا أناسًا كنا نحسن فيهم الظن قد تنازلوا عن قيمهم بسبب هذه الفتنة وتنازلوا عن استقامتهم وركبوا موجة التغريب والإفساد والتبديل في دين الله عَزَّوَجَلَّ

فهذه فتن عظيمة لابد أن نعرف كيفية التعامل معها وقد أخبرنا نبينا ﷺ عن كثرة الفتن التي ستقع في آخر هذه الأمة ولا جرم أن قرننا هذا من أواخر قرون الأمة قد قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - كما في حديث ثوبان - رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ

يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.)[١]

وما كثرة القتل والاقتتال في هذه الأزمنة بين أفراد الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام إلا أكبر دليل على قرب قيام الساعة فإن كثرة الهرج أي القتل من علامات قربها كما قال النبي ﷺ ويكفي علامات قيام الساعة قال: (وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: الْقَتْلُ.)[٢]

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ)[٣] وغيره، وقد حذر النبي ﷺ من هذه الفتن أيضًا في نقول وأحاديث يطول الكلام بذكرها، كقوله ﷺ: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)[٤] ولكن نبينا ﷺ لم يتركنا رعاعًا في هذه الفتن تتخبطنا كيفما اتفق بل أعطانا نبينا ﷺ منهجًا واضحًا ظاهرًا إذا سلكته الأمة فبإذن الله عَزَّوَجَلَّ سوف توقى من شدة وعظم وقع هذه الفتن، وهي التي يسميها العلماء بالعواصم من الانزلاق في الفتن، فهناك أمور ينبغي لنا أن نحرص على تطبيقها وعلى الالتزام بها حتى نأمن بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من الوقوع في شيء من هذا الشر، فمن أعظم ما ينبغي الالتزام به الحرص على طلب العلم المؤصل على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، فإن هذه الفتن إنما تضر الجهال والعوام وأنصاف المثقفين ومن كان قلبه

---

(١) أخرجه مسلم برقم ((٢٨٨٩))

(٢) أخرجه الإمام البخاري برقم(٨٥) و(٦٠٣٧) ومسلم برقم (١٥٧))

(٣) أخرجه الإمام البخاري برقم (٣٦٠٩)، ومسلم (١٧)

(٤) أخرجه مسلم ((١١٨))

خلوًا من التأصيل العلمي، فالعلم نور يستضيء به الإنسان في سيره في كيفية التعامل مع هذه الفتن، فإذا أشرق نور النبوة في قلب الإنسان فإنه سيكون في مأمن من الانزلاق أو الانخراط في شيء من هذه الفتن التي نرى شبابنا يتخبطون فيها بسبب الجهل وبسبب سوء الفهم وبسبب عدم الرجوع لأهل العلم، فالعلم حزام أمان بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من الوقوع في الفتن وبرهان هذا أن النبي ﷺ قرن وقوع الفتن بارتفاع العلم، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا) [(١)]

ولذلك البلاد التي تحرص على العلم والتعليم تكون أبعد ما تكون من الانزلاق أو الانخراط في شيء من هذه الفتن وإن أغلب الدماء التي تراق على وجه هذه الأرض وأغلب الأفعال التي نراها مخالفة للمتقرر في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وعقيدة سلفنا الصالح إنما سببها الانخراط في دائرة الجهل وعدم قابلية العلم.

فالوصية أن نسلك مسلك العلم والتعليم وأن نحرص على نشر العلم في الأمة بكافة الوسائل ويؤكد هذا الأمر الثاني من المخارج من هذه الفتن وهو الالتفاف حول العلماء والأخذ عن رأيهم والصدور عن توجيهاتهم وألا يستقل الإنسان برأيه ولا باجتهاده في مسائل الأمة المصيرية، فهناك مسائل تتعلق بواقع أمة ومصير أمة فإياك أن تجتهد فيها أيها الطالب أو الشاب المتحمس وإنما مآلها أن نرجع فيها إلى علماء الأمة وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بذلك

---

(١) أخرجه البخاري في العلم باب رفع العلم وظهور الجهل برقم (٨٠)أخرجه مسلم في العلم، باب: رفع العلم وقبضه، رقم: ٢٦٧١

في قوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، فإذا كانت الأمة تصدر في تصرفاتها وأقوالها عن كلمة أهل العلم الراسخين المتأهلين فإنها ستكون في مأمن بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من الوقوع في شيء من مزالق هذه الفتن والنوازل والمدلهمات.

ولذلك تجد أن أكثر من وقع من شباب الأمة وفئتها وطوائفها في شيء من هذه الفتن من الخروج على الحكام أو فتن القتل والاقتتال إنما هم أولئك الذين لم يرجعوا لأهل العلم ولم يقبلوا توجيهات أهل العلم فقد صرخ بهم أهل السنة من أقطار الأرض ولكن أغلقوا آذان قلوبهم وأسماع رؤوسهم عن توجيهات العلماء، فإذا أردنا أن نعتصم من الفتنة فلنلتف حول علمائنا، أعني علماء أهل السنة والجماعة في أي مكان في بلاد المملكة أو في مصر أو في الشام أو في غيرها من بلاد المسلمين ولا نحدد بلدًا معينًا وإنما نحدد نوع العالم وهو أن يكون من أهل السنة والجماعة.

فعلى شباب الأمة وطوائفها وفئاتها وعوامها وكافة شعوبها أن يلتفوا حول علمائهم وألا يصدروا إلى عن توجيه علمائهم وأن يردوا أمر نوازل الفتن في الأمة إلى العلماء وألا يبدؤوا علماءهم لا بفعلٍ ولا بتصرفٍ ولا برأيٍ ولا باجتهاد حتى يقول العلماء كلمتهم ثم تكون تصرفاتنا وأعمالنا نابعة وتابعة عن ما قرره أهل العلم - رحمهم الله تعالى -، فإذا سلكنا مسلك الالتفاف حول العلماء فهذه نعمة عظيمة ومن المخارج من الفتن أيضًا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على إمام المسلمين، فلا يجوز التحريض على أئمة المسلمين في بلاد الإسلام ولا يجوز أن نقبل تلك الأطروحات في وسائل

التواصل التي تدعونا إلى نبذ السمع والطاعة وإلى الخروج على الحكام وإلى تأليب الرأي العام في بلادهم عليهم، فإن من أعظم ما يخاف على الأمة أن تتفرق بسبب الخروج على حكامها، وقد وقع بسبب الخروج على الحاكم فتن عظيمة مدلهمات كالليل المظلم المدلهم الذي لا نجم فيه ولا قمر مقتلة عظيمة حصلت بين المسلمين بسبب الخروج على الحكام وقبول تلك الأطروحات الخارجية التي تؤلب الشعوب والأمم على الخروج على حكامها، فمن أراد السلامة من دماء المسلمين فليلتزم بجماعة المسلمين كما قال النبي ﷺ: (فَعلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الذِّئبَ يَأْكُلُ الْقَاصِيَةَ)[1] والأحاديث في الأمر بلزوم الجماعة كثيرة يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]والاعتصام لا يكون إلا إذا كان هناك جماعة للمسلمين ولهم إمام، ويقول اللهعَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الروم:٣١]﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢] ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في آيات كثيرة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات:١٠]، فهذا من أعظم المخارج التي لا يستطيع العدو اختراق البلد مادام موجودًا قائمًا، وأما أن ندعو أو نقبل دعوات الخروج على حكامنا فإننا سوف نتفرق وسوف يسفك بعضنا دماء بعض وسوف تظهر الفتن وتتلاطم في البلاد كما هو معلوم مشاهد.

وما يسمى بالربيع العربي هذا أنا أسميه بالخريف العربي فكم من الأنفس التي أزهقت بسببه وكم من الأرواح التي قتلت ظلمًا وعدوانًا بسبب هذا الذي

---

(١) أخرجه ابن المبارك (٧٣)، وأحمد (٢٢٠٥٣)، وأبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٩٢٢) وحسنه الألباني في المشكاة ١٠٦٧، صحيح أبي داود ٥٥٦

يسميه بعض الناس بالربيع العربي، وحقه أن يسمى بالخريف الذي يخرف نفوس المؤمنين ويخرف اقتصادهم ومقدرات بلادهم ويدمر بيوتهم ويدمر حياتهم كما هو حاصل ومشاهد ولا ينكره إلا من يتعامى عن كلمة الحق ولا يريد إلا الدمار والقتل والفرقة.

ومن المخارج من الفتن أيضًا اعتزالها وعدم إبداء الرأي فيها واجتنابها وعدم المشاركة فيها لا بطرح ولا بقول ولا برأي ولا باجتهاد فما دام الإنسان سالمًا من الاجتهاد فيها بسيفه فليسلم من الاشتراك فيها بلسانه وأطروحاته أيضًا فإن اللسان في الفتن وقعه كوقع السيوف كما قال العلماء بل كم من فتن لم تثر بالسيف وإنما ثارت باللسان وأوائل الفتن غالبًا هو نطق اللسان، فعلينا أن نكف ألسنتنا عن هذه الفتن وألا نتكلم فيها وألا نشتغل بتحليلاتها وأن نشغل الأمة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن نبعدهم عن هذه الفتن فلا يكثر خوض الناس فيها لأن خوض الناس في الفتن كالبنزين بالنسبة للنار، فكلما كثر خوض الناس في هذه الفتنة كلما عظم تلاطمها في الأمة. فالصمت في الفتن هو المطلوب وفي الحديث: (مَنْ صَمَتَ نَجَا).[١]

ومن المخارج التي تعين على الهروب من الفتن أيضًا وهو مخرج مهم جدًا وقد دلنا عليه النبي ﷺ وهو الإقبال على العبادة وترك أمر الناس، يقول النبي ﷺ: (عِبادَةٌ في الهَرَجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ)[٢]، والمقصود بالهرج أي القتل بسبب اضطراب الفتن، فيقبل الإنسان على قيام الليل والإكثار من الاعتزال في المسجد وعلى

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم «٢٥٠٣» والدارمي (٢ / ٢٩٩) وأحمد (٢ / ١٥٩، ١٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٦)

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٩٤٨)

الإكثار من قراءة القرآن وتتبع مجالس الذكر ورياض الجنة، ويحرص الإنسان على الاعتزال في بيته ليحفظ دينه ولسانه عن الوقوع في شيء من مثالب هذه الفتن، فالإقبال على العبادة من أعظم ما ينبغي الحرص عليه وذلك لأن الفتن تقلق القلوب وتشغلها عن الله، فمن يسر الله عَزَّوَجَلَّ له الإقبال على العبادة حال وقوع الفتن واشتدادها فقد أراد الله عَزَّوَجَلَّ به خيرًا وليعلم المسلم أنه لا يجوز الاعتداء على إخوانه المسلمين لا بقولٍ ولا بفعل، يقول النبي ﷺ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)[١]،ويقول ﷺ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)[٢]، حتى الكافر لا يجوز أن يعتدى عليه ظلمًا وعدوانًا.

فكف اللسان والاعتداء باليد في الفتن مطلب من مطالب السلامة منها، وكذلك لزوم البيوت في الفتن كما في حديث أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: (سَلاَمَةُ الرَّجُلِ فِي الفِتْنَةِ أَنْ يَلْزَمَ بَيْتَهُ)[٣].

فإذا قويت الفتن في البلد وحلت بين بيوتات الناس ولم يستطع الإنسان أن يقي نفسه منها في بيته فليفر إلى الجبال إلى البرية وإلى مكان بعيد فرارًا بدينه، (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٤٨) مسلم في الإيمان باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم رقم ٦٤

(٢) أخرجه البخاري بَابٌ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ برقم (١٠) وأخرج مسلم بعضه في الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل رقم ٤٠

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى ٣٥٠٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٤٩

الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ)[١] وقد أمرنا النبي ﷺ عندما نسمع بقدوم الدجال إلى ديارنا ألا نقابله وإنما نفر منه إلى الجبال، ننأى منه ونعتصم من الوقوع في حبائل فتنته بالفرار منه إلى الجبال.

ومن الأمور التي ينبغي التنبيه عليها أيضًا كثرة الاستعاذة بالله عَزَّوَجَلَّ من الوقوع في الفتن من شرها، يقول النبي ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[٢]، وفي أحاديث كثيرة يأمرنا النبي ﷺ أن نتعوذ من فتن متعددة، فالاستعاذة بالله عَزَّوَجَلَّ من عذاب القبر وهو فتنة وعذاب النار وهو فتنة، وفتنة الدنيا وفتنة المحيى والمات وفتنة المسيح الدجال، وغيرها من الأحاديث التي يطول المقام بذكرها. فإذا التزمت أيها السائل بما ذكرته لك في هذه الفتيا فإنك بإذن الله سوف تكون من الناجين، ووصيتي لمن يسمع فتياي هذه وكلامي أن ينقله لغيره من المسلمين حتى يكون ذلك الكلام من العلم العام الذي ينتشر في الأمة حتى نعرف الواجب علينا في كيفية التعامل مع هذه الفتن، والله من وراء القصد ونسأل الله أن يجعلنا من المخلصين ظاهرًا وباطنًا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الْفِتَنَ برقم (١٩)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة والنار بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ برقم (٢٨٦٧)

١٤١. سُئِلَ الشيخ عن: كيف نجمع بين حديث الجساسة وحلف بعض الصحابة رضوان الله عليهم كجابر وعمر أن المسيح هو ابن الصياد، ولم ينكر النبي ﷺ ذلك، وحديث الجساسة يخبر أن المسيح محجوز في جزيرة ولم ينكر أحد من الصحابة عن ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، لا جرم أن من أقسم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على أن الدجال هو ابن صياد إنما أقسموا من باب غلبة الظن، لما رأوا من اتفاق ابن صياد مع الدجال في كثير من الصفات، والمتقرر في القواعد أن غلبة الظن كافية في التعبد والعمل، ولكن ليس كل مجتهد مصيب، وأما سكوت النبي ﷺ على هذه الإيمان التي كان يسمعها من عمر ومن بعض الصحابة أن ابن صياد هو الدجال، فليس هو من باب سكوت الإقرار والرضا، وإنما من باب سكوت الشك والاسترابة، فقد كان النبي ﷺ مستريبا في أمر ابن صياد حتى كان يتخبأ له ﷺ في حائش النخل ليستخبر أمره، وليستظهر حالته أهو الدجال الذي أخبر به أنه سيخرج في آخر الزمان أو لا، ثم تبين للجميع بعد ذلك أن ابن صياد ليس هو ذلك الدجال، ولذلك فالقول الصحيح عندنا والله أعلم أن ابن صياد أحد الدجاجلة ولكنه ليس بذلك الدجال الذي سيخرج على الناس في آخر الزمان، ويدعي أنه الله، ويأتي بمثال الجنة ومثال النار، وتتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، فهذا هو الدجال الأكبر، وأما من قبله من الكهان ومن السحرة والمشعوذين والعرافين فهم من جملة الدجاجلة، فابن صياد كان له رِئي من الجن، ولذلك لما قال له النبي ﷺ إني خبأت لك خبيئة فقال هو الدخ، ولم يقل الدخان، والدخ معناها الدخان لكن على لغة الجن، فتبين للنبي ﷺ أنه إنما الذي يأتيه ويحدثه رِئي من

الجن، فقال له اخسأ فلن تعدو قدرك، فاستبان للجميع أن ابن صياد ليس هو الدجال الذي أُخبِر بخروجه في آخر الزمان، فهذه الأيمان والحَلِفُ إنما كانت جارية على ما يغلب على ظنهم، والله أعلم.

i

١٤٢. سُئِل الشيخ: هل صحيح أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا وهم بيننا لكن ليسوا ظاهرين، وإن كان هذا خطأ، فكيف نرد على من قال بذلك؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، ومن المعلوم أن علامات الساعة الكبرى يعقبها قيام الساعة الكبرى، فليس بين خروجها وقيام الساعة شيء من الزمان طويل، وبناء على ذلك فالأسلم لنا ولكم أن تتركوا الخوض في هذه المسألة، وأن تعتقدوا بأن هذه الفتنة سوف تقع قبل قيام الساعة بقليل، وأنه سوف تخرج أُمَّتان عظيمتان يقال لأحدهما يأجوج والثانية يقال لها مأجوج، وهم عدد كثير لا يحيط بهم العد، وأنهم يفسدون في الأرض إفسادا عظيما، وأنهم لا يبقون طعاما إلا أكلوه، ولا ماء إلا شربوه، ولا نفسا تقابلهم إلا أزهقوها، حتى إذا اعتقدوا أنهم أفنوا أهل الأرض، أرادوا محاربة أهل السماء، فيرسلون نُشَّابهم فتعود وعليها الدم، فيقولون قتلنا أهل الأرض والسماء، ثم يرسل الله عَزَّوَجَلَّ عليهم النَّغَف وهي حشرة في رقابهم، فيصبحون صرعى كموت نفس واحدة، ثم تمتلئ الأرض من زهم جثثهم ونتن رائحتهم، فيجأر الناس إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ، فيرسل الله عَزَّوَجَلَّ طيرا طويلة أعناقها كالبُخت، ثم تحملهم وتلقي جثثهم حيث شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وبه ينتهي أمر هذه الفتنة، وأما كونهم خرجوا أو لم يخرجوا، أو لا يزالون وراء السد أو قد هُدم

السد، فكل ذلك من أمور الغيب التي لا نعلمها ولسنا بمأمورين أن نَتَخَوَّض فيها، وليس مما سّنُسْأل عنه يوم القيامة، والله أعلم.

i

١٤٣. سُئِلَ الشيخ: هل صح أن ابن الصياد حج بعد موت النبي ﷺ وولد له؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله... نعم، قد صح ذلك وقد ذهب إلى مكة مع بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وقد ولد له أيضا أفهمت هذا؟ ولذلك من حجة ابن صياد على من سأله وعلى من أراد أن يستفسر من أمره من. أصحاب النبي ﷺ أن أنه قال إن النبي ﷺ أخبر أن الدجال لا يدخل مكة وها أنا ذاك قاصد لها. وأخبر أن الدجال عقيم لا يولد له وها أنا ذا لي أولاد خلفتهم في المدينة. ولذلك فالقول الصحيح عند جماهير العلماء بأن ابن صياد ليس هو الدجال الأكبر الذي سيخرج في آخر الزمان أعور العين اليمنى وإنما هو دجال من الدجاجلة لا بمعنى أنه كاهن من. الكهان يكذب على الناس فهو دجال أصغر ففيه مطلق الدجلية وليس فيه الدجلية المطلقة وفقكم الله. هذا هو القول الصحيح إن شاء الله وقد حسم أمر ابن صياد عند أهل العلم في أواخر أمره. وإن كان في أوائله كان مشكلا على النبي ﷺ وعلى جمع من الصحابة حتى كان عمر يحلف بين يدي النبي أن ابن صياد هو الدجال والنبي ﷺ لا ينكر يمينه حتى كان النبي ﷺ يختبئ لابن. صياد في حائش النخل ليتعرف على أحواله. وقال إني خبأت لك خبيئا فقال ابن صياد الدخ. فقال اخسأ فلن تعدو قدرك لأن الدخ هي لغة الكهان إذا أرادوا أن يقولوا الدخان فإنهم يقولون الدخ فعرف أن الذي يخبره بمثل هذه الأمور المغيبة غيبا

نسبيا إنما هو شيطان ورئي من الجن فقال اخسأ فلن تعدو قدرك فهو دجال من مطلق الدجاجلة الصغار ولكن ليست فيه الدجلية المطلقة التي ستكون مع الدجال الأكبر في آخر الزمان.والله أعلم.

i

١٤٤. سُئِل الشيخ: هل الخوارج يدفنون مع المسلمين؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ وبعد، المتقرر في قواعد أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أن فعل الكبيرة ينقص الإيمان؛ ولكن لا ينقض أصل وجوده في القلب، فإذا ارتكب الإنسان شيئًا من الكبائر فإن إيمانه ينقص بقدرِ مخالفته وكبيرته.

ولكن لا تنقض أصل إيمانه فتخرجه عن دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، هذا باتفاق أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ولا جرم أن من المحرمات والموبقات والكبائر العظائم والجرائم التي حرمتها الأدلة كتابًا وسنة: تكفير من لا يستحق إصدار هذا الحكم.

فإذا كفر الإنسان أخاه ظلمًا وعدوانًا وبهتانًا، فإنه يكون بذلك قد ارتكب كبيرةً عظيمةً من كبائر الذنوب وموبقات الآثام؛ لكنها وإن كانت تنقص إيمانه على حسبه، إلا أنها لا تخرجه عن دائرة الإِسْلَامَ بالكلية.

فمن وقع في تكفير غيره ظلمًا وجهلاً وعدوانًا، فإنه يكون مرتكبًا كبيرةً من كبائر الذنوب؛ ولكن لا يخرج عن دائرة الإيمان بالكلية، إلا إذا استَحَلَّ هو هذا التكفير بلا علم.

فمن استَحَلَّ تكفير المُسْلِمِيْنَ فإنه يكفر، لأن تكفير المُسْلِمِيْنَ مما يعلم من الدين بالضرورة حرمته، والمتقرر عند العلماء: أن من استحل معلومًا من

الدين بالضرورةِ حرمته فهو كافرٌ.

والخوارج قد وقعوا في تكفير المُسْلِمِيْنَ، ولا جرم في ذلك ونحن نعرف من مذاهبهم تكفير الحكام، وتكفير كثير من العلماء والصالحين وغيرهم من أفراد الأمة، ولكن هذا التكفير لا يخرج الخوارج عن دائرة الإِسَّلاَم لماذا؟.

لأنه تكفيرٌ بالشبهة هذا أولًا، ولأنه تكفيرٌ بالتأويل هذا ثانيًا، ولأنه لا يعدوا أن يكون كبيرةً عظيمةً من كبائر الذنوب، وفعل الكبيرة لا يخرجها عن دائرة الإِسَّلاَم، فمن استَحَلَّ من الخوارج تكفير المُسْلِمِيْنَ فهو كافر.

لأنه استَحَلَّ معلومًا من الدين بالضرورة حرمته، وأما من لم يستحل تكفير المُسْلِمِيْنَ وإنما كفر من اجتهد هو في تكفيره، ورآه كافرًا على حسب اجتهاده هو ؛ فإنه يكون بذلك مرتكبًا لحرامٍ وكبيرة؛ ولكن لا تخرجه عن دائرة الإِسَّلاَم.

وقد اختلف أهل العلم -رحمهم اللَّهَ تعالى- في حكم الخوارج أكفارٌ هم أم لا؟ على قولين لأهل العلم والقول الصحيحُ والذي عليه أكثر العلماء: أن الخوارج من أهل الكبائر؛ ولكن ليسوا كفارًا، فهم من أهل الكبائر أي من فُساق الملة.

ولكنهم ليسوا بكفار، فنحكم عليهم بأنهم من أهل الكبائر، وبناءً على حكمنا ذلك، فإذا مات الواحد منهم فإننا نتعامل معه كما نتعامل مع سائر المُسْلِمِيْنَ، فنغسله ونكفنه ونصلي عليه، وندفنه في مقابر المُسْلِمِيْنَ.

لأن كل من مات ومعه أصل الإيمان والإسلام، فإننا نعامله معاملة المُسْلِمِيْنَ؛ ولكن استحب كثيرٌ من أهل العلم في من مات على شيءٍ من المخالفات العقدية أو السلوكية؛ أن يتخلف عن الصلاة عليه أهل الدين وأهل الصلاح وأهل الفضل والوجهاء في البلد.

حتى يكون تخلفهم عن الصلاة عليه زاجرًا لغيره عن سلوك طريقه ومخالفته، فإذا مات أحد الخوارج نتعامل مع سائر المُسْلِمِيْنَ، ولكن ينبغي أن يتخلف عن الصلاة عليه الوجهاء وأهل الدين، وأهل الصلاح لعل ذلك يكون زاجرًا.

كما تخلف النبي عن الصلاة على من عليه دينٌ لم يترك له وفاءًا، وترك الصلاة على الغال، وترك الصلاة على قاتل نفسه وهكذا، فهذا تركٌ من باب الزجر لا من باب التكفير، بل هو من باب الزجر والله أعلم.

i

١٤٥ . سُئِل الشيخ عن: العلامة التي تظهر بكثرة السجود في الجبهة هل هي من علامات الخوارج، والدليل: صفة ذي الخويصرة في اعتراضه على النبي ﷺ هل يصح وصف من هي فيه أن به صفة خلقية من صفات الخوارج؟ وما هي أصول الخوارج؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الذي ينبغي الجواب عنه في هذا السؤال وينبغي التنبيه عليه: هو صفات الخوارج وأصول الخوارج، هذا من أهم ما ينبغي التنبيه عليه، والمتقرر عند العلماء: أن للخوارج صفات كثيرة ذكرتها الأدلة الصحيحة المتواترة في السُنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، هي التي لابد أن نتعرف عليها، وأن نتفقه فيها، فمن ذلك وهو أعظمها: الجرأة على العلماء، بل إن المُنَظِّر لهم تجرأ على رسول الله ﷺ كما قال ذلك الرجل ((يا

مُحَمَّدُ، اعْدِلْ))[(١)]،وقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ))[(٢)].

فعندهم جرأةٌ على من خالفهم، ولو كان من أهل الفضل والعلم، بل ولو كان من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد خرج الإمام أحمد في مسنده من طريق سعيد قال: ((كُنَّا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى نُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ، وَقَدْ لَحِقَ غُلَامٌ لِابْنِ أَبِي أَوْفَى بِالْخَوَارِجِ، فَنَادَيْنَاهُ يَا فَيْرُوزُ، هَذَا ابْنُ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: نِعْمَ الرَّجُلُ))[(٣)].

يعني الصحابي بن أبي أوفى لو هاجر إلينا، لو هاجر إليهم معاشر الخوارج، قال ابن أبي أوفى له: ما يقول عدو الله، فقيل يقول: ((نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللهِ، قَالَ: يَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، فَقَالَ: هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ))[(٤)].

وهذا حديث حسن، فلا تعجبوا أيها الإخوان من جرأة هؤلاء الخوارج على مشائخ علماء أهل السُنة خاصة، وعلى علمائنا، فإنهم لا يرضون عن أحد حتى ينزع البيعة من إمامه ويهاجر إليهم، وينضم إلى حزبهم ولو كان صاحبًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاستهتارهم بالعلماء وقدحهم في العلماء وجرأتهم على العلماء بل وتكفيرهم للعلماء ونبذهم وقدحهم في نيات العلماء ووصفهم

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ] (٧٤٠/٢) برقم:[١٠٦٣].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[بَعْثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ (، إِلَى اليَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ] (١٦٣/٥) برقم:[٤٣٥١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ] (٧٤٢/٢) برقم:[١٠٦٤]، واللفظ للبخاري.

(٣)أخرجه أحمد في «مسنده» باب:[حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى] (١٥٦/٣٢) برقم:[١٩٤١٤].

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» باب:[حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى] (١٥٦/٣٢) برقم:[١٩٤١٤]

للعلماء بصفات السوء هذا من أعظم ما يُميز الخوارج، مما نبه عليه النبي ﷺ.

ومن صفاتهم كذلك: صلاح الظاهر وفساد المعتقد والفهم والباطل، فمن أعظم ما يُميز الخوارج كذلك: أنهم وإن بدا صلاحٌ لهم في الظاهر إلا أنهم في الباطن من أفسد الناس فهمًا، ومن أفسد الناس عقيدةً، ولذلك يقول النبي ﷺ: ((يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ))(١).

فإذًا لا تغتروا بزهدهم ولا بعلامات السجود إذا خرجت على الواحد منهم مع فساد منهجه، وفساد عقيدته، فإذًا هذه العلامة لا تدل لا على صلاحٍ ولا على طلاح، وإنما المقصود: صحة المنهج، وسلامة الاعتقاد، فلا تغتروا بزهد الخوارج المزعوم، ولا تغتروا بتشددهم في أمورهم، ولا تغتروا بدعواهم نُصرة الدين والدعوة والجهاد، فإن العبرة بموافقة الرجل للسُّنة، وتمسكه بالمنهج السلفي الصحيح، ولهذا قال النبي ﷺ في الخوارج مع شدة مع إخباره بشدة عبادتهم وبكائهم: ((هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ))(٢)

بل إن النبي ﷺ قال في صحيح الإمام مسلم أيضًا: إنهم من أبغض خلق الله إليه، مع شدة عبادتهم لكنها لما لم تكن قائمة على ساق صحيح من الاعتقاد الصحيح، والتوحيد الخالص، والمنهج السليم، والفهم المستقيم صاروا من

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[إِثْم مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ] (١٩٧/٦) برقم:[٥٠٥٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ] (٧٤٣/٢) برقم:[١٠٦٤]، واللفظ للبخاري.

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ] (٧٥٠/٢) برقم:[١٠٦٧].

أبغض خلق الله عَزَّوَجَلَّ إليه.

ومن صفاتهم كذلك: إظهار شيء من الحق ليتوصلوا به إلى الباطل الذي يريدون، فهم وإن أظهروا شيئًا من الحق إلا أنهم لا يريدون الحق لذاته، وإنما يريدونه ليتوصلوا به إلى باطلهم الذين يزعمون أنه هو الإصلاح في الأرض، فهم يظهرون الإصلاح والمطالبة بالمخالفة الإسلامية، والمطالبة بتحكيم الشريعة، حتى في بلادٍ قد تُحكم الشريعة كما في بلاد التوحيد التي يسعون الآن لتخريبها وتدميرها على أهلها الموحدين عليهم من الله ما يستحقون، فهم وإن أعلنوا هذا الأمر وقالوا بزخرف القول غرورًا إنما ذلك ليتوصلوا به إلى حمل السلاح وإسقاط الدولة.

وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: ((أَنَّ الْحَرُورِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ، وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ))[1].

وصدق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكم من كلمة حقٍ أُريد بها باطل في هذا الزمان، فلا تغتروا بمن يزعم أنه ينطق بكلمة الحق، لكن هواه ووجهه ونصرته لغير أهل السُنة والجماعة ولغير السلف الصالح فهو لا يريد نصرة السلف ولا يريد نصرة الدين ولا الكتاب والسُنة، وإنما يريد نصرة مذهبه وعقيدته التي يدين بها هو وهي عقيدةٌ فاسدة، ولذلك عادوا أهل التوحيد عادوا المجاهدين من الموحدين، سفكوا دمائهم، استحلوا أعراضهم، أخذوا، نهبوا أموالهم بحُجج داحضة، إنما ذلك ليتوصلوا به إلى تحقيق أهواءهم في الأُمة، فلذلك لابد أن نحذر منهم

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ] (٢/٧٤٩) برقم:[١٠٦٦].

فقد استباح قدماؤهم كثيرًا من دماء أصحاب رسول الله ﷺ وأموالهم، وهم في ذلك يحسبون أنهم يُنكرون المنكر، وينصرون الدين، وهم يُلبسون بذلك على العوام، فيقولون كلمة الحق التي تقشعر منها الأبدان ولكنهم يقولونها ليتوصلوا بها إلى باطلٍ قد أضمرته نفوسهم.

ومن صفاتهم كذلك: الجهل بالكتاب والسُنة وسوء الفهم لمعاني الأدلة، كما قال ﷺ: ((يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ))[(١)]

وسبب هذا الجهل: زُهدهم في العلماء، وترفعهم وكبرهم وغطرستهم عن الأخذ من العلماء الصادقين الراسخين، لأنهم ينبذون العلماء بأنهم علماء سلاطين، وأنهم منبطحون تحت أقدام الحكام والأمراء، فلأنهم لا يحترمون العلماء فهم لا يأخذون عنهم، والذي لا يأخذ منهجه ودينه وعلمه عن العلماء فإنه سيكون في ضلال مبين، فإذًا يجب علينا الحذر منهم لأن عندهم أفهامًا فاسدة كاسدة فكثر عندهم إراقة الدماء، وإثارة الفتنة الدهماء، كل ذلك بسبب جهلهم بأدلة الكتاب والسُنة وما يعلمونه من الكتاب والسُنة فإنهم يفهمونه على غير فهم السلف الصالح، فيأتون إلى آيات نزلت في الكفار ويجعلونها على عباد الله المؤمنين الموحدين.

ومن صفاتهم كذلك: استباحتهم لدماء المسلمين والمعاهدين، واستحلالهم أعراض المسلمين وأموالهم وأولادهم.

وفي صحيح مسلم: أن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حرض المسلمين على قتال الخوارج لما نزعوا بيعته وأفسدوا في الأرض، فقال بعد أن ذكر حديث الخوارج ووقوفهم

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ] (٧٤٨/٢) برقم:[١٠٦٦].

من الإسلام قال: يا أيها الناس أتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إني لأرجوا أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح المسلمين فسيروا على اسم الله-؟ أي: لحربهم.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: أن عائشة (ا قالت ((فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا ابْنَ شَدَّادٍ، فَقَدْ قَتَلَهُمْ فَقَالَ: وَاللهِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِمْ حَتَّى قَطَعُوا السَّبِيلَ))[1] يعني: أنه لم يبدأه بالقتال ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، ((وَسَفَكُوا الدَّمَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ.))[2] وهو حديث سنده جيد، فهذا يدل على خصلة من خصال الخوارج، وهي: استحلال دماء أهل الذمة، ودماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم، لأنهم يرون أن الذي أعطاهم العهد والأمان ولي أمرٍ كافر، فهم بسبب تكفيره لولاة الأمر وللعلماء ولعموم المسلمين يجعلون كل عهد يصدر من إمام المسلمين عهدًا باطلاً لا يوجب الأمان والذمة لأهل الذمة والأمان.

ففي الحديث المتقدم: أن علي بعث إلى الخوارج قبل أن يقاتلهم، فقال: بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾. هذه هي صفاتهم.

ومن صفاتهم كذلك: أنهم كما قال رسول الله ﷺ: ((حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ))[3] ومن فضل الله: أنه لا يكون معهم أحدٌ من أهل العلم ولا

---

(١)أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٦/٢)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١١٢/٨).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٦/٢)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١١٢/٨).

(٣)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[إِثْمِ مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ] (١٩٧/٦) برقم:[٥٠٥٧].

الفضل ولا السُنة، أما الذي يدافع عنهم فهو إما أن يكون منضمًا إلى مذهبهم وعقيدتهم، أو يكون جاهلاً بحقيقة أمرهم نسأل الله أن يفقهنا والمسلمين جميعًا في حقيقة هؤلاء الذين خذلوا الإسلام وخذلوا أهله، وفوقوا بنادقهم ومدافعهم إلى صدور إخوانهم المسلمين الموحدين.

ومن صفات الخوارج كذلك: الطعن في العلماء وصرف الشباب عن مجالسة العلماء، فأول شيء يزرعونه في قلب من يتبعهم: بغض العلماء والقدح في العلماء، وهذا كيدٌ كُبارٌ منهم، لأنهم يريدون أن يقطعوا طريق الرجعة على هذا الشاب في تكريهه لمصدر العلم الذي يستطيع به أن يكشف شبههم، وأن يكشف عوارهم، وأن يفضح مخططاتهم، وأن يبين صفاتهم، فهم يريدون قطع خط كف شبههم فيكرهون شباب الأمة في علمائها، ويبغضونهم في أهل الدين والفضل حتى إذا كره الشاب أهل العلم ووقف منهم المواقف المخزية الفاضحة في قلة الأدب عليه بدئوا يصبون في قلبه وعقله صبًا تلك العقائد الفاسدة، فيبقى الشاب في أول أمره مشوش الذهن لا يدري إلى من يرجع ليسأل لأنهم قطعوا طريق الرجعة عليه في سؤال العلماء، فلا يجد أمامه إلا هؤلاء سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان صغار العلم فيسألهم فيؤكدون ما صبه قادتهم في ذهنه وعقله فحينئذ يكون حربًا على الأُمة الإسلامية، فأول ذلك تكريهه في العلماء، وتحذيره من مجالسة أهل العلم الراسخين، والقدح فيهم، والطعن فيهم حتى يأمنوا شُبههم أن لا تنكشف، ويأمن على عوارهم أن لا يُفضح لأن الشاب متى ما رجع إلى أحدٍ من أهل العلم فإنه سيبُين له حقيقة مذهب هؤلاء، فنجحوا مع كثيرٍ من الشباب ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإذًا طعنهم في العلماء وصرف الشباب عن مجالستهم هذا من أعظم كيد هؤلاء

الفساق لأن الشباب إذا اتصلوا بالعلماء السلفيين، والتفوا حول علمائهم رغبةً في العلم كان ذلك سببًا في سلامتهم، وسببًا في بيان وكشف عوار الخوارج.

ومن صفاتهم كذلك: خذلان الله عَزَّوَجَلَّ لهم، ولله الحمد، وإبطاله لكيدهم وقطعه لدابرهم هذه من صفات الخوارج، فلا يقوم لهم دولة، ولا يقوم لهم عز، ولا يقوم لهم فرقة وجماعة إلا جعلهم الله شذرا مدرا في الأرض فلا سلطان ولا عزة ولا تمكين للخوارج منذ خرجوا إلى هذا الزمان وإلى أن تقوم الساعة كذلك إلى أن تقوم الساعة والخوارج لن تقوم لهم دولة لأنهم مفسدون مخالفون للسنة ومن خالف السنة فهو في وحشة وغربة، ومآله أن يتخلى عنه حزبه وينفرد لوحده في هذه الأرض لا تابع له ولا ناصر ولا سلطان له، فهذا أمره إلى وبالٍ حتى وإن زخرف الإعلام واقعهم أو دولتهم وخلافتهم المزعومة فإن أمرهم في سفالٍ وأمرهم إلى وبالٍ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من لطف الله عَزَّوَجَلَّ بأهل السُنة أن الذل مصاحبٌ للخوارج، فإن قلت: وما دليلك على هذه الصفة؟

فأقول: دليلنا حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ))[١].

هذه من جُملة الصفات التي ينبغي التنبيه عليها، والإحاطة، ونشرها في فئام الأُمة حتى تتضح الحال لهم وينكشف الزيف عن قلوب كثيرٍ من المغترين من

---

(١)أخرجه ابن ماجه في «سننه» باب:[فِي ذِكْرِ الْخَوَارِجِ] (٦١/١) برقم:[١٧٤]، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٣٩٨/٩) برقم: [٥٥٦٣]، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة» (٥٨٢/٥) برقم:[٢٤٥٤].

شبابنا بهم، نسأل الله أن يكفينا شرهم وشر سائر عدونا، والله يقينا وإياكم الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

i

١٤٦. سُئِل الشيخ عن: هل صحت هذه المقولة عن علي بن أبي طالب أخواننا بغوا علينا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا الأثر فيما أعلمه ضعيف عن علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - أو فيه شيءٌ من الضعف، ولكن على كل حال أن من الناس من يستدل به بشكل خاطئ فيحمله على الخوارج المارقة وأن عليًا - رضي الله عنه - قال هذا القول في الخوارج، ولكن الصحيح أنه لم يقل هذا في حق الخوارج المارقة وإنما قال هذا أي (إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا)[1] في أهل صفين والجمل وأين هؤلاء من أولئك ولعل السبب في هذا الخلط هو التشابه بين الألفاظ المنقولة عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فوقع كثير من الناس في الخلط بسبب اختلاف رواياته.

فالقول الصحيح في هذه المسألة أن عليًا - رضي الله عنه - إنما قال هذا القول في أهل صفين والجمل ولم يقله في الخوارج المارقة فيما أعلم، والله أعلم.

i

١٤٧. سُئِل الشيخ: استشكل عليَّ فهم هذا الحديث: (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ

---

(١) أخرجه البيهقي ٨/ ١٧٣، وعبد الرزاق (١٨٦٥٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٩٢)، وابن عساكر ١/ ٣٤٥

ﷺ قَالَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُنَيْهَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ فَقَالَ: إِنْ عُمِّرَ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[1] فما معنى هذا الحديث؟

فأجاب - عفا الله عنه-/ الحمد لله رب العالمين معناه الساعة الخاصة لهذه القبيلة وليس المقصود بها الساعة العامة التي تكون على الجميع، فليس المقصود بها نفخ إسرافيل في الصور؛ وإنما المقصود بها موت هذه القبيلة فإن النبي ﷺ كان ينظر إذا سُئل عن مثل ذلك، كان ينظر إلى أصغر القوم فيقول إن عُمّر هذا الغلام فإنه لا يدرك الهرم حتى تقوم الساعة لا يقصد بها الساعة العامة التي ينفخ إسرافيل فيها في الصور؛ وإنما يقصد بذلك ساعة هؤلاء لأن غالبا أن الكبار يموتون قبل الصغار، فغالبا لا يبلغ صغار القوم الهرم إلا وقد مات من كان هرمًا وذلك الشاب صغيرًا، فالمقصود بها ساعة هؤلاء. ولذلك في بعض الروايات يوضح هذا المعنى قال حتى تقوم ساعتكم فنسب الساعة لهم فالمراد بها الساعة الخاصة التي تخص هذه القبيلة السائلة وليس المقصود بها الساعة العامة والله أعلم.

وعندي تنبيه لكم -وفقكم الله- يا معاشر الطلبة وهي أنه دائمًا إذا أشكل عليكم شيء من الأحاديث وفي المسألة دليل محكم فالواجب عليكم أن تقفوا عند المحكمات فلا ينبغي أن يشكل عليكم هذه المتشابهات لأن المتقرر في قواعد الرسوخ العلمي أن المتشابه يُرد إلى المحكم وأن المحتمِل يُرد إلى الصريح فلا يمكن أبدا أن تفهم من قوله إن عُمِّر هذا الغلام لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة لا يمكن أن تفهمه الساعة العامة لأن علم الساعة العامة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٥٣)

منفي قال الله - عَزَّوَجَلَّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢-٤٥] ويقول النبي ﷺ كما في الصحيحين (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)[١] فلا يمكن أن يقصد بها الساعة العامة، عندنا أدلة واضحة ومحكمة في أنه لا يعلم متى تقوم الساعة العامة فهذه الساعة التي علم متى تقوم إنما هي الساعة الخاصة وليست الساعة العامة فكيف يشكل عليك قوله تقوم الساعة مع أن عندك أدلة في المسألة واضحة وصريحة ومحكمة في أنه لا يعلم متى قيام الساعة والله أعلم

i

١٤٨. سُئِل الشيخ عن: انتشرت صورة فيها صاعقةً على شكل خريطة فلسطين، فاختلف الناس في تفسيرها، فما رأيكم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، الجواب: المتقرر في قواعد علم النفس أن الأشياء الداخلية تؤثر على إدراك الفرد للموضوعات الخارجية، فالناس في تفسيراتهم لما يرونه ويسمعونه تختلف باختلاف ما يقوم في قلوبهم، وصدورهم، ونفوسهم من الحاجات الملحة، فمثلاً الذي فسّر هذه- هذا البرق على صورة خريطة معينة- حملها على أنها خريطة فلسطين حتى تُذكّر الناس بثالث المساجد المعظَّمة، وأنهم نسوها، هذا لأمرٍ يقوم في قلبه أصلاً،

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٥٠) ومسلم برقم ((٩))

وإلا فلا حقيقة له في الواقع.

وقد جرت عادة البرق أن لا يأتي إلا على هذه الصورة في الأعم الأغلب، فلو أننا تتبَّعنا أحوال البرق، وأنزلنا كل برقة على خريطة من الخرائط فلربما نستوفي بلاد العالم كلها؛ لأن البرق يختلف شكله باختلاف قوة الصاعقة، فإذاً هذا من التخرص، ومن التفسيرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن التخمين والظنون التي ليست مبنية على أصلٍ ثابت ولا على أصلٍ رصين.

فلا ينبغي للإنسان أن يحمل شيئاً من هذه الظواهر الكونية على أمور معينة في واقع الناس إلا بدليل، فالأمور السماوية لا تُربط بشيءٍ من الحوادث الأرضية إلا بدليل؛ لأنه أمرٌ غيبي، وما الذي أدراك أن الله عَزَّوَجَلَّ أجرى هذا البرق على هذه الصفة المعينة ليُذكّر الناس بذلك؟ من الذي قال لك هذا؟ من أين أتيت بهذا؟ إنما هو تخرُّصٌ، وظنٌ، وتفسيرٌ للأمور بما يقوم في القلوب من الحاجات والمطالب فقط.

ولهذا لا ينبغي أن يُعتمد هذا، ولا أن يُنظر له بعين الاعتبار، وهو أمرٌ قاله صاحبه، وانتشر بين الناس بسبب سهولة نشر مثل هذه الخزعبلات، ونشر هذه الترّهات لا ينبغي أن ينتبه أو أن يهتم به الإنسان، فلا يُحمل شيءٌ من ذلك على شيءٍ من ذلك إلا بدليل، ونسأل الله أن يكفينا شر الصواعق، وأن يكفينا شر البروق، وأن لا يريد بنا إلا خيراً عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم.

i

١٤٩. سُئِلَ الشيخ: هل يُقال أن من أسباب الوقاية من هذا البلاء - عافانا الله وإياكم جميعاً - الانتقال إلى المدينة المنوَّرة للعيش فيها حالياً أو مؤقتاً حتى

ينجلي هذا الوباء كورونا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: إذا صنَّفنا أن كورونا من جملة الطواعين فلا جرم أن الدليل قد دلَّ كما في صحيح مسلم أن المدينة محفوظة من الدجال ومن الطاعون، ولكن هذا يفتقر إلى تصنيف كورونا أهُوَ من جملة ما يدخل تحت عموم أمراض الطاعون أو لا؟ والأقرب عندي – والله أعلم – أنه لا يدخل، وإنما هو نوعٌ من الأمراض والأوبئة كالطاعون ولكنه ليس طاعوناً، فالطاعون أشد منه.

وبناءً على ذلك، فليس من الاحتماء من الإصابة بهذا الوباء المسمى كورونا أن يكون الإنسان ساكناً في مكة أو المدينة، لأن المدينة إنما تكون محفوظة من الطاعون الذي كان معروفاً على عهد النبي ﷺ، وأما تلك الأوبئة فإن المدينة كغيرها من البلاد، هذا في نظري، والله أعلم.

i

١٥٠. سُئِلَ الشيخ: هل الخوارج موجودين في زماننا هذا؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، كل من اعتقد عقيدة الخوارج فإنه يعتبر خارجيًا، ومن المعلوم أن الخوارج فرقةٌ من الفرق التي تنتسب للإسلام، وهي من أوائل الفرق خروجًا، فقد خرجت في أواخر عهد أصحاب النبي.

وقد قاتلوا الصَّحَابَةِ في معارك متعددة معروفه، وكان أول ظهورٍ لهذه الطائفة تحديدًا في معركة صفين، التي جرت أحداثها بين أمير الْمُؤْمِنِيْنَ علي ومعاوية -رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُما وأرضاهما-.

وذلك حين رفع أهل الشام -وهم جيش معاوية- المصاحف، داعين أهل العراق وهم جيش علي إلى الاحتكام إليها، فاغترَّ الخوارج بتلك الدعوة في حين رآها علي ابن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ- حيلةً من أهل الشام، لدفع هزيمةٍ بدت علامتها.

وهذا أول خروجهم فيما أعلم كفرقة، وأما أصل وجودهم فقد كان في عهد النبي، في ذلك الرجل الذي قال: (اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ)[١]، وقد كثرت الأَحَادِيْثِ النبوية الصحيحة في الخوارج وبيان صفاتهم، وشيءٍ من عقائدهم وشيءٍ من ما يجب على الأمة تجاههم.

وقد اتفق على إخراجها أصحاب الصحيح الْبُخَارِيّ ومسلم -رحمهم اللَّهَ تعالى-. والخوارج لهم عقائد معينة كل من دان بهذه العقائد والأفكار فإنه يعتبر من الخوارج بغض النظر عن التسميَّات التي قد تقيد الذهن والفكر بطائفةٍ دون طائفة.

فمن عقائد الخوارج: الدعوة إلى الخروج على الحكام، إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين، فالحكام الذين يخالفون الخوارج في فهمهم وعقائدهم يعتبرون كفارًا عند الخوارج، ويجب الخروج عليهم.

فمن تسمعونه يدعوا إلى الخروج على الحكام ونبذ اليد من الطاعة، ففيه شائبةٌ من شوائب الخوارج.

ومن عقائدهم كذلك: التبرؤ من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي.

ومن عقائدهم كذلك: تكفير المُسْلِمِينَ واستحلال دماء المُسْلِمِينَ وديارهم،

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣١٣٨)، ومسلم برقم (١٠٦٣).

وجعل بلاد المُسْلِمِينَ بلاد حربٍ، فهم من أكثر الطوائف قتلاً وإزهاقًا للنفوس البريئة المسلمة، فهم أكثر الطوائف يزهقون النفوس بلا علمٍ ولا برهانٍ.

وكذلك من صفاتهم -والعياذُ بالله-: قلة فَهم القُرْآنِ ووعيه، كما في حديث أبي سعيدٍ الخدري، في قول النبي :

(يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مع صَلاَتِهِ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ،)[1].

ومن صفاتهم كذلك ومما يدينون الله به: أنهم يسالمون أهل الكفر، ويحاربون أهل الإسَّلاَم، كما روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيدٍ مرفوعًا :(يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسْلاَمِ ويَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)[2].

ومن صفاهم الظاهرة فيهم: أنهم صغار الأسنان سفهاء الأحلام، كما في الحديث المتفق عليه عن علي مرفوعًا، في بيان صفة الخوارج:(يَقُولُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ)[3].

ولذلك وصفهم النبي هُمْ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ [4]، كما ثبت ذلك في صحيح الإِمَامِ مسلم، ﴿كِلاَبُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ﴾

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠) و مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤

(٢)أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٤) و مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤

(٣)أخرجه البخاري برقم (٣٦١١) و مسلم في الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج رقم ١٠٦٦

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٧) وأخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وأبو يعلى (٣١١٧) وأخرجه الطيالسي (٩٢٣)

﴾(١)،

وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإن قلت إذا ثبت عن طائفةٍ أنها من الخوارج، وأنها تنتمي لعقيدة الخوارج، وإلى مذهب وفكر الخوارج، فكيف إذًا نتعامل معهم؟.

فنقول: لقد وضع أمير المُؤْمِنِينَ -عليٌ- منهجًا قويمًا في التعامل مع هذه الطائفة، مستمدًا من قول النبي :(لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)(٢)، فلا علاج لهذه الطائفة إلا بأمرين:

أن نحاورهم وأن نكشف شبهتهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فإن أصرَّوا وعاندوا على الشبهة وقتل المُسْلِمِينَ وغزة ديارنا.

فإن الحل هو أن نقاتلهم من باب كف شرهم، ودفع ضررهم وعدائهم عن المُسْلِمِينَ وأهل الإِسْلاَمِ والله أعلم.

i

١٥١. سُئِلَ الشيخ: ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال في حق الخوارج: (لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)(٣)، وقال: (كِلاَبُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه برقم (٣٠٠٠) وأخرجه عبد الرزاق ١٥٢/١٠ رقم١٨٦٦٣، وأحمد ٢٥٣/٥، والطبرانى فى «المعجم الكبير ٢٦٦/٨ رقم٨٠٣٣» وحسنه الألباني في المشكاة ٣٥٥٤

(٢)أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١) مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤

(٣)أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١) مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤

خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ)[١]، والمتقرر أن الرافضة أشد تكفيرا للأمة من الخوارج، فلماذا لم يرد عن الرافضة مثل هذا، فهل فيه من علة أو شيء خفي علينا؟

فأجاب – عفا الله عنه –: لابد أن تعلم أن الأمر الشرعي بقتال الخوارج وقتلهم ليس لكفرهم، وإنما لدفع ضررهم عن المسلمين، وإزالة شرهم وأضرارهم، وذلك لأن الخوارج من أعظم الفرق التي تتعبد الله عَزَّوَجَلَّ بتكفير المسلمين، فهم الطائفة التي انتشر عندهم التكفير، فلأنهم يكفِّرون فئام المسلمين حُكَّامًا ومحكومين، ويحكمون بأن دماء المسلمين غير معصومة، وأن كثيراً من المسلمين بسبب تكفيرهم الطائش يُعتبر حلال الدم والمال، وأن كثيراً من ديار المسلمين ديار حرب، فهؤلاء إنما أُمِرنا بقتلهم وقتالهم لدفع عاديتهم وشرِّهم.

فليس الحديث يدل على شيءٍ من المقارنات بينهم وبين الطوائف، لأنهم أعظم الطوائف في قتل المسلمين، وأعظم الطوائف ضلالاً في قضية تكفير المسلمين، ولذلك فالأحاديث تدل على الأمر بقتالهم لدفع عاديتهم ودفع شرِّهم وضررهم عن المسلمين.

فإن كان ثمة طائفة تفوقهم في تكفير المسلمين فإنهم يدخلون مع الخوارج في قياس الأولى، فإذا كان هذا شأن الخوارج فكيف بمن يفوقهم تكفيراً للمسلمين، وكيف بمن يفوقهم إزهاقاً لأرواح المسلمين؟ فأيُّ طائفة تُعرف بأنها أشد فتكاً في المسلمين من الخوارج، وأشد تكفيراً للمسلمين من الخوارج، وأشد استباحة للمال والدم المعصوم من الخوارج؛ فإنهم يأخذون حكم الخوارج من

(١)أخرجه الترمذي وحسنه برقم (٣٠٠٠) وأخرجه عبد الرزاق ١٥٢/١٠ رقم١٨٦٦٣، وأحمد ٢٥٣/٥، والطبراني في «المعجم الكبير ٢٦٦/٨ رقم٨٠٣٣» وحسنه الألباني في المشكاة ٣٥٥٤

باب أولى، وهذا القياس يسميه الأصوليون بالقياس الأولويّ، والمتقرر في القواعد: أن القياس الأولوي حجة. والله أعلم.

i

١٥٢. سُئِلَ الشيخ :هل داعش على حق؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، المتقرر عند العلماء: أن ما وافق الحق فهو حق، وما وافق الباطل فهو باطل، والمتقرر عند العلماء: وجوب رد الأمور المتنازع فيها إلى كتاب ربّنا وسُّنَّة نبينا، حتى نعرف الحق فإن ما وافق الكتاب والسُّنة فهو حق، وما خالفهما فهو الباطل.

ولَمَّا نظرنا فيمن يُسمون أنفسهم بداعش وجدنا أنهم ليسوا على حقٍ لا في صدرٍ ولا ورد، فلا يجوز الالتحاق بهم ولا الانضمام لهم ولا لطائفتهم، ولا الانطواء تحت شعارهم، وذلك لما يحملونه في قلوبهم من العقائد الباطلة الفاسدة من تكفير المُسْلِمِينَ على وجه العموم والتفصيل.

فإنهم من أكثر الطوائف تكفيرًا في هذا الزمان، وإنك لو رأيت بنادقهم لما وجدتها مُصَوّبةً إلا على صدور إخوانهم من أهل الإِسَّلاَم، فهم يقتلون أهل الإِسَّلاَم ويدعون أهل الأوثان.

وليس بينهم وبين الرافضة إلا مسافاتٍ يسيرة، ولكننا لا نراهم يهددون الرافضة، ولا غزوا بلاد الرافضة وإنما ألسنتهم بالسوء تفري في أهل الإِسَّلاَم، وفي أهل التوحيد فأسلحة ألسنتهم وأسلحة بنادقهم إنما صوبوها لأهل الإِسَّلاَم وأهل التوحيد وأهل السُّنة.

مع ما يعتور مذهبهم من المزالق الخطيرة في أبوابٍ كثيرة عقدية، ليس هذا مجال

تفصيلها، فالذي ندين الله- عَزَّوَجَلَّ- به أنهم على باطل، وأنه لا يجوز الانطواء تحت رايتهم، ولا مبايعة خليفتهم المزعوم، ولا الرضا برايتهم.

ويجب علينا أن نحذر ممن علِمناه منتسبًا لهم أو مقتنعًا بفكرهم، أو يدين الله بعقيدتهم، فعلينا معاشر العلماء وطلبة العلم، ومعاشر المربين والآباء والمعلمين أن نحذِّر الأمة من الالتحاق بهم.

ومن التأثر بأفكارهم العفنة المنتنة، والتي لا نزال نفجع في كل يوم بفجيعة يفعلها هؤلاء في أهل الإسلام، فنسأل الله أن يعيذ أهل الإِسْلَامَ منهم ومن مكرهم وكيدهم، ونسأل الله أن يُمكِّن أهل السُّنة منهم، حتى نقيم فيهم حكم الله، ونسأل الله أن يحمي بلاد المُسْلِمِينَ من شرهم والله أعلم.

i

١٥٣. سُئِلَ الشيخ :التوجيه في فتنة الاختلاف والفرقة بين المسلمين؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، فإن من قواعد هذا الدين وأصوله العظيمة أن تتفق الأمة وتأتلف وألا تفترق أو تختلف، وأن تعتصم بحبل الله جميعًا، وأن تنبذ أسباب الفرقة والتنازع، فهذا أصلٌ عظيم من أصول الإسلام الكبيرة الفخمة التي ينبغي لكل فرد من أفراد هذه الأمة أن يحرص على تطبيقه، وأن يجعله هو المصلحة العظمى التي ينبغي الالتفاف حولها وتحقيقها في واقع الناس. فإن من أكبر المصائب التي تبتلى بها الأمة وتفتك بها وتطيح براياتها وتذهب تطورها وتجعلها لقمة سائغة أمام الأمم الكافرة: هو التنازع والافتراق والاختلاف فيما بين فآمها وطوائفها.

ولذلك نهانا الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك وأمرنا بالاتحاد والاتفاق والائتلاف ونبذ

أسباب الفرقة والتنازع والاختلاف فقال الله -عَزَّوَجَلَّ- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] من أهم عوامل قوة الأمة اتحادها واتفاقها وعدم اختلافها ونبذ أسباب الخلاف فيها يقول اللهعَزَّوَجَلَّ مذكرًا لهذا الأصل العظيم ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٩٢] ويقول اللهعَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣] والله عَزَّوَجَلَّ في مواضع كثيرة يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة ؛ فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة ورحم الله العلماء إذ بينوا ذلك الأصل، وجعلوه قاعدة راسخة من قواعد أهل السُّنَّة والجماعة فقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١] ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢]

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] وكل ذلك مما عابه الله عَزَّوَجَلَّ على الأمم أنها تختلف في دينها وأنها تفترق في شريعة ربها.

وفي معجم الإمام الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود قال: (حَبْلُ اللَّهِ: الْجَمَاعَةُ)[1]في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] قال حبل الله الجماعة، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى - إِنَّ

(١)أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٥٢٠)، والطبراني في الكبير ٩/ ٢١٢ (٩٥٣٣)

اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وأَنْ تَعْتَصِمُوا بحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةِ المالِ.)[١].

وأخرج الإمام الطبراني من حديث ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في قول الله عَزَّوَجَلَّ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تفرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٠٥] قال ابن عباس في هذا ونحوه من القرآن: قَالَ: (أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الاخْتِلافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ: إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ)[٢].

وعن زَكَرِيَّا بْنَ سَلامٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَجُلٍ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: (أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُم بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ (ثَلاثَ مِرَارٍ، قَالَهَا إِسْحَاقُ))[٣]، قالها النبي ﷺ ثلاث مرات وفي الحديث عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ:(الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ) [٤] وقد جرى قدر الله على هذه الأمة أن تفترق وهو من الأقدار الكونية كما قال النبي ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ) قِيلَ: يَا

---

(١)أخرجه مسلم (١٧١٥)

(٢)أخرجه الطبري في تفسيرة الأثر رقم ١٠٧١٠ ، ابن كثير في تفسير الأنعام الأية ١٢٣

(٣)أخرجه أحمد (٢٣١٤٥) ويشهد له حديث الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٥) وقال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند حسن لغيره.

(٤)أخرجه أحمد (١٨٤٤٩) وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٦٦٧.

رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: (الْجَمَاعَةُ)[١]، وفي رواية قال: قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي) وهذا هو الافتراق في الدين.

فعلينا معاشر الأمة أن نحرص على اجتماع قلوبنا واجتماع كلمتنا تحت راية حكومتنا السنية وتحت راية علماؤنا السلفيين وألا نشذ عن حكومتنا وعلمائنا بقول ولا برأي ولا باجتهاد يوجب تبعثر كلمة الأمة وتشتتها واختراق صفوفها فإن عدونا لا يستطيع هزيمتنا ما دمنا كلمة واحدة ويدًا واحدة وقوة واحدة على قلب رجلٍ واحد، ولكن متى ما اختلفت قلوبنا وتنازعت أرواحنا وتفرقت كلمتنا فإننا سنكون لقمة سهلة يستسيغها عدونا بلا كبير مقاومة فوصيتي لنفسي والجميع أن يحرصوا على ما يؤلف الشمل ويجمع الكلمة وأن يبتعدوا عن مواطن الاختلاف وأن ينبذوا جميع أسباب الفرقة حتى لا نتنازع فنفشل وتذهب ريحنا، وعلينا أن نصبر على ما يستر على بعضها مما يوجب الفرقة والبغضاء والتدابر أو التحاسد لأن أمتنا الآن تمر بظروف صعبة تحتاج منا أن نتآلف وأن نتفق وأن نتحابب وأن نتوادد وأن نكون على قلب رجل واحد نسأل الله أن يجعلنا متآلفين متوادين متحابين وأن يعيذنا وإياكم من تحريش الشياطين، والله أعلم.

i

١٥٤. سُئِلَ الشيخ: عن حال الناس يوم القيامة وقد علموا في قبوهم ما يصيرون إليه؛ فهل يزداد المسلم أمنا واستبشارا ويزداد الكافر خيبة وخسرانا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين يجيب عن ذلك ما أخرجه

(١)أخرجه أحمد (١٦٩٣٧)، وأبي داود (٤٥٩٧) و الترمذي (٢٨٣٢) وابن ماجه (٣٩٩٣) وصححه الألباني في الصحيحة» ١٤٩٢، ٢٠٤

الإمام الترمذي في جامعه بإسناد حسن لغيره:(كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: - إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ - قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ.)[١]

فمن يسر حسابه في قبره ورأى مكانه من أهل الجنة في قبره فإن ما بعده من البعث والنشور والسؤال والحوض والميزان والصراط وغير ذلك سيكون أخف منه بتصريح النبي ﷺ وأما من لم ينجو من عذاب القبر فإن ما بعده مما ذكرته لك أشد منه ولذلك ينبغي للإنسان أن يكثر من الاستعاذة بالله عَزَّوَجَلَّ من عذاب القبر فإن أول مراتب النجاة أن ينجو الإنسان في قبره فإن ما بعده سيكون أيسر ولعلك فهمت جوابي والله أعلم.

i

١٥٥ . سُئِلَ الشيخ: هل يسأل الطفل في القبر إذا مات صغيرا غير مميز؟؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد-

المتقرر في القواعد (أن كل من دفن فانه سيأتيه ما كتب له من السؤال والنعيم أو العذاب) وقد اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى -أعني بهم أهل السنة - في مسألة من مات صغيرا والقول الصحيح عندنا أنه يسأل من جملة من يسأل

---

(١)أخرجه الترمذي برقم (٢٤٦٣) وحسنه الألباني في هداية الرواة في تخريج المشكاة برقم ١٢٨

إلا أنه سواء سئل أو لم يسأل فإن الجميع متفقون على أن لا عذاب قبل بلوغ يعني لا عذاب قبل تكليف ومن أجل ذلك فقد قررت في بعض المؤلفات أن الخلاف بين أهل السنة في هذه المسألة إنما هو من باب الخلاف اللفظي فالذين قالوا إنه لا يسأل نظروا إلى أن السؤال مقرون بالتكليف وهذا غير مكلف والذين قالوا بأنه يسأل نظروا إلى عموم الأدلة الدالة على أن كل من دفن فإنه لا بد أن يسأل ومؤدى القولين سواء قلنا بأنه يسأل أو لن يسأل فان مؤداها واحد وهو أنه ناج في قبره من العذاب لأنه لم يكلف وربك ليس بظلام للعبيد ولأن العلماء متفقون على أن أطفال المؤمنين في الجنة لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة لما سئل النبي ﷺ عن ذراري المؤمنين فقال: مَع آبَائِهِمْ في الجْنَّةِ [(١)] فسواء قلنا بأنه يسأل ويوفق للإجابة فإنه من أهل النجاة أو قلنا بأنه لن يسأل فكذلك من أهل النجاة فبما أن مؤدى الخلاف واحد فيكون خلافاً لا ثمرة له والله أعلم.

i

١٥٦. سُئِلَ الشيخ: وهو سائلٌ من ليبيا يسأل ويقول: هل ميزان الدنيا والآخرة كلهن سواء؟ أم أن بينهما فرق؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، فإنه وإن اتفق ميزان الآخرة مع ميزان الدنيا في مجرد الاسم فقط فذاك ميزانٌ وهذا ميزان، إلا أن بينهما من البون الشاسع والاختلاف في الكيفيةِ ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ كالسلاسل

(١)أخرجه أبو داود (٤٧١٢) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٣٩٣.

التي في جهنم، فإنها وإن اتفقت مع اسم السلاسل عندنا في الدنيا، إلا أن بينهما من الفرق في الكيفيةِ والعظمةِ ما الله به عليم، وكذلك خمر الجنةِ فهو وإن اتفق مع خمر الدنيا في الاسم فإن بينهما من الفروق ما لا يعلمه إلا الله، وكذلك لبن الجنةِ وخيام الجنةِ ونساء الجنةِ وقصور الجنةِ وفاكهة الجنة وكل ما في الجنةِ من النعيم فإنه وإن اتفق مع أسماء نعيمنا في الدنيا إلا أن الاتفاق في الأسماء ليس يلزم منه الاتفاق في الصفات، وكذلك جحيم الآخرة وعذابها فإنه وإن اتفق مع شيءٍ من أسماء العذاب عندنا في الدنيا إلا أن بينهما من البون الشاسع ما الله به عليم، وكذلك ميزان الآخرة فإنه وإن اتفق مع اسم ميزاننا في الدنيا فإنه اتفاقٌ في الاسمِ وإلا فبينهما من البون الشاسع والاختلاف في المقدارِ والعظمةِ ما الله به عليم. والله أعلم.

i

١٥٧. سُئِلَ الشيخ: هل يعذب أصحاب الكبائر إذا رجحت حسناتهم على سيئاتهم؟؟

الحمد لله رب العالمين وبعد- المتقرر في قواعد أهل السنة أن صاحب الكبيرة في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان وإنه في الآخرة تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء الله غفر له كبيرته أيا كانت وأدخله الجنة ابتداء وإن شاء عذبه في النار ثم يخرجه منها بالشفاعة أو لانتهاء فترة العذاب فيدخله الجنة انتقالا وأجمع أهل السنة على أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل إسلام والإيمان وهذا عام في أصحاب الكبائر سواء رجحت حسناتهم على سيئاتهم أي على كبائرهم أو رجحت كبائرهم على حسناتهم فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ وشاء أن يعذب صاحب الكبيرة فإنه يعذبه سواء رجح هذا على هذا أو رجح هذا على هذا فهذا السؤال

مبني على عدم معرفة السائل بعقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكبي الكبيرة فكل ذي كبيرة في الآخرة فإنه تحت المشيئة حتى وإن مات على كبيرة واحدة فيكون تحت مشيئة الله وإن مات على مئة كبيرة فإنه أيضا يكون تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فإن شاء عذبه ثم يخرجه من النار إلى الجنة انتقالا وإن شاء غفر له ابتداء وأدخله الجنة والله أعلم.

i

١٥٨. سُئِل الشيخ عن: الفتنة، وما موقف المسلم من أحداث الأمة، وهل هي من الفتن وهل على طالب العلم أن يكف عن الخوض فيها؟ جزاكم الله مرافقة نبيه ﷺ في الجنة.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، الفتن؛ هي تلك الدواهي والنوازل التي تنزل على العباد وتتضمن الخطر على دينهم، أو على أرواحهم، أو على أموالهم، فالفتنة قد تكون على نفس الإنسان وعلى دينة، وقد تكون على ماله وعلى عرضه، فالإنسان يفتن في دينه، ويفتن في ماله، ويفتن في ولده، ويفتن في عرضه، فالفتن متنوعة، لكن من أعظم الفتن تلك الدواهي التي يعم ضررها الأمة كلها مثل فتنه أهل البدع وتسلطهم على أهل السنة، ومثل فتنه تسلط الكفرة على بلاد المسلمين، ومثل فتنة انتشار البدع ومخالفه الشرع، ومثل فتنة تولي الكفرة من اللبراليين والعلمانيين على ديار المسلمين، هذه فتنٌ يعظم خطرها ويتطاير شررها، على جميع الأمة والعياذ بالله، وإذا ادلهمت على الأمة الفتن فعليهم أن يفزعوا إلى العلاج الشرعي، والدواء الشافي الكافي، المقرر في الكتاب والسنة والذي جرى عليه عمل الأمة، أي عمل سلف الأمة رحمهم

الله تعالى، فمن ذلك الاعتصام بالكتاب والسنة، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[الأعراف:١٧٠]، ويقول النبي ﷺ: ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ))[١] الحديث، ويقول ﷺ ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ))[٢] وفي رواية وسنتي.

الأمر الثاني أن يلزم الإنسان غرس العلماء في مثل هذه الفتن، وألا يتقدم العلماء لا بفتى ولا برأيٍ ولا بتوجيهٍ ولا باستحسانٍ ولا بتحليلٍ، ولا بإصدار شيءٍ من الأحكام في هذه الفتنة إلا بعد مراجعة أهل العلم ورد الأمر إليهم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[النساء:٨٣].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧٥/٢٨) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٢٠٠/٤) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١٥/١) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ](٤٤/٥) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٨/١) برقم: [١٦٥]. في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٧

(٢)أخرجه الحاكم في «المستدرك» باب:[فَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ] (١٧١/١) برقم:[٣١٨]. وصححه الألباني في صحيح الترغيب حديث رقم ٤٠

فلا يجوز للأمة في هذه الفتن أن تصدر عن أقوال سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان،، أصاغر القوم، بل الأمة في مثل هذه الفتن لا تصدر إلا عن رأي العلماء الكبار، الراسخين في علمهم وأمانتهم، وديانتهم، والمجرب عليهم حفظ الأمة، وحماية مصالحها والنظر في عواقب الأفعال والأقوال، فمن أعظم ضلالات كثير من الأمة، في مثل هذه الدواهي والنوازل، التي تذهب النفوس والأرواح، التي تهلك النفوس والأعراض، والأموال أنهم يردون الأمر إلى محللٍ صحفي، أو إلى خبيرٍ اقتصادي سياسي، أو إلى صغيرٍ من صغار طلبة العلم لم يجرب، في علمه ولا خبرته ولا حكمته، وحسن رأيه، فالأمة لا تزال بخير ما كانت مع العلماء وما صدرت عن أقوالهم، ومنها كذلك أن يلزم المسلم جماعه المسلمين وإمامهم، فإن لزوم الجماعة أمرٌ مطلوبٌ على وجه العموم، وعند حلول الفتن على وجه الخصوص، والأدلة الأمرة للزوم الجماعة، والمحذرة التحذير الشديد من مخالفة الجماعة والخروج عنها قيد شبرٍ كثيرة جداً، كثيرة جداً ومنها كذلك أن، يعتزل المسلم الفتن ما أستطاع إلى ذلك سبيلاً فإن كثيراً من الناس لا يزده الكلام في هذه الفتنه إلا ضلالً، واشتغالاً بها عن الحق، فالأمة لن تستفيد من كلامه، ولا من توجيهاته، ولا أطروحاته فكلامه إنما يزيد النار توقداً واحرقاً، وتسعيراً، فمثل هؤلاء يجب عليهم أن يسكتوا في مثل هذه الفتن.

لأن من أحسن ما تعامل به هذه الفتن قله الكلام فيها، فكثرة الكلام وكثرة الهرج والمرج والأخذ والرد والقيل و القال، في هذه الفتن يزيدها توقداً، وتوهجاً وضرراً، وتطايراً للشر والعياذ بالله، فالسكوت في مثل هذه الفتنه مطلوب، ولذلك سكت النبي ﷺ في أول وقوع فتنه الإفك، ولم يكلم فيها

أحداً حتى تطايرت كلمات السوء عليه من أفواه المنافقين، فحين إذن تكلم رسول الله ﷺ وبين حقيقة هذه الفتنة، فالسكوت في الفتن مطلوب، ولا أقول سكوت العلماء الراسخين الذين لا تزداد الأمة بتوجيهاتهم الطيبة السديدة ولا بكلماتهم الأبوية الحانية إلا كل خير، ولكن أقصد سكوت العامة وأنصاف المثقفين، الذين لا خبرة ولا دراية ولا حكمة عندهم، وإنما يحملهم على الكلام الشهوات والهوى، والتشفي وترك الخير فقط، فمثل هؤلاء سكوتهم في الفتن أولى، وأبعد عن وقوعهم أو تضررهم بهذه الفتن، ومنها كذلك الإقبال على العبادة في زمن الفتن، يقول النبي ﷺ: ((الْعِبَادَةُ فِي الهرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[(١)].

والمراد بالهرج كثرة القتل بسبب الفتن، فالتفرغ للعبادة في الفتن هذا منزل منزلة الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم، لأن أمر الفتن يشغل القلوب ويشوش الأفكار عن العبادة والأذكار مع كثرةِ ما يتابع الناس من الأخبار والتحليلات الصحفية، والأنباء، وأحوال هذه الفتنه، فهم ينشغلون عن قيام الليل، وعن كثرة الذكر وعن استغلال مجالسهم بالمواعظ والتذكير، فالذي يشرح الله صدره، وييسر أمره ويقربه لدائرة التعبد إليه في زمن الفتنه، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أراد به خيراً، إذا اعتصم الإنسان بذلك وحقق هذه الأمور في أزمنة الفتنه، فإنه سيخرج منها بإذن الله سالماً غانماً معافي، أسأل الله أن يعافيَّ أمتنا، وأن يعافيَّ المسلمين جميعاً من كل بلاءٍ وسوء، وفتنه والله أعلم ..

i

نشر الدواوين وتطاير الكتب

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِي الهرْجِ](٤/٢٢٦٨) برقم: [٢٩٤٨].

١٥٩. سُئِل الشيخ: يوجد خلاف في أقسام الناس في أخذ الكتب وصحائف الأعمال يوم القيامة، وكيف أخذِهم لها، من العلماء من قسمها إلى ثلاثة، ومنهم من قسمها إلى قسمين، فما هو الصحيح؟

الحمد لله، الخلاف بين أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذا التقسيم لا يترتب عليه أي ثمرة ولله الحمد، وإنما القسمان الرئيسيان أن مِن الناس مَن يَستلم صحيفته باليمين ومن الناس من يستلم صحيفته بالشمال، وهذان القسمان هما المتفق عليهما بين أهل العلم رحمهم الله تعالى، فالناس يوم القيامة إما آخذ صحيفته باليمين، وأما آخذ صحيفته بالشمال، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ (الإنشقاق - ١٠) فقد اختلف العلماء في هذا القسم، فمنهم من جعل ذلك في عُتات الكفار وجبابرته، ومنهم من جعله في المنافقين، ومنهم من جعله في سائر عموم الكفار أنه يأخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره، فجمع بين هاتين الصفتين في واحد، فالخلاف فيها يسير لا يترتب عليه أثر، والله أعلم.

i

١٦٠. سُئِلَ الشيخ: عن تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾[الحاقة:٢٥] والآية الأخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق:١٠] فهل هي للكافر والمنافق، أم كيف الجمع بينهما؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذه يُجمع بينها بحالتين:

الحالة الأولى: أن الكافر أيًّا كان كفره، سواءً أكان كفر الظاهر أو كفر الباطن، يعني كفر الأصالة أو كفر النفاق؛ فإنه يستلم صحيفته يوم القيامة بشماله

من وراء ظهره، فتُلوى شماله خلف ظهره ويأخذ صحيفته بالأمرين جميعاً: بالشمال ومن وراء الظهر.

ومن أهل العلم من قال حالة أخرى، وهي أن هذا يتنوع بتنوع الإجرام والكفر، فمن الكفار من يأخذها بشماله، ومن الكفار من يأخذها بشماله من وراء ظهره.

وعلى كل حال، فإن هذا سواءً أخذها بشماله من وراء ظهره أو بشماله فقط؛ فإن هذا دليلٌ على أنه مستحقٌّ للعقوبة والعذاب، والله أعلم.

٨- الحوض المورود

١٦١. سُئِلَ الشيخ: عن حديث (إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا)[١]. هل مقصود النبي ﷺ أن عدم الظمأ يكون بعد الورود أم بعد الشربة وهل يشرب الناس شربة واحدة فقط أم يكثرون من الشرب إذا كانت الشربة الواحدة كافية لأن تقضي على الظمأ؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين الحديث في ذلك واضح ولا داعي إلى معرفة هذه التفاصيل التي لا شأن لنا بها فإنها من التفاصيل الغيبية وإنما الناس يردون على هذا الحوض وبهم من الظمأ ما بهم فإذا شربوا منه شربة فإن هذه الشربة كفيلة بأن تشبع كبده فلا يظمأ بعدها أبدًا وأما شرب أهل الجنة فيما بعد ذلك فإنما هو شرب توسع واختيار وتلذذ وليس شرب ضرورة أو حاجة ملحة عن ظمأ فلا ينبغي للإنسان أن يقول هل سيتكرر الشرب منه أو لا يتكرر لأن هذه التفاصيل غيبية لم يأتي بها الدليل وإنما الذي يجب علينا أن نؤمن به هو ما ظهر به النص من أن من ورد وشرب فإنه دليل على اتباعه لأن من ليس من أهل الإتباع فإنه يزاد كما يزاد البعير الضال وأن من شرب منه شربة فإنها كفيلة بإشباع باطنه فلا يظمأ بعدها أبداً إلى هنا انتهى ما يراد منك أن تؤمن به وأما ما زاد على ذلك فإنها تفاصيل غيبية تحتاج إلى شيء من الدليل كما عودناكم دائمًا من أن ما كان غيبي فيكون توقيفيًا والأسئلة عن هذه الأمور الغيبية إذا لم يكن وراءها برهان الوحي فإنه من التنطع والتكلف

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الرقاق«بَابٌ فِي الْحَوْضِ وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾» برقم ٦٥٨٣ (٨/ ١١٩ ط السلطانية): وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم: ٢٢٩٠

الذي ما أمرنا به والله أعلم.

i

١٠- الجنة وما فيها من نعيم:

١٦٢. سُئِلَ الشيخ: كيف نجمع بين ما ورد أنه غفر لعبد بسقيا كلب، يعني غفر له بسبب عمل واحد، وبين أن دخول الجنة تكون إذا رجحت الحسنات وليس بسبب عمل واحد؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، نجمع بينهما بقضية العموم والخصوص، وذلك أن من رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل النعيم، ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهو من أهل العذاب والجحيم ولكن الله عَزَّوَجَلَّ قد يجري عملا تعبديا على يد رجل من الناس يكون قصده ونيته في هذا العمل مشتملة على أعظم الامتثال وأعظم الرحمة وأعظم الإخلاص؛ فيستحق العبد بهذا العمل الواحد جنة الله -عَزَّوَجَلَّ-، فيوجب الله -عَزَّوَجَلَّ- له الجنة بعمل واحد، وهذا ليس بغريب على الله عَزَّوَجَلَّ، فنحمل قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-٧] على القضية العامة، ونحمل هذه الأعمال التي دخل بها أصحابها الجنة على قضية خاصة، وهي أن الله قد يوفق بعض الناس لعمل يرزقه فيه كمال حسن النية وجمال القصد، مما يرفعه الله عَزَّوَجَلَّ به حتى يدخله الجنة، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)[١] هذا عمل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ٢/٦٨- ٥٣٣ بزيادة يسيرة)

واحد أوجب له الجنة، ألا ترى كيف كانت الشهادة في سبيل الله لأصحابها من المنازل العليا في الجنة؟ مع أنها عمل واحد؟ ألا ترى إلى قول النبي ﷺ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رُضْوَانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُه الله بِهَا دَرَجَاتٍ)[١] ألا ترى أن عثمان لما اشترى بئر رومة وتصدق بها على المسلمين وجعل له دلوا كدلاء المسلمين، قال له النبي ﷺ ((مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ))[٢]، فهذه أعمال يوفق الله عَزَّوَجَلَّ لها بعض عباده لتكون موجبة لهم الجنة، وهذا فضل الله عَزَّوَجَلَّ يؤتيه من يشاء والله أعلم.

i

١٦٣ . سُئِلَ الشيخ: هل النساء في الجنة يرون النبي ﷺ ويصافحونه ويجلسون معه؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله لا أعلم شيئا من ذلك ولكن نقول في مثل ذلك أن كل ما يتمناه أهل الجنة فإن الله عَزَّوَجَلَّ سيمكنهم منه. لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] في الحديث: فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. [٣]) وأما أن أثبت هذه المقابلة لكل أهل الجنة ذكورا وإناثا. فهذا لا أستطيع أن أتجرأ عليه لعدم وجود الدليل والمسألة غيبية لكن هناك من يكون في الجنة من

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨) وأخرجه مسلم (٢٩٨٨).

(٢)أخرجه أحمد برقم (٢٠٦٣٠) والترمذي برقم(٣٧٠١) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم ٦٠٧٣

(٣)أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤) وأخرجه مسلم في أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم ٢٨٢٤.

جلسائه ﷺ وممن يكونون معه، ففي بعض الأحاديث المرء مع من أحب يوم القيامة وفي الحديث الآخر ﴿سَل. فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ [(١)]﴾ لكن هل هذا الحكم يثبت لكل أحد من أفراد الجنة؟ ذكرا كان أو أنثى.

هذا هو ما يحتاج إلى دليل وأنا لا أستطيع إثباته. وإنما أثبت مجمله وعمومه في قول الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١] فكل شيء تشتهيه النفوس وتلتذه العيون فإن الله عَزَّوَجَلَّ وعد أهل الجنة بتمكينهم منه. والله أعلم.

i

١٦٤. سُئِلَ الشيخ: ورد في الحديث أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم، وأنهم يتراءون بعضهم كما يُرى النجم أو الكوكب الغابر في السماء، فهل من هو في المنزلة الدُّون وينظر إلى المنزلة العليا، هل يحصل بينهم تزاور؟ لو كان مثلاً أخٌ له أخٌ في الله وحبيبٌ في الله وهو خيرٌ منه بمنازل، فهل يمكِّنه الله من زيارة أخيه الذي هو في منزلة أعلى منه؟

هل يمكِّنه الله من رؤية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من رؤية الصحابة الكرام، لأنهم قطعاً في درجات عالية جداً؟ وهل يُحس في نفسه بنقصٍ؟

فأجاب - عفا الله عنه-: نعم، أهل الجنة يتزاورون فيما بينهم كما أثبتت ذلك الأدلة، وقد روي جُمَلٌ من الآثار عن النبي ﷺ وعن بعض الصحابة أن أهل الدرجات العليا ينزلون إلى أهل الدرجات الدنيا في الجنة، ولا يصعد أهل الدرجات الدنيا إلى أهل الدرجات العليا. ولكنها آثارٌ أسانيدها ضعيفة،

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٤٨٩)

ولكن هكذا يقرر أهل السنة والجماعة في كتبهم العقدية.

فأهل الجنة يتزاورون، وأهل الدرجات العليا ينزلون إلى أهل الدرجات الدُّنيا، وأهل الدرجات الدنيا لا يصعدون إلى الدرجات العليا، هكذا يقول أهل السنة والجماعة وأما قولك: (وهل يحس أهل الدرجات الدنيا بشيءٍ من النقص؟) الجواب: لا، فكل واحدٍ أُعطي نعيماً من نعيم الجنة يرى أنه أكمل الناس نعيماً فيها، وأنه لم يُعط أحدٌ مثل ما أُعطي من النعيم، لما في الصحيح قصة آخر من يدخل الجنة قال: ﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ،.......فيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ)﴾[1]، وذلك لأن الجنة ليس فيها شيءٌ من الإحساس بالنقص والقهر أو الحقد أو الحسد على أحدٍ من أهل الدرجات العليا، أو على أحدٍ من أهل النعيم أبداً، ليس في الجنة نَصَبٌ ولا وَصَبٌ ولا حسدٌ ولا حقدٌ ولا استشعارٌ بالنقص ولا استشعارٌ بالحرمان، لأن هذا من النَّصَب المنفي في الجنة، ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر:٤٨].

i

١٦٥. سُئِلَ الشيخ: عن مصير المعاق عقليًا في الآخرة، بمعنى: هل يُصبح صحيحًا ويعرف ما كان يحصل له في الدنيا ويتعرف على أهله ووالديه وإخوانه أم لا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: إن كنتِ تسألين عن معاقٍ عندكم، أو إن كنت تسأل

(١)أخرجه مسلم برقم ((١٨٨))

عن معاقٍ عندكم، فأسأل الله أن يشفيه وأن يعافيه، وأن يُلبسه ثوب الصحة والعافية، وأن يجعل ما أصابه كفارةً له ولكم، ورفعةً له ولكم جميعًا، ولا أدري عن نوع الإعاقة التي تسأل عنها، ولكن أظنك تسأل عن الإعاقة الذهنية، فالله عَزَّوَجَلَّ لما خلقنا وأوجدنا قدر علينا المقادير، فمن الناس من يُقدر الله عليه أن يُولد صحيح الجسد سليم العقل، ومن الناس من يُقدر عليه من يُولد صحيح الجسد ذاهب العقل، ومن الناس من يُقدر عليه أن يكون مريض الجسد سليم العقل، فالله عَزَّوَجَلَّ له المقادير ويفعل في خلقه ما تقتضيه حكمته عَزَّوَجَلَّ، فالواجب علينا تجاه هذه الأقدار أن نقابلها بكمال الصبر، وكمال احتساب الأجر، وكمال الرضا بالقضاء، وكمال إحسان الظن في الله أنه ما أراد بنا وأنزل علينا هذا القضاء والقدر إلا يريد به خيرًا.

وأما المعاق في الدنيا المعاق عقليًا في الدنيا فإنه غير مُكلفٍ لأنه كما لا يخفى على شريف علمكم: أن مناط التكليف هو العقل، فالمجنون غير مكلف، لقول النبي ﷺ: ((رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ،-أو قَالَ: الْمَجْنُونِ- حَتَّى يَعْقِلَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَشِبَّ))[١]

وبما أنه غير مكلف إذا هو غير معذب في قبره وهو من أهل الجنة، لأن العذاب في القبر مبني على مخالفة مقتضى التكليف، وهو لم يثبت في ذمته التكليف حتى يخالفه أصلاً، وكذلك العقوبة في الآخرة ودخول النار إنما تكون بسبب مخالفة مقتضى التكليف، فبما أنه غير مكلف أصلاً فلا عذاب عليه في قبره، ولا عذاب

---

(١)أخرجه الترمذي برقم (٤٣٩٨) وصححه الألباني حديث رقم: ٣٥١٢ في صحيح الجامع' وفي « الإرواء » (٢٩٧)

عليه في يوم حشره ونشره فهو من أهل الجنة.

ومن أهل العلم من قال بأن المعاق ذهنيًا يأخذ حكم المعتوه، وقد ورد في بعض الأدلة والآثار: أن المعتوه ممن يُمتحن يوم القيامة، فتُقام له نارٌ ويؤمر بدخولها هو ومن مات في الفترة وأولاد المشركين في آثارٍ صححها وجود إسنادها جمعٌ من المحققين من أهل السُنة والجماعة، وعلى كل حال فلا عذاب عليه في الآخرة.

وأما قولكم: هل يعرف أهله في الآخرة؟ الجواب: نعم يعرف أهله ويكون معهم قريبًا معهم في منزلتهم، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم الصبر والسلوان على هذه المصائب، وأن يجعلنا وإياكم ممن أحسن التعامل معها وفيها، والله أعلم.

i

١٦٦. سُئِلَ الشيخ: هل للنساء في الجنة حور عين كما للرجال حور عين في الجنة وجزآكم الله خير؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله هذا السؤال مما لا ينبغي إيراده لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد وعد في الجنة بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف:٧١].

فهذا التعميم مطلوب وقد سمع الصحابة هذا الأمر وكان في الصحابة صحابيات وكان في العهد النبوي نساء وكان في عهود السلف الصالح نساء صالحات حريصات على الخير وعلى معرفة الخير ولكن مع حرصهم على معرفة الخير لم يكن أحد منهم يسأل مثل هذا السؤال فلا ينبغي في الحقيقة مثل هذه السؤال مطلقا لأن أمور الغيب مبنية على التوقيف فلا يجوز التفصيل في أمور غيبية ودقائق غيبيه إلا على مقتضى وفق النص والنص ورد في هذه المسألة بالعموم فالخير هو أن نبقى على هذا العموم من غير كثرة تفاصيل لا داعي لها يقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ))(١).

فلا ينبغي إيراد مثل هذه الأسئلة لأنها أسئلة مبنية على التعمق وعلى التنطع وعلى إشغال النفس فيما لم نؤمر به شرعاً فكل ما يشتهيه أهل الجنة من أي نعيم كان فالله عَزَّوَجَلَّ وعدهم بأن يمكنهم منه على أتم صورة وأكمل حال وهذا يكفي المؤمن ولله الحمد والمنة فإشغال الناس بمثل هذه الأسئلة أرى أنه يدخل تحت قول النبي عليه الصلاة والسلام ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))(٢) فنعيم الجنة كثير ولله الحمد والمنة ونصوصه من الكتاب والسنة متواترة وقد طرقت مسامع الصحابيات الجليلات نساء السلف الصالح ولم يعرف مثل هذه الأسئلة إنها

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ] (١١٨/٤) برقم: [٣٢٤٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا] (٢١٧٤/٤) برقم: [٢٨٢٤].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ] (٢٠٥٥/٤)، برقم: [٢٦٧٠].

جرت على ألسنتهن فلو كان معرفة الجواب من الخير الذي ينبغي أن يحرص عليه لكان هؤلاء السلة الطيبة المباركة أحرص منا عليه فالذي أرى والله أعلم . أن تقطع مثل هذه الأسئلة وألا يشغل الناس بها وألا يشغل المسلم قلبه بها ولعدم وجود دليل عليها بخصوصها واكتفاءً بالدليل العام الذي يدخل فيه كل مطلوب ومشتهي لأهل الجنة ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف: ٧١] والله أعلم ..

i

١٦٧. سُئِلَ الشيخ: إذا كان أهل الجنة لهم ما يشتهون فيها فهل من كان من المنزلة الدنيا من الفردوس له أن يطلب من الله تبارك وتعالى أن يكون في الفردوس؟

فأجاب – عفا الله عنه –: الحمد لله رب العالمين، هذا سؤال في أمر غيبي لا يعلم تفصيله على هذا الوجه إلا الله تبارك وتعالى فنحن نقول كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف: ٧١]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)[(١)]، فهنا إثبات مجمل غير مفصل فلا ينبغي لنا أن ننزل من الإثبات الإجمالي إلى التفصيلي التعييني في أمر غيبي إلا بدليل، فهل يمكن أهل الجنة من أهل المنازل الدنيا أن يسألوا الله عَزَّوَجَلَّ المنازل العليا وهل إذا سألوه في الجنة يمكنون؟ هذا أمر غيبي لا

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ] (١١٨/٤) برقم: [٣٢٤٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْجَنَّة وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا] (٢١٧٤/٤) برقم: [٢٨٢٤].

ندخل فيه لا بنفي لعدم وجود ما ينفيه، ولا بإثبات لعدم وجود ما يثبته، وهذا مفرع على قاعدة عندنا معاشر أهل السنة والجماعة تقول ﴿ما كان غيبيا فيكون توقيفيا﴾، فتفاصيل هذه المسائل لا يجوز إثباتها ولا نفيها إلا بدليل والله أعلم.

١١– الشفاعة

١٦٨. سُئِلَ الشيخ: يقول السائل أحسن الله إليكم هل طلب الشفاعة من الحي يعد من الشرك الأكبر مثل طلب الشفاعة من مجاهد وإذا كان شركا أكبر فهل يمكن لرجل لا يعلم حكمه يأخذ حكم الكفر أيضا

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله.. لا يجوز أن يطلب شيء إلا ممن يملكه فإن المتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة أن من دعا غير الله عَزَّوَجَلَّ أو سأل أحدا غير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى أو في الأمر الذي لا يملكه إلا الله عَزَّوَجَلَّ فإن هذا من جملة الشرك وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ (﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]فلا يجوز أن تطلب الشفاعة لا من حي ولا من ميت فإن الحي لا يملكها إلا بعد إذن الله ورضاه والميت لا يملكها إلا بعد إذن الله ورضاه والله أعلم.

i

١٦٩. سُئِلَ الشيخ: سمعت من يقول أن شفاعة القرآن للعبد في الآخرة هي أعظم من شفاعة الرسول ﷺ فهل هذه المقولة صحيحة ام فيها مبالغات وهل يوجد دليل ثابت يستدل منه أن شفاعة القرآن هي أعظم من شفاعة نبينا محمد



الحمد لله رب العالمين وبعد..النبي ﷺ أعظم الشفعاء يوم القيامة من بني آدم فأعظم الشفاعات التي ستكون يوم القيامة إنما هي شفاعته ﷺ لأمته ولذلك أجمع أهل السنة والجماعة على أن من أعظم مقامات النبي ﷺ ذلك المقام الذي وصفه الله بأنه المقام المحمود في قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاما مَّحۡمُودا﴾[الإسراء: ٧٩]

وهذا المقام المحمود قد ورد تفسيره بأنه الشفاعة عظمى وهي الشفاعة بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بين الأمم والناس كلهم من أولهم إلى آخرهم وهذه تعرض على آدم فيعتذر وتعرض على نوح فيعتذر وتعرض على إبراهيم وعلى موسى وعلى عيسى كلهم يعتذرون لأنها من أعظم المقامات التي اختصها الله عَزَّوَجَلَّ بنبيه ﷺ فليس ثمة شافع أعظم من محمد ﷺ يوم القيامة والشفاعات التي ثبتت في حقه ﷺ كثيرة ولكن أعظمها شفاعتان الشفاعة في أهل الموقف لفصل القضاء والشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة فهذه لا يشركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ولا عمل مقبول ولا شيء آخر وإنما هي لنبينا ﷺ فأعظم شافع ومشفع يوم القيامة إنما هو النبي صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم ثم تأتي بعد ذلك الشفاعات الأخرى كشفاعة الشهداء وشفاعة الصديقين وشفاعة أهل الدرجات العالية وشفاعة الوالدين لأولادهم والشفاعة في من دخل النار من أصحاب الكبائر أن يخرجوا منها بعد ذلك شفاعة الملائكة وشفاعة القرآن وشفاعة الأعمال الصالحة وغيرها فإن الأدلة دلت على أن القرآن شافع ومشفع وأن الصيام شافع ومشفع وهكذا فأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي

يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)[١]وعند البيهقي أيضا في شعب الإيمان بإسناد صحيح لغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال النبي ﷺ (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ يَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ)[٢] ولكن لا ينبغي أن تقارن شفاعة التعبدات وغيرها بشفاعة النبي ﷺ أبدا فأعظم شافع وأعظم مشفع يوم القيامة إنما هو رسول الله ﷺ والله أعلم.

i

١٧٠. سُئِلَ الشيخ: قرأت في كتاب [أنه سيخرج من النار يوما من الدهر أهل الكبائر ويدخلون الجنة]، فهل يصح الوصف ﴿يوم من الدهر﴾ يوم القيامة وما بعدها؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، نعم قد ورد في الحديث ذلك في قول النبي ﷺ ((مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ))[٣]والمقصود بالدهرية الزمان، وهذا الزمان يكون في اليوم الآخر، فالزمان لا ينقطع، ولكن الذي ينقطع إنما هو الزمان الذي يتعلق بشيء من أحكام الدنيا، وأما الزمان الذي يتعلق بشيء من أحكام

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه برقم ((٨٠٤))

(٢)أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٦٢٦) وصححه المحقق وصححه الألباني حديث رقم: ٣٨٨٢ في صحيح الجامع

(٣) أخرجه البزار في مسنده برقم (٨٢٩٢) أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٢٢٠٣٤) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٣٢) والمشكاة ١٦٢١، الإرواء ٦٨٧،

الآخرة فأمره ومرده وتقديره إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

والخلاصة بأن وصف شيء من أجزاء يوم الآخر بأنه دهر هذا وصف لا بأس به ولا حرج إن شاء الله، والله أعلم

i

١٧١. سُئِلَ الشيخ: الشفاعة في الدنيا كيف يؤخذ الأذن فيها؟ يقول لا ريب أن لا شفاعة إلا بعد رضا الله لكن هل الرضا عن الشافع فقط أو كذلك المشفوع له يقول فالنبي ﷺ سيشفع لأهل الموقف وفيهم الكفار وهم غير مرضي عنهم؟

فأجاب - عفا الله عنه- :الحمد لله العالمين الرضا في أمر الشفاعة لابد أن يكون في ثلاثة أشياء

الأول: رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافع أن يشفع

الثاني :رضا الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر المشفوع فيه أن تقع الشفاعة فيه

الأمر الثالث: رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع له أن ينال شيئا من هذه الشفاعة فهذه شروط الشفاعة أن يرضى الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافعي والمشفوع له والأمر المشفوع فيه

ثم اعلم رحمك الله تعالى أن الشفاعة العظمى يوم القيامة ستكون لأهل الموقف كلهم أي للأمم كلهم مؤمنهم وكافرهم ولكنها ليست الشفاعة المقتضية لدخول الجنة وإنما هي الشفاعة لفصل القضاء فقط فالشفاعة العظمى التي هي من نصيب نبينا ﷺ والتي يسألها أهل الموقف الأنبياء من آدم إلى النبي ﷺ

إنما هي الشفاعة في فصل القضاء والشفاعة في فصل القضاء لا تخص مؤمنا ولا كافراً ولا صغيراً ولا كبيراً ولا ذكراً ولا أنثى ولا براً ولا فاجراً وإنما يشفع بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ في أهل الموقف كلهم مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم ذكرهم وأنثاهم أن يفصل بينهم في القضاء فلا يشكلن عليك دخول الكافر في هذه الشفاعة لأنها ليست شفاعة مقتضية لدخول الجنة أو لتخفيف العذاب وإنما لفصل القضاء فقط والله أعلم.

i

١٧٢. سُئِلَ الشيخ: لدي إشكال في فهم حكم طلب الشفاعة يقول ذكرتم حفظكم الله أن الحي لا يملكها إلا بعد إذن الله ورضاه فبالتالي لا يجوز سؤاله أليس كذلك؟ يقول لكن كيف سيطلب الناس الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة فهو حي وهم سيطلبونها من النبي ﷺ قبل أن يأذن الله له وقبل أن يقول له الله أشفع تشفع أعني أنهم سألوه عليه الصلاة والسلام قبل أن يؤذن له فما حكم سؤالهم أحسن الله إليكم؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله لا بأس بهذا السؤال في ذاك الموقف لأن النبي ﷺ قد أعطي هذا الحق فإن الله عَزَّوَجَلَّ أعطاه هذا الأمر يوم القيامة فهو لا يملكه الأن وإنما يملكه يوم القيامة بإذن الله عزو جل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ [الإسراء: ٧٩] فطلب الشفاعة من الأنبياء أو من النبي ﷺ في ذلك اليوم بخصوصه أمر لا بأس به لأنه من جملة ما خول به النبي ﷺ ومن جملة ما أذن الله عَزَّوَجَلَّ فيه فتجويزه للنبي ﷺ طلبا منه في هذا اليوم لا يدل على جوازه الأن؛ فالأن لا يجوز لنا أن نطلب من ميت ولا من حي يشفع لنا يوم القيامة وإنما ذلك

مخصوص بمالكها الذي هو الله عَزَّوَجَلَّ فتقول اللهم شفع في نبيك ﷺ ولا تقل يا نبي الله أشفع في يوم القيامة فهذا أمر يجوز لأهل الموقف يوم القيامة إذا ضاقت عليهم أمورهم وبلغ بهم الهم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون أن يأتوا إلى النبي ﷺ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ويسألوه أن يشفع لهم عند ربهم فهذا جائز في ذلك اليوم بخصوصه وليس كل ما جاز يوم القيامة يجوز الأن والله أعلم.

i

١٧٣. سُئِلَ الشيخ: من الذي يخرج من النار بالشفاعة يوم القيامة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء: أن الأصل في الشفاعة توقيفها على الأدلة، فلا يجوز للإنسان أن يثبت نوع من أنواع الشفاعات التي ستكون يوم القيامة، إلا وعلى هذا الإثبات دليل من الشرع، لأن الشفاعة يوم القيامة من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية توقيفية على النصوص الصحيحة الصريحة فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنما هو باب مبني على التسليم للنصوص الثابتة عن النبي ﷺ، فمن جملة ما دلت عليه الأدلة من أمر الشفاعات التي ستقوم يوم القيامة، الشفاعة في أهل الكبائر، والشفاعة في أهل الكبائر تكون على قسمين كما ثبتت بذلك الأدلة، تكون في قوم من أهل الكبائر استحقو دخول النار، ولكن بسبب فضل الله عَزَّوَجَلَّ بفضل الشفاعة نجو من دخولها فلم يدخلوها.

والقسم الثاني: الشفاعة في قوم من أهل الكبائر دخلوا النار ليخرجوا منها، وكلا هاذين القسمين ثابت بالأدلة المتواترة، فإن الأدلة التي دلت على أن قوم

من أهل الكبائر يخرجون من النار يوم القيامة إذا دخلوها قد ثبت ذلك بالأدلة المتواترة، وعلى ذلك قول الناظم:

مما تواتر حديث من كذب ومن بني لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذا بعض،

فالشفاعة في أهل الكبائر تنقسم إلى هاذين القسمين، وهي من جملة الشفاعات العامة التي لا تخص الأنبياء، بل يشفع فيهم الأنبياء ويشفع فيهم الشهداء والصالحون وعامة المؤمنين، حتى إن انتهت شفاعة هؤلاء بقيت رحمة أرحم الراحمين فيخرج الله عَزَّوَجَلَّ برحمته من بقي من أهل الكبائر في النار، هذا هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة.

يقول النبي ﷺ كما في حديث أنس الذي رواه الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح، قال:(شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)[(١)] وروي الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد لقول النبي ﷺ: ((ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا (()))[(٢)]، والأحاديث في هذا معلومة، وفي الأحاديث الطويلة من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: ((فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ،

(١)أخرجه أحمد برقم (١٣٢٢٢) أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وصححه الألباني في ظلال الجنة « (٨٣٠ ٨٣٢) و» الروض النضير « (٣ و٦٥) و» المشكاة « (٥٥٩٨)

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ](١١٧/٨)، برقم: [٦٥٧٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ](١٦٧/١)، برقم: [(١٨٣)].

وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ))[(١)]، فالذي ندين الله عَزَّوَجَلَّ به أن أصحاب الكبائر من هذه الأمة ستكون فيهم الشفاعة يوم القيامة، منهم من سيشفع فيهم قبل دخولها فلا يدخلوها، ومنهم من يشفع فيهم لكن بعد دخولها حتى يخرجوا منها.

والمتقرر عند العلماء رحمهم الله: أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإيمان والإسلام، فكل إنسان معه لا إله إلا الله فإنه لا يخلد في النار وإن دخل فيها وإن بقي فيها أحقاب طويلة، يقول النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ))[(٢)] والمقصود بالشفاعة في أهل الكبائر أي من هذه الأمة فيما أعلم، ولا أدري عن حال الأمم الماضية أتثبت فيهم الشفاعة من أهل الكبائر بالنسبة لأصحاب الكبائر

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ] (١٤٦/٩)، برقم: [٧٥١٠].

(٢)أخرجه أحمد في «المسند» من حديث سعد بن معاذ (٣٦٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٣٤]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [التلقين] (١٩٠/٣) برقم: [٣١١٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٠٩/١) برقم: [١٦٢١].

منهم أم لا، وإنما الشفاعة الواردة في الأدلة إنما هي الشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، تخفيف من الله عَزَّوَجَلَّ ورحمة بهذه الأمة، وأما أصحاب الكبائر من الأمم الماضية فلا ندري عن حالهم والله أعلم. لأن الأدلة الواردة في أمر الشفاعة مقيدة بأهل الكبائر من هذه الأمة.

يقول النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث أبي هريرة: ((لِكُلِّ نبي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نبي دَعْوَتَهُ وإني اخْتَبَأْتُ دعوتي شَفَاعَةً لأمتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فهي نَائِلَةٌ إِن شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أمتي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا))[1]، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فإذن الشفاعة العظمي وهي المقام المحمود لا تخص هذه الأمة، بل يشفع في الأمة وفي جميع أهل الموقف حتى يفصل بينهم في القضاء، وأما شفاعته وشفاعة المؤمنين والشهداء والصالحين في أصحاب الكبائر فإنها تكون في أصحاب الكبائر من هذه الأمة والله أعلم.

i

١٧٤. سُئِلَ الشيخ: عن رجل يطلب الشفاعة من النبي ﷺ في الدنيا لأجل الأخرة يقول يعني مستعجل على طلبها مع العلم أنه حينما طلبها لا يقصد من طلبه جلب نفع أو دفع ضر في الدنيا إنما هو مستعجل فهل هذا الفعل بدعة؟ أحسن الله إليكم.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله هذا من الأفعال المحرمة التي لا تجوز فإن المتقرر في القواعد أن الشفاعة ملك لله عَزَّوَجَلَّ كما قال الله تبارك وتعالى قل

---

(١)متفق عليه: متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ] (٦٧/٨) برقم: [٦٣٠٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ](١٨٩/١) برقم:[١٩٩]، واللفظ لمسلم.

لله الشفاعة جميعا فالشفاعة ليست ملكا للنبي ﷺ حتى يعطيها من يشاء وإنما لا يستطيع صلى عليه وسلم أن يشفع لأحد حتى يأتي فيسجد تحت العرش فيفتح الله عَزَّوَجَلَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد من قبله ثم يقال يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وستعطى واشفع تشفع وإلا فلا حق لأحد أن يطلب من النبي ﷺ أمرا لا يستطيعه فإنه لا يجوز أن يطلب من المخلوق إلا الأمر الذي يقدر عليه المخلوق وبناء على ذلك فلا يجوز للإنسان أن يسأل النبي ﷺ الشفاعة وإنما يسأل الشفاعة من يملكها؟ فيقول بدل أن يقول اشفع لي يا رسول الله فليقل يا ربي شفع فيّ نبيك ﷺ هذا هو الطريق الشرعي الصحيح والله أعلم.

i

١٧٥ . سُئِلَ الشيخ عن: شفاعات الأنبياء والمؤمنون والملائكة يوم القيامة؟

الحمد لله رب العالمين وبعد،

الشفاعة التي ستكون يوم القيامة تنقسم إلى قسمين: إلى شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وإلى شفاعة عامة يدخل فيها المؤمنون والملائكة والشهداء وغيرهم، أما الشفاعات الخاصة فهي ثلاث شفاعات لا يَشْرُكُ نبي الله ﷺ منا أحد فيها، الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى وهي الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة وهي المقام المحمود الذي أوتيه النبي ﷺ، وقد ثبتت بذلك الأدلة الصحيحة الصريحة فهذه الشفاعة ليست للملائكة المقربين ولا للأنبياء المرسلين وإنما هي للنبي ﷺ، الشفاعة الثانية: الشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة فهذه شفاعة لا مدخل فيها لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل بل هي من جملة خصوصيات النبي ﷺ، والشفاعة الثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب وهي شفاعة تخفيف لا

إخراج فهذه لا مدخل فيها لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل وإنما خاصة بالنبي ﷺ، وأما ما عدا ذلك من الشفاعات كالشفاعة في أهل الأعراف أو الشفاعة في من استحق النار أن لا يدخلها أو الشفاعة في من دخلها من أهل الكبائر أن يخرج منها أو الشفاعة في رفعة الدرجات بعد دخول الجنة فإنها للمؤمنين ولعامة الملائكة والانبياء والمرسلين، فالشفاعة التي لا مدخل لاحد فيها هي الشفاعة العظمى والشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة والشفاعة في عمه أبي طالب وأما ما عداها فهي شفاعة عامة لأهل الإيمان والملائكة والله أعلم.

كتاب: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره

١٧٦. سُئِلَ الشيخ: هل الرزق يزداد بتغيير المهن أم هو مكتوب تكون في أي مهنة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد

هذا أمره ومرده إلى ما قسمه الله عَزَّوَجَلَّ وقضاه للعبد من الأرزاق فإن من الناس من يكون رزقهم في جهة معينة فإذا رزقهم الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الجهة واستبدلوها بغيرها ذهب رزقهم ونقص ومن الناس من أن جعل الله عَزَّوَجَلَّ

أرزاقه من أبواب متعددة وذلك فضل الله عَزَّوَجَلَّ يؤتيه من يشاء وبناء على ذلك فهذا امر ليس له ميزان مستقيم نستطيع أن نفتي بناء عليه وإنما هذا أمره ومرده إلى الله عَزَّوَجَلَّ وقد يكون الإنسان بحسب تجاربه قد عرف من نفسه ذلك فإن من الناس من يفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه باب أرزاق متعددة فحيثما باع واشترى في أي نوع من أنواع السلعة فإن الله يفتح له من الأموال والأرزاق الشيء الكثير، ومن الناس من إذا تجاوز باب رزقه المفتوح له أحس بالخسارة وأحس بعدم التوفيق وعدم البركة

فالأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليس لنا قانون مستقيم نستطيع أن نفتي بناء عليه لأن الأمر غيب فإن الأرزاق المكتوبة في اللوح المحفوظ تعددا وانفرادا كثرة وقلة هي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ والله أعلم.

i

١٧٧. سُئِلَ الشيخ: أنا موظف حكومي ولي كم سنة لم تأتني الترقية، ماذا أفعل؟ يقول: مع العلم بأني محافظ ولله الحمد على الصلاة في المسجد، ما النصيحة لي؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، نصيحتي لك أن تصبر وأن تحتسب الأجر، ولن يضيع شيءٌ من الحقوق عند الله -عَزَّوَجَلَّ -، وإن ضاع عليك شيءٌ منها في الدنيا، فإن الدنيا دار ابتلاءٍ وامتحان، ودار كبدٍ وشقاء، وليست دار نعيمٍ مطلق ولا حبورٍ مطلق ولا سرورٍ مطلق، يقول الله - عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤].

فلن تستقيم للإنسان أموره في عامة شؤونه الاستقامة المطلقة؛ فلابد أن يحصل شيءٌ من القصور، ولابد أن يحصل على الإنسان شيءٌ من الظلم أو التجاوز والتعدي، فلابد أن يكابد الإنسان هذه الحياة، فحتى تستمر في وظيفتك التي يأتيك رزق الله عَزَّوَجَلَّ عن طريقها، فعليك أن تصبر وأن تحتسب الأجر فيما فاتك من تأخير الترقية، ولن يضيع شيءٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان هناك طريقٌ للتظلم عند المحاكم الشرعية والمحاكم من شأنها أن تقبل مثل هذه القضايا، ولا يكون في رفعك للقضية على مرجعك شيءٌ من المفاسد عليك، لا خالصةً ولا راجحة، ورأيت أن الحكمة والعقل يقتضيان أن تطالب بحقك في المحاكم الشرعية؛ فلا بأس عليك أن تتظلم عند القضاة الشرعيين، فإن شرع الله عَزَّوَجَلَّ مطهرةٌ.

وإذا كان هناك شفاعةٌ تستطيع أن توسطها حتى يأتيك هذا الحق الذي فاتك وتقادمت عليك فيه السنين، فلا بأس عليك أن تطلب حقك إما في المحاكم أو بالشفاعة الحسنة، فإن لم تجد طريقًا تستخرج به حقك فاحتسب هذا الحق عند الله عَزَّوَجَلَّ، واطلبه من الله، وأكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ أن ييسر لك استرداد هذا الحق الذي فاتك؛ فإن أزمة أمور الكون بيد الله عَزَّوَجَلَّ، ورؤساؤك في العمل إنما هم عبيدٍ مربوبون مدبرون متصرفٌ فيهم من قبل الله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر كله من قبل ومن بعد بيد الله تبارك وتعالى، فإذا منعك المخلوق حقك وأبطأ عليك فيه فاستعجله بكثرة دعاء الله عَزَّوَجَلَّ، واطلبه من الله، وابتهل إلى الله، وأكثر من دعاء الله أن ييسر لك هذه الترقية إن كان فيها خيرٌ لك. والله أعلم

i

الفصل الأول: الدرجة الأولى من درجات الإيمان بالقدر.

١٧٨. سئل الشيخ عن: حكم قول: أول ما خَلَقَ اللهُ العرش، أو أول خَلْقِ اللهِ العرش؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا جرم أن أهل السُّنَّة والجماعة رحمهم الله تعالى مختلفون في أوائل المخلوقات على قولين، فمنهم من قال إن أول المخلوقات القلم استدلالا بقول النبي ﷺ ((إن أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربَّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ))[1] كما في حديث عبادة ابن الصامت بإسناد جيد، فقال هذا الفريق من أهل العلم بأن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ إنما هو القلم، بينما يرى فريق من أهل السُّنَّة بأن أول المخلوقات هو العرش، فأول شيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ إنما هو العرش، فإذا سُئلت عند هذا البعض من أهل العلم ما أول المخلوقات؟ فتقول العرش، وأنا أريد بذكر الخلاف في هذه المسألة أن أبين أن هذه المسألة في أولية المخلوقات، إنما هي من المسائل التي ثبت فيها الخلاف في دائرة أهل السُّنَّة والجماعة، والمتقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة أن كل مسألة ثبت الخلاف فيها في دائرة أهل السُّنَّة فلا تعتبر من المسائل العقدية الكبار التي يوالى ويعادى عليها أو يبدع من يخالف في شيء منها، فأهل السُّنَّة نُقل عنهم هذان القولان، والقول الصحيح عندنا أن أول مخلوق خلقه الله عَزَّوَجَلَّ إنما هو العرش، هذا أصح القولين في هذه المسألة، وأما قول النبي ﷺ

---

(١)أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠) والترمذي رقم (٢١٥٥)وصححه الألباني صحيح: الطحاوية (٢٣٢)، المشكاة (٩٤)، (الصحيحة ١٣٣)

(إن أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلمُ) فهذه أولية مقيدة وليس أولية مطلقة، فأولية خلق العرش هي الأولية المطلقة، وأولية خلق القلم هي الأولية المقيَّدة، وذلك لأن الله – عَزَّوَجَلَّ – أول شيء قاله للقلم لما خلقه اكتب القدر، فالأولية هنا إنما هي في المَقُولِ للقلم لما خَلَقَهُ الله عَزَّوَجَلَّ، وليست في أولية خلق القلم، وإنما أول مقول قيل للقلم لما خلقه الله اكتب القدر، فأوليته هنا هي الأولية المقيدة في الشيء الذي قيل له بعد خلقه، وأما أولية العرش فهي أولية الخلق، ولعل السائل فرق بين الأوليتين، والله أعلم.

i

١٧٩. سُئِلَ الشيخ: هل النصيب هو القدر؟.

فأجاب – عفا الله عنه –: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، نعم النصيب من القدر، فحظ الإنسان ونصيبه من الدنيا من جملة ما قدره الله عليه في التقدير العام، ونعني بالتقدير العام أي ما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

فإن جميع ما يصيب الإنسان في هذه الدنيا من نصيب الفرح أو الحزن، ومن نصيب الغنى أو الفقر، ومن نصيب الصحة أو العلة والمرض، ومن نصيب الأولاد ومن عدمهم.

فجميع ما يصيب الإنسان في هذه الدنيا من النصيب، إنما هو من قضاء الله

وقدره، قال الله :﴿وكان أمر الله قدرًا مقدورًا﴾ سورة الأحزاب، وقال الله -تَبَارَكَ وَتعالى-:﴿إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر﴾ سورة القمر.

وقال النبي :(كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)،[١] ولمسلم من حديث ابن عمر-رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُما- قال: قال النبي :(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ)[٢]، والمقصود بالعجز أي فتور الهمة عن أداء العمل والقيام بالمهام، والكيس العزيمة والهمة.

فما يصيب الإنسان من عزيمةٍ تدفعه إلى العمل والقيام به، فإنما هو من القدر، وما يصيب الإنسان من فتورٍ وعجزٍ وكسل، فإنما هو من القدر فكل شيءٍ يجري في حياة الإنسان من صحةٍ أو مرض.

أو غنًى أو فقر أو حياةٍ أو موت، أو قربٍ أو بعد أو غنًى أو فقر، أو حزنٍ أو فرح فكل ذلك يجري بقضاء الله وقدره، فالنصيب من جملة القدر والله أعلم.

i

١٨٠. سُئِلَ الشيخ: هل من الممكن أن يحدث شيء في الكون فجأة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، هذا سؤال مجمل، والمتقرر في قواعد أهل العلم رحمهم الله تعالى: أن الألفاظ المجملة لا تُقبل مطلقا ولا ترد مطلقا حتى يستفصل فيها ليتميز حقها فيقبل من باطلها فيُرد، فقول السائل: هل يقع شيءٌ في الكون فجأة بلا سبب؟ إذا كان المقصود به فيما يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإننا

---

(١)أخرجه مسلم كتاب القدر بَابُ حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عليهما السلام برقم ((٢٦٥٣))

(٢)أخرجه مسلم كتاب القدر بَابُ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ برقم (٢٦٥٥)

نؤمن إيمانًا جازمًا بأن كل شيءٍ يقع في هذا الكون فإنه لابد أن يمر على أربع مراحل متعلقة بالله عَزَّوَجَلَّ:-

المرحلة الأولى: مرحلة العلم به العلم الكامل العلم التفصيلي والكلي، العلم الذي لا يخالطه شيءٌ من الريب ولا الشك، فالله عَزَّوَجَلَّ عالم بكل شيء فهو بكل شيء عليم ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

فالله عَزَّوَجَلَّ لا يعزب عنه مثال ذرة في السموات ولا في الأرض.

والمرحلة الثانية: مرحلة الكتابة في اللوح المحفوظ فجميع ما يقع في هذا الكون فالله عَزَّوَجَلَّ كتبه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

وبين الله عَزَّوَجَلَّ في آيات كثيرة: أن كل شيء يقع في هذا الكون فإنه قد خط في اللوح المحفوظ، في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))[1].

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهم قال: قال النبي

(١) أخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ كتاب القدر باب: [حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٤/٢٠٤٤) برقم: [٢٦٥٣].

ﷺ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أو الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ))[١].

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين: ﴿أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قُدِّرَ عَلَيْهِمْ، أَمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُثْبَتُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ﴾[٢].

فإذًا كل شيء يكون في هذا الكون فالله عَزَّوَجَلَّ علمه وكتبه.

المرحلة الثالثة: المشيئة فلا يكون في كون الله إلا ما يشاءه بمشيئته العامة النافذة عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

المرحلة الرابعة: الخلق، فالله عَزَّوَجَلَّ هو خالق كل شيء، فكل شيء يقع في هذا الكون فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقه، فإذًا هذه المراتب الأربعة: مرتبة العلم الكامل الشامل، ومرتبة الكتابة الشاملة العامة، ومرتبة المشيئة النافذة، ومرتبة الخلق الكامل العام هي حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر.

ومن موجبات الإيمان بالقضاء والقدر: أن نعلم أنه ليس شيءٌ يكون فُجأةً

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب القدر باب: [كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ](٤/٢٠٤٥) برقم: [٢٦٥٥].

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ](٤/٢٠٤١) برقم: [٢٦٥٠].

على علم الله عَزَّوَجَلَّ، وليس شيء يفعله الله عَزَّوَجَلَّ عن غير حكمة ولا علة ولا مصلحة، هذا لا يجوز اعتقاده في الله عَزَّوَجَلَّ، وهو منافٍ للإيمان بالقضاء والقدر، فالمتقرر بإجماع أهل السُنة والجماعة: أن الله لا يفعل إلا لحكمة، فجميع أفعاله الصادرة عنه عَزَّوَجَلَّ سواءً كانت أفعالًا تشريعية من أحكام تشريعية أو أفعالًا كونية متعلقة بالكون كلها لها الحكمة البالغة والمصلحة المتناهية سواءً أدركت العقول هذه الحكمة أو لم تدركها فإن الله هو الحكيم اسمًا، وذو الحكمة المطلقة المتناهية صفةً، فلا يجوز لنا أن نعتقد أن ثمة فجأة تقع في هذا الكون لا يعلمها الله ولم يقضها ولم يقدرها ولم يكتبها في اللوح المحفوظ هذا لا يكون أبدًا، أبدًا، أبدًا.

ومن اعتقد ذلك فإنه مرتدٌ إذا كان عارفًا بحقيقة ما يقول، لأن قوله: إن ثمة شيءٌ يبدوا على الله، أو يقع فجأةً لم يكن الله عالمًا به فهذا نسبة لله عَزَّوَجَلَّ للجهل، وتشكيك في كمال علمه عَزَّوَجَلَّ، وعلم الله الذي يجب اعتقاده فيه هو ذلك العلم الشامل الكامل لكل شيءٍ علوي هذا العالم وسفله وما كان وما لم يكن وأن لو كان كيف يكون وما يكون، وكل شيء يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ فلا يخفى عن علمه عَزَّوَجَلَّ شيءٌ لا في الأرض ولا في السماء، فالواجب التنبه لذلك.

وأما الحالة الثانية، وهي: أن قول القائل: هل يقع شيء فجأة بلا سبب؟ يعني: باعتبار علم المخلوق الضعيف فإنه نعم أحيانًا تفاجئنا كثيرٌ من الحوادث نحن لا ندري عن أسبابها ولا غايتها ومصالحها ولا ندري عن وقوعها، فإنما تفاجئنا فُجأةً فكم من إنسان فاجأته الحوادث، وكم من إنسان فاجأته الخسارات، وكم من إنسان فاجئه الموت، وكم من إنسان فاجأه المرض، فهناك أشياء تقع

فجأة باعتبار علم المخلوق ولا يدري عن أسبابها لأنها قد تكون أسبابًا قدريةً كونيةً لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

ولذلك عُذبت كثيرٌ من الأمم فجأة عذاب فجأة ما يدرون إلا ونزل العذاب عليهم كما عذب الله عَزَّوَجَلَّ قوم لوط في بداية الصبح وهم نائمون، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أهل الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أهل الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٨].

وهي المقصود بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَغْتَةً﴾. ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الزخرف:٦٦]. فالبغتة هي الفجأة التي لا يحسب الإنسان لها حسابًا ولم يُقدر لها تقديرًا.

فقول الإنسان: هل يقع شيء فجأة إذا كان المقصود في علم الله؟ فهذا لا يمكن أبدًا، وإذا كان المقصود في علم المخلوق فهذا قد يقع، بل يقع كثيرًا والله تعالى أعلى وأعلم، فلابد من التفصيل حتى يتميز الحق فيقبل من الباطل فيرد، والله أعلم.

i

١٨١. سُئِلَ الشيخ نريد تفصيلا في قول تستأهل أو ما تستأهل بمعنى أنه قد يقال في أمور الخير يستأهل فلان وإذا قدر عليه شيء من الشر يعني قيل فلان ما يستأهل؟؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد–

المتقرر في القواعد (أن كل كلمة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر حراما أيا كان نوع هذه الكلمة)

فإذا أصيب الإنسان بمصيبة من الله عَزَّوَجَلَّ وقال له من حوله فلان ما يستأهل كذا فإن كانت هذه تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره أو تتضمن اتهام الله عَزَّوَجَلَّ بظلم فلان أو أنه قضى عليه وقدر شيئا لا يستحقه فلا جرم أنها تعتبر من الكلمات المحرمة التي تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره لأنها تتنافي مع وجوب التسليم والإذعان والإيمان عند نزول المصائب فإن واجب قضاء الله وقدره في مثل هذه المصائب هو كمال حمد الله عَزَّوَجَلَّ وكمال شكره وكمال الصبر واحتساب الأجر فيما أصاب العبد فلا ينبغي للإنسان أن يضيع أجره وأجر احتسابه وصبره بمثل هذه الكلمات التي يقولها هو أو تقال لغيره فإذا كانت كلمة ما يستأهل عند نزول المصيبة تتضمن تسخطا على قضاء الله وقدره فلا جرم أنك تعتبر من الكلمات المحرمة ولذلك يقول الله - عَزَّوَجَلَّ - ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] قال الإمام علقمة رحمه الله: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم) ويقول النبي ﷺ (وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[1]

فحرم النبي ﷺ قول (لو) عند نزول المصيبة لأنها تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فألحق العلماء بهذه الكلمة كل كلمة تتضمن التسخط على قضاء

---

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ، وَتَرْكِ الْعَجْزِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلهِ (٢٦٦٤)

الله وقدره فلا يجوز قول هذه الكلمة عند نزول المصيبة على أحد من الناس لماذا؟ لأنها كلمة تتضمن تسخطا على قضاء الله وقدره، وأما إذا حل على الإنسان شيء من الخيرات ومن الأقدار الموافقة لشهوات النفوس ومرضاتها وقيل له تستأهل فهذه كلمة مجملة لابد فيها من التقسيم لحالتين الأولى إذا كانت تتضمن المنة على الله عَزَّوَجَلَّ وإيجاب ذلك على الله عَزَّوَجَلَّ بمعنى أن الله قدر لك ذلك من باب أنك مستحق له استحقاق وجوب وأنه مما يجب على الله أن يفعل لك ذلك لأنك تستحقه وتستأهله فإذا كانت كلمة تتضمن إيجاب شيء عن الله عَزَّوَجَلَّ فإنها محرمة فإن العبد لا يجب له شيء على الله عَزَّوَجَلَّ إلا ما أوجبه الله على نفسه تفضلا وامتنانا وأما إذا كانت من باب كلمة التشجيع والتذكير بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ فإنها لا بأس بها ولا حرج وبناءً على ذلك فإذا قيلت هذه الكلمة في باب المصائب فإننا نفتي بتحريمها لأنها كلمة تتضمن التسخط على قضاء وقدره وإذا كانت تقال في باب المطالب النفسية فنقول حينئذ إن كانت تتضمن إيجابا على الله أو استحقاقا لهذا العبد على الله فإنها محرمة وإن كانت تتضمن تشجيعا وحثا على المواصلة فإنها لا بأس بها ولا حرج والله أعلم

i

١٨٢. سُئِلَ الشيخ: عن مقطع فيديو لكم تحدثتم فيه عن أن الإنسان مسير بالنسبة للكتابة التي في اللوح المحفوظ ومخير لأنه يشعر أن له اختيارا فهل معنى كلامكم حفظكم الله أن الإنسان في الحقيقة ليس له مشيئة ولا اختيار ولكنه يحس بأن له اختيار أما في حقيقة الأمر ليس له اختيار؟؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله هذا الفهم الذي فهمته من كلامي خاطئ

وفقك الله بل الإنسان له اختيار حقيقة وله مشيئة حقيقة وله قدرة حقيقة ولا يعلم بما كتب له في اللوح المحفوظ حتى يعلم هل سيفعل هذا أو سيفعل هذا؟ وإنما لا يزال الأمر تحت قدرته واختياره ولا يمكن أبدا أن يخالف اختياره ما خط له في اللوح المحفوظ فهو مسير باعتبار سبق الكتابة ولكنه مخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته الحقيقية واختياره الحقيقي ومشيئته الحقيقية فليس مجرد شعور وإحساس فقط بل هو مخير حقيقة يختار ما شاء ولكنه مسير باعتبار سبق الكتابة فأنت إذا خيرت بين امرأتين فهل تحس أنك مدفوع لإحداهما؟

الجواب: لا. بل أنت مخير بين أن تتزوج بهذه أو هذه فليس هو مجرد شعور نشعر به بل هو حقيقة نحسها من أنفسنا فاختيار العبد لأحد فعليه هو اختيار حقيقي نابع عن قدرة حقيقية ونابع عن تخيير حقيقي ونابع عن إرادة حقيقية وليست مجرد شعور زائف أو مجرد إحساس لا حقيقة له فهذا معنى كلامي وفقك الله فإن الإنسان إذا خير بين أمرين واختار أحدهما فإنما هو مخير باعتبار دخول الفعلين تحت قدرته واختياره حقيقة ولكنه مسير باعتبار ما سبق في علم الله عَزَّوَجَلَّ وذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم كل ما سيفعله العبد إلى أن يموت فلأنه يعلم كل شيء سيفعله العبد فالله عَزَّوَجَلَّ كتب ما سيفعله العبد قبل فعل العبد له لأن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء والله أعلم..

i

١٨٣ . سُئِلَ الشيخ: إذا كان الله قدر لنا كل شيء قبل أن نولد فلماذا نعاقب علي ما نفعل؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد. هذه المسألة عند أهل

العلم-رحمهم الله تعالي- تسمي بمسألة (الاحتجاج بالقدر علي فعل شيء من المعاصي؛ لتفويت مأمور، أو فعل محظور).

وقد نبه العلماء من أهل السنة والجماعة-رحمهم الله تعالي-علي أن الاحتجاج بالقدر علي فعل المعصية، أو التفريط في شيء من المشروع.. أمر ممنوع باتفاقهم)؛ فلا يجوز للإنسان أن يحتج بالقدر علي شيء من المعاصي؛ حتي وإن كان الله عَزَّوَجَلَّ قد قدرها عليك فليس بحجة لك أن تحتج علي الله عَزَّوَجَلَّ بأنه قدرها؛ فإن الاحتجاج بالقدر علي المعصية متفق بين أهل السنة والجماعة-رحمهم الله تعالي- علي تحريمه، وقد أجاب أهل السنة والجماعة-رحمهم الله تعالي- علي من يحتج بالقدر بعدة أجوبة:

أولا: أن القرآن قد أبطل هذه الحجة غاية الإبطال، ولم يعتبرها شيئًا؛ بل وسماها القرآن جهلاً، وتخرصًا، وظنًا كاذبًا، ونفي القرآن أن تكون هذه الحجة من العلم في شيء، ووصفها الله عَزَّوَجَلَّ بأنها حجة زور وبهتان؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المشركين يوم القيامة أنهم سيقولون: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّي ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[الأنعام:١٤٨]؛ فلم يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من المشركين احتجاجهم بالقدر علي أن الله أراد منهم الشرك إرادة كونية؛ وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَي الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥] ؛ وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَي مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[الزمر:٥٦]، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي

لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[الزمر:٥٧].

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٥٨]

﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٥٩]؛ وقال-تعالي- عن الذين عبدوا الملائكة أنهم قالوا:﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف:٢٠]؛ فقد أبطل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الحجة، ولم يقبلها عَزَّوَجَلَّ، ولا حجة لأحد علي الله يوم القيامة في تفويت شيء من المأمورات، أو الوقوع في شيء من المحظورات (أنك يا الله من قدرها علي؛ فكيف تقدرها علي، ثم تعاقبني عليها).. هذا بإجماع أهل السنة احتجاج باطل لا يجوز.

والأمر الثاني: أن السلف اتفقوا من الصحابة وتابعيهم، ومن بعدهم-من أهل السنة والجماعة- علي عدم اعتبار الاحتجاج بالقدر علي فعل المعصية فهي حجة غير مقبولة؛ فإنهم-رضي الله عنهم- لم يؤثر عن أحد منهم شيء من ذلك؛ بل كانوا ينكرون علي المخالف، ويعاقبون من وقع فيما يقتضي العقاب- من فعل محظور، أو ترك مأمور-بلا نظر بأن ذلك مقدر عليه؛ بل كانوا يعاقبون.

ولا شك أن الإجماع ثابت ثبوتًا قطعيًا في هذه المسألة؛ فعلي من نصح لنفسه وأراد لها النجاة بإتباع هذا الإجماع.. فإنه من سبيل المؤمنين.

ومنها كذلك: أن الاحتجاج بالقدر علي فعل شيء من المعاصي لو كان فعلاً مقبولًا.. لما كان ثمة حاجة إلي جنة ولا إلي نار؛ فإن الإنسان يقول: كيف يعاقبني الله عَزَّوَجَلَّ علي معصية قدر عليا هو أن أفعلها.. ونحن نقول له أيضًا: وكيف تريد من الله ثوابًا علي طاعة قدر الله عليك أن تفعلها؛ فكما أنه يثيبك

علي الطاعات التي قدر عليك فعلها، وكتب لك في اللوح المحفوظ أن تفعلها.. فكذلك أيضًا له الحق عَزَّوَجَلَّ أن يعاقبك علي ما قدره عليك من المعاصي.

فكيف تنكر عليه أن يعاقبك علي المعصية، وكيف لا تنكر علي نفسك طلب الثواب من الله علي طاعة الله قدرها عليك؛ فبالله عليك من الذي قدر لك أن تسلم-أوليس هو الله-، من الذي قدر لك أن تصلي-أوليس هو الله- فكيف تطلب جنة الله بسبب إسلامك الذي قدره الله لك، وصلاتك التي قدرها لك، ولا تخاف من نار الله باقترافك لمعصية قدرها الله عليك؛ فكما أنك تطلب ثواب الله بالطاعة التي قدرها لك، فأيضًا عليك أن تخاف من عقاب الله علي فعل المعصية التي قدرها عليك.

فلا نجاة من ذلك الأمر؛ فإياك أن تقبل أُطروحة الشيطان في تشكيك في قدر الله عَزَّوَجَلَّ؛ فليس بحجة علي الله- عَزَّوَجَلَّ - أن يكون قدر عليك المعصية.

ثم إني أقول لك أيها الأخ الكريم: هل أنت تعلم أن الله قدر عليك المعصية قبل أن تزاولها؟

هل اطلعت علي اللوح المحفوظ وعلمت أن الله قدر عليك هذا اليوم أن تفعل كذا وكذا من الذنوب والمعاصي؟

الجواب: لا؛ أنت من أقدمت علي المعصية بمحض اختيارك وإرادتك؛ فأنت معاقب علي هذا الاختيار والإرادة.

ولماذا لا تعكس الأمر وتقول: الله لم يقدر عليا هذا اليوم؛ وإنما قدر عليَّ أن أصلي الضحى فتصليها، قدر لي أن لا أفرط في فريضة في المسجد.. فتحافظ علي الفرائض الخمس في المسجد؛ قدر علي أن أقوم الليل.. فتقوم الليل؛ قدر

علي أن أصوم اليوم.. فتصوم اليوم.

لماذا دائما تسئ الظن بالله، وتقول: الله قدر علي أن أعصيه؛ ولكن لا نسمع أحدًا يقول: الله قد علي أن أطيعه؛ دائمًا يُتهم الله عَزَّوَجَلَّ بجانب السوء، وهذا من باب سوء الظن في الله؛ فلا تكن من الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾[الفتح:٦]. فأحسن الظن بالله يا رجل، ولا تظنن أن الله عَزَّوَجَلَّ قدر عليك أن تعصي فتقع في المعصية!! تخرصًا بأن الله قدرها عليك؛ لماذا لا تقول الله قدر عليّ أن أطيعه الآن.. فأطيعه؟.

هكذا ينبغي أن يتعامل العبد مع ربه.. بإحسان الظن به؛ ثم اعلم -وفقك الله- أن الجنة دار لها طرق.. فمن أرادها فلابد أن يسلك سبيلها؛ كما أن الراتب في آخر الشهر له أسبابه: فمن أراد أن ينزل في الحساب راتبه.. فليطرق الأسباب؛ وهل يقبل من الإنسان أن يبقي في بيته ويقول: إن كان الله قدر أن ينزل الراتب في حسابي.. فسينزل، ولو لم أداوم -هذا مجنون هذا-؛ وإذا كان الإنسان يريد ولدًا.. فهل يجوز للإنسان أو يعقل أو يقبل أن يقول: إن كان الله قدر وجود الولد فسيأتيني ولو لم أتزوج؟

الجواب: لا؛ فكذلك الجنة. يقول: إن كان الله يريدني أن أكون من أهل الجنة.. فسأكون من أهل الجنة ولو تقحمت في الذنوب والمعاصي طيلة حياتي. هذا ليس بصحيح؛ كما أنك لا تقول هذا في أمور دنياك؛ فإياك أن تقوله في أمور أخراك.

ولذلك لا نسمع أحدًا يحتج بالقدر في أمور الدنيا وتحصيلها؛ بل يكدحون، ويكدون من أول نهارهم.. ابتغاءً لتحصيل شيء من الدنيا؛ فإذا جاءت مسائل

الجنة، ومسائل الطاعة قالوا: الله قدر علينا، نسأل الله أن يهدينا، لو أراد الله أن يهدينا لهدانا؛ فالناس لا يحتجون بهذه الحجة إلا علي ترك الخير الذي يوصلهم إلي الجنة؛ ولكن لا يحتجون به في تحصيل الدنيا؛ بل يطرقون أسبابها، ولا يفوتون منها طريقًا؛ وأما الجنة.. فإنهم يهملون سلوك أسبابها بحجة أن الله لو قدر أن يكونوا من أهل الجنة.. لكانوا من أهل الجنة. ولذلك ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ﴿ مَا مِنكُمْ مِنْ نَفْسٍ، إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾؟[1] يعني خلاص بما أن الأمر مفروغ منه؛ فلماذا نعمل (لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ).[2]

اعمل يا أخي.. اعمل واجتهد وأحسن الظن في الله أنه كتبك من أهل الجنة، واجتهد في الطاعات؛ وإياك أن تسول لك نفسك فتقول: إنني من أهل النار؛ أو إن الله قدر عليّ المعصية؛ فاجتهد وأقفل باب قلبك عن هذه الوساوس الشيطانية، واستعن بالله، ولا تعجز، واتكل علي الله عَزَّوَجَلَّ، وأحسن الظن في الله، وأبشر بالخير. والله أعلم

i

١٨٤. سُئِل الشيخ عن: معنى القدر؟.

---

(١)أخرجه البخاري برقم (١٣٦٢) أخرجه مسلم في القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه ورزقه..، رقم: (٢٦٤٧) واللفظ له

(٢)أخرجه البخاري برقم (٤٩٤٩) أخرجه مسلم في القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه ورزقه..، رقم (٢٦٤٧) واللفظ له

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، القدر يطلق ويراد به علم الله عَزَّوَجَلَّ الأزلي السابق، ويطلق ويراد به كتابة هذه الأشياء في اللوح المحفوظ، ويطلق ويراد به مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ، ويطلق ويراد به خَلْقه، فإذا قيل لك ما القدر؟ فقل: هو علم الله، وكتابته في اللوح المحفوظ، ومشيئته، وخلقه، وهي أركان القدر الأربعة التي لا يتم الإيمان بالقضاء والقدر إلا إذا آمن العبد بها، فيؤمن أن الله قد علم كل شيء جملة وتفصيلا فالله يعلم مكان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، ثم كتب هذا المعلوم في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، والأدلة على ذلك كثيرة، وأن الله عَزَّوَجَلَّ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ، وكذلك كل شيء موجود فالله عَزَّوَجَلَّ خالقه فلا خالق إلا هو، فهذا هو القدر، فقدر الله عَزَّوَجَلَّ مشتمل على علمه وكتابته ومشيئته وخلقه، والله أعلم

i

١٨٥ . سُئِل الشيخ هذا سائل من العراق يقول: ما حكم التلفظ بهذه الألفاظ؟ يقول إني أؤمن بالقدر خيره وشره لكني أحزن يا الله؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن كل كلمة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها محرمة، والمتقرر في القواعد وجوب الإيمان والتسليم لقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، وبناء على ذلك فقوله إني أؤمن بالقضاء والقدر هذا لا إشكال فيه لأنه واجب كل مؤمن لقول الله - عَزَّوَجَلَّ ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ

قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] قال السلف رحمهم الله تعالى هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم، وأما قوله (ولكني أحزن يا الله) فإن قالها تسخطا على قضاء الله وقدره فتعتبر من جملة الألفاظ المحرمة، لما قررته في القاعدة من أن كل كلمة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر حراما، وأما إذا كان من باب التضرع إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليزيل عنه حزن قلبه فهذا من باب الشكوى إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، فهذا لا بأس به ولا حرج إن شاء الله.

فإن كان يقصد بقوله (ولكني أحزن يا الله) تسخطا على قضاء الله وقدره فمحرمه، وإن كان دعاء وتضرعا وإخبارا بحالٍ فهذا جائز لا بأس به، والله أعلم ..

i

١٨٦. سُئِل الشيخ: كثيراً ما يعبر العلماء رحمهم الله في العقيدة في باب القدر وخلق الأفعال بقول: ﴿خلقاً وإيجاداً وتقديراً﴾، يقول: كلمة ﴿خلقاً وإيجاداً﴾ أليست بمعنى واحد؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الكلمتان بينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه، بمعنى أن الخلق أعمُّ من الإيجاد، فكل إيجاد فهو خلق، وليس كل خلقٍ يعتبر إيجاداً، فالخلق يشمل الإجاد ويشمل التصوير، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤]، فالخالقون هنا ليست بمعنى الإيجاد وإنما بمعنى التصوير، وكقوله عز، وكقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عَزَّوَجَلَّ: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ

شَعِيرَةً))[١] فالخلق هنا ليس بمعنى الإيجاد، وإنما بمعنى التصوير.

فالخلق يدخل تحته الإيجاد من العدم، ويدخل تحته التصوير أي تشكيل الشيء من صورةٍ إلى صورة، وأما الإيجاد فهو بمعنى واحد، وهو إيجاد الشيء من العدم، فقد كان قبل إيجاده يوصف بأنه معدوم، وبعد إيجاده يوصف بأنه موجود، فالخلق أعمّ لأنه يشمل معنيين، والإيجاد أخصّ لأنه لا يشمل إلا معنى واحداً، فقولهم: ﴿الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق الموجد﴾ يدخل في ذلك الخلق، ويدخل في ذلك التصوير، يعني يدخل في ذلك الخلق ابتداءً وهو الإيجاد، ويدخل في ذلك التصوير، وهو تشكيل الشيء وإخراجه على صورةٍ معينة.

فإذا قلت: وهل يوصف المخلوق بأنه خالق؟، الجواب: يوصف بأنه يخلق الشيء بمعنى تصويره، فالإنسان يأتي بالحديد فيصوّره على صورة سيارة، والإنسان يأتي بالخشب فيصوّره على صورة بابٍ، ويأتي الإنسان بالإسفنج فيصوره على صورة سريرٍ أو مخدة، فالخلق بمعنى التصوير يوصف المخلوق به، وأما الخلق بمعنى الإيجاد الابتدائي من عدم فهو من خصائص الله تبارك وتعالى، وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢] فالخلق هنا بمعنى الإيجاد من عدم، فقولهم خلقاً وإيجاداً هذا تخصيصٌ بعد تعميم، فهو كقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة:٩٨] فقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ تخصيصٌ بعد تعميمٍ في قوله: ﴿وَمَلائِكَتِهِ﴾.

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]،] (١٦١/٩) برقم :[٧٥٥٩]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ] (١٦٧١/٣) برقم:[٢١١١]، واللفظ للبخاري.

مع أن جبريل وميكال يدخلان في جملة الملائكة، لكن خُصّا بالذكر رداً على من أبغضهما بخصوصهما، فقول العلماء رحمهم الله: ﴿خلقاً﴾ هذا تعبيرٌ عام، وقولهم: ﴿وإيجاداً﴾ هذا تعبيرٌ خاص، فهو تخصيصٌ بعد تعميم، وهو تعبيرٌ معروفٌ عند أهل العلم رحمهم الله تعالى، والله أعلم ..

١٨٧. سُئِل الشيخ: كيف نجمع بين أن القدر خيرٌ كله، وبين ما يحدث للإنسان من أشياء قد تُحزنه؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: لابد إذا قدّر الله عَزَّوَجَلَّ شيئاً من الأقدار أن ننظر لها باعتبارين: باعتبار كونها تقديراً من الله تبارك تعالى، وباعتبار كونها فعلاً صدَرَ من المخلوقِ، فتقديرُ الله عَزَّوَجَلَّ يُنظر له بهاذين الاعتبارين، فأما الاعتبار الذي يُنسب فيه القدر إلى الله عَزَّوَجَلَّ فإنه لا يكون إلا خيراً؛ لقول النبي ﷺ: ((وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ))[1]، فقد نفي النبي ﷺ الشر النفي المطلق عن الله عَزَّوَجَلَّ، والقدر فعل الله تبارك وتعالى، وليس في أفعال الله شيء من الشر، فالقدر باعتبار نسبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ خيرٌ لا شر فيه، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يفعل شراً، وإنما جميع أفعاله الصادرة منه هي في حقيقتها خيرٌ لا شر فيها؛ لأنها مبنيةٌ على الحِكم، والمصالح الكثيرة التي لا نهاية لها، وأما باعتبار كون هذا القدر فعلاً صَدرَ من المخلوق، فحينئذٍ قد يكون ما صَدرَ من المخلوقِ شراً إذا كان مخالفاً للكتاب والسنة، وقد يكون خيراً.

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الدعاء في صلاة الليل] (٥٣٤/١) برقم: [٧٧١].

، فالقدر لا يُنسب إلى الشر إلا إذا نظرنا له على اعتبار كونه فعلاً للمخلوق، فإذا صدر القدر من المخلوق فإنه ينقسم إلى خيرٍ وشر، وأما باعتبار نسبته إلى الله فإنه لا ينقسم، وإنما هو خيرٌ كله؛ ولذلك لابد أن نفرق بين القدر والمقدور، وبين القضاء والمقضيّ، فأما القدر والقضاء فهما فِعلان لله عَزَّوَجَلَّ ولا شر فيهما، وأما المقضيُّ والمقدور فهما فِعلان للمخلوق، فينقسمان إلى خير وشر باعتبار نسبتهما وصدورهما من المخلوق.

وبناءً على ذلك فما نراه على وجه الأرض من الذنوب والمعاصي نقول فيه.

أما باعتبار نسبة تقديره إلى الله عَزَّوَجَلَّ فهو خير، وأما باعتبار صدورها من المخلوق فهي شر، فالشر في فعل المخلوق لا في فعل الله عَزَّوَجَلَّ، بل وإن تقدير الكُفر باعتبار نسبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ تقديراً، وخَلْقاً، وإيجاداً هذا خير، ولكن باعتبار صدور الكفر من المخلوق شر، وكذلك جميع الذنوب والمعاصي على ذلك.

بل حتى المصائب تدخل في هذا، فإن من المصائب ما يُحزن بني آدم، فهي باعتبار نسبة تقديرها لله عَزَّوَجَلَّ خير، ولكن باعتبار نزولها على المخلوق وتأثر نفسه بها ربما تكون شراً في حق المخلوق، ولكنها ليست شراً باعتبار تقدير الخالق لها، مع أن ما يصيب المؤمن من المصائب في هذه الدنيا وإن أحزنته، فإنه إذا صبر واحتسب الأجر فيها تكون خيراً له باعتبار النهايات، وإن كان يراها شراً باعتبار البدايات، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: ٤١].

وكم من إنسان كان بعيداً عن الله عَزَّوَجَلَّ جاءه الناصحون فلم يستجب، جاءه

الواعظون فلم يزدجر، لكن أجرى الله عَزَّوَجَلَّ عليه مصيبة من مصائب هذا الدهر فصارت موقظةٍ لقلبه من رقدة الغافلين، ونبّهت روحه، وعاد في قوافل السائرين إلى الله عَزَّوَجَلَّ بسبب هذه المصيبة، فصارت كمالاً باعتبار النهاية وإن كان هو يراها شراً باعتبار البداية.

فالقدر والقضاء فعلان لله وهما خيرٌ، وأما المقدور والمقضيّ فهما فعلان للمخلوق وينقسمان إلى خير وشر، فالشر إنما هو ما يصدر من المخلوق لا باعتبار ما يصدر من الله؛ ولذلك قال الناظم: ﴿والشر في المقدور ليس في القدر ويلزم الصبر على مُر القدر﴾، ولعل السائل فهم ما أريد، والله أعلم

i

١٨٨. سُئِلَ الشيخ: أحسن الله إليكم شيخنا، هذا سائل يقول: عندما نتكلم عن عطاء الألوهية هل معنى ذلك أن ندخل في فلسفة الإنسان مخير أم مسير؟ أرجو توضيح ذلك لأني الذي أفهمه أن الله قد بين لنا الرشد من الغي والإنسان هو الذي يجني على نفسه فإن اتبع الهدى وفقه الله وإن لم يتبع كان مصيره النار

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، كلامك صحيح لا غبار عليه وكلامنا صحيح لا غبار عليه ولا تلاقي بين هذا وهذا وفقك الله عَزَّوَجَلَّ، فإنك لو تدبرت كلامنا لوجدته عين كلامك، فالله عَزَّوَجَلَّ قد قامت حجته على عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإيضاح الحجة وبيان المحجة، فليس ثمة حجة للعباد على الله عَزَّوَجَلَّ كما قال الله – عَزَّوَجَلَّ– ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]فحجة الله قد قامت على عباده كما قال الله – عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ

الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة، فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يعطي أحداً عطاء ربوبية وأفرده عن عطاء الألوهية بمعنى أنه وسع عليه في أمر دنياه ولم يعطه عطاءً ينفعه في آخرته فهذا نحن نقول فيه استدراج، فلا شأن لنا بقضية مسير أو مخير لأن هذا مبحث آخر، لكنه لا يتنافى ونحن نتفق معك اتفاقاً كاملاً بأن من ضل فإن ما ضل بعد بيان الحجة وقيام الحجة عليه فلا حجة لأحد في ضلاله بأن ينسبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويقول أنت أضللتني فإن هذا من الاحتجاج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي، فحجة الله عَزَّوَجَلَّ قد قامت على الجميع، وأما كون الإنسان مسير أو مخير إن كنت تسأل عن هذا وفقك الله فقد أجبت في إجابات كثيرة بأن الإنسان فيه تسيير وتخيير؛ فهو مسير باعتبار نسبة الفعل إلى الله عَزَّوَجَلَّ أي باعتبار سبق القضاء، ولكنه مخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته وطاقته وإن لم تفهم فاسأل حتى نجيب مرة أخرى بتفصيل أكثر، وعلى كل حال هذا شيء وهذا شيء، فنحن نوافقك الموافقة الكاملة وفقك الله في قضية أن الإنسان قد قامت عليه حجة الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن أيضاً لابد أن توافقنا في قضية أن عطاء الربوبية إذا كان منفرداً عن عطاء الألوهية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ أي ألوهية ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي ربوبية، فإن عطاء الربوبية هو ذلك العطاء الذي لا يقتضي رحمة ولا يقتضي مغفرة ولا رضى إذا انفرد عن عطاء الألوهية وفقك الله، لا يشكل عليك ذلك الأمر أسهل من أن يكون مشكلاً لو فهمته حق فهمه. والله أعلم.

i

١٨٩. سُئِلَ الشيخ: قضية الإنسان هو مخير أو مسير يقول كيف يخلق الله الناس ويعلم أنهم سيعذبون ويدخلون جهنم. وكيف يكون الإنسان من أهل الحق ثم يزيغ عنه. ويصبح صاحب هوى. هل الله أراد به ضلال أم ماذا؟ يقول وماذا نقول لمن قال عن أناس كانوا من أهل الحق؟ ثم أصبحوا أصحاب هوى ثم قالوا عنهم أن الله أضلهم ويستدلون بقول الله عزو جل: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله: نعم هذا هو ويجب الإيمان به. والإذعان والتسليم له وتحرم مخاصمة الله عَزَّوَجَلَّ في قضائه وقدره﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فكل من أراد الله هدايته بإرادته الكونية فسيهتدي فضلا وكل من أراد الله عَزَّوَجَلَّ إضلاله بإرادته الكونية فإنه سيضل عدلا، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه عَزَّوَجَلَّ، ولا حجة للعباد على الله عَزَّوَجَلَّ في أنه أراد إضلالهم بإرادته الكونية فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد بين طريق الحق والضلال وقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وقد قامت حجة الله عَزَّوَجَلَّ على العباد بذلك. فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥] فالله عَزَّوَجَلَّ قد قامت حجته على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب. وبإيضاح الحجة وببيان طريق المحجة. فليس أحد. يضل إلا لأنه يريد الضلال هو في خاصة نفسه. فكثير من الناس يسلك طريق الضلال باختياره وكامل إرادته ثم يتهم ربه بأنه هو من أراد. إضلاله. وهذا من باب الاحتجاج بالقضاء

والقدر على فعل المعائب. أي المعاصي. وقد أجمع علماء الإسلام على حرمة هذا الاحتجاج. وأنه لا ينفع المحتج هذه الحجة بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ. وقد نفاها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)﴾ [الزمر: ٥٧-٥٩]

فإذا أنت كذبت اختيارا واستكبرت اختيارا مع وضوح الحجة ونزول الآيات وإرسال الرسل فلا حجة لأحد بعد ذلك على الله عَزَّوَجَلَّ سواء أوافق أو لم يوافق. سواء رضي أو لم يرض سواء آمن بقضاء الله وقدره أو تسخط عليه. فكل ذلك لا يغير من قدر الله عَزَّوَجَلَّ شيئا. فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط. ولا يضر الله. عَزَّوَجَلَّ تسخطنا ولا تضجرنا على قضائه وقدره. لكن على المسلم أن يسعى في فكاك نفسه من النار. على العاقل الحصيف أن لا يكثر من هذه الأسئلة التي تثبط عزيمته في فكاك رقبته من النار فإن. تلك الأسئلة شيطانية المصدر شيطانية التأصيل والتخطيط حتى تعطل العبد عن سلوك طريق النجاة. فكل شيء بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره فما اهتدى مهتدٍ إلا بقضاء الله وقدره.. وما ضل ضالٌ إلا بقضاء الله وقدره. وما هلكت نفسٌ ولا وجدت نفسٌ ولا اغتنى غنيٌ ولا افتقر فقيرٌ ولا تحرك ساكنٌ ولا سكن متحركٌ. إلا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره ثم ماذا؟ ثم علينا أن نحقق في أرض الله ما أمرنا به وهي أن نعبده وأن نفرده بالعبادة فإياكم ثم إياكم أن يحملكم النظر في قضاء الله وقدره على تعطيل التعبد له في أرضه. فتكونون ممن أشغلكم القدر عن العبادة. وهذه هي الزندقة.

من قال في قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره قولا اقتضى أن يترك الصلاة. اقتضى أن يترك الزكاة. اقتضى أن يترك فعل المأمورات وترك المحظورات فإن هذا هو عين الزندقة. لأن إيمانه بالقضاء والقدر إيمان الزنادقة. لكن لو كان مؤمنا بالقضاء والقدر الإيمان الحقيقي لحمله. ذلك الإيمان على التزام المأمورات وترك المحظورات. فكل من حمله إيمانه بقضاء الله وقدره. على ترك شيء من المأمورات احتجاجا بالقضاء والقدر أو على التقحم في شيء من المحظورات احتجاجا بالقضاء والقدر فإنه زنديق والعياذ بالله فلا تشتغلوا بمثل هذه الأسئلة. لماذا فعل الله كذا؟ فأنتم لستم خصماء لله عَزَّوَجَلَّ والله لم يخلقكم في أرضه حتى تسألوه عن خلقه وقضائه وقدره وإنما خلقكم وأوجدكم في أرضه لتعبدوه فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا قال الله - عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فدعوا هذه الأسئلة التي والله سوف ترديكم إلى مهاوي الردى وسوف تخرجكم عن دائرة الإسلام. إذا رضيتم بمدلولاتها. ووقفتم عند مقتضياتها. لأنها تقتضي مخاصمة الله عَزَّوَجَلَّ في قضائه وقدره. فأنت عبد مربوب مسير ليس لك إلا أن تقول سمعنا وأطعنا وأمنا وصدقنا. لا تقل كيف ولما ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] الله عَزَّوَجَلَّ هو الفعال لما يريد. لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. عَزَّوَجَلَّ. هذه هي نصيحتي.

ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] هؤلاء يحتجون بالقدر. يقولون لو شاء الله أن لا نظل لما

ظللنا لو شاء الله عَزَّوَجَلَّ ألا نشرك لما أشركنا. فردوا شركهم واتهموا به ربهم مع أنهم وقعوا في الشرك من محض اختيارهم ومعاندتهم وآبائهم واستكبارهم وتكذيبهم. لكنهم يتهمون يوم القيامة ربهم أنه لو أراد ألا يشركوا لما أشركوا.

هل قبل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الحجة؟؟

اسمع ماذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]خمس صفات وصف الله بها هذه الحجة. وصفها بأنها حجة كاذبة ووصفها بأنها لا تمنع من مس العذاب ووصفها بأنها تخوض بالظنون وأنها ليست بعلم إلى غير ذلك من الصفات. فلا تتعلقوا بها فإنها. والله أوهى من خيط العنكبوت. والتزموا بما أمركم الله عَزَّوَجَلَّ به في أرضه. ودعوا قضاءه وقدره وكثرة الخوض فيه. فإنه يخرج العبد من دائرة المطلوب منه إلى ما لا يطلب منه. والله أعلم.

i

١٩٠. سُئِلَ الشيخ: ما حكم الاحتجاج بالقدر على فعل الطاعات لأجل ألا يبقى في نفسي شيء من العجب والرياء. يعني أقول أن الله قدَّر عليَّ فِعْل هذه الطاعة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله- لا بأس عليك في ذلك، وهذا من باب الاعتراف منك بعظيم نعمة الله عليك بهذه الهداية، فإذا فعل الانسان طاعةً ثم قال الله قدر لي أن أفعلها ولولا فضل الله عَزَّوَجَلَّ وتيسيره لم تتيسر لي فهذا لا بأس به ولا حرج لأنه احتجاج لا يتضمن الوقوع في شيء من المخالفات

أو المفاسد- والله اعلم.

i

١٩١. سُئِلَ الشيخ: حكم من قال أنا لا اصلي لأني زعلان من ربنا، يعني لو أن الله ابتلى شخصًا بالفقر بعد الغنى فقال هذا الشخص أنا لا أصلي لأني زعلان من الله فهل هذا القول؟ صحيح وما الحكم؟؟؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد -المتقرر في القواعد (أن كل لفظة تتضمن التَّسخُّط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر حرامًا) وهذه الكلمة القبيحة الخبيثة تتضمن سخط العبد وتضجره على قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره والمتقرر في القواعد (أن واجب المصائب الصبر ومندوبها الرضا) فيجب على الإنسان أن يصبر وأن يرضى على ما انزله الله عَزَّوَجَلَّ عليه من قضائه وقدره ويحرم على العبد أن يتسخط أو يتضجر، فإن العلماء مجمعون على حُرمة التسخط والتضجر من قضاء الله وقدره وعلى ذلك ما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال قال النبي ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)[1] فكلمة هذا الرجل هي من دعوى الجاهلية -والعياذ بالله- فهي كلمة شيطانية خبيثة يجب عليه أن يتوب منها التوبة الصادقة النصوح وكذلك ما في الصحيحين: (أُغْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قَالَا: ثُمَّ أَفَاقَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي - وَكَانَ

---

(١)أخرجه البخاري برقم (١٢٩٤) ومسلم برقم ١٠٣

يُحَدِّثُهَا – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ)[1] بمعنى أن الإنسان إذا نزلت عليه المصيبة ؛ فمن الناس من يخرق ثيابه، ومن الناس من يحلق شعره، ومن الناس من يرفع صوته تضجرًا وتسخطًا على قضاء الله وقدره، فهذا كله يدل على أنه من الأمور العظيمة ومن كبائر الذنوب، فإن المتقرر في قواعد أهل السُّنَّة أن كل ذنب قال فيه الشارع أنا بريءٌ من صاحبه فهو كبيرة من الكبائر. فيجب عليك أن تتوب إلى الله –عَزَّوَجَلَّ– من هذه الكلمة وأن تعلم أن قضاء الله نافذ فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ولتعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أحب قومًا ابتلاهم وأن الابتلاء يكون على حسب الإيمان، فأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى المرء على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابةً شُدِّد عليه في البلاء، وإن كان في دينه رقَّةٌ ؛ هوَّن عليه أو قال خفف عليه في البلاء حتى يمشي العبد على الأرض وما عليه خطيئةً فإياك أن تُذهب أجرك على هذه المصيبة بمثل هذه الكلمات التي لا ترفع قدرًا ولا تردُّ إرادة، بل الواجب عليك أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك وأن كل شيء بقضاء الله وقدره كما قال الله – عَزَّوَجَلَّ – ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١) قال الإمام علقمة –رحمه الله تعالى– هو المؤمن تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم والله اعلم.

i

١٩٢. سُئِلَ الشيخ: أنا طالب في مرحلة الثانوية وقد قمت بما يستحق من مذاكرة ومراجعة وأثق في الله – عَزَّوَجَلَّ أولاً وفي نفسي ثانيًا إن شاء الله أن ربي

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٠٤).

سيوفقني، وفعلت ما وجب علي في المذاكرة وحصل إخفاق في نتيجتي، هل ربي أراد بي خيرًا في هذا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن ﴿الله لا يريد بعباده المؤمنين إلا الخير﴾ بغض النظر عن نوع القدر الذي أجراه عليهم أخيرًا أو شرًا ؛ فإن أمر المؤمن كله له خير، إن قدَّر الله عليه السَّراء فشكر فهو خير له، وإن قدَّر الله عليه الضَّراء فصبر فهو خيرٌ له، فسواء نجحت فإن نجاحك مع كمال الشكر خير لك، أو أخفقت فإن إخفاقك مع كمال الصبر خيرٌ لك، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن كما نصَّ على ذلك رسول الله ﷺ وعلى المسلم أن يكون حَسَنَ الظن بالله عَزَّوَجَلَّ دائمًا فعليك أن تُكمل مراتب تحسين ظنك بالله عَزَّوَجَلَّ وأن تعلم أن كل شيء بقضائه وقدره، وأنه لا يريد لعبده المؤمن إلا الخير، ولكن لأن المؤمن لا يعلم الغيب ولا يعلم الآثار المترتبة على مراد الله فيه ؛ فإنه قد ينسب لربه عَزَّوَجَلَّ شيء من سوء الظن ؛ فعلى الإنسان أن يستعيذ بالله من هذا الوارد الشيطاني، وأن يتذكر أن الأمر بيد الله عَزَّوَجَلَّ وأن الله اصطفاه للإيمان لأنه يحبه واصطفاه للتوحيد الصحيح لأنه يحبه، أمورنا مع الله عَزَّوَجَلَّ إنما مناطها أن الله عَزَّوَجَلَّ يحبنا، فإذا قدر علينا في شيء يسير من جزئيات حياتنا ما لا نريده نحن ؛ فعلينا أن نحسن ظننا بربنا وأن نقول إنما أراد لنا ذلك لأمر وحكمة وغاية يعلمها لنا نحن لا نعلمها لجهلنا ولذلك قال النبي ﷺ: (عَجبًا لأَمرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له)[١] ويقول النبي ﷺ: (لا يَمُوتَنَّ أَحدُكُمْ إلَّا وَهو

---

(١) أخرجه مسلم رقم(٢٩٩٩)

يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ)[١] فإذا فعلت جميع الأسباب ولم يقدر الله عَزَّوَجَلَّ لك النجاح فاعلم أن ذلك خير لك لأنه من جملة ما قضاه الله عليك وما يختاره الله لنا من الأقدار أيًا كان فهو خير لنا مما نختاره لأنفسنا والله أعلم.

i

١٩٣. سُئِلَ الشيخ: موضوع الإيمان بالقدر وأفعال العباد، أسأل عن قول بعضهم: لو خلق الله الكافر في أي زمان فهو كافر، أي أن مجمل أفعاله لن تتغير لو خُلق في زمان أفضل كزمن الأنبياء أو نحو ذلك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد حرمة الخوض في مسائل القدر إلا بدليل، فهذا من الأمور التي يجب سدها ويحرم الخوض فيها، وإنما يجب علينا أن نؤمن بمسائل القدر التي ورد الأمر بالإيمان بها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنَّة رسوله ﷺ، فنؤمن أن كل شيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ بقضاء وقدر، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، ولا يخفى على علمه عَزَّوَجَلَّ شيء، وأن الله قد كتب كل ذلك في لوح يقال له اللوح المحفوظ، وأن الله شاء كل شيء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه عَزَّوَجَلَّ خلق كل شيء وقدر كل شيء فلا خالق إلا الله، فإذا آمنت في مسائل القدر بعلم الله الكامل الشامل وبكتابة الله الكاملة الشاملة في اللوح المحفوظ، وبمشيئته النافذة وإرادته التي لا راد لقضائه فيها، ولا معقب لحكمه فيها، وآمنت بأنه خالق كل شيء لا خالق إلا هو، فهذا يكفيك في باب القضاء والقدر، وينبغي أن لا نُدخل أنفسنا في مثل هذه الدهاليز المظلمة، التي لا نجد دليلاً بخصوصه يجيب عنها، وقد خرج النبي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

ﷺ على صحابته يومًا من الأيام وهم يخوضون في القضاء والقدر، فغضب كما في حديث مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: (أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ)[(١)] فاحذروا أيها المسلمون من الخوض في مسائل في القضاء والقدر لم يرد لها دليل بخصوصها، فإن هذا باب عظيم من أبواب الشيطان، يلج الشيطان به على قلوبنا وعقولنا وأرواحنا ليفسد علينا إيماننا بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، والله أعلم.

i

١٩٤. سُئِلَ الشيخ: لماذا لم يجمع الله عَزَّوَجَلَّ ركن الايمان بالقدر مع بقية الاركان في القرآن الكريم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فلا يحلُّ للإنسان أن يسأل هذا السؤال فإن الله عَزَّوَجَلَّ له أن يجمع الأمور المتشابهة في الشيء في مكان واحد ويذكر حكمها، وله أن يفرق هذه الأحكام، ويقرن مع كل مذكور حكمه الخاص به ومثل ذلك مسائل الإيمان، أي أركان الإيمان فقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ بعضها في مكان وذكر واحدًا منها في مكان آخر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال الله عَزَّوَجَلَّ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] وقد جمعها النبي ﷺ في قوله كما في حديث جبريل

(١)أخرجه الترمذي في سننه| أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.| بَابٌ: مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ فِي الْخَوْضِ فِي الْقَدَرِ (٢١٣٣) (٤/ ١١) وحسنه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (١٧٣٢)

لما سأله عن الايمان فقال: (الإيمانُ أنْ تُؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّه)[1]

والأحاديث من السُّنَّة في ذكر القدر مقرونًا ببقية أركان الإيمان كثيرة معروفة مشهورة ولله الحمد والمنَّة والله اعلم.

i

١٩٥. سُئِلَ الشيخ عن: بمراتب القدر الأربعة يقول: هل يمكن لأمر ما أن يقف عند الله في مرتبة من هذه المراتب ولا يصل إلى مرتبة دونه، كأن يكون شيئا في المرتبة الأولى، وهو كونه في علم الله وهو يقف مداره ثم لم يكتب، وإن كان كذلك فهل يعني أن الأمر لا يصل إلى المشيئة والإرادة فلا يُخلق؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة والجماعة حرمة الخوض في مسائل القدر إلا بنص، فإن من أعظم باب يفسد به الإيمان بالقضاء والقدر أن يسمح الإنسان لنفسه أن يخوض في مسائل ليس عليها برهان ولا عليها دليل، وعلى الإنسان أن يسدَّ هذا الباب عنه، فإن القضاء والقدر من فعل الله عَزَّوَجَلَّ وأمره، وهذا أمرٌ غيبي وأمور الغيب توقيفية على النص، فلا يجوز لنا أن نسأل مسائل في باب القضاء والقدر لم يرد بإجابتها دليل من الشرع، ولذلك فيكفيك –وفقك الله– في الإيمان بمراتب القضاء والقدر الأربعة، أن تؤمن بأن الله عالم بكل شيء فلا يخفى على علمه شيء، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد شاء كل شيء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء فلا خالق إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وأما ما عدا ذلك فلا يحل لك أن ترضى لنفسك

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) ومسلم (رقم ٩ و ١٠)

ولا لقلبك وشيطانك أن يتخوض فيه بلا علم ولا عدل ولا برهان، ولذلك خرج النبي ﷺ يومًا على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فهذا يقول في القدر شيئًا، وهذا يقول في القضاء والقدر شيئا، فغضب حتى احمرَّ وجهه حتى كأنما فوقئ في وجهه حب الرمان فقال: أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عَزِمتُ عليكم عَزِمتُ عليكم أن لا تتنازعوا فيه. ويقول النبي ﷺ (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا) [١] فلا يجوز للإنسان أن يتخوض في باب القضاء والقدر بأسئلةٍ يرى أنها أسئلة صعبة، وهي في حقيقتها تكتسب صعوبتها لأنها في أمر غيبي ولم يرد في تحديده كتاب ولا سُنَّة صحيحة، فلا يحل لك أن تسأل هل إذا علم الله شيئا يمكن أن لا يكتبه؟! وهل إذا كتبه أنه سيقع في اللوح المحفوظ يمكن أن لا يشاؤه؟! وهل إذا شاءه يمكن أن لا يخلقه؟! وتبدأ بمثل هذه الأسئلة التي والله لا خطام لها ولا زمام، إلا أنها أبواب تفتح على القلب يلج منها الشيطان لإفساد عقيدتك في باب القضاء والقدر، فيكفيك في ذلك الأمر أن تؤمن بعموم علم الله الكامل الشامل، وبعموم كتابة الله العامة الكاملة الشاملة، وبعموم مشيئة الله النافذة، وبعموم خلق الله لكل شيء، وما وراء ذلك فقل الله أعلم، والسلام عليكم.

i

---

(١) أخرجه الطبراني وصححه الألباني برقم: ٥٤٥ في صحيح الجامع. والصحيحة ٣٤

الدرجة الثانية من درجات الإيمان بالقدر الكتابة

١٩٦. سُئِلَ الشيخ: يقول كما نعلم ويعلم كل مسلم أن الله سبحانه قد كتب مقادير العباد وانتهي منهم قبل خلقهم وفي الحديث (رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)[١]استنادا لهذا الحديث كيف نقول اللهم أكتب لي حفظ كتابك يقول أُشكل على هذا الشخص أنه مادام سبحانه جلَّ في عُلاه انتهي من كتابة المقادير كيف ندعوه بأن يكتب لنا كذا وكذا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، المتقرر عند أهل السُّنَّة والجماعة أن جميع ما يتعلق بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره قد فُرغ منه وقد كتب الله عَزَّوَجَلَّ في اللوح المحفوظ ما سيكون ما كان وما يكون وما سيكون يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩] وفي صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال، قال النبي ﷺ: ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))[٢]وفي صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: ((كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ))[٣]،ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح ((أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (١٩/٥) برقم: [٢٨٠٣]، وأخرجه الترمذي (٦٦٧/٤) برقم: [٢٥١٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم: [٥٣٠٢].

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [] (٢٠٤٤/٤) برقم: [٢٦٥٣].

(٣)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [كُلُّ شيْءٍ بِقَدَرٍ](٢٠٤٥/٤) برقم: [٢٦٥٥].

الْقَلَمُ، ثُمَّ خَلَقَ بَعْدَهُ النُّونَ، وَهِيَ الدَّوَاةُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ عَمَلٍ، أَوْ أَثَرٍ، أَوْ رِزْقٍ، فَكَتَبَ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] ثُمَّ خَتَمَ عَلَى الْقَلَمِ، فَلَمْ يَنْطِقْ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))(١)، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢].

وهو اللوح المحفوظ وقد تقرر عند أهل السُّنَّة والجماعة -رحمهم الله- تعالى أن القدر ينقسم إلى قسمين، إلى قدر مبرم وإلى قدر معلَّق، أمَّا القدر المبرم ويسميه بعضهم بالقدر المطلق فهو ما خُطَّ في اللوح المحفوظ فإن ما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ في اللوح المحفوظ لا يمكن ولا يُتصور أبدًا أن يدخله تبديل ولا تحريف ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فهذا القدر المبرم أو القدر المطلق لا تمتد إليه يد التغيير أو الزيادة أو النقصان ولكن هناك نوع من أنواع التقدير يسمى القدر المعلق وهي هذه المقادير المكتوبة في صحف الملائكة المكتوبة في الصحف التي بأيدي الملائكة وهي التقدير العمري والتقدير الحولي والتقدير اليومي، فالمقادير أربعه ما كُتب في اللوح المحفوظ هذا لا يدخله الزيادة ولا التغيير ولا التبديل ولا أي شيء، الشيء الثاني ما كُتب في صحف الملائكة فهذا يمكن أن يُبدل أو يُغير حتى يتفق مع ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧٨/٣٧) برقم: [٢٢٧٠٥]، وأخرجه الأجري في « الشريعة» واللفظ له، (٥١٣/١) برقم: [١٧٩]، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦٧٦/١٣) برقم: [٦٣٠٩]، واللفظ الثابت: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد» وصححه بهذا اللفظ الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٥/١) برقم: [٢٠١٦].

وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩].

فأمُّ الكتاب :أي اللوح المحفوظ، فإذًا المحو والإثبات ليس في أمّ الكتاب ؛ وإنما المحو والإثبات في الصحف التي بأيدي الملائكة وعلى ذلك قول النبي ﷺ ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[١].

فقد يكون القدر الذي في صفّ الملائكة قدر معلق وليس قدر مطلق، كأن يكتب الملك بأمر الله عَزَّوَجَلَّ اكتبوا لعبدي ثلاثين سنة فإن وصل رحمه فيزاد إلى خمسين فهذا التغيير والتبديل ليس في اللوح المحفوظ.

وإنما في الصحف التي بأيدي الملائكة فيمحو الله عَزَّوَجَلَّ منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء وأما ما خُطَّ وكُتب في اللوح المحفوظ فهو قدر مبرم مطلق ثابت، لا يمكن أبدا أن يتغير بزيادة ولا بنقص ولا بتبديل أو تغيير فإذًا، وبناءً على هذه الأصول والتقريرات، إذا قال الإنسان اللهم اكتبني ممن حفظوا كتابك فهذا دعاء بأن يجعله من جملة من يحفظوا كتابه، فإن لم يكن هذا الإنسان مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه من جملة الحفظة، فهذا لن يستجاب دعائه لأن استجابة الدعاء تتضمن تغيير ما في اللوح المحفوظ، لكن سيصرف دعائه إلى دفع شيء من الشر عنه أو أن يدخرها الله عَزَّوَجَلَّ له في الآخرة، لكن قد يكون في صحف الملائكة ليس مكتوبًا من الحفاظ انتبه الآن. قد يكون في صحف الملائكة

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ](٥٦/٣) برقم: [٢٠٦٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا](١٩٨٢/٤) برقم: [٢٥٥٧].

ليس مكتوبًا من الحفاظ لكن بدعائه يمحو الله عَزَّوَجَلَّ ذلك ثم يكتب بأنه من الحفاظ لأنه أصلاً في اللوح المحفوظ مكتوب أنه سيكون من الحفاظ لكن لم يكتب ذلك في صحف الملائكة، فلما دعا وقال اكتبني فيعلم أن هذه الكتابة لن تكون جديدة على اللوح المحفوظ ولكن قد تكون جديدة على الصحف التي بأيدي الملائكة فإذا لهذا الدعاء وجه ؛لأن ما في أيدي الملائكة من الصحف يدخله الزيادة والتغيير والتبديل والمحو والإثبات بأمر الله ليس بأمر الملَك، لأن الملَك لا يملك تصريف ولا تدبير ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان.

ولكن بأمر الله عَزَّوَجَلَّ فقد تكون أيها الموفق لست مكتوبًا من الحفاظ في صحف الملائكة فبدعائك تكتب في صحف الملائكة بأنك من الحفاظ ؛لكن اعلم أن ما كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير فإذا قال العبد: اكتبني في جملة الحفاظ أي اكتبني في صحف الملائكة ليس المقصود اكتبني في اللوح المحفوظ لأن ما في اللوح المحفوظ لا يُكتب فيه شيء زائد ؛ لأن الله فرغ من كتابة القدر في اللوح المحفوظ ولعلك فرَّقت بين ما التقدير الذي يقبل الكتابة والزيادة والمحو والإثبات وهو التقدير المقيد وهو ما في الصحف التي في أيدي الملائكة، وبين تقدير لا يقبل كتابة جديدة ولا زيادة جديدة ولا نقص مما خُط وكُتب فيه وهو ما كُتب في اللوح المحفوظ فيصح دعائك باعتبار الكتاب الجديد في صحف الملائكة ولا يصح إن كنت تقصد الكتابة الجديدة في اللوح المحفوظ لعلك فهمت، والله أعلم ..

i

١٩٧. سُئِلَ الشيخ: هل الوظيفة من الرزق المكتوب للشخص؟ قبل أن يولد؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

ليس الوظيفة فقط بل كل ما يجري على الإنسان من خير أو شر، وموت أو حياة، وغنى أو فقر، وصحة أو مرض وغياب أو حضور، وزواج أو عدمه، وهدى أو ضلالة، وشقاء أو سعادة، كل ذلك مما هو مكتوب على العبد. الكتابة العامة المطلقة في اللوح المحفوظ، والكتابة العمرية العبد جنين في بطن أمه، والكتابة الحولية في ليلة القدر، والكتابة اليومية فكل هذه قد كتب فيها للعبد جميع ما يكون له كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.)[١]. وفي مسند الإمام احمد بإسناد صحيح لغيره من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال قال النبي ﷺ (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ فَرَغَ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَمَضْجَعِهِ وَأَثَرِهِ وَرِزْقِهِ)[٢]. وفي صحيح الإمام مسلم عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كِتَابٌ: الْقَدَرُ | بَابٌ: كَيْفِيَّةُ الْخَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (٢٦٤٣) (٤٤/٨) والبخاري في صحيحه باختلاف يسير كِتَابٌ: بَدْءُ الْخَلْقِ | بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (٣٢٠٨) (١١١/٤)

(٢)أخرجه أحمد في مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ | حَدِيثُ أَبِي الدَّرْدَاءِ (٢١٧٢٢) (٥٤/٣٦) ومسند أبي داود الطياليسي برقم ١٠٧٧

ﷺ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ.)[١] العجز أي الفتور عن العمل والكيس أي الهمة والعزيمة). فكل شيء قد كتب على العبد ويدخل في ذلك وظيفته وراتبه وغير ذلك والله أعلم.

i

١٩٨. سُئِلَ الشيخ: هل يجب على المرأة أن تعمل لكسب الأرزاق ؟وهل يأتيها رزقها دون سعي منها ؟وبما أن الأرزاق مقدرة منذ ولادة العبد فهل يرزق العبد إذا لم يسعى؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد :يجب علينا أن نعلم أن الأقدار تنقسم إلى قسمين:

إلى أقدار مطلقة وإلى أقدار معلقة على أسباب.

فما كتبه الله عَزَّوَجَلَّ للعبد من الرزق كتابة إطلاق أي قدر مطلق: غير مقرونًا بسبب فسيأتيه سواء دعا به أو لم يدعو به، وسواء حصل سبَبه أو لم يحصله، وأما النوع الثاني من الأقدار: فهي أقدار الرزق المعلقة على سبب معين .فإذا بذل العبد هذا السبب حصل له هذا الرزق، وإذا لم يبذل السبب لم يحصل له هذا الرزق .هذا الأمر الأول ولابد من فهمه

والأمر الثاني: لنعلم جميعًا أن فعل الأسباب لا يتنافى مع كمال التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ لأن المتقرر عند العلماء أن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر .فالتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ مبني

على ركنين عظيمين:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه | كِتَابٌ: الْقَدَرُ | بَابٌ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ (٢٦٥٥) (٥١/٨)

على كمال تفويض اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ.

وعلى كمال فعل الأسباب المشروعة المتاحة.

فلا يجوز للإنسان أن يُعطل سببًا بحجة أن الله إن قدر ذلك الأمر فسيأتيني بلا سبب، وإن لم يقدره فلن يأتيني وإن بذلت السبب، لأنه إنما يتكلم عن نوع واحد من أنواع التقدير وهو التقدير المطلق، لم

يعلق مجيئه أو امتناعه على أسباب، وخفي عليه التقدير الثاني وهو ذلك التقدير المعلق على سبب .ولذلك أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالأخذ بالأسباب في آيات كثيرة كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾] الملك [١٥ :وقال الله – عَزَّوَجَلَّ – ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. والآيات في هذا المعنى كثيرة فيجب على العبد أن يبتغي الرزق عند الله عَزَّوَجَلَّ بفعل الأسباب الشرعية أو الدنيوية التي يسرها الله عَزَّوَجَلَّ له .ألا ترى أن الإنسان إذا جاع فإنه يذهب للبحث عن الطعام .فما رأيكم في إنسان يجوع ويبقى في مكان ويقول لن أكل شيئًا .فإن قدر الله لي الأكل فسيأتيني الأكل من الثلاجة بلا كلفة ، فإننا لا نتوقف عن وصم عقله بأنه فيه علة .وكذلك الإنسان إذا أصابه الظمأ .فإنه ليبحث عن الماء ليشرب ويطفئ ظمأه فما رأيكم في إنسان أصابه الظمأ ولم يبحث عن الماء حتى مات، فيكون منتحرًا قاتلاً لنفسه بعمد، فالأسباب لابد من الأخذ بها ولا يجوز أبدًا تعطيلها بحجة أن الله عَزَّوَجَلَّ قد قدَّر كل شيء .فإن كل من ترك الأسباب الدينية والدنيوية اعتمادًا على القضاء والقدر فإنه زنديق .لأن العلماء يقولون من اخترق نظام

التشريع بالإيمان بالقضاء والقدر؛ فترك الشرع لإيمانه بالقضاء والقدر فهو زنديق، لا يجوز لأحد أن يحتج على ترك شيء من الأسباب المتاحة بأنه مؤمن بالقضاء والقدر .فإن القضاء والقدر معناه كتابة الله عَزَّوَجَلَّ في اللوح المحفوظ ومعناه أيضا قيام العبد بالأسباب التي يحصل بها مراده الديني والدنيوي، وما أجمل الإمام الترمذي في جامعه والإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن لغيره من حديث أبي خزامه عن أبيه قال :يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: (هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ)[1].

فالأسباب من جملة قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره .فالبحث عن الطعام قدر لنطفئ به قدر الجوع، والبحث عن الماء قدر لنطفئ به قدر الظمأ، والبحث عن الدواء والعلاج قدر لنزيل به قدر المرض، وهكذا

نحن في حياتنا ندفع قدرًا بقدر حتى يأتينا اليقين ونحن مؤمنون بقضاء الله وقدره والله أعلم.

i

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤١) والنسائي في الكبرى (١١٤٧٣) وحسنه لغيره الألباني في كتاب تخريج مشكلة الفقر: ١١، وصحيح موارد الظمآن: ١١٧١

١٩٩. سُئِلَ الشيخ: في حديث خلْق الجنين وإرسال الملَك له بكتابة أربع كلمات، إذا كانت هذه من أمور الغيب فهل يطّلع عليها الملَك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء: أن الغيب المُطلق لا يعلمه إلا الله -تبارك وتعالى- هذه قاعدةٌ شُدّ عليها بيديك، وعُضّ عليها بنواجذك -وفقك الله- قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[الجن:٢٧]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل:٦٥].

وقد قسّم أهل السُّنَّة والجماعة -رحمهم الله تعالى- الغيب إلى قسمين: إلى الغيب المُطلق، وإلى الغيب المُقيد.

فأما الغيب المُطلق: فلا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، لا يعلمه لا ملكٌ مُقرّبٌ، ولا نبيٌ مرسل، ولا وليٌ صالح.

وأما الغيب المُقيد: فهذا قد يعلمه بعض الناس دون بعض، بمعنى أنه قد يكون غيباً عليك فقط، ولكنه ليس بغيبٍ على غيرك، فإذا سقط مفتاحك في منطقةٍ أنت لا تدري أين سقط، فغيرك وجده، فمكان وجود المفتاح ليس بغيبٍ في حق من وجده، لكنه غيبٌ في حقك أنت، فهذا يسميه العلماء الغيب النسبي، أو الغيب المُقيد، إذا عُلِم هذا فليُعلَم أن الغيب المطلق من خصائص

الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يعلم الغيب أحدٌ، إلا إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يكشف شيئاً من الغيب لرسولٍ ملكي، أو إنسيّ، فالنبي ﷺ مثلاً لا يعلم الغيب، ولكنه كان يُعلِمنا أحياناً كثيرة في أمور غيبيةٍ ستكون في مستقبل الزمان، من الذي أخبره بهذا؟

إنما هو الله، فإذاً علم الغيب المُطلق من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ ولكنَّ الله يكشف شيئاً من هذا الغيب المُطلق لأحد الرسل البشريين، أو أحد الرسل الملكيين، الملائكة، فالملائكة الذين وكّلهم الله عَزَّوَجَلَّ بالكتابة في الرحم كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود: (فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.)[١]. هذا يعتبر من الغيب المُطلق، الذي أطلع الله عَزَّوَجَلَّ هذا الملك على شيء من تفاصيله، بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

فلا نقول: أن الملك قد شارك الله في علم الغيب، لا؛ لأن الطريق التي علم بها الملك بهذا الغيب إنما هي بإعلام الله عَزَّوَجَلَّ له، فالغيب المُطلق لا يعلمه إلا الله، ولكنه يكشف شيئاً من هذا الغيب لبعض رسله وأنبيائه، أو لبعض ملائكته، لكنه يبقى جزءاً يسيراً من الغيب الذي يعلمه الله والذي اختص الله عَزَّوَجَلَّ بعلمه، فالنبي ﷺ أخبرنا بما سيكون في مستقبل الزمان، من علامات الساعة، ومن يوم القيامة، وغيرها كما هو معلوم.

لكنه في هذا الإخبار ليس عالماً بالغيب، لأن هذا العلم، إنما كان له عن وحي، وكذلك الملائكة الموكلون بكتب ما يتعلق بهذا الجنين، أيضاً لا يعلمون الغيب

(١)أخرجه مسلم في صحيحه كِتَابٌ: الْقَدَرُ | بَابٌ: كَيْفِيَّةُ الْخَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (٢٦٤٣) (٤٤/٨) والبخاري في صحيحه باختلاف يسير كِتَابٌ: بَدْءُ الْخَلْقِ | بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ (٣٢٠٨) (١١١/٤)

المُطلق، ولكنهم علموا شيئاً من تفاصيله، بإعلام الله عَزَّوَجَلَّ لهم، فإذاً لا تعارض بين هذا ولا بين هذا.

يا أخي الكريم، لا يوصف الإنسان بأنه عالمٌ للغيب إلا إذا كان الغيب الذي عنده ليس له طريقٌ معلوم، وأما هذا الملك الذي علم ما سيفعله هذا الجنين، وكتب ما أمره الله عَزَّوَجَلَّ به، إنما تلقاه من الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يكون العلم الذي حصل عند الملك من علم الغيب الذي جاءه من غير طريقٍ معلوم، بل الله عَزَّوَجَلَّ علّمه، وأخبره، وأمره بأن يكتب كذا وكذا، فلا تعارض بين هذا وبين تخصيص الله - عَزَّوَجَلَّ - بعلم الغيب المطلق، والله أعلم . وإذا أشكل عليك ما قررته فعليك أن تتأمل وأن تتدبر قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[الجن:٢٧] وهذا الرسول يدخل فيه الرسول البشري والرسول الملكي، فالله عَزَّوَجَلَّ قد ارتضى أن يُطلِع هذا الملك على شيء من الغيب بأمره عَزَّوَجَلَّ وإذنه،

والله أعلم.

i

الدرجة الثالثة من درجات الإيمان بالقدر مرتبة المشيئة

٢٠٠. سُئِلَ الشيخ: معلوم أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن هل يضل الله من أراد الضلال وعاند الهدى، ويهدي من العباد من أراد الهدى؟ وخاصة أننا نرى من يحارب الإسلام الزمان الطويل ثم يُختم له بالهدى ورأينا بعض طلاب العلم ينحرفون عن الطريق ويسقطون في الضلال؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

نصيحتي لك أيها السائل ألا تقحم نفسك في مثل هذه الأسئلة، وأن تكتفي بالإيمان بأن أفعال الله عَزَّوَجَلَّ إنما هي صادرة عن حكمةٍ وعلم وخبرةٍ لمصالح يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ فربك فعال لما يريد ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وعلى العبد أن يتلمس مراضي الله عَزَّوَجَلَّ بفعل ما أمره به شرعًا وترك ما نهاه عنه شرعًا. فلسنا في هذه الدنيا –وفقك الله– بمأمورين أن نطالع ما قضاه الله وقدره في كونه، ولا ما كتبه في لوحه المحفوظ، وإنما نحن مأمورون في أرض الله أن نمتثل أوامره فنفعلها وأن نجتنب نواهيه فنتركها. فلا ينبغي لنا أن نشتغل بمطالعة القدر عن القيام بمقتضى الشرع فلا تسأل عن مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فلا يجوز لك أبداً أن تقحم نفسك في مثل هذه المسائل التي قد يعسر عليك جوابها، هذه نصيحتي لك، فإن كثيرا من الناس قد خاض في القدر بلا علم ثم حصل له من الضلال ما حصل وهل ضل الجبرية في باب القدر إلا لما تكلموا في مسائل القدر بلا علم ولا برهان؟ وهل ضل القدرية أيضا في باب القدر إلّا لَمَّا تكلموا في مسائله بلا علم ولا برهان؟ ولذلك

صح عن النبي ﷺ أنه قال (وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا)[١] وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح من حديث عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي القَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: (أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ)[٢] فيجب على المؤمن أن يقتصر عن كثير من هذه الأسئلة بالإيمان اليقيني القاطع الذي لا يخالطه شيء من الريب ولا الشك. أن جميع الأفعال الصادرة من الله عَزَّوَجَلَّ إنما هي لحكمة وعلم وغاية ومصالح لا يعلمها على التفصيل إلا الله عَزَّوَجَلَّ فإذا قدَّر الله الهداية لأحدٍ فإنما قدَّرها له فضلاً ولا يلزم أن يقوم هذا المهتدي بسبب لينال هداية الله عَزَّوَجَلَّ فالهداية التي يمتن الله بها على عباده قد تكون هداية سببية بفعل فعله العبد، وقد تكون هداية إبتدائية لحكمة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ كما قال ﷺ (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.))[٣]. وكذلك إضلال الله عَزَّوَجَلَّ لأحد من العباد قد يكون إضلالًا سببيًّا بسبب هذا العبد، وقد

---

(١)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير باب العين باب (١٠٤٤٨) (١٠/١٩٨) وصححه الألباني في صحيحالجامع (٥٤٥)

(٢)أخرجه الترمذي في سننه| أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.| بَابٌ: مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ فِي الْخَوْضِ فِي الْقَدَرِ (٢١٣٣) (٤/١١) وحسنه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (١٧٣٢)

(٣)أخرجه البخاري في التوحيد باب ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ برقم ٧٤٥٤، ومسلم في صحيحه| كِتَابٌ: الْقَدَرُ | بَابٌ: كَيْفِيَّةُ الْخَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (٢٦٤٣) (٨/٤٤)

يكون إضلالا لا إبتدائيا لحكمة يعلمها الله عَزَّوَجَلَّ فإذا قدر الله الهداية لأحد فإنما هو تقدير فضل وإذا قدر الله الإضلال والضلال لأحد فإنما هو تقدير عدل. فلا ينبغي أن يحصر إضلاله لبعض عبيده أو هدايته لبعض عبيده في الإضلال السببي أو الهداية السببية، وإنما الأمر في ذلك موكول إليه عَزَّوَجَلَّ فهو الفعَّال لما يريد، فيضل من يشاء عدلًا ويهدي من يشاء فضلاً كما أنه يحيي من يشاء. ويميت من يشاء ويغني من يشاء ويفقر من يشاء ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويصح من يشاء ويمرض من يشاء ويُوجِد من يشاء ويُعدِم من يشاء فكل ذلك راجع إلى مشيئته وإلى فعله تبارك وتعالى فلا ينبغي لك أن تكثر من مثل هذه الأسئلة ؛ محافظة على جناب التوحيد، وسدًا لأبواب الشيطان على قلبك حتى لا يكون سببًا لضلالك وإضلالك والله أعلم.

i

٢٠١. سُئِلَ الشيخ: عن حكم قول: الله لا يعينك على مكروه؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذه الجملة فيها شيءٌ من الإجمال وهي متفرعةٌ من قول بعض أهل البدع: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يريد المعصية وقول بعض أهل البدع: إن الله يرد المعصية، فمثل هذه الألفاظ المجملة يجب فيها التفصيل ولا يجوز فيها الإطلاق، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يعين على المعصية بمعنى أنه يأمر بها شرعًا، أو أنه يُرغِّب في فعلها، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يأمر بالفحشاء، الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضى لعباده الكفر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يأمر إلا بالخير والعدل والبر والإحسان والتقى والهدي، والاستعصام بما فيه مصلحة

خالصة أو راجحة، وكل ما فيه مفسدة وكل ما فيه ضرر فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينهي عنه، فالله لا يعين شرعًا على فعل هذه المعصية ولا يأمر بها شرعًا ولا يريدها شرعًا، ولكننا نقول: إن الإنسان إذا وقع في شيء من المعاصي فإنما وقع فيها بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ وتقديره فالله عَزَّوَجَلَّ يريد المعصية كونًا وخلقًا وإيجادًا وتقديرًا فقط، ولكنه لا يريد شرعًا، لأنه لا يكون في كون الله عَزَّوَجَلَّ إلا ما يشاء كما تقرر عند العلماء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا قيل لك: هل الله عَزَّوَجَلَّ يريد المعصية؟ فقل: يريدها كونًا وينهي عنها شرعًا يريدها كونًا ولا يريدها شرعًا وإرادته الكونية ليست بحجة لصاحب المعصية على الله عَزَّوَجَلَّ في أن الله أرادها منه فكيف يعذبه عليها هذا ليس بحجة بإجماع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

فقوله: الله لا يعينك على المعصية- هذه كلمة مجملة، والأكثرون يقصدون بها أن الله لا ييسر لك أسباب المعصية، هذا مقصود الأكثر وهو معنى صحيح لأن الإنسان قد تيسر له من باب الابتلاء بعض أسباب المعاصي ليختبره الله عَزَّوَجَلَّ بعد تيسير الأسباب هل سيفعلها أم لا؟ لأن كثيرًا من الناس لا يفعل المعصية لعسر أسبابها، فالله عَزَّوَجَلَّ يختبر بعض الناس وييسر أسباب المعصية هل سيفعلونها أم لا حتى يقيم الحجة عليهم من فعل أنفسهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤].

فالله عَزَّوَجَلَّ حرَّم على الحجاج والمعتمرين حال إحرامهم صيد الصيد وهذا محرَّمٌ شرعًا ولكن من باب فتنتهم ومن باب ابتلاءهم جعل الله عَزَّوَجَلَّ الصيد يقف أمامهم في طريقهم، فيسر الله لهم أسباب المعصية ومع ذلك ما كانوا

يعصون الله عَزَّوَجَلَّ، فقول القائل: الله لا يعينك على المعصية، أو لا يعينك مثلاً على هذا الأمر المخالف للشرع يقصد به يعني أن لا ييسر لك أسباب تحصيله، فإن من الناس من يُنعِم الله عليه بتعسير فعل المعصية عليه، لأنه متى ما تيسرت أسبابها سيفعل، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ امتنَّ عليه بأن لا يفعل ؛ لا لوجود إيمانٍ قويٍ في قلبه يردع له، وإنما لأن أسبابها لم تتيسر له، فلذلك هو لا يفكر في مواقعتها لأن أسبابها غير متيسرة، فهذا من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ أن لا ييسر لك أسباب المعصية لأنه ينهي عنها شرعًا، وإن كانت واقعةً في كونه قدرًا، والله أعلم.

i

الإرادة الكونية والإرادة الشرعية

٢٠٢. سُئِلَ الشيخ: والسائل من سوريا يقول: ما الحكمة من نزول البلاء قدراً وسدَّه بالأسباب الشرعية؟ لماذا يريد الله بنا ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: غريبٌ هذا السؤال، فإن من آمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الحكيم اسماً وذو الحكمة المتناهية صفة، وأنه الخبير اسماً وذو الخبرة المتناهية المطلقة صفة، وأنه لا يقضي ولا يُقدِّر إلا لحكمة بالغة ومصلحة متناهية عَلِمَها من عَلِمَها وجَهَلَهَا من جَهَلَهَا، وأن أفعال الله عَزَّوَجَلَّ الكونيَّة القدرية أو الشرعية الدينية الأمرية، إنما تكون عن حكمة وغاية ومصلحة محمودة كل الحمد، سواءً علمت العقول تفاصيلها أو لم تعلم، فإن من يؤمن بذلك لا أظنُّه أبداً يتطرق في عقله هذا السؤال، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يقدِّر الأقدار الكونية أو

الشرعية إلا وله وراء تقديرها الحكمة العظيمة والمصلحة المتناهية.

فمن ذلك مثلاً: تكفير السيئات عن أهل الإيمان، فالله عَزَّوَجَلَّ يقدِّر نزول الأمراض على بعض الناس أو الوباء العام حتى يكفِّر ذنوبهم، فإن الأمراض كفَّارات كما دلَّت عليه الأدلة، ففي الصحيحين قال ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.)[١].

والأمر الثاني: أنها من باب إيقاظ القلوب، فإن الناس لو استمروا لم ينزل عليهم شيءٌ قَدَري من الله عَزَّوَجَلَّ بمثل ذلك أو نحوه؛ فإنه ربما يتجرؤون على الذنوب والمعاصي وعلى اقترافها، فيجري الله عَزَّوَجَلَّ شيئاً من هذه الأقدار الكونية حتى ترجع القلوب إليه.

وكم من إنسانٍ إنما كان سبب توبته هذا البلاء، وكم من إنسانٍ لم يستفق قلبه ولم يعلم ضعف نفسه أمام قُدرةِ ربه إلا لَمَّا نزل هذا الوباء، فكثيرٌ من الناس تاب إلى اللهعَزَّوَجَلَّ، وكثيرٌ من الأفعال - ولله الحمد والمنَّة - لم نَعُد نراها، وكثيرٌ من الكلمات والسخريات التي نسمعها في كثيرٍ من وسائل التواصل انقطعت ولله الحمد! ولكن يبقى بعض الناس يَصدق عليه قول الله عَزَّوَجَلَّ :﴿وَمَا تُغْنِي الآيات وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١].

ومن حكمة الله عَزَّوَجَلَّ أن يتخذ منا شهداء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾[آل عمران:١٤٠]، فإن هذا الوباء إذا مات الإنسان فيه - كما

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.. رقم ٢٥٧٣

قررنا في فتاوى سابقة أنه - إن شاء الله- يُعتبر من الشهداء في أحكام الآخرة، فهذا من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولو أنك تدبرت لوجدت أن كثيراً من الأشياء الكونية التي ينزلها الله عَزَّوَجَلَّ على عباده، شرع لهم ما يرفعونها به من الأقدار الشرعية، فالجوع قَدَرٌ كوني ونحن مأمورون شرعاً بالأكل لمدافعته، والمرض قَدَرٌ كوني ونحن مأمورون بالتداوي لرفع هذا القدر الكوني، والظمأ قدرٌ كوني ونحن مأمورون بالشرب لرفع هذا القدر الكوني، وكذلك الفقر قَدَرٌ كوني ونحن مأمورون بالانتشار في الأرض وبالبيع والشراء حتى نرفع هذا القَدَر الكوني، والعزوبة قَدَرٌ كوني ونحن مأمورون برفعها بالزواج، فهذا الوباء قَدَرٌ كوني، ونحن مأمورون أيضاً بمدافعة هذا القَدَر الكوني بما يسَّره الله عَزَّوَجَلَّ لنا من الأسباب الشرعية أو الكونية القَدَرية، والله أعلم.

i

٢٠٣. سُئِلَ الشيخ: قرأت في قواعد الربوبية لكم، أن الله نفى أضرار الكهنة والمشعوذين بالغير إلا بعد الأذن الكوني من الله وعند دراستي لكتب العقيدة في قوله تعالى﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]﴾ ففي الضر قال يمسسك بينما قال في الخير وأن يردك وتأويل ذلك قالوا لأن الأشياء المكروهة لا تنسب إلى إرادة الله ولأن الضر عند الله ليس مرادًا لذاته بل لغيره ولما يترتب عليه من المصالح، بينما الخير مراد الله بذاته ومفعول له كيف الربط بين الأمرين، من ناحية الإرادة ومن ناحية الأذن الكوني؟.أتمنى توضيح ذلك وجزاكم الله خيرا

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد، لابد وأن نعلم أولاً أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبرنا على لسان نبيه ﷺ أنه سبقت رحمته غضبه ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش (إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي) وفي رواية (أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)[١] وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (إِنَّ لِلهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢] وفي صحيح مسلم من حديث سلمان (فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ)[٣]

وقال النبي ﷺ:(إِنَّ اللهَ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)[٤]

وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه قال: (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ). قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: (لَلَّهُ أَرْحَمُ بعباده من

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢)

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٠) أخرجه مسلم في التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم ٢٧٥٢

(٣)أخرجه مسلم (٢٧٥٣)

(٤)أخرجه مسلم (٢٧٥٩)

هذه بولدها)[١] ومقصودي من سياق هذه الأدلة هو أن أبين أن الأصل أن الله عَزَّوَجَلَّ إنما يريد بنا الرحمة والخير والتيسير والتخفيف فهذا هو الأصل المراد منه لنا فهذا الأصل لابد أن تحفظوه -وفقكم الله- وهي أن الأصل أن الله عَزَّوَجَلَّ يريد رحمة عباده، وأن الأصل أن الله يريد الخير لعباده ولكن قد يمسهم بإرادة عارضةٍ تصيبهم بشيء من الضَّر أو من الشر لحكمة يعلمها عَزَّوَجَلَّ فيكون الأصل إرادة الخير بنا أو إرادة الشر بنا الجواب: لا جرم أن الأصل منه إلينا هو إرادة الخير والله إنما يريد الخير بعباده كما قال الله عَزَّوَجَلَّ (﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ (﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]) وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ (﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧]) فهذا بيانٌ للإرادة الأصلية، ولكن قد يمس العبد شيءٌ من الضر أو الشر لكن لا عن إرادة أصلية وإنما عن إرادةٍ عرضية فعبّر الله عَزَّوَجَلَّ عن الشيء العرضي بالمس لأنه ليس هو الأصل ولكن يمس أحياناً ولا يُمس أحياناً وعبّر عن الأصل بالإرادة، فلما جاء في الشر في إصابة الضر قال يمسسك لأنه خلاف الأصل ولما جاء في الخير قال يردك لأنه هو الأصل ؛ فعبّر عن الأصل بالإرادة وعبر عن الشيء العرضي بالمساس والله أعلم.

i

٢٠٤. سُئِلَ الشيخ :كيف نفرق بين الحكمة الكونية والحكمة الشرعية؟

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٩) ومسلم في التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم ٢٧٥٤

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، نفرق بينهما في هذه النسبة التي نسبتموها إليها، فالحكمة الكونية أي حكمة متعلقة بشيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ في كونه، كالحكمة من وجود الشمس وغروبها وطلوعها واشتداد حرارتها أو خفَّتها، وكالحكمة من خلق القمر في أول الشهر خيطاً أبيضًا دقيقاً لا يراه إلا حديد البصر، ثم يكون بدراً تتغنى به الشعراء، ثم يعود كالعرجون القديم، وكذلك الحكمة من خلق الإنسان على هذه الصفة وخلق النبات على هذه الصفة، وحكمة الله عَزَّوَجَلَّ في البحار وحكمة الله عَزَّوَجَلَّ في الجبال وحكمة الله عَزَّوَجَلَّ في الأجنَّة والأرحام وحكمة الله عَزَّوَجَلَّ في استواء الأسنان ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وكل ذلك مما يقال له الحكمة الكونية أي الحكمة المتعلقة بشيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ في كونه

وأما الحكمة الشرعية: فهي الحكمة من تشريعاته كالحكمة من الصلاة الحكمة من الزكاة الحكمة من الحج الحكمة من العمرة، الحكمة من تربية اللحى الحكمة من حجاب المرأة، فإذا كانت الحكمة متعلقة بفعل مأمور أو ترك محظور فهي الحكمة الشرعية وإذا كانت الحكمة متعلقة بشيء من المخلوقات في هذا الكون فهي حكمة الله الكونية والله أعلم.

i

٢٠٥. سُئِلَ الشيخ: أرجو توضيح هذه العبارة: الإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع أما المشيئة فلا بد أن تقع.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، التوضيح في ذلك هو أن الإرادة الشرعية معناها المحبة والرضى، وأن الإرادة الكونية معناها المشيئة، ومن علامات الإرادة الكونية –أي المشيئة– أنه لا بد أن يقع مقتضاها، فكل شيء شاءه الله

كوناً ؛ فلابد أن يقع لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه كما قال الله - عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] فلو عُلِّق إيمان الناس بالإرادة الكونية لأصبح الناس وكلهم من أهل الإيمان والتقوى، ولكن إيمان الناس ليس معلقاً بالمشيئة الكونية وإلا لوقع كله ولآمن الناس كلهم على بكرة أبيهم، ولكن إيمان الناس معلق بالإرادة الشرعية التي قد يقع مقتضاها وقد لا يقع، فليس كل شيء أراده الله شرعاً لابد أن يقع، فالله يريد شرعاً من الناس أن يؤمنوا جميعاً، فهل آمن الناس جميعاً؟ الله يريد شرعاً من الناس أن يصلُّوا جميعاً، فهل صلَّى الناس جميعاً؟ الله يريد من الناس شرعاً يعني بإرادته الشرعية أن يتبعوا ويؤمنوا بالنبي ﷺ جميعاً، فهل وقع مقتضى هذه الإرادة؟ الجواب لا، فمِن علامات الإرادة الكونية وقوع مقتضاها وأما الإرادة الشرعية من علاماتها أنها قد تقع وقد لا تقع. والله أعلم.

i

٢٠٦. سُئِلَ الشيخ: ما هي الإرادة الكونية هل المقصود هو كن فيكون، أم المقصود ما يتعلق بالكون الأجرام والسماء وغيرها؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، بل نقصد بها ما يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيه كن فيكون، فكل شيء يريده الله كوناً فإنه يقول له كن، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] وفي الآية الأخرى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:

٥٩] فكل شيء أراده الله عَزَّوَجَلَّ في كونه فإنما يقول له كن فيكون مباشرةً لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالى، فنقصد بالإرادة الكونية أي تلك الإرادة التي اتّصف الله عَزَّوَجَلَّ بها والتي من مقتضاها تحقق مراد الله عَزَّوَجَلَّ بكن. والله أعلم.

i

٢٠٧. سُئِلَ الشيخ: حكم سب الأمراض ومنها كورونا وهل لي علي إن سمعت من يسبُّها أن أُنكر هذا الأمر أم لا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين كل عبارة تتضمن سب قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره أو تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر حرامًا، وهذا أصلٌ متفق عليه بين أهل السُّنَّة والجماعة كل لفظة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر محرَّمة، ومن ذلك سبُّ هذه الأوبئة فإنه حرام، لأن السبَّ يتضمن التسخط بل عظيم التسخط، فالإنسان لم يصل إلى مرتبة السبِّ إلا لما عظم تسخط قلبه على قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره فإن هذه الأوبئة من قضاء الله وقدره، وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ دخل على أم السائب وقد أصابتها الحمى (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟ قَالَتِ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)[١] وكذلك ما رواه ابن ماجة وغيره وصححه الألباني: أن رجلاً سبَّ الحمى عند النبي ﷺ فقال (لَا

---

(١)أخرجه مسلم برقم ((٢٥٧٥))

تَسُبِّيهَا فَإِنَّهَا تُذْهِبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)[١] أو كما قال ﷺ فلا يجوز للإنسان أن يجعل هذه الأوبئة محطًّا لسبِّه أو تسخطه وتضجره منها، وعليه أن يحمد الله وأن يصبر عليها وأن يحتسب، وأن يسلك الأسباب التي تحميه وتقيه من الوقوع فيها أو العدوى بها، فعلى الإنسان أن يحبس لسانه عن مثل هذه الألفاظ فلعلها تكون الموجبة التي توجب له سخط الله وغضبه، فكم من إنسان ينطق بكلمة لا يعلم مبلغها يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة، أو في رواية للبخاري (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ بِهِ حَيْثُ بَلَغَتْ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)[٢] فعلى الإنسان أن يحفظ لسانه من تلك السقطات العظيمة التي قد تكون آثارها وخيمة. والله أعلم.

i

٢٠٨. سُئِلَ الشيخ: هل يوجد محظور شرعي في هذا البيت (إذا الشعب يوماً أراد الحياة، فلابد أن يستجيب القدر).

فأجاب - عفا الله عنه-: نعم هذا فيه منافاة لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، والتي هي ركن من أركان الإيمان، فإن قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدرة، بإجماع المسلمين ليس خاضعاً لإرادة الشعب، ولا لإرادة الطوائف والأفراد، ولا لإرادة الحكومات والسياسات، وإنما القضاء والقدر خاضع لإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، فما يريده الله عَزَّوَجَلَّ في كونه فإنه يكون لا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، فإرادة البشر تابعه لإرادة الله عَزَّوَجَلَّ وليس العكس، فإذا أراد الشعب الحياة.

---

(١)أخرجه البخاري برقم (١٨٨٤)، مسلم في أوائل صفات المنافقين وأحكامهم رقم ٢٧٧٦

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٨)

فلا يلزم من ذلك أن تكون إرادة الله تابعة لإرادتهم، فيلزمه عَزَّوَجَلَّ أن يحقق ما يريده الشعوب، بل إرادة الشعوب خاضعة وتابعة لإرادة الله -تبارك وتعالى- هذا هو المتقرر بإجماع أهل الحق، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩]، وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ))[(١)].

وقال النبي ﷺ: ((اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أهل السَّعادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أهل السَّعادَةِ، وَأَمَّا أهل الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أهل الشَّقَاوَةِ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾))[(٢)]. وفي صحيح الإمام مسلم من حديث البراء بن عازب، أن رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[الشمس:٧]، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[الشمس:٨]،[(٣)]. فلا يجوز للإنسان أن يعتقد أن إرادة الله تابعة

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [حِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ] (٢٠٤٤/٤) برقم: [٢٦٥٣].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ القَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ] (٩٦/٢) برقم: [١٣٦٢]، وأخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ باب: [كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ](٢٠٣٩/٤) برقم: [٢٦٤٧].

(٣)أخرجه مسلم برقم ((٢٦٥٠))

لإرادة الشعب، بل يعتقد أن إرادة الأمم والطوائف والأفراد والجماعات والشعوب تابعة لإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يجوز أن نعتقد أن القدر تابع لإرادة الشعب، فما يريده الشعب فلابد أن يقضي به القدر، فهذا خطأ عظيم جداً، على هذا الباب العظيم، الذي هو الركن السادس من أركان الإيمان والله أعلم.

i

٢٠٩. سُئِلَ الشيخ: وكنت أود أن أدخل كلية الطب لِأُسَاعد المرضى وأكون سببًا في علاجهم ولكن مجموعي لم يكن معينًا لي على دخول هذه الكلية فدخلت كلية أخرى ولكنني غير متقبِّلٌ لها ضائقٌ منها فهل هذا يتنافى مع الصبر على قضاء الله وقدره؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين.

بما أنك صبرت على هذه الكلية الثانية التي لا تجد في باطنك قبولًا لها، ولم يصدر منك شيء من التسخط القولي أو العملي فإنه يبقى ما في قلبك يا أخي إنما هو عدم الرضا. وعدم الرضا بالقضاء ليس من الأمور المحرَّمة التي يجب على الإنسان أن يغير دفة قلبه فيها ؛ وإنما الرضا بالقضاء من الأمور المندوبة المستحبة. ولذلك الإنسان يتعامل مع قضاء الله وقدره إذا خالف مراده بأمرين. بأمر واجب وأمر مندوب. أما الأمر الواجب فهو الصبر. فالصبر على أقدار الله المؤلمة أمر واجب ليس للإنسان فيه خيرة. وكل قول أو عمل يتنافى مع الصبر ويشعر بالسخط على قضاء الله وقدره فإنه محرَّم. لقول النبي ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدُعَاءِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ)[1].لما

(١)أخرجه البخاري برقم (١٢٩٧) ومسلم برقم (١٠٣)

حرَّم الشارع هذه الأفعال والتصرفات لأنها متنافية مع الصبر وكل فعل يتنافى مع الصبر عند حلول الأمر المؤلم فإنه محرَّم. وفي الصحيحين من حديث أبي بردة ابن أبي موسى: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ)[1] فالذي يخرق ثوبه عند المصيبة أو يحلق شعره عند المصيبة أو يرفع صوته عند المصيبة هذا قد فعل فعلاً يتنافى مع الصبر. أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ).[2] لما حُرِّمت النياحة وتُوعد صاحبها بقوله النائحة إذا ماتت قبل أن تتوب فإنها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب. لما؟ لأنه فعل يتنافى مع الصبر. فإذا يجب عليك أن تصبر، والصبر هو حبس اللسان عن قول ما لا يليق. وحبس الجوارح عن فعل ما لا يليق، ولكن يبقى في قلبك شيء من الضيق، حينئذ ننتقل إلى الأمر الثاني وهو استحباب الرضا. فيستحب لك أن تعوِّد قلبك على الرضا وأن تقنع نفسك بأن ما يختاره الله لك خيرًا مما تختاره لنفسك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن كل شيء بقضاء الله وقدره. وأن الإنسان لا يدري لعله أن يحب شيئًا يكون عين عطبه فيه. ولعله أن يكره شيئا يكون عين سلامته وجنة الله فيه. فوكِّل الأمر لله عَزَّوَجَلَّ وثِقْ بأن الله لم يختر لك إلا كل خير حينئذ يتعوَّد قلبك على الرضا. والخلاصة هذه الفتوى: أنك صبرت وقمت بالواجب لكن يبقى عليك الرضا والرضا مستحب. والله أعلم.

i

---

(١)أخرجه مسلم برقم (١٠٤).

(٢)أخرجه مسلم برقم (٩٣٤).

٢١٠. سُئِلَ الشيخ: ما الفرق بين الإرادة والمشيئة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، الفرق بينهما أن المشيئة لا تنقسم إلى قسمين، وأن الإرادة تنقسم إلى قسمين، فإن مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ مرادفة للإرادة الكونية، وأما الإرادة الشرعية فهي مرادفة للمحبة والرضا، فالمشيئة قسم من أقسام الإرادة، وذلك لأن الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية وهي المشيئة، وإلى إرادة شرعية أمرية دينية وهي المحبة والرضى، والله أعلم.

i

٢١١. سُئِلَ الشيخ: عن حديث النبي ﷺ: (إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ)[١] هل يؤخذ على كل شيء، يعني على كل حادثٍ يحدث من الشخص حتى لو حصل تقصيرٌ منه في حدوث هذا الشيء، يعني حصل تقصيرٌ وكان هو السبب في حدوث هذا الشيء، هل يُقال أيضاً هذا خيرٌ له مهما كان الحادث الذي يقع؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر في القواعد: أن العام يجب بقاؤه على عمومه ولا يجوز تخصيصه إلا بدليل، والحديث فيه صِيَغٌ من صيغ العموم في قول النبي ﷺ: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ)[٢]، فقوله: (أمر المؤمن) هذا مفرد مضاف، وقوله: (إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ) ولفظة (كل) من أقوى صيغ العموم.

فجميع أمر المؤمن كله له خير، سواءً أكان خيراً باعتبار الابتداء والأوليَّة أو

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩)

(٢)أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩)

كان خيراً باعتبار العاقبة، فأمْر المؤمن كله خير، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء وصبر فكان خيراً له.

فجميع ما يُصيب المؤمن من المصائب إذا يسَّر الله عَزَّوَجَلَّ ورزقه الصبر عليها ؛ فإن مصيبته خيرٌ له، وإن يسَّر الله له شيئاً من النعم ؛ فشكر الله عليها فنعمته خيرٌ له، فجميع أمر المؤمن في السرَّاء والضرَّاء والشدة والرخاء والفرح والحُزن كله له خير، فالأصل أن يبقى اللفظ العام على عمومه، ولا يجوز أن نخرج منه حالة سراء أو ضرَّاء تجري على المؤمن إلا بدليلٍ يخصصها، والله أعلم.

i

٢١٢. سُئِل الشيخ عن: توضيح سببية القدر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، قد وضحته في الجواب الذي قبله وهي أن أقدار الله عَزَّوَجَلَّ يُنظر لها باعتبارين: باعتبار أنها مقدرة مقضية من الله عَزَّوَجَلَّ وأن الله عَزَّوَجَلَّ قد شائها وخلقها، وباعتبار كونها مُسببةً بأسباب في كون الله عَزَّوَجَلَّ فمثلاً إذا قدر الله عَزَّوَجَلَّ للإنسان الزواج فإن زواجه خلقاً وتقديراً من الله، لكن تحصيلاً واكتسابًا من العبد، فالعبد هو الذي يحصل هذا الزواج المقدر عليه تسبباً فالزواج وإن كان قد قدره الله عَزَّوَجَلَّ إلا أنه قدر له أسبابًا فنحن متعبَّدون لله عَزَّوَجَلَّ في أرضه بتحصيل هذه الأسباب التقديرية ؛أي الأسباب التي توصُلنا إلى ما قضاه الله عَزَّوَجَلَّ وقدره ونحن وإن كنا حال سلوك الأسباب لا ندري عن ما يكون ورائها ولا ندري عن آثارها ولكننا نقدُم عليها امتثالاً لأمر الله عَزَّوَجَلَّ فالجوع قدر ونحن مأمورون بأخذ السببية التي ترفع عنا هذا القدر وهي أن نأكل، والظمأ قدر ونحن مأمورون بأن نأخذ السببية التي ترفع عنا هذا القدر وهو أن نشرب، والفقر قدر ونحن

مأمورون بأن نأخذ السببية التي ترفع عنا هذا القدر، وهي البيع والشراء والإتجار الحلال، وكذلك البطالة قدر ونحن مأمورون بأن نأخذ السببية التي ترفع عنا هذا القدر وهي طلب الوظيفة، والمرض قدر ونحن مأمورون بأن نأخذ السببية التي ترفع عنا هذا القدر وهي طلب العلاج عند أهله العارفين به، فهذا هو الذي نقصده بسببية القدر يعني تلك الأسباب التي أمرنا بها شرعًا سواءً أكانت من الأسباب الشرعية الأمرية الدينية، أو من الأسباب الحسيَّة المادية، فالعباد يجب عليهم أن يبحثوا عن هذه الأسباب حتى يرفعوا بها هذه الأقدار. والله أعلم.

i

لا تعارض بين القدر والشرع ولا بين تقدير الله للمعاصي وبغضه لها

٢١٣. سُئِل الشيخ عن شرح هذه القاعدة:

قاعدة والاحتجاج بالقدر *** عند المعيب لا يجوز للخبر

فأجاب - عفا الله عنه-: الإنسان إذا احتج بالقدر، فمعنى الاحتجاج بالقدر أن يقول: (الله قَدَّرَ علي)، طيب كلمة -الله قَدَّرَ علي- تجوز في حالتين، وتحرم في حالة، الحالة الأولى: أن تحتج بالقدر بعد نزول المصيبة، فتقول الله قَدَّرَها

علي – هذا من كمال الإيمان لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن – ١١) قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من الله فيرضى ويُسَلِّم، صح؟ وفي الحديث (وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.)[١] فهذا جائز بإجماع العلماء، وهو من مقتضيات الإيمان، الاحتجاج بالقدر عند المصائب، الحالة الثانية من الحالات الجائزة، أن يحتج بالقدر على معصية كان يزاولها ويفعلها ولكن تاب منها توبة صادقة نصوح، كأن يشرب الخمر ستين سنة، وتاب منها، يأتي إنسان فيعيره بذنبه الذي قد تاب منه فيقول له، هذا ذنب كان قد كتب عليَّ؛ فهنا يجوز، وهاتان الحالتان دليلهما حديث مُحاجَّة موسى مع آدم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ: (احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عليهما السلام عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)[٢] العلماء مختلفون في تأويل هذا الحديث، فمنهم من قال إن آدم احتج

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

(٢)أخرجه البخاري برقم (٦٦١٤) ومسلم برقم (٢٦٥٢)

بالقدر على الخروج من الجنة، والخروج من الجنة مصيبة، فهذا دليل على أن الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وهو الحالة الأولى، لكن من أهل العلم من قالوا لا، آدم احتج بالقدر على الأكل من الشجرة، لكن حتى احتجاجه هذا احتجاج جائز، لِمَ؟ لأنه قد تاب من هذه المعصية وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ بتوبته عليه في القرآن، واضح؟ هاتان الحالتان جائزتان، بقينا في الحالة الثالثة وهي أن يحتج بالقدر على المعصية التي لا يزال يزاولها ويصر عليها، ليش تشرب الدخان؟ الله قدر علي. ليش تشرب الشيشة؟ الله قدر علي. ليش تزني؟ الله قدر علي. ليش ما تصلي؟ الله يهديني، الله قدر علي، إذا أراد الله أن يهديني سيهديني. كل ذلك من باب الاحتجاج بالقدر على المعاصي التي لا تزال، وهو مُحَرَّمٌ باتفاق العلماء، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾(النحل - ٣٥) ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾(الأنعام - ١٤٨) فوصف الله الاحتجاج بالقدر في هذه الحالة أنه كذب، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ فأخبر أنها حجة لا تمنع نزول العذاب على صاحبها، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ فسلب العلمية عنهم فهي حجة جاهلة، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، ووصف الله الاحتجاج بالقدر بأربع صفات، وصفها بأنها كذب، وأنها لا تمنع نزول العذاب على صاحبها، وأنها جهل وليست بعلم، وأنها ظن وتخرص لا حقيقة له، وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(الزمر ٥٦ - ٥٧)، هذا كله من

الاحتجاج بالقدر، ولذلك فقد أجمع العلماء على أن حُجة الله على عباده قد قامت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فلاحق لأحد بعد ذلك أن يقول رَبِّ أنتَ كَتَبت!، أنت لم تُرد!، لا، كل هذا ما ينفعك عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويعجبني قصة عن بعض الصحابة أن سارقا رُفع لعمر فقال يا أمير المؤمنين إنما سرقت بقدر الله، فأخذ يده فقطعها وقال وأنا قطعتها بِقَدَرِ الله. فلا يجوز أبدا أن يُحتج بالقدر على فعل المعصية، إذ يجوز لإبليس حينئذ أن يقول رَبِّ أنتَ الذي كتبت علي أن لا أسجد لآدم فكيف تعذبني بعد ذلك؟ ولذلك يقول العلماء الاحتجاج بالقدر يبطل الشرائع، لو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا عند الله لما كان لخلق النار داع، إذ كل مُبطل وكل كافر وكل مبتدع سيقول أنت قَدَّرْتَ عَلّي، فأستحق الجنة، ولماذا خُلِقَتِ النار إذًا؟! إرسال الرسل لماذا؟! هذا إبطال للشرائع.

صار عندنا الآن ثلاث حالات. نصيغها في قاعدة، (يجوز الإحتجاج بالقدر عند المصائب وفي المعائب التي تاب منها، لا في المعائب التي يصر عليها) هذه ثلاث حالات في قاعدة واحدة. والله أعلم.

i

٢١٤. سُئِل الشيخ عن: قول ابن تيمية -رحمه الله-: أن الله قد يرزق العبد حلالا وحراما... فإذا فعل ما أمر به رزقه حلالا وإذا ترك ما أمره به فقد يرزقه

من الحرام انتهى، يقول كيف يسمى الرزق حراما؟[1]

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، ابن تيمية -رحمه الله تعالى-كلامه واضح ويزداد وضوحا إذا فهمت ما أقوله لك في هذه الفتيا

- وهي أن الرزق ينقسم إلى قسمين إلى رزق ألوهية وإلى رزق ربوبية، كما أن عطاء الله عَزَّوَجَلَّ ينقسم إلى قسمين إلى عطاء ألوهية وإلى عطاء ربوبية فإذا كانت عطاءات الله ربوبية موجودة وميسرة لك ولكنه أقفل عنك عطاءات الألوهية ورزق الألوهية فإن هذا استدراج منه عَزَّوَجَلَّ، فإن المتقرر في القواعد: أن انفتاح باب الربوبية مع إغلاق باب الألوهية هذا من باب الاستدراج كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] وقد بين هذا الاستدراج في قوله ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ فلا يظن الإنسان أن كل شيء يفتح عليه من الأرزاق يكون انفتاح رضا وانفتاح رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد تكون بعض أبواب الرزق حاملة للعبد على نسيان الواجب لله عَزَّوَجَلَّ عليه، ولذلك يتبين لنا كلام ابن تيمية فإن الله إذا رزق العبد رزقا واستغل هذا الرزق في معصية لله عَزَّوَجَلَّ وصار عونا له على مخالفة أمره -تبارك وتعالى- فلا جرم أن هذا من عطاءات الربوبية التي لا تقتضي الرحمة ولا الرضا. بل هي من

---

(١) ومن الجواب على هذا أيضا: أن الله قدر للعبد رزقا معينا إن عمل بالحلال أصابه الرزق حلالا، وإن سعى في الحرام نال ما قُدِر له (الرزق) لكن من حرام فالرزق المقدر ثابت إن سعيت في الحلال جاء الرزق من باب الحلال وإن سعيت في الحرام جاء الرزق نفسه هو هو لكن من باب الحرام فاسعى في الحلال وما قدر لك ستنال

باب الاستدراج وأما إذا رزق الله العبد رزقا. ففتح له أبواب الألوهية من هذا الرزق فيما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ وفيما يقربه إليه من وقف خيري أو مصحف يشتريه لغيره أو طباعة كتاب أو حفر بئر أو صدقة على فقير أو تفريج كربة أو إنذار معسر أو غير ذلك من أبواب الخير التي ترضي الله فيكون ذلك من رزق الألوهية ومن عطاءات الألوهية. فرزق الشر هو عطاء الربوبية إذا أغلق عن صاحبه عطاء الألوهية. ورزق الخير هو عطاء الربوبية إذا فتح ويسر لصاحبه عطاء الألوهية، والله أعلم.

i

إثبات القدر لا ينافي إسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم

٢١٥. سُئِل الشيخ: هل نحن مسيرون أو مخيرون في أمور دنيانا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، هذه مسألة اختلف فيها أهل القبلة على طرفين ووسط، فقال الجبرية: إن الإنسان مسيرٌ مطلقا ولا اختيار له، وهذا قولٌ باطلٌ بإجماع أهل السُنة والجماعة. وقال القدرية بـ: أن الإنسان مخيرٌ مطلقا، ولا تسيير معه. وهذا القول كذلك باطل، ولكن الحق هو ما جرى عليه أهل السُنة والجماعة رحمهم الله تعالى بأننا يجتمع فينا التسيير والتخيير باعتبارين، فالإنسان مسيرٌ باعتبار سبق كتابة القدر ومخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته وإرادته واختياره، وهذه قاعدةٌ عند أهل السُنة والجماعة، وأنا أشرح هذه القاعدة بثلاثة أمثلة:–

المثال الأول: لو خُير الإنسان بين امرأتين للزواج بهما، فقال وليهما: اختر واحدة منهما لنزوجها، فقال الإنسان: أنا أختار فلانة، فاختياره لواحدةٍ من الاثنتين فيه شائبتان: شائبة تسيير وشائبة تخيير، فأما تسييره فيها فلأن الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب أنه سيختار فلانة، فاختياره بهذا الاعتبار يعتبر تسييرا لأنه لا يمكن للعبد أن يختار أو يفعل شيئا خلاف ما خط في اللوح المحفوظ لا يمكن أبدًا أن يختلف فعلك وقولك وتصرفاتك عما خط لك في اللوح المحفوظ، فإذا اخترت فلانة فالله عَزَّوَجَلَّ قد كتب في لوحه المحفوظ: أنك تختار فلانة، ولكن باعتبار دخول هذا الفعل تحت قدرتك وطاقاتك واختيارك فإنك لا تشعر بأن أحدًا يلزمك أو يسيرك لاختيار واحدة منهما، ليست ثمة شعور باطني بأن

أحدًا يدفعك في ظهرك أن تختار فلانة، فباعتبار دخول الفعل تحت قدرتك وطاقاتك أنت مخير فيه، ولكن باعتبار سبق الكتابة أنت مسير.

ومثال ذلك:-

لو أن الإنسان وقف على وظيفتين وخُير بينهما، فاختار واحدةً منهما فباعتبار دخول اختيار واحدةٍ منهما تحت قدرتك أنت مخير فيهما فلا تحس أن ثمة من يلزمك أو يدفعك في ظهرك على أن تختار الوظيفة الفلانية أو الوظيفة الفلانية أنت مخير، بل أنت تشعر بأنك مخير في ذلك، وبسبب شعورك بهذا التخيير فربما تستخير الله عَزَّوَجَلَّ أنت تستخير الله عَزَّوَجَلَّ في أفضل الوظيفتين فليس أحدٌ يغصبك ولا يلزمك على إحداهما، فباعتبار دخول اختيار واحدة من هذه الوظيفتين تحت قدرتك وطاقتك أنت مخير، ولكن اعلم أنك لن تختار إلا الوظيفة التي اختارها الله عَزَّوَجَلَّ لك وكتبها في اللوح المحفوظ، فباعتبار سبق كتابة اختيار أحدهما أنت مسير، وباعتبار دخول الفعل تحت قدرتك وطاقتك أنت مخير.

مثال ثالث:-

لو أن الإنسان يسير بسيارته ووقف عند طريق إما أن ينعطف يمينًا وإما أن ينعطف شمالًا فهو بالخيار إن شاء أن أذهب يمينًا فله ذلك ولا أحد يلزمه على ذلك، وإن شاء أن يذهب يسارًا فله ذلك ولا أحد يلزمه على اختيار أحد الطريقين، فباعتبار دخول اختيار أحد الطريقين تحت قدرتك وطاقتك أنت مخير، ولكن اعلم أنك لن تسلك إلا الطريق الذي كتبه الله عَزَّوَجَلَّ في اللوح

المحفوظ.

ولكن كتابة الله عَزَّوَجَلَّ لما سنفعله في اللوح المحفوظ لا تزال كتابةً غيبيةً لا يعلمها أحد وهي من الغيب المطلق حتى ماذا؟ حتى نسلك أحد الطريقين أو نختار إحدى الوظيفتين أو إحدى المرأتين، حينئذ نعلم ما كُتب لنا وخُط لنا في اللوح المحفوظ.

فمثلاً: إذا تزوج امرأة اسمها: سعاد، وجاءه ولد اسمه: محمد، فهذا أمر قد تحقق ووقع فحينئذ نعلم أن مما كتبه الله في اللوح المحفوظ أنك سوف تتزوج امرأةً اسمها كذا، ويولد لك ولد اسمه: كذا، ولكن قبل وقوعها فلا يعلم ما خط في اللوح المحفوظ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فهو من جملة مفاتح الغيب التي تدخل تحت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

وتحت قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٦].

وتحت قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

ويجب على الإنسان أن يستسلم لقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، فهذا هو الحق في هذه المسألة، فلا نقول: إن العبد مسير مطلقا كما قالته الجبرية، ولا نقول بأن العبد مخيرٌ مطلقًا كما قالته القدرية، وإنما نقول: هو مخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته وطاقته واختياره، ومسيرٌ باعتبار سبق كتابة الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في اللوح المحفوظ.

وبناءً على ذلك: فزواجك بواحدةٍ من النساء أنت تختارها ويذهب أهلك لرؤيتها وربما تتركها وتذهب إلى غيرها، فالزواج باختيارنا، فالزواج نحن مخيرون فيه باعتبار دخوله تحت قدرتنا وطاقتنا، ومسيرون فيه باعتبار سبق الكتابة، وكذلك الطلاق الإنسان يطلق باختيار، فوقوع الطلاق بالاختيار هو فعل اختياري داخل تحت قدرتنا وطاقتنا ولكنه فعل تسييري باعتبار أن الله عَزَّوَجَلَّ كتب أنك ستطلق أو لا تطلق، فكل شيء وقع باختيارك في هذه الدنيا ففيه شائبتان: شائبة تسيير وشائبة تخيير، فباعتبار دخوله تحت قدرتك أنت مخير، وباعتبار سبق الكتابة فيه أنت مسير، هذا هو الحق في هذه المسألة، والله أعلم.

i

٢١٦. سُئِل الشيخ: من سائل يقول تكلمت مع رجل هداه الله، قال هل تستطيع أن تحييَ نفسك إذا انقضى أجلك قلت لا وكلا قال: إذن أنك مُجْبَرٌ للموت، وكذلك أنت مجبور أن تكون مسلما أو كافرا ثم قال: لو كان كلامي هذا باطلا عليك بالدليل وما الجواب عليه.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين ؛ المتقرر في قواعد أهل السنة أن للعبد مشيئة واختيارا وعقلا يعرف به النافع والضار، والمتقرر في قواعد باب القدر عند أهل السنة والجماعة أن الأفعال تنسب إلي الله خلقا وتقديرا وتنسب إلي العباد تحصيلا واكتسابا، فهذا الإنسان لو أننا طبقنا كلامه هذا على مصالحه الدنيوية هل فعلا سيطبق مقتضى كلامه هذا؟ فإذا قال الإنسان أني مجبور على الفقر فلا يحق لي أن أبحث عن سبيل الغنى هل يقبل منه هذا؟ أو أن يقول الإنسان أنني مجبور على العزوبية فأنا أعزب الآن فلا حق لي مطلقا

أن أسعى في فكاك نفسي من العزوبية بالزواج أبدا، وأنا ليس عندي ولد الآن فأنا مجبور على أن لا يكون لي ولد فلا ينبغي لي أن أرفع قضاء الله عَزَّوَجَلَّ عني بالزواج وطلب الولد بالجماع، وأنا لست موظفا الآن فأنا مجبور على أن لا يكون لي وظيفة فلا حق لي أن أقدم ملفي على الشركات أو المؤسسات أو الجهات الحكومية ولا حق لي أن أبحث عن وظيفة، هل سيطبق كلامه هذا في مصالحه الدنيوية؟ أم أنه فقط جيد في تطبيقه في المصالح الدينية؟ هذا مجبور على الكفر فلماذا يعاقب؟ هذا مجبور على الزنا فلماذا يعاقب؟ هذا مجبور على اللواط فلماذا يعاقب؟ هذا مجبور على البدعة فلماذا يعاقب؟ فإذا جاءت مصالح الدين فإننا نطبق هذا الكلام، وأما إذا جاءت مصالح الدنيا فإننا نتسابق ونتهافت عليها تهافت الحمر، لا يمكن أبدا أن ينقدح في أذهاننا عدم طروق الأسباب التي تكشف عن مثل هذه الأقدار، أولسنا ندفع قدر الفقر بطلب الرزق؟ أولسنا ندفع قدر الجوع بقدر الأكل؟ أولسنا ندفع قدر الظمأ بقدر الشرب؟ أولسنا ندفع قدر العزوب بقدر الزواج؟ أولسنا ندفع قدر البطالة بقدر طلب الوظيفة؟ فلماذا لا ندفع قدر البدعة بطلب السنة؟ وقدر المعصية بقدر التوبة؟ وقدر المخالفة بقدر المتابعة؟ وقدر سلوك طريق النار بارتكاب الذنوب والمعاصي بالتوبة الصادقة النصوح حتى نسلك بها طريق الجنة، فلماذا ندعي أننا مجبورون ولسنا بقادرين على تحصيل مصالحنا إذا كانت دينا ولكن لا ندعي أننا مجبورون ولسنا بقادرين على تحصيل مصالحنا إذا كانت في أمور الدنيا، هذا مما يدلك على أن الاحتجاج بالقضاء والقدر حجة إبليسية شيطانية المصدر آدمية التنفيذ، وإلا فإنه لا حجة لأحد على الله عَزَّوَجَلَّ أن يبقى كافرا لأن الله قدر عليه الكفر، أوليس الله قدر عليه شرعا أن يؤمن ويسر له أسباب الإيمان وأرسل إليه الرسل وأنزل له الكتب؟ ولذلك لا

حجة للعباد على الله عَزَّوَجَلَّ أبدا في أن يبقوا على ما هم عليه مع تيسير الطريق للتغيير، فعليك أن تغير، أوليس المريض إذا نزل عليه قدر المرض سعى في طلب الشفاء والعافية؟ فكذلك المعاصي والذنوب هي أمراض، لما لا يسعى إلى قدر العافية بالتوبة؟ أولسنا مرضى بهذه الذنوب والمعاصي؟ لماذا لا نطلب الطبيب الذي يداويها؟ لماذا لا نطلب الطريق الذي يعالجها وهو التوبة إلي الله عَزَّوَجَلَّ ومتابعة النبي ﷺ، لو ألم الواحد منا بطنه لسعى وطرق أبواب الأطباء طلبا للشفاء، أوليس هذا يدلنا على أنها من الشيطان؟ وأنه يريد منا أن ننكف عن طلب مصالح الدنيا والتي يعلم الخبيث أننا متى ما طلبناها نجونا من النار التي سيكون فيها هو وشركه وحزبه، فهذه حجة إبليسية لا يقبلها الله، فإذا فهمت هذا فاعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أبطل هذه الحجة في كتابه وقد أجمع العلماء من أهل السنة والجماعة على إبطالها، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ [الزمر: ٥٧-٥٨] فهل تنتفع النفس بهذه الحجة ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٩]

ما نفعتها هذه الحجة وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

هل ستنفعهم هذه الحجة؟ اسمع كيف رد الله عَزَّوَجَلَّ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فوصفها بأنها حجة كاذبة وليست بحجة صادقة ولا ناصحة ولا حقيقية وأخبر أنها حجة لا تمنع من العذاب ولا تحجب العبد عن أن يذوقه، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾طيب أولم يخرجوا علما؟ أولم يقولوا علما؟ فأجاب - عفا الله عنه-: وصف الله حجتهم بأنها حجة جهل وجهالة وسلب وصف العلم عنها إذ أنها لا تنفع في صدر ولا ورد، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ فبالله عليكم حجة وصفها الله بهذه الصفات أفتنفع صاحبها في الدنيا والأخرة؟ الجواب والله ما تنفعه أبدا، ولذلك تعجبني قصة عن عمر أنه رفع له سارق سرق فقال: إنما سرقت بقضاء الله وقدره يا أمير المؤمنين. قال: وأنا كذلك أقطع يدك بقضاء الله وقدره. فليس على الله حجة في أنه قدر عليك شيئا من الذنوب والمعاصي، بل حجة الله قائمة علينا بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتوضيح الأمور وبيان الحجة واتضاح المحجة، فلا ثمة حجة يحتج بها العبد على الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك أجمع العلماء على أن الاحتجاج بالقدر إنما يجوز في المصائب لا في الذنوب والمعائب والله أعلم.

i

٢١٧. سُئِلَ الشيخ: من رجل يقول قرأت أن من آثار المعصية أنها تمنع عن الطاعة وربما يبعدك الله عن طاعة بسبب معصية، فكيف ذلك ونحن مخيرون، وكيف يبعدنا الله ونحن نريد القرب منه، وهذا هو الكلام، قال ابن القيم في الجواب الكافي متحدثا عن آثار الذنوب والمعاصي: ومنها حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بَدَلَهُ، ويقطع طريق طاعة

أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة، ثم رابعة، وهلم جرا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها [وهذا كرجل أكل أكلةً أوجَبَتْ له مِرْضَةً طويلةً منعته من عدة أكَلات أطيب منها، فالله المستعان]؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، لا حق لك أن تعترض على الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ الذي أمرك بالطاعة، ونهاك عن المعصية، بين لك أن تيسير الطاعة عليك مشروط بشروط، إذا قمت بها أعانك الله عَزَّوَجَلَّ على طاعته، وإذا تخلفت عنها فإنك قد تحرم بسبب تخلفك الاختياري التعمدي عن شيء من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يبعث العزائم والهمم في النفوس على الطاعات، وهو الذي يعين عباده على الطاعة، وهو الذي عَزَّوَجَلَّ يصد القلوب عن الطاعة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ الأنفال آية ٢٤، فقد يكون الإنسان عازما على الطاعة، ثم تفتر قواه، وتخور عزيمته، بسبب ذنب ارتكبه، ألا تسمع إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ التوبة آية ٤٦، أي بسبب ماذا؟ بسبب نفاقهم وبعدهم عن مراعاة الحق وعن محبة الحق، فالله الذي أمرك بالطاعات، بين لك أن هناك شيئا يبعث العزيمة على فعلها، فإن قمت بهذا الأمر، فإنك تُبْشِرُ من الله عَزَّوَجَلَّ بإنفاذ ما وعدك به، وأما أن يَتَقَحَّمَ الإنسان في المعاصي والذنوب ثم يقول بعد ذلك: لِمَ يحرمني الله من الطاعة وقد أمرني بها!، فنقول إنه أمرك بها، وبين لك أن الطريق في تحصيلها هو كذا وكذا، فأنت إنما نظرت إلى جانب من الأمر، ولم تنظر إلى الجانب الآخر، فكلام الإمام ابن القيم كلام صحيح، فمن أراد تيسير الطاعة، وإعانة الله عَزَّوَجَلَّ له

على فعلها، والالتزام بها، بل وعلى قبولها، فليمتثل الشرط، وهو أن يبتعد عن الذنوب والمعاصي، فكم حُرمنا من طاعات كثيرة بسبب وقوعنا في ذنوب كثيرة، فإذا أردنا أن يعيننا الله فلنسلك طريق إعانته، وتحصيل إعانته، وهي أن نبتعد عما يسخطه علينا، وأذكرك وفقك الله بما أخرجه الإمام أبو داوود في سننه بإسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ (يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ) فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنا أُحِبُّكَ. قَالَ (أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)[1] فإعانة الله للعبد على الطاعة مشروطة بعدم وقوعه في الذنوب والمعاصي، فقد يقع العبد في شيء من المعاصي فيحرم من قيام الليل، وقد يقع العبد في شيء من المعاصي فيحرم من صلاة الفرض والعياذ بالله، وقد يحرم من صلاة الضحى، وقد يحرم من الصيام فرضا أو نفلا، وقد يحرم من الحج فرضا أو نفلا

i

٢١٨. سُئِلَ الشيخ: هل المجنون مُسيرٌ، أم مخير بالنسبة للقدر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء:، أن العقل هو مناط التكاليف الشرعية، فلا تكليف إلا بعقلٍ، فالتكاليف الشرعية مربوطة بالعقلِ، فمن لا عقل له، فقد ارتفع عنه التكليف، يقول النبي ﷺ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ، أو

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٧٠)، وعبد بن حميد (١٢٠)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٢٢٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١٣٦٢، المشكاة ٩٤٩.

يُفِيق)[1] وذكر منهم عن المجنون حتى يعقل.

ومن المعلومِ أن أهل العلم - رحمهم الله تعالى- قد أجمعوا إجماعً قطعيًا، على عدم صحة العبادات التي تصدر من المجنونِ، وعلى عدم مؤاخذتهِ على شيءٍ وقع فيه من المحرماتِ، لارتفاع قلم التكليف عنهُ.

وأجمعوا كذلك على عدم صحة العقود التي تصدر منهُ، وعلى عدم صحة الفسوق الذي تصدر منهُ، فأي عقد أبرمهُ المجنون فهو عقد باطل، سواء أكان بيعًا، أو شراءً، أو غيرها، أو نكاحًا، أو غيرها من العقود، إذا عُلمَ هذا، فليُعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ لما خلق هذا الجسد، ركب فيه غريزة، يقال لها غريزة العقل.

وغريزة العقل، هي المسئولةُ في المقام الأول عن حركات هذا الجسد وسكناته، وهمهِ وعزيمتهِ، فإذا فقد الجسد هذه الغريزة، فإن هذه الحركات حينئذٍ، تتصرف كما أتفق من غير قصدٍ مُسبقٍ، ومن غير عزيمةٍ متقدمة.

وبناءً على ذلك فأقول: المجنون ليس له عقلٌ تكليفيٌ، يدير أمورهُ، ويعرفُ مصالحهُ به، فتصرفاتهُ غير مسئول عنها، لفقدانهِ لهذه الغزيرة، فأفعالهُ في هذه الحالة، تعتبر أفعال تسييرية لا تخييرية؛ لأن التخييرَ مبناه على وجود العقلِ، الذي يحدد به الإنسان ما يختارهُ، مما لا يختارهُ، وحيث كان هذا المبدأ مفقودًا في الإنسان، في المجنون، صارت أفعاله تتمخضُ بكونها تسييرية، المجنون مسيرٌ،

---

(١) أخرجه أحمد في ﴿المسند﴾ (٤١/ ٢٣١) برقم: [٢٤٧٠٣]، وأخرجه ابن ماجه في ﴿سننه﴾ باب: [طَلَاقِ الْمَعْتُوهِ وَالصَّغِيرِ وَالنَّائِمِ](١/ ٦٥٨) برقم: [٢٠٤١]، وأخرجه أبو داود في ﴿سننه﴾ باب: [فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا](٤/ ١٤٠) برقم: [٤٣٩٩]، وصححه الألباني في ﴿صحيح الجامع﴾ (١/ ٦٥٩) برقم: [٣٥٠٨].

وليس بمخير.

i

٢١٩. سُئِل الشيخ عن قاعدة (من اعتقد أن الرقية مؤثرة بذاتها بدون تقدير الله عَزَّوَجَلَّ فقد أشرك)

كثير من الناس عندما يصاب بمرض ما أو يتعرض لحادث ما يقول ما يصيبني هو بسبب عين أصابتني..أي بسبب حسد ويقول إنه يرقي نفسه ولا يترك الرقية ولكن لا تؤثر فهل هذا يجوز؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، جميع ما يصيب العبد من الخير أو الشر إنما هو بقدر الله تبارك وتعالى فما أصاب العبد لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وكل شيء بقضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، ومن أركان الإيمان الستة أن يؤمن العبد بالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله عَزَّوَجَلَّ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]فالأمراض التي تصيب الإنسان إنما هي تقدير من الله عَزَّوَجَلَّ والحوادث والمصائب التي تصيب الإنسان إنما هي قضاء الله عَزَّوَجَلَّ وقدره، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[التغابن: ١١] قال الإمام علقمة رحمه الله تعالى ﴿هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم﴾ وكما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢] أي من قبل أن نخلقها ونوجدها على أرض الواقع ولأنه ورد عن النبي ﷺ فعَنْ طَاوُسٍ: (أَنَّهُ قَالَ أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ:

كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ، أَوِ الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ)[(١)]

وقال ﷺ: (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[(٢)] وإن جميع ما يصيبنا من المصائب والآلام لابد أن ننظر له باعتبارين وفقكم الله باعتبار كونه مُقدراً مخلوقاً وباعتبار كونه مُسبباً بسبب، والذي يخلط بين هذين النظرين يشكل عليه ذلك الإشكال الذي أورده السائل أو أوردته السائلة فجميع الاشياء من الله عَزَّوَجَلَّ خلقاً وتقديراً وإيجاداً ولكن قد يكون المخلوق له سبب ومدخل في سببيتها فقط، يعني بمعنى لو أن الإنسان أسرع بسيارته حتى أصابه الحادث فحادثه هذا فيه شائبة ترجع إلى الله وفيه شائبة ترجع إلى السائق نفسه، أما الشائبة التي ترجع إلى الله فنقول أن حادثه هذا مقدرٌ من الله عَزَّوَجَلَّ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي قدره وهو الذي قضاه وهو الذي أراده في كونه بإرادته الكونية وكذلك هو الذي خلقه وأوجده ولكن الشائبة الأخرى وهي سبب هذا الحادث فلا جرم أنه ينسب إلى المخلوق نفسه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فظهور الفساد في البر والبحر فيه متعلقات متعلق يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو إيجاده وخلقه وتقديره ومتعلق يرجع إلى المخلوق وهو أنه بما كسبت يداه سبباً ولو أن الإنسان مثلاً جامع

---

(١)أخرجه مسلم كتاب القدر بَابُ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ برقم (٢٦٥٥).

(٢)أخرجه مسلم كتاب القدر بَابُ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ برقم ((٢٦٥٣))

زوجته فحملت فهذا الحمل فيه متعلقان متعلقٌ يرجع إلى الله ومتعلقٌ يرجع إلى الزوج، فأما المتعلق الذي يرجع إلى الله فهو الذي قدّر هذا الولد وخلقه وبرأه وقضاه وأما ما يرجع إلى المخلوق فهو السبب وكذلك إذا تاجر الإنسان ثم ربح أموالاً طائله أو أنه تاجر وخسر أموالاً في تجارته طائله، فالبرح في التجارة والخسارة منه ما يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو خلقه وتقديره ومنه ما يرجع إلى المخلوق وهو اجتهاده أو تقصيره فهذا المرض الذي يصيب العبد قد يكون له سببٌ وهو أن يكون حسداً تارة أو سحراً تارة أو قد يكون سبباً مادياً حسياً غير هذه الأشياء فليس كل ما يصيب العبد من الأمراض أو الادواء يكون سببه الحسد وهذا مخالف للواقع المحسوس فإن الإنسان قد يصاب بدوار في الرأس أو يصاب بشيء من الأورام السرطانية والعياذ بالله أو يصاب بالزكام أو يصاب ببعض الأمراض التي لا شأن لها لا بعين ولا بسحر ولا بجن ولا بمس ولا بنزغ شيطان وإنما لها أسبابها المعروفة وقد يصاب الإنسان أيضاً بمس الجن أو السحر أو عشق الشيطان أو شيءٍ من الحسد والعين فهذه أمراضٌ لها أسبابها فإذا وقعت على الإنسان فإن فيها نسبتين نسبة ترجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ وهو خلق هذا المرض وتقديره فهذا المرض خلقاً وتقديراً وإيجاداً ينسب إلى الله عَزَّوَجَلَّ إذ لا خالق لهذا الكون بكل ذراته العلوية والسفلية إلا الله عَزَّوَجَلَّ ولكن قد يرجع إلى سببٍ وهو أن الإنسان تعرض للهواء البارد بعد حرارة جسده فأصيب بالزكام فهذا الزكام ينسب إلى الله خلقاً وإيجاداً وينسب إلى المخلوق تحصيلاً واكتساباً وتسبباً وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] أي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فنسبة السيئة للنفس ليست نسبة

خلقٍ وتقدير والعياذ بالله وإنما هي نسبة سببٍ وتحصيلٍ واكتساب ولعلكم فرقتم بين هاتين النسبتين فالذي يخلط بين ما ينسب إلى الله وبين ما ينسب إلى المخلوق سوف يجد في طريقه ظلالاً عظيماً بسبب هذا الخلط، وبالمناسبة فإن القدرية إنما ظلت بسبب هذا الخلط فلم تفرق بين ما ينسب إلى الله وبين ما ينسب إلى المخلوق وكذلك الجبرية ظلت لأنها لم تفرق هذا التفريق، فسبب ظلال الطائفتين في باب القضاء والقدر أي الجبرية والقدرية إنما يرجع لعدم تفريقهم بين ما ينسب إلى الله وبين ما ينسب إلى المخلوق، فالجبرية نسبت أفعال العباد إلى الله جملةً وتفصيلاً والقدرية نسبت أفعال العبد إلى نفسه خلقاً وتقديراً وكلا الطائفتين على ظلال مبين، وأما أهل السنة والجماعة فقد قرروا أن أفعال العباد وما يصيبه من خيرٍ وفرح أو من حزنٍ وترح له شائبتان فينسب إلى الله عَزَّوَجَلَّ خلقاً وتقديراً وينسب إلى المخلوق تحصيلاً واكتساباً وبناءاً على ذلك فلا يجوز للإنسان أن يقول إن هذا المرض لم يقدره الله علي هذا كفر والعياذ بالله إذا أنت تعتقد أن أحداً خلق هذا المرض وقضاه وقدره هذه مشكلةٌ كبيرة فهذا المرض خلقاً وتقديراً إنما هو من الله أياً كان نوع المرض سوآءاً أكان من الأمراض الحسيه الظاهرة كالزكام وصداع الرأس والأورام السرطانية والشلل ونحوها أو كان من الأمراض المعنوية الروحية كالسحر أو العين أو عشق الجان أو الصرع المتعلق بالجن ونحوها، فالأمراض تنسب إلى الله خلقاً وإيجاداً وتنسب إلى المخلوق تحصيلاً وتسبباً واكتساباً والله أعلم.

i

٢٢٠. سُئِلَ الشيخ: عن من زعم سببية بلا برهان فقد أشرك شرك أصغر ممكن توضحوا لنا ذلك وجزاكم الله خيرا

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، نعم كل من اعتقد سبباً لم يدل على سببية شرع ولا تجربة أو قدر فإنه قد أشرك شركاً أصغر لأنه تقحم وادعى ما ليس له، فإن الذي يخلق الأسباب وآثارها ويقدرها ويشرعها إنما هو الله عَزَّوَجَلَّ فذلك فعله، فإن كانت أسباباً شرعية فهي فعله الشرعي وإن كانت أسباباً كونية قدرية تجريبية فهي فعله الكوني، فلا يجوز للإنسان أن ينزل نفسه منزلة الله عَزَّوَجَلَّ في هذا التشريع السببي أو التقدير السببي، فهذه السببية من شأن الله عَزَّوَجَلَّ خلقاً وأثراً، فلا ينبغي للإنسان أن يقحم نفسه ويدس أنفه في هذه الأشياء، فكونه يجعل نفسه مسبباً أو مؤثراً لهذه السببية أقل أحواله أن يكون شركاً أصغر و أن اعتقد أن السبب هو الذي يفعل هذا الشيء بذاته فالسبب هو الذي يوجد أثره بذاته وهو الذي يخلق أثره بذاته وهو الذي يقدر أو يقضي أثره بذاته فهذا ارتقى من كونه شركاً أصغر إلى شرك أكبر، فقولنا كل من اعتقد سبباً لم يدل على سببيته شرع ولا قدر فشرك أصغر؛ ذلك لأنه دس أنفه في شيء من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ مطلق الدس، وأما قولنا بأنه اعتقد أن السبب هو الفاعل بذاته فهذا قد ساوى غير الله بالله في شيء من خصائص الله المساواة المطلقة، فالسببية فيها مطلق المساواة فصارت شركاً أصغر، واعتقاد التأثير والخلق والتقدير هذا فيه المساواة المطلقة فجعلناها شركاً أكبر. والله أعلم.

i

٢٢١. سُئِلَ الشيخ: كيف الجمع بين قاعدة كل من اتخذ سببا لم يثبت بطريق الشرع ولا القدر فهو شرك أصغر، وبين اشتراط وصف الشارع للفعل أنه شرك في تعريف الشرك الأصغر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، هذا سؤال جليل القدر

رفيع المنزلة ولكن جوابه يحتاج إلى شيء من التفصيل وهو أن نقول: المتقرر في القواعد أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما، وأهل العلم رحمهم الله تعالى لما استقرأوا أدلة الشرك الأصغر لم يستقرؤوها استقراء أعيان وأجزاء، وإنما استقرؤوها استقراء أصول ومآخذ وكليات، فهم لما نظروا إلى الأدلة التي تثبت أن التمائم شرك أصغر لم ينظروا إلى كونها تميمة فقط، وإنما نظروا إلى العلة التي جعل الشارع التميمة شركا، ولما نظروا إلى الطيرة لم ينظروا إلى كونها طيرة فقط وإنما نظروا إلى السبب الذي جعل الشارع الطيرة من جملة الشرك، ولما حكم الشارع على طلب البركة مما لا دليل على البركة فيه شرعا وأنه من الشرك، وأنه من اتخاذ الأنداد، لم ينظروا إلى ذات التبرك وإنما نظروا إلى العلة التي من أجلها حكم الشارع على التبرك بما لا دليل عليه بأنه شرك، وهكذا دواليكم وفقكم الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أهل العلم رحمهم الله تعالى ينظرون إلى الأدلة التي وردت في شيء من الشرك الأصغر لا على أنه طيرة أو تمائم أو على أنه كذا وكذا، وإنما نظروا إلى مآخذها -وفقكم الله- فلما نظروا إلى المآخذ وجدوا أن مآخذها تدور حول السببية دورانا عظيما، فلأن الذي يعلق التميمة يعتقد أنها من أسباب دفع البلاء حكم الشارع عليها بأنها شرك، فإذا الشركية ليست لأنها تمائم وإنما لأن معلقها يعتقد سببيتها، فهي وصفت بأنها شرك لأنها مقرونة بهذه السببية، فإذا هذه أول مأخذ في مسألة التمائم وهي أنها صارت شركا أصغر لأن معلقها لابد وأن يعتقد فيها السببية، ولذلك -وفقكم الله- لو أن إنسانا علق على يديه أو على رقبته شيئا من غير اعتقاد سببيتها في جلب خير أو دفع شر لما كانت تميمة، فلو أنها معلقة للزينة مثلا فإن هذا تكون شركا أصغر، فهذا المعلق لابد وأن يقترن باعتقاد حتى يكون تميمة، فما الاعتقاد الذي جعل التميمة شركا؟ هو اعتقاد سببيتها لجلب الخيرات أو

لدفع المضرات.

إذن العلماء لا ينظرون إلى كونها تميمة وإنما ينظرون إلى علتها العامة وهي اعتقاد السببية التي لم يدل على سببيتها شرع ولا قدر، وكذلك في باب الطيرة أيضا نفس المأخذ، أن الشارع حكم على كل تطير لا دليل عليه أو كل تشاؤم بأنه من الشرك الأصغر لأنه اعتقاد سببية في جلب خير أو دفع شر مما لا دليل عليه في شرع ولا قدر، وهكذا في باب التبرك -وفقكم الله-، فعلمنا من ذلك أن المأخذ العام في أبواب الشرك الأصغر هو اعتقاد السببية التي لم يدل عليها شرع ولا قدر، وبما أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما فأي إنسان يعتقد في شيء أنه سبب لجلب شيء من الخيرات أو لدفع شيء من المضرات ولم يدل على سببيته شرع ولا قدر فإنه من الشرك الأصغر أفهمتم هذا؟

فالشارع ليس ملزما بأن يبين لنا كل أجزاء وأعيان الشرك الأصغر كما أنه ليس بملزم أن يبين لنا كل أعيان وأفراد الشرك الأكبر، وإنما يعطينا قاعدة تدل على أن ما دخل تحتها فهو شرك أصغر وأن ما دخل تحتها فهو شرك أكبر مثل البدعة، أولسنا نحكم على أشياء بأنها بدعة ولا نجد على أعيانها أو على بدعيتها بعينها دليلا من الكتاب والسنة؟ أليس كذلك؟ الجواب: بلى أين الدليل على أن الذكر الجماعي بخصوصه بدعة؟ هل قال الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن إن الذكر الجماعي بدعة؟ هل قال النبي ﷺ إن الذكر الجماعي بدعة بخصوصه؟ لكننا أدخلناه تحت ﴿قول رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ﴾[1]

فأدخلناه في حد البدعة: أن كل من تعبد لله بما لا دليل عليه فقد ابتدع.

(١)أخرجه مسلم برقم (١٧١٨)

فندخل تحتها أشياء ونصفها بأنها بدعة وإن لم يأتِ على بدعيتها بخصوصها وأعيانها دليل من الكتاب أو السنة، فكذلك الشرك الأصغر، كذلك الشرك الأصغر يا إخواني ليس ملزما الشارع أن يبين لنا كل أفراد الشرك الأصغر إلى أن تقوم الساعة، لا، الشرك الأصغر قد يتجدد في أشياء لا دليل عليها، لكنه أعطانا قاعدة عامة أخذناها من ادلة الشرك الأصغر التي بينها الشارع في مآخذها لا في أعيانها، فالمأخذ في جعل التمائم شركا أصغر هو اعتقاد سببية لم يدل عليها شرع ولا قدر، والمأخذ في جعل الطيرة شركا أصغر هي أنه لم يدل سببيتها شرع ولا قدر، أفهمت هذا؟ والمأخذ في جعل التبرك شركا أصغر هو أنه لم يدل على سببيته شرع ولا قدر، إذا القاعدة العامة في الشرك الأصغر هي: أن كل من اعتقد في شيء سببية لجلب خير أو دفع مضرة ولم يدل على سببيته شرع ولا قدر. فهو داخل تحت التمائم، داخل تحت الطيرة، داخل تحت التبرك، داخل تحت هذا المأخذ العام، كما أن كل من تعبد لله بتعبد لا دليل عليه فهو مبتدع لأنه يدخل تحت هذا الأصل العام، فالشريعة ليست ملزمة بأن تنص على كل الوقائع بأعيانها وأسمائها وأفرادها وأشخاصها وصفاتها، وإنما الشارع يعطينا قاعدة عامة ونحن ندخل تحت هذا الأصل العام ما يكون متفقا معه في العلة، فإذا اتفقت العلل اتفقت الأحكام، وإذا اختلفت العلل اختلفت الأحكام، وفقك الله والله أعلم.

i

٢٢٢. سُئِلَ الشيخ: العبد عندما يريد شيء ولا يناله كيف يفرق بأن عليه التسليم بالقضاء والقدر وبين السعي والمحاولة مرة أخرى؟

فأجاب – عفا الله عنه–: ينبغي لنا أن نعلم أن المتقرر عند أهل السنة والجماعة:

أن الإيمان بالقضاء والقدر مبني على ركنين، الركن الأول كمال التسليم والتفويض إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

والأمر الثاني: أن نفعل الأسباب المشروعة المتاحة فليس الإيمان بالقضاء والقدر هو التسليم فقط وليس الإيمان بالقضاء والقدر الاتكال على الأسباب فقط بل علينا أن نكمل مراتب التفويض وتسليم الأمر لله عَزَّوَجَلَّ وأن نفعل الأسباب المتاحة المشروعة، فلا ينبغي للإنسان أن يحتج بقدر على ترك الأسباب، فأنت يا أيها السائل عليك أن تسعى في تحصيل هذا الأمر بالأسباب المتاحة المشروعة.

وتدع ما وراء ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فمن الأسباب المشروعة أن تكثر الدعاء وتتحرى أوقات الاستجابة وعليك أن تلح على الله في الدعاء الفينة تلو الفينة واليوم وراء اليوم والأسبوع وراء الأسبوع بل الشهر وراء الشهر بل السنوات تلو السنوات، وألا تمل وألا تضجر وألا تستعجل في الاستجابة، فلربما ربك عَزَّوَجَلَّ يؤخر عنك هذا الأمر لمصلحة يعلمها منك، فأنت ما عليك إلا أن تسلك الأسباب المشروعة المتاحة في تحصيل هذا الأمر المطلوب دينا أو دنيا وما وراء ذلك فإن أمره إلى الله عَزَّوَجَلَّ لذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠].

فأخبر أن الدعاء فيه شائبتان شائبة ترجع لنا وشائبة ترجع له، أما الشائبة التي ترجع لنا فهي قوله ادعوني، وأما الشائبة التي ترجع له فهي قوله استجب لكم، فما علينا إلا أن نقوم بما أمرنا به، وأما ما تكفل الله به فإن أمره إليه عَزَّوَجَلَّ فهو الحكيم اسما، وذو الحكمة المطلقة المتناهية صفة، فعليك أن تواصل وأن

تجتهد وأن لا تستلم وأن لا يغلبنك الشيطان، ولا النفس الأمارة بالسوء ولا عدم الثقة بربك، وعليك أن لا تضعف بتحصيل مطلوبك، وأن تدم على المواصلة إلى أن يقبض الله عَزَّوَجَلَّ روحك، حتى وإن تأخرت الاستجابة فإن ربك حكيم لا يقدم ولا يؤخر إلا لحكمة بالغة ومصلحة متناهية فوصيتي لك ألا تشغل نفسك إلا بما أمرت به، وأما ما يرجع إلى الله فإن أمره إلى الله الحكيم العليم الخبير القادر عَزَّوَجَلَّ.

فواصل واجتهد واطلب وألح وتخير مواضع الاستجابة الثابتة بالأدلة، واترك أبواب الاستجابة بكثرة الصدقة وأطلب من غيرك من العلماء والصالحين وأهل الخير مما ترجي إجابتهم أن يدعوا لك بتحصيل ذلك الأمر، فإن الله عَزَّوَجَلَّ إن علم منك صدق الطلب أعطاك ما تريد، وأعلم أن ربك يستجيب الدعاء ولا يرد دعاء الداعين لكن هذه الاستجابة إما بتعجيل ما طلبته بعينه وإما بتأخيره حتى تنال ثوابه وأجره يوم القيامة، وإما أن يكفي الله عنك من الشر ما كان مقدر عليك.

فالإنسان عليه أن يتوكل على الله وأن يسلك طريق الأسباب وأن يجتهد في تحصيل مطلوبة وأن لا يمل ولا يكل وأن لا يستعجل فإن الاستعجال طريق لرد الطلب، كما في حديث أبي هريرة ((لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ.))[(١)] والله أعلم

i

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٥)

الباب الخامس: من أصول الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة

٢٢٣. سُئِلَ الشيخ هل العوام من الناس يعتبرون من أهل السنة والجماعة؟

فأجاب - عفا الله عنه-:: الحمد لله، نعم العوام يعتبرون من أهل السنة والجماعة إذا لم يظهر منهم شيء من المخالفات الشرعية للكتاب والسنة أو لفهم السلف الصالح

فالأصل أن العامي يبقى على أنه من أهل السنة والجماعة ما لم يظهر منه شيء من المحدثات أو البدع العقدية أو العملية أو التي تخالف الكتاب وتخالف السنة وتخالف فهم السلف الصالح فعوام أهل السنة من أهل السنة وليس من شرط الدخول في دائرة أهل السنة أن يكون الإنسان عالمًا بكل تفاصيل المذهب ولكن الشرط ألا يخالف الكتاب ولا السنة ولا فهم السلف الصالح فكل من كان على الكتاب وعلى السنة وعلى فهم السلف الصالح فإنه من أهل السنة والجماعة سواءً أعرف ذلك وتابعه عن علم ونظر واجتهاد أو تابعه عن تقليد كالعوام والله أعلم ..

i

الفصل الأول: الدين والإيمان قول وعمل

٢٢٤. سُئِلَ الشيخ: نعلم أن الإيمان قول وعمل و اعتقاد فهل الزيادة في أعمال

الجوارح تزيد من أعمال القلوب بما أنهما يشتركان في الإيمان؟!

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله نعم وفقك الله فكلما استكثر العبد بجوارحه من التعبدات القولية أو العملية كلما كان ذلك يرجع على زيادة إيمانه الباطني في قلبه والعكس صحيح أنه كلما زاد إيمانه الباطني في قلبه كلما عاد ذلك بالخير على عمل جوارحه بالتعبدات فكل منهما يغذي الأخر فالظاهر يغذي الباطن والباطن يغذي الظاهر ولذلك جعل العلماء من أسباب زيادة الإيمان فعل الطاعة وترك المعصية وهما فعلان ظاهران والله أعلم.

i

٢٢٥. سُئِلَ الشيخ: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان. يقول أشكل علي عمل القلب لم يذكر. جزاكم الله خيرا.؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين. قول القلب وعمله يدخل في اعتقاده وفقك الله. فإذا قلنا اعتقاد بالجنان فيدخل في اعتقاد الجنان قول القلب وعمله. ونعني بقول القلب أي تصديقه واقراره ونعني بعمل القلب أي محبته وخوفه ورجائه وتوكله.. فكل ذلك يدخل في اعتقاد الجنان وفقك الله والسلام عليكم.

i

٢٢٦. سُئِلَ الشيخ: ما الفرق بين القبول والانقياد وهل الأعمال داخلة في الإيمان؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: المتقرر عند أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أن الإيمان اعتقادٌ

بالجنان، وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وهذا هو الذي عليه عامة أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وهو المنقول في كتبهم والمقرر في عقائدهم، ولا أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يتوارثونه خالفًا عن سالف ولله الحمد والمنة.

فركائز الإيمان ثلاثة: فلابد أن يكون مبدأ الإيمان وأصله منبثقًا من القلب، ثم لابد أن يمر على الركيزة الثانية: وهي قول اللسان، ثم يمر على الركيزة الثالثة: وهي عمل الجوارح والأركان.

فعمل الجوارح داخلٌ في مسمى الإيمان بإجماع أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وإنما المرجئةُ هم الذين أخرجوا العمل عن دائرة الإيمان، وقد انقسم أهل القبلة في مسألة ركائز الإيمان على جملٍ من الأقوال، والحق فيها هو ما ذهب إليه أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

من أنه: إيمان القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، ولكل واحدةٍ من هذه الأركان دليلٌ يدل على أنه ركيزةٌ من ركائز الإيمان، إلا أن المتقرر عند العلماء: أن العمل الذي هو ركنٌ من أركان الإيمان، إنما يراد به جنس العمل لا آحاد العمل إلا بدليل.

وهذه القاعدة فيصلٌ بين مذهب أهل السُّنَّةِ في إدخال العمل في مسمى الإيمان، وبين مذهب الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، فإن أهل السنة وإن قالوا: أن العمل ركنٌ في الإيمان فلا يصح الإيمان إلا بالعمل.

إلا أنهم لا يقصدون آحاد العمل، وإنما يقصدون جنس العمل، لا آحاد

العمل، وإنما يقصدون جنس العمل، إلا إذا دل دليلٌ شرعيٌ صحيحٌ على أن من ترك هذا الفرض المعين من الأعمال أنه يكفر، كالصلاة كما ثبتت بذلك الأدلة.

وأما إذا لم يدل دليلٌ على أن ترك آحاد العمل يخرج العبد من دائرة الإيمان، فإنه يبقى أن المخالفة فيه تنقص كمال الإيمان الواجب؛ ولكنها تخرج العبد عن دائرة الإيمان بالكلية.

وإنما الذي يخرج العبد عن دائرة الإيمان بالكلية، هو أن يترك العبد جنس الأعمال، بمعنى: أنه يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، ثم بعد ذلك لا يفعل شيئًا من جنس الأعمال التي تخص الشرع.

فلا تجد عنده لا صلاةً ولا صيامًا ولا حجًا ولا عمرةً، ولا ذكرًا ولا امتثالًا لشيءٍ من أمر الشارع، وإنما يقتصر من الإِسَّلامَ على النطق بالشهادة، فهذا يسمى تاركٌ لجنس العمل، ومن ترك جنس الأعمال الشرعية فإنه لا يعتبر مؤمنًا، ولا يصدق عليه وصف الإيمان في صدرٍ ولا ورد.

وأما إذا ترك الإنسان بعض الأعمال مع إتيانه بجنسها، فإنه يبقى مرتكبًا لكبيرةٍ من كبائر الذنوب، بمعنى أنه لو صلى وزكى وصام وحج؛ ولكن حلق لحيته وأسبل ثيابه فمخالفته هذه إنما تنقص إيمانه الواجب، ولكنها لا تخرجه عن دائرة الإِسَّلامَ.

فلابد من فهم هذا الفرقان الذي هدى الله له أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فنحن معاشر أهل السُّنَّةِ متفقون على أن العمل داخلٌ في ركائز الإيمان؛ ولكن أي عمل؟ إنما نعني به جنس العمل لا آحاد العمل، إلا إذا دل الدليل على أن ترك

هذا العمل المعين يخرج عن دائرة الإِسْلاَم بالكلية.

فحينئذٍ نكفر من ترك هذا العمل كالصلاة، فإن الأدلة دلت على أن تارك الصلاة كافرٌ، كما في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي قال: (إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ)[١]، وفي السنن من حديث بريدة، يقول:(سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)[٢].

وهذا مثالٌ على انخلاع العبد من دائرة الإِسْلاَم بترك عملٍ واحد، وإلا فالأصل أن العبد لا ينخلع عن دائرة الإيمان بترك آحاد الأعمال، وإنما ينخلع عنها بترك جنس الإيمان، فجنس الإيمان شرطٌ في صحة الإيمان عند أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وأما عند الوعيدية فآحاد العمل شرطٌ في صحة الإيمان، ومذهبهم باطلٌ ولذلك جنحوا إلى تكفير مرتكب كبيرةٍ واحدة، فإذا كان عند الإنسان جنس العمل وهو مجتهدٌ في الطاعة والعبادة؛ ولكنه وقع في الزنا فهو عند الوعيديةِ كافرٌ لأنه خالف في آحاد العمل.

وهذا لا يقول به أهل السُّنَّةِ -والعياذُ بالله-، لا يقول به أهل السنة مطلقًا، وإنما يجعلون فاعل الكبيرة ناقص الإيمان مع بقاء أصل إيمانه، فلا يعطونه الإيمان المطلق، و لا يسلبونه مطلق الإيمان.

وإنما قدمت بهذه المقدمة ليتعرف الطالب على أن أهل السنة مجمعون على أن

---

(١)أخرجه مسلم كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ برقم ((٨٢))

(٢)أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) النسائي برقم (٤٦٣) وبن ماجه (١٠٧٩) وصححه الألباني (صحيح) - ابن ماجة ١٠٧٩ و[مشكاة المصابيح ٥٧٤]

العمل داخلٌ في مسمى الإيمان، وليعلم الطالب كذلك أن أهل السنةِ مجمعون على أن العمل الذي هو شرطٌ في صحة الإيمان، إنما هو جنس الأعمال لا آحاد الأعمال.

إلا بدليلٍ يدل على خروج العبد إذا خالف في هذا العمل المعين، إذا عملت هذا فنرجع إلى جوابك وفقك الله: وهو أن العلماء -رحمهم اللَّهَ تعالى- قرروا أن العبد لا ينتفع بكلمة التوحيد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ﴾، إلا إذا حقق شروطًا واجتنب موانعًا.

وهذه الشروط عدها أهل السنة ثمانية شروط، وقد جمعها الناظم بقوله، وقد جمعها بعض أهل العلم -رحمهم اللَّهَ تعالى- بقولهم وشروطها:

١. العلم.

٢. والإخلاص.

٣. واليقين.

٤. والقبول.

٥. والانقياد.

٦. والمحبة.

٧. والصدق.

٨. والكفر بالطاغوت.

فلا ينتفع العبد بكلمة التوحيد إلا بالإتيان بهذه الشروط الثمانية، فعندنا شرط

الانقياد هو الذي وقع عليه السؤال، فأقول في بيانه: أعلم أن هناك واجبين على العبد كما بينت في أول الفتيا:

واجب في الباطن.

وواجبٌ في الظاهر.

أما واجب الباطن تجاه هذه الكلمة فهو قبوله مدلولها واليقين بمعناها، وهو شرط القبول وعلى ذلك قول الله عن الكفار في بيان عدم قبول قلوبهم لمدلول ومعنى هذه الكلمة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فقد كانوا يعلمون معناها ولكن قلوبهم ترفض قبول هذا المعنى وتأباه، وقال الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فدل ذلك على أن قبول القلب لمعنى ومدلول هذه الكلمة شرطٌ في صحة الإقرار بها.

ولذلك لما جاء المنافقون عند النبي يشهدون أنه رسول الله، أكذبهم الله في هذه الشهادة لأنها شهادة لسانية، لم تكن منبثقةً من تصديق القلب ولا قبوله، فقال الله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

لماذا كانوا كاذبين؟ لأنها شهادة لسانية لم ينطوي عليها القلبُ، فإذًا واجب الباطنِ تجاه كلمة التوحيد هو قبولها والتصديق بها، واليقين بمعناها ومدلولها، وأما واجب الظاهر فهو: الانقياد، فالانقياد هو الأعمال بمقتضى هذه الشهادة، ولا نعني بالانقياد عمل القلب فقط.

فإن عمل القلب هو: القبولُ والتصديقُ والمحبةُ واليقينُ، وأما واجب الظاهر فهو الانقياد لأن هذه الكلمة يدخل فيها عمل الجوارح، فلا ينتفع الإنسان بقول هذه الكلمة، إلا إذا كان عاملاً بمقتضاها بجوارحه.

وقد سمت الأدلةُ الانقياد بالتسليم قال الله :﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال الله :﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فإقامة الصلاة من مقتضيات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ﴾، وهي عملٌ في الظاهر، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام كلها من مقتضيات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ﴾، وهي من أعمال الظاهر، فإذًا القبول هو: عمل القلب، والانقياد هو: عمل الظاهر.

وأما الأشاعرة: فإنهم يفسرون القبول والانقياد بأنها من أعمال الباطن، ليخرجوا أعمال الجوارح من دائرة الإيمان، وهذا خطأٌ فادح لأنه مبنيٌّ على مخالفة الأدلة الكثيرة من الوحيين المتواترة كتابًا وسنة، في دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

فهذا النقل المذكور نقلٌ خاطئ وهو جارٍ على مذهب الأشاعرة، المبني على إخراج الأعمال عن دائرة الإيمان وجعل الأعمال مجرد شرط كمال، وأما نسبة ذلك لأهل السنة، فإن كان المتكلم سنيًا فهي نسبةٌ أخطأ فيها وضل.

وإن كان المتكلم أشعريًا أَصْلاً فلا جرم أن الأشاعرة يسمون أنفسهم أهل السنة، والمقصود من ذلك أن يعلم السائل أن الحق في تفسير الانقياد: إنما هو

عمل الجوارح الذي هو ركنٌ من أركان الإيمان.

وأما عمل القلب فيسمى: المحبة، التصديق، الانقياد، القبول، وأما الانقياد فإنه عمل الجوارح، ولعلي أوضحت للسائل ذلك، وإن أشكل عليك كلامي هذا، فتشبث من هذه الفتيا بفائدتين وعليهما مدار هذه الفتيا:

الفائدة الأولى: أن أهل السنة متفقون على أن العمل داخلٌ في مسمى الإيمان.

الثانية: بأن جنس العمل شرطٌ في الإيمان لا آحاده إلا بدليلٍ خاص، والله أعلم.، نسأل الله الهدى والثبات عليه والله أعلم.

i

٢٢٧. سُئِل الشيخ عن: من يقول بأن ترك جنس العمل مع الإقرار بوجوبه لا يكفر هل هذا يعتبر من قول مرجئة الفقهاء؟

فأجاب – عفا الله عنه–: هذا من أقوال المرجئة التي دلت الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانها فكون الإنسان يزعم أن أصل العمل واجب ثم يزعم بعد ذلك أن ترك جنس العمل لا يؤثر في نقض الإيمان هذا تناقض في القول كيف تزعم أنه واجب ثم تُجيز للناس أن يتركوه ولا يؤثروا في إيمانهم نقصا، فهذا قول المرجئة فالواجب: الحذر منه، فإن قلت: وما قول أهلة السُنة في مثل هذا؟ فأقول: قول أهل السُنة والجماعة: أن الإيمان مبني على ثلاث ركائز: على اعتقاد الجنان وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان.

والمتقرر عند أهل السُنة والجماعة: أن العمل الذي هو شرطٌ في صحة الإيمان هو جنس العمل لا آحاد العمل إلا بدليلٍ يدل على أن من ترك هذا العمل

المُعين فإنه يكفر كالصلاة وغيرها مما دلت الأدلة على أن من تركه فإنه يكفر، وإلا فالأصل: أن جنس العمل هو الشرط في صحة الإيمان، فأما أن ينطق الإنسان الشهادتين ثم بعد ذلك لا يوجد عنده جنس العمل فإن هذا لا يعتبر مؤمنا، فالذين ندين الله عَزَّوَجَلَّ به أن جنس العمل شرطٌ في صحة الإيمان، وأما آحاد العمل فإنها شرطٌ في كمال الإيمان، فإن كانت واجبةً فهي شرطٌ في كماله الواجبة، وإن كانت مندوبة فهي شرطٌ في كماله المندوب المستحب إلا ما دل الدليل على أن من تركه فقد كفر كالصلاة، فإن من ترك هذا العمل بعينيه فإنه كافرٌ إذا كان تركه له هو الترك المُطلق، فلابد أن نعرف الحق ولابد أن نعرف الباطل حتى لا نقع فيه.

فالباطل: هو من يزعم أن جنس العمل ليس بشرط، والحق: هو من يقول بأن جنس العمل شرطٌ في الإيمان لا آحاده إلا بدليلٍ خاص، والله أعلم.

i

٢٢٨. سُئِل الشيخ :كيف نرد على المرجئة الذين يستدلون على مذهبهم بحديث صاحب البطاقة وحديث ﴿يدخل الجنة كل من قال لا إله الا الله وإن لم يعمل خيرًا قط﴾ فيقولون إن هذه الأحاديث صريحة بأن الإيمان قول فقط بلا عمل؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن ﴿المطلق يبنى على المقيد﴾ فهذه الأحاديث وردت مطلقة فيجب علينا أن

نبنيها على الأحاديث التي تماثلها في الحكم والسبب وقد وردت مقيدة فالذي يقول: لا إله الا الله سيدخل الجنة حتمًا سواء أكان دخولاً ابتدائيًا أو دخولاً انتقاليًا ولكن وردت لنا أدلة في تقييدها فمن ذلك حديث مسلم: (فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)[١] فزادت شرط اليقين، وورد أحاديث بشرط آخر: يَا مُعَاذُ. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا)[٢] فهذا شرط آخر، ووردت أحاديث تقول: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)[٣] فزادت شرطًا ثالثًا، وفيه أدلة تقول: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] أي قال لا إله إلا الله عالمًا بها وفي صحيح مسلم من حديث عثمان قال: قال النبي ﷺ: (من مات وَهوَ يعلمُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ دخلَ الجنَّةَ)[٤] فهناك أحاديث قيدتها باليقين وقيدتها بالإخلاص وقيدتها بالمحبة وقيدتها بالصدق فلا يجوز لنا أن ننظر في هذه المسألة إلى الأدلة المطلقة متعامين عن الأدلة التي تقيدها فإن المتقرر بإجماع العلماء أن (المطلق يبنى على

---

(١) صحيح مسلم في الإيمان بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحَرُمَ عَلَى النَّارِ برقم (٣١)

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في العلم بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا برقم (١٢٨)ومسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا رقم ٣٢

(٣) صحيح البخاري في كتاب العلم بَابُ الْحِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ برقم (٩٩))

(٤)أخرجه مسلم برقم (٢٦)

المقيد إذا اتفقا في الحكم والسبب) ومن ذلك حديث البطاقة فإن هذا الحديث من الأحاديث التي وردت مطلقة فلابد من تقييده بالأحاديث الأخرى فلا حق للمرجئة أن يستدلوا بهذا الحديث على إخراج العمل عن دائرة الإيمان لأن هناك أدلة أخرى تقيده، هذا جوابنا الأول: وهو أننا نبني الأحاديث المطلقة في كلمة لا إله إلا الله على الأحاديث التي وردت مقيدة ولذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى: بأن قول لا إله إلا الله لا ينتفع به صاحبه إلا إذا استوفى شروطه وترك موانعه كما قال أهل السُّنَّة والجماعة،

وشروطها سبع إليك بيانها العلم والإخلاص للرحمن

وكذا المحبة واليقين قبولها والصدق والتسليم يا إخواني

ويزاد كفرك بالطواغيت التي عمت بها البلواء في الأوطان.

فهذه قيود يجب تقييد المطلقات في هذه المسألة بها وهناك جواب آخر وهو أنه لا يجوز لنا أن نحمل الأدلة ما لا تحتمل فإن الأدلة قصراها أن تثبت دخول من قال لا إله إلا الله الجنة ونحن نجزم ونقسم بالله العلي العظيم أن كل من مات على لا إله إلا الله فإنه سيدخل الجنة، ولكن هل هذه الأحاديث المطلقة قالت سيدخلها ابتداءً؟ الجواب: لا، هل قالت سيدخلها انتقالاً؟ الجواب: لا، وإنما أطلقت الدخول والأصل ﴿بقاء المطلق على إطلاقه ولا يقيد إلا بدليل﴾ فمن قال إن الأحاديث المطلقة في كلمة التوحيد تدل على أن صاحبها إن مات عليها سيدخل الجنة ابتداءً فقد كذب ؛ لأن كلمة ابتداءً إنما جاء بها من كيسه وإلا فالحديث إنما اقتصر على أنه سيدخل الجنة وهو الذي يؤمن به أهل السُّنَّة والجماعة بأن ﴿كل من مات ومعه أصل الايمان والإسلام فإنه سيدخل الجنة

﴿إما ابتداء إذا غفر الله له ذنوبه وتجاوز عنه، وإما انتقالا بعد دخوله للنار﴾ فإن طائفة ممن يموت على -لا إله إلا الله- سيدخلون النار بسبب ذنوبهم ثم يخرجون منها إلى الجنة كما في الصحيح من حديث أنس قال: قال النبي ﷺ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ شَعِيرَةً)[1] فأثبت أنه دخل النار ثم خرج منها إلى الجنة، إذن نهاية من مات على لا إله إلا الله أنه سيدخل الجنة إما ابتداءً إذا غفر الله له وإما انتقالاً إذا انتهت فترة عذابه أو أذن الله عَزَّوَجَلَّ فيه بالشفاعة ثم قال ﷺ: (ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مِن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وكانَ في قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ ما يَزِنُ ذَرَّةً)[2] فلابد أن ننظر إلى الأدلة الواردة في المسألة كلها حتى نخرج بالنتيجة الصحيحة والخلاصة أن كل من استدلَّ من المرجئة بالأدلة المطلقة في هذه المسألة فإننا نجيب عنه بجوابين:

الجواب الأول: أن هذه الأدلة المطلقة ورد ما يقيدها والواجب ﴿حمل المطلق على المقيد للاتفاق في الحكم والسبب﴾.

الجواب الثاني: أننا نقول بأن كل من -قال لا إله إلا الله -ومات عليها فإنه سيدخل الجنة ولكن نترك نوع الدخول إلى مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء غفر له وأدخله الجنة ابتداءً فصدق عليه أنه دخل الجنة وإن شاء الله عذبه في النار ثم يدخله الجنة انتقالاً فيصدق عليه أنه دخل الجنة والله أعلم.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (٧٤١٠) ومسلم برقم (١٩٣)

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري برقم (٧٤١٠) ومسلم برقم (١٩٣)

٢٢٩. سُئِلَ الشيخ: هل يكفر تارك جنس العمل بالكلية متعمدًا؟ وهل يكفر تارك جنس العمل بالكلية لعذر؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد: المتقرر في القواعد أن ركائز الإيمان اعتقاد الجنان وقول اللسان وجنس الأعمال بالجوارح والأركان. فإذا كان الإنسان تاركًا لجنس العمل فإنه لم يدخل في مسمَّى الإيمان ويعتبر كافرًا. فإنه لابد في صحة الإيمان أي في صحة أصل الإيمان من وجود جنس العمل. فجنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحاده إلا بدليل كما تقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة والجماعة وإذا كان تركه لجنس العمل ترك عمد وإصرار فلا جرم أنه يعتبر كافرًا، وأما من ترك جنس الأعمال عن عذر وعدم قدرة فإنه لا بأس عليه لأن المتقرر في القواعد أن التكاليف الشرعية منوطة بالقدرة على العلم والعمل فلا تكليف إلا بعلم ولا عقوبة إلا بعد إنذار. ولذلك في حديث حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :(يدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وَشيُ الثَّوبِ حتَّى لا يُدرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدَقةٌ، ولَيُسرى على كتابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ في ليلَةٍ، فلا يبقى في الأرضِ منهُ آيةٌ، وتبقَى طوائفُ منَ النَّاسِ الشَّيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولونَ: أدركْنا آباءَنا على هذِهِ الكلمةِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فنحنُ نقولُها فقالَ لَهُ صِلةُ ما تُغني عنهم لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَهُم لا يَدرونَ ما صلاةٌ ولا صيامٌ، ولا نسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرضَ عنهُ حُذَيْفةُ، ثمَّ ردَّها علَيهِ ثلاثًا، كلَّ ذلِكَ يعرضُ عنهُ حُذَيْفةُ، ثمَّ أقبلَ علَيهِ في الثَّالثةِ، فقالَ: يا صِلةُ تُنجيهِم منَ النَّارِ ثلاثًا)[١].

يدرُسُ الإسلامُ: أي يتلاشى وينتهي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٤٩) وصححه الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة: ٨٧

فهؤلاء قوم سيكونون في آخر الزمان عند ارتفاع العلم وانتشار الجهل. فيتركون كثيرًا من جنس الأعمال ومع ذلك شهد الدليل بأنهم من أهل الجنة؛ لأن تركهم للعمل ليس ترك تعمد وإباء واستكبار؛ وإنما كان ترك عذر. فمن ترك جنس الأعمال تعمدًا فهو كافر، ومن ترك جنس العمل عن عذر يعلمه الله عَزَّوَجَلَّ منه فإنه لا بأس عليه ولا حرج والله أعلم

i

٢٣٠. -سُئِلَ الشيخ: الصدق شرط من شروط لا إله إلا الله، فكيف نُطبق هذا الشرط في حياتنا اليومية؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، من المعلوم أن الصدق من شروط لا إله إلا الله، فلا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ هذه الكلمة إلا إذا نطق الإنسان بها صادقًا، وهذا الصدق ينقسم إلى قسمين، إلى صدق قلبي باطني، وإلى صدق عملي ظاهري، فأما الصدق القلبي: فهو أن ينطق الإنسان بها وهو صادق في قولها، غير مجامل بها ولا بمخادع كمخادعة المنافقين فيها، فإن المنافقين كانوا يأتون إلى النبي ﷺ فيقولون ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾(المنافقون - ١) فرد الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ أي أن أصل الرسالة ثابتة سواء شهدوا أو لم يشهدوا، ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون - ١) فهم كاذبون في النطق بها لأنه نطق لساني عن غير تصديق ولا قبول قلبي، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾(الزمر - ٣٣) أي جاء بلا إله إلا الله وصدق بها، فلا يكتفي الله عَزَّوَجَلَّ بالمجيء بلا إله إلا الله مجيئًا ظاهريًا نطقًا لسانيًّا، حتى تكون نابعة من قلب مصدق، بمعنى أنك تصدق أنه لا يستحق العبادة أحد في هذا الكون

إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فليس في الكون إله يعبد بالحق إلا ربنا ويقصد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في بيان هذا المعنى الذي يجب أن يصدق القلب به ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ الْبَٰطِلُ﴾(الحج - ٦٢) هذا هو المعنى الذي يجب على القلب أن يصدق به، وأما الصدق الظاهري: فهو العمل بمقتضيات هذه الكلمة، فالذي ينطق بها ولا يزال يعبد الصنم فإنه كاذب في قولها، والذي ينطقها ولا يزال يسجد للشمس أو القمر فإنه كاذب في قولها، والذي ينطق بها ولا يزال واقعا في شيء من أمور الشرك الذي ينقض أصلها أو ينقص كمالها الواجب فهو كاذب في النطق بها، حتى وإن رددها بلسانه مائة مرة، فإن علامة صدق القلب انقياد الجوارح، وأعظمنا تصديقا بقلبه لهذه الكلمة هو أعظمنا انقيادًا لمقتضياتها، فإذا كان القلب مصدقًا بها باطنًا، والجوارح منقادة بالعمل بمقتضياتها ظاهرًا، فحين إذ يكون الإنسان صادقا إذا قال -لا إله إلا الله- فهو صدق باطني قلبي وهو الاعتراف الجازم الذي لا يخالطه شيء من الريب ولا الشك بصدق هذه الكلمة وصحتها وصحة مدلوليها، وصدق عملي ظاهري وهو القيام بمقتضياتها، والله أعلم.

i

٢٣١. - سُئِلَ الشيخ: ما حكم من ترك العمل كسلاً بالكلية مع ﴿الاستطاعة﴾؟ وهل يكون هذا التارك مؤمنا..؟

فأجاب - عفا الله عنه-/الحمدلله رب العالمين، المتقرر في القواعد عن أهل السُّنَّة والجماعة أن جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحادها إلا بدليل، فإذا ترك الإنسان جنس الأعمال فلم يعمل بعد النطق بالشهادتين بشيء من ما يتعلق

بأعمال الشريعة من صلاة أو صيام أو حج أو عمره أو غير ذلك فيكون قد ترك العمل تركاً مطلق حتى وإن كان ترك كسل أو تثاقل، المهم أنه لم يؤيّد النطق بالشهادتين بشيء من الأعمال فيكون تاركاً لجنس العمل فلا يكون ذلك مؤمناً ولا موصوفاً بأنه مؤمن وذلك لتلازم الباطن مع الظاهر ؛ فلو كان إيمانه ونطقه بالشهادتين كان عن إيمان باطني، فلابد وأن يصدر لهذا الإيمان شيء من الآثار الظاهرية أما وقد انقطع العمل في الظاهر انقطاع مطلق وترك العمل الترك المطلق وترك جنس الأعمال الترك المطلق فلا جرم أنه لا يوصف بإيمان ولا يوصف بإسلام بل لا يزال على كفره -والعياذ بالله- فلا يكفي في الإسلام في ما بينك وبين الله أن تنطق بالشهادتين بل لابد أن تنطق بالشهادتين وأن تعمل ولو شيئاً من الأعمال الشرعية فإن الإيمان عند أهل السنة اعتقاداً بالجنان ونطق باللسان وعمل بالجوارح والأركان فكل من ترك جنس الأعمال فلا يوصف بالإيمان والإسلام والله أعلم.

i

٢٣٢. -سُئِلَ الشيخ عن: أن أحد المشايخ في أثناء شرحه على الأصول الثلاثة قال: لو جاءنا كافر وأراد الدخول في الإسلام هل يكفي أن يقول أشهد أن لا اله إلا الله بلسانه؟ يقول: والله ما يكفي لابد من قول وعمل واعتقاد يقول فهل كلامه صحيح؟ خاصة أنَّه مخالفٌ لصريح الأحاديث وفعل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم - وإنكاره على أسامة بن زيد عندما قتل ذلك الذي قال لا اله إلا الله

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد..

جواب هذا السؤال هو بالتفريق بين الإسلام والإيمان في حال اجتماعهما وافتراقهما، فإذا ذكر الإيمان وحده دخل معه الإسلام تبعًا، وإذا ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان تبعًا، وإذا ذكرا جميعا فإن الإسلام يأخذ حكم الأعمال الظاهرة والإيمان يأخذ حكم الأعمال الباطنة، فإذا جاء الكافر ونطق بالشهادتين فهل نحكم له بالإسلام الظاهر؟

الجواب: نعم. وهكذا كان النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يحكم على كل من نطق بين يديه بالشهادتين بأنه مسلم في الظاهر؛ ولكن لا يجوز لنا مباشرة بعد نطقه بالشهادتين أن نحكم بأنه مسلم الإسلام المقابل للإيمان؛ بمعنى أنه لم يزل بعد لم يحقق شيئا من شرائع الإيمان إلا النطق بالشهادتين فقط، ولكن الإيمان لا تزال جذوته ترقى في قلبه ويزيد ضوؤها مع فعله للشرائع بعد الإسلام يوصف بالإسلام ولما يدخل الإيمان قلبه بعد لأنه بعد ذلك سوف يصلي وسوف يصوم وسوف يزكي وسوف يتصدق وسوف يقوم بشعائر الدين والعبادات التي تنير جذوة الإيمان في قلبه ولذلك لما شهد الأعراب لأنفسهم بأنهم مؤمنون بعد النطق بالشهادتين مباشرة أنكر الله عَزَّوَجَلَّ عليهم ذلك بقوله ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾الحجرات: ١٤

هذا فيما إذا اجتمع الإسلام والإيمان في موضع واحد، وبناءً على معرفة هذا التفصيل فأقول أنت صادق والشيخ الشارح صادق لكن باعتبارين مختلفين وهي أنك إنما تريد إثبات وصف الإسلام لمن نطق بالشهادتين ولا تقصد

وصف الإيمان الكامل والشيخ إنما يريد وصف الإيمان الكامل، وليس يقصد أنه لا يدخل في الإسلام أصالة هذا لم يقل به أحد من أهل العلم أبدًا، فقد أجمع العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة بل الفقهاء قاطبةً على أن كل كافر نطق بالشهادتين فيحكم له بالإسلام في الظاهر، وأما في إيمانه الباطن فإن هذه تزيد كلما ترقى في مراتب الدين والإيمان والإحسان، فأنت استنكر قلبك ظنًا منك أن الشيخ يقول لم يدخل في الإسلام أصالة، والشيخ لا يقصد ذلك وإنما لم يدخل في وصف الإيمان، ولكن يثبت له الإسلام بمجرد النطق بالشهادتين فالشيخ يريد شيئًا وأنت تريد شيئًا أخر ولعلك فهمت. والله أعلم .

i

٢٣٣. - سُئِلَ الشيخ: سمعت منكم بقول العمل ركن في الإيمان وترك جنس العمل كفر، وسمعت أيضًا في موضع آخر تقولون أن من مات على لا إله إلا الله أي على الشهادتين فقط دون عمل ﴿كما فهمت﴾ فإنه سيدخل الجنة ابتداءً إن غفر الله له أو انتقالاً بعدما يقضي فترة عذابه، فهل هذا تعارض إذ لو أنه كافر بترك العمل فإنه سيخلد في النار؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لقد خلطت وفقك الله - بين مسألتين: المسألة الأولى: هل العمل ركن في الإيمان أو لا؟ وقد أجبت في فتاوى متعددة بأن جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحادها إلا بدليل، فالإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة مبني على ثلاث ركائز: قول اللسان واعتقاد الجنان وجنس العمل بالجوارح والأركان. وأما المسألة الثانية: فهي من مات على أصل التوحيد أي مات على أصل -لا إله إلا الله- فإذا مات الإنسان ومعه أصل الإسلام وأصل الإيمان فإن مآله إلى الجنة وإن عُذب في النار بعد ذلك

إذا لم يغفر الله عَزَّوَجَلَّ له، فإذا ارتكب الإنسان كبيرة ثم مات مصرًا عليها فإنه يموت ومعه أصل الإيمان والإسلام فحينئذٍ يكون تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ فإن شاء الله أدخله الجنة ابتداءً وغفر له وإن شاء عذبه في النار ثم يخرجه منها إلى الجنة انتقالاً. ففي المسألة الأولى نقرر أن جنس الأعمال ركن، وفي المسألة الثانية نقرر حكم من مات على شيء من الذنوب والمعاصي، فلا تخلط بين المسألتين، وفقك الله والله أعلم.

i

٢٣٤. سُئِلَ الشيخ: ما معنى أن الإيمان يزيد بالكم والكيف مع ذكر الأمثلة ليتضح المقال؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، الذي أعلمه من عبارات أهل العلم –رحمهم الله تعالى– في هذه المسألة أنهم يقولون: والإيمان يزيد وينقص، فيزيد إذا تحققت أسباب زيادته وينقص إذا تحققت أسباب نقصه، وقد دلت الأدلة على ذلك وأجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة فيما أعلم والله أعلم ..

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[مريم:٧٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[الفتح:٤].

وكذلك دلَّت الأدلة أيضًا على أنه ينقص كما في قوله ﷺ: (وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)(١).

ولمسلم من حديث أبي سعيد أيضًا في حديث إنكار المنكر باليد واللسان

---

(١) رواه الإمام مسلم برقم (٥٠) - من حديث ابن مسعود

والقلب قال في أخره: (وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ)[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال للنساء يوم العيد: (أَلَيْسَ إِحْدَاكُنَّ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا)[٢].

فإذًا دلت الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، وقد ذكر العلماء من أسباب زيادة الإيمان معرفة الله عَزَّوَجَلَّ - بمقتضى أسمائه وصفاته، وتدبر آياته الكونية، والشرعية، وفعل الطاعة، وترك المعصية، وضد كل واحد منها سبب من أسباب النقصان فعدم معرفة الله سبب من أسباب نقص إيمان الإنسان، وعدم تدبر آيات الله الكونية والشرعية أيضًا سبب من أسباب النقص، وعدم فعل الطاعة وفعل المعصية من أسباب نقص الإيمان.

وأما قول السائل: كيف يزيد الإيمان بالكم والكيف؟

ففي الحقيقة أنا لا أعلم هذه الكلمة ما مقصودها، وإنما الذي أعرفه من أهل السُّنَّة أنهم يعبرون عن هذه المسألة بقولهم: الإيمان يزيد وينقص، قال الناظم:

إيماننا عقدٌ وقولٌ هكذا *** عملٌ فتلك ركائزُ الإيمان

ويزيد بالطاعات إن قُبِلَت كذا *** ك ويعتريه النقص بالعصيان

فمن ألف في هذه المسألة من أهل السُّنَّة في كتب الاعتقاد وإنما قال: يزيد وينقص. وأما مسألة أنه يزيد بالكم والكيف أو ينقص بالكم والكيف؟ فهذه

---

(١) أخرجه الإمام مسلم برقم (٤٩)

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤) ومسلم برقم (٧٩، ٨٠)

لا أدري ما مقصود السائل بها ولا أعلمها عن أحد مما قرأت مؤلفه في كتب الاعتقاد. ولا ينبغي للإنسان أن يعبر في مسائل الاعتقاد إلا بما عبر به أهل السُّنَّة والجماعة، فنقتصر على قولنا الإيمان يزيد وينقص، ونحرص على البحث عن أسباب زيادته وأسباب نقصه ؛حتى نفعل الأولى ونحذر من الثانية. والله أعلم ....

i

أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر

٢٣٥. - سُئِلَ الشيخ: هل قول الكافر أنا مسلم يدخله في الإسلام وقد حكي ابن تيمية الإجماع على ذلك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، أما الإجماع الذي نقله أبو

العباس بن تيمية فلا جرم أنه إجماعٌ صحيح، وهو إجماعٌ مستندٌ إلى الأدلة الصحيحة الصريحة، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)[١].

وفي صحيح الأمام مسلم يقول النبي :(مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ)[٢].

ولا نعلم في ذلك خلافًا بين أهل العلم -رحمهم الله-؛ ولكن المقصود من هذا الكلام أنه ليس عينُ النطق بالشهادتين فقط، بل النطق بالشهادتين من الألفاظ الصريحة صراحةً لا تحتمل شيئًا أخر، في أن هذا الناطق به قد دخل في الإسلام.

ولكن كل عبارةٍ تقوم مقامها، فإنه تنزل منزلتها كقول الإنسان: إني مسلمٌ أو قوله: أسلمت لله، فإنه إذا قال ذلك فإنه يحكم له بالإسلام، لأنه لا يقول ذلك إلا معترفًا بما تضمنته شهادة التوحيد والإقرار بها.

ويدل على ذلك ما في الصحيحين من حديث المقداد بن الأسود، قال: قلت يا رسول الله: (أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يَدِي بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ فقال: أسلمت لله، أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تقتله). فقال: يا رسول الله إنه قطع

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥) ومسلم برقم (٢٢)

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣)

إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قطعها؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أن تقتله، وإنك بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ) (١)

والشاهد منه أن هذا الرجل كان كافرًا، ثم قال: أسلمت لله فاعتمد النبي كلمته هذه في الحكم له بالإسلام؛ ولم يأمر ونهى المقداد عن قتله أو التعرض له بعد كلمته هذه.

فهذا دليلٌ على من قال: أسلمت لله، أو أنني مسلمٌ أو أنني مقرٌ بأن الله هو الإله الحق، أو إذا صلَّى عند جمعٍ كبير عند جمع من أهل العلم أَيْضًا، إذا دخل مع المُسلمين في صلاتهم، أو إذا أذن فإن هذه الأفعال تدل على أنه قد دخل في الإسلام.

فالإجماع المحكي عن أبي العباس في أن النطق بالشهادتين شرطٌ في الدخول في الإسلام؛ هذا إجماعٌ صحيح.

ولكنه ليس إجماعًا ينفي ما عداه من الحكم بالدخول في الإسلام بكل كلمةٍ تنمُ عن إفراد الله بالوحدانية،

وشهادة الإنسان لنفسه بأنه مسلم.

فإذا قال: ﴿أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ، فقد دخل في الإسلام حتى وإلا لم يقل: وأن محمد رسول الله﴾، وإذا قال أَيْضًا: إنني أسلمتُ لله فقد دخل في الإسلام، وكذلك إذا أذَّن على قول جمعٍ من أهل العلم أَيْضًا يحكم له بالإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب: شهود الملائكة بدرا برقم (٣٧٩٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله رقم: ٩٥

وكذلك فيما لو صلَّى أَيْضًا يحكم له بالإسلام، فما كان في معنى الشهادتين فإنه يأخذ حكمها. والله أعلم.

i

٢٣٦. سُئِلَ الشيخ: هل تكفير شارب الخمر قول الخوارج؟ وإذا كان كذلك ؛ فالشخص الذي يشرب الخمر غالبا أنه لن يصلِّي بسبب شربه الخمر وسيترك الصلاة فيكون كفر من هذا الباب فهل هذا صحيح؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد رب العالمين وبعد.. :

المعروف من مذهب الوعيدية من الخوارج والمعتزلة أنهم يكفِّرون بارتكاب الكبيرة، سواءً استحلها المرتكب أو لم يستحل فليس من شروط التكفير بالكبيرة عند الوعيدية من الخوارج والمعتزلة استحلالها وبناءً على ذلك فكل من ارتكب كبيرة فإنه يعتبر كافرًا خالعًا ربقة الإسلام من عنقه أيًّا كان نوع هذه الكبيرة؛ وهذا مذهبهم بل هو من جملة أصول المعتزلة الخمسة، وهي التكفير بالكبيرة، وأما قولك بأنه إذا شرب الخمر ترك الصلاة فيكون الخوارج قد كفَّروه من باب التكفير بالمألات فهذا اعتذار لهم في هذا التكفير وليس بصحيح. فليس كل من شرب الخمر يترك الصلاة، فكم من شارب للخمر لا يترك الصلاة فلا ينبغي لك أن تعتذر لهم في هذا التكفير، لأن تكفيرهم كان عن عقيدة، فتكفير الخوارج لمرتكب الكبيرة ليس من باب التكفير بالمألات وإنما من باب التكفير بذات الكبيرة، والله أعلم

i

٢٣٧. ما حكم مدح المحرمات كمن يمدح أغنية ما؟ وهل هذا من الاستحلال

المنهي عنه؟

الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد، فإذا كان مدحه لهذا الأمر المحرم مدح إعجاب بمعنى أنه توافق مع شهوته وهواه مع اعتقاده كمال تحريمه فإنه يعتبر مرتكبا لأمر محرم لأن مدح الباطل يعتبر تزيينا وزخرفة له ودعوة للناس لارتكابه، وأما إذا كان مدحه لهذا الباطل مدح استحلال وقد تواترت الأدلة على تحريمه ولم يختلف العلماء فيه فإن هذا يعتبر ردة عن الإسلام، لأن كل من استحل معلوم من الدين بالضرورة حرمته فإنه كافر، ولكن هذا أقوله في المحرم المتفق على تحريمه أو المحرم الذي تواترت الأدلة على تحريمه، وأما إذا كان من المحرمات المختلف فيها فإن هذا الأمر لا يوجب ردته ولكن يوجب وقوعه في تزيين الباطل، وبالتفصيل بين الأمرين يزول الإشكال إن شاء الله، وخلاصتها أنه إذا كان مدح إعجاب لتوافقه مع طبعه وهواه وشهوته.... فهذا محرم لما يتضمنه من زخرفة الباطل وتزيينه وتزويقه ودعوة الناس لارتكابه، وأما إذا كان مدحه لهذا المحرم (مدح تحليل) يعني مدح استحلال فإن كان من المحرمات المختلف فيها فلا حق لنا أن نحكم عليه بالردة أو الكفر وإن كان من المحرمات المتفق على تحريمها ومما تواترت الأدلة على تحريمه فلا جرم أن من مدحه مستحلا له يعتبر كافرا والله أعلم.

i

٢٣٨. سُئِلَ الشيخ: ذكرتم وفقكم الله أن ما كان كفرا بالذات فلا يشترط استحلال صاحبه للفعل كي يكفر بخلاف ما لم يكن كفرا بالذات فهل يوجد ضابط نعرف به من الكفر بالذات وما ليس كفرا بالذات بالدليل؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين الضابط في ذلك هو ثبوت الدليل بأن هذا الفعل كفر فكل دليل دل على أن هذا القول أو هذا الفعل من جملة الكفر فإننا لا نشترط للتكفير فيه استحلاله فكل من فعله وثبتت في حقه الشروط وانتفت في حقه الموانع فإننا نكفره سواء استحله أو لم يستحله وأما الذنب الذي أثبت الدليل أنه ذنب ولكن لم يثبت دليل آخر بأنه كفر فإننا لا نكفر صاحبه بمجرد فعله إلا إذا استحله استحلال عقيدة وقلب أي استحلال الباطن فالضابط في ذلك وفقك الله ثبوت الدليل بأن هذا كفر فكل دليل دل على أن هذا الذنب كفر فإننا نطبق عليه عدم الاستحلال وأما الأدلة التي اثبتت أن هذا ذنب ولكن لم تثبت كونه كفرا فحينئذ لا يجوز أن نكفر به إلا بالاستحلال فالضابط في ذلك هو ثبوت الدليل بالكفر أو عدمه والله أعلم.

i

٢٣٩. سُئِلَ الشيخ: عن قاعدة ما لم يكن كفرا بالذات فلا يكفر المسلم سواء فعله أم لم يفعله إلا إذا استحله فهل هذه القاعدة مجمع عليها عند أهل السُّنَّة والجماعة، وما هو الضابط في تمييز هل هذا كفر بالذات أو ليس كفرا بالذات، لأن الأمر أشكل علي؟. وجزاكم الله خيرا على ما تقدمون، وأنا من خارج المملكة وأنتفع منكم كثيرا وأستمع لدروسكم، وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يشرح صدوركم ويوفقكم لكل خير.

فأجاب – عفا الله عنه–: آمين، بارك الله فيك يا أخي، أقول وبالله التوفيق، أجمع علماء أهل السُّنَّة والجماعة على أن الإنسان بمجرد فعل الكبيرة لا يخرج عن دائرة الإسلام بالكلية إلا إذا استحلها، فإذا فعل الإنسان الزنا فإنه لا يكفر بمجرد فعله للزنا إلا إذا كان مستحلا للزنى، وإذا فعل الإنسان السرقة أو شرب الخمر فإنه لا يكفر بمجرد فعلها إلا إذا كان مستحلا لشرب الخمر وللسرقة، فنحن نشترط الاستحلال في التكفير إذا كان الذنب كبيرة من الكبائر، فلا يجوز لنا أن نُخرج الإنسان عن دائرة الإسلام بالكلية بمجرد اقترافه لكبيرة مع اعتقاده أنها حرام، لكن متى ما استحل قلبه فعلها استحلالا عقديا باطنيا فإنه يعتبر كافرا سواء فعلها أو لم يفعلها، فلو أن الإنسان سرق مرارا وهو يعتقد التحريم، فإنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب ولكن لا يكفر بمجرد السرقة، وأما إذا اعتقد الإنسان أن السرقة حلال فإنه يعتبر مرتدا كافرا وإن لم يسرق مرة واحدة، وبناء على ذلك فاحفظ منا هذه القاعدة لا تكفير بفعل كبيرة إلا مع الاستحلال، ونقصد بالاستحلال أي الاستحلال العقدي القلبي لا الاستحلال العملي بطول فعل هذه المعصية، فإن من الناس من يشرب الخمر سبعين سنة فعنده استحلال عملي لها، لكن لو سألته عن الاستحلال القلبي لقال إنها محرمة وليست بحلال، أظنك فهمت هذا،

وأما قولك وما الضابط بين الذنب الذي هو كفر بذاته، وبين الذنب الذي هو كبيرة، فأقول الضابط في ذلك شهادة الدليل، فالدليل متى ما شهد بأن هذا الذنب من الشرك أو أن هذا الذنب من الكفر، فإننا نُكفر به من غير اشتراط استحلاله، وأما الذنوب التي حكم الشارع بأنها ذنوب ومعاصي ولكن لم يأتي الدليل يدل على أنها من الكفر أو الشرك، فإنها من جملة الذنوب والمعاصي

التي لا يُحكم عليها بأنها شرك، وذلك لأن وصف الذنب بكونه كفرا أو شركا هو وصف أعلى من كونه ذنبا أو معصية، فكل شرك وكفر فهو ذنب، ولكن ليس كل ذنب يعتبر شركاً أو كفرا، فالوصف بالكفر أو الشرك صفة أعلى من وصف الشيء بأنه ذنب أو مخالفة أو بدعة أو معصية، فلا يجوز لنا أن نحكم على الذنوب بأنها كفر لأن الشارع حرمها، فإن الكفر فوق التحريم، بل لا بد أن يأتينا دليل خاص يصف هذا الذنب بخصوصه أنه من الكفر أو الشرك، فحينئذ عرفنا الضابط بين الذنوب التي هي شرك وكفر وبين غيرها من الذنوب وهو ضابط وصف الدليل، والله أعلم.

i

٢٤٠. سُئِلَ الشيخ: عن امرأة مسلمة من إفريقيا أصيبت بمس الشياطين فدخلت في الكنيسة ليدعو لها النصارى فلما سئلت هل تركت دينك الإسلام فأجابت ليس بل أنا مسلمة فلم يمضي مدة طويلة فماتت المرأة السؤال هل تعتبر مسلمة أم كافرة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن اليقين لا يزول بالشك و المتقرر في القواعد أن الأصل هو البقاء على الأصل حتى يرد الناقل و المتقرر في القواعد أن الأصل بقاء ما كان على ما كان و المتقرر في القواعد أن كل من ثبت إسلامه بيقين فإنه لا يجوز الحكم عليه بالخروج عن دائرة الإسلام إلا بيقين آخر وبناء على ذلك فإن الأصل أن هذه المرأة مسلمة في الزمن الماضي فالأصل بقاء إسلامها في الزمن الحاضر والسبب الذي حكم عليها بعض الناس بأنها خرجت بسببه من الإسلام إنما هو أمر مشكوك فيه لا سيما وأنها قد صرحت بأن دخولها في الكنيسة إنما كان لسبب كذا وكذا لا

لأنها ارتدت عن الإسلام وبناء على ذلك فلا يجوز أن نحكم على هذه المرأة المسلمة أنها كفرت بسبب دخولها الكنيسة وطلب دعائها من النصارى فإن هذا ليس من الأسباب المعلومة التي تجعلنا نحكم عليها بالخروج عن دائرة الإسلام بل هو من الأشياء المشكوك فيها ومتى ما شككنا في أمر فان الواجب علينا أن نرد هذا الأمر المشكوك فيه إلى يقينه واليقين أنها مسلمة وبناء على هذا التأصيل والتخريج فإننا نعاملها معاملة المسلمين فنغسلها ونكفنها ونصلي ونقدمها للمسلمين يصلون عليها وندفنها في مقابر المسلمين وإن خلفت ما لا فإن ورثتها من أهل الإسلام يرثونها وندعو لها بعد ذلك بالمغفرة والرحمة عملا بالأصل المتيقن الذي نعلمه منها وهو أنها مسلمة ومن ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز الحكم عليه بالخروج منه لا بيقين أخر والله أعلم .

i

٢٤١ . سُئِلَ الشيخ :هل الرسائل التي يتداولها الناس فيما بينهم تعتبر حجة عليهم؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، إقامة الحجة على الشخص قد يكون بموعظةٍ لفظية وقد يكون بموعظةٍ مكتوبة، فتلك الموعظة المكتوبة أو الرسالة المكتوبة إذا كانت قد كُتبت بطريقةٍ صحيحةٍ.

وأيدت بالأدلة وأيدت بالكلام الطيب والنظرة المشفقة والكلمة الحانية، والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أفضل وأحسن، وكان السامع يفهم هذه

اللغة ويعرف مواقع الأدلة، فلاجرم أنها من جملة ما تقوم بها الحجة.

ولذلك لا يزال أهل العلم-رحمهم اللَّهَ تعالى- يؤلفون الكتب والرسائل، وينشرونها في الأمة وقد كان النبي قبل ذلك يراسل ملوك الأمصار، وأمراء البلدان بالكتاب والرسالة التي يكتب فيها مضمون دعوته، من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والحث على طاعة الله وتقواه.

والعلماء يقولون: إن الحجة تقوم بمثل هذه الرسائل، كرسالته إلى كسرى وإلى قيصر وإلى المقوقس، وكتابته كذلك إلى بعض أمرائه في بعض المناطق الإِسَّلاَمي، كل ذلك مما تقوم به الحجة.

فلا جرم أن الرسائل في مثل هذه التواصل، إذا اشتملت على بعض المواضع المعلومة المفهومة المؤيدة بالأدلة والكلمات الطيبة، وقرأها الإنسان فإن الحجة تقوم عليه بما علمه فيها من العلم.

ولا يلزم أن يبعث رسولٌ جديد حتى تقوم الحجة به، ولا أن يكون هناك مشافهةٌ أو مخاطبة مباشرة حتى تقوم الحجة، فالحجة قد تقوم بالمخاطبة والمشافهة تارة، وقد تكون بالمهاتفة التليفونية تارة، وقد تكون بالمراسلة الكتابية تارة أخرى.

فصور قيام الحجة وأداء الحجة وإبلاغ الحجة، لا يأخذ صورةً واحدة فله صورٌ متعددة، وإنما المقصود أن يصل العلم وأن يصل الخير والموعظة إليه وصولًا صحيحًا لا تشويش فيه.

فأنا أرى والله أعلم أن إرسال المواعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلال وسائل التواصل هو ممن تقوم به الحجة على من أرسلتها إليه، إذا كان قد وقع في خطئٍ، ولا يلزم أن تصل إليه بنفسك إذا كان الوصول إليه غير ممكنٍ،

أو كان ثمة عذرٌ يمنع منه والله أعلم.

i

٢٤٢. سُئِلَ الشيخ: هل هذه العبارة الصحيحة الاستعاذة القلبية بغير الله؟ شرك أكبر مطلقا. علما أن من يستعيذ بحي قادر حاضر لا بد أن يكون في قلبه شيء من الاعتماد.. وإن كان الاعتماد المطلق لله تعالى. يقول فكيف نجمع بين هاذين؟ وجزاكم الله خيرا؟؟

الحمد لله رب العالمين المتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى (أن ما كان يدخل في حيز التعبد فإنه لا يجوز صرفه لغير الله عَزَّوَجَلَّ) فإذا كانت الاستعاذة تدخل في حيز التعبد فإنه لا يجوز صرف شيء منها لغير الله تبارك وتعالى فالاستعاذة التعبدية حق خالص محض لله عَزَّوَجَلَّ لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح فضلا عن غيرهم لكن الاستعاذة ليست في كل جزئياتها تعتبر من التعبدات بل هناك استعاذة لا تدخل في حيز التعبدات وهي الاستعاذة بالحي الحاضر القادر في الأمر الذي يقدر عليه فإذا استعاذ الإنسان بغيره من المخلوقات في أمر يقدر عليه ذلك المخلوق فإنه لا بأس عليه في ذلك.. مع وجوب اعتقاد أن هذا المخلوق إنما هو سبب لا تدبير ولا تصريف له استقلالا. وإنما الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي أقدره على تنفيذ ذلك الأمر الذي تريد الاستعاذة به فيه. فلا ينبغي مع القول بجواز الاستعاذة في هذا الأمر بخصوصه أن تعتقد في من تستعيذ به أنه القادر القدرة المطلقة الابتدائية الاستقلالية على أن يعيذك من الأمر المخوف وإنما هو شيء من الأسباب أجراه الله عَزَّوَجَلَّ في طريقك لينقذك من الأمر المخوف والأمر المرهوب. فكل من استعاذ بغير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي يقدر عليه. المستعاذ

به فإنه لا بأس ولا حرج عليه فيه إن شاء الله. افهمت هذا؟ فإن قلت وما نوع الاستعاذة التعبدية؟ فأقول الاستعاذة التعبدية لها عدة صور:

الصورة الاولى: الاستعاذة المتضمنة لكمال التعبد والاعتراف بكمال قدرة الله عَزَّوَجَلَّ على أن يعيذك من الأمر المخوف فلا جرم أن هذا من الاستعاذة التعبدية التي لا يقدر عليها والتي لا يجوز صرفها إلا لله عَزَّوَجَلَّ

الصورة الثاني: لا يجوز للإنسان أن يستعيذ بميت. لأن الميت وإن استعذت به فإنه غير قادر على تحقيق ذلك الأمر لك.

الصورة الثالث: لا يجوز الاستعاذة بالحي الغائب عنك. لأنك لم تستعذ به إلا لأنك تعتقد أن له تصرفا خفيا أو تدبيرا خفيا استقلاليا في الكون وهذا عين الشرك.

الصورة الرابعة: الاستعاذة بغير الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله. فكل من استعاذ بميت فهو مشرك. وكل من استعاذ بحي غائب عنه. فهو مشرك. وكل من استعاذ بمخلوق في أمر لا يقدر عليه الا الله عَزَّوَجَلَّ وإن كان حاضرا. أي هذا المخلوق فإنه مشرك. وإنما نجيز الاستعاذة بالمخلوق في أمر واحد فقط. وهو في الأمر الذي يقدر عليه المستعاذ به مع وجوب التنبيه على أن من استعذت به في هذا الأمر إنما هو مجرد سبب والله عَزَّوَجَلَّ هو المقدر والمدبر والمتصرف ابتداء استقلالا والله أعلم.

i

٢٤٣. سُئِلَ الشيخ: نرجو التفصيل في الشك المخرج من الملة؟ حيث قد يعرض على المرء الشبهة فتجعله حائرًا ثم يجد الجواب ولله الحمد فهل تضره؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربِّ العالمين وبعد لايضره ذلك الشك الذي يكون في بعض الجزئيات إذا طلب الإنسان ما يفك هذا الشك عنه فالشك لا يرجع إلى أصل الإعتقاد وإنما يتعلق بشيء من فروعه وجزئياته فهو لا يشك في أصل وجود الله عَزَّوَجَلَّ ولا يشك في أصل وجود الملائكة ولكن قد يتعلق بوجود الله عَزَّوَجَلَّ جزئيات يحصل فيها الشك فإذا كان الشك لا يتطرق إلى أصل الإعتقاد الذي ينقضه من أساسه وإنما كان الشك في أطرافه وجزئياته فإنه لا يعتبر ناقظًا للتوحيد إذا كان الإنسان يسعى إلى ما يفك ذلك الإشكال عنه ثم أضف إلى هذا وفقك الله إلى أنَّ الشك الذي يعتبر ناقضًا هو الشك الذي يصدق الإنسان بنتائجه وأما الشك الذي يرفض نتائجه ويسعى إلى ما يجتثه من قلبه فهذا مجاهد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ولكنَّ الشك الذي يطرأ على الإنسان في وجود الله ثم يرضى به أو الشك الذي يطرأ على الإنسان في وجود الملائكة ثم يرضى به ويستسلم له ويذعن لنتائجه ويعمل بمقتضاه فهذا هو الشك الذي يعتبر ناقضًا من نواقض الدين وبناءً على ذلك فلابد أن تعلم عدة نقاط النقطة الأولى: إذا كان الشك في أصل الاعتقاد فإنه يعتبر ناقضًا وأما الشك الذي يكون في فروع الاعتقاد وجزئياته ومكملاته فلا يعتبر ناقضًا

اثنين: أن الشك الذي يعتبر ناقضًا هو ذلك الشك الذي يستسلم الإنسان لنتائجه ويرضى بها وأما الشك الذي لا يرضى بنتائجه ويجاهدها ويحاول أن يكثر السؤال عنها حتى يجتث أصول الشك من قلبه فهذهِ مجاهدة يؤجر الإنسان عليها وأنا أضرب لك مثلاً وفقك الله حتى يتضح لك المقام في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ قال: (إِنَّ رَجُلاً

حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَوْ رَاحٍ فَجَمَعَهُ اللهُ فَقَالَ لِمَ فَعَلْتَ قَالَ خَشْيَتَكَ فَغَفَرَ لَهُ)[١] الآن هل شك هو في أصل القدرة أو في بعض متعلقات القدرة؟ الجواب في بعض متعلقاته إذ لو كان لا يؤمن بالبعث أساسًا فلم يحرقونه؟ ولو لم يكن يؤمن بأصل قدرة الله وأصل إتصاف الله بقدرته فلم يوصي بنيه بأن يحرقوه؟ لكن لما كان مؤمنًا بأن هناك بعثًا وأن هناك قدرة فأراد هو أن يفعل صفة يظن أنه إن فعلها فسيعجز قدرة الله أو بعثه بهذه الصفة فالشك ليس في أصل البعث وإنما في بعض متعلقاته وليس في أصل القدرة وإنما في بعض متعلقاتها فلم يكن شكه هذا مخرجًا له عن ملة الإسلام هذا على بعض تفسيرات أهل العلم وتخريجاتهم لهذا الحديث والتي تعجبني، ومنها كذلك حديث عائشة (قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، قَالَ: (نَعَمْ. [٢]) فهل هي شكت في أصل العلم ولا في بعض متعلقاته؟ الجواب في بعض متعلقاته فأجابها النبي ﷺ

وكذلك بعض الإشكالات التي تسأل عنها عائشة أو يسأل عنها أحد الصحابة كما في قول النبي ﷺ من حوسب عذب فأشكل ذلك على عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ) قَالَتْ: فَقُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء برقم (٣٤٧٩) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: ٢٩٣٤، ٢٩٣٥

(٢) أخرجه أجمد في المسند واللفظ له برقم (٣٤٧٩) أخرجه مسلم في الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا رقم: (٩٧٤)

اللَّهُ عز وجل ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٨] فَقَالَ: (يَا عَائِشَةُ ذَاكُمُ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ)[(١)]

فهذا ليس شكًا في أصل الحساب ولا إشكال في أصل وقوع الحساب وإنما في بعض متعلقاته فلا بد أن تفرق بين الشك الذي وقع في بعض المتعلقات والجزئيات والمكملات وبين الشك الذي حصل في أصل الإعتقاد ولابد أن تفرق بين الشك الذي رضي الإنسان نتائجه وعمل بمقتضاها واسترسل معها وبين الشك الذي يرفض متعلقاته ويحاول أن يجتثها من قلبه والله أعلم.

i

٢٤٤. سُئِلَ الشيخ: كيف نفهم هذا القول: ﴿ألا لا إيمان لمن لا صبر له﴾؟ وهو منسوب لعلي.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربِّ العالمين وبعد.

نفهم من هذا القول وما ماثله من خلال قاعدتين مهمتين عند أهل السنة والجماعة لابد أن تفهمها وتحفظها.

القاعدة الأولى: كل فعلٍ نُفِي الإيمان عن تاركه فلوجوبه، وكل فعلٍ نُفِي الإيمان عن فاعله فلحرمته، فمتى ما رأيت الأدلة تنفي الإيمان عن تارك فعلٍ فاعلم أن هذا الفعل من واجبات الإيمان ومما لا يتم الإيمان الواجب إلا به، ومتى ما رأيت الأدلة تنفي الإيمان عن فاعل شيءٍ فاعلم أن هذا الفعل محرمٌ، وأنه يؤثر

---

(١) أخرجه البخاري كتابر العلم باب: من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه برقم (١٠٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب، رقم: (٢٨٧٦)

في كمال الإيمان الواجب، وذلك حديث: (أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)[1]. فتقديم محبة النبي ﷺ على هذه المذكورات من مقتضيات الإيمان الواجب؛ لأن الشارع نفى الإيمان عمن ترك هذا الأمر.

وكذلك قول النبي ﷺ: (وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ)[2] أي: غوائله ودواهيه.

فهذا دليلٌ على أنه يجب عليك أن لا تتصرف التصرف الذي يؤذي جارك ويجعله في ريبٍ وضنة سيئة منك، لأن الأدلة نَفَت الإيمان عمن لم يفعل هذا الفعل، فمتى ما رأيت الأدلة تنفي الإيمان عن تارك شيءٍ من الأفعال فاعلم أن هذا الفعل من الواجبات.

وعلى ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ)[3]، فهذا دليلٌ على أن الأمانة ورعايتها وحفظها وأداءها إلى أهلها من الواجبات، لأن الشارع نفى الإيمان عن تارك هذا الفعل، فالذي لا أمانة له هذا قد فوَّت واجباً من مقتضيات الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان بَابٌ: حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ برقم (١٥) و مسلم في الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم: ٤٤

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب بَابُ إِثْمِ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ برقم (٦٠١٦) مسلم: الإيمان، باب: بيان تحريم إيذاء الجار، رقم: ٤٦

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٢٣٨٣) وابن أبي شيبة (٣٠٣٢٠)، وعبد بن حميد (١١٩٦)، والبزار (١٠٠- زوائده)، والطبرني في «الأوسط» (٥٩٢٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٠٤)

وكذلك قوله ﷺ: (وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ)[1]، فهذا دليلٌ على وجوب الوفاء بالوعد والعقد، لأن الشارع نفى الإيمان عن تارك هذا الفعل.

والخلاصة من ذلك: أنك متى ما رأيت الشارع ينفي الإيمان عن تارك فعلٍ من الأفعال فاعلم أن هذا الفعل من واجبات الإيمان ومقتضياته الواجبة، والعكس صحيح، فمتى ما رأيت الشارع ينفي الإيمان عمن فعل شيئاً فإن هذا الفعل محرم، يعني إن فعلته فلست بمؤمن، أو ليس مؤمن من يفعل هذا، فهذا دليلٌ على حرمة هذا الفعل.

ومثاله ما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[2]، فهذا دليلٌ على حرمة الزنا، لأن الشارع نفى الإيمان عن فاعل الزنا.

وكذلك قوله ﷺ: (وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فهذا دليلٌ على حرمة السرقة، لأن الشارع نفى الإيمان عمن فعل السرقة.

وكذلك قوله ﷺ: (وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) فهذا دليلٌ على حرمة شرب الخمر، لأن الشارع نفى الإيمان عن شارب الخمر.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٢٣٨٣) وابن أبي شيبة (٣٠٣٢٠)، وعبد بن حميد (١١٩٦)، والبزار (١٠٠- زوائده)، والطبرني في «الأوسط» (٥٩٢٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٠٤)

(٢) أخرجه البخاري كتاب المظالم بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ برقم (٢٤٧٥) أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان نقص الإيمان بالمعاصي..، رقم: (٥٧)

وكذلك قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾،

وفي رواية للبخاري: ﴿وَلَا يَقْتُلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾[١]، فهذا دليلٌ على حرمة النُّهْبَة وحرمة الغلول وحرمة القتل بلا حق، لأن الشارع نفى الإيمان عن فاعل هذه الأشياء، فصحَّت لنا هذه القاعدة - ولله الحمد - أننا متى ما رأينا الأدلة تنفي الإيمان عمن فعل شيئاً فهذا دليلٌ على حرمة هذا الشيء، ومتى ما رأينا الأدلة تنفي الإيمان عن تارك فعلٍ فإننا نعلم أن هذا الفعل من جملة واجبات الإيمان.

وعلى ذلك نخرِّج هذا القول الذي ذكرته منسوباً إلى علي (لا إيمان لمن لا صبر له) فهذا دليلٌ على أن من مقتضيات الإيمان الواجبة: الصبر، فمن لا صبر له فإنه ينقص من إيمانه بقدر هذا الموجب الإيماني الذي تركه وفوَّته، لأن الأدلة نَفَت الإيمان عمن لا صبر له، فهذا دليلٌ على وجوب الصبر، هذه القاعدة الأولى.

القاعدة الثانية: الإيمان المنفِي في هذه الأدلة إنما هو نفي الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان، متى ما رأيت الشارع ينفي عن أهل الإيمانِ الإيمانَ بسبب تفويت فعلٍ من الأفعال فاعلم أن الإيمان المنفي إنما هو الإيمان المطلق، أي: الإيمان الكامل، وليس المراد به نفي مطلق الإيمان كما تفهمه الخوارج.

بمعنى: أن قول النبي ﷺ: ﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ﴾ ليس معناه أنه يفقد إيمانه جملة وتفصيلاً فيكون كافراً، نعوذ بالله! لا، وإنما ينقص من إيمانه الكامل بقدر ما فوَّته من هذا الواجب الشرعي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٠٩)

وكذلك قول عليٍّ الذي ذكرتَه منسوباً إليه: (لا إيمان لمن لا صبر له) ليس معنى ذلك أنه يخرج عن ربقة الإسلام فيكون كافراً، فليس المنفي هو مطلق الإيمان، وإنما المنفي هو الإيمان المطلق، أي: الإيمان الكامل، كأنه قال: ليس من ترك ذلك صاحب إيمان كاملٍ، أن من ترك ذلك ليس صاحب إيمان، ولذلك في قول النبي ﷺ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال أهل السنة والجماعة: أي لا يكون مؤمناً كاملاً ولا يكون له نور الإيمان، فالمنفي في مثل هذه الأدلة إنما هو الإيمان المطلق أي: الإيمان الكامل وليس مطلق الإيمان، أي: كل الإيمان.

فلا يجوز للخارجي أن يستدل بهذه الأدلة على تكفير مرتكب الكبيرة، لأن المنفي هنا ليس مطلق الإيمان، وإنما المنفي هو كمال الإيمان، أي: الإيمان المطلق، فمن لا صبر له ينقص من إيمانه الواجب بقدر ما فوَّته من هذا الواجب، ومن لا أمانة له ينقص من إيمانه الواجب بقدر ما فوَّته من هذا الواجب، ومن لا عهد له ينقص من إيمانه الواجب بقدر ما فوَّته من هذا الواجب، فافهم هاتين القاعدتين وأعيدها لك مختصرة.

القاعدة الأولى: كل فعلٍ نُفِي الإيمان عن فاعله فلحرمته، وكل فعلٍ نُفِي الإيمان عن تاركه فلوجوبه.

القاعدة الثانية: الإيمان المنفي عن أهل الإسلام إنما هو نفي الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان، والله أعلم.

i

٢٤٥. سُئِل الشيخ: عن حديث الكاسيات العاريات آخر الحديث قال

الرسول ﷺ (لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا)[1] فهل حكم عليهن الخلود في النار وإذا لم يكن كذلك فلماذا صرف الكلام عن ظاهره بارك الله فيكم وفي الشيخ وليد ورزقكم الفردوس الأعلى من الجنة آمين بارك الله فيك.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربِّ العالمين وبعد..

المتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة أنه متى ما قيد ذنب من الكبائر بالخلود فإننا ننظر إليه فإن كان من الذنوب التي تبطل أصل الدين والإيمان وتوجب الكفر والردة فإن الخلود الذي قيدت به يراد به الخلود المطلق وأما إذا كان من الذنوب التي لا توجب الخروج من الإسلام ولا الردة فإن أهل السنة يفهمون منها مطلق الخلود. فإذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذنبا وقيده بالخلود فإن كان ذنبا يخرج العبد من دائرة الإسلام فالخلود هنا هو الخلود الأبدي المطلق الدائم الذي لا انقطاع له وأما إذا كان ذلك الذنب الذي قيد به الخلود لا يخرج العبد عن دائرة الإسلام فإنما يراد به مطلق الخلود أي بعضه وهو المكث الطويل. وأنت تعرف أن تبرج المرأة أو لبسها لشيء من الشفاف أو أن تكون كاسية عارية هذا من جملة الكبائر المتوعد عليها بالنار ولكنها ليست من الذنوب التي تخرج عن دائرة الإسلام بالكلية. فنفهم من ذلك أن قوله لا يدخلن الجنة أن الدخول المنفي هنا إنما هو مطلق النفي وليس النفي المطلق بمعنى أنهن يدخلن النار ولا يدخلن الجنة لفترة من الزمان ولكن لا يجوز لنا أن نفهم أنه الخلود الأبدي الدائم المطلق في النار لأن هذا هو مذهب الخوارج تماما فإن الخوارج يرون كفر مرتكب الكبيرة وأنه مستوجب للنار الدخول المطلق، وأنه

---

(١) أخرجه مسلم كتاب اللباس والزينة بَابُ النِّسَاءِ الْكَاسِيَاتِ الْعَارِيَاتِ الْمَائِلَاتِ الْمُمِيلَاتِ برقم ((٢١٢٨))

خالد فيها الخلود الأبدي المطلق. فإن قلت وأين الدليل الدال على كلامك هذا.

فأقول يا أخي أن الإنسان إذا أراد أن يخرج بنتيجة صحيحة في بحث مسألة فلا يكون ذلك بالنظر إلى دليل واحد وإنما لا بد أن ينظر في الأدلة كلها فعندنا أدلة تدل على أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام والإيمان وفقك الله كقول النبي ﷺ في الصحيحين (عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ)[(١)]

وأحاديث الشفاعة وخروج أصحاب الكبائر منها قد بلغت مبلغ التواتر فلا بد أن تفهم كل دليل من هذا الجنس بناء على هذا الأصل. وهو أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام والإيمان و (الكاسية العارية) وإن توعدت بالنار وأنها لن تدخل الجنة إلا أنها تعامل معاملة أصحاب الكبائر الذين وإن طال بقاؤهم ومكثهم في نار جهنم فلا بد في يوم من الدهر أن يخرجوا منها إلى الجنة إما بشفاعة الشافعين أو انتهاء فترة العذاب. وقاتل نفسه أيضا هو في النار خالدا مخلدا فيها أبدا كما في قول النبي ﷺ (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان بَاب: زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ برقم (٤٤) و أخرجه مسلم في الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٣)

بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا.)[١]

ولكن الانتحار عند أهل السنة والجماعة لا يوجب الردة ما لم يستحله المنتحر فإذا دخل المنتحر النار فإنه يدخل دخول أصحاب الكبائر لا دخول الكفار فالذي يدخل ولا يخرج منها أبدا إنما هو من ليس معه أصل الإسلام والإيمان وأما من يدخل ويخرج فإنه رجل معه أصل الإسلام والإيمان ولعلك فهمت الجواب وفقك الله... والله أعلم

i

٢٤٦. سُئِلَ الشيخ: كيف نفرِّق في الأدلة التي وردت من الكتاب والسنة على الخلود في النار، فهناك خلود في النار مطلق وهناك مطلق الخلود، فكيف نفرِّق بين الأدلة، وكيف نعلم أن هذه الأدلة أنها تدل على الخلود المطلق وهذه الأدلة تدل على مطلق الخلود، هل في ضابط للتفريق بينها؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الضابط في ذلك: هو أن كل من مات ومعه أصل الإسلام ودخل النار فإن بقاءه فيها يوصف بأنه مطلق الخلود أي: بعضه لا كله، فإذا نصت الأدلة على أن من ارتكب هذا الذنب الذي لا يوجب خروج العبد من الإسلام، وإنما يوجب نقصان إيمانه إذا مات مُصِرًّا عليه فإنه وإن دخل النار فإن بقاءه فيها أو خلوده فيها هو مطلق الخلود، لأن المتقرر في القواعد: أنه لا يخلد في النار أحدٌ ممن معه أصل الإسلام والإيمان حتى وإن طال زمن بقائه أو تعذيبه في جهنم.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الطب بَابُ شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ برقم (٥٧٧٨) ومسلم في الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم: ١١٠ و١٠٩)

وأما من ليس معه أصل الإسلام؛ فإن خلوده هو الخلود المطلق، أي: الكامل.
فإذن: لا يخلد في النار أحدٌ معه أصل الإسلام والإيمان، وأنا أضرب لك أمثلة.

فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣]، فهل يُراد به الخلود المطلق أو مطلق الخلود؟ الجواب: مطلق الخلود.

فإن قلت: ولماذا؟

أقول: لأن قتل النفس بلا استحلال لا يُعتبر رِدَّة ولا خروجاً من الدين، فالذي يقتل غيره ثم يموت مُصِرًّا على هذا القتل فإنه يُعتبر من أصحاب الكبائر، فإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ عذَّبه في النار، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة ابتداءً، لكن إن قضى الله عَزَّوَجَلَّ تعذيبه في النار فإنه سيخلد فيها مطلق الخلود وليس الخلود المطلق.

فالفرقان بين ذلك - يعني: بين الخلود المطلق ومطلق الخلود - هو الشيء الذي يموت عليه مرتكب الذنب، فإن كان يموت على أصل الإسلام والإيمان فخلوده هو مطلق الخلود، لأنه لا يخلد في النار أحدٌ معه أصل الإسلام والإيمان، وأما إذا مات وليس معه أصل الإسلام وليس معه أصل الدين والإيمان؛ فإن خلوده هو الخلود المطلق الدائم الذي لا يخرج منه صاحبه أبداً.

ومثالٌ آخر: في الصحيحين يقول النبي ﷺ: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ

جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[١]، فهل يُراد به مطلق الخلود أو الخلود المطلق؟ الجواب: لا جرم أنه يُراد به مطلق الخلود.

فإن قلت: ولماذا؟

أقول: لأن الانتحار لا يُعتبر ردة ولا كفراً ما لم يستحله الإنسان، فالذي يموت منتحراً من غير استحلالٍ للانتحار ولا لإزهاق النفس، ولكنه فعله ليخرج من هذه الدنيا أو لضرٍّ نزل به، فهو آثمٌ ومرتكبٌ لموبقة من موبقات الذنوب والآثام توجب خلوده في النار مطلق الخلود لا الخلود المطلق، لأن معه أصل الإسلام والإيمان.

فمتى ما رأيت الذنوب قُيِّدت بالخلود: فإن كان مرتكبها لا يزال معه أصل الإيمان والإسلام فاعلم أنه مطلق الخلود، وإن كان مرتكبها ليس معه أصل الإسلام ولا الإيمان فاعلم أنه الخلود المطلق.

هذا هو التفصيل إذا سُئلنا، وإلا فالأصل أن تُجرى هذه النصوص - أي: نصوص الوعيد - على حالها، وتأويلها قراءتها من غير تفسيرٍ زائدٍ يذهب هيبتها أو ينقِص من ترهيبها، لكن إذا كان الإجمال قد يوجب شيئاً من الإشكالات أو الفهم الخاطئ، أو أن يأتي خارجِيٌّ يستدل بهذه النصوص على كفر مرتكب الكبيرة فلابد من التفصيل حينئذٍ، ولابد من بيان الحق في هذه المسألة، وإلا فالأصل أن كثيراً من أهل السنة كرهوا تفسير مثل هذه النصوص وقالوا: تأويلها قراءتها، فتبقى على ما هي عليه، كما نص الدليل عليها تماماً من غير تفسيرٍ ولا تأويل، لكن بما أننا سُئِلنا عن ذلك ونخشى أن يفهم منها الخارجي

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٧٨) ومسلم برقم (١٠٩)

فهماً فاسداً فلابد من بيان الحق وبيان حقيقة المُراد، والله أعلم.

i

٢٤٧. سُئِلَ الشيخ: عن حكم من يقول بسم الله وهو سيفعل شيئا محرما كشرب الخمر مثلا وهل هذا كفر أم لا؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد-

المتقرر في القواعد (أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز لنا أن نحكم عليه بالخروج عن دائرة الإسلام إلا بيقين آخر) فإن ما ثبت باليقين لا ينتزع ولا يرفع إلا باليقين ولا أعلم دليلا يدل على أن من جملة ما يخرج به العبد عن دائرة الإسلام أن يبسمل قبل فعل شيء من الحرام إلا إذا كانت هذه البسملة مبنية على السخرية والتنقص والاستهزاء بالله عَزَّوَجَلَّ فإذا كان يقصد التنقص من البسملة أو السخرية بمن شرعها فإن هذا داخل في الاستهزاء بالله وبآياته وشريعته فإن البسملة معنى شرعي وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فإذا كان يقصد بهذه البسملة قبل شرب الخمر التنقص منها والاستهزاء بها والسخرية منها فلا جرم أنه يعتبر مرتدا والعياذ بالله وأما إذا كان لا يقصد ذلك فإنه يكون قد فعل حراما لأن البسملة معناها الاستعانة وكيف يستعين بالله عَزَّوَجَلَّ على فعل الحرام فيكون قد وقع في كبيرة من الكبائر وموبقة من الموبقات وجريمة من الجرائم عليه أن يتوب إلى الله منها ولكن لا يجوز لنا أن نحكم عليه بالكفر بمجرد ذلك- والله أعلم

i

٢٤٨. سُئِلَ الشيخ: حصر النبي ﷺ الإيمان ببضع وستون شعبة فهل يصح القول بأن كل الطاعات من شعب الإيمان؟ وهل كل المعاصي تعد من شعب الكفر وهل كل المعاصي التي هي دون الكفر الأكبر تعد كفرا أصغر أحسن الله إليك؟؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين وبعد

أما جواب سؤالك الأول فلا شك عندنا أن جميع الطاعات التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها أمر إيجاب أو أمر استحباب فإنها لابد وأن تدخل تحت دائرة من شعب الإيمان فهذه الشعب منها ما هو واجب وفرض كالصلاة والزكاة والحج والصيام وغيرها من فرائض الشرع ومنها ما هو سنة كإماطة الأذى عن الطريق فالنبي ﷺ لما قال في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (لْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)[١] جاء بأعلى هذه الشعب في قوله فأفضلها قول لا إله إلا الله ثم جاء بأدنى الشعب قال وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فجميع الطاعات التي أمر الله عَزَّوَجَلَّ بها سواء أمر وجوب وتحتم أو أمر إيجاب وندب فإنها لابد وأن تدخل تحت دائرة من شعب الإيمان فإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان وقيام الليل من شعب الإيمان والصدقة على الفقير والمسكين من شعب الإيمان وبر الوالدين من شعب الإيمان وصدق الحديث من شعب الإيمان وأداء الأمانات من شعب

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان بَابُ أُمُورِ الْإِيمَانِ برقم (٩) وأخرجه مسلم برقم ((٣٥)) واللفظ لمسلم

الإيمان إلى غير ذلك من الطاعات وأما قولك هل المعاصي من شعب الكفر؟ فأقول نعم المعاصي من شعب الكفر ولا أعني بذلك أن المعصية يحكم على مرتكبها بأنه كافر ولكن هي من شعب الكفر إذ أنها وسيلة إلى الكفر فإن من يستمرئ الذنوب والمعاصي ولا يقوم في قلب مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ فإن ذلك سوف يوصله في نهاية الأمر إلى الكفر والعياذ بالله ولذلك كما قال العلماء بأن الغنى بريد الزنا فكذلك المعاصي والكبائر والبدع هي بريد الشرك والإمام ابن القيم رحمه الله تعالى جعل المعصية تتضمن كفرا أصغر من جهة مهمة وهي أن الإنسان إنما يعصي الله عَزَّوَجَلَّ بكفر نعمة من نعم الله فإذا كانت المعصية يستلمها بيده فالله لم يخلق يدك لتعصي فكونك تستخدم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ فيما يسخطه هذا من باب كفران النعمة وكذلك الله عَزَّوَجَلَّ لم يجعل لك العينين لتنظر بها الحرام فكونك تستخدم العينين في النظر إلى الحرام أو تستخدم اللسان الذي هو نعمة في النطق بالباطل فلا جرم أن ذلك شعبة من شعب كفر النعمة فإذا كل معصية يقع العبد فيها فقد وقع في شعبة من شعب الكفر أي كفر النعمة لأنه يكفر نعمة الله عَزَّوَجَلَّ التي جعلها وسيلة لاقتراف هذه المعصية إذ أن ابن أدم لا يستطيع أن يصل إلى المعصية إلا بوسيلة نعمة من نعم الله عَزَّوَجَلَّ فلا يجوز للإنسان أبدا أن يقع في شيء من هذا لأن وقوعه يسمى كفرا لكن يسمى كفرا للنعمة والله أعلم ..

i

٢٤٩. سُئِلَ الشيخ: رأيت في أحد الكتب ما نصه من رأى ورقة مكتوب فيها مطروحة في الطريق ولم يعلم ما كتب فيها فإنه يحرم عليه تركها مطروحة في الطريق حتى لا توطأ بالأقدام وأما إن علم أن فيها آية أو حديثا وتركها كان

ذلك ردة فما رأيكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، رأيي في ذلك أن هذا من التلاعب بأحكام الله ومن القذف بها قذف رجمٍ بغيب ومن إثباتها بلا أدلة تسندها وهذا كله من التلاعب بأحكام الله ومن المتقرر عند العلماء رحمهم الله (أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة) والمتقرر في القواعد (أن الأصل براءة الذمة) فلا يجوز أن نعمر ذمة أحد بإيجاب إلا بدليل يدل على هذا الإيجاب فأين الدليل الدال على أن الورقة إذا لم يعلم الإنسان ما هو مكتوب فيها ثم تجاوزها أو أنه يجب عليه كشف ما فيها أين الدليل الذي يدل على هذا الإيجاب؟ والله ليس هناك دليل يدل على هذا الإيجاب لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا من إجماع الصحابة ولا من قول عالم معتبر من أهل العلم وإنما هو القذف بالأحكام الشرعية بلا برهان ولا دليل، ولذلك قال الله محذرا من ذلك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال الله محذرا البشرية كلها ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩] وقال الله ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وأما الحكم بالردة على من رأى شيئا من أسماء الله مكتوبة على هذه الورقة ولم يرفعها فهذا والله ظلم عظيم للشريعة، فليس هناك دليل يدل على أن من جملة النواقض ومن جملة ما يوجب خروج العبد عن ملة الإسلام أن يمر على ورقة فيها شيء من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ولا يرفعها نعم قد أساء وأخطأ في عدم رفعها لأن الواجب احترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ومن احترامها احترام ما كتبت عليه أو فيه لكن كونه يتجاوزها بلا

رفع قد أخطأ قد ارتكب مخالفة شرعية لكن أن نخرجه عن دائرة الإسلام فهذا والله من التعدي والتجاوز والغلو في أحكام الشريعة فلا التحريم الأول مقبول ولا الحكم بالردة في الأمر الثاني مقبول فكلاهما من إثبات الأحكام الشرعية بلا دليل فالواجب الحذر من ذلك، والله أعلم.

i

مسائل تتعلق بالعذر بالجهل

٢٥٠. سُئِلَ الشيخ: هل من بيان شاف ووافٍ لمسألة العذر بالجهل في باب التكفير؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد

أنني أنصح الشباب الإسلامي والدعاة وطلبة العلم أن يهتموا بما ينفعهم بدراسة مسائل التوحيد والتفقه في دينهم وأن لا يحرصوا في ابتداء أمر طلبهم للعلم على قضية التكفير وعلى قضية التبديع وعلى قضية التفسيق والحكم على الآخرين، فليصحح الإنسان أولا تعبده فيما بينه وبين الله عقيدةً وفقهًا وعلمًا

وعملاً ثم بعد ذلك ينظر فيما يخص الآخرين من الأحكام وأما أن يتقحم الإنسان هذه الأبواب في أوائل طلبه فإنني لا أنصح بذلك أبدا؛ فإن من طلب هذه الأمور في أوائل طلبه فإنه يكاد أن يكون أحد رجلين: إما أن تعظم فتنته في المسلمين تكفيرا، وإما أن يرجع على عقبيه خذلانا من الله عَزَّوَجَلَّ وكم من التكفيريين الذين انتكسوا على أعقابهم فصاروا ملاحدة وكم من التكفيريين الذين لا تزال الأمة تعاني من تكفيرهم الأمرين، فلذلك وصيتي أن لا تنشغلوا بمثل هذه المسائل ليس لعدم أهميتها وإنما لأنها مسائل انتهائية لا يطرقها الإنسان إلا إذا تضلع قبلها من العلوم الشرعية والقواعد الدينية والكليات العقدية وتضلع من كلام العلماء وفهم العقيدة على وجهها الصحيح ثم بعد ذلك يطلب هذه العلوم.

أما أن يسبح الإنسان في المحيط قبل أن يسبح في البركة الصغيرة وقبل أن يتعود على السباحة ويشتد عوده فيها فإنه ربما يغرق ويغرق معه من ينقذه أو من يريد إنقاذه هذه وصيتي للجميع

وأما مسألة العذر بالجهل فإن عندي فيها قاعدتين وفقكم الله.

القاعدة الأولى. كل جهل معجوز عن رفعه عجزا حقيقيا فعذر

فإذا جهل الإنسان بشيء من المأمورات أو وقع في شيء من المحظورات جاهلا ومثله يجهل فإننا لا يجوز لنا أن نباشره بالتكفير قبل رفع الجهل عنه وتعريفه لهذه الآيات التي نعلم جزما ويقينا أنه كان عاجزًا عن رفع الجهل فيها فكل جهل حقيقي معجوز عن رفعه عجزا حقيقيا تصدقه القرائن والشواهد فإنه يعتبر عذرا لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:

١٥] ولقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] والأدلة قد ذكرتها في مواضع متعددة ولي رسالة في قواعد التكفير أسميناها التقرير بجمل من قواعد أهل السنة والجماعة في باب التكفير فهذه القاعدة الأولى فكل من ترك مأمورا من مأمورات الشرع جاهلا جهلا حقيقيا تصدقه القرائن وكل من فعل محظورا من محظورات الشرع جاهلا جهلا حقيقيا تصديقه القرائن فجهله هذا عذر

فإذا قيل لك ما الجهل الذي يعتبر عذرا فقل هو الجهل المعجوز عن رفعه عجزا حقيقيا تصدقه القرائن هذا في باب التكفير أو غير باب التكفير أنا أتكلم بعموم.

القاعدة الثانية. لا عذرا بالجهل في مسائل الدين المعلومة بالضرورة: و هي التي يتفق عليها المسلمون والتي صارت علما ضروريا يعرفه الصغار قبل الكبار ويعرفه العوام قبل العلماء ويعرفه الإناث قبل الذكور ويعرفه الجميع حتى صار من العلوم الضرورية الفطرية التي لا يكاد يجهلها أحد لا أحد ينكر وجود الله ويقول أنا كنت جاهلا فإن هذه المسألة لا عذر بالجهل فيها ولا أحد يأتينا يدعو غير الله عَزَّوَجَلَّ ويستغيث بالقبور ويسجد ويركع لها ثم يقول أنا كنت جاهلا فنقول إن هذه من المسائل التوحيدية العظيمة المعلومة من الدين بالضرورة فهذه ليست محلا خاضعا للعذر بالجهل وذلك لوجود القرينة فيها وهي أنها لانتشارها واشتهارها يشترك في علمها العامة والخاصة وإذا جاءنا إنسان في بلاد الإسلام يدعي جهلا فالقرائن تكذب دعواه فهذه قاعدتان وفقكم الله ويبقى بعض المسائل نختلف فيها هل هذه من مسائل الدين المعلومة من الدين بالضرورة أو لا فحينئذ يبقى خلافًا جزئيا في مسائل

جزئية لا يفضي إلى النزاع في ما بيننا والاختلاف في قلوبنا ولكن أهم شيء لا بد أن ننتبه لهاتين القاعدتين كل جهل معجوز عن رفعه عجزا حقيقيا يعتبر عذر والثانية لا عذر بالجهل في مسائل الدين الكبار المعلومة من الدين بالضرورة وإذا قلنا مسائل الدين الكبار نقصد بها سواء أكانت عقدية أو شرعية بل لو أتانا أحد وقال إن الخبز محرم لكفرناه بذلك لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة أليس كذلك وكذلك لو جاءنا أحد وقال إن الصلوات الخمس ليست واجبة علينا لكفرناه ولا نسأل هل كان جاهلا أولا لأن هذا من مسائل الدين المعلومة من الدين بالضرورة ولو جاءنا إنسان يذبح للقبور ذبح تعبد فإننا نكفره ولا ننظر إن كان جاهلا أولا لأن تحريم الذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ من المسائل العقدية الكبيرة التي لا يجهلها أحد... فاحفظوا هاتين القاعدتين كل جهل معجوز عن رفعه عجزا حقيقيا فعذر

القاعدة الثانية لا عذرا في المسائل الكبار المعلومة من الدين بالضرورة والذي اتفق عليه المسلمون والله أعلم.

i

٢٥١. سُئِلَ الشيخ: عن من يذهب إلى الأضرحة والأموات وقبور الصالحين يدعوهم ويسألهم ويتبرك بهم، فهل هؤلاء يعذرون بجهلهم؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، لا عذر بالجهل في المسائل العقدية الكبار المعلومة من الدين بالضرورة كما تقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة والجماعة، فإن العذر بالجهل ليس من الأعذار المطلقة في كل جزئيات التوحيد، فلا عذر بالجهل في مسائل التوحيد الكبار كوحدانية الله واستحقاقه للعبادة دون ما

سواه وأنه لا يدعى إلا الله ولا يذبح إلا لله وأن هؤلاء الأموات لا يملكون تدبيرا ولا تصريفا استقلاليا خفيا في الكون وأن الذي يملك ذلك إنما هو الله عَزَّوَجَلَّ، فهؤلاء الأموات لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا ولا يملكون نقيرا ولا قطميرا ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر - ١٤) ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾(الأحقاف ٥- ٦) ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾(الممتحنة - ١٣) فهؤلاء الأموات لا يملكون لأنفسهم تدبيرا ولا لغيرهم تصريفا ولا ضرا ولا نفعا، فهذه الجزئية وفقكم الله من جزئيات العقائد والتوحيد هي من المسائل الكبار المعلومة من الدين بالضرورة والتي تواترت أدلتها ولا عذر فيها بالجهل عندنا، فكل من وقع فيها فإنه يعتبر كافرا خالعا ربقة الإسلام من عنقه بالكُلية، وإنما العذر بالجهل عندنا في مسائل التوحيد الدقيقة الخفية التي قد تتجاذبها الأدلة أو قد يشتد خلاف أهل العلم من أهل السُّنَّة فيها، فهذه هي التي قد يعذر فيها بالجهل، وأما مسائل التوحيد الكبيرة المعلومة من الدين بالضرورة والتي لا تزال الأمة تتوارثها خالفا عن سالف وقد تواترت فيها الأدلة فهذه لا عذر فيها بالجهل عندنا، والله أعلم.

i

٢٥٢. سُئِلَ الشيخ: معلوم أنه لا عذر بالجهل في مسائل التوحيد الكبرى صحيح يقول فهل مسألة العلو تعتبر ضمن مسائل التوحيد الكبرى وما حكم

من خالف فيها؟ أحسن الله إليكم.

فأجاب -عفا الله عنه-: نعم مسألة العلو من مسائل التوحيد الكبار التي هي معلومة من الدين بالضرورة وقد تواترت الأدلة بإثباتها كتابًا وسنةً بل ودل على إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ الفطرة والحس فكل ذلك من الأدلة الدالة على إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ فمن أنكرها وجحدها وكذب بها فلا جرم عندنا أنه مرتد كافر خلع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية ولا يقبل فيه دعوى الجهل ولكن ينبغي لنا أن ننظر إلى منكر هذه المسألة نظرة استماع أولا قبل أن نحكم عليه فإنه إن كان عنده شبهة فلا بد أن نكشفها أولا، فإذا كشفناها حينئذ وعرف وأصر فلا جرم أننا نكفره. وعلى كل حال فخلاصة الفتيا أن أقول أن مسألة إثبات علو الله عَزَّوَجَلَّ في العلو المطلق على خلقه من مسائل التوحيد الكبار المعلومة من الدين بالضرورة وإن منكرها كافر... والله أعلم.

i

٢٥٣. سُئِلَ الشيخ عن: الثابت في مذهب شيخ الإسلام في العذر بالجهل لمن وقع في الشرك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

قبل أن نجيب على هذا السؤال لابد أن ننبه على عدة جملٍ فيها لو أراد الإنسان أن يبحث مذهب أحدٍ من العلماء في مسألةٍ معينة، فنقول وبالله التوفيق:

أولًا: يجب على الإنسان أن يستجمع نصوص هذا العالم المتفرقة في موضعٍ واحد، حتى يقرأها فيتعرف على مطلقها ومقيدها وعامها وخاصها ومجملها

ومبينها حتى إذا نسب رأيًا لهذا العالم يكون ذلك عن تحرير لمذهبه ودراسة وتحقيق لعامة كلامه في كتبه ومؤلفاته مما تكلم فيه عن هذه المسألة بخصوصها.

وذلك لأننا نعلم على حسب قراءتنا لمؤلفات أهل العلم أن العالم الذي تكثر مؤلفاته ربما يطلق الكلام في مسألةٍ في موضعٍ من مواضع كتبه ويقيدها في موضعٍ آخر، أو يطلق عمومها ويبين ما يخصصها في موضعٍ آخر.

أو يتكلم عنها بإجمالٍ كلامًا عرضيًا ولكنه يفصلها ويبين دقائقها وجزئياتها في موضع أخرى، فليس من العدل ولا من الإنصاف أن ننسب هذا الرأي إلى هذا العالم بمجرد قراءة موضع من مواضع هذه المسألة في ثنايا كلامه نضع المواضع الأخرى لا نقرأها ولاً نتعرض لها ولا نتعرف على رأيه فيها هذا ليس من العدل ولا من الإنصاف بل هو من الظلم والعدوان والإجحاف؛ لأن هذا سيؤدي بنا إلى تقويل هذا العالم ما لم يقله، وكم أخطأ المتأخرون في نسبة بعض الأقوال إلى المتقدمين بسبب عدم قراءة جميع مواضع كلامهم على هذه المسألة المعينة.

ثم لابد أيضًا أن ننبه على مسألة ثانية: وهي أن هذه المسألة قد فصلتها الأدلة فليس الحجة فيها قول أبي العباس ابن تيمية ولا قول غيرهم من أهل العلم رحم الله الجميع رحمةً واسعة.

فإن قول العالم ليس بحجة كما تقرر في قواعد أصول الفقه، وإنما الحجة في البرهان الذي يستند إليه العالم، فالحجة إنما تؤخذ من كلام الله وكلام رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأما أقوال العلماء فإنه يستدل لها ولا يستدل بها، فسواء تعرفنا على مذهب أبي العباس على وجه الحقيقة أو اختلف كلامه

وتعددت نقولات الروايات عنه فلم يتحرر لنا حقيقة مذهبه فإن مسألة العذر بالجهل من عدم العذر به أمرها واضح ومفصولٌ بالأدلة من الكتاب والسنة، وكلام غير أبي العباس من أهل السنة والجماعة، فليست الحجة في قول أحدٍ من العلماء كائنًا من كان، وإنما الاحتجاج إنما يكون بكلام الله وما صح من كلام النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ولكن على كل حال نرجع إلى الإجابة على أصل هذا السؤال فنقول: اعلم رحمك الله تعالى أن كلام أبي العباس في مسألة العذر بالجهل منثورٌ في كتبه ويصعب استقصاءه أو حصره بموضع واحد، فهناك كلامٌ له في مسألة العذر بالجهل قد أطلقه بينما قيده في مواضع أخرى.

وهناك كلامٌ في العذر بالجهل أجمله لأنه تكلم عن العذر بالجهل عرضًا في ثنايا مسألةٍ أخرى، وبينما نجد كلامه في بعض المواضع مفصلاً ومبينًا ومدللاً، فكان الواجب علينا إذا أردنا أن ننسب القول بالعذر بالجهل من عدم العذر به في مسألةٍ معينة لأبي العباس بن تيمية أننا لابد أولًا أن نقرأ جميع مواضع كلامه حتى نحرر مذهبه تحريرًا كاملاً.

فكلام ابن تيمية في بيان العذر بالجهل ودلائله وأحواله كثيرٌ جدًا لا يسعه فتيا مختصرة، ولكن لا يمنع ذلك من أن نذكر جملاً من الأصول التي اعتمد عليها أبو العباس ابن تيمية في كلامه بالعذر بالجهل.

وهي أصول عامة ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها:

الأصل الأول عند أبي العباس: أن الجهل الذي لا يستطيع صاحبه أن يرفعه يعتبر عذرًا في مخالفة المأمور أو ارتكاب المحظور، فهذا أصلٌ عند أبي العباس

ابن تيمية أن كل جهلٍ لا يستطيع الإنسان أن يرفعه عن نفسه لانقطاع وسائل التعلم فإنه جهلٌ يعتبر عذرًا، كالذي ينشأ في بادية بعيدة عن العلم والعلماء ولا وسيلة للاتصال بهم فهذا يعذر فيما لو فوت مأمورًا أو ارتكب محظورًا بسبب جهله؛ لأن القرائن والأحوال تفيد أنه من الجهل الذي لا يستطيع رفعه، وكالكافر إذا أسلم في دار الحرب فإنه لو وقع في شيءٍ مخالفة المأمورات أو ارتكاب المحظورات فإن قرائن الأحوال ودلائل الواقع تدل على أنه واقعٌ في الجهل الذي يعذر به صاحبه.

وقد نص على ذلك كله أبو العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - وحجة ذلك أن الأمر برفع الجهل حكمٌ شرعي، فينبغي على الإنسان أن يرفع الجهل عن نفسه فبما أن رفع الجهل حكمٌ شرعيٌ فإن المتقرر عند العلماء أن الأحكام منوطة بالقدرة على العلم والعمل فلا واجب مع العجز.

فإذا كان الإنسان عاجزًا عجزًا حقيقًا عن رفع الجهل عن نفسه فيكون الأمر برفع الجهل ساقطًا عنه لعجزه، فالأمر برفع الجهل يقال فيه كما يقال في سائر الأحكام.

فكما أن سائر الأحكام تسقط بالعجز عنها فكذلك الأمر برفع الجهل يسقط عن المكلف إذا كان عاجزًا،

فالأصل عند أبي العباس في مسألة العذر يقول: كل جهلٍ يعجز الإنسان عن رفع عجزًا حقيقًا فإنه يعذر به.

ومن هنا نتفرع إلى الأصل الثاني عند أبي العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهي أن الجهل الذي يعذر به صاحبه يعتبر عذرًا له في مسائل الاعتقاد وفي مسائل

العمل، أي في المسائل العقدية كالتوحيد والعقيدة وفي المسائل الشرعيات وهي الفقه والأعمال، فبما أننا حكمنا على أن هذا الجهل الذي وقع فيه هذا الرجل هو من نوع الجهل الذي يعذر به صاحبه لعجزه عن رفعه فإن جهله يعتبر عذرًا له فيما وقع فيه سواءً أكان في مسائل الاعتقاد أو في مسائل الأعمال، وهذا أصل عند أبي العباس نبه عليه كثيرًا - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

وقد بين أنه لا يعرف عن أحدٍ من أهل السنة والجماعة - رَحِمَهُمُ اللهُ - أنهم يفرقون في الجهل الذي يعذر به صاحبه بين المسائل العلمية أو العلمية. وهذا أصل ثاني.

والأصل الثالث عند أبي العباس ابن تيمية أيضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهو أصلٌ مهمٌ ينبغي الانتباه له أن باب الجهل وباب التأويل عند أبي العباس ابن تيمية في الأعذار سواء.

لأن الإنسان قد يقع في شيءٍ من المخالفات العقدية أو العملية جاهلاً لكن من الناس من لا يكون جاهلاً ولكنه يقع في المخالفة متأولًا، فباب العذر بالجهل وباب العذر بالتأويل عند أبي العباس سواء.

فكما أن من وقع في شيءٍ من المخالفات الشرعية جاهلاً ومثله يجهل، فهو معذور، فكذلك من يقع في شيءٍ من المخالفات الشرعية متأولًا بسبب شبهةٍ عرضت له مع إرادته باطنًا للحق فهو كذلك معذور عند أبي العباس بن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - ولذلك فقد نص في كثير من مواقع كتبه أن الإنسان قد يخفى عليه الحق بسبب جهلٍ لا يستطيع رفعه وقد يكون بسبب شبهةٍ عرضت له يعذره الله بها.

فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ فإنه عند أبي العباس ابن تيمية مغفور الخطأ، فالله يغفر له خطأه بسبب تأويله واجتهاده، سواء أكان هذا الخطأ في المسائل النظرية أو المسائل العملية هذا الذي عليه أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وجماهير أئمة الإسلام.

كما نص على ذلك أبو العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - ومن الأصول عند أبي العباس أيضًا وهو أصلٌ مهم وهي أن المسائل الشرعية ليست في العذر بالجهل سواء عند أبي العباس.

فهناك مسائل عقدية كبار قد انتشر العلم بها وصارت مما يعلم من الدين بالضرورة فهذا النوع من المسائل ليس يعذر به الإنسان ؛ لأنه في الغالب أن ينسب الجهل لتفريطه وكسله في طلب العلم، وإلا فالعلم بها مشتهر ومنتشر، فمثل هذا المسائل لا ينبغي أن يعذر الإنسان بجهله فيها.

فمسألة إنكار الله لا يعذر أحدٌ بالجهل فيها، ومسألة عبادة غير الله كدعاء غير وصرف شيءٍ من أنواع التعبدات لغيره هذه من مسائل التوحيد الكبار التي انتشر العلم بها فصارت مما يقطع من الدين بالضرورة فيها، فالعلم بها منتشرٌ ولاسيما في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الأدلة بسبب اختلاف الوسائل.

فمثل هذه المسائل لا يعذر أحدٌ بالجهل فيها في الأعم الأغلب.

فابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - يقرر في مواضع من كتبه أن الجهل عذرٌ في المسائل على اختلافها، فيجعل الجهل في بعض المسائل عذرًا؛ لأن مظنة خفاءها أو ورود الشبهة فيها، ويجعل الجهل ببعض المسائل ليس بعذرٍ لأنه مظنة الاشتهار والظهور والانتشار ومظنة عدم ورود الشبهة فيها.

فهذه هي الأصول العامة عند أبي العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - تعالى.

واعلم رحمك الله تعالى أن هناك أصلاً آخر أيضًا قرره أبو العباس ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - لاسيما في رده على البكري وغيره، قال ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - وهي قاعدة عظمى عند أهل السنة والجماعة: من أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافرٌ بعد قيام الحجة عليه.

فإذا انتبهت لهذا الأصول وفهمتها فهمًا جيدًا حينئذٍ ربما يتحرر لك كلام أبي العباس فيما يعذر فيه الإنسان بالجهل وفيما لا يعذر والله أعلم.

٢٥٤. سُئِلَ الشيخ: يقول السائل أحسن الله إليكم ذكرتم في قاعدة أن جنس الأعمال ركن في الإيمان لا آحادها إلا بالدليل وذكرتم أن ترك آحاد الأعمال لا يكون كفرا إلا بالدليل ومثلتم لذلك بترك الصلاة يقول فهل هناك أمثلة أخرى غير الصلاة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: فالحمد لله رب العالمين وبعد هذا هو الذي يحضرني من الأمثلة فإن الدليل دل على أن ترك هذا الركن من أركان الإيمان هو الذي يؤثر تركه في انتقاض أصل الدين لحديث جابر في صحيح الإمام مسلم في قول النبي ﷺ(إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ)[1]، وفي السنن من حديث بريدة، يقول:(سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ

(١)أخرجه مسلم كتاب الإيمان بَابُ بَيَانِ إِطْلَاقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ برقم ((٨٢))

الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ()[١].

هذا هو الذي يحضرني في المأمورات وأما المنهيات اقتراف المنهيات فإن الأمثلة فيها كثيرة فمن سب الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يخرج من الملة بهذا الذنب بخصوصه وكذلك من سب القرآن أو استهزأ بشيء مما جاء به النبي ﷺ فهذا كله مما يخرج العبد عن دائرة الإيمان ولكن بما أن سؤالك يخص المأمورات فإنني لا أعلم مأمورا دل الدليل على أن تركه لوحده يوجب كفرا إلا الصلاة ولذلك في جامع الإمام الترمذي رحمه الله تعالى بإسناد حسن من حديث شقيق رضي الله عنه قال كَانَ أَصْحَاب رَسُول الله [ﷺ] لَا يرَوْنَ شَيْئا من الْأَعْمَال تَركه كفر إِلَّا الصَّلَاةَ ﴾[٢] والسلام عليكم.

i

٢٥٥. سُئِلَ الشيخ عن: حكم من مات وهو يجهل العقيدة الإسلامية الصحيحة، مع أنه يصلي ويصوم؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، عندنا قاعدتان تجيب على سؤالك وفقك الله.

القاعدة الأولى: كل جهل معجوز عن رفعه، فعذر. سواءً في مسائل الاعتقاد أو في مسائل الشرعيات الفقهيات؛ وذلك لكثرة الأدلة من الكتاب والسنة

---

(١)أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) النسائي برقم (٤٦٣) وبن ماجه (١٠٧٩) وصححه الألباني (صحيح) - ابن ماجة ١٠٧٩ و[مشكاة المصابيح ٥٧٤]

(٢)أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٢) وقال الألباني في تعليقه على «مشكاة المصابيح» (٥٧٩): وإسناده صحيح

والتي تدل على أن الجهل عذر رافع للتكليف. ولكن لا تفرح بهذه القاعدة ولابد أن تقرنها بالقاعدة الثانية، وهي أنه لا عذر بالجهل في مسائل العقيدة والتوحيد المعلومة من الدين بالضرورة. فهناك مسائل قد اشترك المسلمون في معرفتها، حتى صارت من العلوم الضرورية التي لا يمكن إنكارها ولا جحدها ولا الجهل بها. وكل من ادعى فيها جهلاً فإن دعواه كاذبة وباطلة، فلا ينفعه المخالفة فيها لأنها من المسائل المشتهرة التي يعلمها الصغار والكبار والذكور والاناث، والتي انتشر بها العلم انتشارًا يجعلها معلومة من الدين بالضرورة. فكل من جحد معلومًا من الدين بالضرورة فإنه كافر. بمعنى أنه لا يجوز للإنسان أن يستغيث بغير الله -، أو يدعو غير الله في تفريج الكربات وتنفيس الملمات، ثم يقول أنا كنت جاهلا! فكل من مات على دعاء غير الله فإننا نعامله معاملة المشركين في هذه الدنيا. وكذلك أن يأتي إنسان يسب الله ويقول كنت جاهلاً بحرمة سب الله، فنقول لا عذر لك بالجهل في هذا. أو يسب رسول الله ﷺ ويقول كنت جاهلا، فنقول لا عذر لك بالجهل في هذا. فإن من أصل تعظيم الدين، أن لا يسب الله ولا يسب الرسول، فهذا أمر يضرب في أصل الدين. ولذلك كل مسألة عقدية كبيرة معلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر بالجهل فيها. وبناء على ذلك، فصاحبك هذا الذي مات على شيء من الجهل بمسائل الاعتقاد إن كانت من جملة مسائل الاعتقاد المعلومة من الدين بالضرورة والتي يشترك فيها العام والخاص والصغير والكبير والذكر والأنثى والعامي والمتعلم فإن جهله لا يعتبر عذرا له. وأما إذا كانت من المسائل الدقيقة، كدقائق تفاصيل توحيد الأسماء والصفات، أو تفاصيل القدر، أو غير ذلك من الأمور التي قد يختص بمعرفتها أهل الفن نفسه، فهذه المسائل يعتبر الجهل فيها عذرا؛ لأنه ليست من المسائل المشهورة

المعلومة من الدين بالضرورة. والله أعلـــم،،،

الفصل الثاني: خلاصة مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله ﷺ

-فضائل الصحابة ومراتبهم وتفاضلهم وموقف أهل السنة والجماعة من ذلك.

-حكم تقديم علي - رضي الله عنه- على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة.

-مكانة أهل بيت رسول الله ﷺ عند أهل السنة.

-مكانة أزواج رسول الله ﷺ عند أهل السنة.

تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله المبتدعة في حق الصحابة وأهل البيت، والذب عنهم

٢٥٦. سُئِلَ الشيخ: هل كل من ينتسب للرافضة نكفره بعينه؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

الجواب: كل من تدين بدين الرافضة فإنه كافر، لأن دينهم مبنيٌ على الشركيات الوثنية والكفريات التي لا يختلف فيها أهل العلم، فدينهم مبنيٌ على سب أصحاب النبي.

ومن المعلوم أن من جملة ما يرتد الإنسان به، أن يطلق الحكم بالكفر على أصحاب رسول الله، وكذلك دينهم مبنيٌ على الغلو في آل البيت، فهم يصفون آل البيت بصفات الألوهية والربوبية من علم الغيب وتقسيم الأرزاق،

وإدخال من شاءوا إلى الجنة، وإدخال من شاءوا إلى النار.

وأنهم يغيثون اللهفات ويجيبون الدعوات، ودينهم كذلك مبنيٌ على عبادة القبور والركوع والسجود لها، إلى غير ذلك من خرافاتهم الكفرية وعقائدهم الوثنية الشركية، فكل من تدين بدين الرافضة فإنه كافرٌ بعينه.

كل من تدين بدين الرافضة وقال: أنا رافضيٌ وأعتقد عقيدة الرافضة، وعلى دين الرافضة وكل ما يعتقده الرافضة فأنا اعتقده، وينتسب لهم انتساب دين واعتقاد، فلا جرم أنه كافرٌ بعينه والله أعلم.

i

٢٥٧. سُئِلَ الشيخ: ما حكم عوام الرافضة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: حكمهم كحكم أسيادهم، فإن هؤلاء العوام قد سمعوا القرآن وكلهم يقرؤون القرآن بل ويحفظون كثيراً من القرآن وقد بلغتهم الحجة وأقيمت عليهم الحجة، فلا ينبغي التسأهل في هذا، فهم قد بلغتهم الحجة وعرفوا دعوة التوحيد ولكن كونهم يكرهون الحق وأهل الحق ويغلقون آذانهم عن سماع الحق هذا ليس بعذر لهم عند الله تبارك وتعالى، فمن كانت عقيدته من عقيدة الرافضة الكفرية فإنه كافر سيداً كان أو من العوام كلهم داخلين في هذا الحكم.

ومن لم يكن من علمائهم فإنه أيضاً لا يمنع الحكم من تكفيره ولا سيما أنه في هذا الزمان الذي انتشر فيه العلم وطُبِّق العلم بمشارقها وبمغاربها، فحتى لو ادعوا الجهل بحقيقة التوحيد فإنها دعوه مكذوبة تكذبها القرائن، فلذلك يجب علينا أن نوحد حكم العوام بالأسياد لا سيما في هذا الزمان الذي أظنه

إن شاء الله متفقاً مع الحق أن العامي من الرافضة يحكم عليه بحكم أسياده.
والله أعلم.

i

٢٥٨. سُئِلَ الشيخ: ما القول الحق في مسألة كفر الرافضة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، القول الحق في مسألة كفر الرافضة من عدمه أن الرافضة كفار لأنهم يرتكبون في دينهم ويعتقدون من الأمور الكفرية ما لا نشك لحظة واحدة أنه يخرجهم عن دائرة الإسلام بالكلية، فعبادتهم لقبور المعظمين عندهم ودعائهم غير الله عَزَّوَجَلَّ وسجودهم وركوعهم للقبور واعتقادهم عقيدة البدا على الله عَزَّوَجَلَّ واعتقادهم تحريف القرآن وسبهم لأصحاب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - واتهام عائشة - رضي الله تعالى - بما برأها الله تبارك وتعالى - منه، كل ذلك واحد منه يكفي في إخراجهم عن دائرة الإسلام فكيف بها مجتمعة؟

فمذهب الرافضة من أخبث المذاهب وأشد المذاهب وأقذرها على الإطلاق فهم كفار ولا جرم عندنا في كفرهم لا علماؤهم ولا عوامهم لأن الحق قد وصل إليهم وقد عرفوه ولكنهم أبوا امتثال الحق عنادًا وإباءً واستكبارًا فقط.

فهم كفار ولا داعي لسؤالك بارك الله فيك لأن مقتضيات تكفير الرافضة كثيرة جدًا لم تتوقف عند هذا الأمر، ثم لابد أن تعلم بارك الله فيك أن قضية الإيمان بالله ورسوله ﷺ ليست قضية إيمان قلبي فقط بل هي قضية يتعلق بها ثلاث حقوق:

الحق الأول: الاعتقاد القلبي بأنه لا يستحق العبادة إلا الله عَزَّوَجَلَّ وأن محمدًا

هو رسوله صدقًا وحقا.

الأمر الثاني: أن ينطق الإنسان بلسانه بهاتين الشهادتين فمن أقر بالشهادتين بقلبه ولم ينطق بهما بلسانه فليس بمسلم.

وكذلك الأمر الثالث أو الحق الثالث: أن يعمل بمقتضيات هاتين الشهادتين بجوارحه فإن العمل بمقتضى تلك الشهادتين ركيزة من ركائز الإيمان لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، فهب أن الرافضة يؤمنون بأن الله لا إله إلا هو، فهل عملوا بمقتضيات هذه الشهادة؟ هل تركوا ما يقعون فيه من الشرك؟ الجواب: لا، فإن من مقتضيات هذه الشهادة ألا تعبد القبور من دون الله والرافضة عبدوها من دون الله، ألا يذبح للقبور من دون الله والرافضة يذبحون لقبور معظميهم من دون الله، ألا يطاف بالقبور والرافضة تطوف بقبور المعظمين، ألا يركع أو يسجد أو يدعى الأموات ولا يستغاث بهم من دون الله والرافضة تفعل ذلك.

فلو نطق الرافضة بتلك الشهادة مائة ألف مرة لما نفعتهم لأنهم واقعون في كثير مما ينقضها ويبطل أصل توحيدهم بالكلية، والله أعلم.

i

٢٥٩. سُئِلَ الشيخ: متى يخرج الإنسان أو نخرجه عن دائرة أهل السنة والجماعة؟!

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد عندنا في هذا الباب ثلاث كليات لابد من فهمها:

الكلية الأولى: كل من كانت عنده مصادر استدلال غير الكتاب والسنة فليس من أهل السنة. كل من خالف أهل السنة في مصادر تلقي الاعتقاد فليس منهم فإن أهل السنة عندهم ثلاثة مصادر المصدر الأول كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والمصدر الثاني سنة نبيه ﷺ و المصدر الثالث فهم السلف الصالح فكل من خالف أهل السنة في مصادر التلقي فليس منهم أحفظ هذه الكلية الأولى وبناءً على ذلك فالفلاسفة ليسوا من أهل السنة وكذلك الجهمية ليسوا من أهل السنة وكذلك المعتزلة ليسوا من أهل السنة وكذلك القرامطة الإسماعيلية ليسوا من أهل السنة لأنهم يختلفون عن أهل السنة في مصادر التلقي

الكلية الثانية: كل من خالف أهل السنة في أصل من أصول أبواب الاعتقاد فليس منهم كباب الأسماء والصفات مثلاً فكل من خالف القاعدة العامة في هذا الباب فإنه ليس من أهل السنة فالذي يقول بتمثيل صفات الله بخلقه ليس من أهل السنة والذي يعطل الله عَزَّوَجَلَّ عن أسمائه وصفاته ليس من أهل السنة وكذلك باب القدر فمن خالفنا في أصل هذا الباب فإنه ليس منا كالجبرية الذين ينفون قدرة العبد واختياره ومشيئته أو القدرية الذين يقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه بنفسه فليس القدرية من أهل السنة ولا الجبرية من أهل السنة لأنهم خالفوا أهل السنة في أصول باب من أبواب الاعتقاد وكالمرجئة و الوعيدية في باب الإيمان وأسماء الأحكام والدين فالمرجئة ليسوا من أهل السنة لأنهم خالفوهم في هذا الأصل في الأصل في هذا الباب و الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ليسوا من أهل السنة لأنهم خالفوا أهل السنة في هذا الأصل العظيم فكل من خالف أهل السنة والجماعة في باب عقدي فإنه ليس منهم الكلية الثالثة: كل من خالف أهل السنة في جزئية عقدية مجمع عليها بين أهل السنة

قاطبة فليس منهم كل من خالف السنة والجماعة في جزئية عقدية مجمع عليها وانتبه لقول مجمع عليها بين أهل السنة قاطبة فليس منهم فالذي يخالف أهل السنة مثلاً في اعتقادهم في القرآن فيقول بأن القرآن مخلوق ولكنه يوافق أهل السنة في سائر العقائد وإنما خالفهم في هذه الجزئية العقدية التي وقع إجماع أهل العلم عليها فقال بأن القرآن مخلوق وأهل السنة يقولون منزل غير مخلوق فهنا يخرج عن دائرة أهل السنة بالمخالفة في هذه الجزئية المتفق عليها ولو أنه قال أنا مؤمن بما يقوله أهل السنة إلا صفتين صفة الاستواء وصفة الوجه فأنا أُحرف الاستواء بالاستيلاء وأُوِلُ الوجه بالذات مع أن أهل السنة يثبتون الاستواء اللائق بالله والوجه اللائق بالله إجماعاً فهو خالف في جزئيتين مجمع عليهما بين أهل السنة فهنا نخرجه عن دائرة أهل السنة والجماعة فإذا حفظت هذه الكليات تعرفت على من يخرج عن دائرة أهل السنة والجماعة المحضة أي بالوصف الخاص لا بالوصف العام وأقصد بالوصف العام أي السنة المقابلة للرافضة وأقصد بالوصف الخاص أي أهل السنة والجماعة المقابلة للطوائف الثنتين والسبعين فرقة فكل من خالف أهل السنة في مصادر الاعتقاد والتلقي فليس منهم وكل من خالف أهل السنة في أصل من أصول أبواب الاعتقاد فليس منهم وكل من خالف أهل السنة والجماعة في جزئية عقدية وقع الإجماع عليها فليس منهم والله أعلم.

i

٢٦٠. سُئِلَ الشيخ: كيف نجمع بين النهي عن الطعن في الصحابة -رضي الله عنهم- وبين ثبوت ردة بعضهم في تبوك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، وبعد:

المتقرر في قواعد أهل السنة أن الصحابي لا يدخل في مسمى الصحبة باطنًا وظاهرًا، ولا يثبت له فضل الصحبة إلا بثلاثة شروطٍ لابد من استيفائها في هذا الصحابي ليدخل في جملة الصحابة:

- الشرط الأول: أن يكون ممن لقي النبي ﷺ، وبناء على اشتراط هذا الشرط فكل من لم يلق رسول الله ﷺ فليس بصحابيٍ.

- والشرط الثاني: أن يكون حال لقيه برسول الله ﷺ مؤمنًا به؛ وبناءً على اشتراط هذا الشرط فأي إنسانٍ لقي رسول الله ﷺ وكان حال لقيه ليس بمؤمنٍ به فلا يعتبر صحابيًا.

-الشرط الثالث: أن يموت على الإسلام؛ وبناءً على اشتراط هذا الشرط فأي إنسان لقي رسول الله ﷺ ثم آمن به حال لقيه، ولكن الله قدر عليه أن يرتد ويموت على الردة فإنه لا يدخل في مسمى الصحبة جملةً ولا تفصيلاً.

واختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الصحابي إذا ارتد ثم رجع إلى الإسلام، ويمثل له العلماء بعبد الله بن أبي السرح، فهل تخلل الردة يبطل الصحبة السابقة؟ الجواب فيه خلافُ بين أهل العلم، والقول الصحيح أن تخلل الردة لا يبطل صحبته السابقة بناءً على أن الردة إذا لم يمت الإنسان عليها فإنها لا تعتبر مبطلةً لأعماله الصالحة فيما سبق ذلك؛ أي فيما سبق ردته. وعلى ذلك قول ابن حجر -رحمه الله تعالى- في كتابه العظيم (نخبة الفكر) قال: والصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإيمان وإن تخللت ردته في الأصح. فمن توفرت فيه هذه الشروط الثلاثة فإنه صحابيٌ باطنًا وظاهرًا، وبناءً على ذلك فالمنافقون الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ممن كان يبطن الكفر والشرك

ولكن يظهر الإسلام هؤلاء وإن جرت عليهم أحكام الصحبة ظاهرًا، لأننا نتعامل مع الناس بما يظهر لنا منهم، إلا أنهم عند الله عَزَّوَجَلَّ في الباطن ليسوا بصحابة، ولا يثبت لهم فضل الصحبة، كعبد الله بن أبي بن سلول، فإنه وإن كان لقي النبي ﷺ وكان حال لقيه مؤمنًا به ظاهرًا، ولكن كان في الباطن كافرًا به، فالمنافقون الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر في عهد النبي ﷺ هؤلاء ليسوا بصحابة عند الله عَزَّوَجَلَّ ؛ أي: لا يثبت لهم حكم الصحبة باطنًا، وإن كان النبي ﷺ يقبل منهم ظواهرهم ويذر سرائرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ فالمنافقون الذين كانوا في تبوك، وتكلموا في صحابة النبي ﷺ بقولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، هؤلاء حكم الله عَزَّوَجَلَّ عليهم بالكفر والردة؛ لأنهم كانوا في الباطن أصلاً أهل نفاق، ولذلك من تكلم معهم وهو من أهل الإيمان في الباطن عفا الله عَزَّوَجَلَّ عنه بقوله: ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾[التوبة:٦٦]؛ فهؤلاء هم الذين كانوا أهل إيمانٍ باطنًا وظاهرًا، ولكن جرت ألسنتهم بشيءٍ من هذا الحديث، فعفا الله عَزَّوَجَلَّ عنهم لما تابوا، وأما من كان منافقًا باطنًا وظاهرًا وكان الحامل له على الكلام والطعن في صحابة النبي ﷺ إنما هو نفاقه الباطني وكفره القلبي، هذا لم يكن محط عفوٍ من الله – عَزَّوَجَلَّ

وأخبر الله – عَزَّوَجَلَّ– بعظيم العقوبة وأليم العذاب لهؤلاء المنافقين باطنًا وظاهرًا في الآخرة. فعبد الله بن أبي بن سلول، ومن كان على شاكلته من أهل النفاق باطنًا فهؤلاء يُجرى عليهم حكم الصحبة في الظاهر، وأما في الباطن فيما بينهم وبين الله فلا تثبت لهم أحكام الصحبة؛ إذ فضح الله عَزَّوَجَلَّ بواطنهم، وبين للمؤمنين مقاصد قلوبهم، وأنهم ما آمنوا وأظهروا الإسلام إلا بكيد أهله

وأرصادا لمن حارب الله ورسوله، وللتفريق بين المؤمنين. وكذلك نقول في حق من ثبت إيمانه ثم ثبتت ردته بالسند الصحيح حتى مات عليها، كبعض الوفود أو بعض الأعراب الذين آمنوا في عهد النبي ﷺ بعد لقيه، ثم بعد وفاته ارتدوا على أعقابهم، وحاربهم أبو بكرٍ وماتوا على ردتهم؛ فهؤلاء لا يثبت لهم حكم الصحبة لا باطنًا ولا ظاهرًا؛ لفوات شرط الصحبة وهو الموت على الإيمان. فإذًا إذا ثبتت ردة أحدٍ ممن آمن بالنبي ﷺ ولقيه في حياته، ثم قدحنا فيه لأنه مات على الكفر فليس قدحنا هذا يعتبر قدحًا في صحابي؛ لقوات شرط الصحبة فيه.

وكذلك أهل النفاق إذا جاءت الآيات محذرةً ومبينةً غل القلوب وحقد النفوس وكفر البواطن ممن كان يجلس بين يدي النبي ﷺ فلا يؤخذ هذا حكمًا عامًا في كل الصحابة حاشى وكلا، وإنما يؤخذ حكمًا خاصًا في هؤلاء الذين ما آمنوا رغبةً في الإيمان، وإنما آمنوا لكيد أهل الإسلام وهم المنافقون، ولا يخلو منهم زمان. فكلامنا في عبد الله بن أبي بن سلول ليس كلامًا في الصحابي، وكلامنا فيمن قال: يا محمد اتق الله واعدل في قسمتك، كلامنا فيه ليس كلامًا في صحابي؛ لأن هؤلاء وإن كانت تُجرى عليهم حكم الصحبة ظاهرًا لإيمانهم الظاهر، إلا أنهم كانوا في البواطن ليسوا بمؤمنين، فكلامنا في المنافقين الذين ثبت نفاقهم في عهد رسول الله ﷺ ليس كلامًا في الصحابة، لفوات شرط الإيمان الباطني، وكلامنا فيمن آمن وارتد ومات على الردة ليس كلامًا في الصحابة، لفوات شرط الموت على الإيمان.

لكن هل تجد أهل السنة والجماعة أو النصوص تقدح في أحدٍ توفرت فيه الشروط الثلاثة تامةً كاملةً موفرة؟

الجواب: لا تجد شيئًا من ذلك أبدًا، وإنما الآيات تكلم عن طائفتين من الناس؛ عن طائفةٍ آمنت ظاهرًا وكفرت باطنًا وهم المنافقون، والكلام فيهم ليس كلامًا في الصحابة لفوات شرط الصحبة، أو تتكلم عن أناسٍ آمنوا ثم ارتدوا ولا يزالون مرتدين حتى ماتوا، والكلام فيهم ليس كلامًا في الصحابة لفوات شرط الصحبة. والله أعلم.

i

٢٦١. سُئِلَ الشيخ: عن شخص ينسب نفسه للعلم يقول فيه أن سب الصحابة قد وقع من السلفية ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة سب عمر والحسن والحسين رضي الله عنهم وقال أن عمر ارتكب بليات وبليات وقال أيضا أنه وقع في الأجوبة النجدية سب الصحابة، فما مدى صحة هذا؟ وما توجيهكم لنا حفظكم الله؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين؛ المتقرر في القواعد أنه متى ما ورد عليك المتشابهات فالواجب عليك تردها إلى المحكمات، ومتى ما أحاطت بك المحتملات أن تردها إلى الصريحات القاطعات، وهذه نصيحتي والله لكل مسلم في هذا الزمان وفيما يستقبل من الأجيال أن يستمعوا إلى كلامي هذا وهذا من أعظم الأصول والقواعد التي توجب الرسوخ في العلم، وهي أن الواجب أن نرد المتشابهات إلى المحكمات وأن نرد المحتملات إلى القاطعات الصريحات، فهل يتصور بالله عليك أبو العباس ابن تيمية الذي قضى حياته مناضلا ومكافحا عن الكتاب والسنة وعن الصحابة ومنهج السلف الصالح وعانى من ذلك الأمرين جلدا وسجنا وتغريبا وطردا من البلاد أفيتصور بالله عليك أن يقول في حق عمر والحسن والحسين هذا الكلام؟ أنشدك الله قبل

أن نبحث ونرجع إلى منهاج السنة النبوية وقبل أن نرجع إلى الأجوبة النجدية التي ألفها بعض علماء أهل نجد من أئمة الدعوة هل يتصور بالله عليك من أئمة افنوا أعمارهم في الدفاع عن الكتاب والسنة وإبراز المنهج الحق ومكافحة أهل الأهواء وكشف زيفهم وشبههم وتحمل العناء والعذاب الذي أصابهم في سبيل إعلاء كلمة الله عَزَّوَجَلَّ أفيتصور أن يأتوا إلى الخليفة الثاني ويتكلموا في حقه بمثل هذا الكلام أن عنده بليات وبليات وأنه إلى آخر هذا الكلام أو في الحسن والحسين الذين هما سيدا شباب أهل الجنة؟ يا أخي أين عقلك بالله حتى جعلت هذا مشكلة تحتاج إلى سؤال أهل العلم، لم لا يكون عندك من وازع التأصيل والتقعيد ما يجعلك تكتفي من السؤال وأن ترد هذه الشبهة وأن تنكسر على هذا الأصل العظيم، فإنني والله خشيتي عليك أكثر من خشيتي عليهم، ولذلك خلو قلبك من ما يكسر هذه الشبهة وجعلك لها مشكلة تحتاج إلى حل هو الذي يجعلني أخاف عليك، فلذلك لابد من التأصيل. وإني أقسم بالله أن أبا العباس لم يقع في عرض صحابي، وأقسم بالله العلي العظيم أن من قال ذلك أنه كذاب أشر أو رافضي نجس نتن أو إنسان ينتمي للسنة أو العلم يريد أن يتزلف بهذا الكلام إلى الرافضة في قضية التقارب والتقريب النكد القبيح بين عقيدة أهل السنة وعقيدة الرافضة، لا والله ما سب أبو العباس أحدا من الصحابة ولا من السلف الصالح، لا والله ما سب أئمة الدعوة في أي كتاب من كتبهم أحدا من السلف الصالح أو أحدا من الأئمة وإنما هذا والله من الكذب الصريح الذي يجب علينا أن نكذبه، هذه نصيحتي لكل مسلم أنه متى ما جاءتك مسألة فيها أمران أحد الطرفين محكم واضح بيّن والطرف الآخر مشتبه محتمل أنك دائما ترد المتشابهات إلى المحكمات وترد المحتملات إلى القاطعات الصريحات. هذه نصيحتي لكل مسلم إذ إن هناك

كثيرا من يشغب على أدلة الكتاب والسنة ويتكلم في مسلمات الشريعة، فالذي يخلو قلبه عن مثل هذا الأصل العظيم ربما يتشرب قلبه شيئا من هذه الشبه فيقع فيما لا تحمد عقباه من الفساد الاعتقادي. هذه قاعدة أوصى بها الشيخ محمد رحمه الله في كشف الشبهات، بل جعلها أول قاعدة من القواعد التي ينبغي أن نرجع إليها، لأن من شغب علينا في شيء من المسلمات بشيء من الأدلة المحتملات المتشابهات وفي المسألة أدلة قاطعة فحينئذ يجب علينا أن نقف عند الأدلة المحكمة القاطعة. فأبو العباس ابن تيمية رحمه الله قد قضى حياته مدافعا عن الكتاب ومدافعا عن السنة وكذلك أئمة الدعوة النجدية من لدن الشيخ محمد رحمه الله إلى يومنا هذا، ولا يزال علماؤنا وعلماء بلادنا وكثير من علماء أهل السنة والجماعة ينافحون ويدافعون عن أصحاب النبي ﷺ وعن السلف الصالح، وينافحون عن الأدلة من الكتاب والسنة وعن فهم سلف الأمة، فإذا سمعت أن أحدا منهم يقول إن أبا العباس سب أبا بكر أو أن أبا العباس طعن في أحد من الأئمة فكذبه ؛ لأن المتقرر المحكم في قلبك أن هذا الرجل نشأ معظماً لأدلة الوحيين ومعظما لمنهج أهل السنة ومعظما للعلماء، هذا هو الذي أدلك عليه ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكفينا والمسلمين جميعا الفتن ما ظهر منها وما بطن والله أعلم.

i

منهج أهل السنة فيما شجر بين الصحابة

٢٦٢. سُئِلَ الشيخ وردت أحاديثٌ بأن من قُتل دون ماله أو عرضه فهو شهيد؟ ووردت أحاديثٌ أخرى بأنه إذا تقابل المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، وورد أحاديث بأن يعتزل المسلم القتال في الفتنة وإن خشي أن يبهره شعاع السيف فليقي رداؤه على وجهه، سؤالي: كيف نُوفق ونجمع بين هذه الأحاديث ونحل الإشكال بين الدفاع عن النفس والمال والعرض وبين الكف عن القتال؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا إشكال ولا تعارض بين هذه الأحاديث ولله الحمد والمنة، فكل هذه الأحاديث يُجمع بينها بحملها على اختلاف الأحوال، فأما قول النبي ﷺ لعبد الله ((إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[١] أو كما قال ﷺ مع القول بصحة هذا الحديث فإن هذا المقصود به القتال في حال الفتنة بين المسلمين، فالمرغب للإنسان في حالة الفتنة بين المسلمين وعدم اتضاح وجهة الحق واختلاط الحابل بالنابل أن يترك القتال، لأنه لا يدري أي الفريقين أحق ولا يدري عن الدم الذي سيريقه فيما لو اشترك في القتال مع أحد الطائفتين، فربما يكون الدم الذي أراقه دمٌ مظلوم يطالبه به صاحبه يوم القيامة ويكون آثمًا عند الله عَزَّوَجَلَّ بهذا القتل، ولذلك المستحب في قتال الفتنة

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٠/٣٥) برقم: [٢١٤٤٥]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب:[التَّثَبُّتِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣٠٨/٢) برقم: [٣٩٥٨]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي النَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْفِتْنَةِ](١٠١/٤) برقم: [٤٢٦١]، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (١٠١/٨).

بين المسلمين اعتزال الطائفتين لا سيما عند خفاء الحق وعدم بيانه، واختلاط الحابل بالنابل، وكلٌّ يدعي أنه صاحب حقٍ، ولذلك حمد الصحابة المتأخرون وكذلك الأئمة من ترك القتال في الفتنة التي جرت بين أصحاب رسول الله ﷺ، ولذلك يقول ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ: أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أو وَقَعتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ ((قَالَ فقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: ((يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟)) قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أو إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أو يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: ((يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[١] أو كما قال ﷺ، فحديث عبد الله هذا محمولٌ على القتال في الفتنة، فالمرغب شرعًا هو ترك القتال نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن لا نريق دمًا حرامًا لا في فتنةٍ ولا في غيرها.

وأما حديث أبي بكرة في الصحيح: ((إِذَا التقى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ))، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ قَالَ: ((إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ))[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ](٤/٢٢١٢) برقم: [٢٨٨٧].

(٢)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]] (١٥/١) برقم: [٣١] أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفهما، رقم: ٢٨٨٨

فهذا في قتال المعاندة، بمعنى أن كل واحد منهما يطلب صاحبه بغير حق وهذا من أبغض الناس عند الله عَزَّوَجَلَّ، فمن طلب دم امرأ بغير حق ليريق دمه فهذا إذا قُتل فهو في النار وإذا قتله فهو في النار، لأنه إن قتل أخاه فقد قتله بغير حق، وإن كان هو المقتول فقد سعى وكان حريصًا على أن يقتله صاحبه، فإذا التقى المسلمان بسيفيهما محمولٌ على الالتقاء بغير حقٍ، محمولٌ على الالتقاء بالظلم والعنجهية والعدوان وذلك كمثل الفتن والقتال الذي يحصل بين القبائل فيما بينهم، أو الانتقام، أو طلب الثأر الذي يكون بين القبائل، فتجد أن بعض القبائل تطلب الثأر من قبيلة أخرى فيلتقون بسيوفهم ففي هذه الحالة التقاؤهم إنما هو التقاء ظلم وعدوان وتجني وتسلط على الدماء، فالقاتل والمقتول في هذه الحالة في النار.

فاستغرب الصحابة في مسألة المقتول كيف يكون مقتولًا وهو في النار؟ قال: (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ) يعني أنه لو أسعفه القدر لقتل صاحبه ولكن كان صاحبه أقوى منه فقتله، فالقاتل يدخل في النار لأنه أراق الدم الحرام بغير حقٍ، والمقتول يدخل في النار لأنه سعى وهم وعزم وعمل على فعل المنكر ولكن حال بينه وبينه القدر فهذا مُنزلٌ منزلة الفاعل والعياذ بالله.

وأما حديث: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أو دُونَ دَمِهِ،

أو دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))[١] فهذا في حال الأمن إذا اعتدى عليك اللصوص أو قطاع الطرق ليس في فتنة بين المسلمين وإنما في حال الأمن، فإذا اعتدى عليك أحدٌ يريد نفسك فالواجب عليك أن تدافع حتى وإن مت فأنت شهيد، وإذا أراد أحدٌ حريمك وعرضك فالواجب عليك أن تدافع وإن مت فأنت شهيد، والواجب عليك أن تدافع عن مالك فإن مت دون مالك فأنت شهيد، مع أن بعض أهل العلم سوغ عدم الدفاع في مسألة المال لأن المال يعوض، لكن النفس والعرض لا يعوض، لكن حتى المال وإن لم تطب نفسه بقهره في ماله وأخذه غصبا وقاتل وقتل فإنه في الجنة يعني أنه شهيد بشهادة رسول الله ﷺ، فالقتال لا يخلوا من حالتين: إن كان قتال فتنة فالإنسان غير مأمور بالدفاع عن نفسه سَلم نفسك حتى لمن أراد قتلك، وإن خفت أن يبهرك شعاع السلاح أو السيف فغطي وجهك حتى تُسلم الروح إلى الله عَزَّوَجَلَّ هذا في قتال الفتنة العامة بين المسلمين مع خفاء وجه الحق، ما يلزم أن تدافع عن نفسك، أما في حال الأمن فالواجب عليك أن تدافع عن نفسك وعن حريمك وعن مالك، وأما في حال الاقتتال بين القبائل ظلمًا وعدوانًا فالقاتل والمقتول منهم في النار فكل حديثٍ يدل على حالة لا يدل عليها الحديث الآخر، بل معناها كله متوافق، والجمع بينها يكون باختلاف الأحوال، والله أعلم.

i

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٩٠/٣) برقم: [١٦٥٢]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ](٢٤٦/٤) برقم: [٤٧٧٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ](٣٠/٤) برقم: [١٤٢١]، وأخرجه النسائي في «سننه» باب: [مَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ](٤٥٤/٣) برقم: [٣٥٤٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٧/٢) برقم: [٣٥٢٩].

من مناقب أصحاب رسول الله ﷺ

الفصل الثالث: التصديق بكرامات الأولياء:

٢٦٣. سُئِلَ الشيخ: نسمع عما يحدث لأولياء الله من الكرامات، مثل المكاشفات أو أن يعطوا علوما لا تعطى لغيرهم. نرجو منكم تفسير المكاشفات، وكيف تكون، ونرجو إعطاء أمثلة عليها، وما الفرق بينها وبين الإلهام والتحديث، وهل إذا أعطوا علوما هل يتلقونها بواسطة؟. أحسن الله إليكم.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد وجوب الإيمان بكرامات الأولياء التي ثبتت لهم، ولكن المتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة أن الكرامة لا تجري إلا على يد ولي، وأن أولياء الله عَزَّوَجَلَّ هم المؤمنون المتقون، لقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يونس **٦٢-٦٣**، فكل مؤمن تقي فهو لله ولي، ويتفاوت الناس في ولاية الله عَزَّوَجَلَّ على حسب تفاوت ما في قلوبهم من الإيمان الصحيح والعقيدة الصافية والعمل المقبول، فكلما كان الإنسان أرفع في درجات التوحيد والعقيدة والإيمان والعمل الصالح، كلما كان أرفع درجة في ولاية الله – عَزَّوَجَلَّ – له، والمتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة أن الكرامة ليست فيصلا للتفاضل، فليس كل من ظهرت على يديه الكرامات يكون أفضل ممن لم تظهر على يديه، وذلك لأن المتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة أن مقاصد الكرامات إظهار الفضيلة والتثبيت، فليس كل كرامة ظهرت على يد ولي يراد بها إظهار فضله، بل قد يكون في حاجة إلى ما

يثبته فيجري الله عَزَّوَجَلَّ على يديه تلك الكرامة من باب تثبيته، ولذلك فليس كل الصحابة مع عظم فضلهم على من بعدهم إجمالا وتفصيلا، ليس كلهم قد ظهرت على يديه تلك الكرامات، بل إن الأمة مجمعة على أن أبا بكر أفضل من عمر، ومع ذلك فإن الكرامات التي أجراها الله عَزَّوَجَلَّ على يد عمر أكثر من الكرامات التي جرت على يد أبي بكر، بل هناك كرامات جرت على يدي بعض التابعين، ولم تجري على بعض الصحابة، فلا يجوز لنا معاشر أهل السنة والجماعة أن نجعل الولي الذي تظهر على يديه شيء من الكرامات، أفضل من الولي الذي لا تظهر عليه شيء من الكرامات، والمتقرر في قواعد أهل السنة أن الإنسان ينبغي له طلب الاستقامة لا طلب الكرامة، فكل من رأيتموه يطلب شيئا من الكرامات فاعلموا أنه سلك سبيلا من سبل أهل البدع، فأهل السنة لا يطلبون الكرامات، وإنما تفاجئهم كرامة الله عَزَّوَجَلَّ من غير سبق تخطيط ولا تدبير ولا سؤال ولا طلب، وينبغي للإنسان أن يكون في مسيرته إلى الله عَزَّوَجَلَّ إنما يطلب الاستقامة والسير على المنهج الصحيح والصراط المستقيم، بالإخلاص والمتابعة، ثم بعد ذلك إن أجرى الله على يديه كرامات بلا سبق سؤال ولا طلب فالحمد لله، وإلا فلا يضر ذلك ولاية الله له، ولا يضر إيمانه ولا يضر توحيده، ولو لم يجري على يد العبد الولي كرامة طيلة حياته الدنيا، فإن ذلك ليس بقادح في توحيده وليس بقادح في إيمانه وليس بوصمة عار يوصف بها العبد، وبناء على ذلك فيجب علينا أن ننطلق في الكرامة من هذه الأصول العظيمة، أن الكرامة لا تجري إلا على يد ولي، وأن الولاية شروطها الإيمان والتقوى، وأن العبد لا يجوز أن يجعل جريان الكرامة سبيلاً للتفضيل، وأن المؤمن إنما يكون طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، إذا علم هذا فليعم

أن كرامة الله عَزَّوَجَلَّ تنقسم إلى قسمين: إما كرامة في المكاشفات، وإما كرامة بالقدرة والتأثيرات، فأما المكاشفات فأن يتعلم الولي شيئا من العلوم يُفتح عليه من الله عَزَّوَجَلَّ، فيستجمع في وقت يسير ما لا يجمعه غيره، ويحفظ في وقت قصير ما لا يحفظه غيره، وتلين له صعوبات التعلم ما لا تلين على غيره فهذه كرامة، أو أن يحل شيئا من عقد المسائل ولم يقرأ حلها في كتاب، وإنما يوحى إليه وحي تحديث أو الهام بهذه المكاشفة فهذا جيد وطيب، وقد يكون هذه المكاشفة بما يسمى بالإلهام، وقد يكون بما يسمى بالتحديث، وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يُحَدَّث بالشيء فيتكلم به فينزل فيه قرآن، فإنه قال مرة يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾البقرة ١٢٥، وقال يا رسول الله لو حَجَبت نسائك فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية الحجاب، وقال أيضا غير ذلك من الأقوال، وقد كُشف لعمر رضي الله تعالى عنه بعض أحوال الغزاة والجند، فكان يوجههم وهو في المدينة وبينه وبينهم آلاف الأميال، فكانوا يسمعون صوت عمر إن صح ذلك عنه، فالشاهد أن الكرامة بالمكاشفة قد تكون بتعليم ما لا يُتعلم إلا بها، أو بفهم ما لا يفهم إلا بها، أو بالهام شيء يجد الإنسان ضرورة لقبوله في قلبه، أو أن يُحدث بأمر غائب ثم يقع على وفق تحديثه، وقد تكون الكرامة تارة بالقدرة والتأثيرات، كأن يحمل حجرا لا يحمله ذو قوة مثله، أو أن يحرك شيئا ثقيلا ليس في مقدور الإنسان غالبا أن يحركه، أو أن توجد عنده ثمرة الشتاء في الصيف، أو توجد ثمرة الصيف في الشتاء ونحو ذلك، فالكرامة قد تكون بالكاشفات تارة التي هي عبارة عن الإلهام أو التعلم أو التحديث، وقد تكون تارة بالقدرة والتأثيرات، والله أعلم.

i

٢٦٤. سُئِلَ الشيخ: كيف الرد على من احتج بكرامات وفراسة شيخ الإسلام ابن تيميه وأنها مثل المتصوفة؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

المتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة: أن كرامات الأولياء حقٌّ ثابت، وقد ذكر الله كثيرًا من كرامات الأولياء في كتابه، وذكر النبي كثيرًا من الكرامات التي أجراها الله على يدي أوليائه في الأمم السابقة.

وفي هذه الأمة كذلك جرت كراماتٌ للصحابة، وكراماتٌ للتابعين، وقد ذكر طرفًا كثيرًا منها الإمام اللالاكائي -رحمه الله تعالى-في المجلد الثامن من كتابه ﴿شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة﴾، فنحن نؤمن بأن الله يجري على يدي بعض أوليائه شيئًا من الكرامات.

والمقصود من الكرامات تثبيت الولي، ولكن هذه الكرامات لا تدخل في حيز الكرامات، إلا إذا كانت تجري على يدي أولياء الله، وقد بين الله أولياءه في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

وتختلف ولاية الْمُؤْمِنِينَ لله على حسب اختلافهم وترقيهم في مدارج الإيمان والتقوى، فكل من فيه إيمانٌ وتقوى فهو وليٌّ من أولياء الله، فأعظمنا ولايةً لله أكملنا إيمانًا وتقوى، فإذا أجرى الله شيئًا من هذه الخوارق على يد مؤمنٍ تقيٍ فإنها تعتبر كراماتٍ.

والمتقرر عند العلماء: أن هذه الكرامات تنقسم إلى قسمين إلى نوعين:

النوع الأول: كرامةٌ في القدرة والتأثير، فيعطي الله هذا الولي من القوةِ، ما هو خارقٌ لقوة البشر وقدراتهم العادية، كرامةً من الله، فربما يحمل الولي صخرةً لا يحملها إلا عدة رجال.

وربما هز نخلةً لا يهزها إلا عدة رجال، وربما مشى مسافاتٍ واسعةٍ شاسعة لا يمشيها عادةً إلا بتوقفٍ واستراحة، فالكرامة قد تكون في أنواع القدرة والتأثيرات.

وهناك نوعٌ أخر من الكرامات: وهي الكرامةُ في المكاشفات ومنه ما يسميه الدليل بالتحديث، وقد كان عمر -رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ- يكاشف بمثل هذه الكراماتُ كثيرًا، فيخبر بالشيء ثم تنزل الآيةُ موافقةً لقول عمر.

فإذا صح ما نقل عن أبي العباس ابن تيمية في هذه القصة، وكان سندها صحيحًا ولم يدخلها شيءٌ من المبالغة أو الزيادة، فإننا نحملها على أنها كرامةٌ أجراها الله على يد مؤمنٍ وليٍ تقيٍ.

فإن ابن تيمية جارٍ على منهج الولاية والتقوى، وهو عالمٌ نحريرٌ من علماء أهل السنة والجماعة، ليس فيه بدعةٌ ولا فجورٌ ولا فسقٌ ولا مخالفةٌ للسنة، ونوع الكرامة التي أجراها الله عليه في هذه القصة، تعتبر من كرامات المكاشفات.

أي أن الله ألقى في روعه أن من سيأتيه سيسأله عن كذا وكذا، فصار ابن تيمية يمشي مع هذه المكاشفة ويخبرهم بما في صدورهم، فهذه مكاشفةٌ يجريها الله على يدِ من أراد من أوليائه.

فإن قلت: وكيف نرد على الصوفية إذا استدلوا بذلك؟ فنقول: إن الكرامة لا تدخل في حيز الكرامة إلا إذا جرت على يدي الموافقين للسنة، أولياء الله من علماء السنة والجماعة، أما علماء الصوفية وما فيه من القبورية والمخالفة.

فهؤلاء لن نصدق ما يجري على أيديهم من خوارق العادات، حتى وإن أكلوا النار أو دخلوا فيها أو مشوا على الماء أو طاروا في الهواء، فإنهم وإن جاءوا بخوارق العادات فإننا نحمل أحوالهم على مخاريق الشياطين والكهان والسحرة.

فالشياطين هي التي تعينهم على هذه الخوارق، لأن أحوالهم مخالفة للدليل مخالفة للسنة، مخالفة للقرآن، مخالفة للمنهج الحق، مخالفة للعقيدة الصحيحة.

وأما ما يجريه الله على يدي الأولياء من العلماء الراسخين الموافقين لعلوم الكتاب والسنة، من أنواع المكاشفات والعلوم، أو أنواع القدرة والتأثيرات فيه كرامة.

فلا حق لمبتدعٍ أن يسدل بما أجراه الله على يدي ابن تيمية الموافق، بأن ما يجري على يدي الصوفية حقٌّ فإن الصوفية من أهل البدع، ومن أهل القبور والوثنية، يذبحون للقبور ويطوفون حولها ويعظمون الأولياء والصالحين التعظيم الذي يخرجهم عن دائرة الإسلام، إلى دائرة الشرك والوثنية.

وقد قرر العلماء أن مخاريق العادات ثلاث:

إما معجزة، وهذه انقطعت بانقطاع النبوة.

وإما كرامة وهي لا تجري إلا على يدي الموافق في عقيدته للكتاب والسنة.

وإما مخاريقُ شيطانية كالتي تجري على يد الكهان والسحرة، فهذه يجريها الشيطانُ على يدِ أولياءه من المخالفين للعقيدةِ الصحيحة.

فلا يدخل في هذه الكرامات الحقيقة لا الصوفية ولا الرافضة ولا غيرهم من أصناف أهل البدع.

لأنه ليسوا من أولياء الله من أهل الإيمان والتقوى، فلا إشكال ولا اختلاط في هذا الأمر والله أعلم.

i

٢٦٥. سُئِلَ الشيخ: أرسل الله سبحانه وتعالى رسله للناس وأيدهم بخوارق العادات، ليُثبِت صدق دعواهم، وأنهم يدعون الناس للطريق الصحيح، فلماذا سبحانه لا يعطي أولياءه الكرامات ليثبتوا صدق دعواهم، ونحن الآن في زمن كما تعلمون كثرت فيه الشبهات والإلحاد وأعداء الإسلام، وهل ثبت عن السلف أنهم أثبتوا صدق دعواهم بالكرامات، ولماذا لم نعد نسمع عن الكرامات المحسوسة، فهل انتهى زمانها؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، ومقصود كل من هذين الخارقين يختلف، فأما مقصود معجزات الأنبياء وآياتهم وبراهينهم التي أجراها الله عَزَّوَجَلَّ على أيديهم، فإنما هو لإظهار صدقهم في قولهم إنا رسلٌ من الله، ونحن أنبياء الله، وأن الواجب عليكم طاعتنا فيما أمرنا والانتهاء عما نهينا وزجرنا، فالمقصود من براهين الأنبياء وآياتهم ومعجزاتهم وخواريق العادات إنما هو لإظهار صدقهم في هذه الدعوة، وأما الولي فإنه ليس ما يجريه الله عَزَّوَجَلَّ على

يديه من الكرامات لإظهار صدقه في دعوته لا، وإلا لكان الولي نبيا، وإنما لإظهار فضله ولتثبيته، فالمقصود من كرامات الأولياء أمران، إما لإظهار فضل هذا الولي على غيره، وإما لتثبيت الولي في خاصة نفسه، فإن هذا هو مقصود الكرامة، فقولك لِمَ لَمْ يجري الله الكرامة على يد الأولياء لإظهار صدقهم في دعوتهم! إنما نقول ذلك في حق الأنبياء، وأما الأولياء فلا يجوز أن نقول ذلك في حقهم، وحيث بينا لك هذا فأظن أسئلتك التي رتبتها على الخلط في هذا الأمر قد عرفت جوابها إن شاء الله، فالمقصود من معجزات الأنبياء إظهار صدقهم في دعوتهم لأنهم يحتاجون إلى هذه البراهين، وأنهم مرسلون من عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن هل الولي مرسل من عند الله عَزَّوَجَلَّ حتى يحتاج في تصديق دعوته إلى برهان؟ الجواب لا، وإلا فأي فرقان بين النبي وبين الولي، فالكرامة لا يزال الله عَزَّوَجَلَّ يجريها على يد من شاء من أوليائه لإظهار أمرين، إما لتثبيت الولي في خاصة نفسه، وإما لإظهار فضله ومنزلته، وأما معجزات الأنبياء فإن المقصود بها شيء واحد وهو إظهار صدق الأنبياء والرسل، وتحدي هؤلاء بما يعجزون عليه مما يتقنونه، والله أعلم.

i

٢٦٦. سُئِلَ الشيخ هل يمكن التمييز بين الكرامة والسحر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله عجيب هذا السؤال، نعم عجيب هذا السؤال جدا، لكن على كل حال -وفقكم الله- أنا أجيب بجواب عام، وهي أن الكرامة هي أمر خارق من الله عَزَّوَجَلَّ فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يجري هذه الكرامة على يد أحد من أوليائه ليثبت فضله أو ليثبّت إيمانه ودينه، وأما السحر فإنه شيء من الشيطان يجريه الشيطان على يد أوليائه ليؤذوا الناس، والكرامة

إنما آثارها حميدة، وأما السحر فإن آثاره قبيحة، فإن السحر من عمل الشيطان ولا يمكن أبدا أن يكون عمل الشيطان يجنى منه مصالح خالصة أو راجحة، وأما الكرامة فإنها من فعل الله عَزَّوَجَلَّ والشر ليس منسوبا إلى الله عَزَّوَجَلَّ فتلك الكرامة إنما يجنى منها المصالح الخالصة أو الراجحة لأنها من الله، وأما السحر فإنما يجنى منه المفاسد أو الراجحة لأنه من الشيطان، فكيف يشتبه هذا على هذا؟ ثم أضف إلى هذا أن الكرامة أمر خارق يجريه الله على يد أحد أوليائه، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأما مخاريق السحرة فإنها تلك الخوارق التي يجريها الشيطان على يد أوليائه الذين يخالفون الشريعة ويتنكبون عن هدي الله عَزَّوَجَلَّ وتظهر منهم المخالفات الشرعية، ويرتكبون الجرائم تلو الجرائم من الشرك والكفر والوثنية ليرضوا شياطينهم حتى تجري على أيديهم هذه المخاريق السحرية، فأين هذا من هذا؟ فالذي ليس عنده فرقان بين أولياء الرحمن وأحوالهم وأولياء الشيطان وأحوالهم هذا يحتاج أن يراجع توحيده وأن يراجع إيمانه وأن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق والسداد ليعطيه هذا الفرقان الذي يفرق به بين مخاريق السحرة وبين كرامات الأولياء، فالكرامة شيء يجريه الله عَزَّوَجَلَّ على يد أحد أوليائه ليظهر فضله وليثبّت دينه، وإن نتائجه في الأعم الأغلب مصالح خالصة أو راجحة، وأما مخارق السحرة فإنها أمور سحرية وثنية مبناها على الشرك والكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، تجريه الشياطين على من ظهرت مخالفته من الكهنة والمشعوذين والعرافين، ولا يجنى من هذه المخارق السحرية إلا كل شر وبلاء وفساد في التفريق بين المرء وزوجه وفي معارضة الحق كما عارض سحرة فرعون الحق الذي جاء به موسى، ففرقان عظيم بين هذا وهذا وفقكم الله، والله أعلم.

i

٢٦٧. سُئِلَ الشيخ: من أعظم ما خلق الله ثلاثة: الملائكة والانبياء والمؤمنين الأولياء ماهي الصفات الواضحة للأولياء؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، لقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ صفات الولاية في قوله ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فالله عَزَّوَجَلَّ أولياؤه هم المؤمنون المتقون، وتتفاوت ولاية العبد لله عَزَّوَجَلَّ أو ولاية الله للعبد على حسب تفاوت العباد في منازل الإيمان ومدارج التقوى، فأعظمنا ولايةً لله عَزَّوَجَلَّ أعظمنا أيماناً وتقوى، والنص في ذلك واضح ولله الحمد فكل مؤمن تقي فإنه لله ولي. والله أعلم.

i

الباب السادس: من طريقة أهل السنة والجماعة وخصالهم الحميدة

هل مذهب أهل السنة والجماعة معصوم عن الخطأ؟

٢٦٨. سُئِلَ الشيخ: هل مذهب أهل السُنة والجماعة معصوم من الخطأ؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، الجواب: إن مذهب أهل السُنة والجماعة لا بد أن ننظر فيه إلى اعتبارين: ننظر للمذهب باعتباره مذهبا، وننظر لمن دان بهذا المذهب، فلا بد أن نُفرق بين الاعتبارين، أما مذهب أهل السُنة والجماعة

بالنظر إلى ذاته فلا جرم أنه مذهب معصوم من الخطأ لا يمكن أبدًا أن يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه، قالوا: لماذا؟ نقول: لأن هذا المذهب مبني على الحق المُطلق وعلى الصدق المطلق وهو دليل الكتاب والسُنة.

وما كان مبنيًا على الحق والصدق المُطلق فإنه لا يكون إلا حقًا، ولذلك لا تجد كلمةً من أهل السُنة والجماعة إلا وهي مبنيةٌ على ماذا؟ على أدلة الكتاب والسُنة، ولا تجد عقيدة قررها أهل السُنة في كتبهم إلا وتجد لها ما يشهد لها من أدلة الكتاب والسُنة واتفاق السلف، وهذا كله يوصف بأنه معصوم فإذًا يكون المذهب معصومًا إذا بني على شيء معصوم، فإذًا مذهب أهل السُنة والجماعة باعتباره مذهبًا وباعتباره عقيدةً لا جرم أنه معصوم لأنه مبني على المعصوم وما بني على المعصوم فهو معصوم وما بني على الحق فهو حق وما بني على الصواب والصدق فهو صواب وصدق، لكن باعتبار النظر إلى من يدين بهذا المذهب فحينئذ قد يصدر من بعض المنتسبين لهذا المذهب بعض ماذا؟ الأخطاء فأعمال المنتسبين لهذا المذهب ليست معصومة، ربما رجل من علماء أهل السنة يقرر بعض المسائل السنية السلفية على خلاف ماذا؟

على خلاف ما جاء عن أهل السُنة والجماعة فحينئذ يُنسب الخطأ إلى ذات المذهب ولا إلى شخص هذا الرجل؟ شخصه، فإذًا الأشخاص غير معصومين وأما ذات المذهب بالنظر إليه مقرون بأدلته فلا جرم أنه معصوم فلا بد من التفريق بين هذين الحالتين حتى نعطي كل ذي حقٍ حقه.

i

٢٦٩. سُئِلَ الشيخ: ورد في حديث الرسول ﷺ فيما معناه تفترق أمتي إلى

ثلاث وسبعين فرقة يقول نسمع الآن عن تقسيمات في المجتمع فيقال هذا إخواني وهذا شامي وهذا سروري وإلى نحو ذلك من التقسيمات فهل هذه مندرجة من ضمنهم وأنا كعامي أتبع من؟ وأخذ بقول من. حفظكم الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: ينبغي للإنسان أن يعلم أن حجة الله عَزَّوَجَلَّ على عباده قد قامت بإنزال الكتب وإرسال الرسل، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]

وليعلم الإنسان كذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أقام على الحق علامات ونورا يعرفها من أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ الفرقان الذي يفرق به بين الحق والباطل والصواب من الخطأ والراجح من المرجوح والمقبول من المردود، والناس بالنسبة لمثل ذلك ينقسمون إلى عوام وإلى علماء.

فإذا كان الإنسان عالما فعليه أن يطلب الحق بنفسه، وأن يتعبد إلى الله عَزَّوَجَلَّ بما أداه إليه اجتهاده ونظره المبني على القواعد الشرعية المقررة بالكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، وأما العامي فإنه يقلد علماء بلده ممن يوثق في علمهم ورسوخهم وأمانتهم وديانتهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ عن العامي ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]

فالعالم المجتهد وهو من عنده القدرة على استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة مباشرة، فهذا لا يجوز له أن يقلد أحدا من العلماء، بل يتبع ما أداه إليه اجتهاده سواء أوافق علماء عصره أم خلفاهم، وأما العوام وهم من ليس عندهم حصيلة من العلم الشرعي تؤهلهم للترجيح بين أقوال

العلماء، فهؤلاء لا يمكنهم استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة ولا يستطيعون الترجيح بين أقوال العلماء.

ولذا فالواجب عليهم سؤال العلماء وإتباع أقوالهم، هذا بالنسبة للخلاف في مسائل الفقه والأحكام التشريعية، وأما في مسائل العقيدة وهي لب السؤال فإن الافتراق الوارد في الحديث المذكور في السؤال وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة لا يقصد النبي ﷺ بهذا الافتراق الفقهي وإنما يقصد به الافتراق العقدي، فهذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة، جميع هذه الفرق في النار ماعدا فرقة واحدة وقد بينها النبي ﷺ بيان شافيا كافيا قاطعا للعذر، بقوله من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي وفي رواية الجماعة، فمسألة العقيدة ينبغي للإنسان أن يحرص على تلقيها من العلماء الراسخين في مذهب أهل السنة والجماعة فلا ينبغي له أن يتبع فيها كل ناعق ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، وما أكثر الناعقين في وسائل الإعلام بأمور عقدية مخالفة للكتاب والسنة وفهم سلف الأمة في هذا الزمان.

فوصيتي للعامي الذي يخفي عليه شيء من أمور الاعتقاد: أن لا يتلقى أمر عقيدته عما هب ودب من طلبة العلم أنصاف المثقفين الذين لا يعرفون برسوخ علمي ولا يعرفون بين الناس بالثبات في العلم، فالناس يعرفون العلماء الراسخين ممن يشار لهم بالبنان ويوثق في علمهم وديانتهم وأمانتهم ورسوخهم فمسائل الاعتقاد لا تتلقفها كيفما اتفق من أي قناة فضائية أو من أي برنامج ديني أو من أي خطيب مفوه لا فمسائل الاعتقاد لا تتلقي إلا عن علماء أهل السنة والجماعة، ولكننا نعيش في زمن قد عشق فيه كثير من الناس تصنيف الأمة وتقسيمها إلى فرق وإلى أحزاب، فهذا ينتمي إلى جماعة كذا وهذا

ينتمي إلى جماعة كذا.

وهذا أمر مخالف ومصادم للمقصود الشرعي الأعظم، من قول الله عَزَّوَجَلَّ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، فالواجب علينا أن نكون أمة واحدة ويد واحدة وقوة واحدة على ما قرره كتاب ربنا وسنة ربنا عَزَّوَجَلَّ على فهم سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان في القول والعمل، فلا نكون في باب العقيدة مضطربين بأن نستمع كل من قرر مسألة عقدية كيفما اتفق، بل لابد أن لا نفتح أذننا ولا قلوبنا إلا من نعلمه من أهل السنة والجماعة من العلماء الراسخين الذين تأمن الأمة فتواهم وتأمن دينهم وتأمن رسوخهم في العلم وهم معروفون معلمون بأسمائهم ولله الحمد والمنه، فأنا لا أرى والله أعلم. أن يدخل الإنسان في تقسيم الأمة إلى أحزاب وفرق، وإنما عليه أن يطلب الحق من أفواه العلماء الراسخين وأن يعتصم بما قرره أهل السنة السابقون والمعاصرون، وهذه أقوالهم منشورة في كتبهم ومؤلفاتهم مشتهرة، فما على الإنسان إذا أراد أن يعرف الحق في مسائل الاعتقاد، إلا أن يقرأ في هذه الكتب ويضطلع من الجلوس عند العلماء الراسخين كهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة وغيرهم ممن وثقت الأمة في علمهم وديانتهم وخبرتهم.

وإذا أشكل عليك أمر الأحياء فلم تستطع أن تأخذ العلم عن الأحياء فدونك علماء أهل السنة من الأموات فإنك لو قرأت العقيدة الواسطية لتبين لك الحق في مسائل الاعتقاد إن شاء الله، أو العقيدة الطحاوية أو العقيدة الحموية أو كتاب التوحيد وكشف الشبهات وثلاثة الأصول، وغيرها من الكتب التي ألفها علماء مجددون وأفذاذ راسخون في العلم مأمونون في الكتابة والتأليف والمعرفة فالحق واضح أبلج ولله الحمد ولكن كثرة السماع لمن هب ودب هو

الذي يوجب مثل هذه الإشكالات في مسائل العقيدة، فالإنسان يجلس أمام القنوات الفضائية ويستمع إلى أمور العقائد ممن هب ودب ويتابع البرامج العقيدة منها وربما يديرها أناس قد يخالفون أهل السنة والجماعة في كثير من مسائل الاعتقاد، فهذا الانفتاح الإعلامي ما جاءنا بخير، لأنه أشكل على كثير من العوام في مسائل عقيدتهم فعليك أيها المسلم أن تحرص على مسائل العقيدة وأن لا تأخذها إلا من أفواه العلماء الراسخين المأمونين في علمهم وديانتهم وأمانتهم وهم معروفون معلمون ولله الحمد والمنة.

وإن أشكل عليك أمر فعليك أن تسأل أهل العلم، وعندنا ولله الحمد والمنة في هذا الزمان سماحة شيخنا الشيخ مفتي هذه البلاد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ وسماحة الوالد الشيخ صالح بن فوزان وكذلك الشيخ عبد الكريم الخضير، وكذلك فضيلة الشيخ عبد العزيز الراجح وغيرهم ممن لم اسمهم وإنما ضربت مثال عليهم، فنحن في هذه البلاد نرفل في نعمة وجود العلماء الصادقين المؤمنين الراسخين نسأل الله أن يثبتهم ويسدد قلوبهم وألسنتهم فإن أشكل عليك أمر عقدي فاسألهم وبادر بسؤالهم ولا تستمع لمن هب ودب في مسائل الاعتقاد، فما أكثر من يقرر في مسائل الاعتقاد أمور عقدية على خلاف الكتاب والسنة، فلا تكتفي بالتعلم من شاشات التلفاز أمام تلك البرامج الدينية التي لا ندري من يديرها ولا ندري من يقرر فيها ولا ندري عن علميته، بل عليك بمراجعة أهل العلم الثقات المؤمنين حتى تعبد ربك على بصيرة وحتى تجعلهم فيما بينك وبين الله فيما تعتقده وتعمله والله أعلم

i

الفصل الأول: اتباع آثار رسول الله ﷺ واتباع سبيل

السابقين

٢٧٠. سُئِلَ الشيخ: قرأت أن الشيعة والسلفية متفقتان على جعل العصمة للبشر! فالشيعة يجعلون العصمة في الأئمة الاثني عشر! والسلفيون يجعلون العصمة في فهم الوحي للقرون المفضلة! فما تعليقكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله نصيحتي لك إذا كنت سوف تتأثر فيما إذا قرأت لمثل هؤلاء الذين وصفتهم بالمثقفين أنك لا تقرأ إذا لم تكن متضلعا من علوم الكتاب والسنة وراسخا في علوم السلف الصالح فإنه لا يجوز لك أن تطلع على كتابات هؤلاء المثقفين الذين حسنت صورتهم بأنهم مثقفون وإلا فإني أظنهم من الليبراليين أو الحداثيين أو التنورين الذين يريدون أن يجمعون بين الظلمة والنور وبين الحق والباطل وبين الإسلام وفلسفة أرسطو وأفلاطون كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المنافقين في آيات متعددة أنهم يريدون الإحكام والتوفيق والجمع بين النظرتين بين نظرة اليهود و نظرة الإسلام ونظرة الشرك ونظرة الدين الحق فإذا لم تكن متضلعا من علوم الشريعة و عارفا بقواعد أهل السنة والجماعة وراسخاً فإياك أن تطلع على مثل هذه الكتابات والأطروحات التي قد تثير لك مثل هذه الشبهة والتي تحتاج في كشفها إلى من يكشفها عنك ولذلك حرم أهل السنة والجماعة لمن ليس عنده فرقان يتعرف به على الحق والباطل أن ينظر في كتب أهل البدع أو أن يجالس أهل البدع من باب حماية الدين وحماية الدين من مقاصد الشريعة فكل ما من شأنه إتلاف الدين وإعطابه أو إنقاصه أو بعث الشبه فيه أو الشكوك والخيالات والأوهام في شيء من جزئياته أو كلياته فإن الواجب سده وإحكام سده. فوصيتي لك وفقك الله أن تبتعد الابتعاد المطلق عن قراءة كتب هؤلاء أو أطروحاتهم.

حتى تتضلع من علوم الكتاب والسنة.

وأما مسألة قضية العصمة بين السنة والرافضة فشتان بين هذا وهذا فإن الشبهة إنما ثارت في ذهنك لأنك جمعت بين العصمة التي ثبتت بالنص والتزكية النبوية الربانية وبين العصمة التي أثبتتها الأحاديث المكذوبة المقلوبة الموضوعة التي اخترعها البشر ففرقان بين العصمة الالهية التي قضاها الله عَزَّوَجَلَّ بقدره الشرعي لطائفة من الناس وأنزل بها آيات كتابه وقالها نبيه ﷺ في وحيه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وفرقان بين العصمة المكذوبة المختلقة المزعومة التي لا يقف وراءها مستند شرعي ففهم القرون المفضلة الذين زكاهم الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه زكى علمهم زكى فهمهم زكى ديانتهم زكى ظواهرهم زكى أعمالهم زكى بواطنهم أخبر بعظيم الرضا عنهم شهدت لهم الأدلة أنهم من أهل الجنة وهم لا يزالون أحياء. ويقول فيهم الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ الآية بتمامها.(سورة الفتح الآية ٢٩) وقال الله عَزَّوَجَلَّ :﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(سورة الفتح الآية ١٨)

وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فهؤلاء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وسطر الله لهم في كتابه أعظم الوصف وأعظم الثناء وأعظم الذكر. وأعظم تزكية ممن اتفق أهل السنة على أنهم عدول أثبات لا تبحث عن عدالتهم ممن قال فيهم النبي - ﷺ- في الحديث المتواتر((خَيْرُ

النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) [(١)]ممن قال فيهم النبي - ﷺ – (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ [(٢)])وممن قال فيهم النبي - ﷺ-(إِنْ يُطِعِ الْقَوْمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا)[(٣)] وممن قال فيهم النبي –ﷺ – (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) [(٤)] – ممن زكاهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وزكاهم النبي بقوله – ﷺ بقوله (وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً)، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) [(٥)]

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: [٢٦٥١]، أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم ٢٥٣٥.

(٢)أخرجه الترمذي برقم: [٤٨]، وابن ماجه برقم: [٣٦٦٢] وصححه الألباني. في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٢٣٣)

(٣) هَذِه الْعِبَارَاتُ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ فِي: مُسْلِمٍ كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا برقم (٦٨١).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١/١٥) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ](٥/٤٤) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/٥٨) برقم: [١٦٥]. في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٧

(٥)أخرجه الترمذي برقم (٢٦٤١) ابن ماجه برقم (٣٩٩٣) وصححه الألباني «صحيح الجامع» «٥٢١٩» و»الصحيحة» «١٣٤٨»

ممن زكاهم النبي ﷺ في أحاديث كثيرة وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فليسن بِمَنْ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسِيَرِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ.)(١) وقال ابن مسعود ما رآه المسلمون أي الصحابة حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح. أفتأت بهذه العصمة التي تقف وراءها تلك المستندات التي لم أذكر إلا بعضها بالعصمة التي يدعيها الرافضة في أئمتهم الاثني عشرية شتان والله هذا بهتان عظيم هذا جمع بين الحق والباطل هذا يذكرنا بقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة:**٢٧٥** وهذا من أفسد القياس ويذكرنا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]

هذا والله من أعظم الباطل الذي لا يجوز قبوله فإذا فرقت بين العصمتين العصمة الشرعية والعصمة البدعية حينئذ ينحل عندك الإشكال وتعرف أن ما قاله هذا الذي وصفته بأنه مثقف أنه عين الباطل والله أعلم.



٢٧١. سُئِلَ الشيخ: أنه أحيانا إذا أخطأ العالم قيل إن له أجراً واحداً وأحيانا

---

(١)طبقات الأولياء (٣٠٥/١) « جامع بيان العلم وفضله « ٩٧/٢ والهروي ورقة ٨٦ وضعفه الألباني في المشكاة ١٩٣ -[٥٤].

إذا أخطأ قلنا لا أنه مبتدع وخالف السنة فما هو الضابط بينهما بارك الله فيك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين هذه شبهة دخلت عليك وفقك الله لأنك جمعت بين أمرين مختلفين أحدهما في المشرق والآخر في المغرب وفقك الله فلا بد أن تفرق بينهما فاستمع لما أقوله إن الحكم على الشيء ينقسم إلى قسمين حكم على القائل نفسه وحكم على قوله فإياك أن تجر الحكم على القول إلى الحكم على القائل فإننا معاشر أهل السنة نفرق بين الفعل والفاعل والقول والقائل فإذا قلنا بأن ما قاله هذا الرجل بدعة ولا يجوز الأخذ به فإنما هذا من الحكم على قوله، وإذا قلنا بأن الإنسان إذا اجتهد وأخطأ له أجر فهذا حكم على القائل.

فالإنسان إذا اجتهد في معرفة السنة وبذل وسعه في معرفة مراد الله عَزَّوَجَلَّ ولكنه أخطأ ووقع في شيء من البدع غير قاصد للمخالفة فإننا نرد بدعته ونقول ما جاء به بدعة فهذا حكمنا على فعله؛ لأن الباطل يرد ممن جاء به ثم إذا جئنا نحكم على هذا الرجل الذي اجتهد وبذل ما في وسعه في معرفة مراد الله ولكنه أخطأ نقول هذا أخطأ وله أجر واحد.

فقولهم المجتهد إذا أخطأ فله أجر واحد هذا حكم على المجتهد نفسه، وقول بعض الناس أو بعض أهل العلم في بعض أعمال المجتهدين بأنها بدعة ولا تجوز وأنها محدثة في الدين هذا حكم على ما جاءوا به من الاجتهاد.

ففرقان بين الاجتهاد الخاطئ وبين المجتهد المخطئ فأما الاجتهاد الخاطئ فنرده ولا نقبله، وأما المجتهد المخطئ فنعطيه أجرا وإن أصاب أعطيناه أجرين

فالشبهة دخلت عليك في الجمع بين الفعل والفاعل والمجتهد واجتهاده فإذا

فرقت بينهما زال عنك الإشكال والله أعلم.

i

٢٧٢. سُئِلَ الشيخ عن القول أن هذا الرسول ومن نحن حتى نكون مثله في مسائل الأخلاق والمعاملات، أعني رفع الرسول عن مقام الإتباع، حكم القول بذلك أثابكم الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين ؛ المتقرر في القواعد أن الخصائص مبناها على التوقيف، فلا يجوز دعوى الخصوصية في شيء من أحكام الشرع إلا بدليل ظاهر، والمتقرر في القواعد أن الأصل في أفعال النبي ﷺ وأقواله التشريع ووجوب الاقتداء والتأسي به ﷺ، فلا يجوز لنا أن نخرج قولا من أقواله عن دائرة التشريع والاقتداء إلا بدليل، ولا يجوز لنا أن نخرج فعلا من أفعاله عن دائرة التأسي به ﷺ، والاقتداء إلا بدليل، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وفي أحاديث كثيرة يأمرنا النبي ﷺ بمتابعته، أولم يقل ﷺ (لِتَأْخُذُوا عَنِّى مَنَاسِكَكُمْ) [(١)] لما كان يفعل مناسك الحج كان يقول بعد كل منسك خذوا عني مناسككم أو قال لتأخذوا عني مناسككم وما ذلك إلا لأنه أسوة لنا في أقواله وأفعاله ﷺ، أو لم يقل ﷺ كما في الصحيح من حديث مالك أبن الحويرث (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)، [(٢)] - فهذا أمر لنا بان نقتدي به في أفعاله ﷺ، وفي الصحيحين عَنْ

---

(١) أخرجه مسلم، فى: باب استحباب رمى جمرة العقبة، من كتاب الحج برقم ((١٢٩٧)). وأبو داود، فى: باب فى رمى الجمار، من كتاب المناسك/ برقم (١٩٧٠)

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه»بَابُ الأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً وَالإِقَامَةِ برقم: [٦٣١]ومسلم في كتاب المساجد بَابُ مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ برقم(٦٧٤)

سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ المِنْبَرِ: مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ؟ قَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ، وَأَعْرِفُ مَنْ عَمِلَهُ، وَأَيَّ يَوْمٍ صُنِعَ، وَأَيَّ يَوْمٍ وُضِعَ، (وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ، أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى امْرَأَةٍ لَهَا غُلَامٌ نَجَّارٌ، فَقَالَ لَهَا: (مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهَا إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ (فَأَمَرَتْهُ فَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ فَقَطَعَ طَرْفَاءَ فَعَمِلَ المِنْبَرَ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، فَأَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوُضِعَ فِي مَوْضِعِهِ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ، فَكَبَّرَ هُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَغَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي، [(١)]) فأفعاله ﷺ لنا هي الأسوة والقدوة ولا يحق لاحد أن يقول مثل هذا الكلام، أن يقول قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وأين نحن من أخلاقه وأين نحن من الاقتداء به كل هذا من الكلام الذي لا ينبغي، بل يجب علينا أن نقتدي به وأن نجعله لنا أسوة فنقتدي به في أقواله وأفعاله الواجبة اقتداء وجوب ونقتدي به في أفعاله وأقواله المندوبة اقتداء ندب واستحباب، فمتابعته ﷺ فرض واجب على الأمة، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بالإتباع في أول هذه الآية وفي نهايتها، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ إِنْ

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة بَاب: الصَّلَاةِ فِي السُّطُوحِ وَالْمِنْبَرِ وَالْخَشَبِ برقم: [٣٧٧]، أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة رقم ٥٤٤. وأخرجه أحمد برقم (٢٢٨٧١) واللفظ لأحمد.

كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] ويقول عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] فيجب علينا أن نبعد هذا الوارد عن أذهاننا فإنه قد وقع فيه جمع من أصحاب النبي ﷺ وأنكره عليهم، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله تعالى عنه (جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.)، [(١)]) فالذي يقول أين نحن من رسول الله ﷺ؟ وهل لنا أن نتأسى بأخلاقه وقد غفر له ما تقدم من ذنبه؟ فإنه يفتتح بابا يُرغِّب الناس فيه لغير سنة النبي ﷺ، والنبي يقول: (فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.)[(٢)]، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت (صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ

---

(١): أخرجه البخاري كِتَابُ النِّكَاحِ بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ برقم: [٥٠٦٣]، وأخرجه مسلم في النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.. رقم ١٤٠١

(٢): أخرجه البخاري كِتَابُ النِّكَاحِ بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ برقم: [٥٠٦٣]، وأخرجه مسلم في النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.. رقم ١٤٠١

إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ له خشية)[١] وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ((بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ إِذْ خَلَعَ نَعْلَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَنْ يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْقَوْمُ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَتَهُ قَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ، قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا، أَوْ قَالَ: أَذًى، وَقَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَذَرًا، أَوْ أَذًى فَلْيَمْسَحْهُ وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا))[٢] ليس ثمة علة أخرى، إنما هو محض امتثال واقتداء بالنبي ﷺ، رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ نَعْلَيْكَ فَأَلْقَيْنَا نِعَالَنَا، والأحاديث الآمرة باتباعه كثيرة جدا، كقوله: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)[٣]،الحديث بتمامه وفي كل خطبة يأمرنا النبي ﷺ باتباع هديه واقتفاء أثره، يقول ﷺ كما في حديث جابر في كل خطبة: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ،....

---

(١): أخرجه البخاري كِتَابُ الأدب باب: مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالْعِتَابِ برقم: [٥٧٥٠]، أخرجه مسلم في الفضائل، باب: علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، رقم: ٢٣٥٦

(٢)أخرجه أحمد برقم (١١١٥٣) وأبو داود برقم (٦٥٠) و صححه الألباني في الإرواء: ٢٨٤، وصفة الصلاة ص ٨٠ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٣٧٥) برقم: [١٧١٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٠٠) برقم: [٤٦٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [اتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ](١٥/١) برقم: [٤٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ](٤٤/٥) برقم: [٢٦٧٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٨/١) برقم: [١٦٥]. في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٧

وَيَقُولُ: (أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ. وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ)(١)، فلا يجوز لنا أن نقول مثل هذا الكلام، ولكن اقتداؤنا به ﷺ إنما هو اقتداء منوط بالقدرة والاستطاعة، لأنه لا تكليف إلا بقدرة واستطاعة، فالتكاليف الشرعية منوطة بالقدرة والاستطاعة، فما عجزنا عن الاقتداء به فالله يغفر لنا ويعفو عنا، ولكن أما أن نقول بأننا لا نستطيع أصالة الاقتداء فإن هذا والله رغبة عن سنة النبي ﷺ، فالواجب الحذر من هذا الكلام الذي يظن صاحبه أنه محسن وهو في الحقيقة مسيء والله أعلم.

i

٢٧٣. سُئِلَ الشيخ: ما هو الفرق بين فعل ابن عمر لما كان يصلي في الأماكن التي كان يصلي فيها النبي عليه السلام، وأيضًا فعل الناس الذين رآهم عمر يقصدون الصلاة في المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ، وبين فعل سلمة بن الأكوع لما كان يصلي عند الأسطوانة التي كان يصلي عندها النبي ﷺ كما عند البخاري؟

فأجاب – عفا الله عنه–: قبل أن نبدأ في تفاصيل الجواب على هذه المسألة فلابد أن نتعرف على أمر مهم جدا، وهو: أن كل مكان نزل فيه النبي ﷺ أو بات فيه أو تغوط فيه أو بال فيه مثلاً أو عرس بالجيش فيه أو حصل له أمرٌ من الأمور في مكانٍ من الأمكنة فلا يخلوا من حالتين: إما أن يكون النبي ﷺ قد قصد هذا المكان بعينه هذه الحالة الأولى.

والحالة الثانية: أن يكون قد حصل له ذلك الأمر من غير قصده هو لعين هذا

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجمعة بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلاَةِ وَالْخُطْبَةِ برقم (٨٦٧).

المكان، وإنما حصل وقوع هذا الأمر في هذا المكان من باب الموافقة ليس من باب القصد، فالنبي ﷺ إذا بات في مكان معين في طريق سفره فإنه بات فيه لا لقصد هذا المكان وإنما لأنه وافق نومه فقط، يعني أن وقت النوم قد حل في هذا المكان، فالنبي ﷺ ينام في مكانٍ في طريق سفره لا من باب قصد المكان بعينه، وكذلك لو أنه تغوط أو بال في مكانٍ فإنه لا يكون قد قصد هذا المكان لعينه أو لخصيصةٍ في هذا المكان وإنما حصل الأمر من باب الموافقة، وكذلك لما بايع النبي ﷺ الأنصار عند العقبة عند الشجرة هو لم يقصد هذه الشجرة أو هذا المكان لغرضٍ في هذا المكان أو لخصيصة تخص هذا المكان وإنما حصل الأمر من باب الموافقة

وبناءً على ذلك: فلا يجوز أن تتخذ آثار الأنبياء التي نزلوها من غير قصدٍ لها بخصوصها لا يجوز أن تتخذ آثارا، فأي مكان بات فيه النبي ﷺ من باب الموافقة لا من باب قصده، وأي مكان تغوط فيه أو بال من باب الموافقة لا من باب قصده، وأي مكان حصل له أمر من الأمور من باب الموافقة لا من باب قصده فليس من السُنة انتبهوا فليس من السنة أن يُقصد هذا المكان بعينه لفعل ما فعل فيه النبي ﷺ، لماذا؟ لأن هذا خلاف السنة كيف يكون خلاف السنة؟ يكون خلاف السنة لأن النبي ﷺ فعل هذا الفعل المعين في هذا المكان المعين من غير قصد لهذا المكان، فكون الإنسان يخرج من بيته يقصد عين هذا المكان ليفعل فيه ما فعله النبي ﷺ هذا مخالفة في القصد، فالنبي لم يقصد المكان وأنت قصدته وهذا حقيقة المخالفة للسنة.

ولذلك أنكر كثير من أصحاب النبي ﷺ على ابن عمر رضي الله عنهم ما كان يفعله من شدة تتبعه وتحريه للنزول في الأمكنة التي نزل فيها النبي ﷺ، أو

للمبيت في المكان الذي بات فيه النبي ﷺ، أو للصلاة في المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ في مكان سفره، لماذا أنكروا عليه؟ لأن النبي ﷺ لم يقصد عين هذا المكان وإنما حصل النوم أو حصل التعريس بالجيش، أو حصلت الصلاة في هذا المكان من غير قصد، فإذًا لا يجوز قصد هذه الأمكنة بعينها لأن النبي ﷺ فعلها.

فإذًا يُقرر أهل السنة رحمهم الله تعالى: أن من قصد مكانًا بعينه لم يقصده النبي ﷺ ليفعل فيه ما فعل فيه النبي ﷺ فإن هذا مخالفة للسُنة، لأن النبي ﷺ لم يقصده وأنت قصدته، ولذلك قطع عمر رضي الله تعالى عنه تلك السلمة أو تلك الشجرة التي اتخذها الناس مصلى أو اتخذوها مسجدًا يفعلون عندها بعض العبادات، لما؟

لأن عمر يعلم أن النبي ﷺ إنما بايع عندها لا من باب قصدها بعينها أو لخصيصة فيها فكون الناس يقصدونها من باب التخصيص والقصد بالذات هذا مخالف للسنة، فلا يجوز اتخاذ آثار الأنبياء مساجد، فلا يجوز لأحدٍ أن يبني مسجدا أو يقصد مكانا فعل فيه النبي ﷺ شيئًا، إلا إذا كان النبي ﷺ قد قصد المكان بعينه لخصيصة في هذا المكان، فانتبهوا لهذا، وأما ما فعله سهل t من تحريه الصلاة عند الأسطوانة التي كان النبي ﷺ يصلي عندها فإن النبي ﷺ قصد الصلاة في هذا المكان ليتخذ الأسطوانة سترة له، فإذًا هو قصد المكان لأنه يستتر حينئذ بالأسطوانة فسهل يقتدي به في اختيار هذا المكان لوجود هذه الأسطوانة التي يتخذها المصلي سترةً، أي: يستتر المصلي بها والسترة في الصلاة مشروعة.

وإن كان العلماء يختلفون في وجه مشروعيتها لكنها مشروعة في الجملة باتفاق

الفقهاء رحمهم الله تعالى، فإذًا فرقٌ بين هذا وهذا فابن عمر t أُنكر عليه فعله لأنه قصد الأمكنة بعينها والنبي ﷺ لم يقصدها وإنما حصل الفعل عندها من باب الموافقة، وعمر أنكر على من يقصد الشجرة بعينها لأن النبي ﷺ لم يقصدها بعينها وإنما حصل الأمر من باب الموافقة.

والمتقرر عند العلماء: أن السُنة فعل السنة على الوجه الذي فعله النبي ﷺ، فأي مكان قصده رسول الله لفعل أمر من الأمور فيه فلا يخلو من حالتين:-

إن قصده لخصيصة في هذا المكان فقصد هذا المكان من السُنة، وأما إن قصد المكان لا لخصيصة في هذا المكان وإنما من باب الموافقة للفعل الذي يريده فقط فلا يكون قصد هذا المكان بعينه من باب السنة، والتفريق بينهما أمرٌ مطلوب حتى لا يقع الناس في البدع والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطانٍ، والله تعالى أعلى وأعلم.

i

٢٧٤. سُئِلَ الشيخ: متى يبدع المعين والتبديع المعين شغل من هل كل أحد يحكم على أي شخص يراه مبتدع أم هذا خاص بالعلماء ونحن نقلد العلماء بهذا؟

والأمر الآخر: هل كل من وقع في بدعة فهو مبتدع؟ الأمر الأخير، وهو: ما نصيحة شيخنا حفظه الله إلى الشباب الذين وسعوا في هذا الباب ويعينون كلام مطلق لعلماء على أشخاص بأعينهم يعينون كلام مطلق للعلماء على أشخاص هم الذين يعينون وليس العالم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: ما ذكره السائل وفقه الله عَزَّوَجَلَّ أمرٌ في غاية الخطورة

ولا سيما أننا نرى بين الفينة والأخرى من يتجرؤون على تقحم وإصدار مثل هذه الأحكام العظيمة التي يترتب عليها آثار خطيرة وكبيرة، وفي هذا الصدد أود أن أُنبه على بعض مسائل حتى وإن أطلت قليلا ولكن لابد من التنبيه عليها:-

المسألة الأولى: اعلم رحمك الله أن القاعدة تقول: يجب كف اللسان عن الحرام، ويستحب صونه عن فضول المباح، فالإنسان ينبغي له أن يحذر الحذر الكبير من آفات لسانه، وأن الحكم على الآخرين من جملة ما شهدت الأدلة بأنه من جملة آفات اللسان، فإذا أصدر الإنسان حكمًا على بعض إخوانه بالتكفير أو التبديع فإنه يكون بذلك قد وقع في حفرة عظيمة إذا لم يكن من أصدر عليه الحكم كذلك عند الله عَزَّوَجَلَّ.يقول النبي ﷺ: ((مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حارَ عليهِ))[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَاله كُفْرٌ))[٢].

وقال النبي ﷺ: ((فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))[٣].

ويقول النبي ﷺ: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: [٣٥٠٨]، وأخرجه مسلم برقم: [٦١].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ] (١٩/١) برقم: [٤٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَاله كُفْرٌ»] (٨١/١) برقم: [٦٤].

(٣)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الْخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى](١٧٦/٢) برقم: [١٧٤١].

البَذِيءِ))[١].

فلا ينبغي للإنسان أن يجعل لسانه سوطًا يضرب به ظهور الخلق لا سيما من إخوانه من أهل العلم أو طلبة العلم، يقول النبي ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهى اللَّهُ عَنْهُ))[٢].

فإصدار الأحكام على الآخرين من أمور الآفات اللسانية التي يُتوعد عليها يوم القيامة فإذا أصدرت شيئا من هذه الأحكام بلسانك فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم بمن صدرت عليه يعلم من صدرت عليه هذه الكلمة، فإن كانت حقيقةً فإنها تكون كلمةً صادقة وإن لم يكن الموصوف بها حقيقًا بها فإنها يرجع إليك إثمها ويرجع إليك شؤمها والعياذ بالله.

فإذًا وصيتي ليّ ولإخواني: أن يكفوا ألسنتهم عن العلماء، وأن يكفوا ألسنتهم عن طلبة العلم، وأن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في علماء الأمة، وأن لا يتهموا أحدًا منهم جزافًا بلا علم ولا حجةٍ واضحة ولا برهان وإنما هو التخرصات والهوى والظنون الكاذبة والأوهام والخيالات التي لا تمت إلى العلم بصلة، وإنما هي إلى الدجل وإلى التخييل وإلى التشكيك في سلامة يعني في سلامة هذا العالم

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٩٠/٦) برقم: [٣٨٣٩]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ](٣٥٠/٤) برقم: [١٩٧٧]، وأخرجه البزار في «مسنده» (٣٣٠/٤) برقم:[١٥٢٣]، وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٥٧٤/١) برقم: [٢٠٧٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٩/٢) برقم: [٥٣٧٩].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه] (١١/١) برقم: [١٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ تَفَاضُلِ الإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ] (٦٥/١) برقم: [٤١].

أقرب منها إلى بيان حقيقة الأمر والواقع، فدخل في ذلك كثيرٌ من الشهوات وكثيرٌ من الأهواء، فأصبح الإنسان يُبدع غيره بمجرد الشهوة والهوى.

بل ربما لا يقتصر به على التبديع بل يخرجه عن دائرة الإسلام إلى الكفر بسبب ما بينهما من العداوة الشخصية والحسد أو الغيرة أو المواقف النفسية أو غير ذلك من الأهواء التي يمليها الشيطان على قلب الحاكم على أخيه، فيجب علينا أن نتقي الله وأن نكف هذا اللسان وأن نتقي خطره فإن خطره عظيم وسيكون هذا اللسان شاهدا علينا أو لنا يوم القيامة فلنتقي الله عَزَّوَجَلَّ فيما تلفظه ألسنتنا فلا يجوز لنا أن نُصدر شيئا من الأحكام على أحد من إخواننا إلا وعلى ذلك حجة وبرهان أوضح من شمس النهار، ولأن المتقرر: أن من ثبت إسلامه وإتباعه للسنة بيقين فلا يجوز تكفيره أو إخراجه عن دائرة السُنة إلى البدعة، وعن دائرة المتابعة إلى الإحداث إلا بيقين وبرهان قاطع.

الأمر الثاني أيها الإخوان: إن التكفير أو التبديع أو التأثيم أو التفسيق كلها من أحكام الشرع.

والقاعدة المتقررة تقول: إن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة فلا يجوز لنا أن نُصدر شيئا من هذه الأحكام إلا وعليه دليل، فالتكفير حق لله ولرسوله ﷺ، والتبديع حق للشارع والتفسيق والتأثيم حقٌّ من حقوق الشارع فلا يجوز لأحد أن يؤثم غيره أو يفسق أو يبدع أو يكفر غيره بلا حجة ولا برهان، لأنه في هذا يُصدر أحكاما شرعية، والأحكام الشرعية لابد فيها من دليل.

ألا ترى أن أحدًا لو قال: هذا واجب أو هذا حرام أو هذا مندوب أو هذا

مكروه لما قبلنا كلامه إلا بعد سؤاله عن الدليل، لأنه يثبت أحكاما شرعية فالوجوب والتحريم والندب والكراهة والإباحة كلها أحكام شرعية، فإذا كنا لا نقبل إصدار هذه الأحكام من أحد إلا مقرونة بأدلة فإصدار التكفير والتبديع والتفسيق والتأثيم لا يُقبل إلا بدليلٍ وحجة ظاهرة وبرهان أوضح من شمس النهار من باب أولى، فلا نقبل شيئًا من هذه الأحكام إلا بدليل.

فإذا سمعنا أحدًا يُكفر أو يُبدع أحدا أو يؤثم أو يُفسق أحدا فقبل أن نقبل كلامه وقبل أن نعتمده وقبل أن نبني عليه أحكاما أو نتعامل مع الشخص المحكوم عليه بمقتضى حكم هذا الرجل لابد أولًا: أن ننظر في مستنده، أن ننظر في دليله، أن ننظر في حجته وبرهانه، فإن كانت مقبولة عند العلماء وعند النقاب فأهلاً وسهلا وإلا فلا يجوز لأحدٍ أن يقع في عرض أحدٍ بمجرد الظنون الكاذبة والخيالات والتخرصات التي ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ بها من سلطان.

ثم مما أنبه عليه أيضًا أن القاعدة تقول: الحكم على الآخرين وقفٌ على العلماء المتأهلين، فهذا ليس يُقبل من أي أحد أطفال صغار لم يمشوا أنوفهم بعد في العلم وليس عندهم من العلم إلا شيئا يسيرا ونذرا قليلا، وتجدهم يتكلمون في مسائل لو عُرضت عل عمر بن الخطاب t لجمع لها أهل بدر إنها الجرأة على الشرع، إنها الجرأة على الله، إنها قلة الأدب، إنها ضعف الحياء من الله عَزَّوَجَلَّ، وقلة الدين، وقلة المراقبة، فإذا رأيت الإنسان يتقحم في الكلام فيما لا يُحول له بالكلام فيه فاعلم أنه قليل حياء من الله عَزَّوَجَلَّ، قل حياؤه فتكلم.

فإذًا لا يجوز أن نقبل هذه الأحكام العظيمة التي تترتب عليها هذه الآثار الكبيرة إلا بعد أن ننظر ممن صدرت، فإذا كانت صدرت من أهلها الراسخين العارفين المتأهلين لإصدارها فنحن نقبلها وعلى العين والرأس ونعتمدها إذا

كان لها حجة وبرهان كما ذكرت، وأما إن صدرت من أطفال صغار في العلم ومن أناس أحداث، ومن أناس لو تكلموا في علف بهيمة لما قبلنا كلامهم أصلاً، فكيف نقبل كلامهم في مثل هذه الأحكام العظيمة، فالطلاب الصغار وأحداث الأسنان، والعوام، ومن لم يتأهل لمرتبة الاجتهاد لا حق لهم أن يُصدروا هذه الأحكام.

ولذلك ينص العلماء على أن إصدار التحليل والتحريم لا يسوغ لكل أحد بل لا يجوز إلا ممن بلغ رتبة الاجتهاد، فإذًا التكفير والتبديع من جملة الأحكام الشرعية التي نشترط فيها بلوغ رتبة الاجتهاد والتأهل والمعرفة، فهذه الأحكام لا يجوز أن نسمعها من أي أحد ممن هب ودب، بل لا نسمعها إلا من أهل العلم الراسخين، أهل العلم المتأهلين، أهل العلم المجتهدين، أهل العلم العارفين بذلك.

ومما أريد التنبيه عليه أيضًا: أن القاعدة المتقررة تقول: إن التبديع العام لا يستلزم تبديع الأعيان إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، فإذا رأينا رجلاً يفعل بدعةً فإن عندنا فعلاً وفاعلا، فإننا نعطي حينئذ الفعل حكما على ما تقتضيه الأدلة من الكتاب والسُنة فنقول: هذا فعل بدعةً، هذا فعل مخالفةً، هذا عنده محدثة عنده منكرة فنحكم على فعله بحكم.

ولكن لا نُعد هذا الحكم من الفعل إلى فاعله إلا بعد المرور على محطات معينة يسميها أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى: ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، وقد ذكرتها مفصلةً في كتاب ليّ اسمه: - قواعد الحكم على الآخرين-، وفي غيرها من رسائلي، لأن هذا من الأمور التي أُنبه عليها طلبة العلم كثيرا، وهي: أن لا يجعلوا تلازمًا ذاتيًا بين الوقوع في البدعة والحكم على من وقع ليس هناك

تلازم ذاتي بين الحكم على الفعل بأنه كفر، والحكم على الفاعل بأنه كافر إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

والجامع في ذلك أيها الإخوان: أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في ألسنتنا، وأن نتقي الله في إخواننا، وأن نكون متناصحين لا متفاضحين، متعاونين على الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وينبغي لنا أن ننتبه أيضًا إلى حظوظ النفس في مثل إصدار هذه الأحكام كما انتبه العلماء لذلك وقرروا قاعدة تقول: كلام الأقران يطوى ولا يروى.

ويقول العلماء رحمهم الله تعالى في قواعد النقد: وليس من منهجنا التشهير بالعيب فهو العيب يا خبير، ولتحذرن الشهوة الخفية فإنها عظيمة البلية تنقد في الناس لرفع ذاتك وأنك الكامل فاحذر ذلك، إذاً شهوات النفوس في مثل إصدار هذه الأحكام لا يخلوا منها إلا من تجرد لله وصفي نيته لله عَزَّوَجَلَّ، فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُصلح أحوال المسلمين، وأن يُطهر ألسنتنا، وأن يقينا شرور أنفسنا، وأن يقينا شرور أنفسنا، ومن أراد الاستزادة من هذه القواعد وهذه الأصول في الحكم على الآخرين فللعبد الضعيف المقصر في جنب الله رسالة اسمها: - قواعد في الحكم على الآخرين- وهي موجودة في صفحتي على الشبكة العنكبوتية، والله أعلم ..

الإجماع هو الأصل الثالث

٢٧٥. سُئِل الشيخ عن: الإجماع وهل يوجد إجماع صحيح انعقد بعد زمن الصحابة رضي الله عنهم أم أن الإجماع خاص في زمن الصحابة وما معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله حينما قال من ادعي الإجماع فقد كذب؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد.

هذا لا ينبغي البحث فيه وفقك الله إلا إذا كنا نبحث في أصل الاحتجاج بالإجماع فهل نحن نعتقد أن الإجماع حجة أو لا بعد النظر في أدلة الكتاب والسنة وتصرفات الصحابة رضي الله عنهم استدللنا بذلك على أن الإجماع حجة فالإجماع حجة شرعية يجب قبولها واعتمادها والمصير إليها وتحرم مخالفتها فمتى ما ثبت الإجماع في أي عصر من العصور فالواجب علينا الاحتجاج به ثم بعد ذلك تأتي التفاصيل فمن جملة التفاصيل: ما الإجماع الذي ينضبط؟ الجواب: أضبط الإجماعات المحكية هي ما كان في عهد الصحابة رضي الله عنهم لأن من بعدهم كثر العلماء وتفرقوا في الأمصار وصار استجماع أقوالهم ومعرفة اختياراتهم وحصر اجتهاداتهم من الصعوبة بمكان فمن قال إن من ادعى الإجماع فإنه كاذب إنما نظر إلى هذه الصعوبة فمن الذي يستطيع أن يتتبع العلماء في الكرة الأرضية؟ وهل يستطيع أن يحصر أسماءهم أو يتعرف على أعيانهم؟ فربما يكون ثمة خلاف لم يطلع عليه وربما يكون ثمة عالم لم يُعرَف مكانه فحينئذ كلمة الإمام أحمد محمولة على صعوبة وقوع الإجماع وليس على نقض الاستدلال به أصالة، ولذلك فالقول الصحيح عندنا أن أضبط أنواع الإجماع هو ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ لأنهم محصورون في أمكنة معينة

وأعيانهم معروفة ولا يعني ذلك أنه متى ما ثبت الإجماع بعد عصرهم لا يكون حجة فإن هذا لا نقصده أبدا لا في صدر ولا ورد؛ ولكن قد يوصف معرفة الإجماع وضبطه فيما بعد عصر الصحابة بالعسر ولكن متى ما ثبت وحكاه عالم عارف بمذاهب علماء الأمصار ذا باع طويل في البحث والتنقيب عن أهل العلم واجتهاداتهم فلا جرم أننا نقبله فإذا حكى مثلا الإمام ابن المنذر إجماع العلماء فإننا نقبل حكايته لأنها حكاية إجماع صدرت ممن له اليد الطولى في معرفة مذاهب العلماء في الأمصار وإذا الإمام موفق الدين ابن قدامة ذلك أيضا نقبله وإذا حكى الإمام ابن عبد البر ذلك أو الإمام النووي أو شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من أهل العلم إذا حكوا الإجماع على ذلك فلا جرم أننا نقبل إجماعهم هذا فكل من نفى وقوع الإجماع بعد عصر الصحابة فإنه لا ينفي أصل الاستدلال به وإنما ينفي وقوعه لعسر حصر العلماء وتتبع أقوالهم لتفرقهم في الأمصار وأما قولك هل وقع إجماع بعد عصر فأقول نعم وذلك في مسائل كثيرة أنا أذكر لك منها مسألتين أو ثلاث.منها مثلا اتفق التابعون على أن التيمم ينفع في الحدث الأكبر وهذا إجماع ليس موجودا في عصر الصحابة فإن زمن الصحابة قد انقضى وبعضهم يقول إن التيمم لا ينفع إلا في الحدث الأصغر كابن مسعود وعمر ويروى عن عمر رجوعه عن ذلك ولكن لا نعرف رجوعا لابن مسعود أفهمت هذا؟ هذا إجماع في غير عصر الصحابة وثمة إجماع آخر وهي أن التابعين ومن بعدهم إلى يومنا هذا قد أجمعوا على أن مجرد إيلاج الذكر في الفرج يوجب الغسل وإن لم ينزل الإنسان مع أن عصر الصحابة قد انقضى وفيه خلاف فمنهم من يقول يجب الغسل بمجرد الجماع والإيلاج ومنهم من يقول إنما يجب الغسل إذا أنزل والمسائل في هذا متعددة وكثيرة، والله أعلم

i

٢٧٦. سُئِل الشيخ عن: أنواع الإجماع ونعلم أن منها ما هو ظني أو قطعي، لكن هل من أنواع الإجماع: إجماع مكاني أو زماني؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، أما قوله بأن الإجماع يكون مكانيا فإن كان يقصد أن الإجماع يصدق على قول طائفةٍ في بلد دون بلد، فإن هذا غير صحيح، لأن الأصوليين عرَّفوا الإجماع بقولهم (هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي) فليس الإجماع اتفاق كلمة أهل العلم في مصر فقط، أو في السعودية فقط، أو اتفاق علماء أهل الشام فقط، أو العراق فقط، وإنما الإجماع هو اتفاق المجتهدين جميعا من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي، فإذا كان يَقصد بقوله أنه يمكن أن يسمى إجماعا إذا اتفق علماء مكان معين فإن هذا خطأ، وأما قوله أو زمان، فلا جرم أن هذا صحيح، فإذا أجمع العلماء في عصر أي في زمان من الأزمنة أي في عصر من العصور، ونقصد بالعصر أي الزمن، على حكم شرعي، فإن إجماعهم في هذا الزمان يسمى إجماعا واتفاقا شرعيا، ويعتبر حجة، والله أعلم.

i

٢٧٧. سُئِل الشيخ عن: حكم من ينكر حجية الإجماع هل يبّدع لذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، إذا أنكر الإنسان دليل الإجماع فإنه قد أتى بابا عظيما من أبواب البدعة التي يخشى على دينه منها، فإنه قد أنكر معلوما من الدين بالضرورة، فإن أهل السنة لا يزالون بل أهل العلم لا يزالون ينقلون دليل الاجماع ويستدلون عليه بأدلة الكتاب والسنة المعروفة

في محلها من كتب الأصول، فكون الإجماع دليلا من جملة أدلة التشريع هذا لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم، فمن أنكره فيكون قد أنكر معلوما من الدين بالضرورة فيخشى عليه من الحكم بأنه مبتدع أو يخشى عليه أن يحكم عليه بالخروج من الدين لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة، ولكن المشكلة كل من أنكر الإجماع أو قدح فيه فهو لا يقدح فيه كدليل ولكن يقدح في بعض الإجماعات أي في صحة بعض الإجماعات، فلا بد أن نفرق بين القدح في الإجماع كدليل من أدلة التشريع أو القدح في بعض الإجماعات أتصح أو لا تصح؟

فالأول هو الذي يكون على صاحبه الخطر الفادح العظيم كما ذكرت لكم، وأما الثاني فإنه حينئذ يعني خاضع للنظر في طريق نقل الإجماع فليس كل إجماع يدعى يكون صحيحا، ولكن أن ينكر الإنسان أصل الاستدلال بالإجماع فإن هذا على خطر عظيم والله أعلم.

i

٢٧٨. سُئِل الشيخ عن: حكم من ينكر الإجماع؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله.

هذا السؤال عرضه على الأخ بندر سابقا وقلت لصاحبه لا بد أن تستفسر عنه. ولكن بما أنه أعاد طرحه مجددا إجمالا فلا بد أن أجيب عنه على وجه الإجمال. وصاحب السؤال حينئذ يتلمس مقصوده في سؤاله من أحد القسمين. اللذين سأذكرهما له. إذا كان الإنسان ينكر الإجماع كونه دليلا بمعنى أنه يقول لا إجماع في الشريعة مطلقا فهذا كافر. يعني بمعنى أنه ينكر معلوما من الدين

بالضرورة. فإن المسلمين لا يزالون يجمعون على كثير من المسائل وينقل الإجماع فيما بين ظهرانيهم عن أول جيلهم وآخره. فلا تزال الأمة مجمعة على وجود الله. فكيف نقول؟ إنه لا إجماع أبدا. ولا تزال الأمة مجمعة على استحقاق الله عز وجل للعبادة. ولا تزال الأمة مجمعة على فرضية الصلوات الخمس. وعلى فرضية الزكاة وعلى فرضية الحج وعلى فرضية أشياء كثيرة. فكيف ننكر. وجود الإجماع مطلقا فإن من أنكر وجود الإجماع مطلقا كدليل فإنه يعتبر كافرا. يعتبر كافرا لأنه منكر للمعلوم من الدين بالضرورة. أفهمتم هذا؟ وأما إذا كان. قوله ما حكم من ينكر الإجماع ويعني به الإجماع على مسألة معينة فهو لا ينكر الإجماع كدليل ولا ينكر الإجماع كواقع في الشريعة ولكنه ينكر صحة الإجماع على مسألة معينة فهنا ننظر إلى هذا الإجماع الذي أنكره فإن كان إجماعا قطعيا متواترا منقولا بالتواتر معلوما من الدين بالضرورة فإنه كافر. ولذلك خذها. لي قاعدة كل من أنكر إجماعا قطعيا معلوما متواترا فإنه كافر. كقوله مثلا أنا أنكر أن المسلمين قد أجمعوا على فرضية الصلاة. نقول أنت كافر لأن الإجماع العيني الذي أنكرته إنما هو. إجماع قطعي. وأما إذا كان الإجماع الذي أنكره إجماعا ظنيا يعني ثابتاً بطريق ظني بطريق الأفراد والآحاد. الإجماعات التي قد يختص بمعرفتها أهل الفن. ولا يكون العلم بها منتشرا. ولا مشتهرا بين فئام المسلمين. وليست من الإجماعات المعلومة من الدين بالضرورة فهذا فاسق وليس بكافر. والله أعلم

i

٢٧٩. سُئِل الشيخ عن: أهل السنة، من هم أهل السنة؟ وكيف نعرفهم؟ وفي أي عصر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد-

أهل السنة هم يأخذون معتقداتهم من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ على فهم السلف الصالح وعلى رأس هؤلاء أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين هؤلاء هم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية الذين عناهم النبي ﷺ بقوله (افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسبْعِينَ فِرْقَةً، فَواحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ)، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: (الْجَمَاعَةُ)[١]) والمعنيون في قول النبي ﷺ وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ)[٢] هؤلاء هم الذين قصروا اعتقاداتهم على ما دل عليه كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وفهم السلف الصالح هؤلاء هم أهل السنة والجماعة- والله أعلم.

---

(١)أخرجه أبو داود (٢ / ٥٠٣ - ٥٠٤) وابن ماجه برقم (٣٩٩٣) واللفظ له، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١٤٩٢) و (٢٠٤)

(٢)أخرجه البخاري في كتاب العلم بَاب: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدين برقم (٧١) وأخرجه مسلم في الزكاة، باب: النهي عن المسألة، رقم ١٠٣٧

٢٨٠. سُئِل الشيخ عن: معنى قول العلماء: ﴿جمهور والفقهاء﴾ فمن هم؟ وكيف نعرفهم؟ أحسن الله إليكم.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين.

أما إذا سمعت الفقهاء يقولون قال الجمهور فيقصدون بهم ثلاثة من أربعة من الأئمة الأربعة، ومعلوم من هم الأئمة أربعة. فإذا أجمع ثلاثة منهم على قول معين وانفرد أحدهم فإن هؤلاء الثلاثة يسمون الجمهور كقولهم مثلا ذهب الجمهور إلى عدم انتقاض الوضوء من أكل لحم الأبل وانفرد الإمام أحمد بالقول بانتقاض الوضوء بذلك، ومنها مثلا قولهم ذهب الجمهور إلى أن تارك الصلاة تهاونا وكسلا يعتبر فاسقا وليس بكافر وانفرد الإمام أحمد رحمه الله بالقول بتكفيره. فإذا سمعت الفقهاء يقولون قال الجمهور فيعنون بهم ثلاثة من أربعة من الأئمة الأربعة والله أعلم.

i

٢٨١. سُئِل الشيخ عن: ﴿قولهم أجمع الفقهاء﴾ فمن هم الفقهاء وكيف نعرفهم؟ وفي أي عصر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد.

المقصود بالإجماع هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي فإذا سمعت العلماء يقولون أجمع الفقهاء على كذا وكذا فيقصدون به انعقاد إجماع الفقهاء في عصر من عصور هذه الأمة على حكم شرعي سواء أكان عصر أصحاب النبي ﷺ أو عصر التابعين أو عصر تابعي التابعين أو العصور المتأخرة فمتى ما قال الفقهاء أجمع العلماء أو أجمع الفقهاء

على كذا وكذا فإنهم يعنون به أن ثمة فقهاء في عصر من عصور هذه الأمة أجمعوا على حكم شرعي وليس بالضرورة أن نحدد هذا العصر وليس من شرط صحة الإجماع أن نعرف عين العصر الذي وقع فيه الإجماع وإنما المهم في ذلك أن يحكيه عالم بالإجماع وعارف بمذاهب علماء الأمصار فمتى ما حكى عالم هذه صفته إجماع الفقهاء أو إجماع العلماء على حكم معين فإن هذا الإجماع يعتبر ثابتا بغض النظر عن معرفتنا بهذا العصر الذي انعقد فيه الإجماع، والله أعلم.

i

٢٨٢. سُئِل الشيخ: ذكرتم أنه من المسائل التي يخرج بها الشخص عن أهل السنة أن تكون مسألة فرعية مجمع عليها عند أهل السنة؛ هذا وقد نُقِلَ عن بعض الأئمة إنكار صفة العَجَب لله، فهل هي صفة مجمع عليها خالفها ذلك الامام أم صفة مختلف عليها؟ أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين...

أما كلامنا الأول فلا إشكال فيه لأننا نذكره تأصيلاً عاماً غير مقصود ولا منزل على أحد من الأئمة.

والذي أشكل عليك أنك تريد إنزال الكلام العام على بعض الأعيان والأفراد وتطلب مني أن أخرجهم عن دائرة أهل السنة من باب تطبيق ذلك الأصل العام على الأعيان وهذا خطأ منك وفقك الله.

فإن الحكم بالوصف العام لا يستلزم دخول الأعيان فيه إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع فلو أننا مثلاً نظرنا إلى بعض الأئمة من الشافعية أو غيرهم

لوجدناهم يحرفون صفات أجمع أهل السنة جماعة على عدم تحريفها. ولكننا نقول إن كل من خالف في مسألة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة واضحةٌ أدلتها فإنه خارج عن دائرة أهل السنة وإن وافق أهل السنة في مسائل أخرى فلا يأتيني آت ويقول وما قولك في الإمام النووي؟ وما قولك في الإمام ابن حجر؟ فأقول يا أخي إنما أنا أقرر أصلا عاماً فإذا أردت أن تطبق هذا. الأصل العام على هؤلاء الأفراد فهناك شروط لا بد من توفرها وموانع لابد من لا بد من انتفائها. فكل من ثبت في حقه الشروط وانتفت الموانع فإننا نحكم عليه بمقتضى الحكم العام. فننزل من الحكم العام إلى حكم الأفراد بهذا الأمر وإلا فإن المتقرر عندنا أن الحكم العام لا يستلزم انطباقه على الأفراد إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع. فلا بد أن تفرقوا يا طلبة العلم في الكلام إذا كان على وصف عام والكلام على إذا كان على وصف أو على شخص معين فلا يشكلن عليكم مثلا لو قلت إن من ترك الصلاة فقد كفر ثم يأتيني رجل ويقول زيد من الناس قد ترك الصلاة إذا الشيخ يكفره فنقول لا أخطأت لا تنسب تكفير المعين لي وإنما أنا كفرت بالوصف العام وأما انطباق هذا الوصف العام على زيد صاحبك هذا لا بد فيه من ثبوت الشروط وانتفاء الموانع وكذلك أن كل من أنكر شيئا من صفات الله عز وجل أو عطلها أو لم يؤمن بظاهرها وهي مما أجمع أهل السنة والجماعة عليه فإن إنكاره وتعطيله وتحريفه هذا يخرجه عن دائرة أهل السنة كمن يحرف صفة الاستواء مثلاً فيقول أنا أؤمن بما تقولونه يا أهل السنة ولكن لن أؤمن بصفة الاستواء وسأقول بأن الاستواء المراد به الاستيلاء ونحو ذلك من الأمثلة التي ذكرتها وعرفتها أنت فلا يأتيني أحد يأتيني بإمام من الأئمة وينكر صفة الاستواء ويقول ماذا تقول في هذا الإمام ؛ فهذا خطأ في البحث وخطأ في التنزيل وفقكم الله فلا يشكلن عليك كلامي

فإنك إنما تريد مني إنزال هذا الكلام العام على شخص معين أنكر صفة العَجَب مثلا، ولا تأتيني بفلان من المحدثين المقبولين عند أهل السنة ثم تخرج لي أنه ينكر صفة كذا ويحرف صفة كذا ثم يشكل عليك الجمع بين تنزيل الحكم العام في كلامي على هذا المعين في كلامك فنصيحتي لكم يا طلاب العلم لا تنزلوا من الأعلى إلى الأسفل أو من العموم إلى الخصوص أو من الإجمال إلى التعيين إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ولذلك هؤلاء الأئمة الذين أجمعت الأمة على جلالتهم وعلى محبتهم وعلى تزكيتهم علميا وعلى الحكم عليهم بالرسوخ العلم هؤلاء لا جرم أنهم وقعوا فيما وقعوا فيه من التحريف لا عن عناد ولا عن بغض للسنة ولا عن صد عن منهج السلف وإنما فعلوه اجتهادا عن تأويل سائغ ومن جملة موانع انطباق الحكم العام على هذا المعين أنه إنما حرف بتأويل سائغ وعن شبهة فحينئذ هو معذور في خاصة نفسه هو معذور في خاصة نفسه، ولكن يبقى الحكم العام وهو ﴿كل من خالف في مسألة أو جزئية من جزئيات الاعتقاد قد وقع عليها إجماع أهل السنة والجماعة فليس من أهل السنة المحضة﴾ هذا حكم عام لا يجوز تنزيله على أي فرد من الأفراد إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع...والله أعلم.

i

٢٨٣. سُئِل الشيخ: هل يصح أن يكون العقل أصلا رابعا بعد الإجماع؟ وهل في هذا الأصل إجماع؟ وبما نعلم أن العقل وسيلة لفهم صحيح النقل؟

فأجاب – عفا الله عنه–:الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد عند أهل السُّنَّة والجماعة أن الدليل ينقسم إلى دليل ذاتي وإلى

دليل تبعي، فأما الدليل الذاتي فهو كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، فهذه يسميها العلماء الأدلة الذاتية، وأما ما عدا ذلك من الإجماع والقياس والفطرة والحس والعقل وغير ذلك، كالمصلحة المرسلة وقول الصحابي، أو غيرها من الأدلة، فإنما يسميها العلماء بالأدلة التبعية، فالعقل لا يصلح أن يكون دليلا استقلاليا ذاتيا ابتدائيًا، وإنما يكون دليلاً تبعيًا، فإذا كان قصد الإنسان بقوله نجعله أصلا رابعا أي باعتبار الأدلة التبعية، فهو كلام مقبول ولا بأس بذلك، فلا يزال أهل العلم في مسائل العقيدة والشريعة أي في مسائل التوحيد والعقائد، أو في مسائل العمل والتشريع والفقه، يستدلون على كثير من مسائلهم بدليل النقل كتابًا وسنةً وبدليل العقل وبدليل الحس وبدليل الفطرة، لكن استدلالهم بالكتاب والسنة استدلالًا ذاتيًا، وأما استدلالهم بالإجماع والقياس فهو استدلالٌ بدليلٍ تبعي، ويلحق معها الاستدلال بالعقل والفطرة والحس، فهو من قبيل الأدلة التبعية لا من قبيل الأدلة الذاتية الابتدائية الأصلية، والله أعلم.

i

٢٨٤. سُئِل الشيخ: هل يصح الإجماع دون الاستناد إلى دليل من الكتاب والسنة، وإذا قلتم نعم يصح، فكيف نقول أنه يخصص عموم الدليل، والله يقول ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾﴿الشورى - ٢١﴾ وإن قلتم لا يصح بدون استناد، فما الفائدة من الاحتجاج به، أحسن الله إليكم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، وإن لم نقل شيئا من ذلك! فأنت تفرض الفرض ثم تلزمنا بشيء نحن لا نقول به، فإن القاعدة المتقررة عند أهل السُّنَّة

والجماعة ﴿أنه لا إجماع إلا بمستند شرعي، سواء نقلت الأمة هذا المستند أو لم تنقله﴾، فمتى ما انعقد إجماع أهل العلم رحمهم الله تعالى على مسألة فلا بد وأن يكون إجماعهم مستندًا إلى برهان الكتاب أو صحيح السُّنَّة، ومن يأتينا بمسألة قد ثبت فيها الإجماع، وكان طريقه صحيحا معتمدا عند أهل العلم، إلا ونستخرج له من الكتاب والسنة مستندا، سواء أكان مستند منطوق أو مستند مفهوم أو مستند لوازم، فدعك من هذه التفاصيل التي ما أنزل الله بها من سلطان، واعتمد ما قلته لك، لا إجماع إلا بمستند شرعي، والله أعلم.

i

عقيدة أهل السنة في الإمامة وطاعة أولياء الأمور والنصح لهم ولكل مسلم

٢٨٥. سُئِل الشيخ: هل الخلافة الإسلامية يجب علينا نصرتها الآن؟

فأجاب – عفا الله عنه –: الحمد لله، لا أعلم أن هناك خلافةً إسلامية فإن الخلافة قد سقطت منذ زمن على يدي بعض ملوك العثمانيين وأمرائهم والكلام في ذلك معروف ولا داعي إلى التفصيل، فأنا لا أعلم الآن أن الخلافة الإسلامية قائمة، وأما حكم نصب الخليفة فإن هذا من الواجبات الدنيوية والدينية فيجب على الأمة أن تنصب للأمة من المسلمين من توفرت فيه شروط الخلافة للحكم بينهم بما أنزل الله وتدبير أحوال الناس، وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وحماية بيضة المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتعليم أحكام الدين، ودفع ضرر الفوضى، فلابد للمسلمين من إمام

يقيم شعائر الدين، ويحكم بالعدل، وينصف المظلومين من الظالمين، وهذا لا أعلمه في واحد يتولى أمر بلاد المسلمين عامةً في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما كل دويلةٍ من دويلات المسلمين لها إمامها الذي يعتبر خليفةً لها أو أميرًا عليها أو حاكمًا لها أو ملكًا أو رئيسًا عليها، أما واحدٌ من المسلمين يقوم بكل ذلك في جميع الدول وتعتبره الدول الإسلامية خليفةً فهذا لا أعلمه موجودًا في هذا الزمان.

ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يُعيد المياه إلى مجاريها وإلى سابق عهدها فإن أعظم ما فرق المسلمين وشتت كلمتهم وبعثر جماعتهم هو إسقاط الخلافة فالنظام الظالم الذي أسقط الخلافة من أعظم ما أوجب فرقة المسلمين فصارت دويلات لها حدود جغرافية بل ربما يحارب بعض الدويلات الإسلامية بعضًا بسبب الدفاع عن حدودها، وقد كانت تلك الحدود غير موجودة، وكانت الكلمة ترجع إلى الخليفة في كل شؤون بلاد المسلمين، وهذا إلى أن يرجع هذا الأمر على وجهه الصحيح الذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ تبقى كل دولة من دول المسلمين لها حكمها ونفوذها الخاص في حدودها الجغرافية المحددة التي تم عليها الاتفاقات المنعقدة والشروط والإبرامات الدولية، فالمملكة لها حدودها وحكمها وحاكمها ومصر لها حدودها وحاكمها، وكل حاكم في دولته يعتبر خليفة في حدود نفوذه وسلطانه إلى أن تتفق الأُمة وييسر الله عَزَّوَجَلَّ إقامة خليفة للمسلمين يدير شؤون الدول الإسلامية كلها، وأما الآن لا أعلم هذا قائمًا، وأسأل الله أن يعجل بقيامه، والله أعلم.

i

٢٨٦. سُئِل الشيخ: متى يجب على الحاكم أن يطبق حكم الله وهل يجوز له التأخر بحجة تهيئة الرأي العام؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين،

لا جرم أن الحكم بما أنزل الله من جملة واجبات الحاكم المسلم، لا يجوز لأي حاكم مسلم في أي دولة إسلامية أن يعطل الحكم بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، فإن اللهتبارك وتعالى- قد فصل هذه القضية لقولهِ -تبارك وتعالى-: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[المائدة:٥٠]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ [المائدة:٤٤]، وفي الآية الثانية: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾[المائدة:٤٥]، وفي الآية الثالثة: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾[المائدة:٤٧]، فلا يجوز لأي حاكم مسلم أن يحكم في بلادهِ، ومنطقة سلطانه، ونفوذه بغير شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا أمرٌ مفصول ومقطوع بالأدلة المتواترة في الكتاب، والسُنة، ونصوص العلماء عليه كثيرة جداً، وهذا هو ما ندين اللهتبارك وتعالى- به، لكن ينبغي لنا مع هذا الإقرار، وهذا القطع أن ننظر إلى مسألتين لابد من التفريق بينهما، المسألة الأولى: إنما نطلب من الحاكم المبادرة بتطبيق حكم الله عَزَّوَجَلَّ، والدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ومباشرة تطبيقها، وعدم تأخيرها، وعدم وضع صناديق الاقتراع في تطبيقها من عدم تطبيقها إذا كانت الدولة إسلامية بالأصالة، فإذا كانت الدولة مسلمة ويحكم لها بأنها من الدول الإسلامية ولكن غير حكمها في الحاكم السابق، ثم تولى بعده حاكمٌ آخر وأراد تطبيق الشريعة، فيجب عليه وجوب عين أن يبادر في أوائل أيام توليته أن يطبق شريعة الله، ولا يجوز له أبداً أن يُخل بذلك مطلقًا؛ لأن الدولة

إسلامية، والشعب عندهُ قابلية للتطبيق، بل إن أكثر شعب هذه الدول غالبًا لا يعارضون حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعارضون تطبيق شريعة الله؛ لأن البيئة عندهم مؤهلة، والأنظمة عنده سانحة، وليس ثمة عذر له في هذ التأخير، هذا إذا كانت الدولة إسلامية بالأصالة، وأما إذا كانت الدولة علمانية كافرة، بعيدة عن الحق، وبعيدة عن الهدى، وبعيدة عن حكم الله عَزَّوَجَلَّ، وقد تربص في مفاصلها، ومرافقها النظامية الليبراليون، والعلمانيون الكفرة، أو اليهود، والنصارى، ثم تولى عليها حاكم مسلم فإنه لا يستطيع في بداية حكمه أن يغير الدولة في... بين عشية وضحاها، أو يوم وليلتها من كونها علمانية، ليبرالية، كافرة، بعيدة عن الحق والهدى، إلى كونها دولة إسلامية تحكم بشريعة الله عَزَّوَجَلَّ في كل ما يتعلق بمفاصلها، ومرافقها النظامية، فهذا لا يمكن أبداً أن نطلبه من حاكم تولى على مثل هذه الدولة التي وصفتها لك أيها السائل الكريم، فإننا حين إذٍ نطلب منه خيالًا، ونرجو منه محالًا، ألا ترى أن أوائل التشريع لما نزل على النبي ﷺ لم ينزل جملةً واحدة، حتى تتهيأ النفوس لكثير من التشريعات، بل كانت طريقة التشريع في كثير من المسائل على قضية التدرج، حتى قضية الصلاة، إن أول ما فرض الله الصلاة إنما فرضها ركعتين ركعتين، وأقرت ركعتين ثلاثة عشر سنة من حياة النبي ﷺ، ولم تكن أربعة إلا بعد هجرتهِ كما في الصحيحين من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وكذلك تشريع الخمر نزل أولًا بيان أنه لا مصلحة فيه، ثم بعد ذلك نزل بيان أن مفسدته أكبر من مصلحته، فلما تهيأت النفوس نزل تحريمه، فهذا التدرج؛ لأن الدولة كانت كافرة؛ لأن الدولة والناس كانوا على كفر، فشرِع حينئذٍ التدرج في هذا التطبيق حتى يكون أعون لقبول الناس، وأعون لمن يدعو الناس لمثل ذلك، فإذا كانت الدولة قد غفلت سنين عددا. تقدر بالخمسين أو الستين، بل وبالمائة

سنة تحت حكم علماني، كافر، يحارب الدين بكل تفاصيله، بل ويحارب من يعرف جهة القبلة، ولا يمكن المسلمين لا من قراءة قرآن، ولا دراسةٍ شرعيةٍ، ولا يمكنهم من أي شيءٍ يتعلق بالدين، لا قنطيراً ولا قطميراً، لا قليلاً ولا كثيرًا، ثم يسر الله لهذه الدولة حاكم مسلمًا عنده حس إسلامي، وعنده رغبةً في رد الدولة ومرافقها إلى حياض السنة والدين، فإننا ينبغي لنا أن نتعاون معه في تحصيل المصالح، وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها، وألا نطالبه بأن يقلب الدولة في يوم وليلة، أو في شهرٍ، أو في أقل، أو أكثر من ذلك إلى كونها دولةً مسلمة، لا علمانية، ولا ليبرالية، ولا مظاهر كفرٍ فيها، فهذا تكليف ما لا يطاق، والله عَزَّوَجَلَّ لا يكلف نفسًا إلى وسعها، ولا جرم أن تطبيق حكم الله من الواجبات على الحاكم، والمتقرر عند العلماء أن التكاليف الشرعية منوطة بالقدرة على العلم والعمل، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول النبي ﷺ: - ((وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) [(١)]، أنا لا اعتذر عن أي حاكم مسلم في تأخير تطبيق حكم الله، ولكنني لا أريد في المقابل أن نقف متهمين لهذا الحاكم الذي يسر الله عَزَّوَجَلَّ وجوده في هذه الدولة الآثمة، الكافرة، الظالمة، فإن وجود حاكم مسلم عليها مكسب للإسلام والمسلمين، فينبغي أن نقف معه، وأن نتعاون معه على البر والتقوى، وأن ندعوه إلى تطبيق الشريعة، وأن نبين له أهمية تطبيقها، وأن نتعاون معه على بقائهِ، وأما مطالبتهُ بأن يقلب النظام في يومٍ وليلة، أو في شهرٍ، أو في شهرين، أو في سنة، أو في سنتين، فإن هذا في الحقيقةً يعسر جداً، يعسر جداً على الحاكم إذا لم يجد مَن يعاونه مِن مَن هم في مرافق هذه الدولة، ومفاصلها، فالرفق

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بَاب: الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ برقم (٦٨٥٨)، ومسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر. رقم: ١٣٣٧

الرفق أيها الإخوان على أي حاكم مسلم تولى على مثل هذه الدول، التي غفلت في الحكم الكفري، الوثني، الليبرالي، العلماني سنين متطاولة، فينبغي لنا أن نكون مترفقين بالحاكم المسلم إذا تولى على مثل هذه الدول، وأن نكون عونًا له على تطبيق الشريعة، وأما الحاكم المسلم إذا تولى على دولة إسلامية بالأصالة، وشعبها مسلمون، وعندهم القابلية الكامل في تطبيق الشريعة، فهذا لا يجوز له أن يؤخر تطبيق الشريعة يومًا واحد؛ لأنه قادرٌ على التطبيق، ولا معارضٍ له، ويجد من يعينه في هذه الدولة ومرافقها، والمسؤولين فيها، ورؤساء الوزارات فيها أيضاً يساعدونه، ويعينونه، فلما يؤخر تطبيق الشريعة، لا يجوز لأحدٍ تولى أمرًا من أمور المسلمين، أن يؤخر تطبيق الشريعة مع القدرة والاستطاعة، فإذاً لابد أن نفرق بين دولتين، بين دولة هي إسلامية بالأصالة، ولا مانع من تطبيق الشريعة فيها فوراً، فهنا يجب على الحاكم فوراً أن يطبق شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، وبين دولة كافرة، آثمة، ظالمة، غفلت في الحكم الكفري، الوثني سنين متطاولة ثم تولى عليها حاكم مسلم بتيسير الله، وتوفيقه، فهنا يعسر جداً أن يقلب الدولة رأسًا على عقب، من كونها كافرة إلى كونها إسلامية في عشيةٍ وضحاها، فإن الأمر لا يطاق، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فهذا الرجل يكفينا منه أن يسعى في كل يومٍ إلى تحقيق مصلحة إسلامية، ودفع مفسدة كفرية، ونرضى منه بالقليل، فإن بقائه مسلمًا فيه بصيص نور لدخول الإسلام وشريعة الإسلام في مفاصل هذه الدولة ومرافقها، فينبغي لنا أيها الإخوان الفضلاء أن ننظر لمثل هذه المسائل بنظر المصالح وتحقيقها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها، فالدولة الإسلامية إذا تولى عليها رجلٌ مسلم، فهنا نتعامل معه بقاعدة تحقيق المصالح، وتكميلها، والرجل المسلم إذا تولى على دولة كافرة، فإننا نكتفي منه بأن يدفع أعلى المفسدتين بأقل المفسدتين، ولا نطلب منه أن يغير مرافقها في يوم وليلة،

هذا الذي أعلمه متفقًا مع أصول الشريعة ومقاصدها. والله أعلم...

i

٢٨٧. سُئِل الشيخ عن: امرأة تُسْأَل عن شخص متقدم للزواج من فتاةٍ هل تخبر عن عيوب هذا الخاطب أم لا؟ وخاصة أن أمه تدعو على من يخبر عن عيوب ولدها؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

المتقرر عند العلماء: وجوب الاستنصاح فيما بين المُسْلِمِيْنَ، فهذا من مقتضى أخوة الإيمان والدين، يقول النبي ﷺ في بيان حق المسلم على المسلم: (وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ)[١]. وليس من الغيبة أن تخبري بما تعرفينه عن هذا الرجل، بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ في مثل هذه الظروف والأحوال، فإن هذا من باب التعريف به أو التحذير منه، وهذا لا يدخل في باب الغيبة ولا يدخل في باب التجني، ولا فحش الكلام ولا النميمة و لا مقالة السوء.

بل هذا من قول الخير ومن باب النصيحة، ومن المعلوم قول النبي: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[٢]،

وفي الصحيح أن امرأةً جاءت تخبر النبي بعد موت زوجها أو طلاقه، بأن فلانًا وفلانًا قد خطباها كأنها تستشير رسول الله فيهما، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَمَّا

---

(١) أخرجه مسلم «صحيح مسلم» كتاب السلام باب حق المسلم على المسلم رد السلام (٧/ ٣ ط التركية) رقم (٢١٦٢)

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب: قول النبي ﷺ: (الدين النصحية: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ برقم (٥٧) وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة رقم ٥٦

مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ»[١].

فأخبر النبي بما في الرجلين من الأمور التي لابد أن تعلمها الزوجة، حتى تدخل في عقد الزواج على بصيرة، ولا يحل لكِ أن تكتمي شيئًا تعلمينه عن هذا الرجل، لأن مسألة الزواج مسألة حياة فلا يجوز أن تسكتي عما تعلمينه.

لأن هذا السكوت يعتبر من الغش ومن المخادعة للمسلمين، وهذا مجانبٌ لواجب النُصح فيما بيننا، وأما مسألة أن أمه لما علمت بكلامك دعت عليكِ فلا شأن لكِ بها، فهذا الدعاء دعاءُ اعتداء ودعاءُ ظلمٍ ودعاء طغيان.

والله لا يستجيب مثل هذا الدعاء لأنه مبنيٌ على الاعتداء، وقد نهى النبي ﷺ عن الاعتداء في الدعاء، وقد بين العلماء صورًا كثيرة تدخل في الاعتداء في الدعاء وذكروا منها: أن يدعوا الإنسان على من لم يتجانف لإثمٍ.

وأنت لم تتجانفيِ لإثمٍ فدعاءها عليكِ لا شأن لكِ به، ولا تخافي منه وما قلتيه في ابنها هو الحق، وبارك الله فيكِ وجزاكِ الله خيرًا والله أعلم.

i

٢٨٨. سُئِل الشيخ عن: من يثير الشبه ويزعم أن أحاديث السمع والطاعة لولي أمر المسلمين إنما تكون في الخلافة الإسلامية عندما تكون دولة واحدة أما هذه الدويلات فإنه لا سمع ولا طاعة فيها، وما تشملها هذه الأحاديث؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا من دعاة الفتنة فاحذروا منه، لا تصدقوه ولا تقبلوا كلامه، فإن كلامه خطأ باتفاق العلماء في هذا الزمان من أهل السنة

---

(١) أخرجه مسلم في الطلاق بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا رقم (1480).

والجماعة، فإن أهل السنة والجماعة جرت كلمتهم على وجوب السمع والطاعة لحاكم هذا المكان أو هذه البلاد، لأن الخلافة قد سقطت، نسأل الله عز وجل أن يعيدها، على أرض الواقع مرة أخرى عاجل غير أجل، وأن تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة، وقيام الخلافة وتوحد بلاد المسلمين على خليفة واحد، هذا مطلوب لكل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إلى قيام هذه الخلافة.

تأخذ كل دولة من الدول الإسلامية على حدودها الجغرافية حكم السمع والطاعة لرئيسها أو لقائدها أو لأميرها أو لسلطانها أو لحاكمها، كما ذكره الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في بعض مؤلفاته، فالمملكة العربية السعودية يجب على شعبها السمع والطاعة لحاكمهم، وكذلك أهل مصر يجب عليهم السمع والطاعة لحاكمهم، وهكذا المغرب وهكذا الجزائر وهكذا العراق وهكذا الشام، كل حاكم أقام على قطر من الأقطار في دولة من الدول الإسلامية، فالواجب على شعبه أن يسمع له ويطيع، إلا إذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

لأن المتقرر عند العلماء: أن الأصل إذا تعذر فإنه يصار إلى البدل، والأصل أن السمع والطاعة إنما يكون لأمير المؤمنين القائم في مقام الخلافة على كافة الدول الإسلامية، ولكن بما أن هذا الأصل سقط على يد أتتارك، فإن الحكم حينئذ يكون في كل دولة على حسبها بالنسبة لأميرها، فكل بلد من بلاد المسلمين يجب عليهم أن يقيموا هذه العقيدة السنية السلفية الثابتة بالوحيين كتاب وسنة، وهي أن يسمعوا ويطيعوا لحاكمهم الشرعي، الذي أمر الله عز وجل ونبيه ﷺ بالسمع له والطاعة، ولا يمكن أن تعطل هذه الأدلة الواردة

في شأن السمع والطاعة حتى تقام الخلافة بعد ذلك.

فمن المتقرر عند العلماء: أنه لا جماعة إلا بإمام ولا إمام إلا بسمع وطاعة، وهذا المدعي يريد من شعوب الدول الإسلامية أن تثور على حكمها وأن تنزع اليد من طاعتها وأن تخرج عليهم حتى يكون أمر المسلمين في وبال وهلاك، فتكون أمورهم فوضى بلا حاكم يحكمهم، ولا سلطان يدير أمورهم وينظم شيءونهم، وهذا في الاجتماع البسيط وهو اجتماع السفر مرفوض شرعا، فإن النبي ﷺ قد أمرنا إذا كنا رغبا في السفر أن نأمر أحدنا، لأن أمور الجماعة في السفر لا تستقيم إلا بتأمير رجل عليهم يسمعون له ويطيعون في غير معصية الله.

فإذا كان هذا شأن الإسلام في مثل تلك الإجتماعات اليسيرة فكيف في اجتماعات الشعوب في دولها، أفيمكن أن نقبل ذلك الكلام الفاجر الكاذب الذي لا ينم إلا عن جهل ما قاله ونطق به وعلى حمق من سمعه سماع قبول، وتطبيق وامتثال، فهذا كلام باطل، ونقسم بالله العلي العظيم أنه كلام باطل، بل كل أفراد شعب دولة يجب عليهم اتجاه حاكمهم جميع ما يجب على الدولة الإسلامية تجاه خليفتها قبل سقوط الخلافة، فأي شيء نتعامل معه مع خليفة المسلمين الذي بسط الله عز وجل حكمه على كافة الدول الإسلامية قبل سقوط الخلافة، فإننا نتعامل به تماما مع حاكم بلادنا، ولو كان نفوذ حكمه في قطر من أقطار المسلمين، أو في دولة من دول المسلمين، هكذا جري عليه عمل الناس، وهو الذي لا تستقيم أمور المسلمين ولا تنتظم أحوالهم ولا تنتفي الفوضى عنهم إلا بتحكميه.

فالذي أدين الله عز وجل به: أن كلام هذا المتكلم إنما هو مبني على الجهل

وعلى السفه وعلى عدم النظر في مراعاة أحوال المسلمين، فإن الحاكم في أي بلد من بلاد المسلمين وأي قطر من أقطارها، يأخذ حكم الخليفة، فهو خليفة على هذا القطر، وملك أو سلطان على هذا القطر على حسب منطقة نفوذه، يجب على أهل بلاده أن يسمعوا له وأن يطيعوا في المعروف، فإذا أمرهم بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وأما أن نقول أن الأدلة إنما تصدق على خليفة المسلمين فقط، وقد سقطت الخلافة فنعطل هذه الأدلة ويبقي الناس يهيج بعضهم في بعض ويموج بعضهم في بعض، يخرجون على حكامهم ويغتالونهم ولا يسمعون لهم ولا يطيعون، فكيف ستكون بالله عليكم أحوال الدول الإسلامية فيما لو انتشر هذا الكلام الكذب على الله وعلى رسولهﷺ وعلى عقيدة المؤمنين، لا جرم أن الأحوال سوف تختلف والعقد سوف ينفرط والفوضى سوف تعم والدماء سوف تراق والخلل سوف يحصل في بلاد الإسلام، فيكثر التنازع وتعظم الخصومات بين الحكام وشعوبها.

فهذا كله من الدجل الذي يجب علينا أن نبين زيفه وأن نكذبه وأن نصرخ في وجه صاحبه، وأن نعظه وننصحه وأن ننكر عليه هذا المنكر العظيم، فلا يجوز قبول هذه الدعوة، احذروا كل الحذر من قبول هذه الدعوة، فخليفة المسلمين قبل سقوط الخلافة يجب عليه السمع والطاعة، وتنطبق عليه هذه الأحاديث، وكذلك حاكم قطر من أقطار المسلمين بعد سقوط الخلافة ينطبق عليه هذا الأمر، فيجب أن يسمع له ويطاع في حدود طاعة الله عز وجل، ولا تقبلوا مثل هذه الشائعات والدعايات المغرضة التي لا تريد إلا تمزيق البلاد الإسلامية، وبث الوهن والضعف فيها من حيث يشعر قائلها أو من حيث لا يشعر.

ولكنني أظن أن قائلها إنما يريد هدم الإسلام وتقويض بنيان المجتمع

الإسلامي، وتمزيق كلمته وتفريق وحدته، وبعثرة قوته حتى يكون هباء منثورا، فالله عز وجل أمرنا بالإتفاق والإئتلاف ونبذ جميع أسباب الفرقة والاختلاف، فقال الله عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣] وقال الله تبارك وتعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣٢] فدعوي هذا القائل إنما يقصد بها أن تكون الدولة الإسلامية الواحدة شيعا وأحزاب يضرب بعضهم رقاب بعض، وكل حزب بما لديهم فرحون.

وهذا يتنافى مع الأصل العام العظيم والقاعدة الكبيرة الفخمة في الشريعة الإسلامية، وهي وجوب الوحدة والاتفاق ونبذ أسباب الفرقة والاختلاف، هكذا أهل السنة والجماعة يدعون الأمة إلى الاجتماع، وكيف يكون الاجتماع إذا لم يكن على هذا الاجتماع إمام أو سلطان أو حاكم أو رئيس يدير هذا الاجتماع، فقد جرت عادة الناس ألا تجتمع كلمتهم وألا تتوحد قوتهم ولا تتفق صفوفهم إلا إذا كان عليهم قائد يقودهم ويجب في قيام هذا القائد أن تسمع له هذه الجماعة وتطيع.

فهما أمران متلازمان لا تقوم الإمامة إلا بالسمع والطاعة، ومتى ما قامت الإمامة قامت الجماعة، فلا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، فجميع النصوص الواردة في السمع والطاعة كتاب وسنة، تنطبق على كل حاكم مسلم يحكم بلد من بلاد المسلمين، حتى إذا ما يسر الله عز وجل قيام الخلافة الراشدة بإذنه عز وجل، ونساله أن يجعله قريبا حتى تقر عيوننا برؤية

المسلمين مجتمعين تحت إمام واحد ويكون حاكم لكافة الدولة الإسلامية، تكون خلافة راشدة على منهاج الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، حينئذ نقول يجب على جميع الدول أن تنطوي تحت لواء هذا الحاكم، وأما قبل قيامها فنطبق هذه الأحاديث على كل حاكم مسلم في أي بلد من بلاد الإسلام، انتبهوا فهذا ما ندين الله عز وجل به والله أعلم

i

٢٨٩. سُئِل الشيخ: هل يصح أن نبايع صديقًا لي على أمر ما؟ كأن نقول من يبايعني مثلا على عمل كذا أو على حفظ القرآن كما فعل الصحابي الجليل عكرمة ابن أبي جهل في معركة اليرموك فبايع نفرا على الموت وقال من يبايع على كذا؟ يقول أريدها تحفيزا للنفس فما حكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله لا بأس بذلك إذا لم تكن تخالف البيعة الكبرى لولي الأمر فإن البيعة الصغرى التي تدور فيها بين الأفراد أو بين المجتمعات الصغيرة على أمر معين ترجع مصلحته إليهم هم فهذا لا بأس به كقول الإنسان من يبايعني علي حفظ كتاب الله عز وجل أو قول بعضهم من يبايعني على قيام الليل. من يبايعني على حفظ هذا المتن المعين من يبايعني على عدم التخلف عن حلقات العلم للشيخ الفلاني فهذه يسميها أهل العلم بيعة صغرى ومصالحها ومنافعها مرهونة بهذه الطائفة. بحيث لا تتعارض مع المصالح العامة ولا مع بيعة ولي الأمر. وأما قول النبيﷺ (إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخِرَ مِنْهُمَا)[١]. فهذه بيعة على بيعة تخالفها. فالأول في البيعة الذي تم له الأمر هو الخليفة، والآخر يقتل، وهذا في البيعة الكبرى

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب إذا بويع لخليفتين رقم (1853)

أما السؤال فهو عن البيعة الصغرى وترجع مصلحتها ومنفعتها على المتبايعين ولا تتعارض مع البيعة العامة لولي الأمر. هذه من البيعة التي لا بأس بها ولا حرج إن شاء الله والله أعلم.

i

فصل في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة

٢٩٠. سُئِل الشيخ عن: كيفية التعامل مع الناس في المجتمع الذي يكثر فيه الخلق السيء هل يتعامل الشخص معهم وفق معاملتهم له؟ أم ما هو التوجيه الصحيح في ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين

المتقرر في القواعد أن الحقوق الواجبة بين المسلمين ليست مبنية على المعاوضات وفقكم الله هذه القاعدة العظيمة الطيبة لا سيما في هذا الزمان الذي صار حسن الخلق فيه نادرا إلا ما شاء الله تعالى القاعدة تقول: إن العلاقة بين المسلمين ليست مبنية على المعاوضات فالحقوق الإسلامية والتي تجب فيما بيننا شرعا ويسميها الشارع بحقوق المسلم على المسلم ليست مبنية على المعارضات وبسبب ذلك فلا يجوز للإنسان أن يسوء خلقه بحجة أن الطرف

الآخر قد ساء خلقه فإن هذا والله لا يجوز مطلقا بل الواجب على المسلم أن يتعامل بالأخلاق الحسنة تعبدا لله عز وجل ألا ترى أن أهل السنة قالوا إن مكارم الأخلاق مبنية على ثلاثة أصول على أن تصل من قطعك، وأن تعطي من حرمك، وأن تحسن إلى من أساء إليك؟ ولذلك الله عز وجل يقول ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠] ويقول الله عز وجل ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩] ويقول الله عز وجل (﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ [النحل: ١٢٦] ويقول الله عز وجل ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢﴾ [الرعد: ٢٢] يعني كلما أصابتهم سيئة فإنهم لا يدفعونها بسيئة وإنما يدرءونها بالحسنة ولهذا امتدح الله عز وجل نبيه في قوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤] وقد أصاب النبي ﷺ من قومه ما أصابه من الأذى العظيم الذي لا تحتمله الجبال ومع ذلك لم يكن يبادلهم بشيء من ذلك وَقَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ: (مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟) قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ: (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)[1] عفا عن الذين كانوا يؤذونه ويؤذون أصحابه ويضربونه ويضربونهم أمامهم قد جعلوا على ظهره سلا الجزور وهو ساجد وآذوه الأذى العظيم وما تركوا بابا من أبواب إيذائه إلا سلكوه ويحكي لنا النبي ﷺ قصة ذلك النبي الذي ضربه قومه حتى أدموه قال عَبْدُ اللهِ بن مسعود (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ

---

(١) «معرفة السنن والآثار» (13/ 293) وضعفه الألباني في الضعيفة برقم 1163

الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.)[١]. هكذا ينبغي أن يكون الدعاة. هكذا ينبغي أن يكون المسلم تجاه إخوانه المسلمين. وكما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ).[٢]

فينبغي للمسلم أن يحسن أخلاقه دائما وأن يكون عنوانه في تصرفاته في خاصة نفسه أو مع ربه أو مع إخوانه المسلمين إنما هو حسن الخلق حتى وإن أساءوا إليك حتى وإن قصروا في حقك فإساءتهم إليك لا تسوغ لك أن تسيء إليهم وإن عصوا الله عز وجل فيك؛ فإياك أن يحملك ذلك على أن تعصي الله عز وجل فيهم والله أعلم.

i

٢٩١. سُئِل الشيخ: نرجو من فضلّتكم كلمه عن الحياء؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربّ العالمين وبعد.

لا جرم أن الحياء خلق فاضل نبيل. فهو أسّ مكارم الأخلاق، ومنبع كلّ فضيلة، و نصّ النّبيّ ﷺ أن الحياء خيرا كلّه. ففي الصّحيحين من حديث عمران بنّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم: 3477، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم: 1792

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم القطيعة، رقم: (2558)

حصين إن النّبيّ ﷺ قال (الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ)[١] وهو ذلك الخلق الفاضل الّذي يمنع الإنسان من فعلّ ما لا يليق، ولذلك كتب في الحكمة كما في الحديث إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. والحياء من الإيمان. كما قال النّبيّ ﷺ (الْحَيَاءُ وَالْإِيمَان قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ)[٢] ومرّ النّبيّ - ﷺ على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال: (دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ).[٣] وقال النّبيّ ﷺ (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)[٤]،

بل إن الحياء ما دخل في شيء من الأمور إلا زانه. كما قال النّبيّ ﷺ (مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ)[٥] وفي حديث أَشَجُّ بَنِي عَصَرَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ)، قُلْتُ:

---

(١) أخرجه البخاري كتالب الأدب، باب الحياء برقم (6117) أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها. رقم 37

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي برقم (58) والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (7331) وصححه الألباني حديث رقم: 1603 في صحيح الجامع

(٣)أخرجه البخاري في الإيمان باب الحياء من الإيمان (24) أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها رقم 36

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان باب أمور الإيمان برقم (9) أخرجه مسلم في الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها رقم ٣٥

(٥) أخرجه الترمذي برقم (1974) وابن ماجه برقم (4185) وصححه ابن حجر والألباني في هداية الرواة على تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة برقم ٤٧٨٢.

مَا هُمَا؟ قَالَ: (الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ) [١] وفي رواية (والأنّاة)[٢] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ) [٣]

والحياء خلق فاضل نبيل يحمل الإنسان على فعل ما يطلب منه شرعا. فإذا كان حياء الإنسان يحمله على فعل الأمور المحرَّمة. فإنه لا يطلق عليه حياء. وإنّما يقال له خجل. والخجل منقسم إلى محمودٍ، ومذمومٍ.

وأمّا الحياء فانه لا ينقسم إلى محمود ومذموم. بل الحياء خيرٌ كلّه. فنسأل الله أن يرزقنا الحياء. والله أعلم

i

٢٩٢. سُئِل الشيخ عن: ضابط مكارم الأخلاق التي بُعث نبينا محمد ﷺ ليتممها؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، الضابط في ذلك هو أن كل خُلق دلت عليه الفطرة السليمة والعقل السليم مؤيدا بدليل الشرع الصحيح، فإنه من الأخلاق الحسنة التي بُعث النبي ﷺ لتتميمها، ومرجع ذلك إلى تغذية كرم النفوس، فتجد أن بوابة الأخلاق الحسنة ترجع إلى كرم

---

(١) أخرجه أحمد (17828)والترمذي برقم (2011) وابن ماجه برقم (4188) والنسائي في الكبرى (8306)،وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (455/584)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم 17

(٣) أخرجه الترمذي برقم (2009) وابن ماجه برقم (4184) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (495)

النفوس، كما أن بوابة الأخلاق السيئة ترجع إلى شح النفوس، فهناك أشياء قد دل عليها دليل الشرع ودليل العقل ودليل الفطرة من الأخلاق، فهذه هي الأخلاق التي جاءت الشرائع بتكميلها وتتميمها، سواء الأخلاق التي بين العبد وبين ربه، أو فيما بين العبد وبين نفسه، أو فيما بين العبد وبين الآخرين، فهذه هي مكارم الأخلاق التي جاء النبي ﷺ لتتميمها والحث عليها والأمر بها والترغيب في فعلها، وترتيب الثواب العظيم والأجر الجزيل على من فعلها وعلى من حققها، هذه هي مكارم الأخلاق، ومن العجائب أن مكارم الأخلاق أمر فطري، [فالناس] يعرفون الخلق الطيب من الخلق القبيح بمجرد فطرتهم الطيبة، فجاءت الشريعة تُكمل ما تعرفه الفطرة وما استقر في العقل بالأمر به وبيان الفضائل في فعله، وبالتحذير مما هو مُستنكر فطرةً وعقلاً من الأخلاق القبيحة، فقوله ﷺ (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ)[١] أي لأؤيد تلك الأخلاق التي دلت عليها الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وآمر بها وأحث الناس عليها، والله أعلم.

i

٢٩٣. سُئِل الشيخ عن: قولهم خذ الحق ولو كان من الشيطان؟ وهل هي صحيحة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين.

المتقرر في قواعد أهل السنة :أن الحق مقبول لذاته، والمتقرر في القواعد عند

---

(١) أخرجه أحمد (8939)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (273) وصححه الألباني في الصحيحة حديث رقم (45)

أهل السنة: أن الحق يقبل ممن جاء به وإن جاء به أكذب الناس. وأن الباطل يرد لذاته).

بمعنى أن الباطل يرد ممن جاء به وإن جاء به أصدق الناس. فليس كثرة الكذب بمسوغ لنا أن نرد الحق الذي أجراه الله على لسان هذا الكذاب. وليس كثرة قول الصدق بمسوغ لنا أن نقبل الكذب إذا أجراه الشيطان على لسان هذا الرجل. فكثرة الكذب ليست بمعيار لرد القول. وكثرة الصدق ليست بمعيار. لقبول الكلام. وإنما المعيار هو موافقة الحق أو عدم موافقته. فما وافق الحق فهو حق وإن أجراه الله على لسان إبليس. حتى لو جرى على لسان إبليس لقبلناه. لا لأن إبليس تكلم به وإنما لأنه حق والحق يجب أن يقبل من أي شفتين خرج. ويدل على ذلك وفقك الله ما في صحيح الامام البخاري عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ (وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لَا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ

تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ.)[1]. فهذا شيطان قال صدقا. وأمر النبي ﷺ أبا هريرة أن يقبل كلامه لأنه صدق وليست كثرة كذب الشيطان بمسوغة لنا أن نرد هذا الحق الذي أجراه الله عز وجل على لسانه. وكذلك اسمع إلى قول الله عز وجل ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة: ٤]. إبراهيم الذي هو أبو الأنبياء. وخليل الرحمن. اسمع. إذ قالوا لقومهم. والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم. وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فالله عز وجل أمرنا أن نتخذ إبراهيم. والذين معه أسوة وقدوة في كل شيء. لكن الله

(١) أخرجه البخاري كتاب الوكالة: بَابٌ: إِذَا وَكَّلَ رَجُلاً فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكِّلُ... رقم (٢٣١١)

عز وجل استثنى من حال إبراهيم شيئا. نهانا الله أن نتخذ إبراهيم فيه. قدوة. فقال الله عز وجل إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك. فيقول الله عز وجل هذا القول من إبراهيم وهذا الوعد من إبراهيم لا تتخذوا إبراهيم فيه قدوة. لأنه لا يجوز للمؤمنين. أن يستغفروا للمشركين. كما قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]. فانظر كيف رددنا ذلك الأمر وإن جاء به أصدق الناس الذي هو إبراهيم. فالحق عند أهل السنة مقبول ممن جاء به وإن جاء به أكذب الناس. والباطل مردود ممن جاء به وإن جاء به أصدق الناس والله أعلم.

i

٢٩٤. سُئِل الشيخ: ما هي الحكمة وكيف يكون المرء حكيمًا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله وبعد،

الحكمة هي وضع الشيء في مواضعه فإذا وفق الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان ووضع كل شيء في موضعه وأعطى كل ذي حق حقه فإنه يعتبر حينئذ حكيما والحكمة هي الخير الكثير الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

ولمحبته عَزَّوَجَلَّ للحكمة فإن من أسمائه عَزَّوَجَلَّ: الحكيم، ومن صفاته: أنه ذو الحكمة المتناهية المطلقة، وأما سؤالك كيف أكون حكيمًا فإن هذه الحكمة تنقسم إلى قسمين: حكمة فطرية وحكمة اكتسابية أما الحكمة الفطرية فهي

أن يكون الإنسان حكميًا منذ خلقه الله عَزَّوَجَلَّ وقد فطره على هذه الصفة فهو حكيم من فطرته لم يكتسب الحكمة من أمرٍ خارج وإنما هو حكيم بالفطرة، وهذه من أعظم أنواع الحكمة نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لها، ولكن أغلب الناس إنما يكون حكيمًا بالاكتساب، وهي أن هناك وسائل إذا طرقها الإنسان وحصلها فإنه سيكون حكيمًا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

من هذه الوسائل: كثرة دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بالحكمة فإن الله هو الحكيم ذو الحكمة وهو من يملك الحكمة، ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ومن يؤت، وفي قراءة: ومن يؤتي الحكمة، فالله هو الذي يؤتي الحكمة فعلى الإنسان إذا أراد أن يكون حكيمًا أن يسأل الحكمة ممن يملكها على وجه الحقيقة وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثاني: أن يكتسبها بمعاشرة الحكماء فإن الإنسان على صفة خليله والإنسان على دين خليله والإنسان يتخذ قدوةً بالمعاشرة فحاول أن تعاشر الحكماء فإنك ستكون في يومٍ من الأيام حكيمًا.

ومن جملة المعاشرة: قراءة قصص الحكماء، فإن هذا أيضًا مما يُكسب الحكمة إذا قرأت قصصهم وعرفت كيفية تعاملاتهم ورأيت تجاربهم وكيف كانوا يتصرفون في أحوالهم ومضايقهم فإنك سوف تكون حكيمًا، فسواء عاشرت الحكماء بقراءة قصصهم أو عاشرت الحكماء من أهل زمانك، ولا سيما كبار السن فيهم من الحكمة والتجارب والمعرفة والخبرة ما ليس في غيرهم، ومنها كذلك طلب العلم الشرعي فإن العلماء هم الحكماء، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد ذكر في كتابه آيات كثيرة في الحكمة وكيفية التعامل وكيفية التصرف سواء مع النفس أو مع الآخرين، فالإنسان إذا اكتسب العلم وكان ذا علمٍ راسخ فإنه سيكون

حكيمًا لأن تصرفاته وفتواه وأفعاله وأقواله وأحكامه سوف تكون نابعةً من هدي الكتاب والسُنة، ومن وافق ظاهره وباطنه الكتاب والسُنة فإنه سيكون حكيما.

ومن جملة ما يكتسب الإنسان به الحكمة: كبار السن، فإن الإنسان ربما لا تظهر منه الحكمة حال صغره، ولكن مع كبر سنه ووفور تجاربه وعِظم معرفته وخبرته بهذه الحياة وتقلباتها فإنه سيكون حكيما.

ومن جملة ما يورث الحكمة كذلك: معرفة سُنن الله عَزَّوَجَلَّ في الكون، فإن من عرف سُنن الله عَزَّوَجَلَّ في كونه فإنه سيكون حكيمًا لأنه سيتصرف في أحواله وفي حياته وفقًا لسُنن الله عَزَّوَجَلَّ التي يعرفها فتكون تصرفاته وأحكامه متفقة مع سنن الله عَزَّوَجَلَّ الكونية وهذا من الحكمة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا وإياكم من الحكماء والله أعلم.

i

٢٩٥. سُئِل الشيخ: شيخي جزاك الله خير، تعرضت إلى الأذى من بعض الأشخاص أدّى بي للمرض لمدة أربع سنوات أو أكثر تقريباً، مرضاً جسدياً ومرضاً نفسي، وبعد أن منّ الله تعالى عليّ بالعافية، تعاملت مع هؤلاء الأشخاص بالإحسان، فأنا أكرمهم وأحسن إليهم مادياً ومعنوياً، ولكن يا شيخ باللسان فقط وليس من القلب، فهل هذا يعتبر من النفاق؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أما بعد، فجزاك الله خير الجزاء، غفر الله لك، رفع الله قدرك، شرح الله صدرك، يسّر الله أمرك،

أصلح نيتك وذريتك، جزاك الله عنا وعن المسلمين، وعن من عفوت عنهم من إخوانك المؤمنين خير الجزاء.

نعم هكذا ينبغي أن يكون المؤمنون فيما بينهم، فأنت تخلّقت بأخلاق الأنبياء، تخلّقت بأعظم الأخلاق التي يحبها الله عز وجل، وهو العفو عن الناس، والصفح، ومقابلة السيئة بالحسنة، والتجاوز، وكظم الغيظ هذا أمرٌ يحبه الله عز وجل ويرضاه، وقد دلّت الأدلة عليه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[آل عمران:١٣٤]. فالله عز وجل لم يقل: (والذين لا يغيظون أو لا يتغيظون) لا، وإنما قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فدّل ذلك على أن ثمة غيظاً في قلوبهم وحنقاً وبغضاً لهؤلاء الأشخاص، ولكنهم يكتمون ما يحسونه في قلوبهم، ويأدونه في بواطنهم، ولا يخرج شئ من آثاره مطلقاً على تصرفاتهم قولية أو فعليةً، فالغيظ موجود، والحنق موجود، والبغض موجود، والكراهية موجودة ولكنهم لا يوجدون شيئاً من آثارها، لا يوجدون شيئاً من آثارها.

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فأنت بهذا التصرف تدخل في وصف المحسنين، وقد حثنا النبي، وكذلك يقول الله عز وجل:﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسن فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، فالعداوة موجودة والبغض موجود ولكن في التصرفات الظاهرية كأنه ولي حميم، فهذا من باب دفع السيئةِ بالحسنة، قال الله عز وجل: ويدرءون بالسيئة الحسنة ومما رزقناهم، ومما رزقناهم، ومما رزقناهم ينفقون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

[القصص:٥٤].

وحثنا النبي ﷺ على مكارم الأخلاق، يقول النبي ﷺ: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))(١)، وكذلك يقول النبي ﷺ: ((وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا))(٢)، فكلما زاد عفوك عن مثل هؤلاء، كلما ازداد عزّك عند الناس وعند الله عز وجل، ويقول الله تبارك وتعالى:﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

وقال الله تبارك وتعالى:﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]، وقال الله تبارك وتعالى:﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[النساء:١٤٩]، قال:﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، وقال الله تبارك وتعالى:﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال الله تبارك وتعالى:﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:١٣].

فإن سألنا سائل وقال: وما الفرق بين العفو والصفح؟ فنقول: العفو هو إمساك الجوارح عن مقابلة السيئة بالسيئة، فكونك تعفو عنهم بلسانك، ولا تقابل السيئة بالسيئة فلا جرم أن هذا عفو، وأما الصفح فهو محاولة إذهاب ما في القلب عن هؤلاء الأشخاص، فإذاً أنت دخلت في منزلة العفو عنهم،

---

(١)أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٩/٣٥) برقم:[٢١٤٠٤]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب:[مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ] (٣٥٥/٤) برقم:[١٩٨٧]، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٤٠٩/٣) برقم:[٥٠٨٣]، واللفظ لأحمد.

(٢)أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ برقم (٢٥٨٨)

ولكننا نحثك أن تنتقل وترقى منها إلى منزلة الصفح، بأن تحاول أن تخرج ما في قلبك على هؤلاء من إخوانك المؤمنين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وقال الله تبارك وتعالى، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[الرحمن:٦٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[النحل:٩٠]، والعفو من الإحسان، فأنت محسنٌ بهذا العفو، وهذا التجاوز، وكظم الغيظ كل ذلك مما يترتب لك أجره، وسوف تناله في الدنيا والآخرة.

وأبشر بعفو الله عز وجل عنك، فإن الحسنة تُجازى بمثلها ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[الرحمن:٦٠]، يقول الله، يقول العلماء رحمهم الله تعالى: ﴿إن من عفا عن عباد الله عز وجل وتجاوز عنهم، عفا الله عز وجل عنه، وتجاوز في وقتٍ يكون أحوج ما يحتاجه لله عز وجل وعفوه وفضله ومنته﴾.

فأبشر بالخير، أنت لن تخسر شيئاً سوف تزداد، سوف تزداد منزلتك عند الله وعند الخلق، وسوف تعظمك القلوب، وتهابك النفوس، نعم لأنهم يعلمون أن من أمامهم، أن من أمامهم رجلٌ يستطيع أن يكظم غيظه، ويتخلق بهذا الخلق الفاضل العالي، الفاضل العالي، فأنا أوصيك أن تصبر وأن تحتسب، وأن لا تحاول أن تخرج ما في قلبك على هؤلاء الأشخاص.

مع أننا نحثك على مجاهدة ما تجده في نفسك عليهم، من شئ من الغضب، أو الحنق، أو الكراهية، حاول أن تخرجها من قلبك لأننا نخشى أن يكون وجودها سبباً لخروج شيئاً من آثارها على أقوالك أو تصرفاتك فيما بعد، فما دامت هذه الشرارة موجودة في قلبك، فإننا نخشى أن يفسد، أن تفسد عفوك

السابق، فحاول ما استطعت يا أخي أن تحتسب الأجر في الصفح عنهم، وفي تنظيف قلبك عنهم حتى يكون قلبك سليماً صافياً على إخوانك المؤمنين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأبشر بالخير ثم أبشر بالخير، عاملك الله عز وجل بجوده، وعفوه، وكرمه.

وأما قولك: هل أنا منافق؟، فأقول: لا، بل أنت مؤمنٌ إن شاء الله، أنت من المؤمنين، أنت من المتقين، أنت من المحسنين بعفوك على إخوانك، وأما ما تجده في قلبك عليهم فهذا أمرٌ بيد الله عز وجل، فإن أمر القلوب في الأعم الأغلب لا يملكه إلا علام الغيوب، وقد لا يستطيع الإنسان أن يدخل في قلبه محبةً لأحدٍ، أو يخرج من قلبه بغضاً وكراهية لأحد؛ لأن أمور القلوب صعبة.

ولكن مع الجدِ والاجتهاد والمجاهدة والدعاء في أن يجعل الله قلبك سليماً، سوف تجد في قلبك يوماً من الأيام كمال طمأنينة، وكمال راحة، وفي صدرك كمال انشراح عند ملاقاة هؤلاء الذين أخطأوا عليك، وذلوا في حقك، وقصّروا في جانبك، سوف تقابلهم يوماً من الأيام بقلب صافٍ سليم، مع الاجتهاد وكثرة الدعاء، والله أعلم.

i

٢٩٦. سُئِل الشيخ عن: مَن وعَدَ ولم يتمكن من الوفاء، فهل يُعتبر من النفاق؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، وبعد: المتقرر عند العلماء: أن التكاليف الشرعية منوطة بالقدرة على العلم والعمل، والمتقرر عند العلماء: أنه لا واجب مع العجز، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]،

ويقول النبي ﷺ: (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[(١)]

فإذا عُلمت هذه الأصول فأقول في جواب السؤال: لا جرم أن الوفاء بالوعد والعهد من واجبات الشرع لقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤]، ولقول النبي ﷺ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ..) [(٢)]،وذكرَ منها: (وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ)، فالوفاء بالعهود والعقود من واجبات الشرع، فبما أنه واجب من واجبات الشرع فإنما يجب عليك القيام بهذا الواجب إذا كنتَ مستطيعًا قادرًا؛ لأن الواجبات الشرعية منوطة بالقدرة والاستطاعة، فإذا أخلفتَ موعدكَ فإن هذا الإخلاف لا يخلو من حالتين: إما أن يكون بعذر شرعي قاهر، وإما أن يكون بلا عذر شرعي، فإن كان الإخلاف بلا عذر شرعي فلا جرم أن هذا صفة من صفات المنافقين، وأنك آثم على إخلاف هذا الوعد؛ لأنك تركتَ فعل الواجب عن اختيارٍ وقدرة واستطاعة.

وأما إذا أخلفت موعدك عن اضطرار وقهر وعذر شرعي بمعنى أنك كنتَ راغبًا مريدًا للوفاء ولكن حبسك عن الوفاء بالوعد عذر قاهر لا مدخل لك فيه، ولا يرجع إلى تقصيرك في القيام بهذا الواجب، فلا حرج عليك في هذا التخلف عن الوفاء بالعهد؛ لأنك عاجز عن القيام بهذا الواجب فلا تُطالب به؛ لأن الواجبات منوطة بالقدرة والاستطاعة، والله أعلم ...

---

(١)أخرجه البخاري كتاب الإعتصام بالكتاب والسنَّة، بَاب: الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ برقم (٧٢٨٨) وأخرجه مسلم في الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر. وفي الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه..، رقم: (١٣٣٧)

(٢)أخرجه البخاري في الإيمان، بَاب: عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، برقم ٣٣ أخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم: (٥٩).

i

٢٩٧. سُئِل الشيخ: كيف يكون الإنسان من الصديقين؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد.

نسأل الله أن يعيننا على بلوغ هذه المرتبة العظيمة، لقد مدح الله أهل هذه المرتبة في كتابه في جمل كثيرة من الآيات فقال الله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩].

وقال الله :﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[مريم:٤١]

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾[مريم:٥٦]

وقال الله: في آيات كثيرة في بيان هؤلاء الصديقين أنهم الذين آمنوا واتبعوا شريعة الله إتباعا عن تصديق جازم.

فالصديق باختصار هو الذي يثبت صدق إيمانه في جميع المواقف الصعبة، فمتى ما حل عليك شيء من أزمات هذا الدهر ومن طوارق هذا الزمان وتعاملت معه تعامل المؤمن الصادق بوعد الله.

والصابر المحتسب المصدق بموعود الله تبارك وتعالى فأنت من الصديقين، فإذا حصل موقف صعب وابتلاء للمسلم فإن الناس كما هو معلوم يتفاوتون في التعامل معهم، فبعضهم قد يشكك في حكمة الله في هذا الموقف، فهذا التشكيك يخرج العبد عن دائرة الصديقين.

وبعضهم قد يسيء الظن به سبحانه وتعالى، فإساءة الظن في مثل هذه المواقف تخرج العبد عن دائرة الصديقين، وبعضهم قد يستغرب كيف يقدر الله هذا الأمر وبعضهم يعترض على أمر الله وقضاءه وقدره.

فهذا الاستغراب والاعتراض يخرج العبد عن دائرة الصديقين، فكلما كان إيمانك وتعاملك مع هذه المواقف مبنيا على كمال الثقة بالله وكمال التصديق بموعود الله وكمال الإيمان بحكمة الله وأنه لا يريد بعباده إلا الخير وكان قلبك واثقا بالله تبارك وتعالى وبقضائه وقدره.

فلا جرم أن هذا لا يصلك لمرتبة الصديقين، فهذه المرتبة إنما يظهر أثرها عند نزول المواقف الصعبة بالإنسان، إذا حل على الإنسان شيء من الشبهات أو حل على الأمة شيء من الأزمات فإنك تنظر إلى تعامل الناس واختلاف تعاملهم فيها، فإن من الناس من يتعامل معها بكمال الإيمان بالله وبكمال الثقة بالله وكمال التوكل على الله، فهذا من الصديقين ومن الناس من يتعامل معها بالتشكيك في حكمة الله والاستغراب وبالاعتراض على أمر الله.

والتشكيك في العلماء والتشكيك في نصوص الكتاب والسنة وبضرب الأدلة الشرعية بعضها ببعض فهذا يخرجه ذلك عن مرتبة الصديقين، والخلاصة أننا إذا أردنا أن نكون من أهل هذه المرتبة فعلينا أن نصدق في إيماننا أن نصدق جميع ما أخبرنا الله به ورسوله تصديقا قطعيا خاليا من الريب أو الشك أو الزلل.

وعلينا كذلك أن يكون إيمانا صادقا في جميع المواقف والنوازل التي تنزل علينا أو على أمتنا ولا يكون صدق إيماننا في بعض المواقف دون بعض، فينزل

الإنسان عن درجة الصديقين بحسب تخلف صدق إيمانه في بعض المواقف.

فربما تنزل عليك نازلة فتتعامل معها بصدق فتكون من الصديقين باعتبار هذه النازلة فبينما تنزل بك نازلة أخرى فيضعف إيمانك في صدق التعامل معها فتتخلف عن درجة الصديقين بحسب هذا التخلف.

فإذا درجة الصديقية كالإيمان تزيد وتنقص وكلما كمل إيمان العبد كلما ارتفع في مدارج الصديقية وكلما ضعف إيمانه كلما ضعف من ميزان صديقيته حسب هذا الضعف ومقداره وأنا أذكر لك موقف واحد من مواقف الصديق أبي بكر رضي الله عنه وأنه بعد حادثة الإسراء والمعراج جاء نفر من المشركين يقولون: يا أبى بكر إن صحابك أي النبي ﷺ يزعم بأنه ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة واحدة.

فقال أبو بكر أقال ذلك؟ فقالوا: نعم. فقال أبى بكر: فإني أشهد الله أنه صادق، وفي بعض الروايات: إن كان قد قاله فقد صدق، فلو تأملت هذا الموقف لوجدته أحد المواقف الصعبة العظيمة؛ لأن في ذلك الزمان لم تكن عندهم مواصلات كمثل أيامنا لكن أبى بكر قابل هذا الموقف: بصدق عجيب، وإيمان عظيم، فسمي بعدها بالصديق،

فأبو بكر قَبِلَ هذا الخبر مباشرةً بعد التأكد والتوثق من ثبوته عن النبي ﷺ ولم يستغرب بُعد المسافة وانعدام المواصلات الحسية، وإنما صدَّق مباشرة، وأيد هذا التصديق بقوله أصدقه في الخبر الذي يأتيه من السماء في لحظات.

ولا أصدقه بأنه أسري به إلى بيت المقدس. يعني لا أصدقه في الذهاب إلى بقعة من بقاع الأرض ويرجع في نفس الليلة؛ وأنا أصدقه في أكبر من ذلك؛ أصدقه

في الخبر الذي يأتيه من السماء مع بعد المسافات ما بين السماء والأرض فسمي الصديق صديقا بعد هذا الموقف.

فكثرة تصديق الشارع وعِظَم الإيمان بأخباره وعظم الثقة به وعظم التوكل عليه يجعل الإنسان في مرتبة الصديقين والله أعلم

i

٢٩٨. سُئِل الشيخ: وردت أحاديث في فضل حسن الخُلق فما الضابط في ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الضابط في ذلك هو الالتزام بما دعت له الشريعة من الأخلاق الحسنة، فإذا كنت ملتزمًا بهذه الأخلاق التي دعت لها الشريعة فلا جرم أنك تكون داخلاً في مسمى من حسن خُلقه، واعلم أن إحسان الأخلاق هو الالتزام بهذه الأخلاق والآداب المقررة شرعًا، وهذا الالتزام إما أن يكون هو الالتزام المطلق أو مطلق الالتزام، فإن من الناس من يكون ذا خلق حسن في بعض الجوانب دون البعض الآخر، ومن الناس من لا تراه في كافة الأبواب إلا قد حسن خلقه، وهذا من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، فكلما التزمت بأدب من الآداب المقررة بالأدلة والتي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ والتي وردت الأدلة بالأمر بها والإخبار بعظيم شأنها فقد حسن خُلقك في هذا الباب، فحُسن الخُلق أمرٌ يتجزأ فيوصف الإنسان بأنه ذو خُلق حسنٍ في بعض الأبواب دون بعض ولكن على الإنسان أن لا يقتصر في هذا الباب يعني على درجات الدنيا، بل عليه أن يُنافس وأن يتسابق وأن يبادر حتى يكون ذا خلقٍ حسنٍ في كافة أبواب الشرع، والله أعلم.

i

٢٩٩. سُئِل الشيخ عن: حكم تقبيل يد الرجل الصالح؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، المتقرر في القواعد: أن العادة مُحَكَّمة،

والمتقرر في القواعد أن: الأصل في الأعراف الحِلّ والإباحة، إلا ما خالف دليل الشرع، فإذا جرى عُرف أهل بلادك على تقبيل يد الكبير في السن، أو الكبير في العلم، فإنه لا بأس بذلك ولا حرج إن شاء الله، لأنه مما جرت به العادة، ولا يخالف دليل الشرع، لا سيما إذا كان الإنسان إنما يفعل ذلك احتراما لا طلبا للبركة الذاتية المتنقلة، انتبهوا إذا كان يفعل ذلك احتراما وتقديراً وإظهارًا لفضل هذا الكبير سنًا أو منزلةً أو علمًا، لكن لا يقصد بذلك طلب البركة، بمعنى أنه يريد أن تنتقل بركة هذا الولي أو الشيخ أو العالم إليه، فإن كان يفعلها طلبا للبركة الذاتية فإن هذا من البدع، وأمّا إذا كان يفعلها على ما جرى به العُرف، وتقررت به العادة، احترامًا وتقديرًا، فلا بأس ولا حرج إن شاء الله، والله أعلم.

i

٣٠٠. سُئِل الشيخ: من العادات عندنا من باب الاحترام لكبار السن تقبيل يد الوالدين ووضع يدهم على الجبهة فهل هذا يعتبر من السجود؟

فأجاب – عفا الله عنه-: إذا كان العرف عندكم والعادة الجارية جرت أن من احترام الوالدين واحترام كبار السن أن يُفعل بهم ذلك فهذا لا حرج فيه إن شاء الله لأنها عادة، والأصل المتقرر عند العلماء: أن الأصل في العادات الحل

والإباحة، ولأن الشريعة أمرت باحترام الوالدين والإحسان إليهما وإحسان معاشرتهما بالمعروف ونهت عن عقوقهما وهذا أمرٌ لم يأتي في الشريعة ما يحدده فَيُرَدُّ في ذلك إلى ما تقرر في العرف.

لأن المتقرر عند العلماء: أن العادة محكمة، فإذا كان مما يدخل في صور الإحسان في عرفكم وعلى ما جرت به عادتكم: أن تقبيل يد الوالدين من الإحسان فلا حرج عليك في تقبيل يديهما، وإذا كان من الإحسان والبر أن تجعل يد والدك أو والدتك على جبهتك أو على جبينك أو على رأسك فإن هذا لا حرج فيه ولا أعلم دليلاً يمنعه جزاكم الله خيرا، ولكن انتبهوا من اعتقادٍ لا أظنه يقوم في قلوبكم مُطلقا ولكن من باب سد الذرائع أقوله وهو أنه ربما يثور في ذهن بعض الناس: أنه يضع يد والده، أو يد والدته، أو يد العالم، أو يد الصالح، أو يد الولي تبركًا، أو استجلابًا للبركة فإذا كان هذا هو المقصود فلا جرم أن هذا مُحرمٌ لأن الأصل في التبرك التوقيف على ما دلت الأدلة بجواز التبرك به فهذا أمرٌ لم يرد به دليلٌ بجواز التبرك به، ولكن وضعها على الرأس أو على الصدر وتقبيلها من باب التقدير ومن باب الاحترام على ما جرت به العرف وتقررت به العادة لا أرى في ذلك بأسًا، والله أعلم.

i

٣٠١. سُئِل الشيخ: التوجيه لمن ظاهره الصلاح ولكنه سيء التعامل؟

فأجاب - عفا الله عنه- الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر عند العلماء أن: الدين مبني على علم وعمل، فلا ينفع العلم بلا عمل ولا ينفع العمل بلا علم، فعلم بلا عمل عقوبة، وعمل بلا علم ضلال وقد أمرنا الله في كل ركعة

من ركعات الصلاة المفروضة النافلة أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذي أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم والضالين، قال العلماء: المغضوب عليهم؟ هم الذين عندهم علم ولم يقرنوا هذا العلم بالعمل وعلى رأسهم اليهود، والضالين أو والضالون؟ هم النصارى الذين عندهم رهبنةٌ وتعبدٌ واجتهادٌ وطاعاتٌ ولكن على غير هدى من الله ولا برهان ولا دليل.

وأما أهل الصراط المستقيم فهم؟ الذين يقرنون بين العلم والعمل، ويقول السلف رحمهم الله تعالى علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، فلا يجوز للإنسان أن يفرق بين العلم والعمل، ولا يوصف الإنسان بالاستقامة والالتزام بمجرد كونه علم شيئا من الكتاب والسنة. إلا إذا التزم بالعمل بهما، بل الالتزام ليس التزاما علميا فقط؛ بل هو التزام علمي وعملي، فترى الإنسان يوصف: بأنه مستقيم وملتزم وأنه طالب علم، وإذا رأينا أخلاقه لم نجد فيه شيئا من تحقيق ما يتعلمه من كتاب الله وسنة رسوله!! فهذا في حقيقته ليس بمستقيم ولا بملتزم على منهج الله، وما تعلمه فإنما هو من باب استكثار حجج الله عليه.

فما تعلمه إذا لم يقرنه بالعمل فهو عقوبة وعذاب عليه بالدنيا قبل والآخرة،

فوصيتي: أن تقفوا مع هذا الرجل وقفة صدق بأن تبينوا له أن عنده علم بالحلم ولكنه لا يحلم.

عنده علم بأهمية الصدق ولكنه لا يصدق عنده علم بأهمية بر الوالدين والإحسان إلى الإخوان والأخوات ولكننا لا يصل رحمًا ولا يحسن لذي قربى!!

فعلمه سببٌ لعقوبة الله له في الدنيا والآخرة إذا لم يتب الله عليه ويتدارك نفسه

بتوبة صادقة نصوح من تلك الأخلاق الفاسدة التي لا تمثل ما يحمله في قلبه من علم، فالاستقامة من شرطها أن يقرن صاحبها بين العلم والعمل، فإن كان العلم كثيرًا والعمل قليلا فلنعلم أننا لسنا على قضية الالتزام على وجه صحيح ولسنا بمستقيمين على الوجه الصحيح، لأن الالتزام والاستقامة ليست علميا فقط، وإنما هي عملية كذلك

فعليكم بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ومناصحته بالحكمة والموعظة الحسنة، لِيُرَدَّ إلى طريق الحق والهدى والله أعلم.

i

٣٠٢. سُئِلَ الشيخ عن: علاج سريع الغضب؟ وخاصة في رده على من أساء.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

لا جرم أن الإنسان تطمح نفسه لأن ينتصر لها ممن أساء إليه بقولٍ أو عملٍ، فإذا لم يكن عند الإنسان ذمامٌ يحكم بها هذه النفس وشهواتها ورغباتها فإنه ربما يقع في أمورٍ لا تحمد عواقبها.

وإن من أعظم المواقف التي يشتعل فيها الغضب حين يشعر الإنسان أنه قد أسيء إليه؛ فالغضب نزعةٌ نفسيةٌ عظيمة لابد أن تقابل بقوةٍ هائلة وقدرةٍ على إحكام النفس الغضبية، حتى لا تنفذ مرادها فيمن غضبت عليه.

فالغضب نزغةٌ من نزغات الشيطان ونارٌ عظيمةٌ تضطرمُ في القلب، ويقع بسببها كثيرٌ من الأمور التي لا تحمد عواقبها من القتل أو الضرب، أو السب واللعن والشتم أو التطليق، ولذلك جاء في الشريعة عدةُ علاجاتٍ لهذه الحالة

الشيطانية النفسية وأخبرت بذمه.

وأمرنا النبي بمحاربة أسبابه والبعد عنها؛ فمن أعظم ما يعالج به الغضب سرعة الاستعاذة بالله منه مباشرةً، فأكثر من الاستعاذة بالله من الغضب ومن سوء الخلق.

فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ)[١] ويجد الغضبان بعد الاستعاذة أن نار الغضب في قلبه قد انطفأت بإذن الله، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، سَكَنَ غَضَبُهُ)[٢]، وهذا كلام من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

ومن جملة العلاجات النافعة العظيمة أن يسكت الإنسان في لحظات غضبه الأولى، فإنه ما إن يُعَوِّدُ نفسه على ذلك، إلا ويجد أن الغضب قد انسل من قلبه انسلال الشعرة من العجيب؛!

لكن الكلام في لحظات الغضب الأولى هو الذي يضيف على النار بنزينًا تتوقد به أكثر وأكثر، ولذلك يقول النبي كما في مسند الإِمَامِ أحمد وغيره:(إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ)[٣].

---

(١)أخرجه البخاري في بدأ الخلق باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٢) ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم: (٢٦١٠)

(٢)أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٧٠٢٢) وصححه الألباني في (الصحيحة ١٣٧٦)

(٣)أخرجه أحمد برقم (٢١٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير حديث رقم٦٩٣

فالغضبان يخرج عن طوره وشعوره، ويتلفظ بكلماتٍ في بداية غضبه تكون سببًا لطول زمان غضبه، أو سببًا لتشفيه فيمن غضب عليه بأفعالٍ قد يعاقب الإنسان عليها،

وكذلك من الأمور التي تعين الإنسان على علاج الغضب: تغيير حالته.

المبادرة بتغيير حالته، فإن كان قائمًا فليجس وإن كان جالسًا فليضطجع، وإن كان متحركًا يتحرك فليحرص على تسكين جوارحه، يقول ﷺ :(إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ)[١]

وكذلك من الأمور التي تعين الإنسان على علاج الغضب: أن يحفظ الإنسان وصية رسول الله، وأن يكتبها بين عينيه، وأن يتذكرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد جاء رجلٌ إلى النبي كما في البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ.)[٢]،

والمتقرر عند العلماء: أن الغضب جماع كل شر.

ومن العلاجات كذلك: أن يذكر الإنسان نفسه بأن من ترك المراء ولو كان محقًا، ومن ترك الغضب ولو كان غضبه في حقٍ فإن له الجنة بإذن الله، كما قال النبي ﷺ في الحديث: قالَ رجلٌ لِرسولِ الله ﷺ:دُلَّني على عَملٍ يُدخِلُني

(١)أخرجه أحمد برقم٢١٣٤٨ وأبو داود برقم(٤٧٨٢) وضعفه الألباني بالإرسال في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها في الأمة» (١٤/ ٣٩١): «٦٦٦٤»

(٢)أخرجه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب برقم (٥٧٦٥)

الجنَة؟ قال رسولُ الله ﷺ: (لا تَغْضَبْ، ولَك الجَنَّةُ)[١]

ومما يعين على تخفيف حدة الغضب كذلك: أن يتوضأ الإنسان،، وقد ورد في ذلك جملٌ من الأَحَادِيْثِ التي لا يخلوا آحادها من مقال؛ ولكن بمجموعها قد ترتقي إلى رتبة الاحتجاج.

وذلك لأن الغضب نارٌ تتوقُ في قلب وبدن الغضبان، وهذا الماء يطفأ جمرة الغضب في القلب بإذن الله، فحاول بارك الله فيك أن تعود نفسك على حسن الخلق، وعلى الابتعاد عن الغضب وتذكر قول النبي :(إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)[٢]. وتذكر قوله لأشج عبد القيس:(إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ)[٣]، فعليك بالحلم والتحلم والصبر واحتساب الأجر والله أعلم.

i

٣٠٣. سُئِل الشيخ عن: كيف يمكن لي أن أتجنب الغضب؟ وما الذي يُعينني على الابتعاد عنه؟ وخاصة أني أغضب غضبًا شديدا.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: أسأل الله عز وجل أن يعصمك من هذه الصفة القبيحة التي حذر منها النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١)أخرجه الطبراني في المعجم الأسط برقم (٢٣٥٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٧٣٧٤)

(٢)أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والأداب باب الرفق برقم ((٢٥٩٤))

(٣)أخرجه مسلم كتاب الإيمان بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ برقم (١٧)

رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ.)[1]، وذلك لأن المتقرر في القواعد أن الغضب جِمَاع كل شر، فالقتل غالبا لا يكون إلا بسبب الغضب، والطلاق غالبا لا يكون إلا بسبب الغضب، والجنايات أكثرها إنما يكون سببها الغضب، فإن الشيطان يستولي على ابن آدم في حال غضبه استيلاء عظيما، وإن الإنسان ينبغي له أن يستدفع غضبه بعدة أمور،

الأمر الأول: أن يحاول أن يقطع أسباب الغضب عنه، وأن ينبه من حوله أن لا يغمزوا بركان غضبه بالشيء الذي يعلمون أنه يغضبك، فإن هذا من أعظم ما يجاهد به الإنسان غضبه، فأي شيء تحس أنه يثير بركان غضبك فحاول أن تبتعد عنه وحاول أن تقطعه، فإذا كنت عند سماع الأخبار يثور غضبك فاقطع استماعها، وإذا كان ثَمة مجالس إذا حضرتها ثار غضبك فلا تحضرها، وإذا كان ثَمة صاحب من أصحابك يثور غضبك ببعض كلامه أو ببعض أطروحاته فحاول أن تقطعه، وغير ذلك من الأسباب التي ترى أنها تثير حفائظ غضبك،

والأمر الثاني كثرة الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم حال الغضب، فإن هذا الغضب نار تضطرم في قلب ابن آدم ينفخ فيها الشيطان، فإن هذا الغضب من الشيطان والعياذ بالله، ولذلك في الصحيحين من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

---

(١)أخرجه البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب برقم (٥٧٦٥)

تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ)[(١)]

فكثرة الاستعاذة بالله عز وجل من الغضب حال وقوعه عليك، هذا من أعظم ما يدفعه بإذن الله عز وجل،

الأمر الثالث: اعلم أن الغضب نار، وأن الماء يطفئ هذه النار، فحاول أن تتوضأ، أو حاول أن تغتسل، لابد وأن يصيب جسدك شيء من الماء، ولذلك يروى في الحديث عن النبي ﷺ (إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ)[(٢)] ومن ذلك لابد وأن تعلم أن الغضب عبارة عن احتقان عظيم للدم في العروق، فكلما تحرك الإنسان عاد جريان الدم في العروق على حالته الأولى، فإذا غضبت وأنت قائم فاجلس، وإذا غضبت وأنت جالس فاضطجع، فتغيير حالة الجسد بعد ثوران الغضب مما يخففه بإذن الله عز وجل، وأعظم الأسباب في ذلك وفقك الله كثرة دعاء الله عز وجل أن يعصمك من هذه الصفة القبيحة، فأكثر من دعاء الله، فإن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، أسأل الله عز وجل أن يعصمك من الغضب، وأن يكفيك شر هذه الصفة القبيحة، وأن يعاملنا وأياك بكمال رحمته وعطفه وحنانه عز وجل، والله أعلم.

i

---

(١)أخرجه البخاري في بدأ الخلق باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٢) ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم: (٢٦١٠)

(٢)أخرجه أحمد (٥٠٥/٢٩) أبو داود برقم (٤٧٨٤) وضعفه النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ١٢٢): «٢٢٧» وضعفه الألباني في»السلسلة الضعيفة» (٥٨١).

٣٠٤. سُئِل الشيخ: تقول السائلة أحسن الله إليكم أنا إنسانة طيبة ولا أحمل في قلبي ذرة حقد لأي شخص ولكن مشكلتي حين اغضب أنفجر على الناس بلساني فأجرح من حولي وأشتم ثم إذا انتهت المشكلة أندم على ما فعلته فما علاج هذا الطبع لأني تعبت من حالي؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد: علاجها أن تقطع أسباب الغضب عنها فإنها وإن مدحت نفسها بما مدحته به فإن ما تفعله بعد ذلك يفسد ما مضى فمثالها مثال من يطبخ طبخةً جيدةً ثم في أخر الطبخة يبصق على ظهرها فليس حسن أخلاقها مع الناس في أول الأمر يصوغ لها أن تلعنهم أو أن تسبهم أو أن تتسخط عليهم أو أن ترفع صوتها بقلة الأدب عليهم إذا غضبت فعليها أن تحكم زمام غضبها وعليها أن تفعل المشروع عند الغضب وأول ذلك أن تقطع أسباب الغضب وعلى من حولها أن لا يغمزُ شيءً مما يثير بركان غضبها الأمر الثاني أن تكثر الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان عندما تحس أنها بدأت تغضب فإنّ الاستعاذة في أوائل الغضب إن شاء الله مما يذهب فحمته أو ثورته كما في الصحيحين من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ: (كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ)[١] فمتى ما أستعاذ الإنسان في أوائل غضبه قطع الله عز وجل عنه نهاياته ومن ذلك أن يتوضأ الإنسان

---

(١)أخرجه البخاري في بدأ الخلق باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٨٢) ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم: (٢٦١٠)

لأنَّ حقيقة الغضب نارٌ يقذفها الشيطان في قلب بني أدم واستعمال الماء بعد الغضب مما يطفئ جمرة الغضب بإذن الله عز وجل وعلى ذلك يروى عن النبي ﷺ (إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ)[1]

ومنها كذلك: تغير هيئته فإنّ مع الغضب يزيد دفق الدم إلى القلب فإذا تحرك الإنسان ذهبت الطاقة الغضبية بتوزيع الدم في سائر الجسد فإن كان قائماً فليقعد وإن كان قاعداً فليضطجع وإن كان ساكتاً فليتكلم وليحاول من حوله إذا عرفوا أسلوبه وطبيعته أن يغيروا مجريات الحديث حتى يهدأ وكذلك ينبغي لمن حوله أن يذكروه بالله عز وجل إن كان تذكيره لا يجب له أن يتلفظ بشيءٍ من الألفاظ التي تزيد في الأمر سوءً فليس طيب الأخلاق في أول سؤالك بمصوغٌ لك أن تُسيء الاخلاق في أخر السؤال بل عليك أن تحاولي أن تكظمي هذا الغضب وأن تقطعي أسبابه وأن تتعاملي في حال غضبك بتلك التعاملات النبوية التي إن شاء الله تكون كفيلة في ذهابه فإذا عجزت عن ذلك وساءت الأمور فعليك بالاستعاذة أولا وأخراً بمن يملك زمام تدبير القلوب وهو الله عز وجل فأكثري من دعاء الله أن يذهب فحمة الغضب عنك ما استطعت وأكثري وألحي ولا تستعجلي الاستجابة وأبشري بالخير من الله إذا علم عز وجل من قلبك الصدق والله أعلم.

---

(١)أخرجه أحمد (٥٠٥/٢٩) أبو داود برقم (٤٧٨٤) وضعفه النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ١٢٢): «٢٢٧» وضعفه الألباني في»السلسلة الضعيفة» (٥٨١).

مسائل متفرقات في العقائد

٣٠٥. سُئِل الشيخ: سألني أحدهم هل جدك العاشر مسلم، فقلت يا رب أنه مسلم، فأنكر وقال أن الأصل أنه مسلم لأنه من أهل الجزيرة العربية، والأصل في أهل الجزيرة عموماً بعد الإسلام أنهم مسلمون. فهل هذا صحيح؟

- فأجاب - عفا الله عنه-: المعروف عند أهل العلم رحمهم الله تعالى: أنه ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه، ولم يقل أو يمسلمانه لأنه مسلم بالأصالة، فالأصل في الناس الإقرار بوحدانية الله عز وجل في ربوبيته والإقرار بوجوده، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[الأعراف:١٧٢]، وقال النبي ﷺ في حديث عياض بن حمار عند الإمام مسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: أن الله تبارك وتعالى قال: ((أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ))(١).

ولكن مع ذلك لا ينبغي للإنسان أن يشهد إلا بما علم، فكون الإنسان علق الشيء الذي لا يعلمه بمشيئة الله، هذا لا حرج عليه إن شاء الله، فإذا سئل الإنسان عن شيء لا يعلمه حقيقتاً ويقيناً، فعلقه بالمشيئة، فإن هذا لا يلام عليه، لأن العلم بيد الله تبارك وتعالى، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أهل الْجَنَّةِ وَأهل النَّارِ] (٢١٩٧/٤)، برقم: [٢٨٦٥].

﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، ولا ينبغي ابتلاء الناس في أجدادهم، هل جدك فلان مسلم، أو جدك التاسع والعاشر، هذا من سؤال الناس فيما لا ينبغي، وهو من التنطع في السؤال وقد قال النبي ﷺ: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))(١).

فإذًا ينبغي لنا أن نفهم ثلاثة أشياء في هذه الفتية:-

الأمر الأول: أن الأصل في الناس أنهم حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم.

الأمر الثاني: أن الإنسان لا ينبغي له بالشهادة في أمر معين إلا إذا كان يعلمه، وأما ما لا يعلمه، فلا ينبغي أن يجزم به.

الأمر الثالث: لا ينبغي فتنه الناس بسؤالهم عن أجدادهم أهم مسلمون أم كفار عملاً بالأصل، وبناء على ذلك نعرف أن كلامكم متفق مؤتلف، غير مختلف ولا مفترق، وذلك أنك بينت له الأصل وتبينك له لهذا الأصل كلام صحيح، وهو لم يرد أن يشهد بما لا يعلم، وتوقفه وتعليقه للكلام بقوله الله أعلم، أو قوله إن شاء الله كلاماً صحيح، فكلامه صحيح باعتبار نيته، وكلامك صحيح باعتبار قصدك، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبتلي الناس بسؤاله عن دين أبائهم. والله أعلم.

i

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ] (٤/٢٠٥٥)، برقم: [٢٦٧٠].

٣٠٦. سُئِل الشيخ: هل والد النبي ﷺ هل مات على الشرك؟ أم من أهل الفترة؟ أم مات على ملة إبراهيم؟

فأجاب – عفا الله عنه-: وأما السؤال الثالث وهو قولك: هل والد النبي ﷺ مات على ملة إبراهيم؟ فالجواب: لا، بل مات على ملة قومه، فوالد النبي ﷺ مات على ملة قومه.

وقولك: هل هو من أهل الفترة؟ فأقول: لا، لأن الدليل قد شهد بأنه في النار، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ (فِي النَّارِ) قَالَ: فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ)[1] والحديث صحيح، ولا ينبغي تأويله.

وتعظيمنا للنبي ﷺ ليس معلّقاً بتعظيم والديه، فإن الدليل قد شهد بأن والد إبراهيم الذي هو أبو الأنبياء وهو آزر أنه في النار، لأنه كان يصنع الأصنام لقومه.

فإذن: القرابة والنسَّبَ من الصالحين ولو كانوا أنبياء لا تنفع أصحابها إذا لم تكن قائمة على ساق التوحيد والإخلاص، فبما أن الدليل شهد أن والد النبي ﷺ في النار فنحن نقول كما قال النبي ﷺ، ولسنا أعرف بوالده منه عليه الصلاة والسلام،

فلا يأتِنا متحذلقٌ يقول: إنكم لا تعظِّمون رسول الله ﷺ بهذا الحديث، لأننا لم نأتِ به من عند أنفسنا، وإنما قلنا كما قال نبينا ﷺ. واحفظ هذه القاعدة: أن القرابة من الصالحين لا تنفع أصحابها إذا لم تكن قائمة على ساق التوحيد

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان» بَابُ بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ برقم: [(٢٠٣)].

والإخلاص.

فوالد إبراهيم في النار مع أنه والد أبي الأنبياء على الإطلاق، وكذلك ابن نوحٍ في النار وقد مات كافراً، وكذلك زوجة نوحٍ ولوطٍ يقال لهما يوم القيامة: ادخلا النار مع الداخلين. فالقرابة من الصالحين لا تنفع أصحابها إذا لم تكن قائمة على ساق التوحيد والإخلاص، والله أعلم.

i

٣٠٧. سُئِل الشيخ: نعلم أن الدين كامل وأن لله الكمال المطلق، فهل للدين الكمال المطلق أم مطلق الكمال؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين

الكمال يتفاوت باعتبار من وصف به فإذا وصف الله عز وجل بالكمال فله كمال الربوبية المطلق وكمال الألوهية المطلق وكمال الأسماء والصفات المطلق فالله عز وجل هو الكامل الكمال المطلق في ربوبيته وهو الكامل الكمال المطلق في ألوهيته وهو الكامل الكمال المطلق في أسمائه وصفاته وإذا كمل بعض الناس كما حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)[1]،فإنه الكمال المطلق البشري فالكمال يتفاوت باعتبار من وصف به وكذلك إذا وصف التشريع بالكمال فإنه كمال باعتبار التشريع

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء: باب: قول الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون برقم (٣٤١١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: ٢٤٣١

فأكمل الشرائع على الإطلاق هي شريعة الإسلام فشريعة الإسلام هي الشريعة الكاملة الكمال المطلق باعتبار الدين والتشريع لا باعتبار الربوبية والإلوهية فإن الدين ليس هو الإله وفقك الله وليس هو الرب وإنما هو تشريعات الرب وأفعاله التشريعية التي أمر الله عز وجل بها عباده فلا تخلط بين الكمالات فالكمال الذي يوصف به الرب هو كمال الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والكمال الذي يوصف به كمل البشر هو كمال البشرية والكمال الذي توصف به التشريعات والدين هي كمالات الدين والتشريع فلكل كمال بابه فلا تخلط بين الأبواب والله أعلم.

i

٣٠٨. سُئِل الشيخ: عن كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تقسم المحبوب لذاته والمحبوب لغيره، فقال: المحبوب لغيره مثل العلاج، المريض يأخذ العلاج المُر المؤلم يكون محبوباً من وجه آخر ومكروهاً من وجه آخر، قال: المرارة والألم الذي فيه يكون مكروهاً، ومحبوب لغيره لما فيه من العلاج والشفاء، فهل الشفاء في العلاج يكون محبوباً لذاته؟ أفادك الله.

فأجاب – عفا الله عنه–: هذه المسألة يتكلم عنها العلماء رحمهم الله تعالى عند تقسيم الإرادة إلى قسمين: إلى إرادة كونية وإرادة شرعية، ويجعلون من جملة الفروق بين الإرادتين: أن الإرادة الكونية مُرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإرادة الشرعية فهي مُرادة لذاتها، ثم يفرِّقون بين المحبوب للذات والمحبوب للغير، فالإنسان قد يحب الشيء لذاته وقد يحب الشيء لغيره، فالمحبوب للغير مثَّل عليه الشيخ بالعلاج الدواء، فالإنسان يتناول الدواء لا لأنه يحبه في ذاته، وإنما

لِما يترتب عليه من الآثار المحبوبة لذاتها وأما قوله محبوبٌ لذاته فنَعَم لا بأس، هو يُحب لذاته، الشفاء يُحب لذاته، العافية تُحب لذاتها، فهذه أشياء يطلبها الإنسان رغبة فيها لذاتها، لا حرج، لا بأس بهذا التعبير أبداً.

i

٣٠٩. سُئِل الشيخ عن: حقيقة الكلام حول بئر برهوت؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الذي أرى والله أعلم الذي يُثار حول هذا البئر المُسمى ببئر برهوت كله من الدجل والخرافة التي يقصد بها إثارة الفكر والعزائم للنظر في هذا البئر! أو جعله سراً من أسرار هذا الكون..الخ، فلا ينبغي للمسلم أن يقف على هذه الترهات ولا أن يجعل كلام هؤلاء أصلاً من الأصول التي ينبغي أن يسأل عنها، فهذا بئر من الآبار الموجودة على وجه هذه الأرض وقد حِكَت حوله قديماً بعض الحكايات التي هي إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة.

بل إن بعض أهل العلم قال: إنه مجتمع أرواح الكفار! وإنه مجتمع الشياطين! يعني أرواح الكفار تجمع في بئر برهوت وأن الشياطين تسكنه! وأنه كذا.. وكذا..، كل ذلك من الدجل الذي لا مُستند له، فأمور الشياطين ومستقر الأرواح من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، والذي نعلمه من الأدلة أن أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة. فلا ينبغي للمسلم أن يبحث عن هذه الغرائب ويتتبعها، فهذا بئر من الآبار إن صح وجوده على حسب ما قرأنا إلا أنه لا يتعلق به شيء من الأحكام الشرعية وغيرها، ولا ينبغي أن يُعتقد أنه مستقر أرواح الكفار والشياطين أو غير ذلك، لأن هذه

أمور غيبي، والأمور الغيبية لابد لها من الدليل.

فعليك بارك الله فيك أن تعرض عن مثل هذه الأمور التي لم تخلق لها ولن تُسأل عنها! ولم تُكلف بمعرفتها حتى لا تشغلك عن ما أنت مخلوق لأجله، فإذا أردت أن تسأل فأسأل عن أمر عن أمر يتعلق بالتكليف فيما يقرب إلى الله عز وجل حتى لا تشغل نفسك ولا تشغل من يجيب، وفقك الله. والله أعلم.

i

٣١٠. سُئِل الشيخ: هذا سائل من تشاد يسأل ويقول ما حكم أطفال الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ في يوم القيامة؟ هل هم مثل أطفال المسلمين؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد. المتقرر القواعد (أن أحكام الغيب مبنية على التوقيف) فلا يجوز لنا أن نثبت شيئا من قضايا الغيب إلا وعلى ذلك الإثبات دليل من الشرع. فما كان غيبيا فإنه يكون توقيفيا وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة. رحمهم الله تعالى.

وبناء على ذلك ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سئل النبي ﷺ عن ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: ((اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عاملين))[1]. وقد أختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه المسألة على أقوال متعددة استوفاها الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري. وكذلك استوفاه غيره من أهل العلم. وأقرب هذه الأقوال هو ما اختاره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وتلميذه الإمام العلامة ابن القيم. من أن أطفال المشركين إذا ماتوا قبل البلوغ فإنهم من جملة من يمتحنون يوم القيامة. والله أعلم. بنتائج

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٣) ومسلم برقم: ٢٦٦٠.

هذا الامتحان. فمن كان منهم يعلم الله عز وجل أنه سيكون من أهل الخير والصلاح والإسلام إذا بلغ. فإنه سيوفقه في نتائج هذا الامتحان. ومن كان يعلم الله عز وجل أنه لن يكون من أهل الخير ولا من أهل الهدي والصلاح إذا بلغ. فإنه سيخفق في نتائج هذا امتحان فأصح الأقوال في أطفال المشركين أنهم يمتحنون في عرصات يوم القيامة ونتائج الامتحان نقول فيها الله أعلم بما كانوا عاملين. أي أن الله أعلم بما كانوا عاملين فيما لو قدر بقاءهم أحياء حتى يبلغوا. وهذا دليل واضح ظاهر فيما اختاره أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى. وقد وردت بعض الآثار التي تؤيد ذلك وتصححه.

وأما أطفال المؤمنين فقد ذهب عامة أهل العلم إلى أنهم مع أباءهم في الجنة. لعموم قول الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾ [الطور: ٢١] وفي الصحيح أن عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَتْ: هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ، فَقُلْتُ: بِلاَ عَمَلٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، وَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: هُمْ مَعَ آبَائِهِمْ، قُلْتُ: بِلاَ عَمَلٍ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ.)[1] وقد شهدت بعض الأدلة بأن من أطفال المشركين من يكون في الجنة، فقد رأى النبي ﷺ أباه إبراهيم ليلة أسري به وحوله غلمان فسأل كما في الحديث:

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ. قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٧١٢) وصححه الألباني في المشكاة: ١١١

وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»[١]. فهذا دليل على أن من أطفال المشركين من يدخلون الجنة وقد دلت الأدلة كذلك على أن من غلمان المشركين من يطبع يوم يطبع إذ خلقه الله عز وجل كافرا. كالغلام الذي قتله الخضر. فهذا دليل على تقسيم الأمر فيهم على حسب نتائج امتحانهم يوم القيامة. والله أعلم.

i

٣١١. سُئِل الشيخ: هل الكون حي؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء: -رحمهم الله تعالى- أن حياة كل شيءٍ بحسبهِ هو، فلا يلزم في الاتفاق في اسم الحياة، الاتفاق في مسماها، وهيئتها، وكيفيتها، وصفاتها.

لأن المتقرر عند العلماء: أن الاتفاق في الأسماء، لا يستلزم الاتفاق في الصفاتِ. فإنسان موصوف بأنهُ حيٌّ، والنبات موصوف بأنه حي، والأرض كذلك موصوفة بأنها حيه.

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بصفاتٍ لا يوصف بها، إلا الأحياء، ولكن حياة كل جزء من هذا الكونِ تعتبر بحسبهِ، فلا يلزم أن تكون حياة النبات، كحياة الجماد، وحياة الجماد، كحياة الإنسان، والله - عَزَّوَجَلَّ حكم على هذا الكون بأنهُ حيٌّ، وأعطى كل صِنف منهُ حياةً تخصهُ.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التعبير بَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ برقم (٧٠٤٧) ومسلم برقم: ٢٢٧٥.

فمن ذلك مثلاً، السماء حيةٌ، والأرض حيةٌ، ولكن حياة كلا منها تخصها، ويدل على حياتها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣]. وقال الله عز وجل: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[الجاثية: ٥]. وقال الله عز وجل عن السموات والأرض: ﴿اِئْتِيَا طَوْعًا أو كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت: ١١].

وكذلك الشمس، والقمر، والنجوم، والإفلات كلها حية، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾[الحج: ١٨].

وكيف تسجدُ إذا كانت ميتةً لا حياة فيها؟! ولكن للشمس حياتها الخاصة، بل أن النبي ﷺ: لما غابت الشمس في المدينة كما في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ ()، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: (أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟)، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فإنها تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨][(١)].

بل إن النبي ﷺ: أخبرنا أنه كان يعرف حجرً، كان يسلم عليه في مكة. والتسليم من خصائص الأحياء، فحتى الحجر يعتبر حيا، ولكن حياةٌ تخصهُ هو.

---

(١) أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [صِفَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ بِحُسْبَانٍ](٤/١٠٧)، برقم: [٣١٩٩].

وكذلك سمع الصحابة حنين الجذع، الذي كان يخطبُ عليه النبي ﷺ: حتى نزل عن المنبرِ، واحتضنهُ، وسكنهُ، حتى سكت.

ويقول الصحابةُ: كنا نسمع تسبيح الطعام بين يدي النبي صلى الله عليه وعلى ألهِ وصحبِهِ، وقال ﷺ: في الشاة المسمومة، لما أكل شيئا منها، وكف يدهُ. قال: (إِنَّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهَا يُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ فَامْتَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَامْتَنَعَ مَنْ مَعَهُ فَأَرْسَلَ إِلى الْيَهُودِيَّةِ فَقَالَ: مَا حَمَلَكِ عَلَى أَنْ أَفْسَدْتِهَا بَعْدَ أَنْ أَصْلَحْتِهَا؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَإِنَّكَ سَتَعْلَمُ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ نَبِيٍّ أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ)[١].

فإذًا كل شيءٍ فهو حي في هذا الكون، ولكن حياتهُ تخصهُ، بل إن هذا الكون بكل تفاصليه، وجزئياتهِ، يسبح بحمد الله عز وجل، ولكن لا نفقه تسبيحهم؛ لأن لكلٍ تسبيحهُ، ولكلٍ حياتهُ، ولكلٍ خصائصهُ، فلا نخلط بعضَ خصائص الكون ببعض.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: ٤٤].

وكل هذا الكون خاضع لأمر الله، علويةِ، وسفليةِ، كبيرهِ، وصغيرةِ، فإذا أراد الله فيه شيئًا، إنما يقول له كن فيكون.

وخلاصة هذه الفتويَ: أن هذا الكون حي، ولكن حياة هذا الكون وما فيه، إنما

---

(١) أخرجه البزار في ﴿مسنده﴾ (١٣/٢٠٦)، برقم: [٦٦٧٥]، وأخرجه الحاكم في ﴿المستدرك على الصحيحين﴾ (٤/١٢٢)، برقم: [٧٠٩٠]، وضعفه الألباني في ﴿السلسلة الضعيفة﴾ (١٣/٩٩١).

تكون بحسبها، فحياة الشمس بحسبها، وحياة القمر بحسبه، وحياة النبات بحسبهِ، وهكذا. فليس اتفاق في مسمى الحياة يستلزم الاتفاق في كيفيتها وصفاتها.

i

٣١٢. سُئِلَ الشيخ عن: التوجيه لمن تحصل له وساوس يوم القيامة، وشكوك حول يوم القيامة، والبعث؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد. هذه الوساوس مصدرها من الشيطان، ولا جرم أيُّ وسوسة تأتيك تشكك في ما هو ثابت شرعًا وقطعًا، وصار معلومًا من الدين بالضرورة مما يجب الإيمان به يقينًا؛ ولا يقبل أيَ نوعٍ من أنواع التشكيك.

أعلم أن هذه الوساوس من عدوك اللدود الذي يريد أن يفسد عليك عقيدتك، وعلاقتك بالله-عزَّ وجل-، ويدخل في قلبك الشكوك والأوهام، والخيالات؛ فعليك أن تكثر الاستعاذة بالله-عزَّ وجل- من هذه الواردات، وعليك أن تنتهي عن هذه الواردات؛ وألا تجعلها مشكلة تحتاج إلى حلٍ، وأن تعلم مصدرها، وأنها من عدوك، وأنه لا يريد بطرحها في قلبك أي خير لك؛ بل لا يريد إلا إقلاقك، وإثارة الشكوك والأوهام في هذه الأمور عندك.

فيوم القيامة واقعٌ.. ليس له من دافع أبدًا؛ لا يقبل هذا الأمر أي تشكيك، وأي وسوسة مطلقًا؛ وإنما علينا مع الإيمان اليقيني بوقوع هذا اليوم أن نبذل في الاستعداد له ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

فمتى ما ورد عليك شكٌّ أو وسوسة.. فاعلم أن مصدرها الشيطان؛ فإياك

أن تطيعه، وإياك أن تقبل أُطروحته الملعونة الخبيثة القذرة؛ فإنه إنما يريد بها أن يفسد عقيدتك، وأن يقطع سيرُك إلى الله، وأن ينكد عليك حياتك بكثرة هذه الوساوس، والشكوك في الله ووجوده، أو في يوم القيامة وما يتعلق به من تفاصيل ومسائل؛ فعليك أن تردَّه بكثرة الاستعاذة بالله-عزَّ وجل-، وبالانتهاء والاجتهاد، والمجاهدة في إخراج هذه الوساوس في قلبك. اسأل الله أن يشفيك ويعافيك. والله أعلم.

i

٣١٣. سُئِل الشيخ عن: خطر ما يقام من دورات تحت مسميات مختلفة ظاهريا وفي باطنها إخلال بالعقيدة؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ بعد:

المتقرر عند العلماء وجوب المحافظة على التوحيد وسد كل طريقٍ يفضي إلى الإخلال به كمالًا أو أصلاً، فحماية جناب التوحيد من أعظم ما ينبغي أن يحرص المسلم عليه؛ لأن أعظم ما يملكه الإنسان في هذه الحياة هو جوهرة التوحيد الصافية والعقيدة الصحيحة و الإيمان السليم.

فأي شيءٍ من شأنه أن يجرح الإيمان أو ينقص التوحيد كمالًا أو ينقضه أصلاً فإنه يعتبر حرامًا في الشريعة الإسلامية، سواءٌ أكان بسبب هذه الدورات التي ذكرها السائل والتي تتضمن كثيرًا من المخالفات العقدية والتي قد تخرج العبد أحيانًا عن دائرة الإسلام أو كان في غيرها.

فعندنا هذه القاعدة العامة وهي أن كل شيءٍ ينقص التوحيد عن كماله الواجب فإنه يعتبر من الأمور المحرمة ولذلك فقد ثبت في السنة كثيرٌ من الأمور التي

سبب تحريمها المحافظة على التوحيد وسد كل الطرق التي تفضي إلى الشرك والعياذ بالله.

فلابد أن نربي على التوحيد الصحيح صغارنا وكبارنا ولابد أن يفهم الناس التوحيد الذي هو أعظم حقٍ لله على العبيد، فلابد أن يربى الصغار عليه حتى يفهموا حق الله عليهم حسب مستواهم وبحسب قدرتهم.

لابد أن يربوا على العقيدة الصحيحة التي تنكسر على صخرتها دعاوى الإلحاديين والتغربيين والذين يريدون من الأمة أن ينصرفوا عن حقيقة هذا الدين إلى الأمور الكفرية الشركية بحجة أنها دورات تطويرية وهي والله إنها دورات تخريبية إفسادية، وتضرب في أصل العقيدة والعياذ بالله.

مثل دورات اليوجا التي هي عبارة عن طقوس شركية وثنية جاءتنا من دول الشرق أو الغرب، وكذلك الدورات التي أطلق الطاقة التي بداخلك هي عبارة عن دورة تربي الناس على الكهانة والعياذ بالله، إذا لا يجوز أن يشهد هذه الدورات لما فيها من إفساد العقيدة الصحيحة وإتلاف التوحيد ولا يجوز للإنسان أن يحضرها ولا أن يشارك فيها ولا أن يعلنها وأن يرسلها إلى أحدٍ من الناس ليشجعه على حضروها.

بل الواجب على الجميع وعلى الخطباء وعلى العلماء وعلى ولاة الأمر أن يتقوا الله في دين الناس وفي عقيدة الناس وأن يمنعوا مثل هذه الدورات وأن يعاقبوا من علم عنه أنه يقيمها أو يدعو إليها.

محافظةً على التوحيد وسدًا لذرائع الشرك التي توصل إليه، هذا الذين ندين الله به، فأعظم شيء ينبغي علينا أن نحرص عليه هو أن نحافظ على جناب

التوحيد وأن نسد كل بابٍ يفضي إلى الشرك وإلى إعادة الأمور الوثنية على الأرض مرةً أخرى.

فالله الله بالتوحيد والله الله بتصحيح العقيدة والله الله بتكاتف الجهود وتضافرها في فضح هذه الدورات وبيان زيفها وحقيقتها للناس وبيان الركائز التي تقوم عليها والمقاصد التي تثمرها هذه الدورات الباطلة التي لم تبنى على عقيدةٍ صحيحة ولا على إيمانٍ صافي.

فالواجب علينا أن تتكاتف جهودنا في بيان حقيقتها للناس وتحذير العامة منها حتى لا ينخرط الجهال فيها فتفسد عقائدهم ويكونون من حطب جهنم والعياذ بالله.

نسأل الله أن يحفظ علينا عقيدتنا وأن يعيذنا وإياكم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن والله أعلم.

i

٣١٤. سُئِل الشيخ عن: حكم قول: مِنَّةُ اللهِ ولا مِنَّةُ خَلْقِهِ؟

فأجاب – عفا الله عنه-: المنة على الإنسان تنقسم إلى قسمين: منة لله عَزَّوَجَلَّ وهي منة العز والكمال والشرف والرفعة، فالله عَزَّوَجَلَّ يمتن على عباده بالخيرات والعطاء والنِعم والأفضال التي تترا عليهم ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقد أثبت كثيرٌ من أهل العلم اسم: -المنان- لله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان فيه شيء من الخلاف ولكن لا جرم أن الله عَزَّوَجَلَّ له المنة العظمى على عباده، فهو الذي

خلقنا، وهو الذي امتن عليها بالنِعم العظيمة والآلاء الجسيمة سواءً النِعم المعنوية أو النعم الحسية: نعمة الدين، نعمة الإسلام، نعمة المأكل والمشرب، نعمة الصحة والأمن، والعافية، والهدي)، وغير ذلك، وأعظمها: نعمة الهداية إلى الإسلام، وإلى طريق أهل السنة، وإلى الحق، والثبات عليه، وما يدخره الله عَزَّوَجَلَّ من المنن العظيمة والفضائل العظيمة لعباده المؤمنين في الجنة شيء لا يأتي عليه الوصف ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧].

وفي الحديث القدسي يقول الله عَزَّوَجَلَّ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئتمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)[١].

وهذا كله من منة المنان ولا يستطيع أحدٌ أن يكافئ الله عَزَّوَجَلَّ بشيء حتى وإن سجد طول عمره أو شكر الله عَزَّوَجَلَّ طول عمره فنِعم الله عَزَّوَجَلَّ لا تكافؤ مطلقا، ولكن على العبد أن يحمد الله، وأن يشكره على هذه النِعم التي تترا عليه في الليل والنهار، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد آذن الشاكرين لنعمه بالمزيد، وتوعد الكافرين لها بالويل والعذاب الشديد فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

فنفوس الآدميين تتحمل منة الله عَزَّوَجَلَّ فهم لا يزالون يسألون الله منته، ويستدرون من الله عَزَّوَجَلَّ فضله بالدعاء، والانطراح بين يدي الله، فمهما

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ] (١١٨/٤) برقم: [٣٢٤٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا] (٢١٧٤/٤) برقم: [٢٨٢٤].

أنعم الله عليهم من النِعم والفضائل والمنن فإنهم لا يجدون في قلوبهم حرجًا لوجود منة لله عَزَّوَجَلَّ عليهم بل هذا هو حقيقة العبودية أن يبقى العبد معترفًا بمنة الله عَزَّوَجَلَّ عليه منطرحًا بين يديه معترفًا بتقصيره في شكر هذا الفضل العظيم وتلك المنة الكبيرة، فمنن الله عَزَّوَجَلَّ علينا تترا، وتتابعها وكثرتها علينا لا يوجب الذل ولا يوجب القهر.

ولكن المشكلة: المنة الثانية وهي منة المخلوقين عليك هذه منة الذل، هذه منة القهر، هذه منة الانكسار، هذه منة الخضوع للمخلوقين، فكلما كان الإنسان بعيدًا عن وجود منةً للمخلوقين عليه كلما كان أعز فيما بينهم، ولذلك أعز الناس عند الناس هو من ليس للناس عليه منة، وحتى إن الفقهاء رحمهم الله تعالى راعوا هذا الجانب، وقرروا بعض الأحكام الشرعية بل كثيرًا من الأحكام الشرعية قرروها وسبب تقريرها حتى لا يكون عليك منة للمخلوقين، فقال العلماء: وإذا كان الإنسان عادمًا للماء وبُذل له الماء هديةً لا يلزمه قبوله لوجود

المنة، وإذا كان الإنسان لا يجد سترةً يستتر بها في صلاته وأُهدي أو تُصدق عليه بشيء من السترة فإن شاء أن يقبلها فله ذلك وإلا فلا يلزمه قبولها لوجود المنة، والعلماء رحمهم الله تعالى نبهوا على أن الإنسان لا ينبغي له أن يسأل الناس شيئًا من أموالهم فاليد العليا خير من اليد السفلى، لماذا؟

لوجود المنة، وقد أخذ النبي ﷺ العهد على بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئًا، لماذا؟ لوجود المنة، ولذلك كلما احتجت إلى المخلوقين وصارت لهم منة عليك كلما نزل مقدارك من قلوبهم وخف ميزان احترامك وضعف مقدار هيبتك من قلوبهم، فإذًا المنة تنقسم إلى قسمين: منة العز وهي منة الله عليك،

ومنة الذل وهي منة المخلوقين عليك، فالتكثير من منن الله عَزَّوَجَلَّ عليك لأنك كلما استكثرت منها فإنك صاحب عز وفخر ورفعة بمنة الله عليك، وحاول أن تستقل ما استطعت وأن تقلل ما استطعت من منن الذل عليك وهي حاجتك للمخلوقين، فكلما استغنيت عما في أيديهم وعن أموالهم وعن الحاجة إليهم كلما كنت أعز في قلوبهم بل وأعز عند الله عَزَّوَجَلَّ، فعلى العبد أن لا يطرح سؤاله إلا لله، ولا ينطرح إلا عند عتبة باب الله، ولا يسأل حاجته إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

فقول القائل: منة الله ولا منة خلقه؟ يعني: أن نفوسنا تحتمل وجود منة الله علينا ولا تحتمل وجود منة المخلوقين علينا فهي كلمة طيبة وصحيحة ولا حرج، وهي دافعةٌ للإنسان أن لا يوجد عليه منةٌ لأحدٍ من المخلوقين، والله أعلم.

i

٣١٥. سُئِل الشيخ: عن حكم قول ﴿نحن عيال الله، هو ربنا﴾ مع إيماننا أن الله واحد ليس له ولد و القصد عيالا يعني عباد فما حكم ذلك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

المقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل لا تقبل مطلقا لأن فيها باطلا والباطل لا يقبل، ولا ترد مطلقا لأن فيها حقا والحق لا يرد؛ وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد

وقول القائل أن الخلق عيال الله لا يخلو من مقصودين الأول إذا كان يقصد عياله في النسب والصلب بمعنى أنهم من صلب الله عَزَّوَجَلَّ أو أنهم ينتسبون

إلى الله عَزَّوَجَلَّ نسبة نسب فإن هذا من الكفر الأكبر والشرك الأكبر الذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ بقوله ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٠] وقال الله وجل في سورة الأخلاص ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤] فلا أصول ولا فروع لله عَزَّوَجَلَّ وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [الجن: ٣]وأجمع علماء الإسلام على كفر كل من نسب الولادة لله وجل فكل من قال إن لله ولدا أو والدا فإنه كافر مشرك بإجماع المسلمين

فإذا كان مقصودا من يقول إن الخلق عيال الله أي عيالة الصلب والنسب فلا جرم أن هذا من الكفر الأكبر

وأما إذا كان يقصد عيالة الرزق والرعاية والعناية فإن ذلك جائز لا بأس به فالخلق عيال الله بمعنى أنه هو الذي خلقهم واستعبدهم له في أرضه فهم عباده وهو الذي يكلؤهم بعنايته ويرعاهم برعايته ويرزقهم برزقه ويحفظهم بحفظه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ٤٢﴾ [الأنبياء: ٤٢] والأيات في هذا المعنى كثيرة كقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥] وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: ١٧] فالمقصود بقول من قال بأن الخلق عيال الله أي عيالة الربوبية من

الرزق والتدبير والتصريف والعناية والكلأة والرعاية فإذا كان مقصوده هذا فإنه جائزا لا بأس به وأما إذا كان يقصد القصد الأول من أنها عيالة النسب والصلب فإن هذا كفر أكبر مخرج عن ملة الإسلام والله أعلم.

i

٣١٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم: منة الله ولا منة خلقه؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،

هذا القول لا بأس به إن شاء الله، لأن الإنسان يسعى جاهدًا في هذه الحياة أن يسد جميع أبواب الذل عليه، فكلما كان الإنسان محتاجًا إلى الناس كلما كان ثمة باب مفتوح من أبواب الذل، فالإنسان في هذه الحياة يحرص أن يستغني عن الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً حتى يقطع وسائل ذله، وانكساره، وخنوعه، وخضوعه بين يدي الناس، فإن الناس إذا كانت لهم عليك منة أذلوك بها، وأهانوك بها، واحتقروك بها، ونقص قدرك من قلوبهم بقدر منتهم عليك، ولذلك الله عَزَّوَجَلَّ أخبر بأن المن بالصدقة يُبطل أجرها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤].

فالناس يمنون بما يعطونك من الخيرات ومن الصدقات ومن الجاه والشفاعة يمنون عليك، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١٧].

فإذًا الله يمن، والمخلوق يمن، ولكن منة الله هي منة العز ومنة الرفعة، فجميع النِعم التي... فيها صباحًا ومساءًا قد غطتنا من أعالي رؤوسنا إلى أقمص أقدامنا

إنما هي فضل الله ومنته وعطاؤه، فمنة الله عَزَّوَجَلَّ هي منة العز، ولا يمكن أبدًا أن يتحرر العبد عن منة الله في لحظة من لحظات حياته...أي ما من لحظة تمر عليك إلا وأنت تغفل في نعمةٍ من نعم الله، فلا يمكن أبدًا أن تتخلص من منّ الله عليك، ومن فضله عليك، ومن نعمته عليك، فأما منة الله فمنة عز ومنة الرفعة، وأما منة المخلوق عليك فهي منة الذل، وعليه فقول الإنسان: منة الله ولا منة خلقه. يعني أنه يقول: منة العز التي هي منة الله، ولا منة الذل التي هي منة المخلوقين، فيقول: أنا أحتمل منة الله عَزَّوَجَلَّ لأن كل ما فيّ من النِعم إنما هو هبةٌ من الله، وعطاءٌ من الله، ومنةٌ من الله، وفضلٌ من الله، وأنا عبدٌ له، لا أزال العبد الذليل الفقير المنطرح المحتاج المفتقر إلى ربه عَزَّوَجَلَّ في كل لحظاته، وفي كل حركاته وسكانته، فما أجمل الذل وأحبه إلى النفوس والأرواح إذا كان ذلا للحي القيوم ذي الجلال والإكرام؛ وكلما كان العبد ذليلاً منطرحًا بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ كلما كان رفيع الجناب، رفيع المنزلة، عالي القدر عند ربه عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

لكن المنَّة التي نهرب منها هي منة المخلوق؛ فهي منة الذلة والهوان التي تأباها النفوس والأرواح، وما كد الناس وتعبوا إلا من أجل أن يهربوا من تلك المنة وهذه المذلة، فإذا وقع العبد في منة المخلوقين فقد وقع في أسباب الذل والمهانة والاحتقار ونقص القدر في قلوب الناس، وكلما استغنى عن الناس كلما عظم قدره في قلوب الناس،

فقول الإنسان: منة الله ولا منة خلقه كأنها قوله: منة العز ولا منة الذل، فالمنة من الله عَزَّوَجَلَّ علينا هي منة العز، والله يمن على عباده أن هداهم وأن وفقهم

وأن عطاهم، ولكنها منة العز، وأما المخلوق فما أن يعطيك شيئًا إلا ويمن عليك منة الذل والاحتقار والسخرية فهذا قولٌ صحيحٌ مليح ولا بأس به، والله أعلم.

i

٣١٧. سُئِلَ الشيخ عن: معنى هذه القاعدة أن ﴿العقيدة يقترن معها عمل، والأحكام العملية يقترن معها عقيدة﴾ وهل خالف فيها بعض الفرق؟

فأجاب – عفا الله عنه– الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد عند أهل السُنَّة والجماعة وجوب التلازم بين اعتقاد الباطن وعمل الظاهر، فكل من اعتقد شيئا في الباطن فإنه لا بد وأن تظهر آثاره ومقتضياته وثمراته على الظاهر، فإذا أقر الإنسان بشيء من العقائد ثم عطل مقتضياتها، فإن تعطيل تلك المقتضيات لمن أكبر الأدلة على فساد هذا الاعتقاد الباطني، ولذلك فإن لا إله إلا الله أعني بها كلمة التوحيد، لا تنفع قائلها إلا بشرطين،

الشرط الأول: القبول، وهو ذلك الاعتقاد القلبي بأن يقبل مدلول هذه الكلمة،

والشرط الثاني: الانقياد، وهو عمل الظاهر بمقتضيات هذه الكلمة، ولذلك أجمع أهل السُنَّة والجماعة رحمهم الله تعالى على أن الإيمان اعتقاد بالجنان وهو واجب الباطن، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان وهو واجب الظاهر، فهما واجبان متلازمان، فلا ينفع عمل الظاهر إذا كان غير مبني على عقيدة صحيحة، كأعمال المنافقين، فإن المنافقين كانوا يأتون إلى النبي ﷺ

ويقولون ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(المنافقون - ١) بمعنى أنهم قالوا شيئا من الأقوال الظاهرة غير مبني على عقيدة باطنية صحيحة، فأعمال الظاهر بلا صحة اعتقاد الباطن لا تنفع صاحبها، واعتقاد الباطن بلا مقارنة عمل في الظاهر لا تنفع صاحبه، بل لا بد من تلازم الباطن و الظاهر، وهذا أصل عظيم عند أهل السُنَّة والجماعة، فمن قال إنني مؤمن بالله ثم لم يطع الله عز وجل ولم يقدم محبته ومحبة رسوله على أي محبة، فلم يمتثل مأمورا ولم يزدجر عن محظور، فهو كاذب في قوله إني مؤمن بالله، فإنه لو كان إيمانه القلبي بالله صادقا فإنه لابد وأن يؤثر ذلك على شيء من أعمال الظاهر، ومن قال إنني مؤمن برسول الله ﷺ، وأنه نبي الله حقا وصدقا، ثم لا نراه بعد ذلك يتبعه بل نراه لا يتقحم إلا في مخالفة مأمورات رسول الله ﷺ، فإن فساد الظاهر لدليل على فساد اعتقاده في الباطن، فكل من اعتقد عقيدة في الباطن فإن مصداق عقيدته وبرهان صدقها إنما هو أعمال الظاهر، ولعلك فهمت أيها السائل، وأعيد وأقول، أجمع أهل السُنَّة على وجوب تلازم أعمال الباطن والظاهر، ثم اعلم وفقك الله أن الأعمال لابد فيها من واجبين لا ترفع إلى الله إلا بهما، الأول كمال الإخلاص في كل عمل وهو واجب الباطن، والثاني وجوب المتابعة للنبي ﷺ وهو واجب الظاهر، فكل عمل انفرد عن هذين الشرطين أو عن أحدهما فإنه يعتبر باطلا غير مقبول، وهذا دليل على وجوب تلازم الظاهر والباطن عند أهل السُنَّة والجماعة، والله أعلم.

i

سئل الشيخ عن: هذه العبارة: الله لا يضيع لكم تعب؟ أو قوله: الله لا يضيع أجرك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد:

الله عَزَّوَجَلَّ لا يضيع أجر المؤمنين ولا أجر المحسنين ولا أجر الصابرين ولا أجر المجتهدين في طاعته وعبادته، فإن مما أحقه الله عَزَّوَجَلَّ على نفسه تفضلاً وكرمًا لا استحقاقًا لعباده وإنما تفضلاً وكرمًا منه عَزَّوَجَلَّ أن من عمل عملا وقبله منه فإن له أجره وثوابه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أحسن عَمَلاً﴾ [الكهف:٣٠].

فلا يجوز للإنسان أن يعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ يُضيع أجر المحسنين، أو يُضيع أجر الصالحين، أو الصابرين، أو يُضيع أجر المجتهدين، أو يُضيع أجر المصلين، قال الله تبارك وتعالى:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣].

والمقصود بالإيمان هنا: الصلاة، ويُضيع؟ أي: يُذهب الأجر، فإذا قال الإنسان لغيره: الله لا يضيع أجرك معناها: أن لا يبطل أجرك، فالتضييع هنا الإبطال كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، فقد أضاع الله عَزَّوَجَلَّ أعمالهم بمعنى: أبطلها، فإذاً كلمة: يضيع أجرك؟ أي: يبطل أجرك فهو من الدعاء بالخير الذي لا بأس به إن شاء الله، فلا نرى أن في هذه العبارة حرجًا لأن الظاهر أن مراد السائل: أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يضيع تعبك ولا يضيع ثوابك ولا يبطله سواء بالمبطلات السابقة، أو المبطلات الأثنائية أو المبطلات اللاحقة فإن كثيرًا من الناس

يجتهد في العبادات ثم يفعل بعد ذلك عملاً يكون مبطلاً لجميع ما مضى، كما في حديث جُنْدُبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ (أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ.)[1] بسبب هذه الكلمة أحبط يعني أضاع عمله فيأتي هذا العامل يوم القيامة ولا ثواب في ميزان حسناته على أعماله، لماذا؟

لأن الله أضاع ثوابه بسبب وقوعه في هذا الأمر، فلا بأس بذلك، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُضيع أجر أحدٍ، ولا يُخيب أحدًا أقبل عليه بقلبه وقالبه ونيته وقصده فليُبشر من أقبل على الله عَزَّوَجَلَّ باطنًا وظاهرًا بعظيم الخير والأجر والثواب من الله، والخلاصة: أن هذا من الدعاء الطيب الذي لا بأس به، ومقصوده: أي لا يُذهب عملك سدى ولا يُبطل أجر ثواب عملك بسبب ما تقع فيه من محبطات الأعمال، والله أعلم.

i

٣١٨. سئل الشيخ عن: أنه درج في كلام العلماء قولهم :وهذا مهر الجنة وما شابهها من الأقوال تجاه بعض الأعمال ما فما معنى قولهم هذا وما حكمه وما توجيهه إزاء ما ورد عن المعصوم ﷺ لن يدخل أحدكم الجنة بعمله الحديث؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

الواجب علينا أن نحمل كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى لا سيما العلماء من

---

(١) أخرجه مسلم في «البر والصلة والآداب» بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى برقم: [(٢٦٢١)].

أهل السنة على أحسن المحامل فاذا سمعنا قول أحد من الناس أن هذا مهر الجنة فإنما هو مهر السببية لا مهر العوضية لعلك فهمت قولي مهر السببية لا مهر العوضية وذلك لأن الباء قد تكون باء العوض وقد تكون باء السبب فقول الله عز وجل لما ذكر شيئا من نعيم الجنة قال جزاء بما كانوا يعملون أي بسبب أعمالهم وأما قول النبي ﷺ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله فهي باء العوض يعني لن تكون الجنة عوضًا لعمل أحد مهما كان حتى ولو كان نبيًا فالباء المثبتة في قوله ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف: ٧٢] إنما هي باء العوض والباء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ.- وفي رواية: لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ- قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)[1]

إنما هي باء العوض فالأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة ولكنها ليست عوضا للجنة فإن العوض لابد وأن يكون مناسبا للسلعة وسلعة الله عز وجل لا يقاومها أي عوض أبدا وبناء على ذلك فإذا سمعنا أحدا من أهل العلم يقول هذا مهر الجنة فنقول إنه يقصد مهر السببية يعني أنه يتسبب بهذا المهر لبلوغ الجنة ولكن لا يمكن أن

تكون الجنة عوضا لهذا المهر فهو مهر السببية لا مهر العوضية والله أعلم.

i

٣١٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم عبارة انتشرت بين الناس وهي: غدًا أو بكرة

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب تمني المريض الموت برقم ٥٦٧٣؛ ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار بَابُ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ برقم: [(٢٨١٦)]

يحلها ألف حلال؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله،

لا أرى في هذه العبارة بأسًا إن شاء الله باعتبار النظر إلى ظاهرها فإنها عبارة تتضمن تصبير النفس وتتضمن التفاؤل وتتضمن تبسيط الأمر، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُدبر في هذا الكون ويتصرف على وجه الحقيقة، ولكن قد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لانفراج الأمور أسبابًا فلربما يسخر الله عَزَّوَجَلَّ من خلقه من يحل هذه المعضلة أو يزيل هذه المشكلة، فهو لا يقصد أن هؤلاء الذين سيحلونها وهم ألف مثلاً وهو من باب المبالغة يعني من باب عدم اليأس فهو لا يقصد أنهم هم الذين سيتصرفون في هذه المشكلة تصرفًا ابتدائيًا لا، وإنما سيتصرفون بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ وتيسيره سبحانه وتعالى، فكون الإنسان إذا رأى مشكلة أو نزلت عليه طامة لو لم يسلي نفسه بمثل تلك العبارات فربما يكون أثرها عليه قويًا،

فإذا قال: بكرة يحلها ألف حلال، بكرة يفرجها الله، بكرة ييسر الله، بكرة لعل الرجل الفلاني يلين قلبه وكل هذه من العبارات التي تبعث الأمل وتبعث التفاؤل وتُخفف الكربة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ فإذًا لا أرى في هذه الكلمة بأسًا والله أعلم.

i

٣٢٠. سُئِلَ الشيخ: لماذا علقوا الوهابية على نسب الشيخ محمد بن عبد

الوهاب؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ،

المتقرر عند العلماء: أن من الطرق التي يُنَفِّرُ بها أهل الباطل عن الحق؛ وصفهم للحق ببعض الأوصاف المستهجنة القبيحة المذمومة، من باب تنفير النفوس عن الاستماع للحق والانصياعِ إليه وقبوله؛ كما سمى ووصف المشركون من الأمم الماضية أنبيائهم، بأنهم كذابون وأنهم كهنة وأنهم شعراء وأنهم سحرة، ويصفون الحق بهذه الأوصاف حتى تكون تلك الأوصاف حاجزةً ومانعةً لقلوب العامة عن قبول هذا الحق.

وهذا مسلسلٌ تسلسل في أحفاد إبليس، وقد أخذوه من مدرسة إبليس، ولذلك نجد أن طوائف أهل البدع لا يزالون يسمون أهل السنةِ بأنهم حشوية، وأنهم مجسمة وأنهم ناصبة وأنهم شكاكة يعني أنهم يشكون في إيمانهم وغير ذلك من الأوصاف القبيحة المستهجنة، وما إطلاق لفظ الوهابية على أهل العقيدة السلفية والتوحيد الصافي والمعتقد الصحيح، إلا فرعًا من فروع هذه السلسلة الإبليسية والنفخات الشيطانية الوثنية.

فهم يطلقون على أهل التوحيد بأنهم وهابيون، من باب التنفير عن سماع الحق، وإلا فإن المعتقد الذي جاء به الإِمَام المجدد محمد –رَحمه اللَّهُ-، لم يكن من موروثاته ولا من موروثات أبائه وأجداده وأسلافه، وليس من مخترعاته ولا هو أول من ابتدئ.

بل إن هذا المعتقد من عند الله، جاء به جبريل –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمَ- إلى النبي ﷺ، ثم علمه أصحابه ثم نقله أصحابه إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ولا تزال الأمة من أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ تتوارث هذا المعتقد إلى أن جاء الإِمَامِ محمد بن عبد الوهاب فجدد التوحيد، ونشر الاعتقاد الصحيح، فكان له خصومه ووصفوه بالأوصاف القبيحة من باب التنفير عن الحق وإلا فلو قلت: لمن يصف العقيدة الصحيحة بأنها عقيدة الوهابية، هيا أنا وأنت نمزق جميع كتب الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب لا نريد أن نقرأ له شيئًا، فهل سيموت هذا المعتقد الذي جاء الشيخ/ محمد؟ الجواب: لا.

قد يقول: هذا معتقد ابن تميمة، نقول: هيا نمزق كتب ابن تيمية كلها من أولها إلى أخرها، قد يقول: هذا معتقد الإِمَامِ أحمد، هيا نمزق كتب الإِمَامِ أحمد، ونقسم بالله أن ما نأخذ من الإِمَامِ أحمد ولا كلمة واحدة من الاعتقاد هل سموت هذا الاعتقاد، هل سينتهي هل سيتلاشى هذا الاعتقاد بعدم قراءتنا لكتب هؤلاء الأئمة؟ الجواب: لا، لأنه معتقدٌ محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه مبنيٌ على أصول ثابتة وأصولٍ راسخة، وهي كتاب الله وسنة رسوله.

فما دام الكتاب والسنة باقيين فإن معتقد أهل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ باقٍ ولا جرم، فليس مرتكز هذا المذهب على ابن عبد الوهاب، ولا على ابن تيمية، وعلى الإِمَامِ أحمد، ولا على التابعين، ولا على الصَّحَابَةِ وإنما مرتكزه على كتاب الله، وعلى السنة الصحيحة من سنة النبي ﷺ.

فإذًا دعك من هؤلاء فابن عبد الوهاب، لم يحدث شيئًا ولم يبتدع شيئًا في العقيدة، ولم يخترع لنا شيئًا من عند نفسه، وإنما هو أحيا العقائد التي دلت عليه أدلت الكتاب والسنة ولذلك تجد الإِمَامِ محمد -رَحمه اللَّهُ- في كتاب (التوحيد)، لا يتكلم كثيرًا من عند خاصة نفسه حتى يبين للناس أن كتابه هذا

لا شأن لاجتهاداته به، ولا لآرائه به، وإنما يعقب بعد كل بابٍ بآية أو آيتين أو أكثر وحديثٍ أو حديثين أو أقل أو أكثر.

حتى يبين أن هذا الاعتقاد إنما هو مأخوذٌ من السنة، فاعتقاد الإِمَامِ محمد ليس منسوبًا له ولا لآبائه ولا لأسلافه، ولا منسوبًا لابن تيمية ولا للإمام أحمد، ولا للأئمة الأربعة ولا للصحابة، وإنما هو منسوبٌ للكتاب والسنة.

فمن أراد أن ينبذ الاعتقاد الصحيح بأنه اعتقادٌ وهابي، فهو آثمٌ شيطانٌ في مسلاخ إنسان، يريد أن يبعد الناس عن المعين الصافي، وعن العقيدةِ الصحيحة التي لا شوب فيها ولا كدر.

وحقيقته محاربٌ للكتاب والسنة، ومحاربٌ للعقائد التي دلت عليها الأدلةُ الشرعيةُ الصحيحة؛ ولكن لا يريد أن يظهر في مظهر المحارب للكتاب والسنة، فنسب محاربته للوهابية.

وهو في حقيقته لا يقصد الوهابية ولا التيمية ولا الحنبلية، وإنما يقصد الكتاب والسنة، ولكنه يتستر بستارٍ من زخارف القول، لتزيين باطنه والتلبيس على الناس والله أعلم.

٣٢١. سُئِل الشيخ: عندما يأتي شخص من سفر ويصادف نزول المطر فيقولون مجيئك بركة أو لم تمطر إلا بمجيئك وهكذا فهل هذا جائز؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

المتقرر في قواعد أن نسبة الحوادث السماوية لأمر حصل في الأرض لا بد

فيه من دليل خاص وأن المطر النازل من السماء هذا حدث علوي وأن قدوم هذا الرجل للبلد حدث سفلي والرابط بينهما أمر غيبي وأمور الغيب لابد وأن تكون توقيفية وبناء على ذلك فلا يجوز لنا أن ننسب نزول المطر أو هبوب الرياح أو العواصف أو شيء من حوادث السماء لأمر حصل في الأرض إلا وعلى ذلك دليل من الشرع وبناء على ذلك فلا تجوز نسبة المطر لإنسان دخل إلى البلد فيقال إنما امطرت السماء لدخولك فقولهم إنما امطرت السماء هذا حادث سماوي وقولهم بدخولك هذا حادث أرضي والأصل بينهما التوقيف على الدليل والله أعلم.

i

فصل في المباح والمنهي عنه من الكلام

٣٢٢. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول لعله خير؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد ﴿استحباب الفأل﴾، فالنبي ﷺ كان يحب الفأل، وقد سئل النبي ﷺ عن الفأل « قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ »[1]، فقول الإنسان ﴿لعله خير﴾ هذا من جملة الكلمات الطيبة التي يتفائل بها المسلم أن ما أصابه يكون خيرا له في نهايات الأمور، وإذا كانت هذه الكلمة قيلت على مصيبة نزلت على أحد من أهل الإيمان فإنه

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب الفأل (٥٧٥٥) (١٣٥/٧)وأخرجه مسلم كتاب السلام بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ الشُّؤْمُ برقم (٢٢٢٣)

يؤيدها قول النبي ﷺ :(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[١]، فالإنسان لا يصيبه شيء من الأمراض أو المصائب ويصبر ويحتسب الأجر إلا كان كفارة له لقوله ﷺ ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ) فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)[٢]، إذا هو خير باعتبار نهاياته، ويقول ﷺ:(لَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ، أَوِ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ)[٣]، ويقول ﷺ (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ البلاء حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى)[٤]، ويقولُ ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير) (٢٩٩٩) (٢٢٧/٨)).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٩٨١)والترمذي وصححه في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٨) وصححه الألباني المشكاة ١٥٦٢، الصحيحة ١٤٣

(٣) أخرجه أحمد في مسنده في مسند أبي هريرة (٩٨١١) (٥٠٤/١٥)) والبخاري في الأدب المفرد برقم ٤٩٤وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٠)

(٤)أ خرجه أحمد برقم:(٢٢٣٣٨) وأبو داود في سننه في: كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب (٣٠٩٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم(٢٥٩٩).

وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ)[١]، ويقول ﷺ (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى؛ مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا)[٢] والأدلة في ذلك كثيرة، فقول الإنسان إذا أصابه شيء أو خسارة مالية أو مرض أو موت قريب أو فقدان عزيز لعله خير هو منبثق من هذه العقيدة التي انطوى عليها قلب المؤمن وهي عقيدة الرضا بالقضاء وعقيدة إحسان الظن بالله عز وجل وعقيدة أن ما يصيب المؤمن إلا ويكفر عنه من ذنوبه وخطاياه بقدره إذا صبر واحتسب الأجر عند الله والله أعلم.

i

٣٢٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم بعض الرسومات الكاريكاتيرية المنتشرة بين الناس: فمثلا عند دخول شهر رمضان تصنع رسومات للشيطان مقيدا، وعند رؤية هلال شوال تصنع رسمة وكأنه فك القيود ونحوها؟

فأجاب – عفا الله عنه–:

الحمد لله التوجيه في ذلك أنه لا ينبغي مثل هذه الرسومات التي قد تكون من باب السخرية أو الاستهزاء بالحديث فإن الحديث قد نص على أنه في رمضان تصفد الشياطين وتغل وتسلسل بالأصفاد وتمنع مما كانت تفضي إليه قبل رمضان فمثل هذا المعنى الشرعي لا ينبغي أن نعبر عنه بمثل هذه الرسومات وفقكم الله لأنها قد تكون أدخل في باب السخرية و الاستهزاء بكلام رسول الله

(١) أخرجه البخاري كتاب المرضى ما جاء في كفارة المرضى برقم (٥٦٤١) ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن رقم: ٢٥٧٢

(٢) أخرجه البخاري كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض (٥٦٦٠) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ برقم (٢٥٧١)

ﷺ فلابد من سد هذا الباب وسد ذريعته وإحكام إقفاله حتى لا نجعل الغير يتجرأ على حديث النبي ﷺ فيصورها بمثل تلك الرسومات الكاريكاتيرية التي تفضي إلى السخرية و الاستهزاء بكلام الشارع والمتقرر في القواعد أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى فنعبر عن سلسلة الشياطين بنص الحديث: صفدت الشياطين أو سلسلة الشياطين أو وتغل مردة الشياطين هذه هي الألفاظ النبوية التي تعبر عن هذا المعنى الشرعي وهو غل الشياطين وسلسلتها و تصفيدها فلا ينبغي أن نعبر عن هذا المعنى الشرعي بمثل هذه الرسومات التي جرت عادة الناس في الزمان أنها تتخذها على سبيل السخرية و الاستهزاء والله أعلم.

i

٣٢٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم لعن الشيطان أم الاستعاذة منه أفضل؟

فأجاب - عفا الله عنه-:

لقد نص الدليل عن النبي ﷺ بأن لعن الشيطان مما يزيده فخراً وعِزًّا، ومما يجعله يتعاظم حتى يكون كالجبل،

ويقول متعاظماً: إنما صرعته بحولي وقوتي، ولكن ينبغي للعبد أن يستعيذ من الشيطان، فإن هذا هو المأمور به شرعاً، فإن الاستعاذة منه تجعله يتصاغر ويكون حقيراً، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[الأعراف:٢٠٠] ولم يقل فالعنه وإنما قال: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

والأدلة من الكتاب والسنة في الأمر بالاستعاذة من نزغات الشياطين ووساوسهم كثيرة جداً، فلا ينبغي للإنسان أن يشتغل بما ليس بمأمورٍ به شرعاً

وهو لعن الشيطان، فإنني لا أعلم دليلاً يأمر بلعن الشيطان، وإن كان الله عز وجل قد لعنه في قوله:﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾[الأعراف:١٨] وفي قوله:﴿شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ [النساء:١١٧-١١٨]، ولكن هذا إخبارٌ من الله عز وجل عن لعنته للشيطان، وأما بالنسبة لنا نحن باعتبار ما كُلِّفنا به فإننا لم نُكلَّف في شريعتنا بأن نلعن الشيطان، وإنما كُلِّفنا بأن نستعيذ بالله عز وجل من كيده ووسوسته وشرِّه.

فلا ينبغي للإنسان أن يخرج عن حدِّ المشروع إلى ما ليس بمشروع، فالاشتغال بلعن الشيطان يزيده تعاظماً ويزيده فخراً وكبرياء، وأما الاستعاذة منه فإنها تجعله صغيراً حقيراً.

فوصيتي للسائل ولغيره من المسلمين أن يكثروا الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان ووسوسته وشرِّه وكيده، فهذا هو العلاج النافع والشفاء الأكيد بإذن الله عز وجل من الوقوع في شيءٍ من حبائله أو وصول شيءٍ من كيده وشرِّه.

i

٣٢٥. سُئِلَ الشيخ عن: رجل وهو طالب علم ضربت على بيته حجاره فأصابت ابنته وهو لا يعرف من ضربها فقال غاضبا ﴿إن عرفته و أمسكته سأجعله يعاف الله من الضرب﴾ السؤال ماحكم هذا الرجل وقد قال هذه العبارة في ذلك الموقف وهل نستفصل عن نيته بأن بعض المتسرعين هداهم الله وسمه بالكفر؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

المتقرر في القواعد: أن الألفاظ العامية ترد إلى ما يتعارف عليه العوام في معانيها

فلا يجوز لنا أن نحمل معاني الألفاظ التي تصدر من العوام ما لا تحتمل، فإن العوام ليس عندهم فساد عقدي فإذا جرى عرف أهل بلاده أن هذه الكلمة يقصد فيها المبالغة في العقوبة والمبالغة في التأديب والمبالغة في الزجر فإنه لا بأس عليه إن شاء الله فيها ولا يجوز لنا أن نكفره بمثل ذلك و إن التكفير بمثل هذه الألفاظ من أعظم ما يوجب للإنسان أن يوصف بأنه متسرع في التكفير فإن التكفير حكم عظيم لا يجوز أن يصدر على مسلم يقينا إلا إذا كان هناك يقين يخرجه عن دائرة الإسلام فلا يجوز لنا أن نتراشق بمثل هذه الألفاظ الكفرية التي توجب آثارا وخيمة وخطيرة إذا لم يكن الإنسان عارفا بالقواعد المقررة عن أهل السنة والجماعة والتي يكون بها التكفير فالتكفير عند أهل السنة له قواعد وله ضوابط وله شروط وله موانع فلا يجوز لنا أن نبني تكفيرنا على التسخط أو على التشفي أو على الغضب كل ذلك لا يجوز أن يدخل في باب التكفير فلا يكفر هذا الرجل بهذه الكلمة لأنها كلمة عامية يراد بها شيء آخر والأصل في ألفاظ العوام أن تحمل على معانيها لأن العادة محكمة و أما أن نكفره بمثلها فيجب على من كفره أو أطلق عليه هذا الحكم أن يتوب إلى الله عز وجل وأن يتقيه فإن النبي ﷺ حذر من ذلك التحذير البليغ فقال ﷺ (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ)[1]وقال في الحديث الآخر (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ برقم (٦٠٤٥) ومسلم في الايمان بَاب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ برقم:[(٦١)]،

فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُما)[١] أو كما قال ﷺ والله أعلم.

٣٢٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم عبارة دع الأمر للزمن؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد -أن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الإستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد-. وقول القائل دع الأمر للزمن هذا فيه تفصيل، إن كان يقصد بذلك أن الزمن هو الذي يدبر استقلالا ويصرف هذا الأمر، وأن بيده حل هذه المشكلة، فلا جرم أن هذا من الأمور الممنوعة شرعا، فإن المتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة -أن لا مدبر ولا متصرف في شيء من هذا العالم على الحقيقة استقلالا إلا الله تبارك وتعالى-، وأما الزمن فإنه مجموع الأيام، والأسابيع، والشهور، والأعوام وليس في يده تدبير ولا تقليب ولا تصريف ولا حل لشيء من مشاكلنا، فإذا كان مقصود القائل لهذه الكلمة أن الزمن بيده تدبير الأمور وبيده تصريف الأحوال فلا جرم أن ذلك من الأمر الممنوع شرعا بل قد يوصل صاحبه إلى الشرك في الربوبية، لأن كل من اعتقد في مخلوق أنه يدبر الأمور استقلالا فإنه يعتبر كافرا مشركا بالله عز وجل في توحيد الربوبية وأما المعنى الثاني أن يقصد بكلمته هذه عند مرور الأيام قد يكون فيه حل لهذه المشكلة، وليس لأن الزمان هو الذي سيحل وإنما لأن الزمان محل للحل،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٤) ومسلم في كتاب الايمان بَاب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ برقم (٦٠).

يعني أن مرور الأيام قد يوجب نسيان هذه المشكلة، فهذا النسيان محله الأيام، ولكن الأيام لم تدبر هذا النسيان، فإذا كانت نسبة الحل إلى الزمان نسبة تدبير فإن هذا محرم لا يجوز، وإما إذا كانت نسبة الأمر للزمان نسبة محل لأمر حادث فإن هذا جائز سائغ لا بأس به والله أعلم.

i

٣٢٧. سُئِلَ الشيخ عن: حكم بيت شعر منسوب للإمام الحافظ بن حجر ما نصه: هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل. هل هذا جائز؟

فأجاب – عفا الله عنه–: هذا البيت يعتبر من مبالغات الشعراء التي لا تجوز، وذلك لعدة أمور:–

الأمر الأول: أن استبعاد أن يأتي الزمان بشيءٍ من ذلك هذا حكم على مستقبل الزمان وجزم بأمر مستقبلي وعلم مستقبل الزمان من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، فالإنسان لا يدري عما يكون في مستقبل الزمان فهو أمر غيبي من خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤].

وقال وتعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

فكون الإنسان يجزم بأن الزمان إلى أن تقوم الساعة لن يكون فيه مثل هذا الحافظ، أو مثل هذا الرجل العالم في علمه وحفظه هذا أمرٌ من باب التألي على الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أمرٌ لا يجوز، وقد صدق الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٤].

الأمر الثاني: أن وصف الزمان بأنه بخيل هذا من جملة ما حرمه النبي ﷺ، فهو داخلٌ في سب الدهر، وقد قال النبي ﷺ: ((لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ))[1].

فإذا توجه الإنسان بوصف الزمان بأنه بخيل، أو بوصف الزمان بأنه قبيح، أو بأن الزمان يعسر عليه إنتاج مثل هذا الأمر المعين هذا كله من باب سد الدهر، وسب الدهر الأصل فيه التحريم، فإذًا هذا البيت أرى أن فيه مخالفتين شرعيتين عقديتين:-

المخالفة الأولى: أنه من باب التألي على الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يكون في مستقبل الزمان مثل هذا الرجل في علمه وحفظه، وهذا من باب التخوض والتخرص في أمر غيبي لا يعلمه الإنسان.

المخالفة الثانية: أن فيه وصف الزمان بالبخل، وهذا من باب سب الدهر، فلهاذين الأمرين لا يجوز قول هذا البيت ولا إقراره والله أعلم.

i

٣٢٨. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول البعض ثور الله في برسيمه؟

فأجاب - عفا الله عنه- الحمد لله رب العالمين :

المتقرر في القواعد أن كل كلمة تتضمن التنقيص من مقام الربوبية فإنها محرمة. وهذه الكلمة التي قالها السائل هي من التنقص في مقام الله عز وجل. فلا يجوز

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ] (١٧٦٣/٤) برقم:[٢٢٤٦].

نسبة هذا الثور إلى الله عز وجل ولا هذا البرسيم إلى الله عز وجل. لا سيما وأنه قد جرى عرف العامة أنها تقال من باب تحقير من أطلقت عليه. فلا يجوز لنا أن نطلقها لأنها تتضمن تنقص الله عز وجل في مقام ربوبيته. فإن قلت أولم تنسب الأدلة ناقة صالح إلى الله عز وجل في قول الله عز وجل: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [هود: ٦٤] فأقول بلى ولكنها نسبة تشريفٍ وتكريمٍ وتعظيمٍ لهذه الناقة. فنسبة الناقة إلى الله في هذه الآيات إنما هي نسبة تشريفٍ وتكريمٍ وتعظيمٍ لها.

وأما قولهم ثور الله في برسيمه فإنهم يقولونها في باب الازدراء والتحقير فكيف ينسبون إلى الله عز وجل هذا الأمر ففرقان بين الأمرين ولإنها كلمة محرمة لا تجوز والعلة في ذلك أنها تنقص لمقام الربوبية والله أعلم.

i

٣٢٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول هذا شيء عظيم بذاته، أو هذا شخص عظيم بذاته؟

فأجاب – عفا الله عنه– الحمد لله رب العالمين وبعد،

هذا من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، والمتقرر في القواعد (أن ما كان من الألفاظ محتملا للحق والباطل فلا نقبله مطلقا ولا نرده مطلقا وإنما هو موقوف على الاستفصال حتى يتميز حقه فيقبل من باطله فيرد)، فإذا كان مقصود الإنسان أن هذا الرجل عظيم بذاته يعني أنه اكتسب العظمة من عند نفسه من غير تقدير الله فلا جرم أن هذا من الأمور المحرمة التي قد توصل صاحبها إلى الشرك والعياذ بالله، لأنه اعتقد أن ثمة من يتصرف مع الله في هذا الكون فليس أحد يكتسب الجمال بذاته، وإنما الله هو الذي يضفي عليه هذا

الجمال، وليس أحد يكتسب المال بذاته وإنما الله هو الذي يقدر له هذا المال، وليس أحد يكتسب العظمة بذاته وإنما الله هو الذي يضفي عليه هذه العظمة، فإذا كان مقصود الإنسان بهذه الجملة أن الإنسان اكتسبها من عند ذاته من غير عطاء الله ، فهذا اعتقاد تصرف مع الله فقد يوصل صاحبه الى أمور لا تحمد عقباها، وأما إذا كان يقصد الإنسان إنه محل لهذه العظمة يعني أنه اكتسب هذه العظمة لا عن ذاته ولكن لصلاحية المحل لتقدير الله لهذه العظمة فلا بأس ولا حرج فإن تقدير الله لا يكون إلا عن حكمة بالغة ومصلحة متناهية، فالله أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم حيث يجعل صلاحه وهدايته، وأعلم حيث يجعل عظمته، فإذا أراد الله أن يخلق العظمة في شخص خلقها فإذا هو محل صالح لهذه العظمة ولكن لم يكتسبها بذاته وإنما اكتسبها بفضل الله وعطائه، فبالتفريق بين المعنيين ينحل الإشكال ويزول بإذن الله، والله أعلم.

i

٣٣٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول مسلم لآخر أعوذ بالله منك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد، لا بأس بذلك إذا كان يخاف من شره أو تسلطه أو عدوانه، أو يخاف من إصابته بالعين أو بالحسد، فإن الاستعاذةُ عبادةٌ يفزع لها المُسْلِمِ في الشيء الذي يخافه.

فإذا خاف العبد من شيءٍ من المخلوقات فإنه يفزع إلى الاستعاذة بربه-تَبَارَكَ وَتعالى-، كما فزعت مريم لما جاءها جبريل-عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمَ- على صورة بشرٍ سوي قالت: أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا.

فإذا خاف الإنسان أن يصيبه غيره بشيء من الشر أو الضرر، فلا بأس عليه

أن يقول: أعوذ بالله منك حتى وإن كان المستعاذ منه مسلمًا، فإن المستعيذ إنما نوى أن يستعيذ بقلبه من شر هذا ومن عدوانه ومن تسلطه، ومن ظلمه وقهره وغير ذلك.

فإذا قال المسلم للمسلم الذي يخاف شره وضرره: أعوذ بالله منك، فإن هذا جائزٌ لا بأس به إن شاء الله، والله أعلم.

i

٣٣١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول ﴿الله يلوم الذي يلومك﴾ أو ﴿الله لا يلومك﴾؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا بأس به من باب الإخبار، فإن المتقرر في القواعد: أن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، فمن جملة ما يجوز الإخبار عن الله عز وجل به أنه يلوم بعض عباده، كما قال الله عز وجل عن يونس: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[الصافات:١٤٢] أي: قد جاء بالأمر الذي يستحق أن يُلام عليه. فلا بأس من هذا الإطلاق إخباراً، لأن باب الأخبار أوسع، والله أعلم.

i

٣٣٢. سُئِلَ الشيخ: عندنا في بلادنا إذا وجدنا أحد يريد أن ينهي شيئًا في عجلة سريعًا يقال له على مهل فإن الله خلق السماوات بسبعة أيام فهل في ذلك شيء؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

لا أرى في ذلك بأسًا إن شاء الله وإنما هو من باب التذكير بأن الأمور إنما تؤخذ

بالهوينة

وأن الاستعجال فيها قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه

وليس معنى ذلك أن الله عز وجل كان عاجزًا عن خلق السماوات والأرض بقوله كن حاشاه وكلا فإنه القادر القدير المقتدر على أن يخلق كل شيء بقوله كن فهذا يجري على ألسنة الناس من باب تذكير الغير ممن يستعجل في إنهاء أموره بالهوينة والترفق فإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ويعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره

والإنسان قد يستعجل في إنهاء أمر ثم يتبين له ثغرات كثيرة في هذا الأمر بسبب استعجاله .فأرى أنها من الكلمات التي لا بأس بها لأنها تجرى مجرى التذكير بأخذ الأمور بالهوينة والرفق والله أعلم.

i

٣٣٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم أن يقال حياك الله؟.

فأجاب – عفا الله عنه– الحمد لله،

نعم لا بأس بذلك، فإن المتقرر في القواعد أن الأصل في التحايا بناؤها على الأعراف، فإذا جرى عُرفك في تحية بعضكم بعضا بقولك حياك الله فإنه لا بأس بها ولا حرج، ولأن المتقرر أن الأصل في باب الأدعية الحل والإباحة، وقولك لأخيك حياك الله عند اللقاء إنما تدعو له بأن الله عز وجل يحييه، فأنت لا تخبر بأن الله قد حياه، لأن تحية الله لأحد من الخلق إخبارَ أمر غيبي وأمور الغيب توقيفية، ولكنك تخرجها من باب الدعاء لأخيك بأن يحييه

الله، والأصل في باب الأدعية الحل والإباحة، فهي جائزة لأمرين، لأنها تحية والأصل في التحية أنها مبنية على الأعراف، ولأنها دعاء والأصل في الدعاء الحل، والله أعلم.

i

٣٣٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذه الجملة ﴿وبينما أنا أطلب مشيئتك، قلبي يتمنى أن تتفق مشيئتك مع مشيئتي هذه المرة يا الله﴾؟

فأجاب – عفا الله عنه–/ الحمدلله،

هذه كلمة محرمة ولا تجوز وفيها من قلة الأدب مع الله عز وجل مافيها فإن المتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة أن مقاصد العباد ينبغي أن تكون متفقة مع مايريده الله عز وجل ولا ينبغي للإنسان أن يسعى لأن يسعى لأن تكون مشيئة الله متفقة مع مشيئته، فإنك أنت أيها الإنسان فرع والله عز وجل هو الأصل ولا تشاء أيها الإنسان إلا ماشاءالله عز وجل كما قال الله عز وجل ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: ٢٩] ويقول الله عز وجل ﴿﴿وَلَو شَآءَ اللَّهُ مَا قتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]﴾ والله عز وجل لا راد لقضائه ومشيئته ولا معقب لحكمه عز وجل فينبغي لك أيها الإنسان العاجز الضعيف أن تكون مقاصدك ومشيئتك خاضعة لمراداة الله عز وجل شرعاً وكوناً فعليك أن تتقي الله في نفسك وأن لا تصدر مثل هذه الكلمات مرة أخرى لأن فيها تنقيصاً لمقام الربوبية والألوهية وكل كلمة تتضمن ذلك فلا جرم أننا نفتي بتحريمها والله أعلم.

i

٣٣٥. سُئِلَ الشيخ: هل صحيح النهي عن كلمة المطر لأنها لم ترد إلا في العذاب؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

هذا الكلام ليس بصحيحٍ على إطلاقه، فإن السنة قد وردت باستعمال لفظة المطر في الغيث والرحمة، والقاعدة التي ينبغي أن يرجع إليها في ذلك تقول: ﴿إن اللفظة يختلف معناها باختلاف سياقها﴾.

فإذا وردت لفظة المطر في سياق القوم المعذبين، فهذا المطرُ مطر عذابكما حكى الله أنه أمطر قومًا مطر سوءٍ، لأن هذا المطر أو هذه اللفظة وردت في سياقِ قومٍ معذبين، ففهمنا أنه مطر سوءٍ ومطر عذابٍ ومطر لعنةٍ وعقوبة بدلالة السياق ولا ينبغي أن نستنبط من ذلك قاعدةً عامةً بأن كل لفظ مطر فيراد بها العذاب، وإنما نرجع إلى تحديد معنى اللفظة المشتركة إلى النظر فيما قبلها وما بعدها من السياق.

ولذلك ورد من حديث أَنَس قال: ﴿ أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَطَرٌ. قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ. حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى)[1].

وفي حديث عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ﴿كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: صَيِّبًا نَافِعًا. ﴾ [2])، فالمطر في هذا السياق لا يفهم منه أنه عذاب، وإن يفهم منه أنه رحمة، فاختلف معنى اللفظتين في مطر العذاب ومطر الرحمة بالنظر إلى السياق وفي

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم:[(٨٩٨)].

(٢)أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم:[١٠٣٢].

سنن أبي داود من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، (أَنَّهُ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَصَلَّى بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةَ الْعِيدِ فِي الْمَسْجِدِ)[١].

وفي الصَّحِيحَيْنِ من حديث أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ-، في قضية اعتكاف النبي وتحديد ليلة القدر والحديث طويل، وخلاصته قال: (فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ، فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ، مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ)[٢]، والشاهد منه قول أبي سعيد: فمطرت.

وفي الصَّحِيحَيْنِ من حديث خالد ابن زيدٍ الجهني قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: (أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ، قَالَ: (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)[٣].والأَحَادِيْثِ إذا تتبعناها في هذا الموضع كثيرة، والخلاصة أن القاعدة اللغوية تقول: إن اللفظة ذات المعاني المشتركة، يعني اللفظة إذا كانت تدل على عدة معاني، فإن تحديد أحد المعاني يرجع فيه

---

(١)أخرجه أبو داود برقم:[١١٦٠].وصححه النووي في خلاصة الأحكام (٢٩٠٨) وضعفه بن حجر في التلخيص الحبير برقم ٦٨٣ وضعفه الألباني ١٤٤٨(ضَعِيف)

(٢)أخرجه البخاري في «أبواب الاعتكاف» برقم:[٢٠٢٧]، ومسلم في كتاب الصيام باب فضل ليلة القدر برقم (١٠٩٥).

(٣)أخرجه البخاري كتاب الأذان بَابٌ: يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ النَّاسَ إِذَا سَلَّمَ برقم (٨٤٦) ومسلم في «الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا» برقم:[(٧١)].

إلى النظر للسياق.

فلفظة المطر إن وردت في سياق العذاب فيكون عذابًا، وإن وردت في سياق الرحمةِ فيكون رحمةً والله أعلم.

i

٣٣٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم جملة ﴿إيجابيات دينية﴾؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

الدين إذا كان يراد به كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ مقرونا بفهم السلف الصالح، فلا ينبغي تقسيمه إلى إيجابيات أو سلبيات، لأن الشريعة كتابا وسنة كلها إيجابية، بمعنى أن كلها خير وكلها بركة وكلها نور وكلها هدى، ليس فيها اضطراب ولا ضلال ولا اختلاف ولا إشكال ولا ألغاز، فالشريعة كلها نور وكلها هدى وكلها خير وكلها صلاح وكلها مصالح وكلها فلاح، ومن اعتصم بها واستمسك بها فإنه سيكون من أهل النجاة، كما قال الله عز وجل ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران – ١٠٣) وقال الله عز وجل ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(طه – ١٢٣) والمراد بالهدى أي الكتاب والسُّنَّة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾(طه – ١٢٤) الآيات بتمامها، أي [من أعرض] عن كلامي وكتابي، فإذا كان المقصود بالدين أي الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف الصالح فلا جرم أن تقسيمه إلى إيجابيات وسلبيات وإلى قشور ولب، هذا كله من الأمور المرفوضة عندنا معاشر أهل السُّنَّة والجماعة، وأما إذا كان المقصود بالدين أي تدين الشخص الذي يُنسب له فلا جرم أن الناس قد يأخذون

شيئا من الدين يظنونه دينا ولكن ليس في حقيقته من الدين، ولكنهم أخطأوا وتوهموا وفهموا فهما خاطئا، فيبنون عقائدهم على ما يظنونه دينا وشريعة وهو في حقيقته ضلال وغي وهوى، فإن الخوارج إنما يفعلون ما يفعلونه ظنا منهم أن هذا هو الدين الذي جاء به النبي ﷺ، وكذلك الجهمية وكذلك المعتزلة والرافضة والأشاعرة وغيرهم من سائر الطوائف، فإنهم يظنون أن تدينهم هذا هو حقيقة الدين، وأنت ترى أن في تدينهم إيجابيات وفيه سلبيات، فلابد أن نفرق بين ما كان دينا ينسب إلى الله عز وجل فهذا لا سلبيات فيه بل كله إيجابيات، وبين ما كان تدينا ينسب إلى الشخص أو إلى الناس فهؤلاء إن وافقوا الحق فهو إيجاب وإن خالفوا الحق فمخالفتهم سلب، والله أعلم.

i

٣٣٧. سُئِلَ الشيخ عن: حكم القول؟ فلان سينصفه التاريخ؟ أو أن نقول فلان سيحكم عليه التاريخ؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين-

المتقرر في القواعد (حرمة الجزم بالأخبار المستقبلية إلا معلقة بالمشيئة).

لقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤] فلا يجوز للإنسان أن يجزم بوقوع أمر مستقبلي بلا دليل من الكتاب والسنة. إلا إذا قيد وقوعه بمشيئة الله عز وجل. كان يقول فلان سيخلد ذكره. الله عز وجل إن شاء الله أو فلان سيرمى في مزبلة التاريخ إن شاء الله ونحو ذلك. لأن هذه أخبار مستقبلية فلا يجوز للإنسان أن يجزم بها لأن المستقبل لا يزال في دائرة الغيب وعلم الغيب

المطلق من خصائص الله تبارك وتعالى.

لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] قول الله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ﴾ [الأنعام: ٥٩]﴾، ويقول الله عز وجل:﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]﴾ والله أعلم.

i

٣٣٨. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول ﴿كل الشكر لفلان﴾؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد،

إن من مهمات طالب العلم أن يعرف الفرقان بين الشيء المطلق ومطلق الشيء، فالشكر المطلق إنما يكون لله عز وجل، ومطلق الشكر يكون فيما بين المخلوقين.

فقول الإنسان (كل الشكر لفلان) لا يقصد به الشكر التعبدي المطلق الذي لا يكون إلا لله عز وجل، وإنما قصده الشكر الذي يليق بالمخلوق، كقول الإنسان: تحياتي لفلان، فإن التحيات المطلقة التعبدية إنما تكون لله عز وجل، وأما مطلق التحيات فإنما تكون للمخلوق فيما بينهم.

وكذلك الجلال إذا قيل مثلاً: صاحب الجلالة، ويقصد مطلق الجلالة لفلان فإنه لا بأس به، وأما الجلال المطلَق فإنه لله.

فإذا كان مقصوده (كل الشكر) أي: الشكر المطلق فإن هذا لا يجوز، لأنه حقٌّ

لله عز وجل، وأما مطلق الشكر فيما يصلح فيما بين المخلوقين فإنه لا بأس به، وهذا قصد الناس عامة، والله أعلم.

i

٣٣٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم: أمانة في عقنك أن تبلغ شخص شيئًا ما؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا اللفظ من الألفاظ التي تتضمن تحميل الغير أمانةً مُعينة، وتقييد هذه الأمانة بقوله: في عنقك يعني هذا من باب التغليظ في تحميل هذه الأمانة، ومن باب التأكيد على حملها وأدائها وإبلاغها، والذي أرى في مثل هذه الألفاظ أنه لا ينبغي قولها، لأنها تتضمن تكليف الآخرين بما لم يكلفهم الله عَزَّوَجَلَّ به، ولكن تعرض الأمر على صاحبك عرضًا، ثم تقول: لو سمحت أن تُبلغ هذا الرجل هذا الأمر، أو أن تنقل له هذا الكلام حتى يكون المأمور بمثل هذا الكلام أو النقل أو من تحمل هذه الحمالة يكون في سعةٍ من أمره في حال غفلته وفي حال نسيانه فلا ينبغي للإنسان أن يُحرج أخاه في تحميله أمرًا والتأكيد عليه بمثل هذه الألفاظ.

فعلينا أن نُوسع في مثل ذلك الدائرة لعلهم يغفلون، لعلهم ينسون، لعلهم يتباطئون، لعلهم يتكاسلون، لعلهم يرون أن لا يبلغوا، لعلهم لا يرون المصلحة في إيصال الكلام، فمن باب توسيع الدائرة لا نُحمل الناس هذه الحمالة العظيمة التي لم يُحملهم ربهم الله عَزَّوَجَلَّ وليست من شؤون دينهم، فلا ينبغي للإنسان أن يُضيق على إخوانه بمثل هذا القول، لكن لو قاله لكان ذلك جائزًا فيما لو تحمله الطرف الآخر، لكنه إذا تحمله وتعهد به وأخذ الميثاق على

نفسه في تبليغه فإنه حينئذ يدخل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وفي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

فحتى لا نُضيق على إخواننا في إيصال ما نريد منهم إيصاله نأمرهم بأن يوصلوه لكن من غير تحميلهم أمانة إيصاله بمثل هذه الألفاظ التي تقطع الأعناق، والله أعلم.

i

٣٤٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول علمتني الحياة؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وبعد،

لا بأس بهذا القول–إن شاء الله –، لأن الله قد أجرى في هذه الحياة ما يوجب أن يتعلم الإنسان بمزاولته ومكابدته والعيش فيه فهو يقصد أن تجاربه في هذه الحياة وطول عيشه فيها، ومكابدته للأمور وتقلب الأحوال في هذه الحياة يأخذ منها دروسًا وعبرًا واتعاظًا، فإذا كان معنى قوله: علمتني الحياة هو هذا المعنى.

أي الدروس المستفادة من طول العيش في هذه الحياة، أو الأمور التي استفادها من تقلب أحواله في هذه الحياة، فلا بأس بذلك–إن شاء الله –، فالحياة مدرسة يتعلم الإنسان من مواقفها ويتعلم الإنسان من صعوباتها، ويتعلم الإنسان من

تقلب أحوالها.

فالله قد جعل الحياة التي مرت على الأمم الماضية، عبرةً وعظةً للأمم اللاحقة، كما قال الله :﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ ﴾آل عمران١٣، وكذلك يقول الله ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾القمر١٥.

وكذلك يقول الله لما ذكر عذاب قوم لوط قال ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾هود٨٣.

فإذًا الحياة دروسٌ وعبر فينبغي للإنسان أن يستفيد من مواقفها، ومواقفه فيها ومرورها عليه ومروره فيها، وأن يتعلم الحكم من غيره ممن زاولوا وعاشوا في هذه الحياة، وتقلبت عليهم الأمور وعرفوا حقيقتها ومآلها.

والخلاصة: أن هذه الكلمة جائزةٌ لا بأس بها-إن شاء الله-بهذا الاعتبار والله أعلم.

i

٣٤١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم إطلاق كلمة الخضوع على الخصوم؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

إذا كان المقصود بهذه الكلمة يعني سأجعلك تستسلم لي، وذلك أن يفعل معه ما يوجب ذهاب قوته وكبريائه حتى يستلم له ويذعن له ويستجيب لما يطلبه منه، فأنا أرى والله أعلم أن استعمال هذه اللفظة بهذا المعنى لا حرج فيه إذا كانت في إحقاق حقٍ أو إبطال باطل لاسيما إذا كان يراد بها نصرة الدين والشريعة. فلو أن أحد أهل البدع ناظر أحد أهل السنة فقال له:

السني لأخضعنك لحجتي. بمعنى سوف أكسر حجتك وكبريائك في بدعتك وسوف أكسر شبهتك حتى تذعن وتستسلم وتنقاد للحق الذي أدعوك إليه فهذا الإخضاع هو في حقيقته إخضاعٌ لله، وإخضاعٌ للحق. وإخضاعٌ للدليل فهذا لا حرج فيه.

وأما المنافسات على أمرٍ دنيوي وطلب إخضاع الغير في أمرٍ دنيوي فلا ينبغي ذلك؛ لأن إذلال المسلم وإخضاعه ليستسلم وينقاد في أمرٍ دنيوي هذا فيه إذهابُ لكرامته وفيه إجحاف بحقه فلا ينبغي مثل ذلك.

وتلك المنافسات التي تتضمن إخضاع بعض الأطراف لبعض إذا كانت على أمرٍ من أمور الدنيا لا ينبغي الدخول فيها. ولا إحراج إخوانك المؤمنين بسبب شيءٍ تافهٍ من شهواتها وملذاتها.

وأما إذا كان المقصود بإخضاع الطرف الآخر أي إخضاعه لله وإخضاعه للحق وكسر شبهته وإعلاء كلمة الله وجعله يستسلم للدليل فلا جرم أن هذا من الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الناس إلى حياض الخير وأما الإخضاع الذي يخص الله فهو خضوع التعبد. فالخضوع الذي يتضمن التعبد هذا لا يجوز صرفه إلا لله.

فصارت الأقسام ثلاث أقسامٍ:

أما خضوع التعبد فهو عبادة لا يجوز صرفه إلا لله وأما إخضاع الغير للحق وللدين وللشريعة ولمقتضى الدليل فهذا أمرٌ مطلوبٌ شرعًا. وأما محاولة إخضاع الغير للاستسلام في أمرٍ من أمور الدنيا فإنه لا ينبغي والله أعلم.

i

٣٤٢. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول صباح النور؟ وهل هذا يعتبر من آلهة المجوس؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، لا بأس بذلك بعد أن يسلم الإنسان السلام الشرعي،

أو يرد السلام الرد الشرعي، فإذا قلت السلام عليكم فقد أديت ما عليك شرعًا، ثم بعد ذلك يأتي العرف والعادة المتقررة الجارية في بلادك، فإن المتقرر عند العلماء أن العادة محكمة، والمتقرر عند العلماء أن الأصل في الأعراف والعادات الحل والإباحة إلا فيما خالف الشرع، فإذا كان جرى عادة أهل بلدك أن يصبِّحوا بالنور، أو يمسوا بالنور، أو يصبحوا بالخير، أو يمسوا بالخير بعد السلام الشرعي ابتداء وردًّا فلا بأس ولا حرج في ذلك،

وأما قول من قال بأنها مستمدة من عقيدة المجوس من قولهم بأن النور هو الإله الذي يخلق الخير وأن الظلمة هي الإله الذي يخلق الشر فهذا كلام ساقط لا أساس له من الصحة ولا أصل له يثبت أبدًا، بل هذا من جملة الأعراف والعادات التي جرت بها ألسنة كثير من الناس، فإذا جرى عرف أهل بلدك على أن يصبحوا ببعض العبارات التي يسألون فيها عن الحال على حسب عرفهم وعادتهم مما لا يخالف الشرع فذلك لا بأس به، ولكن الذي ننكره أن تجعل التحية العرفية بديلة عن التحية الشرعية، فالتحية الشرعية لابد أن تكون هي الأولى سلامًا، أقصد السلام ابتداء وردا، ثم بعد ذلك كل من المتلاقيين يحيي بعضهما بما جرى به عرف أهل بلده تقريرا للعادة والعرف، والله أعلم.

i

٣٤٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قولنا: رمضان أتى ليؤكِّد لنا حب الله للجميع، يعني يقصد بالجميع هنا: المسلمون؟

فأجاب – عفا الله عنه–:

المتقرر في القواعد: أنه لا يجوز إثبات الشيء الغيبي إلا بدليل، فما كان غيبياً فلابد وأن يكون توقيفياً،

ولا أعلم دليلاً يدل على أن من محبة الله للعبد أن يدركه رمضان، لا أعلم دليلاً على أن كل من رمضان فإنها علامة على محبة الله عز وجل له، فكم من إنسانٍ يدرك رمضان وهو كافر، وكم من إنسان يدرك رمضان وهو لا يزال مصراً على بدعته، وكم من إنسان يدرك رمضان وهو لا يزال مُصِرًّا على فطره في نهاره، وكم من إنسان يدرك رمضان وهو مُصِرٌّ على غيبته ونميمته وقول الزور والفحش والعمل به، فليست هذه علامة على محبة الله عز وجل إلا في حق من قام بالصوم حق القيام المراد لله عز وجل، فهذا قد يُقال بأن تيسير إدراكه لرمضان علامة على محبة الله له، لماذا؟ لأنه يسَّر له إدراك رمضان ويسَّر له في نفس الوقت استغلال رمضان.

فليس مجرد الإدراك دليلاً على المحبة، إنما الدليل على المحبة هو تيسير التعبُّد، فمن يسَّر الله عز وجل له التعبد وأعانه على ذكره وشكره وحسن عبادته فهو الذي يحبه حقيقة، والله أعلم.

i

٣٤٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم كلمة ﴿بمشيئة الله﴾ فقد أنكرها البعض فقال: لا يُعلَّق الأمر بالمشيئة، وإنما يُقال: سيقام كذا إن شاء الله، فهل يختلف قول

بمشيئة الله أو إن شاء الله؟ وأيهما الأصح؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا أرى بينهما اختلافاً، فإذا قال الإنسان (بمشيئة الله) فهي لفظة عرْفية دارجة يقصد بها الناس الذين يطلقونها يقصدون بها إن شاء الله أو بإذن الله أو إذا أراد الله، ونحو هذه العبارات، كلها بمعنىً واحد.

فإذا قال الإنسان: سيُقام كذا بمشيئة الله؛ فهو بمنزلة من قال: سيُقام كذا بإذن الله وبمنزلة من قال: سيُقام كذا إن شاء الله. فلا أرى بين هذه الألفاظ شيئاً من التعارض باعتبار المعنى وإن اختلفت في ألفاظها ظاهراً إلا أنها تصبُّ في معنىً واحد وهو تعليق الأمر المستقبلي بمشيئة الله عز وجل، والله أعلم.

i

٣٤٥. سُئِلَ الشيخ عن: حكم كلمة ﴿الله يجافي من يجافينا﴾؟ وهل يوصف الله بالجفاء كما يوصف بالغضب؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر في القواعد: أن الله عز وجل مستحِقٌّ لكل صفة كمالية، فيوصف بها، ومنزَّهٌ عن كل صفات النقص فتُنفى عنه، فلا يجوز لنا أن نَصِف الله عز وجل بصفة لا تكون إلا نقصاً، ومن المعلوم أن الجفاء من صفات النقص والتي لا يعتريها شيءٌ من الكمال، فهي نقصٌ مطلق.

فلا ينبغي أن يوصف الله عز وجل بهذا ولا أن يُخبَرَ عنه بهذا الخبر، لأنه من الأخبار التي لا يصح إطلاقها في حق الله عز وجل إذا كان المقصود بقوله: (جفا الله من جفاني) من الجفاء المعروف الذي هو الغلظة والقسوة ونحو ذلك، فهذا من جملة الأشياء التي لا ينبغي وصف الله عز وجل بها ولا الإخبار عن الله عز وجل بها، كقول من قال (ظلم الله من ظلمني) هذا لا يجوز، أو

كقول (اعتدى الله على من اعتدى علي) وهذا أيضاً لا يجوز، فالظلم والعدوان من صفات النقص المطلق، وكذلك الغِلَظ والقسوة والجفاء أيضاً من صفات النقص المطلق، وما كان من هذا القبيل فإنه يجب أن يُنزَّه الله تبارك وتعالى عنه، والله أعلم.

i

٣٤٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم كلمة ﴿الله يجافي من يجافينا﴾؟ إن كان القصد من الجفاء هو الإعراض أو عدم السؤال، بمعنى الله يجافي بمعنى لا يسأل أو يُعرض عمن أعرض عنا أو لم يسأل عنا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: إذا كان ذلك قصده فلا بأس، فإن الإعراض من جملة الأشياء التي يُخبَر بها عن الله عز وجل، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الثلاثة النفر، فقال في آخرهم: (وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)[١]، فإذا كان قصده بقوله (جفا الله من جفاني) بمعنى أنه أعرض عنه؛ فإن هذا لا بأس به ولا حرج، ولكن ينبغي أن يعبِّر بالعبارة الواردة، فإن هذا معنىً شرعي، والمتقرر في القواعد: أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى وحتى نبعد عن اللفظ المجمَل الذي يحتمل الحق والباطل، فإن التعبيرات بالألفاظ المجملة عن العقائد أو المعاني الشرعية من جملة أسباب الضلال وخطأ الفهم، فإذا كان يقصد بقوله (جفا الله من جفاني) بمعنى: أعرض الله عمن أعرض عني؛ فليقل أعرض، لأن هذا هو التعبير الشرعي. هذا بالنسبة

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم بَابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا برقم (٦٦) ومسلم كتاب السلام بَابُ مَنْ أَتَى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا، وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ برقم: [(٢١٧٦)].

لجوابك ولكن بالنسبة للأدب؛ فإن أمر المسلمين ينبغي أن يكون مبنياً على الصفح وعلى العفو وعلى التجاوز والتسامح، ولا ينبغي للمسلم أن يتقصَّد الدعاء على إخوانه المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بل يدعو لهم بالصلاح والهداية والمعافاة، ويدعو لهم بالستر، ويدعو لهم بكل أمرٍ طيبٍ يرجع عليه وعليهم بالخير في الدارين.

وينبغي للإنسان أن لا يستحكم فيه غضبُه الاستحكام الذي يوجب أن يلعن إخوانه أو يسبَّهم أو يقذفهم، أو أن يدعو عليهم، فإن الأصل في الدعاء على أحد من المسلمين المنع إلا بالمسوِّغ الشرعي، ولذلك نهى النبي ﷺ الإنسان أن يدعو على نفسه، فقال: (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[١].

فلا ينبغي للإنسان أن يدعو على إخوانه ما دام قادراً على أن يحكم لسانه وأن يحكم زمام غضب نفسه، والله أعلم.

i

٣٤٧. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذا الدعاء ﴿الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه﴾ وقد ذُكِرَ أنكم تمنعونه؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

---

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرَ برقم (٣٠٠٩)

لعل الناقل عنا نقل شيئا بالمعنى وإلا فإن قول الإنسان الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه هو خلاف الأولى ولم يكن النبي ﷺ يقول هذا التعبير ولأنه قد يفهم منه وصف شيء من أقدار الله عز وجل بأنه مكروه فهذا يتضمن نسبة الشر إلى الله عز وجل لأن الأمر المكروه نوع من الشر وقد قال النبي ﷺ: (وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)[١] فإذا وصف شيء من أقدار الله عز وجل بأنه من الأقدار المكروهة فإن هذا سوء أدب مع الله عز وجل وأقل أحوال سوء الأدب مع الله أن يوصف بأنه مكروه أو خلاف الأولى وإن وصفناه بأنه محرم فلنا وجه في ذلك و عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ)، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)[٢] وبما أن هذا الحمد له تعبير شرعي ثابت صحيح عنه ﷺ فنخرجه على قاعدتنا التي ندندن حولها كثيرا وهي: أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى. فبدلا من أن نقع في هذه المجملات بقولنا الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه نترك هذا التعبير بهذا اللفظ المجمل إلى التعبير النبوي الصريح الصحيح ونقول الحمد لله على كل حال والله أعلم

i

٣٤٨. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم: يجعل يومي قبل يومك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، أظن هذا الكلام من جملة الألفاظ التي لا يراد منها حقائقها مطلقاً، فإن ملك الموت لو طرق بابك قبل باب من

---

(١)أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين» بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ برقم:[(٧٧١)].

(٢)أخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٠٣) وابن السني (رقم ٣٧٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ٢٦٥

دعوت له لقلت اذهب إلى ذلك أولاً ثم ارجع لي، فإن الإنسان لا يريد حقيقة هذه الألفاظ، مثل قول -ثكلتك أمك-، مثل قول -عقرا حلقا-، مثل قول -تربت يداك-، فهي ألفاظٌ تُقال من باب إظهار الإعجاب، من باب إظهار المودة والمحبة والسرور، من باب إظهار كمال، كمال الوفاء فيما بينكما لكن لا يراد بها حقيقتها مطلقاً هذا ما أظنه على حسب العرف الدارج، إذا قال الإنسان -يجعل يومي قبل يومك- فهذا لا بأس به، على أنه من جملة الألفاظ التي تقال، ولا يراد بها حقائقها كما هو معلوم، لا يراد بها حقائقها، فليس بها بأسٌ، بل أنا أقول والله أعلم إنها في معنى قول العرب -نفسي لنفسك فداءٌ-، وكان الصحابة يفدون رسول الله ﷺ فيقولون -فداً لك أبي وأمي-، وهي كلمةٌ بطول العمر لمن قيلت له، ومع ذلك فلو قُرِن الدعاء بصالح العمل لكان، لكن أفضل.

فلا بأس بذلك إن شاء الله فيما أظن أن الناس لا يقصدون حقيقتها، وإنما صارت من الألفاظ التي يفهم منها السامع كمال المودة، وكمال المحبة، وكمال الاحترام، وكمال التقدير، ولكن قد يُقصد بها... إذا قيلت في مقام العلماء ومن لهم تأثيرٌ عظيمٌ في الناس، فيُدعى لهم بطول العمر لِعِظَم مصلحة بقائهم بين الناس، والخلاصة أنها كلمةٌ مقبولة، لا بأس بها إن شاء الله، والله أعلم.

i

٣٤٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول التاريخ يعيد نفسه؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل لا تقبل مطلقا

ولا ترد مطلقا، لأن فيها باطلا وحقا، فلا نردها مطلقاً لأن فيها حق والحق لا يرد، ولا نقبلها مطلقاً لأن فيها باطلا والباطل لا يقبل، فمثل هذه الألفاظ لابد أن توقف على الاستفصال حتى يتميز حقها من باطلها فنقبل الحق ونرد الباطل، ومن ذلك قولهم التاريخ يعيد نفسه، فإذا كان المقصود أنه يعيد نفسه إعادة ذاتية استقلالية فهذا من الأمور المحرمة، فإن التاريخ أي الدهر بمعنى مرور الأيام والسنين وتصرم الأحوال واختلاف الأمور هذه أشياء مخلوقة، والمخلوق لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا تدبيرا ولا تصريفا استقلاليا ذاتيا، وإنما ذلك هو الله تبارك وتعالى، فالله هو الذي يعيد الأشياء ويكررها ويجري سنته على وفق ما يريد وتقتضيه حكمته عز وجل، فإذا كان من يقول بأن التاريخ يعيد نفسه أي إعادة ذاتية استقلالية تدبيرية تصريفية، فإن هذا من شرك الربوبية والعياذ بالله، وهو شرك الدهرية الذين قالوا وما يهلكنا الا الدهر ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية - ٢٤) فنسبوا هذا التدبير والتصريف والإعادة والتكرار في الإحياء والإماتة إلى الدهر، فالدهر هو الذي يتصرف عند هؤلاء وهو الذي يدبر وغير ذلك، وهذا أمر محرم لا يجوز، ولكنني أكاد أقسم بل وأجزم بأن من يقول بأن التاريخ يعيد نفسه لا يريد هذا المعنى إن شاء الله، ولكن لابد من بيانه حتى نسد ذريعة إرادته ولو في الأجيال القادمة، فمن قال التاريخ يعيد نفسه وهو يريد أنه يعيد نفسه بذاته بغير تقدير الله ولا قضائه ولا تدبير الله ولا تصريفه، فإن هذا من شرك الربوبية والعياذ بالله، فالتاريخ بمعنى مرور الأيام وتصرم الأحوال واختلاف الزمان هذا أمر داخل تحت ربوبية الله عز وجل، فالله رب الزمان والله رب الدهر هو الذي يدبره وهو الذي يجري فيه ما يجريه من الأحداث والأحوال اختلافاً واتفاقاً، وأما إذا كانو

يقصدون بقولهم إن التاريخ يعيد نفسه يعني أن الله عز وجل قد أجرى هذا الدهر وما فيه على سنن كونية، مَن أخذ بها تحقق مراده ومن أهملها لم يتحقق مراده، فهذا حق وصدق لا نشك فيه مطلقا، ولذلك نحن مأمورون بقراءة التاريخ حتى نأخذ منه العبرة والعظة، ومأمورون بأن نتعرف على سنن الله عز وجل في كونه وفي الأمم، وسنن الله عز وجل في ثوابه وسنن الله عز وجل في عقوبته، وفي محبته وفي كراهيته وبغضه ونحو ذلك، حتى نتقي ما يجب اتقاؤه، ونسلك ما يجب سلوكه، ونتخذ من الأسباب والتدابير ما يقينا من الوقوع فيما وقع فيه من قبلنا، فاذا قلنا بأن التاريخ يعيد نفسه بمعنى أن الله قد أجرى هذا الزمان على سنن كونية تتكرر كلما تكررت مقتضياتها، فهذا حق لا ريب فيه، فبالتفريق بين الأمرين نعرف ما يجوز مما لا يجوز، والله أعلم.

i

٣٥٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم: لا حول الله، أو بحول الله، مثلاً يقول: غداً ستكون كذا كذا بحول الله، يعني بدل المشيئة يقول بحول الله، بدلاً من أن يقول إن شاء الله يقول: بحول الله، حتى إذا أصابه شيء أو هكذا يقول لا حول الله فقط ولا يكمل: ولا قوة إلا بالله، ما الحكم في ذلك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: أظن قول الإنسان (بحول الله) إذا أراد شيئاً من الأمور المستقبلية أظنها كلمة عرفية يقصدون بها التوسل إلى الله عز وجل بشيءٍ من صفاته بحوله وقوته، والتوسل إلى الله عز وجل بصفاته هذا أمرٌ جائزٌ إن شاء الله، فالعوام عندنا يقصدون بها التوسل، يعني كأنهم يدعون الله عز وجل أن يوفقهم لتحصيل هذا الشيء وأن يعينهم عليه، فهو توسُّلٌ من الله بشيءٍ مما يُخبر عنه من صفاته، يعني هو توسلٌ إلى الله بقدرته، وتوسلٌ إلى الله

بقوته، وهذا أمرٌ جائزٌ لا بأس به إن شاء الله، والله أعلم.

وأما قول الإنسان (لا حول الله) فإن هذا لا يجوز؛ لأن اللام هنا نفي، فكأنه ينفي الحول عن الله عز وجل، والمتقرر في القواعد: أن ألفاظ الأذكار توقيفية على النص، والنص إنما ورد بقوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ففيها نفي وإثبات.

i

٣٥١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول ﴿انتقل فلان إلى مثواه﴾ يقول لأن المثواة هي قاع في جهنم مستدلا بقوله تعالى ﴿أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوًى لِّلمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزمر: ٦٠] فهل مثل هذا صحيح؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله هذا ليس بصحيح أبدا لا في صدر ولا ورد.

فإن المثوى والمأوى معناهما مكان اللجوء أو مكان النزل فالإنسان يقال هذا مأواه أو هذا مثواه

فالمثوى والمأوى بمعنى المكان الذي ينزل الإنسان فيه فإن كان مكان خير فهو مأوى خير ومثوى خير وإن كان مكان شر وعقوبة فإنه مأوى شر ومثوى شر ولذلك الله عز وجل قال: ﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] بينما قال في آيات أخرى ﴿وَمَأوَيٰهُ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] فلا يجوز للإنسان أن يمنع الناس من شيء إلا وعلى هذا المنع دليل من الشرع وبناء على ذلك فإنه يجوز للإنسان أن يقول اللهم اجعل مثواه الجنة أو يقول اللهم اجعل مأواه الجنة كلاهما كلمتان صحيحتان وليس مع المانعين دليل يدل على هذا المنع

والله أعلم.

i

٣٥٢. سئل الشيخ عن: حكم قول أحدهم تفضل مشكورا مأجورا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

إذا كان قوله مأجورا من باب الدعاء فإنه لا بأس به ولا حرج فإن المتقرر في القواعد أن الأصل في باب الدعاء الحل والإباحة إلا بدليل يحرمه وأما إذا كان قوله مأجورا من باب الإخبار بوقوع الأجر عند الله عز وجل لهذا الرجل. فلا جرم أنه إخبار عن أمر غيبي والمتقرر في القواعد (أن الأمور الغيبية مبناها على التوقيف). فإن كان يقصد دعاء فلا بأس. وأما إذا كان يقصد الخبرية فلا بد أن يقرن بهذا الخبر الغيبي شيئا يرد فيه العلم إلى الله. كأن يقول مأجورا إن شاء الله. فإذا كان يقصد به الدعاء فلا بأس وإن كان يقصد به الخبرية فلا بد أن يقرنه بالمشيئة لأنه غيب والله أعلم.

i

٣٥٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذه العبارة مع التعليل ﴿ولك الحمد حتى يبلغ الحمد منتهاه﴾؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين،

المتقرر عند العلماء أن الأصل في الأذكار التوقيف، فلا ينبغي للإنسان أن يُحدث لفظا ويعتقد أنه من جملة الأذكار إلا وعلى ذلك دليل من الشرع، فباب الأذكار باب مسدود إلا فيما أجازه الشرع ووردت به الأدلة وصحت به النقول، أما الاختراع والابتداع في هذا الباب فإنه يُخرجه من دائرة المشروع إلى دائرة الممنوع، فلا يجوز للإنسان أن يزيد في الأذكار الواردة، ولا ينبغي له أن ينقص من الأذكار الواردة، ولا ينبغي له أن يلفق ذِكرين في ذِكر واحد، فالأذكار عبادة، والأصل في العبادات التوقيف، والأصل في صفة العبادات التوقيف، فلا جرم إذا عُلم هذا أن قول القائل: الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، هذا ليس من الألفاظ المنقولة لا عن النبي ﷺ، ولا فيما نعلمه عن الصحابة، وهو وإن كان له معنى صحيح، إلا أن مجرد صحة المعنى لا تسوغ قوله أو جعله في مصاف الأذكار المشروعة، فعندك حَمْدُ الله عز وجل، فتقول الحمد لله، سبحان الله، وتثني على الله عز وجل بما هو أهله مما ورد وثبت وصح، ودعك من بُنيات الطريق التي فيها إحداث واختراع وتعبد لله عز وجل بما لا دليل عليه، فإن المتقرر أن كل إحداث في الدين فهو رد كما قال ﷺ (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)[١] وقال ﷺ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)[٢] والدين كامل ولله الحمد والمنة، ففي جميع شؤون الدين ومتعلقاته كامل ليس فيه نقص، فمثل هذا يستعاض عنه بالألفاظ الشرعية الثابتة بلا زيادة فيها ولا نقصان، فأنا أقول أيها السائل إن هذا الذي ذكرته وإن كان له معنًا صحيح، لأنه يدل على أن الله هو المستحق للحمد كله، ولكن لا ينبغي أن نُعبر عن هذا المعنى الصحيح إلا بالتعبير الوارد في

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨)

(٢)أخرجه البخاري برقم ٢٦٩٧ مسلم برقم (١٧١٨) واللفظ لمسلم

الشرع، فلا نخترع من عند أنفسنا ألفاظا لا دليل عليها لا من الكتاب ولا من السُّنَّة، ثم نتعبد لله عز وجل بها، فهذا الباب أعني به باب الأذكار، باب توقيفي لا ينبغي دخول الاجتهاد فيه، وفي الصحيحين من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ. قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)[١]

مع أن اللفظ الذي تغير فقط إنما هو أنه أبدل لفظ (النبي) بلفظ (الرسول) ومع ذلك رفض النبي ﷺ هذا التبديل والتغيير في الأذكار، لأن صفة الأذكار توقيفية، والأصل في هذا الباب عدم الاجتهاد، وعدم التبديل والتغيير ولا الزيادة ولا النقصان، فقال (قَالَ: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) فعدله، فإذا كان إبدال لفظ النبي بلفظ الرسول ممنوع في الأذكار، فكيف باختراع ذِكر لا دليل عليه أصلا! فلا ينبغي للإنسان أن يجتهد في هذا الباب، ولا أن يخترع ولا أن يحدث لأنه باب كامل، والأذكار أدلتها متنوعة، فيها الحمد وفيها التكبير وفيها الثناء وفيها التهليل وفيها التعظيم، فعلى العبد أن يختار منها ما يكون يسيرا على لسانه ويردده ويكرره، ويدع عنه بُنيات الطريق التي توجب إحداثا أو زيادة أو نقصا في شيء من الأذكار لا دليل عليه والخلاصة أنني أدل السائل أن يترك

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٣١١) ومسلم برقم (٢٧١٠)

هذا، ويستبدله بما هو ثابت في الصحيح من الأدلة، والله أعلم

i

٣٥٤. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز للمظلوم لعن ظالمه؟

فأجاب – عفا الله عنه –: الحمد لله رب العالمين،

لا يجوز للمظلوم أن يلعن ظالمه لعن تعينٍ؛ لأنَّ لعن المعين مُحرمٌ في شريعة الإسلامِ إلا إذا ثبتت الشروط وانتفت الموانع، ولكن للمظلوم شرعًا أن يدعوَّ على ظالمِهِ بقدر مظلمتهِ، لقول النبي ﷺ: (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُوم)، ولم يقل واتق لعنة المظلوم، وإنما ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ).[1]، وقد ثبتَ في الحديثِ ان الله يرفع دعوة المظلوم، ولم يقل: لعنة المظلوم، يرفعها فوق الغمام: (وَيَقُولُ الرَّبُّ عز وجل: وَعِزَّتِي، لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ)[2]، فلا يجوز للمظلومِ أن يلعنَ ظالمهُ، فيقولُ: لعنهُ الله، وإنما يجوز للمظلوم أن يدعوَّ على ظالمِهِ بقدر مظلمتهِ، فدعاء المظلوم على ظالمه جائزٌ بقدر مظلمتهِ، وأما لعنهُ تعينًا فإنهُ لا يجوز، فإنَّ لعن المسلم لا يجوز إلا إذا ثبتت الشروط وانتفت الموانع. والله أعلم

i

(١)أخرجه البخاري برقم (١٤٩٦) ومسلم برقم (١٩)

(٢) أخرجه الترمذي برقم(٢٥٢٦) و(٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢) وقال ابن حجر في تخريج الأذكار «هذا حديث حسن» الفتوحات الربانية (٤/٣٣٨) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ٨٧٠

٣٥٥. سُئِلَ الشيخ: عن حديث المرأة التي لعنت الناقة فأمر النبي ﷺ بتخلية سبيل الناقة وقال: خُذُوا مَا عَلَيْهَا، وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ[١]، هل هذا دليل على أن كل شيءٍ لُعِن أصبح غير مبروك أو ليس فيه بركة، أو أن كله شر، أم أمر النبي ﷺ بهذا لعلمه أن اللعنة في هذه الناقة وقعت فعلاً؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين

أما بالنسبة لجوابك فمن المعلوم والمتقرر عند أهل العلم رحمهم الله تعالى: حرمة دعاء الإنسان على شيءٍ من متعلّقاته، فلا يجوز للإنسان أن يلعن شيئًا مما يخصه أو يخص غيره، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يدعو الإنسان على نفسه أو يدعو على ولده أو يدعو على شيءٍ من ماله، كما ثبت ذلك في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر قال: قال النبي ﷺ: (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[٢]. ومن المعلوم أن اللعن دعاءٌ، فإذا لعن الإنسان شيئاً فإنه دعاءٌ على هذا الشيء بأن يطرده الله عز وجل من رحمته ومغفرته.

فهذه الناقة التي لعنتها مالكتها أو صاحبتها علم النبي ﷺ بوحي الله عز وجل أن الله قد استجاب على هذه الناقة، لأن الإنسان إذا دعا على شيءٍ من ماله فقد يوافق ساعة يستجيب الله عز وجل فيها، فلما علم النبي ﷺ بالوحي استجابة الله عز وجل دعاء هذه المرأة على ناقتها عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: (عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: (بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا برقم ((٢٥٩٥))

(٢) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ برقم ((٣٠١٤))، (٣٠٠٩)

بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ: حَلِ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ.)[١]، فالمقصود لا تصحبنا في هذه السفرة المعيَّنة، فهذا من جملة ما خُصَّ به النبي ﷺ وخُصَّت به هذه الناقة وخُصَّت به هذه المرأة، لأن هذا وحيٌ أُوحي إليه ﷺ ولكن لا ينبغي أن نأخذ من هذا أن كل شيءٍ لعنه الإنسان من ماله فإنه يسيِّبه ويخرجه عن ملكيته، فكون الإنسان يلعن سيارته، أو يلعن شيئاً من ثيابه، أو يلعن شيئاً من طعامه، أو يلعن شيئاً من أثاثه؛ فإن هذا وإن كان قد ارتكب حراماً وأمراً لا يجوز وعليه التوبة إلى الله، لكن ليس هناك دليلٌ يدل على وجوب إخراج هذا الشيء الملعون عن ملكيته، وإنما تلك الناقة علم النبي ﷺ بالوحي أنها قد استُجيب فيها لعنة صاحبتها أو مالكتها

فهذا يُخص به تلك السفرة، وتُخص به تلك المرأة، وتُخص به تلك الناقة، ويُخص به صاحب الوحي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ويبقى هذا الحديث دالاً على حرمة لعن الشيء المملوك، ولكن ليس دالاً على تسييب الشيء المملوك وإخراجه عن ملكية الإنسان، والله أعلم.

i

٣٥٦. سئل الشيخ عن: امرأة قد دعت عليها والدتها بعدم التُوفِّيق لخطأٍ بسيط، تقول الآن هي تعاني في أي مجال بعدم التُوفِّيق حتى في مجال التحفيظ تجد مُضايقات ومشاكل، مع أنَّها مُتميزة وصاحبة خُلق، تقول هل عدم التُوفِّيق

---

(١)أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا برقم ((٢٥٩٦))

بسببِ هذه الدعوة وهل ينفع إستغفارُ الولدة ولو بعد حين؟

فأجاب – عفا الله عنه-: ينبغي للوالدين أن يتقيا اللهعزّ وجل- في أولادِهما ذكوراً أو إناثاً، وأن لا يكونوا سبباً في فسادِهم ولا في عقوقِهم ولا في تخلفِهم عن ما عليه إخوانِهم من بقية الناس بسببِ مرضٍ يصيبهم بسببِ دعاءِ الوالدين عليهم أو بسببِ داهيةٍ تُلم بهم بسببِ دعاءِ الأم أو الوالد عليهم.

فليتقوا الله في أولادِهم، ولا يجوز للوالدين أن يدعو على أولادِهم، هذا أمرٌ مُحرَّمٌ لا يجوز، لما في صحيح الأمَّام مسلم من حديثِ جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[1] والأصل في النهي أن يكون للتحريم ولا نعلم صارفاً يصرفُ هذا النهي عن بابه. فلا يجوز لك أيها الأبُ أن تدعو على أولادك، ولا يجوز لكِ أيتها الأم أن تُباشري الدعاء على أحدٍ من أولادكِ حتى لا يُوافق الدعاء ساعة إستجابة من الله–عزّ وجل– فيكون فيها تدمير لأولادكم أو لمن دعوتم عليه، وتخلفِهم عن إخوانِهم والناس يتسابقون، ويتطورون، ويتقدمون وهذا بسببِ شُؤم هذه الدعوة لا يزال في مكانهِ مريضاً، أو مشلولاً، أو مجنوناً، أو عقيماً، أو طريداً، شريداً، بعيداً، فاسقاً بسببِ دعاء والديهِ عليه.

ألا فليتقِ الله الوالدان في مثلِ ذلك حتى وإن غضب الوالد أو الوالدة لا يجوز أن ينفسوا هذا الغضب بالدعاء على أولاده، بل ينبغي الدعاء للأولاد بالهداية وسؤال الخير لهم، ولا يجوز الدعاء عليهم في صدرٍ ولا وِردٍ، والدعاء

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرَ برقم (٣٠٠٩ ((٣٠١٤))

على الولدِ بما فيه ضررٌ يُعتبر من الدعاءِ بالشرِ والاستعجال به والعياذُ بالله، فهو داخلٌ في قول اللهتبارك وتعالى-﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا﴾[الإسراء:١١]، فمن دعا على ولدِهِ فقد استعجل الشر ولذلك يقول الله-عزّ وجل-﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [يونس:١١]. قال بعض السلفِ هو قول الإنسان لولدِهِ أو ماله إذا غضب اللهم لا تبارك في هذا الولد، اللهم لا تبارك في هذا المال، اللهم لا تبارك في هذه الدابة، هذا هو الإستعجال بالشر، فينبغي للأم ولأبِ أن يكفوا عن الدعاءِ على أولادهم؛ لأنهم بذلك يدخلون في نهي النبيﷺ، فسيكون الوالدان آثمين بهذا الدعاء الذي لا داعية ولا حاجة له، لاسيما إذا كان الخطأ الذي وقع فيه الولد خطأً يسيراً لا يستوجب كل هذا الغضب أو الدعاء أو الحنق، وأن أعظم من يتحسر على فشلِ الأولاد وفسادهم أو أمراضهم إنَّما هم الوالدان. فإذا دعا الوالدان على أولادهم بالشر والضرر والأمراض فإن أول من يجنِ شؤم هذا الدعاء هم الوالدان لأن قلوبهم سوف تتقطع حسرةً على ما يرونهُ في ولدِهم من الضررِ والشرِ، سوفَ يندمون ندمًا عظيمًا إذا استجاب لله-عزّ وجل- دعاءهم في هذا الولد وأهلكه، أو أمرضه، أو أقعدهُ بالشلل، أو عاقبه بعقوقِ الأولادِ، أو بالعقم، أو بغيرها مما دعو على ولدهم به.

فاتقِ الله أيها الأب والأم فإن دعاء الوالد على ولدِهِ مُستجاب فليتقي الله ولا يدعو على أولاده إلا بما هو خير، اللهم أغفر لهم، اللهم اصلح قلوبهم، اللهم إهدهم، اللهم وفقهم، اللهم أجعلهم قرةُ عينٍ لي، وأمَّا الدعاء بالويل والهلاك والفجور فإنها من الأمور التي ينبغي أن يُنزِه الوالدان لسانهم عنها، فإن قلت وما المخرج من ذلك. فأقول المَخرج من ذلك أن يُعالج الشيء بمثلِهِ فكما أن

البنت قد أُصيبت بعدم التُوفِّيق بسببِ دعوة والدتها عليها فلتُكثر من دعاءِ الله–عزّ وجل–لها بالتُوفِّيق وأن يرفع عنها ما نزل بها، وأن تُكثر من استغفار الله–عزّ وجل– على فعلها ذلك الذي فعلته، وأن تتقِّ الله–عزّ وجل–في هذه البنت، وأن لا تكون حجرَ عثرةٍ في مستقبل هذه البنت بسببِ كثرة دعائها عليها فلتستغفر الأم ولتُكثر من دعاءِ الله–عزّ وجل–والإلحاح عليه أن يرفع ما نَزّل وأن يعافي البنت من عدم التُوفِّيق وأن تُكثر بدعاءِ التُوفِّيق لهذه البنت لعل الله–عزّ وجل– أن يستجيب لها، فإن من استجاب دعاء الوالدة في أمرٍ هو شر فسيستجيب دعاء الوالدة لهذه البنت في أمرٍ هو خير لأنَّ رحمته–عزّ وجل– قد سبقت غضبه، والله أعلم.

i

٣٥٧. سُئِلَ الشيخ عن: بعض الناس إذا نُصِح وذُكِّر بالله وخُوِّف بالنار يقول: أنا أريد أن أدخل النار، إما أن يريد أن يغيظ الناصح وإما أن يريد أن يضحك من حوله، فما حكم هذا القول؟

فأجاب – عفا الله عنه–: هذه من الألفاظ المحرمة التي لا تجوز شرعاً، وهي من فلتات اللسان التي قد توجب غضب الله عز وجل على العبد وهو لا يشعر، فيبقى الله عز وجل غاضباً عليه إلى يوم القيامة بسبب كلمة السوء التي نطق بها لسانُه، والعبد قد يتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً أو لا يعلم مبلغها فتكون سبباً أن يهوي بها في النار على رأسه سبعين خريفاً، أي: سبعين سنة.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ (وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.)، وفي رواية الإمام

البخاري: (يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) وعند مسلم (بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).[١]

فعلى من تلفظ بهذه الكلمة أن يراجع نفسه، وأن يندم على قولها، وأن يتوب إلى الله عز وجل التوبة الصادقة المستجمعة لشروطها عسى الله عز وجل أن يكفِّر عنه هذه الزلَّة الخطيرة، والله أعلم.

i

٣٥٨. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم خدمك الله أو خدمك المال والبنون؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين.

أما قوله خدمك الله فهذا محرم بالإجماع لا يجوز مطلقا فإن مرتبة الخدمة تتضمن أن المخدوم أعلى رتبة من الخادم فلا يجوز أبدا أن نقول ﴿خدمك الله﴾ هذا من الألفاظ المحرمة التي لا تجوز لأنها تنقص من مقام الربوبية والألوهية

واما قول القائل خدمك المال والبنون فلا بأس بها أنها دعاء بأمر لا يخالف شرعا والمتقرر في القواعد أن الأصل في الدعاء الحل والإباحة ما لم يتضمن اعتداء أو مخالفة شرعية والله أعلم.

i

(١)أخرجه البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٧) و(٦٤٧٨) ومسلم كتاب الزهد والرقائق بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ برقم (٢٩٨٨).

٣٥٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول: ساقتني الأقدار إلى كذا، أو شاءت الأقدار أن أقول كذا أو أن أفعل كذا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر في قواعد أهل السنة: حرمة نسبة المشيئة أو التدبير والتصريف للأقدار.

فلا يجوز للإنسان أن يقول: شاء القدر أو شاء القضاء، ولا يجوز للإنسان أن يقول: شاءت حكمة الله، فإن المشيئة الكونية إنما تُنسب إلى الله عز وجل، فلا يجوز نسبة المشيئة الكونية إلى القضاء ولا إلى القدر ولا إلى حكمة الله ولا إلى إرادته، وإنما تُنسب المشيئة الكونية إلى الله تبارك وتعالى، فتقول: شاء الله، وإياك أن تقول: شاء القضاء، شاء القدر، شاءت حكمة الله، شاءت إرادة الله، هذا لا ينبغي على ما قرره أهل السنة والجماعة من أن المشيئة الكونية من خصائص الله تبارك وتعالى، والله أعلم.

i

٣٦٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذه العبارة: يا غربة، كوني أكثر حنانا علينا هذه السنة، فأرواحنا مرهقة، وقلوبنا لم تأخذ ذواتها السنوية من الأهل والوطن.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد أن لا مُدبر لهذا العالَم ولا مُتصرف في أموره علوي وسفليه إلا الله عز وجل، فالله هو الذي يدبر أمور هذا العالَم، وهو الذي يتصرف فيها على الحقيقة، وهو الذي يدفع المضرات، وهو الذي يجلب الخيرات، وهو الذي يُقلِّب هذه الأيام، وبيده تدبير الدهر، لقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ((يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[١] وقد قَطَعَ الله عز وجل علائق تعلق القلب بشيء من هذه المخلوقات تدبيرا وتصريفا بقوله عز وجل ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، فلا يدبر أمور هذا العالم ولا يتصرف فيها علويها وسفليها على الحقيقة إلا الله. فلا الغربة تدبر شيئا، ولا السفر يصرِّف شيئا، وإنما ذلك بيد الله عز وجل، ولكن من المعلوم أنه يُتوسع في مسألة البلاغة أو الشعر ما لا يُتوسع في غيرها، فقول القائل يا غربة افعلي كذا أو يا غربة لا تفعلي كذا، هو ليس حقيقة في دعاء الغربة ولا الاستغاثة بها، ولا طلب المدد منها، ولا يدل ذلك على أن قلب الشاعر أو قلب المتكلم بهذا الكلام قد توجه للغربة، وإنما هذا من باب التوسع، فإذا كان قائله يَسلك هذا المَسلك فلا بأس به ولا حرج إن شاء الله، فقد ثبت أن كثيرا من الشعراء كانوا يخاطبون الليل ويخاطبون الشمس ويخاطبون القمر ويخاطبون النهار ويخاطبون كذا الحجر، وكل ذلك ليس من باب الخطاب لها حقيقة، وإنما يُنَزِّلون هذه الأشياء مَنْزلة من يصلح التخاطب معه، فهي من باب التوسع عند هؤلاء، فلا بأس بذلك، وأما إذا كان يقصد بقوله يا غربة أنه يدعو الغربة، أو يستغيث بها من دون الله عز وجل، أو يطلب منها شيئا من المدد أو تبديل الحال أو تغيير الحال، فلا جَرَمَ أن هذا من الشرك، ومن المعلوم المتقرر أن الإنسان إذا قال قولة تحتمل الشرك أو عدمه، فإن الأمر مردود إلى أصله، فإذا كان القائل لهذا الكلام مسلما فإن الأصل بقاء المسلم على إسلامه، ولا يجوز لنا أن نحكم

(١)أخرجه البخاري كتاب التفسير باب وما يهلكنا إلا الدهر برقم (٤٨٢٦) ومسلمكِتَابُ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ برقم(٢٢٤٦)

عليه بشيء من الشرك أو الخروج عن الملة بمجرد الشيء المشكوك فيه، ولكن نُحرِّم هذا الكلام عليه ونقول لا تعد له مرة أخرى وأما أن نحكم عليه بشيء من الشرك أو غير ذلك فهذا لا يجوز.

والخلاصة من هذه الفتيا: أنه إذا كان قد سلك مسلك الشعراء في مثل هذا التوسع، فلا بأس عليه إن شاء الله، وأما إذا كان يقصد حقيقة النداء للغربة والاستغاثة بها وطلبها من دون الله عز وجل فهذا شرك، والله أعلم.

i

٣٦١. سُئِلَ الشيخ عن: صحة مقالة (أهدتني الحياة نورًا بعد الألم)؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين

المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تقبل مطلقًا ولا ترد مطلقًا وأنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد وقول الإنسان أهدتني الحياة لا يخلو من حالتين:

إما أن يكون إهداء خلق أو تقدير أو تدبير أو تصريف بمعنى أنه يجعل للحياة خلقًا وتقديرًا وتدبيرًا وتصريفًا من عند نفسها استقلالًا فهذا شرك أكبر في الربوبية لأن كل من اعتقد في مخلوق تدبيرًا أو تصنيفًا أو قضاءً وقدرًا أو خلقًا استقلاليًا ابتدائيًا فإنه قد جعله شريكًا مع الله عز وجل في أخص خصائصه وهي الخلق والتدبير والتصريف فإنه لا خالق على الحقيقة ابتداءً إلا الله ولا مدبر على الحقيقة ابتداءً إلا الله ولا متصرفًا في ذرات هذا العالم ابتداءً على الحقيقة إلا الله، فالحياة لا تملك ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا تدبيرًا ولا نشورًا فإذا كنت تقول أهدتني الحياة أي إهداء خلق أو تدبير أو تصريف

ابتدائي استقلالي فهذا شرك أكبر، وأما إذا كنت تقصد بقولك أهدتني الحياة يعني أنني أخذت منها العبرة والعظة ونحو ذلك مما تعلمت منه دروسًا فهي محل للتعلم ومحل للاتعاظ ومحل للادكار ومحل لأخذ الدروس والمواعظ والعبر فإنه لا بأس به ولا حرج وعلى ذلك قول بعض الناس هكذا علمتني الحياة فلا بأس بذلك إذا كنت تقصد أنها محل للأمل، ومحل للألم ومحل للتعليم ومحل للتعرف على سنن الله الكونية ومحل لمثل هذا الاتعاظ والاعتبار فأنت تعتقد أن الحياة لا تملك لا تدبيرًا ولا تصريفًا ولكنها محل لتدبير الله وتصريفه فهذا لا بأس به ولا حرج فإن كنت تقصد به المعنى الأول فحرام وشرك وإن كنت تقصد به المعنى الثاني فجائز لا بأس به والله أعلم.

i

٣٦٢. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز قول حديث المسيء صلاته، وهل فيه إساءة وعدم أدب مع الصحابي؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

مثل هذه الإطلاقات ينبغي أن يُنظر لها باعتبار معانيها، فإنها إطلاقات قد تواترت في كتب أهل العلم، فلا يزال أهل العلم يصفون هذا الحديث بقولهم حديث المسيء في صلاته، فلا بأس بهذا الإطلاق باعتبارٍ، ولكن يحرم إطلاقه باعتبار آخر، لأن المتقرر في القواعد أن مثل هذه الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، لا نقبلها مطلقا ولا نردها مطلقا، وإنما نوقفها على الاستفصال، حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد، ثم يجب علينا بعد ذلك من باب الاعتذار لأهل العلم أن نحمل كلامهم على المعنى الحق، ونصون

كلامهم عن المعنى الباطل، فإن قلت لي فَصِّل لنا أكثر، فأقول إن قولهم المسيء في صلاته، إذا كانت من باب التعريف فلا بأس، وإن كانت من باب التعيير فحرام، فإذا قلنا في هذا الصحابي بأنه قد أساء في صلاته، فإن كنا نقصد بذلك التعريف بهذا الحديث، فنقول حديث المسيء في صلاته، وحديث صفة الحج، وحديث الديات، وحديث كذا وكذا، فهذه سياقات أطلقها العلماء من باب التعريف فقط، فهي سياقات من باب التعريف، كقولهم حديث الغلامين، حديث المرأتين، ونحو ذلك، فهذا لا بأس به، والأصل فيه الجواز، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، ونحن إنما نقصد بهذه الوسيلة وأعني بها تسمية الحديث بحديث المسيء في صلاته، نقصد بها تسمية التعريف، لا تسمية التعيير والقدح والتثريب على هذا الصحابي، وهذا كقول النبي ﷺ أصدق ذو اليدين؟ فهل يقصد به تعييره بيديه؟ أم يقصد التعريف به؟ الجواب يقصد التعريف به، وكقول عمران بن حصين صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فصلى ثلاثا ثم سلم ثم نهض فدخل منزله، ثم قام رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول، فهذا من باب التعريف لا من باب التعيير، ويتوسع في باب التعريف ما لا يتوسع في غيره، بل إن العلماء أجازوا ذكر الإنسان الغائب إذا كان المقصود من ذكره التعريف، ألا ترى أن العلماء لا يزالون يسمون سليمان بن مهران بقولهم الأعمش، وهذا عيب في عينيه، ولكنهم لا يقولونه تعييرا، وإنما يقولونه تعريفا به، ولا يزال أهل العلم يسمون إسماعيل ابن عُلَيَّة مع أن علية اسم أمه وليس اسما لأبيه، فهل ينسبونه لأمه تعييرا أو تعريفا؟ الجواب من باب التعريف، وقد كان الإمام الشافعي من باب احتياطه يقول حدثنا فلان عن فلان قال عن إسماعيل الذي يقال له ابن علية من باب اتقاء هذا الأمر المتشابه، والشاهد من ذلك أننا إذا قلنا حديث المسيء في صلاته، فإننا

لا نقصد به التثريب على هذا الصحابي، ولا تعيير هذا صحابي، ولا يتضمن ذلك قلة الأدب مع هذا الصحابي الجليل، حتى يُنكَر علينا قولنا هذا، وإنما نقصد به التعريف، هذا من باب التفصيل لما أُجمل وإعطاء كل ذي حق حقه، فإنْ قيل تعريفا فلا بأس به، وإن قيل تعييرا وقدحا فهو محرم، ثم أقول وفقكم الله عز وجل، في سنن أبي داود بإسناد صحيح لغيره من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ، وَفِي مُؤَخَّرِ الصُّفُوفِ رَجُلٌ، فَأَسَاءَ الصَّلَاةَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللهَ؟ أَلَا تَرَى كَيْفَ تُصَلِّي؟ إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا تَصْنَعُونَ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ)[1]. فقوله فأساء الصلاة، لا يعني أنه ارتكب المعصية التي تقدح في إيمانه، أو تقدح في دينه أو تقدح في توحيده، وإنما معناها أخطأ في صلاته، فإذا قلنا حديث المسيء في صلاته فلا نقصد بها الإساءة المقصودة، ولا نقصد به الإساءة المتعمدة، ولا نقصد بها الإساءة التي يترتب عليها حكم الفسق أو الخروج من الصحبة، ولا نقصد الإساءة التي تتضمن إهدار منزلة الصحبة، أو الوقوع فيه، وإنما نقصد به وقوع الخطأ في الصلاة، وهل الصحابي هذا معصوم؟ بمعنى أننا إذا وصفناه بشيء من الخطأ في صلاته، يكون في ذلك قدحا في دينه وتوحيده؟ الجواب لا، فلا ينبغي أن نحمل الإساءة في قولنا حديث المسيء في صلاته على الإساءة التي تتضمن الحكم بالفسق، أو القدح في الدين والتوحيد والإيمان، وإنما نقصد بها الإساءة المرادفة للخطأ، وليس أحد معصوما بعد النبي ﷺ، فإذا فهمتم هذين الأمرين خف الحال إن شاء الله، والله أعلم.

---

(١)أخرجه أحمد برقم (٩٧٩٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم في الصلاة بَاب الْأَمْرِ بِتَحْسِينِ الصَّلَاةَ وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوعِ فِيهَا برقم((٤٢٣))

i

٣٦٣. سُئِلَ الشيخ عن: شرح هذه المسألة: الفناء ثلاثة أقسام؟ فناء عن وجود السواء، وفناء عن شهود السواء، والفناء عن عبادة السواء.

فأجاب – عفا الله عنه– الحمد لله رب العالمين وبعد،

هذه من المصطلحات التي ابتلى الصوفية أهل السنة والجماعة بها، ويعنون بها معنى محتملا مجملا فيه حق وباطل، فأراد أهل السنة والجماعة أن يميزوا ويفصلوا هذه المعاني الباطلة، من المعاني الصحيحة، حتى يعطوا كل ذي حق حقه، فالصوفية يقولون الفناء عن وجود السوى، وبعضهم يقولون الفناء عن شهود السواء، وبعضهم يقولون الفناء عن عبادة غير السواء، فأتاهم أهل السنة والجماعة فقالوا إن مسألة الفناء في الشيء هي بذل الجهد فيه، ولذلك إذا جلس الإنسان يعمل طيلة حياته فيقولون أفنى حياته في العمل، وعليه قول النبي صلى الله وسلم: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه. أي فيما وضع عمره فيه من الأعمال قولية أو عملية، فالصوفية يرون أن التوحيد الأعظم الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب هو توحيد الربوبية، بمعنى أنهم يعتقدون أن هذا التوحيد هو أعظم المطالب الدينية الشرعية على الإطلاق، ومنهم طائفة يقال لها أتباع ابن عربي صاحب الفصوص، ذلك الوجودي الملحد الذي يعتقد أن هذا العالم هو عين الله عز وجل، فليس هناك ذاتان منفصلتان، وإنما الله هو عين هذا العالم، وهذا العالم هو عين الله عز وجل، فحيثما وقعت عينك على شيء فإنها تقع على الله عز وجل، فهم يفنون أي يقطعون أعمارهم عن شهود السوى، بمعنى أنهم

يزعمون أن كل شيء تراه فإنما هو الله عز وجل، ويقصدون بقولهم السواء أي سوى الله عز وجل، فكل شيء يرونه من سماء فإنما يرون الله، أو أرض فإنما يرون الله، أو جبال فإنما يرون الله، فهم يفنون أعمارهم في رؤية الله عز وجل، ولا يرون غير الله أي لا يرون غير السواء، أي لا يرون سوى الله عز وجل، وهذه الطائفة الملعونة الكافرة التي أجمع المسلمون على كفرها، يزعمون أن فرعون كان صادقا لمَّا قال ما علمت لكم من إله غيري، ويصححون عبادة والأوثان، لأن الأوثان هي عين الله، والله هو عين هذه الأوثان، ويجوزون جماع الأخت لا فرقان بينها وبين الزوجة في الباطن وإن اختلفت الصور في الظاهر، بل ويجوزون نكاح الأم ونكاح المحارم، ويجوزون شرب الخمر إذ لا فرق بينها وبين الماء، فيقولون إن هذا العالم وإن اختلفت صوره إلا أنه عين واحدة، فحيث ما وقعت عينك على شيء فإنما تقع على الله عز وجل، نعوذ بالله من ذلك، وهذا مذهب كفري وثني إلحادي قد حكم العلماء على معتنقيه بالكفر والمروق من الملة بالكلية، فجاء أهل السنة وفصلوا في مسألة الفناء، فقالوا إن الفناء منه ما يقبل ومنه ما يرد، وخلاصته أنه إذا كان فناء يفضي إلى الوقوع في المفاسد الشرعية، فإنه يعتبر فناء محرما، كالفناء الذي تزعمه الصوفية في الفناء في مقتضيات الربوبية ظنا منهم أنه هو التوحيد الأعظم، وكفناء أصحاب النظرة الوجودية الملحدين أن كل شيء تراه عينك وتقع عليه وتمسه يدك فإنما هو الله عز وجل، فهذان الفناءان فناءان بدعيان، لا يجوز للإنسان اعتقاد شيء منهما، بل إن فناء الوجودية فناء كفري شركي والعياذ بالله، فجاء أهل السنة بفناء ثالث وهو الفناء الشرعي، وهو الفناء عن عبادة غير السواء، بمعنى أن تشغل وقتك في عبادة الله عز وجل، فتعمر حياتك بعبادة الله عبادة قولية عملية قلبية ظاهرية أو باطنية إذا كانت مشروعة على

وفق الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، فنحن نقضي حياتنا ونفنيها في عبادة الله عز وجل، فلا نعبد إلا الله، وهذا هو معنى حقيقة لا إله إلا الله، فصار الفناء في مقتضيات الربوبية فقط فناء بدعي صوفي، والفناء عن شهود غير السوى بمعنى أن الله هو عين هذا العالم، وأن العالم هو عين الله، هذا فناء شركي إلحادي وثني، وأما الفناء عن عبادة غير الله عز وجل فهذا هو الفناء الشرعي، فنحن لا نعبد صنما ولا نعبد شجرا ولا نعبد حجرا، بل عبادتنا لله عز وجل، فنحن أفنينا أعمارنا في ترك عبادة غير الله، وعمرناها بعبادته عز وجل، فالفناء المقبول هو فناء التعبد لله عز وجل والاشتغال عن عبادة غيره بعبادته، والله أعلم.

i

٣٦٤. سُئِلَ الشيخ عن: هل دل الدليل أن من سرح لسانه في أعراض الناس سبب لمنع اللسان عن الشهادة عند الموت؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا جرم أن تسريح اللسان في أعراض الناس بغيبتهم ونميمتهم وسبهم وشتمهم

ومخاطبتهم بالبذائة وفُحش الكلام معهم من الأمور التي حرمها الإسلام تحريمًا قطعيًا، وهي من جملة آفات اللسان الخطيرة التي ينبغي للإنسان أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ وأن يحذر منها الحذر الشديد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[النور:٢٤-٢٥].

ويقول النبي ﷺ: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))(١).

ويقول ﷺ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟))(٢). وفي الحديث الذي يروى عنه ﷺ: ((مَنْ صَمَتَ نَجَا))(٣).

وقال ﷺ: ((من مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ))(٤).

ويقول ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ))(٥).

ويقول ﷺ: (فإن دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨) برقم:[٦٤٧٨].

(٢)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٦٣]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٤/٢) برقم:[٣٩٧٣]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ](١٢/٥) برقم: [٢٦١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣/٢) برقم: [٥١٣٥].

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٩/١١) برقم: [٦٤٨١]، وأخرجه الترمذي في «سننه» (٦٦٠/٤) برقم: [٢٥٠١]، وأخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط» (٢٦٤/٢) برقم: [١٩٣٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٨٩/٢) برقم: [٦٣٥٦].

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ] (١١/٨) برقم: [٦٠١٨]، وأخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ باب: [الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ، وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنِ الْخَيْرِ وَكَوْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ الْإِيمَانِ](٦٨/١) برقم: [٤٧].

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠٠/٨) برقم: [٦٤٧٤].

يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فإن الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)[1].

ويقول ﷺ: (مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ)[2] أو كما قال ﷺ، وقد أجمع العلماء على حرمة الغيبة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢]. والأدلة في وجوب حفظ اللسان والتحذير من الوقوع في شيء مما غبت آفاته كثيرةٌ جدًا قد تواترت في النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة.

فلا يجوز للمسلم أن يُعمل لسانه في أعراض الناس، ولا يجوز له أن يجعل لسانه سوطًا يضرب به ظهور الناس في أكل لحومهم، وفي النميمة عليهم، وفي سبهم، وشتمهم، وقول الفحش، وإيذاء المسلمين بلسانه، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده هذا أولًا، ولابد من الانتباه والاهتمام به سواء وردت عقوبة تحجز لسان المغتاب والمنتهك للأعراض عند الموت عن النطق بالشهادة أو لم ترد فالأمر حرام سواء وردت هذه العقوبة الخاصة أو لم ترد هذه العقوبة الخاصة، فافهموا هذا جيدًا وفقكم الله.

---

(١) () متفق عليه: أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ﴾] (١/ ٢٤) برقم: [٦٧]، وأخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ باب: [تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ] (٣/١٢٠٥) برقم: [١٦٧٩].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/١٩٠) برقم: [١٦٥١]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [في الْغِيبَةِ](٤/٢٦٩) برقم: [٤٨٧٦]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/١٥٤) برقم: [٣٥٧]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/٤٣٩) برقم: [٢٢٠١].

الأمر الثاني: المتقرر عند العلماء: أن العقوبات لابد فيها من أدلة العقوبات لا يجوز لنا أن نُثبت عقوبةً شرعية على عمل معين إلا وعلى هذا الإثبات دليل من الشرع ولا أعلم في الحقيقة دليلاً شرعيًا لا من الكتاب ولا من السنة ينص على عين ما ذكره الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى وغفر له هو وعامة علماء أهل السنة والجماعة ليس هناك دليل لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة يثبت ذلك، وإن ورد شيئًا من ذلك فلا أظنه يصح عن رسول الله ﷺ، ولكن انتبه للأمر الثالث، وهو أن نقول: إن المتقرر عند العلماء: أن العقوبات من جنس الأعمال، فإذا فعل الإنسان شيئًا من المعاصي فإن الأدلة الكثيرة دلت على أن عقوبته تكون وفاقًا لعمله كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ:٢٦]. ويقول النبي ﷺ: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ. إِنَّ عَلَى اللَّهِ، عز وجل عَهْدًا، لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ:عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ. أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ)[(١)]. وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)[(٢)]

فلو نظرت إلى العقوبات الشرعية في الآخرة لوجدتها من جنس الذنب الذي ارتكبه الإنسان، وبناءً على ذلك: فربما يُخاف من غير جزم لكن يُخاف على أن من أطلق لسانه في أعراض الناس ولم يجعل له قيدًا أن يقيده الله عَزَّوَجَلَّ عند موته عن النطق بالشهادتين هذا مما يخشى ويخاف لأن العقوبات الشرعية من جزاء

(١) أخرجه البخاري باب: [آنية الفضة] برقم: [٥٦٢٤]، وأخرجه مسلم باب: [تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ أَوَانِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.] برقم: [٢٠٦٥].

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٥٤٣٥)، والنسائي (٦٨٤٣)، وابن ماجة (٣٤١٣)، ومالك (٢٦٧٦)، وابن أبي شيبة (٢٤٦١٣)، وأحمد (٢٧١٠٣)، والدارمي (٢٢٦٨)، وأبو يعلى (٦٨٨٢)

الأعمال والذنوب والمعاصي، فالعبد يُجازى بجنس ذنبه فالذي يُطلق لسانه في الحرام يُمسك لسانه عن النطق بالشهادتين قبل الموت، هذا لا نجزم به جزمًا ولكننا نخشى أن تكون عقوبته عند الموت هي هذه العقوبة، فالواجب: الحذر الشديد من آفات اللسان، ومن إطلاقه في أعراض الناس عافانا الله وإياكم من آفات ألسنتنا، وغفر الله ذنوبنا وتقصيرنا في حفظها، والله أعلم.

i

٣٦٥. سُئِلَ الشيخ عن: صحة هذه المقالة وهي -ليتنا لم نعصي الله أبدًا-؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،

نعم هذا لا بأس به ولا حرج لأنه من تمني الخير و -لو، أو لولا أو، يا ليتنا- ونحوها من الألفاظ هذه إذا وردت في تمني الخير فإنه لا بأس بها ولا حرج فقول الإنسان ليتني لم أعصي الله استشعارًا لعظيم تقصيره في جنب الله عز وجل وليس متسخطًا على قضاء الله وقدره وإنما من باب الاعتراف بعظيم تقصيره في حق الله عز وجل وعظيم تفريطه في جنب الله تبارك وتعالى هذا لا بأس به ولا حرج وقول الإنسان لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما عصيت الله فأيضاً هذا من باب تمني الخير فإذا تحسر الإنسان على معصية فاتته وقد فعلها فتحسر على فعلها أو تحسر على مأمور فاته وتحسر على فواته فهذا من باب التحسر على فوات الخير وإذا كان الإنسان متحسرًا على فوات الخير فيجوز له أن يقول لو كقول النبي ﷺ - لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً-[1] ويجوز له أن يقول لولا ويجوز أن يقول ليتني

---

(١)متفق عليه: البخاري برقم (١٦٥١)ومسلم برقم (١٢١٦)

كل ذلك إذا قيل في باب التحسر على فوات الخير فإنه لا بأس به ولا حرج وبناءً على ذلك فقول الإنسان ليتني لم أعص الله هذا من باب التحسر على ارتكاب هذا الذنب والمعصية ومن باب الاعتراف بعظيم التقصير في جنب الله والتفريط في حقه فهذا من الخير ومن الندم الذي يحبه الله عز وجل فلا بأس به ولا حرج والله أعلم.

i

٣٦٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم بعض الألفاظ كـ(خير يا طير)؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا من الألفاظ التي لا تنبغي ولا يجوز للمسلم أن ينطق بها لأنها مستمدة من تلك العقيدة الجاهلية الوثنية وهي التطير بالطيور وقد كان من عادة الجاهلية قبل الإسلام أنهم كانوا يتطيرون بأنواع كثيرة من الطيور فقد كانوا يتطيرون بالرخمة (النسر)، وقد كانوا يتطيرون بالبومة، وقد يتطيرون بالهدهد، وقد كانوا يتطيرون بالغراب، فكان بعضهم إذا أراد سفرا أو أراد زواجا أو أراد الذهاب في تجارة أو نحوها كانوا ينظرون إلى هذه الطيور وإلى طيرانها يمينا أو شمالا أو أماما أو خلفا فكل ذلك من العقائد الجاهلية فإذا رأى الإنسان شيئا يكرهه أو يضيق صدره منه ثم يقول خير يا طير يعني أن هذا من باب أنه يتشاءم بهذا الأمر الوارد

فهذه كلمة موروثة من تلك العادات الجاهلية فالواجب على الإنسان أن يتركها فإن الله عز وجل بيده زمام هذا الكون فلا يجلب الخيرات إلا الله ولا يدفع المضرات إلا الله ولا يملك الضر والنفع إلا هو عز وجل فالطيور من جملة

المخلوقات التي لا تملك لا نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا فهذه الكلمة مستمدة من تلك العادة الجاهلية الوثنية وجاء الإسلام بتحريم الطيرة بكل أنواعها ومختلف أشكالها سواء التطير بشيء مرئي أو بشيء مسموع أو التطير بزمان أو بمكان كل ذلك مما جاء به مما جاء الإسلام بمنعه والتحذير منه ففي الصحيح يقول النبي ﷺ قَالَ: (لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ، وَلَا هَامَةَ)[1]وكذلك يقول النبي ﷺ (الطيرة شرك) ويقول ﷺ (ليس مِنّا مَنْ تَطيَّرَ أوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أوْ سُحِرَ لَهُ)[2] وإذا وجد الإنسان في نفسه شيئا من ذلك وقد لا يخلو قلب إنسان من شيء ولو يسير من ذلك فعليه أن يدافعه بحسن الظن بالله عز وجل وكمال التوكل وتذكير النفس بأنه لا يملك أحد النفع ولا الضر على وجه الحقيقة إلا الله عز وجل وأن يسلي نفسه ببعض الأوراد الشرعية الواردة في مثل ذلك كقول ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: (أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)[3] وكقول ((اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا رَبَّ غَيْرُكَ))[4] ونحو تلك الألفاظ الواردة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والخلاصة أن هذه الجملة خير يا طير لا يجوز للمسلم أن يقولها لأنها امتداد وإحياء لتلك العادات الوثنية الجاهلية التي يجب إخمادها وتحذير الناس منها

---

(١)متفق عليه: البخاري برقم (٥٧١٧)ومسلم برقم (٢٢٢٠).

(٢) أخرجه البزار (٣٥٧٨) واللفظ له، والدولابي في ((الكنى والأسماء)) (٢٠٨٣)، والطبراني (١٦٢/١٨) (٣٥٥) وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣٠٤١).

(٣)أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٩) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (١٦١٩).

(٤)أخرجه أحمد برقم (٧٠٤٥).و حسنه الألباني في الصحيحة برقم ١٠٦٥

والله أعلم.

i

٣٦٧. سُئِلَ الشيخ عن: العبارات الشائعة هذه الأيام كقول أحدهم إذا رأى شيئا جميلا أو سمع خبرا سعيدا بالنسبة له قال لقد صنع هذا الشيء يومي أو الخبر يومي فما حكم التلفظ بهذه العبارة؟ أحسن الله إليكم.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد...

إن المتقرر في القواعد :استحباب الفأل، فكل كلمة تدفع النفوس إلى العمل والإنتاج فإنها محبوبة؛

ولذلك النبي ﷺ كان يحب الفأل ويكره التشاؤم، والفأل هي الكلمة الطيبة التي ترفع من همة وعزيمة الإنسان وتعينه على القيام بأعماله.

فإذا كان الإنسان ذا همة فاترة ثم سمع كلمة قوت عزيمته فإنها لا جرم أنها تصنع يومه بالجد والاجتهاد والنشاط وعدم الفتور والكسل في القيام بمصالح الدين والدنيا.

فاذا كان مقصود السائل بكلمته ﴿أن هذه الكلمة صنعت يومي﴾ يعني أنها كانت سبباً لقوة عزيمتي فلا بأس لأنها كلمة من كلمات الفأل كان النبي ﷺ يحبها. فلا حرج في ذلك باعتبار هذا المعنى... والله أعلم.

i

٣٦٨. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز أن نقول لفلان أنت lؤمن؟ وما المراد من قوله

تعالى ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤] أحسن الله اليكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين...

لا بأس أن نطلق الإيمان على أحد إذا ظهرت منه قرائن الإيمان فنقول أنت مؤمن. ولكن قولنا أنت مؤمن لا يخلو من حالتين إما أن نقصد به أصل الإيمان فهنا لا نقرنه بالمشيئة من باب إحسان الظن بأخينا. وأما أن نقصد به الإيمان المطلق الكامل فهنا لابد أن نقرنه بالمشيئة لأن هذا خبر عن أمر غيبي والإخبار عن الأمور الغيبية لا يجوز الجزم بها ولا القطع بها وإنما لابد وأن تعلق بقولنا ﴿نحسبك كذلك﴾ و﴿الله حسيبك﴾ و﴿لا نزكي على الله أحدا﴾ أو أن نقول ﴿أن شاء الله﴾، بمعنى أننا نعلقها بكلمة أو بأمر يرد فيه العلم إلى الله عز وجل. فإن كنا نقول لغيرنا أنت مؤمن ونقصد إثبات أصل الإيمان فلا نعلقها بالمشيئة. وإن كنا نقول لغيرنا أنت المؤمن ونقصد به الإيمان الكامل فلابد أن نعلقه بالمشيئة للعلة التي ذكرتها لكم. وفي كلا الحالتين لا ينبغي قول ذلك في وجه أحد نعلم أو يغلب على ظننا أنه سيقع فيه العجب أو الغرور أو الكبرياء أو التعالي بهذا المدح.

فهذا جوابي على حكم أصل إطلاقها وذكرت لكم حال إطلاقها على رجل قد يقع في شيء من العجب أو الغرور فلا يجوز حينئذ لأننا سنكون أعواناً للشيطان عليه.

و أما المراد بقول الله ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤] وذلك أنهم قالوه في بداية

إسلامهم لم يعملوا شيئاً من مقتضيات الإيمان التي ترفعهم من درجة الإسلام إلى درجة الإيمان. فإن الإيمان متى ما اجتمع على الإسلام صار الإيمان درجة أعلى من الإسلام. فكل مؤمن فهو مسلم وليس كل مسلم مؤمنا وهذا مما يدل على أن لفظ الإسلام والإيمان من الألفاظ التي إذا اجتمعت افترق معناها واذا افترقت اجتمع معناها. فلما ذكر الاسلام والإيمان في هذا النص دل ذلك على أن الإسلام هو هذه الاعمال الظاهرة.

وأن الإيمان هو ذلك العمل الباطن وأن الإنسان في بداية النطق بالشهادتين إنما يوصف بالإسلام فإذا ترقى مع مرور الأيام في مدارج التعبدات ارتقى من وصف المسلم إلى درجة المؤمن. ثم إذا ارتقى في درجات الإيمان ومعرفة الله حتى صار يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فالله عز وجل مطلع عليه حينئذ يرتقي من درجة الإيمان إلى الإحسان فكل محسن فهو مؤمن ولا عكس وكل مؤمن فهو مسلم ولا عكس والله أعلم.

i

٣٦٩. سُئِلَ الشيخ: ينتشر بين الشباب في بلدهم إذا رأى شيئا يتعجب منه يقول ﴿يا دين أمي﴾ فما حكمها؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله. رب العالمين.

المتقرر في القواعد أن العادة محكمة.

والمتقرر في القواعد أن الأصل في العادات الحل والإباحة إلا فيما خالف النص.

والمتقرر في القواعد أن كلام العامة يحمل على عرفهم الدارج.

وذلك لأن الحقائق تنقسم إلى ثلاثة أقسام عند أئمة الأصول رحمهم الله تعالى. وهو من أهم المباحث التي ينبغي لطالب العلم عند الإفتاء أي يتعرف عليها حتى يعطي كل حقيقة حقها من الأحكام الشرعية. فالعلماء قد قسموا الحقائق إلى ثلاثة أقسام إلى حقائق شرعية وإلى حقائق لغوية وإلى حقائق عرفية؛ فالحقيقة الشرعية هي استعمال اللفظ فيما وضع له شرعًا. والحقيقة اللغوية هي استعمال اللفظ فيما وضع له لغةً. والحقيقة العرفية هي استعمال اللفظ فيما وضع له عرفًا. وفائدة هذا التقسيم أن نعطي اللفظ حقيقته التي عهدت عن هذا المتكلم. فإذا. كان المتكلم هو الشرع فإننا نقدم في حقه الحقيقة الشرعية ولكن إذا كان المتكلم هم أهل العرف أبي وأبوك وأمي وأمك. وأهل بلادي وأهل بلادك. فهنا لا يجوز أن نحمل كلامهم على الحقائق اللغوية وإنما نحملها دائما على الحقائق العرفية المعهودة بينهم. وعلى ذلك أي على هذا الأصل وهو تقديم الحقيقة العرفية في كلام الناس على الحقيقة اللغوية نجيب السائل وهي أن هذه الكلمة درجت عند أهل مصر الحبيبة حفظهم الله عز وجل من أولهم إلى آخرهم. ووفقنا الله وإياهم لكل خير. وثبتنا وإياهم على الحق وكفانا وإياهم والمسلمين جميعا كل ضر وكل شر. قد جرى عرفهم بأنهم إذا رأوا الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه يقول أحدهم يا دين أمي.. فهو لا يقصد أن يدعو دين أمه ولا أن يبتهل بدين أمه ولا يقصد أي معنى آخر وإنما لا يقوم في قلبه عند نطق لسانه بهذه اللفظة إلا مجرد التعجب فهي كلمة تعجب والذي أخرجها عن حيز ها اللغوي إلى ذلك المعنى هو الاستعمال العرفي فهذه الكلمة صارت عرفا وعادة عند أهل هذه المحلة أو هذا أو هذه البلاد أنها كلمة تعجبية فهي

كلمة يغلب عليها طابع العرف. ولذلك نخرجها على قاعدتنا العادة محكمة والأصل في العادات الحل والإباحة ما لم تخالف دليل الشرع. فلا أرى فيها بأسًا. إن شاء الله والله أعلم.

i

٣٧٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم شورك وهداية الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله...

هذا من الألفاظ العرفية الدارجة على ألسنة كثير من الناس ويقصدون بها أمرين:

الأمر الأول: أن قائلها يحتاج إلى مشورة غيره من أهل الحكمة والحصافة والرأي السديد.

والشيء الثاني: أنه مفتقر إلى هداية الله عز وجل وتوفيقه. في المضي أو الإحجام عن هذا الأمر.

إما أن يمضي بهداية لله أو أن يحجم بهداية الله ومن أجل ذلك فلا بأس بقول هذه الكلمة ولا حرج فيها إن شاء الله إذ الإنسان مأمور باستشارة إخوانه ليستدل بمشورتهم على خير الأمرين له، إما الإمضاء أو الترك لقول الله عز وجل ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله عز وجل ﴿وَأَم-رُهُم- شُورَىٰ بَي-نَهُم- وَمِمَّا رَزَق-نَٰهُم- يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] ومنهج الاستشارة قد تكلمنا عليه في موضع آخر والإنسان مفتقر كذلك إلى هداية الله وتوفيقه لخير الأمرين،

ولذلك شرع للإنسان أن يستخير بالصلاة

صلاة الاستخارة فالإنسان محتاج إلى مشورة إخوانه وإلى هداية ربه.

فقول الإنسان شورك وهداية الله يعني أنه مصرح بافتقاره لهذين الأمرين فلا بأس بذلك ولا حرج فيه إن شاء الله، ولكن لو أنه قال مثلا هداية الله ثم شورك أو هداية الله وشورك فقدم ما يخص الله على ما يخص المخلوقين لكان ذلك أفضل وأولى والله أعلم.

i

٣٧١. سُئِلَ الشيخ عن: قول العامة (شورك وهداية الله) هل داخل في النهي عن تشريك غير الله بالله والعطف بالواو الدالة على المساواة؟؟

فأجاب – عفا الله عنه– :–

بالنسبة لقول (شورك وهداية الله) هذه كلمة عامية لها معنى صحيح وهم يقصدون بها أعطني شورك ثم الأمر في نهايته إلى هداية الله تعالى وتوفيقه وتسديده فهي كما في قوله تعالى ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فجعل التوكل بعد المشاورة والعزم فلا حرج في قولها.

والشريعة قد أمرت المؤمنين بالتشاور، وجعلته من صفات المؤمنين ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] وكان النبي ﷺ كثير المشورة لأصحابه ولو قالو شورك ثم هداية الله لكان أولى أو قالوا (هداية الله ثم شورك) أيضا لكان أولى.

وأما قول (شورك وهداية الله) فلها معناها الصحيح ولا حرج فيها وليس هذا من ألفاظ التشريك الممنوعة وليست موهمة بذلك حتى نقول بمنعها. والله أعلم ..

i

٣٧٢. سُئِلَ الشيخ عن: صحة قولهم: (الإنسان حيوان ناطق)؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين

المتقرر في القواعد أن كل ما تحله الحياة الحيوانية فإنه حيوان. كما قال الله عز وجل ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي: لهي الحياة الحقيقية. فكل شيء تحله الحياة الحيوانية فإنه يسمى حيوانًا. وبناء على ذلك فإن كثيرا من المناطقة والفلاسفة. يعرفون الإنسان بإنه حيوانٌ ناطق. فقولهم حيوان لا يقصدون به دآبة وإنما يقصدون به أنه تحل فيه الحياة. ولكن بما أن الحيوان لفظ دارج عرفًا باطلاقه على الدآبة. فلا ينبغي في هذا الزمان أن نتعامل بهذا التعريف؛ لأن الناس إنما يفهمون من لفظ الحيوان الدابة.

والله عز وجل يقول ولقد كرمنا بني آدم. فبما أنه إطلاق قد يفضي إلى فهم خاطئ فالواجب أن نتوقف عن هذا الإطلاق ونعرِّف الإنسان بالتعريف الذي يتناسب مع تكريمه البشري الإنساني والله أعلم.

i

٣٧٣. سُئِلَ الشيخ عن: صحة هذه العبارة: عملت اللي علي والباقي على الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذه الكلمة وإن كانت كلمة لا بأس بها ويُقصَد بها معنىً صحيحًا إلا أنها لا تنبغي كذلك فالإنسان عليه أن يفوض أمره من أوله إلى آخره لله عز وجل ولا يقسم أموره إلى قسمين قسم عليه وقسم على الله فيقول أنا عملت اللي علي يعني كأنه وفَّى بالقسم الذي عليه وبقي القسم الذي على الله مع أن الناس لا يقصدون ذلك ولذلك أقول إنهم يقصدون بها معنىً طيبًا وهي أنه يقصد بها أنني فعلت ما أمرت به شرعا من تحقيق الأسباب وبقي الذي على الله وهو ترتيب آثار هذه الأسباب على هذه الأمور والوسائل التي طرقتها فهو معنى صحيح ولكن حتى في قيامك بالأسباب من الذي وفقك لهذه الأسباب؟ من الذي أقدرك على تحصيل هذه الأسباب؟ أوليس هو الله فوكل الله عز وجل بكل حاجتك قل حاجتي كلها بين يدي الله عز وجل لا تقل عملت الذي علي والباقي على الله؛ كل ما عملتَه إنما هو بتوفيق لله عز وجل وحوله وقدرته؛ فالله هو الذي أعانك في أول أمرك وآخره وهو الذي وفقك وهو الذي يسر لك أسباب تحصيل هذه الحاجات وأقدرك عليها وأعانك وسهل عليك الأمر.

فلا ينبغي للإنسان أن يقسم أموره فيما بينه وبين الله وإنما يقول الأمر كله لله فنحن نفعل الأسباب بتوفيق الله وتترتب الأثار على هذه الأسباب بتوفيق الله

مع أنني أنبه بأن هذه الكلمة لا يقصد بها العوام معناً باطلا بل يريدون بها معنا صحيحا وهي أننا أمرنا بفعل الأسباب ففعلناها وبقي ترتيب هذه الآثار على أسبابها من فعل الله عز وجل والذي لا نستطيعه

فلها معنى صحيح ولكن من باب كمال الأدب مع الله وفعل والأكمل والأفضل في حق الله تعالى ومن باب الاعتراف بكبير فضل الله ينبغي أن ينزل

الإنسان حاجته بالله عز وجل كلها من مبدأها إلى نهايتها والله أعلم.

i

٣٧٤. سُئِل الشيخ: هل يجوز أن يقول الإنسان عن نفسه أنه أفجر الناس أو من أفجرهم من باب تحقير النفس والاعتراف بالتقصير.؟

فأجاب – عفا الله عنه– :

الحمد لله لا يجوز للإنسان أن يصف نفسه بشيء من الأوصاف الشرعية إلا إذا كان فيه شيء من مقتضياتها فإذا كان الإنسان عنده فجور أو فسوق وقال أنا كذا وكذا ويريد بذلك أن يؤدب نفسه وأن يزجرها وأن يفتح لنفسه أبواب التوبة فإنه الحمد لله لا بأس بذلك ولا حرج. فإذا كان يخبر بذلك من باب بيان عيوب النفس لمن يقدر على. إصلاحها فيقول أنا عندي شيء من الفجور أو أنا عندي شيء من التقصير في جنب الله؛ ويطلب استنصاح رجل عاقل أمين ناصح في مثل حالته فهو يخبر بها من باب حرصه على إصلاح عيوب نفسه وتصحيح سلوكها المعوج. فهذا لا بأس به ولا حرج. وأما إن يقول انا فاجر أنا أقع في الشرك أنا فاسق أنا فيَّ زندقة ونحو ذلك من الأمور التي يريد بها مجرد كسر نفسه فهذا من الأمور المحرمة مطلقا لا يجوز للإنسان أن يتعمد وصف نفسه بمثل هذه الأوصاف ليكسر نفسه فقط. وإنما يكفيه أن يكسرها بمثل هذه الألفاظ. أنا مقصر في جنب الله. أنا لم أحقق التعبد لله على الوجه المطلوب. أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ذنبي ونحو ذلك من الألفاظ التي يتحقق بها كسر النفس. ولا يكون بها وصف النفس بما ليست بموصوفة به من تلك الأوصاف. الشرعية والأحكام التي لها آثارها شرعا. فإن كان يقولها

من باب الإخبار لمن يستنصحه ليكمل عيوب نفسه فلا بأس. وأما إن كان يقول تلك الألفاظ الشنيعة العظيمة التي لها آثارها الشرعية من باب زجر نفسه فقط. فلا يجوز والله أعلم.

i

٣٧٥. سُئِل الشيخ عن: حكم قول أحدهم: الله لا يعيد ذلك اليوم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا لا يجوز لأمرين: الأمر الأول لأنه من جملة التطير والتشاؤم بهذا اليوم، ومن المعلوم أن الطيرةَ شرك وأن الإنسان يجب عليه أن يبعد هذا الإحساس عن قلبه، فيقول النبي ﷺ((لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ))[١].

والأمر الثاني: أنه ربما يتضمن سب الدهر، فإن سب اليوم من سب الدهر، وسب الدهر محرم، يقول النبي ﷺ((لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإن اللهَ هُوَ الدَّهْرُ))[٢]، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَالَ اللَّهُ تعالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))[٣]، فمثل هذا الكلام لا يجوز لهذين الأمرين. والله أعلم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الطِّيَرَةَ](١٣٥/٧) برقم: [٥٧٥٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ](١٧٤٧/٤) برقم: [٢٢٢٥].

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ] (١٧٦٣/٤) برقم:[٢٢٤٦].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]](١٤٣/٩)، برقم: [٧٤٩١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ](١٧٦٢/٤)، برقم:[٢٣٤٦].

i

٣٧٦. سُئِل الشيخ: هل البلاء موكل بالمنطق ومن كان يظن أن ما يمر به من ضائقة بسب كلام قاله كيف يكفر عن ذلك الكلام؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله :

ما اشتهر عند الناس من أن البلاء موكل بالمنطق ويرفعونه إلى النبي ﷺ نقول لا يصح ذلك حديثًا عن النبي ﷺ، ولكن هل هذه الكلمة صحيحة في ذاتها؟ فأقول: نعم هي صحيحة ولها أدلة تدل عليها؛ فإن هناك أدلة تدل على أن أناسًا كانوا في عافية ثم تكلموا بكلام فصار بلاؤهم في عين منطقهم، فلو أنهم سكتوا لما ابتلوا ولكنهم ابتلوا لما نطقوا وتكلموا، ولذلك نهينا عن السؤال كما قال أنس قال نهينا عن السؤال لماذا؟ لأن بعض الصحابة قد يسأل ثم ينزل التشريع الذي يكون فيه تحليل أو تحريم فتحصل به المشقة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ)[1].كل ذلك من باب الاحتياط ألا يقع بلاء بسبب شيء من الأسئلة.وفي الصحيحين من حديث عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ)[2]

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: [٦٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: [١٢]. واللفظ لمسلم

(٢)متفق عليه أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ برقم: [٧٢٨٩]، أخرجه مسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، رقم: ٢٣٥٨

فلو أنه لم يسأل لما حُرِّم؛ لكنه حرم على الأمة كلها - هذا الشيء - بسبب سؤاله عن هذا الشيء، فالأمة كانت في عافية من هذا التحريم حتى سأل

فهذا داخل تحت قولهم البلاء موكل بالمنطق، فإن قلت اضرب لنا أمثلة على أمور تكلم فيها أُناسٌ فابتلوا بمنطقهم، فأقول نعم من ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧] فلو أنهم سَلِمُوا من هذا التمني، لسَلِمُوا من هذا الابتلاء والنفاق لكنهم وقعوا في شر منطقهم وكذلك قول الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فلو أنهم سَلِمُوا من هذا الطلب لسَلِمُوا من هذا الابتلاء ولكنهم أصروا فصار هلاكهم وعطبهم في عين منطقهم، والأدلة بعد التتبع في ذلك كثيرة

والخلاصة: أنها ليست حديثا مرفوعًا ولكنها حكمةٌ قيلت وقد دلت عليها أدلة من الكتاب والسنة. والله أعلم

i

٣٧٧. سُئِل الشيخ عن: حكم قول بعضهم ﴿دع الأيام تفعل ما تشاء﴾؟ وهل تصح نسبتها للإمام الشافعي؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله

أما نسبتها للإمام الشافعي فنعم كما هي موجودة في ديوانه ولا يزال الأئمة ينسبون هذه الأبيات وما قبلها وما بعدها في هذه القصيدة للإمام الشافعي رحمه الله وأما قولك هل فيها شيء من المخالفة العقدية؟ فأقول: لا بد أن ننظر إلى أمرين: إلى مسألة التوسع الشعري فإن الشعراء قد يتوسعون في بعض المعاني ولا يقصدون بها حقائقها وهذا هو الظن في الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فإنه لا يقصد بذلك نسبة التدبير والتصنيف الاستقلالي الابتدائي للأيام فإن الأيام لا تدبر شيئاً ولا تصرف شيئاً وإنما هي موضع تدبير الله وتصريفه فالله يدبر في الأيام ويقلّب فيها الأحوال وأما الأيام في خاصة نفسها فإنها لا تدبر شيئاً ولا تشاء شيئاً ولا تصرّف شيئاً فيجب علينا أن نحمل كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالى على أحسن المحامل وأن نقول إن ذلك من باب التوسع وإنما يريد به خالق هذه الأيام كأنه قال دع خالق الأيام يدبر ما يشاء فالتدبير لا ينسب إلى اليوم تدبير إنشاء وتصريف استقلالي ابتدائي وإنما ينسب إليه نسبة موضع فالتدبير ينسب إلى الأيام نسبة موضع أي هذا تدبير الله في الأيام ولا ينسب إلى الأيام نسبة خلق أو تقدير أو إيجاد أو تصريف أو تدبير ذاتي منها فلا نحمل كلام الإمام الشافعي رحمه الله إلا على أحسن المحامل ولكن هل فيها مخالفة عقدية؟ فأقول: نعم، فيها مخالفة عقدية إن كان مقصود القائل هو ذلك المعنى الثاني الذي ذكرته لك من نسبة المشيئة إلى الأيام نسبة خلق وتدبير وهذا لا يمكن أبداً في أي حال من الأحوال أن ينسب إلى الإمام الشافعي وإنما ينسب إليه المعنى الصحيح الذي ذكرته لك وهي أن الأيام موضع مشيئة الله عز وجل في تدبيره وتصريفه والله أعلم

i

٣٧٨. سُئِل الشيخ عن: حكم قول: الموت كافر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذه العبارة عبارة خبيثة فاسدة لا يجوز أن تصدر من المسلم، فإن الموت من خلق الله تعالى لا يوصف بإيمان ولا بكفر وهو قدر من أقدار الله عز وجل أذل الله به رقاب بني آدم ولابد لكل أحد أن يشرب من كأسه فلا يجوز التوجه له بالسب ولا بالقدح فهو خلق مسخر مربوب لله عز وجل، فالموت عند أهل السنة خلق موجود له صفاته التي لا يعلمها على الحقيقة إلا الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أحسن عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿سورة الملك :٢﴾، وقد ثبت بالأدلة، كما في الحديث: ((يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أهل الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أهل النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أهل الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أهل النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أهل الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]))[1]، فالموت من خلق الله ويقول النبي ﷺ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]] (٩٣/٦)، برقم: [٤٧٣٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ](٢١٨٨/٤)، برقم: [٢٨٤٩].

فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))[١]، وأكثر ما يدخل الناس النار يوم القيامة حصاد ألسنتهم! كما ثبت ذلك في السنن والمسند من حديث معاذ (وَسُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ)[٢]

وعليه فلا يجوز وصف الموت بالكفر ولا سبه ولا لعنه لأنه خلق مسخر بأمر الله عز وجل، فلنتقي الله في تلك الألسنة ونبعد عن تلك الألفاظ ما استطعنا. والله أعلم.

i

٣٧٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم مقولة ﴿الجوع كافر﴾ فهل هذا يدخل في شِرك الألفاظ؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد،

نجيب عن هذا بأمرين، الأمر الأول اعلموا أن المتقرر في القواعد أن الألفاظ العامية لا بد وأن تُرد إلى الحقيقة العُرفية، فإن العلماء قد قسَّموا الحقائق إلى ثلاثة أقسام، إلى حقيقة لغوية وهي استعمال اللفظ فيما وضِع له لغة، وإلى حقيقة شرعية وهي استعمال اللفظ فيما وضِع له شرعا، وإلى حقيقة عُرفية وهي استعمال اللفظ فيما وضع له عُرفا، فالعوام إنما يُحمل كلامهم على حقائقهم

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨)، برقم: [٦٤٧٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ](٢٢٩٠/٤)، برقم: [٢٩٨٨].

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٧٩٠٧) والترمذي برقم (٢٠٠٤) وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٨٩/٢٢٢)

العرفية، فإذا قالوا بأن الجوع كافر بغض النظر عن حِلِّها مِنْ حُرمتها، إلا أننا لا بد وأن نَحْمِلها على المعنى المتقرر في عقولهم، وهو أنه يتسلط تسلط الكفار فلا يرحم، بمعنى أنه يؤذي صاحبه، فهو يهجم -أي الجوع- يهجم على الملك ويهجم على الأمير ويهجم على الصغير ويهجم على الفقير ويهجم على الغني ويهجم على المريض ويهجم على المرأة ويهجم على الذَّكر، فلا يفرق الجوع بين أمير أو حقير ولا كبير ولا صغير ولا فقير ولا غني، فهو يهجم هجوما قويا، فيقصدون بذلك أن هجومه قوي كهجوم الكفار هذا هو المعنى العرفي، فلا ينبغي أن نُحمل الكلام ما لا يحتمل، لأن المتكلم به أهل العرف، وأهل العرف إنما تُحمل ألفاظهم على المعاني العرفية المتقررة في قلوبهم، فإن المتقرر في القواعد أن الأمور بمقاصدها وأن الألفاظ بِنِيَّاتها، وأن العبرة في الألفاظ ليست هي مجرد المباني وإنما المقاصد والبواعث والمعاني، فلا يَقصد العوام أنه كافر بمعنى أنه يجحد وجود الله عز وجل، أو أن الجوع يُنكِر شيئا من مقتضيات الربوبية أو الألوهية، فهم لا يقصدون به الكفر الشرعي، وإنما يقصدون به شدة هجومه من غير تفريق بين أحد وأحد، هذا أولا، وأما ثانيا فاعلموا وفقكم الله، أن الأحكام الشرعية لا يجوز أن يوصَف بها غير محلِّها الصالح لها، فلا يوصف الجوع بإيمان ولا كفر، إذ الجوع ليس محلا صالحا لوصفه بالإيمان والكفر، والإيمان مصطلح شرعي، والكفر مصطلح شرعي، فلا يجوز كما تَقرر عندنا في القواعد وصف الأشياء بمعانٍ شرعية لا تصلح لها، كما لا يقال بأن هذا الجدار مُؤمن، أو أن هذه السيارة كافرة، أو أن هذه البهيمة تقية، أو عندها تقوى، فالأوصاف الشرعية لا يجوز أن نضعها في غير محلها لأن هذا تلاعب بالشرع، فالكفر والإيمان والتقوى والصلاح والفسق والنفاق لا يجوز أن نطلقها على محل غير صالح لها.

وبناء على ذلك نختصر الجواب فنقول: لا يجوز لنا أن نُحَمِّلَ كلام العوام ما لا يحتمله لأنهم إنما يقصدون الكفر العرفي، الذي تعارفوه فيما بينهم، ولا يقصدون به الكفر الشرعي، والأمر الثاني حتى وإن اعتذرنا لهم إلا أننا نمنعهم من قولها لأنهم يصفون الجوع بالكفر فيصفون محلا بوصف شرعي غير صالح له، والله أعلم.

i

٣٨٠. سُئِل الشيخ: هذا سائلٌ من أفريقيا الوسطى يسأل ويقول: عند شراء سلعة ما بين مُسلِمَينِ طلب المشتري من البائع أن يخفض له في ثمن السلعة فقال البائع إن الكفار أفضل منكم حين يشترون مني فهم لا يطلبون خصما ولا تخفيضا. السؤال :فهل يدخل هذا القول من البائع في الموالاة الممنوعة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا، وإنما هي موقوفةٌ على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد، فتفضيل الكافر على المسلم في مثل ذلك لا بد وأن نفصل فيهِ فإن كان تفضيل دينٍ وعقيدة، فلا جرم أن من فضل دين الكفار على دين المسلم، أو عقيدة الكفار على عقيدة أهل الإسلام فإنه يعتبر كافرًا خالعًا ربقة الإسلام من عنقهِ بالكلية، وأما إذا كانَ تفضيل وصف وكان في الحقيقة أن الكافر متصفٌ بهذا الوصف الأدبي الأخلاقي أكثر مما يتصف به المسلم، فإن هذا لا بأس بهِ ولا حرج إن شاء الله كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ

عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ ﴾ [آل عمران: ٧٥]وكما في الحديث: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ، وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)[(١)]. فإذا كان الكافر يتميز بشيءٍ من الأدب والأخلاق، والمسلم لا يتميز بذلك، فقال هذا الكافر خيرٌ منك لا تفضيل دينٍ وعقيدة وإنما تفضيل صفةٍ حقيقةٍ واقعية، فإنه لا بأس به ولا حرج، فهذا تفضيل معينٍ على معينٍ، وليس تفضيل دينٍ على دين، ولا مجملٍ على مجمل، ولا عمومٍ على عموم، فلا بأس بذلك ولا حرج. والله أعلم.

i

٣٨١. سُئِل الشيخ عن: حكم قول أحدهم (واثق من نفسي)

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين هذا من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل وتكون مقبولة أحيانًا ومردودة أحيانًا والمتقرر في القواعد عند أهل السنة والجماعة أن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد فإن كان يقصد بقوله أنا واثق من نفسي كمال الاعتماد على النفس فإن هذا محرم لا يجوز فإن الله عز وجل قد أخبرنا أن النفس أمارة بالسوء إلا

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم:[(٢٨٩٨)].

ما رحم ربي وأخبرنا أنها من جملة الأبواب التي يلج منها الشيطان على القلب والعقل والروح وأخبرنا الشارع في نصوص صحيحة صريحة بأن الإنسان قد يؤتى من قِبل نفسه وأن النفس قد تؤزه إلى مواقعة الذنوب والمعاصي ولأن الأدلة دلت على وجوب كمال التوكل على الله عز وجل والاعتماد على الله وحسن الظن في الله عز وجل فلا ينبغي للإنسان أن يعتمد على حوله وعلى قوته وعلى طاقته وعلى ذكائه وعلى قوة عزيمته ومضى همته هذا هو المعنون عنه (الاعتماد على النفس) فلا ينبغي للإنسان أن يعتمد على نفسه إذا كان مقصوده في ذلك تعطيل الاعتماد على الله عز وجل أو ترك تفويض الأمر إلى الله عز وجل أو أنه ينظر إلى حوله وقوته نظر اعتبار، وأنه قادر على تحصيل ذلك في خاصة نفسه فإن كان يقصد ذلك فهذه المعاني باطلة فلا ينبغي للإنسان أن يثق بنفسه الثقة التي تعميه عن كمال التوكل على الله عز وجل وتعمي قلبه عن الأخذ بالأسباب الشرعية أو تجعله مفتخرا متباهيا بقوته وعزيمته ومضى همته وأنه مستغنٍ عن الله عز وجل في تيسير أسباب كونه له بحجة أنه واثق من نفسه وكذلك أيضا لا ينبغي للإنسان أن يثق بنفسه فيتقدم في شيء من الحرام بحجة أن عنده من الإيمان وعنده من وازع الدين ما يمنعه فإن كمال الثقة بالنفس هذا عبارة عن غرور والله عز وجل قال (﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: **٣٣**] فكم من إنسان يرى أنه واثق من نفسه حتى وإن دخل في بعض المواقع في الشبكة العنكبوتية من مواقع أهل البدع يقول أنا واثق في إيماني أنا واثق في ديني أنا واثق في سنيتي أنا واثق في علمي ثم تخبطته الشبهات حتى أوقعته فيما أوقعته فيه ولذلك النبي ﷺ ندب لنا إذا سمعنا بالدجال أن لا نقابله بل ننأى عنه في الجبال والصحاري فكم من إنسان يقابل الدجال يظن أنه قد عرف حقيقته ثم يفتن الفتنة العظيمة بشدة ما يراه

من الشبهات والشهوات

فلا ينبغي للإنسان أن يقول أنا واثق في نفسي ثم يتقدم في أسباب العطب والهلاك

ولا ينبغي أن يقول الإنسان أنا واثق في نفسي فيعطل كمال التوكل على الله عز وجل

فهذان المعنيان الباطلان يجعلان قول الإنسان (أنا واثق من نفسي) محرما

وأما المعنى الثالث الذي أنا أقبله ولا بأس به إن شاء الله هي أن يقول الإنسان أنا واثق من نفسي مع كمال اعتماد قلبه على الله عز وجل ومع كمال توكله على الله عز وجل ومع كمال افتقاره واعترافه بين يدي الله عز وجل أنه محتاج إليه الحاجة المطلقة وأنه مفتقر إليه الافتقار الذاتي ولكن يعتمد على قضية الأسباب التي أتاحها الله عز وجل له واقدره عليها فهذا لا بأس لأن الإنسان إنما يحمله على تحصيل مصالح دينه ودنياه هذه الثقة التي تنبع من النفس فكم من إنسان ترك طريق العلم لخور في عزيمته وضعف في همته فيقول أنا لا أستطيع أن أطلب العلم

ولكن كون الإنسان يقول (أنا لها) ويعتمد على الله عز وجل ويأخذ بالأسباب الشرعية ويظهر افتقاره إلى الله عز وجل ولا يتنازل عن باب من أبواب الفلاح أو النجاح إلا ويفتح الله له الأبواب وييسر له السبل ويعينه ويبلغه مراده. والثقة بالنفس في هذا المعنى هي القوة التي يقول الله عز وجل فيها (﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]) ويقول النبي ﷺ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)[١] فإذا كان مقصوده بالثقة بالنفس تعطيل كمال التوكل على الله عز وجل أو اعتماده على حوله وقوته فهذا مرفوض.

وإذا كان قوله أنا واثق في نفسي يجعله يتقدم في أسباب العطب والهلاك فهذا مرفوض.

وإذا كان قوله أنا واثق في نفسي بعد كمال توكله على الله عز وجل وإظهار الافتقار والأخذ بالأسباب الشرعية ولكن يقول هذه الكلمة ليزيد همته ونشاطه فهذا لا بأس به ولا حرج إن شاء الله، والله أعلم.

i

٣٨٢. سُئِل الشيخ عن: حكم قول المرأة: أنا سورة النساء والنور والمجادلة ومريم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: إذا أطلق بعض النساء هذا القول؛ فهي لا تقصد أنها هي عين السورة، فإن السورة كلام الله وكلام الله مُنزل غير مخلوق، لكن هذه الإطلاقات إنما يراد بها تطبيق ما في هذه السور من الأحكام وامتثال ما فيها من الأوامر الربانية، فمثلاً في سورة النور ورد أمر المرأة بالحجاب، وإذا خاطبها أحد في الحجاب قالت: أنا سورة النور، يعني أنا ممتثلةٌ ومطبقةٌ لها بما فيها من الأحكام التي تخص الحجاب. فما أمرني الله به في هذه السور من الأحكام الشرعية فأنا ممتثلةُ بذلك كله امتثال طواعيةٍ واختيار وقلبي مطمئن

---

(١) أخرجه مسلم في «كتاب القدر» بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ، وَتَرْكِ الْعَجْزِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلهِ برقم:[(٢٦٦٤)].

بالإيمان ولا أجد في صدري حرج سواء من أمر الحجاب أو غيره. هذا هو معنى هذه الأقوال، وإن كنا لا نُرغِّب في قولها لأنها تحتمل معنى باطلاً فهي من جملة الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق وتحتمل الباطل.

والمتقرر عند العلماء أن ما يحتمل الحق والباطل فلا يقبل مطلقاً ولا يرد مطلقاً، إنما هو موقوف على الاستفسار حتى يتبين حقه من باطله فيقبل الحق ويرد الباطل، فإذا كان من أطلق هذه الفظه؛ فقالت: أنا سورة النور؛ إذا كان قصدها أنها هي عين سورة النور فهذا إطلاقٌ محرم، ولا نظن أن من أطلقها من النساء تريد هذا المعنى! ولكننا من باب بيان الباطل فقط، وأغلب من يقوله إنما يريد بها المعنى الصحيح وهي أنني ممتثلةُ للأحكام الشرعية فيها والمتعلق بها، فإطلاقه لا بأس به ولكن تركه أولى والتعبير عن هذا اللفظ الصحيح بهذا المجمل لا ينبغي، بل عليها أن تبعد الاحتمال عن الكلام وتقول: أنا أمتثل ما أمرني الله به في سورة النساء وأطبقه..الخ، هذا من باب تحرير الكلام وتخليصه من العبارات المجملة. والله أعلم.

i

٣٨٣. سُئِل الشيخ عن: حكم قول بعضهم أنا متوكل على الله ثم عليك؟ لأن البعض يقول: لا تقل توكلت على الله ثم عليك، بل قل توكلت على الله فقط، لأن التوكل عمل قلبي لا يجوز صرفه إلا لله، ما مدى صحة هذا الكلام؟

فأجاب – عفا الله عنه–: نعم، هذا الكلام صحيح،

لأن المتقرر في قواعد أهل السنة: أن التعبدات القلبية المحضة ليست للمخلوق فيها شِرْكة، والتوكل تعبُّدٌ قلبيٌّ محض، إنما يُصرف كله وجزؤه لله عز وجل،

فلا يجوز أن تُصرف شعبة من شُعَب التوكل على أحدٍ من المخلوقين أبداً، فلا يجوز أن يقول الإنسان: توكلت على الله وعليك، أو يقول: توكلت على الله ثم عليك، لأن التوكل تعبُّدٌ قلبي محض، وما كان من قبيل التعبدات القلبية المحضة فإنها بكامل شُعَبها تُصرف لله عز وجل

ولكنني أريد أن أنبهك على أمر: وهو أن التوكل على المخلوق في عُرْف العامة يقصدون به الوكالة، يعني: أنني توكلت على الله ثم وكَّلتك في هذا الأمر، أي: في إنهائه، هذا الذي يقصدونه، ولكن حتى وإن كان هذا هو قصدهم إلا أن سلامة القصد لا تسوِّغ الوقوع في المخالفات اللفظية.

فعليك أن تنبِّه من يتكلم بذلك من العوام بأن يقول: توكلت على الله ثم وكَّلتك في هذا الأمر. والله أعلم.

i

٣٨٤. سُئِل الشيخ عن: حكم النكات مثل قوله المحششين أو نحو ذلك، أو أي عملاً يحدث ويكون من باب الاستهزاء، أو الضحك على حيوانات، أو نحوها هل هي جائزة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، وبعد،

التفكه بالكلام والتنكيت إذا كان بحق وصدق فلا بأس به إن شاء الله، ولاسيما مع عدم الإكثار من ذلك،

وألا يكون التنكيت هو حال الإنسان وديدنه، وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ﷺ.

أما إذا كان هذا النكات بالكذب، أو بالسخرية، والاستهزاء لأحد من عباد الله- عَزَّوَجَلَّ- فهذا أمرٌ لا يجوز.

فإن الأصل المتقرر عند العلماء أن باب الكذب مبنيٌّ على التحريم، فجميع الكذب حرامٌ إلا ما استثناه الشرع، فلا يجوز أن ينكت الإنسان ليُضْحِك الآخرين بالكذب، والسخافة، وذلك لقول النبي ﷺ: في الحديث الذي أخرجه الإمام أبى داود، والترمذي، والنسائي بإسنادٍ جيد ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَه))[(١)]، والله أعلم.

i

٣٨٥. سُئِلَ الشيخ عن: ما حكم النكت؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، لا بأس بها بضوابط وشروط،

الشرط الأول: أن لا تكون كذبا، لأن المتقرر في القواعد -أن الأصل في باب الكذب التحريم إلا ما دعا له داعي الضرورة أو الحاجة الملحة أو المصلحة الراجحة-، ومن المعلوم أن النكات لا يدخل تحت شيء من ذلك، فإذا كانت النكتة في ذاتها كذبا فلا تجوز، لأن باب الكذب محرم حتى وإن كان للإضحاك،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٤/٣٣) برقم: [٢٠٠٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ](٢٩٧/٤) برقم: [٤٩٩٠]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ](٥٥٧/٤) برقم: [٢٣١٥]، وأخرجه النسائي في «سننه» باب: [سورة المطففين](٣٢٧/١٠) برقم: [١١٥٩١]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٩٩/٢) برقم: [٧١٣٤].

كما في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ)[١]

الشرط الثاني: أن لا تكون النكتة تتضمن تهكما على أحد من إخوانك المسلمين، لأن الأصل في الاستهزاء التحريم، لا يجوز للإنسان أن يجعل إخوانه المسلمين محطا للسخرية والاستهزاء، فإن هذا نوع جهل كما قال الله عز وجل ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] فلا يجوز للإنسان أن يحتقر أخاه المسلم أو أن يسخر منه أو أن يضحك الناس عليه فإن ذلك محرم، فإذا سلمت هذه النكات من كونها كذبا ومن كونها تتضمن سخرية أو استهزاء بمعين من المسلمين فإنها لا بأس بها ولا حرج لأنها من باب إدخال السرور على إخوانك من المسلمين والله أعلم.

i

٣٨٦. سُئِل الشيخ عن: حكم قول أحدهم (حظي سيء أو حظي جيد) وما معنى الحظ في هذه الجمل؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين أما الحظ فمعناه النصيب وقول الإنسان حظي سيء هي من الكلمات المحرمة التي لا يجوز للإنسان إطلاقها وذلك لقاعدتين عظيمتين عند أهل السنة والجماعة.

القاعدة الأولى: أن كل لفظة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها محرمة لأن المؤمن يجب عليه الرضا بالقضاء ويجب عليه الصبر عند القضاء والقدر

---

(١)أخرجه أبو داود برقم (٤٩٩٠) والترمذي برقم (٢٣١٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٧١٣٦

لقول الله عز وجل ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه والأدلة في وجوب الإيمان بقضاء الله وقدره كثيرة فقول الإنسان عند نزول شيء من المصائب أو شيء من الأحزان والآلام أو فواجع الدهر حظي سيئ هذا دليل على أن قلبه تسخط على قضاء الله عز وجل وقدره فإن أغلب الناس لا يقولها إخبارا وإنما يقولها تضجرا وتسخطا على قضاء الله وقدره وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ (لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.)[١] ثم قال ودعا بدعوى الجاهلية: وسيداه وجبلاه وكذا وكذا كل ذلك من الدعوة الجاهلية

فكل كلمة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها محرمة وفي الصحيحين من حديث أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى قَالَ: (أُغْمِيَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، قَالَ: ثُمَّ أَفَاقَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمِي - وَكَانَ يُحَدِّثُهَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ)[٢].، والشاهد من ذلك قوله سَلَقَ أي: رفع صوته بالويل والثبور عند المصائب فقول الإنسان عند نزول شيء من الأقدار المؤلمة حظي سيء أو عند خسارته في تجارته حظي سيء أو عند رسوبه في امتحانه حظي سيء هي كلمة تسخط وتضجر وكل كلمة تتضمن التسخط على قضاء الله وقدره فإنها تعتبر حراما.

وأما القاعدة الثانية: فالمتقرر في قواعد أهل السنة والجماعة: كل كلمة تتضامن

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ برقم:[١٢٩٧].وأخرجه مسلم في الإيمان بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ...برقم (١٠٣)

(٢) علّقه البخاري بصيغة الجزم في الجنائز بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ برقم: (١٢٩٦). ومسلم في الإيمان بَابُ تَحْرِيمِ ضَرْبِ الْخُدُودِ وَشَقِّ الْجُيُوبِ...برقم (١٠٤)

القدح في حكمة الله عز وجل في قضائه وقدره فمحرمة كقول الإنسان مثلا عند نزول شيء من المصائب لما يا ربي هكذا ما الذي فعلت أو قولهم فلان ما يستأهل ما جاءه أو ما نزل به كلها كلمات تتضمن الطعن في قضاء في حكمة الله عز وجل فإن هذا القضاء والقدر فعل الله وفعله نابع عن حكمته وهو الحكيم اسما وذو الحكمة المتناهية المطلقة صفة فقول الإنسان حظي سيئ يتضمن أمرين يتضمن التسخط على الله وقدره يتضمن الطعن في حكمة الله عز وجل فيما نزل عليه من المصائب والآلام

وأيضا هناك شيء ثالث وهي أن كل كلمة تتضمن الوقوع في الشؤم والطيرة فإنها محرمة وقول الإنسان حظي سيئ إنما هو نابع عن تطيره وتشاؤمه

فهذه الكلمة مؤثرة فيه جوانب توحيدية ثلاثة:

أنها تطعن في حكمة الله في قضائه وقدره،

وأنها توجب انفتاح باب الطيرة والشؤم على القلب والعقل والروح،

وأنها تتضمن تسخط على قضاء الله وقدره ومن أجل ذلك فهي كلمة لا تجوز والله أعلم.

i

٣٨٧. سُئِل الشيخ عن: حكم تسمية المدينة المنورة بيثرب؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، تسميتها بيثرب مخالفة للسنة، فإن النبي ﷺ قد سماها المدينة، وكذلك القرآن أيضا سماها المدينة، وأجمع العلماء على

تسميتها بهذا الاسم، وقد سماها النبي ﷺ أيضا في حديث آخر بطابة، وفي رواية بطيبة، فهي المدينة وهي طابة وهي طيبة، فإن قلت أولم يقل الله عز وجل في كتابه ﴿يَٰٓأهل يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾الأحزاب آية ١٣، فنقول هذا جرى على لسان المنافقين ليُذَكِّروا الأوس والخزرج بما كانت عليه أحوالهم وأسلافهم وأمور آبائهم من باب النعرات والعصبية القبلية،

فلا ينبغي للإنسان أن يسمي المدينة يثرب لأنه يعبر عن هذا الموضع الشرعي بتعبير غير تعبير النص، والمتقرر في القواعد أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى، ولأنه يحيي سنة المنافقين في إثارة النعرات بين الأوس والخزرج، ولذلك قالوا يا أهل يثرب ليذكروهم بما كانت عليه أحواهم في الجاهلية، والله أعلم.

i

٣٨٨. سُئِل الشيخ عن: حكم الرجل الذي يكون دائما على لسانه اللعن والدعاء من العصبية الزائدة فعند أي خلاف أو مشكلة يدعو على من أمامه بالأمراض والسوء وغير ذلك، حتى وهو يقود السيارة عندما يختلف مع أحد أما في سرعة أو بنور عالي، فإنه يباشر بالدعاء، تقول أخشى على أولادي من دعوة منه، فما الطريقة وما الحكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: هذا أمر محرم لا يجوز، وعلى الإنسان إذا علم من نفسه أنه يقول مثل هذا الكلام في حال غضبه، فالواجب عليه أن يتأدب بالآداب الإسلامية حال فوران غضبه، وإلا فالمؤمن ليس باللعان ولا بالطعان ولا بالفاحش البذيء، في حديث أبي زيد ثابت بن ضحاك الأنصاري (قال: قال

النبي ﷺ ((مَنْ حلفَ بِمِلَّةٍ غيْرِ الإِسْلامِ كاذِبًا فهُوَ كَما قالَ، ومَنْ قتلَ نفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي نارِ جهَنَّمَ، ولَعْنُ المُؤْمِنِ كقتْلِهِ، ومَنْ رمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فهُوَ كقتْلِهِ))[(١)]،

فإذا لعنت أحداً فكأنما قتلته والعياذ بالله، وفيما رواه مسلم، من حديث أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ، ((لَا ينْبغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يكُونَ لَعَّانًا))[(٢)]، وفي صحيح الإمام مسلم أيضاً من حديث أبي الدرداء (قال: قال رسول الله ﷺ ((لَا يكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفعاءَ ولَا شُهداءَ، يوْمَ الْقِيامَةِ)).[(٣)] وحديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ ((لَا تلاعنُوا بِلَعْنةِ اللهِ، ولَا بِغضَبِهِ، ولَا بِالنَّارِ))[(٤)]، ولا يجوز للإنسان أن يلعن أحداً مطلقاً، لا في حال غضبه ولا في حال رضاه، فإنها من الذنوب العظيمة، يقول النبي ﷺ: ((سِبابُ المُسْلِمِ

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[مَنْ كَفَّرَ أَخاهُ بِغيْرِ تأْوِيلٍ فهُوَ كما قالَ] (٢٦/٨) برقم:[٦١٠٥]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[غِلَظِ تحْرِيمِ قتْلِ الْإِنْسانِ نفْسهُ، وأَنَّ منْ قتلَ نفْسهُ بِشيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وأَنَّهُ لا يدْخُلُ الْجنَّةَ إِلَّا نفْسٌ مُسْلِمةٌ] (١٠٤/١) برقم:[١١٠]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عنْ لَعْنِ الدَّوابِّ وغيْرِها](٢٠٠٥/٤)، برقم: [٢٥٩٧].

(٣)أخرجه مسلم في "صحيحه" باب: [النَّهْيِ عنْ لَعْنِ الدَّوابِّ وغيْرِها](4/2006)، برقم: [2598].

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٤٤/٣٣)، برقم: [٢٠١٧٣]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [في اللعن](٢٧٧/٤)، برقم: [٤٩٠٦]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [ما جاءَ فِي اللَّعْنةِ](٣٥٠/٤)، برقم: [١٩٧٦]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٧/٧)، برقم: [٦٨٥٨]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٤٠/٢)، برقم: [٧٤٣٧].

فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ﴾[١].

والمسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، يقول النبي ﷺ ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[٢].

و حديث بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ))[٣]، الطعان هو الوقاع في أعراض الناس بالذنب والغيبة ونحوها، والفاحش هو ذو الفحش في كلامه وأفعاله، واللعان معروف الذين يكثر لعن الغير.

وليعلم الإنسان أنه إذا صدر من لسانه لعنه على أحدٍ من أخوانه هو ليس كذلك فإنها ترجع عليه وتحور إليه، فقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدرداء (قال: قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلى السَّماءِ فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّماءِ دُونَها، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوابُها دُونَها، ثُمَّ

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ] (١/١٩) برقم: [٤٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»] (١/٨١) برقم: [٦٤].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه] (١/١١) برقم: [١٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ] (١/٦٥) برقم: [٤١].

(٣)أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ](٤/٣٥٠)، برقم: [١٩٧٧]، وأخرجه البزار في «مسنده» (٥/٢٩٦)، برقم: [١٩١٤]، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ نَفْيِ اسْمِ الإيمان عَمَّنْ أَتَى بِبَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي تَنْقُصُ بِإِتْيَانِهِ إِيمَانَهُ](١/٤٢١)، برقم: [١٩٢]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/٢٠٧)، برقم: [١٠٤٨٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٩٤٩)، برقم: [٥٣٧٩].

تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فإن كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا))(١).

وروى الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين، مبيناً تحريم لعن البهائم والحيوانات، فكيف ببني أدم، يقول ((بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فإنها مَلْعُونَةٌ)) قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ))(٢)، قال عمران فكأني أراها الآن تمشي بين الناس ما يعرض لها أحد، فلا يجوز لعن شيء أبداً، ولا يجوز للإنسان أن يدعو على نفسه ولا على ولده ولا على ماله ولا على أهله، حتى لا يوافق ساعة فيستجيب الله عز وجل له فيدمر نفسه وأهله بلسانه ويده، يقول النبي ﷺ: ((لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُم))(٣)، فالواجب علينا أن نتواصى فيما بيننا على التنبيه على حرمه ذلك، وعلى أن يذكر بعضنا بعضاً، وعلى المسلم إذا غضب أن يتأدب بآداب الغضب الشرعية، من أن يغير جلسته، أو أن يتوضأ، وعلى من حوله إلا يثير

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي اللَّعْنِ](٢٧٧/٤)، برقم: [٤٩٠٥]، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٩/٧)، برقم: [٤٧٩٩]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٣/١)، برقم: [١٦٧١].

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا](٢٠٠٤/٤)، برقم: [٢٥٩٥].

(٣)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ](٢٣٠٤/٤)، برقم: [٣٠٠٩].

عليه الأشياء التي تثير عليه كواظم غضبه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، أسأل الله أن يهدينا وإياكم للحق، والله أعلم.

i

٣٨٩. سُئِل الشيخ عن: حكم بيت الشعر هذا (الاسم هذا لا نطقته تبسمت) هل يجوز؟

فأجاب - عفا الله عنه-: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٥-٢٢٧].

لا جرم أن هذه العبارات التي جرت في هذه الأبيات النبطية وغيرها من الأبيات يعني في الأدب الإسلامي في طياته كثير من هذه الأبيات التي تُخبرنا أن الشاعر قد بلغ في غرامه وعشقه مبلغًا بعيدًا حتى وصل به إلى أنه لا يسلوا إلا بذكر محبوبه ولا يصحوا قلبه إلا إذا مر اسمها عليه، وقد دون لنا الأدباء ما حصل لكثيرٍ من الشعراء لما عشقوا نساءً قد حال القدر فيما بينهم وبينهن فتاهوا في البراري وبدئوا يذكرون أشعارا تُنبأ عن تعبدٍ قلبي لهذه المرأة، فأصل الشعر جائز وهو من الكلام فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيح، ولكن التجاوز والغلو في الأمر محرم على الشعراء وعلى غير الشعراء، فما قاله هذا الشاعر في هذه القصيدة لا أراه جائزًا لأنه خرج من حد الاعتدال في المحبوب إلى حد الغلو فيه، فلا ينشرح خاطره إلا بذكر اسمه، ولا تنبسط روحه، ويصحوا قلبه إلا إذا مر اسم محبوبه عليه، وإذا احتوشته الكروب وألمت به الهموم فالطريق

الوحيد للتفريج: أن يمر عليه ذكر محبوبه واسم محبوبه متى ما بلغ العبد إلى هذه الحالة فقد خرج بالمحبة عن حدها المعتدل إلى الغلو، ولذلك أصل حكم العشق في الإسلام إذا بلغ إلى هذه الصورة فإنه يكون مُحرمًا حتى عشق الزوجة التي هي حلالٌ لك متى ما كان عشقها يُبعدك عن الله عَزَّوَجَلَّ فإنه من العشق الممنوع المُحرم، فالله عَزَّوَجَلَّ ندبنا عن ضيق صدورنا أن نذكره، وأخبر أن قلوب المؤمنين إنما تطمئن بذكره والتعبد له واللهج بحمده وشكره والثناء عليه عَزَّوَجَلَّ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، فلا حق للشعراء ولا لغير الشعراء أن يصلوا بمحبتهم للطرف الآخر إلى هذه المحبة، نعم لو كان تغزلًا عذريًا لا يُقصد به امرأة معينة ولا يصل بصاحبه إلى حد الغلو فالأمر والعادة الشعرية الجارية المحتملة: أنها جائز لا بأس به، لكن أن تصل الحال بالشاعر أو بغير الشاعر في محبوبته أو محبوبه إلى هذه الحالة بأنه لا يرتاح إلا بقربه ولا يأنس إلا بذكره إذا ماذا بقي لله عَزَّوَجَلَّ؟ ماذا بقي في قلب هذا الشاعر من محبةٍ يصرفها لله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك نبه الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أن العشق قد يوصل صاحبه تارةً إلى الكفر في بعض الأحيان يصل إلى التعبد إلى التتيم وهذا هو الغلو، ومتى ما تجاوزت المحبة حدها انقلبت إلى ضدها.

ولذلك قال رحمه الله تعالى: -وهو- أي: العشق وهذا كلام ابن القيم قال: وهو أي العشق تارةً يكون كفرًا لمن اتخذه معشوقه ندًا يحبه كما يحب الله عَزَّوَجَلَّ فكيف إذا كانت محبة محبوبه أعظم من محبة الله عَزَّوَجَلَّ، فإننا نسمع أبياتًا شعرية

لو أننا سألنا الشاعر أن يقول مثلها في حق الله عَزَّوَجَلَّ؟ لما استطاع لسانه أن ينطق بشيءٍ من ذلك، لأن المحبة التي يصرفها لمحبوبة أعظم بكثير من المحبة التي يصرفها لله عَزَّوَجَلَّ، فهنا لم يتخذ محبوبه ندًا فقط، بل جعله في مرتبةٍ أعظم من الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا تجاوز الأمر حده فإنه ينقلب إلى ضده، فالذي أرى والله تعالى أعلى وأعلم: أن هذه الأبيات التي قالها هذا الشاعر من الأبيات المحرمة التي تُنبأ عن تعلقٍ وشغفٍ قلبي كبير بهذا المحبوب قد تجاوز حده وأدخل صاحبه في دائرة الغلو والتبعية القلبية، ومن أعظم ما ينبغي للمسلم أن يتجرد منه: تبعية قلبه وعبوديته لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فالذي ينبغي لنا: أن نصون ألسنتنا وأسماعنا عن مثل هذه الخرافات الباردة، والترهات الفاسدة، والله أعلم.

i

٣٩٠. سُئِل الشيخ: هل يصح أن يقول شخص لآخر آمنت بك أو آمنت بقدراتك أو إيمانا مني بقيمتك وقدرك لدي يقول تتكرر هذه الألفاظ في شهادات الشكر والتقدير. فهل هي جائزة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين.

إذا كان يراد بها الإيمان بالمعنى اللغوي أي التصديق والإقرار فإنه لا بأس ولا حرج.

فإن الإيمان يأتي بمعنى التصديق والإقرار لغة. ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ عن أبناء يعقوب أنهم قالوا له ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]أي بمصدق لنا. فإذا قلت آمنت بقدراتك وتقصد بها (الإيمان اللغوي) يعني أنني مقر بقدراتك ومصدق بها لأنني رأيت قرائنها وشهدت أحوالها

ووقائعها فإن هذا لا بأس به ولا حرج ولا تقصد به ذلك الإيمان التعبدي الذي تتعبده لله عَزَّوَجَلَّ. فإيماننا بالله عَزَّوَجَلَّ يغلب عليه التعبد ويراد به التعبد ولا نقصد به إلا التعبد فنحن نؤمن بوجوده تعبدا ونؤمن بذاته تعبدا ونؤمن بصفاته تعبدا ونؤمن بأسمائه تعبدا ونؤمن بملائكته تعبدا له ونؤمن برسله ونؤمن باليوم الآخر ونؤمن باليوم الآخر والقدر خيره وشره تعبدا له. ونؤمن بوجوب الواجبات تعبدا له. ونؤمن بتحريم المحرمات تعبدا له

فالإيمان الصادر من العبد إلى الله إنما هو ذلك الإيمان التعبدي. وأما قولك أنا مؤمن بقدراتك أنا مؤمن بشجاعتك. فهذا يراد به الإيمان اللغوي بمعنى الإقرار والتصديق

ولا تقصد أنني متعبد لك بهذا الإيمان ولا يمكن أن يكون المراد الإيمان التعبدي ؛ لأنه لا يتصور أن يقول رجل

لرجل آخر أنا مؤمن بشجاعتك أنا مؤمن بقوتك أنا مؤمن بقدراتك يعني أنني أتعبد لك بهذا الإيمان. هذا لا يتصور -إن شاء الله- في قلب مسلم.

وإنما يقصد أنا مقر بهذه القدرات أنا مصدق بهذه الشجاعة لأنه رأى قرائنها على أرض الواقع. فهذا لا حرج فيه ولا بأس -إن شاء الله-. والله أعلم.

i

٣٩١. سُئِل الشيخ عن: حكم قول بعضهم: جعلني الله فداك أو جُعلت فداك أو ما شابهها؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله،

لا بأس بذلك؛ لأن هذه الكلمة قد جرت على ألسنة العرب ولا تقصد بها حقيقتها وإنما تقصد بها إظهار فضل من أطلقت له، وهي دليلٌ على عظم منزلة من قيلت في حقه في قلب القائل، فهي لا يقصد بها أن يكون فداءً له حقيقة وإنما هي عبارةٌ عن الإكرام والاحترام والتقدير وعلو المنزلة في قلب القائل بالنسبة لمن قيلت في حقه، فأنا أرى أنه لا بأس فيها إن شاء الله عز وجل. والله أعلم.

i

٣٩٢. سُئِل الشيخ: هل هذه العبارات صحيحة (كما تدين تدان)، وأن من ظلم سوف يظلم، وأن من أحسن سيحسن إليه؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين،

المتقرر في القواعد بإجماع العلماء أن الجزاء من جنس العمل، وأن الله عز وجل إنما يعامل عبده على حسب الطريقة التي يعامل بها العبد أخوانه من المؤمنين، كما قال الله عز وجل: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. ويقول الله عز وجل: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] ويقول النبي صل الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ،)[(١)]، و الأحاديث في هذا المعنى كثيرة وقد ذكرتها مستوفاةً في بعض الكتب والرسائل، أن الجزاء من جنس العمل فمن يقدم للناس الخير فإن الله عز وجل يقدم له الخير، وأما

---

(١) أخرجه البخاري كِتَابُ النَّفَقَاتِ باب وَفَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ برقم:[٥٣٥٢].وأخرجه مسلم في الزكاة بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ برقم (٩٩٣)

من يسعى بالإضرار بالناس فإن سعيه سوف يعود وبالًا عليه، ألا ترى إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. ألا تسمع لقول النبي صل عليه وسلم في الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ.))[١] فتجاوز الله عز وجل عنه، مع أنه قال في بعض الروايات: (لم يعمل خيرًا قط)، فلا جرم أن الجزاء من جنس العمل وأن الإنسان مهما قدم للناس فإنه سيرى الناس يقدمون ذلك إليه، فعلى الإنسان ألا يقدم لنفسه ولا للآخرين إلا كل خير والله أعلم.

i

٣٩٣. سُئِل الشيخ عن: معنى أن الإنسان خليفة الله في الأرض؟ لأني سمعت بعض أهل العلم يصور أن الإنسان خليفة الله في الأرض.

فأجاب – عفا الله عنه–: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هذا المعنى الذي سمعته من هذا البعض من أهل العلم معنًى فيه نظر عظيم، وذلك لأن الخليفة إنما يستخلف عمن يمكن غيابه عن مملكته، كالملك إذا أراد أن يسافر إلى بلدٍ معينة غير بلاده، فإنه يحتاج إلى خليفة يدير شئون البلاد في حال غيابه، وأما الله فإنه الحي الذي لا يموت، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء؛ ولأنه الغني عن كل

---

(١) أخرجه البخاري كِتَابُ الْبُيُوعِ بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا برقم:[٢٠٧٨]. أخرجه مسلم في المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، رقم: ١٥٦٢

أحدٍ ولأنه الكامل كمالًا مطلقًا في ذاته وفي صافته وفي أسماءه وأفعاله - تَبَارَكَ وَتعالى -.

فلا يمكن أبدًا أن يحتاج الله في لحظةٍ من اللحظات ولا يتصور أن يحتاج إلى أحدٍ يخلفه في هذه الأرض، فهذا معنًى ليس بصحيح ولا ينبغي فهم الآية على هذا المعنى، وإنما المعنى الصحيح في قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠].

معناه الصحيح أنهم قرونٌ يخلف بعضهم بعضًا كما قال الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس:١٤]، فالقرن الثاني يخلف القرن الأول والقرن الثالث يخلف القرن الثاني والقرن الرابع يخلف القرن الثالث وهكذا.

فالخلافة إنما تكون في بعض القرون وبعضها، ولا تكون بين الله وبين الناس وانتبه لهذا المعنى وفقك الله والله أعلم.

i

٣٩٤. سُئِل الشيخ عن: جواز قول هذه الأبيات: شربت من جور الزمن خمسة أنهار ﴿حزن، فرح، حلم، خيال، قناعة﴾ فهل هذا يجوز؟

فأجاب - عفا الله عنه-: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٥-٢٢٧].

فالغالب على الشعراء إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ تلك المبالغات التي لا يُنظر فيها إلى صحة اعتقاد من عدمه أو مصادمة اعتقاد من عدمه أو موافقة اعتقاد من عدمه ولا ينظر فيها إلى الأدب مع الله، وإنما هي أشجان قامت في قلب الشاعر فهو يريد بثها في هذه الأبيات من غير مراعاةٍ لا لعقيدةٍ ولا لقيمٍ ولا لأخلاق، وهذا أغلب الشعراء على هذا إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ، ومن جملة ما يكثر دورانه في كلام الشعراء سواءً كان الشعر العربي الفصيح أو الشعر النبطي العامي الدارج على ألسنة الناس: سب الدهر، فإنهم يسبون الدهر كثيرًا وينتقمون من الدهر كثيرا مثلما ذكره هذا السائل: أنه يصف الدهر الآن بأنه دهرٌ جائر.

فوصف الدهر بأنه جائر، أو معتدٍ، أو متسلطٌ، أو ظالمٌ، أو منتقم كل ذلك من العبارات السيئة القبيحة التي هي عند العلماء محرمة لدخولها في سب الدهر، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: ((يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))[1].

والمقصود بالدهر هو الزمان، وهذا الحديث لا جرم أنه يدل على تحريم سب الدهر يعني تحريم سب الزمان، ويدخل فيه أي في هذا السب أجزاء الزمان كسب الساعة وسب اليوم وسب الدقائق والثواني والمقصود بسب الدهر: أي لعنه وتقبيحه، وذلك بإضافة الفعل المكروه إليه، كقول الكفار كما حكى الله عَزَّوَجَلَّ عنهم في كتابه ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآيَةَ] (١٣٣/٦) برقم: [٤٨٢٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ](١٧٦٢/٤) برقم: [٢٢٤٦].

يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وفي معناه كذلك قول كثير من العرب في الجاهلية: لقد أبادهم الزمان، وقول بعضهم: مزقتهم الأيام، ومثل ذلك ما جاء على ألسن كثير من الشعراء غير هذا الشاعر المسئول عنه، فهذا زهير بن أبي سلمى يقول في بعض قصائده: يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا وقرعت في العظم، وكذلك يقول غيره: قطعت بها يا دهر حبل وتيني فشأنك إني اليوم طوع شؤوني، وكذلك يقول غيره من الشعراء ألفاظًا كثيرة فيها سبٌ للدهر منها كذلك قول المتنبي: قبحًا لوجهك يا زمان فإنه وجه له من كل قبحٍ برقعُ.

فمن يُقبح الزمان ويُقبح الليالي والأيام والساعات ففعله هذا فعلٌ محرمٌ لا يجوز، فالواجب علينا على شعرائنا وعلى غيرهم من الكتاب والصحفيين والمؤلفين أن يراعوا هذا الأمر مراعاةً كبيرة، وأن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الأمر، فإن قلت: وما حكم من سب الدهر؟ أقول: هذا فيه أحوال، إذا كان قد سب الدهر معتقدًا بأن الدهر هو الذي جاء بهذه المصيبة وهو الذي قدرها وخلقها فلا جرم أن هذا من الكفر الأكبر والشرك الأكبر المُخرج من الملة بالكلية، وأما إذا سب الدهر معتقدًا أنه سببٌ من الأسباب لهذه المصيبة التي حصلت والله هو المُقدر لها ولكن الدهر مجرد سبب فهذا شركٌ أصغر، وأما إذا لم يعتقد الأول ولا الثاني وإنما سبه سبًا مجردًا عن هذا الاعتقاد فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وآذى الله عَزَّوَجَلَّ، فالواجب: كف اللسان عن مثل هذه السقطات، والله أعلم.

i

٣٩٥. سُئِل الشيخ عن: حكم قول أحدهم: حسبِي على الأيام؟

فأجاب - عفا الله عنه-:لا يَجوز هذا القَول لأنّه داخلٌ في سبِّ الدهر، فإنَّ الدهر هو مجموع الأعوام والشهور والأيَّام. والقاعدة المُتقررة عند أهل السُنَّة والجماعة أنَّ كلَّ لفظٍ أشعر بسبِّ الدهر أو تقبيحه أوالتسخُّط عليه والتوجُّل منه فإنَّه مُحرَّم شرعًا. (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ)[2]. فقول الإنسان: أهلَك الله هذه الأيام، حسبي الله على هذه الأيام، ما هذا الزمان، ضاقت صدورنا من هذا الزمان، ونحو هذه العبارات، هي كُلُّها داخِلة في سبِّ الدَّهر. فالواجب كفُّ اللسان عن ذلك حتى لا نؤذِ اللهعزَّ وجل-، والله أعلم.

i

٣٩٦. سُئِل الشيخ عن: حكم قول عبارة ﴿البساط أحمدي﴾، وهي تشير إلى يأخذ الإنسان راحتهُ في المجلس، ومع أصحابة؟

فأجاب – عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء:، أن الحقائق في الألفاظِ لا تخرج عن ثلاثة أقسامٍ حقائق لُغوية: وهي استعمال اللفظ لما وضع له لُغةً، وحقائق شرعية: وهي استعمال اللفظ فيما وضع له شرعٌ، وحقائق عرفيه: وهي استعمال

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآيَةَ (١٣٣/٦) برقم: [٤٨٢٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ](١٧٦٢/٤) برقم:[٢٢٤٦].

(٢) ، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ](١٧٦٢/٤) برقم:[٢٢٤٦].

اللفظ لما وضع له عرفً.

وفائدة هذا التقسيم، حتى نحمل كلام المتكلم على الحقيقةِ التي يعرفها هو.

فإن كان المتكلم من أهل اللغة، فنحمل كلامهُ على حقيقة لغوية، وإن كان المتكلم من أهل الشرعِ، فنحمل كلامهُ على الحقيقة الشرعية، وإن كان المتكلم من أهل العرف والعامة، فنحمل كلامه على الحقيقة العرفية التي يفقهها هو.

ولا ينبغي أن نعامل المتكلم بغير حقيقته التي يفقهها، إذا عُلم هذا فيعلم أن مما جرى به لسان العامة في توضيح أن الأمر لا كلفة فيها قولهم أن البساط أحمدي. لا ندري عن حقيقة وأصل هذه الكلمة، لكنها مَثَلْ، ينبه السامعين على حسب المعنى العرفي، والعادة الجارية أنه لا كلفة في جلوسنا هذا.

فلا ينبغي أن يحتاط الإنسان احتياطً زائدً؛ لأن الجلساء أصحاب، وخلان، وأحباب، فتزول الكلفة فيما بينهم، هذا هو المعنى الدارج المعروف.

فصارت الكلمة لها حقيقة عرفية؛ فالواجب علينا أن نحمل هذه الكلمة على حقيقتها المعتادة، المعروفة بين الناس.

لأن المتقرر عند العلماء: أن العادة المُحكمة.

ولا ينبغي أن نسرد قصصً عن هذه اللفظة، لا ندري عن صحتها، ولا ندري عن أصلها الذي تنسب إليه؛ لأن من الناس من يقول: إن أصل هذه الكلمة مأخوذة من بساط أحمد البدوي، صاحب الطريقة البدوية، صاحب الطريقة المعروفة، وأنه كان له بساط صغير، فجاء رجلٌ يريد أن يجلس معه، فأتسع

البساط، ويعدونها كرامة لأحمد البدوي، وجاء ثالث، وجاء رابع، وكلما جاءهم رجلٌ جديد، اتسع البساط، ولكن لا نعلمُ عن أصل هذه القصة، ولا ندري، أهي صحيحة، أم لا!

ولو كانت صحيحة، فإنه لربما يقال مثلاً، في مكانٍ معينًا، فيكون له معنًا عرفي، في الأجيال التي تأتي بعده، فيكون معناه الأصلي، الذي قيل فيه، قد هُجرَ، وانتقل من تلك الحقيقة التي قيل فيها، إلى حقيقة أخرى، وعرف آخر.

فعلى كل حال، أرى إطلاق هذه الكلمة لا بأس به، ولا حرج فيه، إن شاء الله؛ لأنها كلمة تحمد على حقيقتها العرفية، هي أنه مجلس لا كلفة فيه،

ولكن ينبغي أن ننتبه لأمرٍ مهم، وهي أنه لا يجوز أن نسهل بهذه الكلمة ارتكاب المحرم في هذا المجلس؛ بمعنى مثلاً: لو كانت في المجلس موسيقى، وأراد أحد أن يقوم، فقال له آخر فقال له: يا أخي أجلس، فإن البساط أحمدي؛ يعني لكل واحد من الجالسين، أن يقول ما شاء.

ولو كان حرامً، أو أن يستمع ما شاء، ولو كان حرامً، أو يغتاب، أو ينم، أو يتكلم بفحش، أو سبٍ، أو لعنٍ، فبحجة أن البساط أحمدي. ﴿لا﴾، فإنه إذا كان التوسع في هذه الكلمة يفضي إلى الوقوع في أمر محرمٍ، فإنها تكون حرامً.

لأن المتقرر عند العلماء:، أن ما أفضى إلى الحرام فهو حرامٌ.

وأما إذا كانت إنما ترفع الحرج عن بعض المحرجين من المجلس، حتى يتبسطوا مع مجالسيهم، ببعض الفكاهات، أو بترك شيئًا من الكلفة، في حدود الأدب،

وفي حدود الشرع، فإن هذا أمر لا حرج فيه، وهي كلمة دارجة على ألسنة الناس، ولا نكير في قولها، والله أعلم.

i

٣٩٧. سُئِل الشيخ عن: حكم تركيب المقاطع المضحكة على بعض المشاهير؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين،

ينبغي للإنسان أن يعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ اختصنا بهذا الدين العظيم وهذه الشريعة الكاملة وأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يترك لنا شاذة ولا فازة فيها يتعلق بأمر ديننا ودنيانا إلا وشرع لنا آدابًا عظيمة ومن جملة هذه الآداب مقتضيات الأخوة الإسلامية الدينية فيما بين المسلمين بعضهم البعض فالله عَزَّوَجَلَّ جعل المسلمين أخوة فقال:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠] وحرم علينا بسبب بقاء هذه الأخوة الدينية الإيمانية كثيرًا من الأمور والتصرفات التي لا ينبغي صدورها من المسلم على أخيه المسلم قال الله عَزَّوَجَلَّ :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات ١١ :١٢]

فلو تدبرت وتأملت هذه الآيات لوجدت فيها جوابًا على سؤالك أيها السائل وهي أن نشر مثل هذه المقاطع التي توجب أن نضحك على إخواننا المؤمنين

وأن نتندر بهم وأن نتغامز عليهم وأن نجعلهم سببًا لضحكنا وسخريتنا واستهزائنا أنها من الأمور المحرمة التي لا ينبغي شرعًا نشرها وينبغي للإنسان أن يحترم إخوانه المؤمنين وألا يكون سببًا في ازدرائهم ولا في سخرية الناس بهم لاسيما إذا كان من نقل عنه هذا المقطع لا يدري عن حقيقة من صوره ولا يدري عن حقيقة هذا المقطع وإنما اغتيل بهذا التصوير اغتيالًا غير مأذون فيه.

فلا ينبغي مثل ذلك أيها الأخوان والواجب علينا أن نحترم إخواننا المسلمين وأن نعظم جنابهم وأن نقدرهم وأن نعلي منزلتهم وأن لا نجعلهم مسبة ولا عرضة للتندر ولا عرضة للضحك ولا عرضة للسخرية والاستهزاء، ويحرم ذلك أيضًا ويشتد حرمته إذا كان سبب السخرية والاستهزاء لعيب خلقي في مثل هؤلاء أن ننقل عنهم بعض المقاطع ونضحك على طريقة كلامهم التي خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ عليها ونضحك على كيفية خلقهم في وجوههم أو في أطرافهم أو في مشيتهم أو على ذكائهم وغبائهم، هذا أمر خلقهم الله عَزَّوَجَلَّ عليه فلا ينبغي أن نتندر به فإن السخرية من الصنعة سخرية من الصانع والخالق عَزَّوَجَلَّ.

وعلى كل حال فلا ينبغي للمسلمين أن ينشروا مثل هذه المقاطع ولا أن يرضوا بها وعليهم أن يحذفوها من جولاتهم احترامًا لحق الإسلام وتعظيمًا لجناب إخوة الدين والإيمان وقيامًا بواجب النصح والشفقة على إخوانك المسلمين.
فلا تضحك على إخوانك بشيءٍ من الأمور حتى إن النبي ﷺ كما في الصحيح حرم علينا أن نضحك إذا سمعنا ظرطة أحدٍ من الجالسين وقال ﷺ وهو يعظهم، قال وعظنا رسول الله ﷺ حتى في الظرطة، يعظهم حتى لا يكون الضحك على من فعل شيئًا من ذلك سببا لانكسار نفسه وسببًا لخجله ممن

يجلس معه.

وقال ﷺ:(لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ)[1] كل ذلك من باب مراعاة أخوة الدين والإيمان، ننشر هذه المقاطع التي تجعل الناس يضحكون وينبسطون على ما يفعله إخواننا المسلمين فنجعل إخواننا سببًا للسخرية فنكون نحن سببًا للسخرية بهم وسببًا للاستهزاء بهم فهذا أمر أقطع بتحريمه حماية لجناب الدين وتعظيمًا لأخوة الإيمان والشريعة، والله أعلم.

i

٣٩٨. سُئِل الشيخ عن: حكم الاستهزاء بالآخرين ولو من باب المزاح؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،

الأصل المتقرر في السخرية: أنها لا تجوز، فالله حرمها في كتابه ورتب عليها العقوبات المغلظة، قال الله -تَبَارَكَ وَتعالى- عن المنافقين، في استهزائهم وسخريتهم بالمؤمنين:﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال الله عن المنافقين أَيْضًا:﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقال الله -تَبَارَكَ وَتعالى- ناهيًا عن السخرية بعباده الْمُؤْمِنِيْنَ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري برقم: [٤٩٤٢]، وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون رقم ٢٨٥٥.

آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال الله :﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، والهمز هو السخرية بالإشارة واللمز هو السخرية بالقول، فاللماز هو العياب الطعان -والعياذُ بالله- من ذلك.

فالسخرية بالناس لا تجوز، سواءً فيما يتعلق بأمور دينهم، أو فيما يتعلق بأمور دنياهم، فالساخر من الناس فاسقٌ يجب تعذيره وعقوبتهُ، بل إن هذه السخرية إنما تصدر ممن ينظر في نفسه الكمال، وينظر في الآخرين النقص.

فهو لا يسخر من الآخرين إلا لاعتقاده أنه كاملٌ منزهٌ عما سخر من إخوانه به، وقد عد العلماء السخرية شعبةً من شعب الكبر من أجل ذلك، يقول النبي ﷺ:(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)[(١)]، وبطر الحق رده بعد بيانه واتضاحه.

وغمط الناس احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام، ولا يجوز بأي حالٍ من الأحوال، حتى وإن كان في باب المزاح، فإن المزاح له ضوابطه الشرعيةُ المعتبرة والتي منها، أن لا يتضمن المزاح استنقاصًا واستصغارًا واحتقارًا، وسخريةً واستهزاءًا بعباد الله.

فلا يجوز ذلك وعلى الإنسان أن يحترم إخوانه الْمُسْلِمِيْنَ، وأن لا يسخر منهم، وقد ثبت في الصَّحِيحَ عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ: (لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ برقم: [(٩١)]

النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[١].

وقد عد العلماء السخرية من بذاءة اللسان وفحشه أَيْضًا، وقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ)[٢]، والسخرية كذلك من أمر الْجَاهِلِيَّةِ.

وعن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ)[٣]، أي السخرية والاستهزاء والتنقص بالأنسابِ، فهذا كله من الأمور التي ينبغي أن يتقي العبد فيها ربه.

وإن ميزان السخرية يعظم إذا كان منطلقًا من أجل دين الشخص الذي سخرت منه، فإن السخرية من شخص من أجل دينه ردةٌ وكفرق وخروجٌ عن ملة الإِسّلاَم.

يقول الله -تَبَارَكَ وَتعالى-:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، وإن مما يجعل السخرية قبيحةً أَيْضًا إذا كانت بسبب عيبٍ خلقيٍ فيمن سخرنا

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في الإيمان بَابٌ: الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ برقم: [٣٠]، و أخرجه مسلم في الإيمان والنذور، باب: إطعام المملوك مما يأكل، رقم: ١٦٦١

(٢)أخرجه الترمذي برقم ١٩٧٧ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٣١٢/٢٣٧

(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنائز بَاب التَّشْدِيدِ فِي النِّيَاحَةِ (٩٣٤).

منه، ككونه أعمى أو كونه أعرج أو كونه أحول.

فإن هذا من أقبح ما يكون من أنواع السخرية، فإن المشهور فإن المعروف في الشريعة أن الإنسان لا يعير أخاه بعيب، إلا ويرى ذلك العيب قبل مماته، وقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يقوله الإنسان إذا رأى مبتلى.

و عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ)، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلاَءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ)[1]، وقد حسنه الإِمَام الترمذي –رَحمه اللَّهُ– وفي الحديث الآخر:(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ) قَالَ ابْنُ مَنِيعٍ: قَالَ أَصْحَابُنَا: (قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَفْعَلَهُ)[2]، ولكن هذا ضعيفٌ لا تصح نسبته إلى النبي، فالاستهزاء بالناس محرم ويخشى على صاحبه أن يسلب نعمة الله، وأن يعاقب فيصاب بمثل ما استهزأ به والله أعلم.

i

٣٩٩. سُئِل الشيخ عن: حكم تسمية ﴿ترف﴾؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، هذا من الترف الذي لا ينبغي

وإن كان المتقرر عند العلماء: أن الأصل في الأسماء الإباحة إلا ما ورد الدليلُ بالنهي عنها، أوما كان في منعاها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣١) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٣٩٢.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٥) وقال الألباني موضوع في الضعيفة ١٧٨ (ضعيف الجامع الصغير ٥٧١٠))

وكلمة الترف معناها: التبذيرَ والإسراف والإغراق في المباحات هذا هو الترف؛ لأن الترفَ معناهُ إما تبذيرًا، وإما إسرافا، وإما إغراقا لأمر مباح

ومن حق الولد على والديه أن يتخار له اسما يحمل معنىً جميلاً طيبًا لائقًا؛ لأن هذه التسمية سوف يكون لها أثر كبير على أخلاقهِ وعلى سلوكه وتصرفاته وعلى نفسيته، وعلى تعامله مع والديه ومع إخوته ومع الناس أجمعين، فإن التسميةُ لها أثر على تصرفات الإنسانَ، وأخلاقه.

وأحب الأسماء إلى الله عَزَّوَجَلَّ عبد الله وعبد الرحمن، وإذا كانت أمراه فتسمى بأسماء أمهات المؤمنين، أو بالأسماء التي جرى بها عرف بلادكم أما غادة، أو تغريد، أو ترف، أو غيرها من الأسماء التي هي موغلةً في التغنج والتأنث والدلال واستشغاف قلوب الرجال عند سمعها، فإن هذا لا ينبغي أن يسمى البنت به فعلى الزوجين الوالدين الكريمين أن يتقيا الله عَزَّوَجَلَّ في هذا الولد، وهذه البنت بأن يختاوا اسما لائقًا مناسبًا شرعًا وعرفًا والله أعلم..

i

٤٠٠. سُئِل الشيخ عن: حكم هذا البيت؟ أحسن الله إليك

أقول طوتني الدنيا تقول أنا لها الطاوي

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

من المعلوم أن الطي يحمل معنى التدبير والتصريف وتغيير الأشياء وتحويلها والتصرف فيها فلا يخرج عما قرره أهل السنة والجماعة من أن المدبر والمتصرف استقلالا ابتداء هو الله تبارك وتعالى. فإذا كان ينسب الطي أي طي هذه الدنيا

أي طي أيامها وطي سنيها. وطي شبابها وطي صحتها ونحو ذلك. إذا كان ينسب هذا الطي لمحبوبه نسبة تدبير استقلالي ابتدائي فلا جرم أن هذا من شرك الربوبية لأن المدبر والمتصرف ابتداء استقلالا هو الله تبارك وتعالى وأما إذا كان ينسب هذا الطي أي ما أصابه من الحزن والكآبة والهم والغم وتبدل الحال. لمحبوبه نسبة سببية أي أنه المتسبب في هذا فإن ذلك لا بأس به ولا حرج إن شاء الله. فإنه يتوسع في نسبة السببية ما لا يتوسع في نسبة الاستقلال والابتداء. والخلاصة من ذلك أنه إذا كان ينسب هذا الطي أي تبدل الحال أي تبدل حال المحبوب من السعادة إلى الحزن. ومن السعة إلى الضيق ومن الانبساط إلى الهم والغم. كان بسبب محبوبه فلا بأس فنسبة السببية جائزة. وأما إذا كان ينسب هذا الطي وهو تبدل الحال وتدبيرها وتصريفها إلى محبوبه نسبة استقلال وابتداء. وتقدير وخلق فهذا كفر أكبر. فهي كلمة مجملة تحتمل الحق والباطل فلا بد فيها من هذا التفصيل والله أعلم.

i

٤٠١. سُئِل الشيخ عن: حكم من اعتاد لسانه على قول علي الحرام وأمانة وغيرها دون قصد منه وإنما بسبب اعتياد اللسان.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد:

هذا يعتبر من لغو اليمين. التي لا كفارة فيها إجماعا. لقول الله عز وجل ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥] الآية بتمامها وهي أن يقول الإنسان لا والله وبلى والله بمعنى أن ينطق لسانه بشيء لم يعقد عليه قصد قلبه. فقوله حرام أي علي الحرام وهي يمين باعتبار المضمون والمعنى وإن لم تك

يمينا باعتبار ظاهري الألفاظ. قوله أمانة هي من باب اليمين باعتبار المضمون والمعنى وإن كانت ليست يمينا باعتبار ظاهر الألفاظ. وقد قسمنا لكم سابقا بأن الإيمان قد تكون يمينا باعتبار الظاهر والباطن وقد تكون يمينا باعتبار المعنى والباطن لا باعتبار الظاهر. فإذا جرى ذلك على لسان الإنسان من غير قصد قلبي فإنها تعتبر من لغو اليمين فلا كفارة فيها. ولكن على الإنسان أن يحرص ما استطاع أن يربي نفسه ويعود لسانه على ألا يقول ذلك والله أعلم.

i

٤٠٢. سُئِل الشيخ عن: حكم قول بسم الله أو اسم الله عليك عند سقوطه أو سقوط أحد الأطفال خصوصا يكثر تداولها بين الناس فهل لها أصلا أو دليل شرعي؟

الشيخ: الحمد لله رب العالمين:

أما أصلها فلا أعلم لها أصلا ولكنها كلمة عرفية يراد بها تعويذه فهي كلمة تجري مجرى التعويذ أي أعيذك باسم الله عز وجل وأنت تعرف أن الاستعاذة بأسماء الله عز وجل أمر جائز بإجماع أهل السنة والجماعة فهي كلمة يغلب فيها المعنى العرفي فإذا قالوا بسم الله عليك أو نحو ذلك فكأنهم يقولون أعيذك بسم الله وهذا جائز إن شاء الله ولا بأس به والله أعلم.

i

٤٠٣. سُئِل الشيخ عن: حكم استعمال بعض الألفاظ لكن لها معاني كثيرة منها معاني قبيحة.

فمثلا الشباب يلفظون لفظا كان يستعمل لمعنى قبيح. ولكن اليوم صار يستعمل في معنى ليس بعيب. فما حكم ذلك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

المتقرر في القواعد أن التعبير عن المعنى المراد باللفظ الصريح الذي لا يحتمل شيئا باطلا هذا أولى.

فإذا أردت أن تعبر عن شيء من المعاني فاختر له من الألفاظ ما لا يوجب فيه إجمالا بحيث لا يفهم المستمع منك لهذا اللفظ إلا المعنى الطيب المتضمن للمقصود الذي تريد إيصاله. فإن من فحش القول أن يعبر الإنسان عن المعنى الذي يريده بعبارة قبيحة وهو يجد من العبارات الطيبة ما توصل معناه المراد للمخاطب. فكلما أراد الإنسان أن يعبر عن شيء من المعاني فليتخير من الألفاظ أحسنها لعموم قول الله عز وجل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣] ولعموم قول الله عز وجل ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[الإسراء: ٥٣] ولقول النبي ﷺ ((لَيسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ))[(١)]، وأنظر الى تعبيرات القرآن عن الأمور التي يستقبح ذكرها بألفاظها الصريحة. فعبر الله عز وجل عن الجماع بالملامسة في قول الله عز وجل ﴿ ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ

---

(١)أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ](٣٥٠/٤)، برقم: [١٩٧٧]، وأخرجه البزار في «مسنده» (٢٩٦/٥)، برقم: [١٩١٤]، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ نَفْيِ اسْمِ الإيمان عَمَّنْ أَتَى بِبَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي تَنْقُصُ بِإِتْيَانِهِ إِيمَانَهُ](٤٢١/١)، برقم: [١٩٢]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٧/١٠)، برقم: [١٠٤٨٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٩/٢)، برقم: [٥٣٧٩].

لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] إلى غير ذلك فالعاقل الأريب ينبغي له أن يتخير أجمل الألفاظ التي لا تحتمل شيئا من المعاني القبيحة إذا أراد أن يوصل شيئا من المعاني إلى الآخرين وبناء على ذلك فإذا كانت هذه الألفاظ التي يستعملها أهل هذا العرف تتضمن معنى قبيحا إما صريحا أو احتمالا فلا يجوز للإنسان أن يستعملها في إيصال المعنى الذي يريد؛ وإنما يستبدلها بالألفاظ التي لا تحتمل إلا المعنى الطيب؛ واللغة العربية واسعة سوف يجد الإنسان إما في اللغة العربية أو في اللهجات العرفية الدارجة ما يوصل معناه من غير احتمال شيء قبيح والله أعلم.

i

٤٠٤. سُئِل الشيخ: أختي قالت لنا أنها في اجتماع وكان الساعة الواحدة والثلث صباحا أي منتصف الليل تقريبا فقلت بضحك لبقية أخواتي إنها قد تكون في اجتماع مع الرفيق الأعلى أعني أنها تقوم الليل ولا تريد أن تخبرنا فهل يعد فعلي هذا من الاستهزاء بالدين؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله لا يعتبر ذلك من جملة الاستهزاء بالدين فإن الإنسان إذا استقبل القبلة وكبر فإن الستار فيما بينه وبين الله عز وجل ينفتح ولذلك في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ (إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أَوْ، إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ)[١] وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ.(إِذَا

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٤٠٥)و مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد رقم ٥٥١

كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ)[١] فلذلك ينبغي لنا أن نعلم أن المصلي متى ما استقبل القبلة وافتتح الصلاة بالتكبير فإنه يكون مع ربه فإذا كنت تقصد بأنها مجتمعة مع الرفيق الأعلى في هذا التعبد الذي يعتبر صلة بين العبد وبين ربه فلا بأس عليك ولا حرج في ذلك إن شاء الله وأظنك إن شاء الله لا تقصد إلا هذا المعنى الذي ذكرته والله أعلم ..

i

٤٠٥. سُئِل الشيخ عن: جملة ﴿حطها في ذمتك﴾، لكي يصدقون ما نقول لهم فما حكم هذه العبارة؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله وبعد.

المُتقرِر في القواعِد (أن العادة مُحَكّمة، وأن الناس يُترَكون على أعرافهم ما لم تُخالِف دليلاً شرعيًا).

وهذه الجملة هي كلمة عُرفيةٌ يُراد بها أن الذِمةُ تتحمل جميع الآثار المُترِتبة على عدم صِدق ذلك الخبر، فهي كلمة جائزة لا بأس بها ولا حرج، وليست من باب اليمين بغير الله عز وجل، ولا من باب النَذر، ولا من باب ما يُوجِبُ مَنعه، فإذا قال أضعها في ذمتك يعني أنه لو تَبيَّن الأمر خِلاف ذلك ثم تَرتَّب على الكذب فيه شيء من الإتلاف أو الضرر فأنت تتحمله، فإن الله عز وجل قد خَلق الذِمَم وجعلها مُؤهلة للتَّحمُل، ولذلك خلقها ثم حمّلها الوجوب

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٤٠٥) مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد رقم ٥٥١

الشرعيّ والتحريم الشرعيّ والإيمان الشرعيّ، فلاتزالُ الذِمة آهِلَةً أي مُؤهلة وقادرة على التحمل، فهو يقول إن هذا الخبر إن لم يكن على ما ذكرت فذِمَتُكَ تتحمل جميع الآثار والعواقب فيقولُ نعم فحينَ إذٍ يُلزمُ شرعًا بجميع الآثار المُترتِبة على عدم صدقه في هذا الخَبر،

والخلاصةُ أنها كلمة عُرفِية يُراد بها معنى صحيحًا وهو التَّحمُل والضمان والله أعلم ..

i

٤٠٦. سُئِل الشيخ عن: من يتكلمون بالكلام الفاحش وإذا نصحتهم قالوا هذا مجرد مزاح فكيف يكون الرد عليهم

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين

المتقرر عند العلماء أن المزاح لا يجوز أن يكون بالكلام الفاحش البذيء فإن النبي ﷺ حرم علينا مثل هذه الفلتات اللسانية التي توجب الإثمَ والوقوع في الوزر((لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ))[1]

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ

---

(١)أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ](٤/٣٥٠)، برقم: [١٩٧٧]، وأخرجه البزار في «مسنده» (٥/٢٩٦)، برقم: [١٩١٤]، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ نَفْيِ اسْمِ الإيمان عَمَّنْ أَتَى بِبَعْضِ الْخِصَالِ الَّتِي تَنْقُصُ بِإِتْيَانِهِ إِيمَانَهُ](١/٤٢١)، برقم: [١٩٢]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/٢٠٧)، برقم: [١٠٤٨٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/٩٤٩)، برقم: [٥٣٧٩].

رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ.)[١]

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)[٢].فلا ينبغي أن يكون مزاحنا مبنيًا علي ذكر النساء والتغزل بمفاتنهن ولا يكون مزاحنا مبنيًا علي التعليق علي الآخرين، والاستهزاء بهم والسخرية بخلقهم، أو خلقهن ولا يجوز أن يكون مزاحنا مشتملً علي عبارات السب والشتم والتعيير والتنابذ بالألقاب فإن هذا لا ينبغي أن يكون عليه مزاح المؤمنين.

فالنبي ﷺ كان يمازح أصحابه، ولكن لا يقول إلا حقًا فاحترام الآخرين وحفظ اللسان واجب في حال المزاح وفي غيره فهؤلاء يجب عليهم أن يتقوا الله فيما ينطقونه بألسنتهم حتى لا تكون سببًا؛ لعقوبتهم وعذابهم يوم القيامة.

فإن –النبي ﷺ– سُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ)[٣] ويقول النبي ﷺ في حديث معاذ: ((ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ. قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ

---

(١)أخرجه البخاري كتاب الرقاق بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ برقم (٦٤٧٤)

(٢)البخاري برقم (١٠) أخرج مسلم بعضه في الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، رقم: ٤٠

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (٧٩٠٧) والترمذي برقم (٢٠٠٤) وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٨٩/٢٢٢)

فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)[١]وليس كونه مزاحًا يجيزهُ.

فالكلام الفاحش محرم في المزاح وفي غيره والسباب والشتم واللعن والسخرية والاستهزاء والتنابذ بالألقاب هذه محرمة سواء أكان في مزاحٍ، أو في غيرهِ فهي من كلمة السوء التي يجب علي الإنسان أن يحذرها.

يقول النبي ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))[٢]- والعياذ بالله

فعليك أن تواصل نصيحتك لهم وأن تأمرهم بتقوى الله وأن تنكر عليهم هذا الأمر بارك الله فيك وأن لا تمل من نصح إخوانك حتى تنقذهم من هذا المستنقع الذي يوجب عقوبة الله والله أعلم.

i

٤٠٧. سُئِل الشيخ عن: من يكثرون اللعن كأن يقول الله يلعن والدة الجامعة؟ فماذا نفعل مع هؤلاء؟

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٦٣]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٤/٢) برقم:[٣٩٧٣]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ](١٢/٥) برقم: [٢٦١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣/٢) برقم: [٥١٣٥].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨)، برقم: [٦٤٧٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ](٢٢٩٠/٤)، برقم: [٢٩٨٨].

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين

أن من الطبيعة التي ينبغي أن يكون عليها عبد الله المسلم ألا يكون لعانًا وأن يحفظ لسانه عن السب والشتم واللعن ما أستطاع إلي ذلك سبيلا، فينبغي علي لمسلم أن يكون بعيدًا عن اللعن والسب بغض النظر عما لعنه، أو سبه أنسيًا، أم جنيًا، أم حيوانًا، أم طائرًا، أم متحركًا أم جمادًا بغض النظر عن من تسبهُ.

فلا ينبغي للإنسان أن يُعوِّد لسانه علي السب واللعن؛ لأن ذلك من السلوكيات التي تتنافي مع الأخلاق، والأوصاف الحميدة التي حثت عليها الشريعة وأمر بها الله ورسوله ﷺ؛ ولذلك روي الإمام البخاري من حديث أنس –رضي الله عنه– إن النبي ﷺ: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا لَعَّانًا وَلَا سَبَّابًا)[١]

وفي الترمذي من حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا).[٢] وفي صحيح الإمام مسلم أيضًا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.))[٣] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا)[٤]

وفي الحديث يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلَا

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ برقم (٦٠٤٦)

(٢)سنن الترمذي في أبواب البر والصلة بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّعْنِ وَالطَّعْنِ برقم ٢٠١٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٧٧٤ - ٢٨٧٨

(٣)أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيرِهَا برقم ((٢٥٩٨))

(٤) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيرِهَا برقم ((٢٥٩٧))

بِالْفَاحِشِ، وَلَا بِالْبَذِيءِ)) -[(١)]

فلا يجوز للإنسان إن يصدر اللعن من لسانه بغض النظر عما توجه له هذا اللعن فإن المتقرر عند العلماء أن اللعنة ترجع علي اللاعنِ إذا كانت في حق من لا يستحقها فإذا لعن الإنسان شيئًا لا يستحق أن يلعن فإن اللعنة ترجع علي من خرجت منه فإذا لعن الإنسان الجدار، أو الجامعة فقد لعن جمادًا ولعن الجماد لا يجوز وإذا لعن الإنسان دابة فإن لعن الدابة أيضًا لا يجوز بل إن دابة لُعنت علي عهد النبي ﷺ وأمر أن يأخذ ما عليها وأن تُسيَّبَ فكانت تمشي بين شوارع المدينة، ولا يتعرض لها أحد.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: (بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ: حَلِ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ.)[(٢)]

فاللعن حقيقته الطرد والإبعاد عن رحمة الله، والجماد لا يبعد، أو يطرد عن رحمه الله والحيوان لا يطرد أو يبعد عن رحمه الله فكون الإنسان يوجه السب إلي من لا يستحق السب فإن سبه ولعنه يرجع إليه فلا يجوز للإنسان أن أن يلعن يومًا، أو يلعن جمادًا، أو يلعن أنسانًا، أو يلعن شجرة، أو يلعن البحر، أو الريح، أو نحو هذا كل ذلك من لعن الجمادات كل ذلك من اللعن الذي لا يجوز.

---

(١)أخرجه أحمد برقم (٣٨٣٩)و الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في اللعنة برقم (١٩٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة ٣٢٠.

(٢)أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا برقم ((٢٥٩٥))

فينبغي للإنسان أن يعود لسانه علي أن يلعن أحدًا أي كان هذا الأحد والله أعلم ..

i

٤٠٨. سُئِل الشيخ عن: حكم اللعن؟ وما الطريقة لتركه فأنا أسب كثيرا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: اللعن محرم لا يجوز للإنسان أن يلعن غيره سواء كان المعلون آدمياً أو جنيًا أو بهيمةً بل حتى الجهاد لا يجوز أن يلعنه فإن النبي ﷺ قال: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ))[١].

وإذا توجه لعنك لأحد من المسلمين فكأنك قتلته، يقول النبي ﷺ: ((لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ))[٢] بل إنه كبيرة من كبائر الذنوب فإن اللعن سبابٌ، وقد قال النبي ﷺ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَاله كُفْرٌ))[٣].

فهو كبيرة من كبائر الذنوب، فلا يجوز للإنسان أن يلعن أحداً، وإذا كنت قد تعودت على ذلك فهذه العادة تقلعها بعادة أخرى وهي: أن تعود نفسك على

---

(١)أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٩٠/٦) برقم:[٣٨٣٩]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب:[مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَةِ] (٣٥٠/٤) برقم:[١٩٧٧]، صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٣٤/١) برقم:[٣٢٠]، واللفظ لأحمد.

(٢)أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١٢/٢٦) برقم:[١٦٣٨٥]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» باب:[ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ بْنِ خَلِيفَةَ الْأَنْصَارِيُّ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ] (٧٣/٢) برقم:[١٣٣٠]، وصححه الألباني في «الأدب المفرد» (٢٨٥/١)، واللفظ لأحمد.

(٣)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ] (١٩/١) برقم: [٤٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَاله كُفْرٌ»] (٨١/١) برقم: [٦٤].

أن لا تلعن وأن توصي من حولك أن يذكروك دائما إذا فرط لسانك نسيانا أو سهوا بشيء من ذلك الذي أعتدته من اللعن أن ينبهوك وأن يأمروك وأن يذكروك وأن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ في لسانك، وأن تعلم أن ما ينطق به لسانك فستراه أمامك ماثلاً في صحيفة حسناتك أو سيئاتك ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

فعود نفسك يا أخي على أن لا تلعن، وذكر نفسك دائما بعقوبة اللعن، وبشدة عذاب اللاعن يوم القيامة لا تعلن أحدا لأن اللعن هو الدعاء بالطرد والإبعاد عن رحمة الله فلا يجوز لك أن تلعن أخًا لك مؤمنا ولا يجوز لك أن تلعن دابةً، بل (بَيْنَما جارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَقَالَتْ: حَلِ اللَّهُمَّ الْعَنْهَا قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُصَاحِبُنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ.)[١]،

فلا يجوز للمؤمن أن يلعن أحدًا أبدا ولا أن يدعوا على أحد بالويل والثبور فاتق الله في لسانك فإن الإنسان قد يُطلق كلمةً من لسانه وهو لا يدري عن عواقبها ولا يعلم مبلغها يهوي بها في النار على رأسه سبعين سنة بسبب هذه الكلمة، أو يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة t قال: قال النبي ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بالاً، يرفع اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))[٢].

ما هذه الكلمة؟ كلمة الكذب، كلمة السباب، كلمة الفحش، كلمة الغيبة،

---

(١)أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا برقم ((٢٥٩٦))

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨) برقم:[٦٤٧٨].

كلمة النميمة، كلمة اللعن.

أيضًا كلمة اللعن هذه كلمة خبيثة يبغضها الله عَزَّوَجَلَّ، فالشيطان يجري هذا اللعن على لسانك حتى يسخط عليك ربك الذي خلقك، وهذا اللسان نعمة عليك فالواجب عليك أن تستغله فيما يقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقل خيرا أو اصمت، يقول النبي ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ))[1]. أي: اللسان.

ويقول النبي ﷺ: مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ))[2].

ويقول النبي ﷺ: ﴿إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا﴾[3]، وقبل ذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥].

فالله ما خلق لسانك ولا أقدرك على الكلام حتى تلعن عباده أو تسبهم أو تدخل معهم في كلام فاحش وبذيء، بل الله خلق لسانك حتى تذكره وحتى تقرأ كتابه وحتى تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتدعوا إلى الخير وتقول

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠٠/٨) برقم: [٦٤٧٤].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ](١٣٢/٨) برقم: [٦٦٤٦]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ الله تَعَالَى](١٢٦٧/٣) برقم: [١٦٤٦].

(٣)أخرجه الترمذي في «سننه» باب:[مَا جَاءَ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ] (٦٠٥/٤) برقم:[٢٤٠٧]، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣/٧) برقم:[٤٥٩٥]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٥/١) برقم:[٣٥٢]، واللفظ للترمذي.

الخير.

فهذه الجارحة يجب عليك أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ فيها، وعليك أن تعلم أن أكثر ما يُدخل الناس النار يوم القيامة إنما هي حصائد ألسنتهم والعياذ بالله، والتي منها اللعن بغير حق، هذا لا يجوز، يقول النبي ﷺ في حديث معاذ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟))[1].

وَسُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ)[2]فاتق الله لا يقودك لسانك الذي خلقه الله نعمةً عليك ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد:٨-٩]، هذا اللسان نعمة فلا تجعل هذه النعمة قائدة لك إلى النار والعياذ بالله، فكف لسانك يا أخي عن اللعن، واتق الله في المسلمين لا يسمعون منك إلا كل كلام طيب، وانتقي الكلام لهم كما ينتقي العصفور أطايب الثمر، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعصم لساني ولسانك من هذه الآفة، وأن يجعل ألسنتنا شاهدةً لنا يوم القيامة لا شاهدة علينا والله أعلم .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

i

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٦٣]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٤/٢) برقم:[٣٩٧٣]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ](١٢/٥) برقم: [٢٦١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣/٢) برقم: [٥١٣٥].

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٧٩٠٧) والترمذي برقم (٢٠٠٤) وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٨٩/٢٢٢)

٤٠٩. سئل الشيخ عن: حكم تلقب الأخ لأخيه في الله بخليلي؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله. لا بأس بذلك؛ أن تطلق علي إنسان بأنه خليلك لشدة المحبة التي غمرت قلبك له؛ فلا بأس بذلك-إن شاء الله-؛ لاسيما إذا كانت تلك المحبة إنما ترجع إلي معانٍ شرعية، لا إلي معانٍ دنيوية؛ فأنت تحبه لكثرة صلاته، تحبه لعظم علمه، تحبه لشدة حرصه علي دعوة الناس.. وهكذا؛ فإذا وصفت أحد بأنه خليلك، وكان مبدأ هذه الخلة هي تلك المعاني الشرعية؛ فلا حرج في ذلك- إن شاء الله تعالي.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: سمعت خليليﷺ.

و(الخُلة): أعلي درجات المحبة؛ فإذا أحببت أخاك محبة عظيمة لمعانٍ شرعية، ووصفته بأنه خليلك فلا بأس ولا حرج عليك في ذلك؛ ولكن خُلة الغير من المخلوقين ممنوعة في حق النبيﷺ فقط؛ فهي من جملة خصائصه؛ لأن الله قد اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا.

ولو كان النبيﷺ متخذًا من أمته خليلاً لاتخذ-أبو بكر- خليلا.

فخُلة أحد من المخلوقين ممتنعة في حق النبيﷺ فقط لأنها من خصوصياته: أن الله قد اتخذه خليلاً؛ وأما خُلة غيره من المخلوقين.. فإنها باقية علي أصل الحل والجواز؛ فيجوز لك أن تتخذ أنت أبا بكر خليلا، ويجوز أن تتخذ عمر خليلا؛ تحبهم وتحب قراءة سيرهم، وتسأل الله أن يحشرك معهم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ))[١] ويجوز لك أن تتخذ عالمًا من العلماء المعاصرين خليلاً، أو أحدًا من الصالحين خليلاً؛ فإن خُلتك أنت لغيرك من المخلوقين لم تحرم؛ بل هي باقية علي الأصل.

فتحريم خُلة أحد من المخلوقين من جملة الأحكام الخاصة برسول اللهﷺ؛ وأما غيره فلا يثبت في حقه هذا الحكم. والله أعلم.

i

٤١٠. سئل الشيخ عن: امرأة تعبت من رعاية زوجها المقعد لكبر سنها وفي بعض الأحيان تقول الله يريحك ومات وندمت فما الحكم؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، وبعد:

المتقرر في ذلك عند أهل العلم –رحمهم الله تعالى– أنه لا ينبغي إبطال الإحسان بالمن والأذى لقول اللهعَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَاله رِئَاءَ النَّاسِ﴾[البقرة: ٢٦٤]، فأخذ العلماء من ذلك أن من كمال فعل الإحسان ألا يتبعه الإنسان بشيء من المن والأذى، فإذا أحسنت لغيرك إحسانًا معنويًا كخدمة، أو رعاية، أو جبر خاطر، أو كانت الخدمة خدمة حسية كتقديم مال أو نحو ذلك، فلا ينبغي أن تتبع هذا الإحسان بشيء من المن بمعنى: أن تذكره كل ما لاقيته إنك قدمت له كذا وكذا، أو أن تُخبر في المجالس بما قدمته له، ولا يجوز لك أن تتبعه كذلك بالأذى.

(١)أخرجه البخاري برقم (٦١٦٩) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب رقم ٢٦٤٠

ونحن وإن كنا نشكركِ ونُثني عليكِ هذه الخدمة لهذا الرجل المقعد، والذي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذه الخدمة في موازين حسناتك، ولكن كان ينبغي عليك ألا تُتبعي هذه الخدمة العظيمة التي لا يحتملها أحد إلا من وفقه الله، وأنتِ من الموفقين بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لم يكن ينبغي منكِ أن تُتبعيها بشيء من الأذى، لأنه رجلٌ مقعد مسكين، وموته ليس بيده حتى يعجله، أو يأخره، فليتك لم تتكلمي بمثل هذا، ولكن بما أن الأمر قد جرى فلا ينبغي أن نقول: لو أنه كان كذا، لكان كذا وكذا، ولكن نقول: قدَّر الله وما شاء فعل.

فعليكِ أن تتوبي إلى الله عَزَّوَجَلَّ من هذه الدعوات التي كان يسمعها وهو مُقعد ولا يد له في تعجيل أجله حتى يُريحكم منه، فعليكِ أن تتوبي إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تستغفرين لزوجك، وأن تُكثري من الدعاء له، وأن تذكريه بالخير في المجالس التي تجلسينها، وأن تسألي الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لكِ هذا الذلل الذي صدر منكِ، وألا يجعله مبطلاً لإحسانك لأن الأذى أو المن التابع للإحسان موجب لبطلان الإحسان السابق، ولكن أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يكتب لكِ كامل الأجر، وكامل الثواب، وأن يجعل هذه الخدمة في موازين حسناتك، وجازاكِ الله عنه وعن أولاده، وعن المسلمين خيرا الجزاء، وجعل ذلك تكفيرًا لسيئاتك، وأبشرك بأذن الله عَزَّوَجَلَّ بالخير العظيم عند الله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ لا يضيع أجر من أحسن عملا. والله أعلم.

i

٤١١ . سُئِل الشيخ: أنا أبيع في السوق، ويأتي عندي زبون فأعرض له المنتجات وأقول: أنا أبيعها بأسعار مناسبة وأقل من سعر السوق، وأتحدى أن تجد أقل من هذا، أو ستجدها في السوق بسعرٍ أغلى، فهل مثل هذه الجُمل تُعتبر مُحرمة؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، وبعد:

المتقرر عند العلماء أن غلبة الظن كافية في التعبد والعمل، فإذا كنت تبيع بسعرٍ تعلم أو يغلب على ظنك أنه لا أحد من التُجار يبيع كما تبيع من الأسعار فلا بأس أن تقول هذا لأنك قلت كلامًا يغلب على ظنك صدقه، وغلبة الظن كافية في تجويز قولك لهذا الكلام، فإذا كنت تقوله من باب الإخبار بالواقع على علم أو غلب ظن فلا حرج.

وأما إذا كنت تقوله من باب المخادعة والتغرير بالزبون وإقناعه بالسعر مع علمك أن ثمة من يبيع، أو مع جهلك بوجود من يبيع بسعرك فهذا من التغرير والمخادعة التي لا تجوز، وهي من الأشياء التي تُذهب بركة البيع لما في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام –رضي الله تعالى عنه– قال: قال النبي ﷺ: (الْبيِّعَان بالخيارِ مَا لَمْ يَتفرّقا، أو قال: (حَتَّى يَتَفَرَّقَا)، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)[١].

وفي مسند الإمام أحمد وصححه الحاكم من حديث رافع بن خديج قال: سُئل النبي ﷺ عن أطيب الكسب قال: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[٢]، والبيع المبرور هو الذي لا يخالطه كذب ولا تدليس ولا مخادعة ولا غش ولا تغرير، فإذا كنت تخبر بهذا الأمر عن علم أو غلبة ظن لبيان الواقع فلا حرج عليك هذا لا بأس به.

وإذا كُنت تخبر الأمر من أجل باب تغرير الزبون ومخادعته فإن هذا أمرٌ محرم،

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٩)أخرجه مسلم برقم (١٥٣٢)

(٢) أخرجه أحمد برقم ((١٥٨٣٦)) وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٦٠٧

واعلم يا أخي أن القاعدة المتقررة في المال أن المال ببركته لا بعدده وكثرته، فقليل من المال مع البركة خيرٌ من كثير مع سلب البركة منه. والله أعلم

i

٤١٢. سُئِل الشيخ عن: حكم اللعن وما توجيهكم لمن عود لسانه على اللعن بارك الله في علمكم ونفع به؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العامين وبعد

لا جرم أن الإنسان يجب عليه أن يحفظ لسانه من تلك السقطات العظيمة التي قد تفضي ببطلان عملهِ أو سخط ربه عليه فإن أفات اللسان خطيرة يجب الحذر منها ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ (وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ.)، وفي رواية (يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) وعند مسلم (بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).[(١)]

ومن جملة هذه السقطات اللعن فلا يجوز للإنسان أن يلعن أحدًا لا متحركًا ولا جامدًا لا بشرًا ولا طيرًا ولا حيوانًا حتى الجمادات لا يجوز لعنها لا ينبغي للإنسان أن يعود لسانه على اللعن فإنه من أخس الألفاظ الذي ينطق الإنسان بها بلسانهِ

ففي الصحيحين وغيرهما يقول النبي -ﷺ (مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي

---

(١)أخرجه البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٧) و(٦٤٧٨) ومسلم كتاب الزهد والرقائق بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ برقم (٢٩٨٨).

الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)[١] فإذا لعنت أحد المؤمنين وليس أهلً للعنة فكأنما قتلته والعياذ بالله وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال ((قال رسولُ الله ﷺ: ((أنَّ العَبدَ إذا لَعَنَ شيئاً صَعِدَتِ اللَّعنَةُ إلى السَّماء، فتُغلَقُ أبوابُ السماء دونَها، ثمّ تَهبِطُ إلى الأرض، فتُغلَقُ أبوابُها دونَهَا، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَت إلى الذي لُعِنَ، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رَجعت إلى قَائلها))[٢]

فمآل هذه اللعنة التي تخرج من فيك التي سترجع إليك إذا وجهتها لمن لا يستحق أن يلعن وروى الطبراني بإسناد جيد من حديث سلمه بن الأكوع -رضي الله عنه- قال: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاهُ رأينا أنهُ قد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الكبائر.

فقد كان القوم من أصحاب النبي ﷺ يستعظمون هذا الأمر ويقول النبي ﷺ ((لَيسَ المُؤمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ))[٣]،

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيرْ الإِسْلاَمِ فَهُوَ كَماَ قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِه، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِه.» برقم (٦٠٤٧) ومسلم مختصرا برقم (١١٠)

(٢)أخرجه أبو داود برقم (٤٩٠٥) وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٧٩٢

(٣)أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي اللَّعْنَة](٣٥٠/٤)، برقم: [١٩٧٧]، وأخرجه البزار في «مسنده» (٢٩٦/٥)، برقم: [١٩١٤]، وأخرجه ابن حبان برقم: [١٩٢]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٧/١٠)، برقم: [١٠٤٨٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٤٩/٢)، برقم: [٥٣٧٩].

وإن اللعن يعظم إذا كان متجهًا للوالدين تسببًا أو مباشرةً والعياذ بالله ففي الصحيحين من حديث بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -ﷺ (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ أَنْ يَسُبَّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَسُبُّ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يُسَابُّ الرَّجُلَ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، أَوْ يَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ)[(١)].

فعلينا أن نتقي الله عَزَّوَجَلَّ في ألسنتنا وأن نقول خيرًا، أو نصمت وأن نحرص كل الحرص على أن لا نلعن أحدًا ولا أن يتضمن كلامنا شيئًا من الفحش أو اللغط أو تلك السقطاتَ التي توجب غضب الله عَزَّوَجَلَّ يقول النبي ﷺ (((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ))[(٢)]. والله أعلم

i

٤١٣. سُئِل الشيخ عن: حُكم هذه الألفاظ مثل قول الله يقرفك أو الله يقلعك أو الله يقطعك؟

فأجاب – عفا الله عنه-: هي من جملة الألفاظ التي لا ينبغي إطلاقها لأنها تتضمن دعاء المسلم على أخيه المسلم بالويل والهلاك والانقطاع والثبور وهذا لا ينبغي أن يَصدر من مسلم أبداً وعلى الإنْسَان ألا يعمل لسانه في شيء من ذلك لأن المسلم ينبغي له أن يعامل المسلمين على مبدأ الدعاء لهم والصفح عنهم وعلى رحمتهم والشفقة عليهم، فإن من مقتضيات الأخوة الإيمانية الشرعية أن يدعو المسلمين بعضهم لبعض، وإما مثل هذه الألفاظ فإنها تتضمن دعائك على أخيك بالويل والانقطاع والهلاك والخسارة والبَوْر

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣) مسلم برقم (٩٠)

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](٨/١٠٠) برقم: [٦٤٧٤].

والثبور وهذا مما لا ينبغي صدوره من مسلم وعلينا أن نبدل هذه الألفاظ بقول أصلحك الله هداك الله وفقك الله أعانك الله غفر الله لك رحمك الله عفا الله عنك، هذا هو الذى ينبغي أن يدور فيما بيننا أما تلك الألفاظ فإنها من الدعاء على المسلمين والدعاء على المسلمين أمر لا يجوز.

i

٤١٤. سُئِل الشيخ عن: حكم مناداة من اسمه عبد العزيز -من باب التدليل- بعزوز أو غيره؟ علما أنه بذلك لا يقصد تصغير اسم الله.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله نعم لا بأس بذلك-إن شاء الله- لأن هذا من باب التصغير لذات المنادى؛ لا باسم الله عَزَّوَجَلَّ العزيز، مناداة عبد العزيز بعزوز، أو مناداة عبد الرحمن بدُحَيْم.. هذا لا بأس به ولا حرج، وقد كان معروفًا عند السلف من الرواة من اسمه (دُحيم: واسمه الأصلي عبد الرحمن، وكذلك حُميد، وكذلك أُنيس، وكذلك عبيد، وعبدان... ونحو هؤلاء) فإن السلف- رحمهم الله تعالى- هذه الأسماء، وهذا التصغير؛ فيجوز مناداة من اسمه (عبد العزيز: بعزوز، ومناداة من اسمه عبد الرحمن: بدُحيم، ومناداة من اسمه عبد المجيد: بمجودي)؛ وإنما إذا كان المقصود حقيقة المنادى بهذا الاسم، ولا يقصد السخرية بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تصغير أسماء الله؛ فإنما هذا تصغير ينطلق على المنادى؛ فلا حرج في ذلك، والمتقرر عند العلماء أن (الأصل الحل والإباحة، والمنع حكم شرعي، والأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها الأدلة الصحيحة الصريحة)، ولا يمكن أبدًا أن يتطرق في قلب من ينادي عبد العزيز بعزوز؛ لا يمكن أن يتطرق في قلبه تحقير أو تصغير اسم الله عَزَّوَجَلَّ؛ وإنما يتطرق في قلبه تصغير هذا المنادى- أي ذاته وشخصه- ولا تعلق في نيته أبدا

لشيء من أسماء الله عز وجل تصغيرًا، أو تحقيرًا- معاذ الله- أن يقوم هذا الظن في قلب أحد من المسلمين يعرف عظمة الله، وقد استقرت عظمة الله عَزَّوَجَلَّ في قلبه.

فلا بأس، ولا تضييق، ولا حرج في ذلك- إن شاء الله- لأن التصغير في استعمال العرب أمر دارج؛ ولكن لابد أن نعلم أن لهذا التصغير عدة مقاصد:

المقصود الأول: التصغير من باب التدليل، وهذا جائز في حق الصغار، لا حرج فيه أن يدلل الوالدان ولدهما الصغير بمناداته بمثل هذا التصغير؛ لأنهما لا يقصدان السخرية، ولا الاستهزاء، ولا التنقص؛ وإنما يقصدان به التدليل وهذا لا حرج فيه.

الأمر الثاني (المقصود الثاني): أن يراد به التنابز بالألقاب، أو يراد به التحقير، أو الاستهزاء، أو السخرية.. فهذا محرم؛ لأن الأصل أن السخرية، والاستهزاء، و التنابز بالألقاب.. هذا أمر محرم قد نهانا الإسلام عنه؛ لأنه يتنافى مع مقتضى الأخوة الدينية الإيمانية، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسم الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾[الحجرات: ١١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسم الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات: ١١]، وقال النبي ﷺ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَحْقِره، وَلَا يُسْلِمه، ولا يَخْذله بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ...)[١] الحديث بتمامه

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٧٢٤) و مسلم برقم ((٢٥٦٤)) واللفظ له

والأدلة في تحريم استهزاء المسلم لأخيه واستنقاصه، وسخريته به.. كثيرة جدًا من الكتاب والسنة.

فإذا كان التصغير من باب التدليل فلا حرج ولا بأس به، وإذا كان من باب السخرية فلا يجوز؛ وأما إذا خلا عن مقصود السخرية فإن الأصل فيه (الحل والإباحة)، والأصل (براءة الذمة من المنع). والله أعلم ..

i

٤١٥. سُئِل الشيخ عن: الحكم إذا وافقنا من يَصف الوهابية بِالمتشددين بأنهم متشدِدون في الحق فَهل وصفهم بِذلك جَائز؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين.

نعم يجوز ذلك على سبيل التَنزُلِ مع الخَصم ومخاطبته بما يتلفظ به من الألفاظ القبيحة وقَلبِ ألفاظه عليه في صورة الحق، وعلى ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ :﴿قُلْ أن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فإنا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[الزخرف:٨١]

يعنى أن الله-عزَّ وجل- هو المستحق للعبادة، وإن سلمنا لكم أن للرحمن ولد، فلن أتخلى عن عبادة الله-عزَّ وجل-؛ لأنه المستحق لِلعبادة دائمًا وأبدًا فهذا من بَاب أسلوب التَنزُل مع الخَصم ومخاطبته بما يعرفه أو يتلفظ به من الألفاظ، ومن بَاب قَلب الدليل عليه، وهو مَبحث أصولي بَحثه الأصوليون في بَاب المناظرة والجَدل، وعلى ذلك قول الإمام الشافعي-رحمه الله تعالى-:(أن كان رَفضًا حُب ألَ محمد فَليشهد الثقلان أنى رافضي) يعنى إذا كان تمسكي بالحق سيجعلكم تصفوني بالأوصاف القبيحة الذميمة، فلاَّ تَظنون أنى سأترك هذا الحق بِسبب أوصافكم القبيحة هذه، بل لا تزيدني هذه الألفاظ القبيحة

إلا تمسكًا بالحق، فهذا من باب التسليم الجَدَلي، ومن باب قَلبِ الحُجة على صَاحِبها، فهو يقول من يسميهم بالوهابية بِأنهم متشددون في أمورٍ لا يجوزُ لهم التشدد فيها، ويجيب المجيب بأنهم نعم متشددون ولكن متشددون في الحق، كما لو قال لك رجُل: إنك مُتعصب، فترد عليه وتَقول نَعم أنا مُتعصب للهِ ولرسوله، متعصب للدَليل، مُتعصب للحق، ولكن لست متعصب لأراء الرجال، ولا لأقوال المذاهب، ولا لاجتهادات العلماء، بَل متعصب لِلدليل، فهذا لا بأس بِه من بَاب التَنزُل، وصَفع الخِصم، بِما يتلفظ بِه مِن الألفاظ مقلوبة عليه في صورة الحق. والله أعلم.

i

٤١٦. سُئِل الشيخ عن: حُكم إرسال رسائل يَكون عِنوانها خِلاف المَضمون؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحَمدُ للهِ ربِ العالمين. وبعد.

المتقرر عند العلماء أن(الأمور بِمقاصِدها وأن الأعمال بِنيَتِهَا)، لقول النبي ﷺ:- ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى))[١] فتغيير العنوان عن المقصود المراد، هذا عملٌ من الأعمال وليس له حكم في الظاهر، منفردًا عن النظر في نية فَاعِلِه، فإن كان من بَاب إحقاق الحَق وإبطال البَاطل فلا بأس في ذلك، وأن كان من بَاب تَرغِيب الناس في قِراءة الخير، والاطلاع عليه فلا حَرج في ذلك أيضًا، لأن هذا من باب الدعوة إلى الله–عزَّ وجل– ومن بَاب تَشويق النفوس وتَرغِيبهَا إلى الاطلاع على الخير، لأن من النفوسِ من إذا قرأ في العنوان وعرفت أنه موعظَةٌ أو خير أعرضت عنه؛ لكن إذا وضع لها ما

(١)أخرجه البخاري برقم (١) و مسلم برقم ((١٩٠٧))

يُشوقها من العناوين التي فيها شيء من المعاريض، حتى يكون ذلك أدعى إلى قِراءة الموضوع والاستفادة مِن هذا الخَير، فإن هذا من العمل الصالح إن شاء الله، وليس من الكذب، وأما إذا كان المقصود بتغيير عين العنوان عن المضمون إنما هو إحقاق الباطل وإبطال الحق، فإن فَاعِله أثمّ، وجميع من يَطَلِعُ على باطله في هذا المضمون فإنه يتحمل إثمه وَوِزره، فأنت ترى أن الحكم يختلفُ باختِلاف مَقصودِ فَاعِلِهِ، فإن كان يقصد به الخير ونشر الخير، والدعوة إلى الله -عزَّ وجل-، وتذكير الغافل، وتنبيه الغافل، فهذا جيدًا، ولَهُ أجرَهُ وأجر من أطلع عليه، وأما إذا كان لا يقصد به إلا نشر الباطل، والدعوة إليه، وتشويق النفوس للاطلاع عليه، فإن هذا محرٌم فعله، وجميع من يطلع على هذا الباطل فإنه يبوء بإثمه. والله أعلم ..

i

٤١٧. سُئِل الشيخ: هناك من ينكر عليَّ قولي (شكراً لك) ويقول إن مثل هذا لا يكون إلا لله بالتنوين وبأل ؛ فما صحة هذا القول حفظك الله

فأجاب - عفا الله عنه- :- لا جرم أن الأدلة وردت بمجازاة من صنع لك معروفا وطريق المجازاة إما بمكافأته أو برد المعروف له على طريق الدعاء كقول (جزاك الله خيرا) ونحوها من العبارات التي تنبئ عن اعترافك بفضله وقيامك بشكره على هذا الإحسان وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)[١]

وهو حديث جيد وفي بعض طرقه ضعف ولكنه بمجموعها يكون حسنا.

---

(١)أخرجه أبو داود برقم (٤٨١١) والترمذي برقم (١٩٥٤) وصححه الألباني في المشكاة ٣٠٢٥.

فالتعبير بلفظ الشكر لمن أحسن إليك من المخلوقين أمر مطلوب شرعا بل هو من كمال الأخلاق ورفيع القيم. ومن الوفاء ونباهة الفهم والتواضع.

وإنه لمن قلة الأدب أن يحسن غيرك لك وأنت لا تجازي إحسانه ولو بعبارة من عبارات الوفاء والجزاء.

فقول القائل شكرا لك لمن أحسن له لا بأس به

لأن المخلوق يشكر على قدر إحسانه فالمخلوق يشكر مطلق الشكر فقولنا شكرا لك

إنما نعني به مطلق الشكر لا الشكر المطلق

فالمخلوق له مطلق الشكر والله تعالى له الشكر المطلق.

مثل قولك تحياتي فإن مطلق التحية يجوز توجيهها للمخلوق وأما التحيات المطلقة فهي لله تعالى.

ومثل حمدك للمخلوق بما فيه فإن المخلوق له مطلق الحمد وأما الحمد المطلق فهو من خصائص الله تعالى.

ومثل إطلاق لفظ الجلالة على المخلوق فللمخلوق مطلق الجلال وأما الجلال المطلق فهو لله تعالى.

ومثل إطلاق لفظ الملك على المخلوق فإن المخلوق له مطلق الملك. والله تعالى له الملك المطلق.

فهذه ألفاظ تطلق على المخلوق إن أريد بها بعض حقيقتها وأما حقيقتها المطلقة

الكاملة التامة فإنها لله تعالى.

وبناء عليه: فقولك لغيرك شكرا لك أو الشكر لك :

أ- لا بأس به إن كان يريد به بعض ذلك مما هو مناسب لحال المخلوق.

ب - وأما الحقيقة المطلقة الكاملة التامة فهي من خصائص الله تعالى. والله أعلم ..

i

سُئِل الشيخ عن: قول رمضان مفردًا دون شهر فيه محذور شرعي؟

فأجاب - عفا الله عنه-: لا بأس به في الأصح، وكل حديث في النهي عنه فهو موضوع.

والقول بأن رمضان من أسماء الله قول باطل، وقد ورد تسميته برمضان من غير إضافة شهر في الأدلة الصحيحة.

ومن قال بالكراهة فهو مطالب بالدليل الدال على هذه الكراهة ؛ ﴿لأن المتقرر أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة﴾. والله أعلم

i

٤١٨. سُئِل الشيخ: تنتشر بين الناس طرف ونكات ولكن فيها شيء من السخرية والضحك بأشياء حقيقية فمنها على سبيل المثال لا الحصر (إذا شعرت برعشة في جسمك صباح العيد فلا تخف هذا إبليس يفعل الخدمة)

وعلى ذلك قس فما حكمها؟ وما حكم أرسالها حفظكم الله؟

فأجاب – عفا الله عنه– :– على وجه الإجمال فالنكات بالكذب لا يجوز وفاعله متوعد بالعقوبة البليغة، ففي الحديث ﴿وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ﴾[1] وتلك الزلات تعتبر من سقطات اللسان وآفاته فضلا عن أن ما ذكر في هذا السؤال هو من الكلام في أمر غيبي فإن اتصال إبليس بالإنس اتصال غيبي لا تعرف حقيقته وأمور الغيب مبنية على التوقيف ثم الجزم بأن الرعشة إنما سببها اتصال إبليس بك هذا ربط أثر بسبب، والمتقرر أن ربط الأشياء بأسبابها يفتقر إلى دليل شرعي أو قدري، ثم اعلم أن الشريعة عظمت أمر اتصال الشيطان بالإنسان ولذلك فقد أمرت بكثرة الاستعاذة منه وبالتحصن منه ومن أذاه بالمحافظة على الأوراد الشرعية فاتصاله بنا شأنه خطير.

فكونه يأخذ هذا المنحى، أعني كونه يخرج على شكل نكتة يراد بها إضحاك الآخرين في الحقيقة هذا تهوين وتساهل وعبث وسخرية بأمر عظمه الشرع، وبين طرق الخلاص منه كتابا وسنة، ثم مع ذلك يقول هذا التافه في نكتته (لا تخف فإنما هو إبليس يفعل كذا وكذا) سبحان الله !! إن لم نحتط لهذا العدو ونخاف من سطوته وأذاه فلا نكون بذلك قد حققنا قوله تعالى :

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦]فهو أكبر عدو وأخطر عدو فلا يصور اتصاله بنا بهذه الصورة التي تبعد العقول عن بيان حجم عداوته.

الخلاصة أن هذه الفكاهات باطلة شرعا ومضمونا، وفاسدة طبعا وحسا.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) وحسنه، والنسائي في الكبرى (١١١٢٦)، وأحمد (٢٠٠٤٦). وحسنه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: ٧١٣٦، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: ٢٩٤٤

فهي من أتفه ما يسمعه العقلاء.

فمع كونها من الكذب والدجل، فهي تخرص بلا برهان وتخوض فيما لا علم للإنسان به، فعلى العقلاء الترفع عن هذا التفاهات السامة. والله أعلم.

i

٤١٩. سُئِلَ الشيخ: هل كلمة (دوم) حرام، بمعنى من يقول دائماً، وأنا أعلم أنه لا يدوم غير الله سبحانه وتعالى، ولكن أقول دوم إن شاء الله تكون بخير، أو دوم إن شاء الله ها الضحكة، هل على إثم في ذلك؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، لا إثم ولا حرج عليك في ذلك، ولله الحمد والمنة، فإن قلت ولماذا؟ فأقول؛ لأن هذا يجرى في العادة والعرف مجرى الدعاء.

والمتقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى أن العادة محكمة، وأن الأصل في العادات الحل والإباحة ما لم يرد دليل شرعي بتحريمها.

ولأن المتقرر عند العلماء أن الأصل في الدعاء الحل والإباحة إلا إذا دعا الإنسان بشيء من المخالفات الشرعية، فإذا تعود الناس وجرى عرفهم بأن هذا الكلام المذكور أنه من جملة ما يدعو به المسلم لأخيه المسلم، فإن هذا لا حرج فيه، والله أعلم، فالأصل أن الناس يتركون على هذه الألفاظ؛ لأنها لا تخالف أصلا شرعياً، والله أعلم ..

i

٤٢٠. سُئِل الشيخ: هل يجوز أن يقول المرء عن نفسه أنا من أهل السنة؟ وهل يعد هذا من تزكية النفس؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن وسيلة الشيء تأخذ حكم مقصودها فلا يجوز لنا أن نعطي الوسيلة حكما بالنظر إليها مجردة عن قرنها بمقصودها فقول الأنسان أنا من أهل السنة هذا يدخل في دائرة الأخبار فالإخبار وسيلة وهذه الوسيلة تختلف باختلاف مقصودها فإن كان يقولها افتخارا وتعاليا فهذا لا يجوز، وإن كان يقولها إخبارا عن تبرئة أو عن تهمة اتهم بها فأراد أن يبرأ نفسه منها فإنه لا بأس به ولا حرج؛ فالإنسان مأمور أن يدفع التهمة عن نفسه بما استطاع إلى ذلك من سبيل، وإن كان يقصد بذلك مدح نفسه مدحا يتضمن تنصيبه في منصب لا يصلح إلا لمثله فإنه لا بأس به ولا حرج؛ والمهم أننا ننظر إلى مقصوده من هذا الإخبار فإن كان يقصد به دفع تهمة فلا بأس به وإن كان يقصد به الفخر والخيلاء فلا يجوز وإن كان يقصد به مدح نفسه مدحا يتضمن سد ثغرة من ثغرات منصب من المناصب أو نحوها فإنه لا بأس به و لا حرج ألا ترى إلى يوسف عليه الصلاة والسلام لما ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يوسف: ٥٥]

فهو لا يقصد بذلك مدح نفسه لذات المدح وإنما ليظهر قدرته على هذا الأمر ليتولى هذا المنصب الذي لا يصلح أن يتولاه إلا مثله والله أعلم.

i

٤٢١. سُئِل الشيخ عن: رجل قال لأخر أذهب مع النصارى وتنصر هل هذه الجملة تعتبر كفر؟ أحسن الله إليك.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد-

إذا كان يأمره بأن يتنصر أو يتهود معتقدا صحة دين النصارى وصحة دين اليهود فلا جرم أن هذا من الكفر بالله عز وجل فإن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبله الله عز وجل منه أبدا في صدر ولا ورد فكل من اعتقد أن الدين الذي عليه النصارى في هذا الزمان أو الدين الذي عليه اليهود في هذا الزمان من الأديان الصحيحة التي توصل إلى الله عز وجل فلا جرم أنه كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية فإذا كان يأمر غيره بأن يتهود أو يتنصر من باب اعتقاد صحة ما عليه اليهود والنصارى من هذه العقائد الكفرية الشركية الوثنية فلا جرم أن هذا كفر أكبر يخرج صاحبه من دائرة الإسلام بالكلية ولكن لا نظن إن من قال ذلك لغيره يقصد هذه الحقيقة التي ذكرتها لكم أنفا وإنما غالبا ما يقال ذلك في باب المخاصمة وشدة الغضب فالواجب على الإنسان أن يكف لسانه عن مثل هذه الألفاظ حتى وإن كان غضبان وأن يستعيذ بالله عز وجل من شؤمها ومن عواقبها فلها عواقب وخيمة فعليه أن يتوب وأن يستغفر وأن يمسك لسانه عن مثل ذلك- والله أعلم.

i

٤٢٢. سُئِل الشيخ عن: ما حكم قول الزوجة لزوجها أنت أخ لي بعهد الله وما شابه ذلك من الألفاظ وهل يترتب عليها أحكام شرعية؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد لقد قسم العلماء الأخوة إلى قسمين:

إلى (إخوة دينية شرعية، وإلى إخوة قرابة نسبية) ولا جرم أن الزوجة إذا قالت لزوجها ذلك فإنها لا تقصد بها الأخوة النسبية المبنية على القرابة فإن نكاح الأخت من الأمور المحرمة بإجماع العلماء ولكن غالبا يقوم في ذهنها مقصود الأخوة الدينية الشرعية أو أخوة الرعاية والاهتمام فمثل هذه الألفاظ المجملة ينبغي أن نحملها على المعاني الصحيحة فإن غالب العامة لا يقصدون بمصطلحاتهم إلا الخير فإذا قال الزوج لزوجته يا أختي بمعنى في الإسلام أو قالت الزوجة لزوجها يا أخي بمعنى في الإسلام فإن هذا من الأمور التي لا بأس بها لعموم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] والحديث الذي ينهي عن ذلك فيه ضعف ولا يثبت عن النبي ﷺ ويقول النبي ﷺ المسلم أخو المسلم فيدل هذا بعمومه أن الزوجة أخت لزوجها باعتبار الدين والإيمان وأن الزوج أخ لزوجته باعتبار الدين والإيمان فهذه أخوة دينية شرعية إيمانية فرضها الله عز وجل فرض وجوب بين كل من يدخل في دائرة الإسلام فإن كانت تقصد إخوة الدين والشريعة والإيمان فإن هذا طيب جدا ولا حرج فيه إن شاء الله ولا يترتب عليه شيء من ما يوجب امتناع النكاح أو جريان أحكامه بينهما والله أعلم.

i

٤٢٣. سُئِل الشيخ: تنتشر عندنا في اليمن لفظة راعنا بمعنى انتظرنا فهل هي المقصودة بالنهي في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ [البقرة: ١٠٤]

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد

٤٢٤. لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إذا أرادوا أن يمهلهم النبي ﷺ في بعض حاجياتهم أو أن يلتفت إليهم في بعض أمورهم وضروراتهم كانوا يقولون يا رسول الله راعنا أي انتظرنا أو أنظرنا أو انظر إلينا فلما سمع اليهود أي يهود المدينة هذه المقالة من الصحابة للنبي ﷺ استغلوها وجعلوها مدخلا لذم النبي ﷺ فكان اليهودي يقول يا محمد راعنا ومن المعلوم أن راعنا عند اليهود بمعنى الرعونة والقسوة والجفاء والغلظة فإذا كانت لفظة راعنا عندكم في اليمن معناها انتظرنا أو أنظرنا أو انظر إلينا فإنه لا بأس بإطلاقها ولا حرج فيها وذلك لفوات الحكمة أو العلة منها فإن الكلمة ممنوعة إذا كانت على سبيل الذم وأما إذا كانت على سبيل الإنظار أو الانتظار أو النظر فإنها كلمة طيبة لا بأس بها ولا حرج فقول الله عز وجل ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ [البقرة: ١٠٤]

حتى لا يكون لليهود مدخل أو ثغرة في ذم النبي ﷺ لأن راعنا عندهم أي عند اليهود معناها الرعونة والغلظة والقسوة والجفاء– وقولوا أنظرنا– نقلهم الله عز وجل من شيء إلى شيء لأن الأمر الأول فيه ثغرات لابد من سدها وأما اللفظة الثانية فإنه ليس فيها ثغرات وعلى كل حال فلا بأس عليكم أن تستمروا على قولكم راعنا لأنها ليست من الرعونة في عرفكم وإنما بمعنى النظر والإنظار أو الانتظار والله أعلم ...

i

٤٢٥. سُئِل الشيخ: هناك الكثير من الأمهات تقول لأبنائها يا بعد روحي أو يا بعد الدنيا يقول أليس هذا مخالف لقوله ﷺ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد

المتقرر في القواعد عند أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه يتوسع في الأمور الفطرية ما لا يتوسع في الأمور الشرعية التعبدية، المتقرر في القواعد أنه يتوسع في الأمور الفطرية الجبلية ما لا يتوسع في الأمور الشرعية التعبدية وقول النبي ﷺ (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [(١)] –إنما يريد المحبة الشرعية لا المحبة الجبلية الفطرية فالمحبة الجبلية الفطرية إذا أحب الوالد أو الوالدة ولدهما هذا الحب العظيم فإنما يرجع إلى أنها محبة جبلية فطرية فلا حرج على الإنسان ولا لوم عليه فيها ولكن لا ينبغي له أن يقدم أحدا في المحبة الشرعية على رسول الله ﷺ وكذلك قوله ﷺ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا،) [(٢)] – أي بالمحبة الشرعية فرسول الله ﷺ نحبه المحبة الشرعية أكثر من محبتنا لأنفسنا ووالدينا وأولادنا والناس أجمعين فإذا فرقت بين ما كان منها أي من المحبة فطريا جبليا وبينما كان شرعيا حينئذ ينحل عندك هذا الإشكال فإن قول الأم لولدها يا بعد روحي مثلا أو يا بعد الدنيا كلها مثلا إنما تقصد أن تعبر عن

---

(١)أخرجه البخاري في الإيمان بَابٌ: حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ برقم (١٥) ومسلم في الإيمان بَابُ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ برقم ٤٤.

(٢)أخرجه.البخاري في الإيمان بَابٌ: حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيمَانِ برقم ١٦ ومسلم في الإيمان بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ برقم ٤٣

محبتها الفطرية الجبلية محبة الشرعية والله أعلم.

i

٤٢٦. سُئِل الشيخ: هل عبارة أن أهل السنة والجماعة يفرحون بموت المبتدع صحيحة؟؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

إذا كنت تسألني عن إنسان معين فاتق الله أن تحمل كلامي عليه لأنك سألتني سؤالا يحمل صفة العموم فيكون الجواب معادا في السؤال فالسؤال إذا كان عاما فالجواب يكون عاما والسؤال إذا كان خاصا فيكون الجواب خاصا فإجابتي إياك أن تنزلها على الأعيان وفقك الله هذا تنبيه لابد أن تفهمه وأنا أدينك فيما بينك وبين الله عز وجل في كلامي هذا وأما جوابك عن سؤالك فاعلم أن أهل السنة رحمهم الله تعالى يفرحون بكل من في موته إزالة الضرر العام عن الأمة بل هذا منهج دلنا عليه النبي ﷺ وأرشدنا إليه كما في الصحيحين من حديث أبي قتادة رضي الله تعالى عنه (أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ، وَما الْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فقَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ: يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ: الْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ)[1] وكذلك علي ابن أبي طالب لما تفقد بعض موتى الخوارج ورأى فيهم ذا الثدية سجد لله شكرا على أن الله خلص الأمة من هذا المبتدع الذي آذى الناس ببدعته وأذى الناس بالسيف وكذلك بعض

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٦٥١٢) ومسلم برقم (٩٥٠)

أهل السنة لما بلغه بعض موت أهل البدع الدعاة إلى بدعته والذين حصل بدعتهم ودعوتهم إليها عظيم الشرور سجد لله شكرا ؛ وبناء على ذلك فإذا كان هذا المبتدع من المبتدعة الذين آذوا أهل السنة وآذوا العامة ببدعته وصار داعية إليها وحصل بدعته والدعوة إليها عظيم الشرر وعظيم الخطر وأفسد عقائد المسلمين وأتلف توحيدهم بالدعوة إلى بدعته وكان له الأثر الكبير في فساد عقائد الناس وتوحيدهم ثم مات فلا بأس علينا أن نفرح فإن الله سبحانه قد خلصنا وخلص الأمة وحمى العقيدة من شر عظيم وأما إذا كان من جملة المبتدعة الذين معهم أصل الإسلام ولم يدع إلى بدعته وكان من جملة المستورين، وبدعته على نفسه لم يتعدى خطرها ولا شررها فليس من الحكمة أن يفرح الإنسان بذلك؛ وإنما عليه أن يحزن أن هذا الرجل مات على بدعته وأن يستغفر له وأن يسأل الله عز وجل له التوبة والمغفرة، وبالتفريق بين نوعي المبتدعة بين الداعية والمستور وقتئذ يتحرر لك الجواب والله أعلم.

i

٤٢٧. سُئِل الشيخ عن: حكم قول القائل توكلت على بركة الله ونحوها؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن ما كان من التعبدات القلبية المحضة فإنه لا يجوز أن يصرف لغير الله عز وجل. ومن المعلوم أن بركة الله عز وجل منها ما يكون مخلوقا، فلا يجوز أن يتوكل الإنسان على شيء مخلوق. وإنما يقول العبد توكلت على الله، لقول الله عزوجل ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقوله تعالي ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]

ولم يقلوا على بركة الله فليتوكل وإنما قال وعلى الله فليتوكل ولذلك فاللفظ الصحيح أن يقول توكلت على الله، ولا يقول توكلت على بركة الله، فإن العبادات القلبية المحضة لا يصرف إلا لله عز وجل. والله أعلم.

i

٤٢٨. سُئِل الشيخ: ينتشر في مواقع التواصل الاجتماعي رسائل ويكتب فيها تخيل ربك يراك وأنت تنشرها لأجله يقول ما توجيهكم في مثل هذه الجمل؟ أحسن الله إليك

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد.

المتقرر في القواعد: أن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد. فقول القائل تخيل ربك إذا كان تخيل تمثيل وتصوير فإن هذا محرم لا يجوز وأما إذا كان تخيل مراقبة فإن هذا لا بأس به ولا حرج لقول النبي ﷺ في بيان مرتبة الإحسان لما سأله جبريل وما الإحسان؟ قال: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[١]. فإذا كان المقصود تخيل هذه المرتبة فإنه لا بأس به أي تخيل المراقبة لا بأس به وأما إذا كان تخيل التمثيل والتصوير فإن هذا محرم لا يجوز والله أعلم.

i

---

(١)أخرجه البخاري برقم ٥٠ وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩ و ١٠ و٨

٤٢٩. سُئِل الشيخ عن: حكم القول لبيك يا رسول الله وهل هذا من الشرك

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد.

المتقرر في القواعد: أن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا تنفي مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد. وبناء على ذلك فقول الإنسان لبيك يا رسول الله إذا كان دعاء واستغاثة بالنبي ﷺ فإن هذا من الأمور المحرمة التي لا تجوز وأما إذا كان من باب كمال الانقياد لشريعته والاتباع لمنهجه وطريقته ﷺ فإنها من الألفاظ التي لا حرج فيها إن شاء الله فإن كانت تجرى مجرى المخاطبات والدعاء والاستغاثة والنداء فإنها من الأمور التي لا تجوز وإن كانت تجرى مجرى الإخبار عن كمال الاتباع والانقياد والسمع والطاعة والموافقة لشريعته فإنه لا بأس بها ولا حرج وبالتفصيل يزول الإشكال إن شاء الله والله أعلم.

i

٤٣٠. سُئِل الشيخ عن: حكم قولهم عذرا يا رسول الله يقول اختلفنا فيها مع بعض الأحبة هناك من قال إنه شرك وبعضهم قال هذا إظهار الحزن والأسى؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجمل التي تحتمل الحق والباطل لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق ويرد الباطل

فقول الإنسان عذرا يا رسول الله إذا كان يقصد بذلك نداء رسول الله ﷺ

ومخاطبته فإن هذا من الأمور التي لا تجوز فإن النبي ﷺ قد مات ميتته التي كتبها الله عز وجل عليه في هذه الدنيا والنبي ﷺ بعد موته لا يملك نفعا ولا ضرا استقلاليا ولا يسمع دعاءً ولا يجيب نداء بعد موته ﷺ فإذا كان الإنسان يقول هذه الكلمة ويقصد بها نداء رسول الله ﷺ فهذا لا يجوز اعتقاده

وأما إذا كان يقولها تحسرا وندما على أمر معين فأنا أرى أنه لا بأس به ولا حرج لا سيما وأن العرب تتوسع في مثل هذه الأبواب أعني بها أبواب التوجع والتفجع وإظهار الندم وإظهار الأسف والأسى فإن العرب تتوسع فيه والخلاصة أنه إن كان يقصد بها النداء والاستغاثة أو الدعاء فإنه أمر محرم وأن كان يقصد به إظهار التفجع والتوجع والأسف والأسى فإنه لا بأس به إن شاء الله والله أعلم.

i

٤٣١. سُئِل الشيخ: يشتهر عندنا وفي كثير من البلدان قول بعض الناس لبعضهم عند التحدي ﴿لو كنت ابن أبوك، إفعل كذا وكذا﴾ فهل في هذه العبارة السابقة محذورا شرعي؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

المتقرر في القواعد: أن ألفاظ العوام تحمل على حقيقتهم العرفية، لأن الحقائق قد قسمها أهل العلم إلى ثلاثة أقسام، إلى حقائق لغوية، وإلى حقائق شرعية، وإلى حقائق عرفية.

فالحقيقة العرفية هي: حمل اللفظ على المتقرر عرفا. ولأن المتقرر في القواعد أن العادة مُحكَّمة، والمتقرر في القواعد أن الأصل في الأعراف الإعمال، بمعنى

أن الإنسان لا ينبغي له أن يُحَمِّل كلام أهل العرف ما لا يحتمل، وإنما كل لفظة عرفية لها معنى عرفي، فالواجب علينا من باب إحقاق الحق وإعطاء كل ذي حق حقه أن نحملها على المعنى العرفي المتقرر عندهم، وبناء على ذلك فإن الناس في كثير من الأعراف إذا قال لمن يتحداه ﴿إذا كنت ابن أبيك﴾ فإنه لا يقصد به إذا كنت ابن أبيك نسبا، وإنما إذا كنت ابن أبيك قوة وشجاعة فهذا لا بأس به ولا حرج، وذلك لأن الأب إذا كان شجاعا فإنه يورث الشجاعة لأبنائه من بعده، فهذا من جملة الصفات التي يتوارثها الناس، كما يتوارث الناس فيما بينهم صفة الكرم، وصفة الشجاعة، والنبل، وصفة الصدق، أو صفة الغدر، والبخل، هذه صفات قد تتوارث، فقد يؤثر فيها السالف على الخالف، والكبير على الصغير وهكذا، فهذا يتحداه ويقول إذا كنت ابن أبيك شجاعة وقوة فافعل كذا ولا يقصد به التشكيك في نسبه، هذا هو المعنى العرفي الذي ينبغي حمل تلك اللفظة عليه وبناء على ذلك فنرى أنه لا بأس به ولا حرج، والله أعلم ..

i

٤٣٢. سُئِل الشيخ: لو قال شخص مُخبراً عن آخر أنه رآه يُدخل امرأة أجنبية عنه لداره، ومعلوم عن هذا الرجل قلة دينه، فهل هذا القول يعتبر من القذف المحرم شرعا؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد،

يعتبر هذا من القول المحرم شرعا ومن القذف الذي يجب على الإنسان أن يتقي الله عز وجل فيه، فهو وإن لم يكن فيه حد لأنه ليس قذفا بالزنا أو اللواط

صراحة، ولكنه من باب التعريض بالقذف، وكل تعريض بالقذف فإنه يعتبر حراما، ولأن المتقرر في القواعد أن الأصل في الأعراض وجوب المحافظة عليها، فكل ما من شأنه إتلاف الأعراض وإهلاكها وإعطابها والقدح فيها أو ذمها فإن الأصل فيه التحريم، فلا يجوز أن يتقاذف الناس فيما بينهم بمثل هذه الكلمات التي هي طريق لاتهام العرض، فإن هذا من الأمور المحرمة، ولذلك يقول النبي ﷺ (فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذا، في شهركم هذا)[1] فالواجب كف اللسان عن مثل هذه الاتهامات، والله أعلم

i

٤٣٣. سُئِل الشيخ عن: حكم تسمية المدينة النبوية بالمدينة المنورة؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، الأصل في التسميات الحل والإباحة، فلا يجوز لنا أن نمنع تسمية إلا على المنع بها دليل من الشرع، فالأصل في الأسماء سواء تسمية البشر أو تسمية الجبال أو تسمية الأشجار أو تسمية الأثاث والمتاع أو تسمية البلدان أو تسمية الشوارع والطرق أو المدن كل ذلك جار على أصل الحل والإباحة، فلا حق لأحد أن يمنع شيئا من الأسماء أو التسميات إلا وعلى ذلك المنع دليل من الشرع، هذا أولاً وفقك الله، وثانيا المتقرر في القواعد أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى، وتلك البقعة من الأرض قد سماها الشارع بأنها المدينة وقد سماها النبي ﷺ بطابة، وسماها أيضا في بعض الأحاديث الصحيحة بطيبة، فينبغي لنا أن نتابع في هذه التسمية

(١)أخرجه البخاري باب: حجة الوداع برقم (١٥٢) أخرجه مسلم في القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم ١٦٧٩

ما أطلقه الشارع، وذلك لغلبة القدسية على هذه البقعة من الأرض، كمكة سماها الله عز وجل بمكة وسماها الشارع ببكة وسماها أم القرى وغير ذلك، فكلما كان المكان قد ورد اسمه في الكتاب والسنة فإننا نعبر عن تسميته بألفاظ النصوص، واستجماعا لهذين الأصلين يتبين الجواب، وهو أننا في دائرة الجواز والأفضلية فالقاعدة الأولى تنص على جواز تسمية المدينة النبوية بقولنا المدينة المنورة فهذا من باب الجائز، والقاعدة الثانية تنص على أن تسميتها بما سماه به الكتاب والسنة أولى وأفضل، والله أعلم

i

٤٣٤. سُئِل الشيخ عن: أحد الإخوة يريد مدح قبيلته، ومما قاله في المدح ﴿أن هذه القبيلة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فهل في هذه الكلمة بأس؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، نعم فيها بأس عظيم، وهو أنه نفي عنهم الخوف المطلق والحزن المطلق، وهذا ليس بصحيح، فإن من لا خوف عليه ولا حزن هم أهل الجنة إذا دخلوا الجنة، فإنهم بعد دخول الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فالمنفي هنا الحزن المطلق والخوف المطلق، والإنسان ما دام في هذه الدنيا فلابد وأن يصيبه ما يصيبه فيها من الآلام والأكدار والأمراض والأوجاع والمصائب والخسارات والأحزان والهموم والكروب والغموم، فهذا من باب الغلو الذي لا ينبغي في مدح الآخرين، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله وأن يصحح هذا البيت، والله أعلم.

i

٤٣٥. سُئِل الشيخ عن: حكم إطلاق هذه العبارة ﴿ما الخبيئة بينه وبين الله﴾ لمن يسر الله له خيرا ظاهرا، مع العلم أنها قد تطلق أحيانا لمن غلب شره خيره، أو اشتهر بمخالفته للحق؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين،

لا إشكال في ذلك، فإن اللفظة قد تطلق ويراد بها أحد المعنيين، فالخبيئة تكون خبيئة شر وخبيئة خير، فإذا وفِّقَ الإنسان لشيء من الأمور الطيبة من علو ورفعة أو تأليف كتب أو استجابة دعاء أو نحو ذلك أو عظيم قبول، فالناس يسألون ما الخبيئة التي فيما بينه وبين الله والتي أوصلته إلى هذه المرتبة الدينية العالية، فلا يقصدون بها خبيئة الشر، وإنما يقصدون بها خبيئة الخير، فالخبيئة قد تكون خبيئة شر تارة، وخبيئة خير تارة أخرى، والله أعلم..

i

٤٣٦. سُئِل الشيخ عن: حكم قول القائل ﴿دامت بركاته)؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين المتقرر في القواعد أن الأصل في باب الدعاء الحل والإباحة إلا إذا تضمن اعتداء فمتى ما كان الدعاء مبنيا على شيء من الاعتداء فإنه منهي عنه وإلا فلا حق لأحد أن يمنع شيئا من الأدعية فيما بين المسلمين إلا وعلى ذلك المنع دليل من الشرع وبناء على تقرير هذا الأصل في باب الدعاء وهو أن الأصل فيه الحل والإباحة إلا فيما خالف الشرع الاعتداء فإننا لا نرى بأسا بأن يدعو الله عز وجل لإخوانه أن تدوم بركاتهم ولا يقصد بذلك البركات الذاتية المنتقلة وإنما يقصد بذلك البركات المعنوية اللازمة وقد شرحنا في فتاوى متعددة وفي مواضع كثيرة الفرقان

بين نوعي البركة بين البركة الذاتية المتنقلة وبين البركة المعنوية اللازمة وقد قررنا سابقا بأن كل مسلم فإن فيه بركة معنوية لازمة وتتفاوت هذه البركة على حسب تفاوت الإيمان وصحة الاعتقاد ووفور العمل و قبول التعبد لقول النبي ﷺ ما هي لقول لقوله ﷺ (إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ)[(١)] فكل مسلم فيه بركة وهي بركة توحيد وبركة إيمان وبركة عمل وبركة تعليم وبركة انتفاع إخوانه المسلمين به قلت فإذاً قولك لأحدهم دامت بركاتكم أي دام إيمانكم ودامت أعمالكم الطيبة ودام توحيدكم ودام نفعكم للناس فهذا أمر جائز لا بأس به ولا حرج والله أعلم.

i

٤٣٧ . سُئِلَ الشيخ: هل يجوز التسمية باسم السنة في أشياء دينية، مثل مسجد السنة، إذاعة دعوية السنة، أو مدرسة إسلامية تسمى السنة ونحو ذلك؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد أن الأصل في التسمية الحل والإباحة إلا إذا خالف الدليل الشرعي، وهذه الإطلاقات الأصل فيها الحل والإباحة، ولا نعلم شيئا يخالف دليلا الشرع فيها، فإذا أطلق على مسجد بأنه مسجد السنة أو أطلق على مدرسة أو معهد أو رباط تعليمي بأنه مدرسة السنة أو نحو ذلك، فإن ذلك مما لا بأس به ولا حرج إن شاء الله، جريا على أن الأصل في الأشياء الحل والإباحة، وجريا على أن الأصل في التسمية الحل والإباحة إلا بدليل، والله أعلم.

---

(١)أخرجه البخاري في االعلم بَابُ طَرْحِ الإِمَامِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ برقم (٦٢) ومسلم بَابُ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ برقم (٢٨١١).

i

٤٣٨. سُئِل الشيخ عن: حكم من يقول إن ضرب المرأة أسلوب غير إنساني وفيه وحشية وأنه يزيد من حالات انفصال العلاقات الزوجية مع أن الإسلام أقر ضرب المرأة في حالة النشوز؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد الشرعية أن الأمور الشرعية لابد وأن تبنى على الوسطية فلا إفراط ولا تفريط، وهذا الضرب إنما هو وسيلة، والوسائل لها أحكام المقاصد والمألات، فإن كانت المرأة قد نشزت نشوزا لا ينفع في رجوعها عنه إلا الضرب، فيضربها الإنسان الضرب المتوسط الذي لا يشق جلدا ولا يكسر عظما ولا يريق دما، لأن المقصود من الضرب إنما هو التأديب وعود المياه إلى مجاريها، وليس المقصود بذلك التعذيب، فلا نقر الضرب في كل صوره وفي كل أحواله وفي كل أسبابه مطلقا، ولا نرفضه مطلقا، وإنما نقره عند وجود دواعيه على التوسط فلا إفراط ولا تفريط، هذا هو واجبنا الشرعي، وإن وصف الناس الضرب للمرأة بما وصفوه به فإنه لا يزال مشروعا عند وجود أسبابه، شرعية توسط فلا إفراط ولا تفريط، والله أعلم ..

i

٤٣٩. سُئِلَ الشيخ: انتشر بين الناس وخاصةً عند الشباب عندما يسأله صاحبه: عن ماذا تبحث؟ فيقول: أبحث عن بوك، فيقول: الله يبوكها على خير، أو عندما يقول: أبحث عن قلم، فيقول: اللهم قلمها على خير فهل هذا جائز؟

فأجاب – عفا الله عنه–: إن من أعظم خصائص المسلم تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ فلا ينسب إلى ربه عَزَّوَجَلَّ ما لم يأتِ به دليلٌ، ومما لا يصح نسبته إلى الله تبارك وتعالى،

فمثل هذا الكلام فيه قلة أدب على الله فلا يجوز للمسلم أن ينسب إلى الله عَزَّوَجَلَّ تلك الأفعال، أو تلك الأمور على باب الدعابة وعلى باب المزح أو السخرية، فإننا والله نخشى على قائل ذلك من أمور لا تُحمد عقباها فيجب على الإنسان أن يُعظم مقام ربه، وأن يخاف مقام ربه، وأن يُجل ربه، وأن يُعود لسانه وقلبه على تعظيم هذا الرب عَزَّوَجَلَّ، فمثل هذا الكلام لا يجوز مطلقا وهو داخلٌ في باب السخرية والاستهزاء، فالواجب علينا أن نكف ألسنتنا عن هذه الكلمات التي ربما توقعنا في مزالق وحفر عميقة لا نستطيع أن نخرج منها في يوم من الدهر، فهذه فلتة من فلتات اللسان، فربما تكون هذه الكلمة أو تلك الفلتة سببًا لسخط الله علينا ونحن لا نشعر، إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يعلم مبلغها ولا يُلقي لها بالًا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب فالواجب علينا أن نكف ألسنتنا عن مثل هذا الكلام وأن نتقي الله وأن نعظم الله فإن تعظيم شعائر الله دليلٌ على تقوى القلوب، وأما الوقوع في مثل هذا الكلام الله يفعل كذا، الله يفعل كذا من باب السخرية أو من باب الاستهتار أو من باب رمي الكلام جزافًا من غير تأمل ولا تدبر ولا تفكر فهذا أمر محرم لا يجوز، فكلنا سوف نُسأل عن سقطات ألسنتنا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

فالواجب فيما بيننا أن نتواصى على ترك هذا الكلام هذا كلام قذر، هذا كلام خبيث لا يجوز أن نفعله ولا يجوز أن نتفوه به، والله أعلم ..

i

٤٤٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم من قال بأن الزواج الثاني للمرأة ليس خيرًا لها؟ وهل هذا كفر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،

هذا القول لا يجوز ولكنه لا يصل إلى رتبة الكفر ولا يجوز لنا أن نخرج الإنسان المسلم من دائرة الإسلام إلا بيقين لأن المتقرر عند العلماء: أن من ثبت إسلامه بيقين فإنه لا يخرج عن دائرة الإسلام إلا بيقين. لكنه قول لا يجوز لأن الخيرة بيد الله عَزَّوَجَلَّ وقد يكون الله عَزَّوَجَلَّ إنما كتب الخيرة للمرأة في زواجها الثاني لا الأول أو في زواجها الثالث لا الأول ولا الثاني، فالمرأة لا تدري عن خيرة الله عَزَّوَجَلَّ فليس بالضرورة أن يكون الخير والبركة في زواج المرأة الأول بل قد يكون الخير والبركة في زواجها الثاني، بمعنى أن يموت زوجها الأول أو يطلقها ثم تتزوج رجلاً غيره.

ألا ترون أن كافة أزواج النبي ﷺ إلا عائشة كن ذوات أزواج قبله ﷺ؟ ولكن الزواج الثاني به ﷺ كان هو الخير وهو البركة، فأم سلمة كان زوجها أبا سلمة، وزواجها بالنبي ﷺ بعد أبي سلمة هو الخير وهو البركة، وغيرهن من أزواج النبي ﷺ فقد كن تحت أزواج سابقين فلما ماتوا، فلما مات بعضهم أو طلق بعضهم تزوج النبي ﷺ بهن فكانت البركة والغبطة والخير في زواجهن بالنبي ﷺ.

فالإنسان لا ينبغي له أن يجزم بأن الخير في الشيء الفلاني أو الشيء الفلاني لأن الأمر بيد الله تبارك وتعالى - وهو المتصرف والمدبر والواضع للخير

والبركة في هذه الأعيان، فلا ينبغي الجزم بذلك وإنما على العبد أن يتوخى الأسباب الشرعية وأن يقوم بما أوجبه الله عَزَّوَجَلَّ من الدعاء ومن الاستخارة والاستشارة ومن تلمس مواقع الخير ثم يتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ ويعزم والأمر بعد ذلك بيد الله تبارك وتعالى -، والله أعلم ..

i

٤٤١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول: ﴿حرام عليك﴾، أن يقصد بها الاستنكار؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين.

إننا نسمع كثيرًا من جريان هذه العبارة على ألسنة العوام، وبناءً على ذلك فلا بد أن نفرق بين التحريم العرفي العادي، وبين التحريم الشرعي.

أما التحريم الشرعي، فهو من جملة أحكام الشرع، والمتقرر في القواعد أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة، فلا يجوز للإنسان أن يثبت تحريمًا شرعيًا، أو إيجابًا شرعيًا، أو ندبًا وكراهةً شرعيَيْن، أو إباحةً شرعيةً، أو إبطالًا شرعيًا، أو عزيمةً، أو رخصةً شرعيةً، أو سببًا، أو شرطًا، أو مانعًا شرعيًا، إلا وعلى ذلك الإثبات دليلٌ من الشرع؛ لأن هذه أحكامٌ شرعية، ونسبتها إلى الشرع نسبة مصدر، أي أحكامٌ مصدرها من الشرع، كما قال الله -عز وجل: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]

فالأحكام الشرعية لله عَزَّوَجَلَّ، ليست لا لملَكٍ مقربٍ ابتداءً، ولا لنبيٍ مرسلٍ ابتداءً، ولا لوليٍ صالح، ولا لعالِمٍ.

وأما إذا كان يقصد به الحرام العرفي، يعني الذي تعارف الناس على إنكاره وعدم قبوله، فهذا لا بأس به ولا حرج؛ فهو يقول حرامٌ عليك لا ليثبت تحريمًا شرعيًا وإنما ليثبت منعًا عرفيًا، والأصل أن العادة مُحَكَّمة، وأن ما تعارف الناس عليه فيما بينهم فالأصل فيه الحل والإباحة، إلا ما خالف دليل الشرع، فإذا كان يريد إثبات تحريم شرعيٍ فغير مقبولٍ إلا بدليلٍ شرعي، وإذا كان يقصد المنع العرفي فإنه لا بأس به ولا حرج إذا جرى عرفه على منع ذلك ولم يخالف دليل

i

٤٤٢. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول: سلامة دائمة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا من جملة الدعاء بالأمر الطيب كون الإنسان يسلمه الله عَزَّوَجَلَّ في دينه وفي ماله وفي نفسه وفي أولاده هذا من الدعاء الطيب، وفي هذا تحقيق لمقتضى من مقتضيات الإخوة الإيمانية وهو أن يدعوا المؤمنون فيما بينهم لبعضهم البعض، فهذا أمر طيب وكلمة طيب، وتقييد هذه السلامة بالدائمة لا بأس به حتى وإن كان في قدر الله عَزَّوَجَلَّ أن من دعوت له سيصيبه شيء من ذلك فهذا لا شأن لنا به، وإنما علينا أن ندعو لإخواننا أن يعافيهم الله المعافاة الدائمة، وأن يُسلهم السلامة الدائمة، فهذا من جملة الدعاء الذي نرجو أجره وثوابه واستجابته من قبل الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أراد الله بعباده شيئا فالأمر له ومقاليد تصريف هذا العالم بيديه عَزَّوَجَلَّ، لكن لا يمنعنا هذا من أن ندعو بهذا الدعاء فلا حرج في ذلك، ولكن الذي أريد أن أُنبه عليه: أن لا تُجعل هذه الكلمة لفظةً يُرد بها سلام من سلم عليك فلا يستعاض عنها لا بالسلام ابتداءً ولا ردًا لأن تحية المسلمين ابتداءً: - السلام عليكم ورحمة الله- وردها:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لكن إذا جرت مجرى الدعاء في غير ابتداء السلام ولا رده فهي من جملة الدعاء الطيب الذي لا حرج فيه، والله أعلم.

i

٤٤٣. سُئِلَ الشيخ عن: شخص إذا غضب يخرج منه كلمات لا إرادية، مثل قوله: الله خلقني ليعذبني في الدنيا، أو لماذا الله خلقني ويعمل في هكذا؟، و يبدأ يشكك في ثوابت الدين، وأستغفر الله وأتوب إليه، أريد توجيهاً خاصاً منكم.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، اسأل الله عز وجل أن يذهب عنك هذا الغضب، وأن يطفأ جمرته بقلبك، وأن يبدلك مكانه حلماً وصبراً ووقاراً، وأساله سبحانه أن يقيني وإياك شره،

فقد جاء رجل إلي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: ((لاَ تَغْضَبْ)) فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: ((لاَ تَغْضَبْ))[1].

فأنا أوصيك يا أخي الكريم بعدة أمور لعلك إذا أخذتها وفعلتها بإذن الله واعتمدتها أنك ستنجو من مثل هذه الآثار الخطيرة التي ذكرتها، من ذلك أن تبعد عنك أسباب الغضب، وأن تقطعها وأن تخبر بها من حولك حتى لا يجابهوك بها فتغضب، فأي شيء من الأقوال أو الأفعال يغضبك ويخرجك عن طور تفكيرك ويغلق علي عقلك فحاول أن تخبر به من حولك حتى يجنبوك إياه.

---

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ] (٢٨/٨) برقم:[٦١١٦].

ولا يتعاملون معك بمقتضاه فتغضب حين إذاٍ، فحاول أن تتعرف علي الأشياء التي تغضبك فتتجنبها، لأن هذا من باب ترك السبب، فإذا كنت تغضب من بعض الأقوال أو الأفعال فأخبر بها زوجتك إن كنت متزوجاً، أخبر بها أولادك إن كنت ذا ولد، أخبر بها أمك، أخبر بها إخوانك وأخواتك، أخبر بها أصحابك، وقل لهم: أبعدوا عني هذا ولا تقولي لي هذا، ولا تخبروني بهذا لأنني إذا سمعت ذلك أو رأيت ذلك فإنني أغضب، والواجب عليهم أن يتعاملوا معك بما يبعد عنك الغضب، لأن هذا من التعاون علي البر و التقوى،

الأمر الثاني: أن تكثر الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم، حاول يا أخي أن تكثر حال غضبك، أو حال إحساسك بسرعة نبضات قلبك غاضباً.

أن تبادر مباشرةً بقولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، مرتين إلي ثلاث وتكرر حتى تحس أن نبضات قلبك عادت مرة أخري إلي وضعها الطبيعي، فإن من أعظم ما يطرد الشيطان في حاله حضوره عند الغضب هو كثرة الاستعاذة بالله عز وجل منه، فإن الغضب نزغه من نزغات الشيطان، وقد قال الله تبارك وتعالي ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف:٢٠٠].

وفي الصحيحين من حديث سليمان بن صردٍ رضي الله تعالي عنه قال: ((استب رجلان عند النبي ﷺ وأحدهما قد أحمر وجهه وانتفخت أوداجه أي من شدة الغضب، فقال النبي ﷺ ((إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالها لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ((فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ))[(١)].

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ] (٢٨/٨) برقم:[٦١١٥].

فالاستعاذة بالله تضعف سلطان الشيطان عند الغضب، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ غَضَبُهُ)) أَوْ ((سَكَنَ غَضَبُهُ))[1].

وهو حديثُ صحيحُ، ومنها كذلك وهو الأمر الثالث: أن تتذكر يا أخي عظيم الأجر و الثواب في من ضبط نفسه وكظم غيظه، يقول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[الشورى:٣٧]، وقال الله عز وجل ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣].

من هم يا الله؟، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ، فالغيظ موجود ولكنهم يكظمونه، ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤].

وفي الحديث عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاء))[2]، حديثُ حسنُ رواه أبو داود وبن ماجه والترمذي وغيرهم، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ،

---

(١)أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١١٧/٧)، برقم: [٧٠٢٢]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٠/١)، برقم:[٦٩٠].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٩٨/٢٤)، برقم: [١٥٦٣٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [الْحِلْمِ](١٤٠٠/٢)، برقم: [٤١٨٦]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [مَنْ كَظَمَ غَيْظًا](٢٤٨/٤)، برقم: [٤٧٧٧]، وأخرجه الترمذي في «سننه» (٦٥٦/٤)، برقم: [٢٤٩٣]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١١٢/٢)، برقم: [٦٥٢٠].

تُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ قَالَ: ((لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ))[١].

ومنها كذلك محاولة العفو وتدريب النفس علي العفو عند طروء الغضب، حاول أن تعفو عن من تسبب لك في الغضب، درب نفسك دائماً علي أن تعفو، قل وأنت غاضب قد عفوت عنك فاذهب عن وجهي، حاول أن تربي نفسك دائماً، وتمرن نفسك علي أن تعفو عند الغضب، فحاول أن تعفو وأن تعرض عن من أغضبك، وألا تعامله بمقتضي غضبك، فإنك إن دربت نفسك علي ذلك فقد أحكمت زمام غضبك إحكاماً لا مزيد عليه، فإن الإنسان لا يحاسب يوم القيامة علي وجود الغضب في قلبه، ولكنه يحاسب علي بعض الآثار المحرمة التي يقترفها الإنسان إذا غضب.

عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: قد قدم عيينة بن حصن فنزل علي ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهؤلاء يشيروا إلي ناس معينين، وهم كهول وشبان، فقال عيينة لأبن أخيه يا أبن أخي لك وجه عند هذا الأمير يقصد ﴿عمر﴾ فستأذن لي عليه، فستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا بن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم عمر أن يوقع به، فقال له الحر لما رأي شدة غضبه وعمر معروف من هو: يا أمير المؤمنين إن الله تعالي قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا لمن الجاهلين، والله

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/٢٥)، برقم: [٢٣٥٣]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/١٢٣٠)، برقم: [٧٣٧١].

ما جاوزها عمر حتى تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله.

فكن عمرياً عند غضبك، فكلما هم الغضب بأن يحملك علي فعل ما لا يليق، فبادر مباشرة بالعفو عن من أساء إليك وأخطأ عليك، ووصيتي لك كذلك أن تسكت عند الغضب، وألا تنطق بشيء عند الغضب ما استطعت، عن بن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ))[1]. وهو أمر منه ﷺ بالسكوت حال الغضب، ومما أوصيك به أيضاً تغير هيئة جسدك التي أصابك الغضب وأنت عليها، فإن كنت واقفاً فاجلس، وإن كنت جالساً فأضجع، حاول أن تغير حالتك ليتغير مسير دمك فيهدأ قلبك بإذن الله عز وجل، إذا كان الإنسان قائماً فليجلس، وإن كان قاعداً فليضجع، وإن كان يتكلم فليسكت، لأن تغيير الهيئة في حال الغضب تساعد في زواله بإذن الله، ولقد أرشد إلي هذا النبي ﷺ، وفي حديث عن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ))[2]، ومما أوصيك به كذلك الوضوء، فهو وإن كان فيه حديث ضعيف.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٣٨/٤)، برقم: [٢٥٥٦]، وأخرجه البزار في «مسنده» (١٤٣/١١)، برقم: [٤٨٧٢]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣/١١)، برقم: [١٠٩٥١]، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٦٤/٣)، برقم:[١٣٧٦].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٨/٣٥)، برقم: [٢١٣٤٨]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ](٢٤٩/٤)، برقم: [٤٧٨٢]، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٦/١٠)، برقم: [٧٩٣٢]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٤١٥/٣)، برقم: [٥١١٤].

لكن المتقرر عند العلماء أن الأدواء تعالج بما يناقضها، أي بما يناقض طبيعتها وجنسها، فالغضب نار فمن المناسب أن يتوضأ الإنسان عند الغضب حتى يطفأ هذه الجمرة، والحديث فيه وأن كان فيه ضعف لأن فيه رجلاً يقال له عطيه العوف يقول النبي ﷺ: ((إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ))(١)، ومما أوصيك به كذلك إذا كان الغضب قد أصابك في البيت أن تحاول أن تخرج من البيت وحتى لا تصدر منك بعض الأقوال أو بعض الأفعال السيئة العدوانية علي أهل بيتك فتندم حين إذاٍ، وحاول يا أخي أن تمسك لسانك ما استطعت، فإنك إن تلفظت ببعض الألفاظ فإنك تعامل حين إذاٍ بمقتضاها لاسيما إذا كنت في بدايات الغضب التي تستطيع أن تحكم فيها نفسك، وأن تصمت فيها وتسكت، وأما إذا بلغ بك الغضب مبلغاً أغلق عقلك فصرت تتصرف كالمجنون لا تدري ما تقول ولا ما تفعل، فجميع ما يصدر منك من أقوال وأفعال مرفوع عنك إثمها، لأن قلم التكليف مرفوع عنك لفوات محل التكليف وهو العقل، كقول النبي ﷺ ((لَا طَلَاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ))(٢)، فوصيتي وصيتي أن لا تغضب وأن تقطع عنك أسباب الغضب، وأن تحاول أن تطبق ما ذكرته لك من الأمور التي تذهب عنك غضبك بإذن الله، والله

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٩/٥٠٥)، برقم: [١٧٩٨٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [مَا يُقَالُ عِنْدَ الْغَضَبِ](٤/٢٤٩)، برقم: [٤٧٨٤]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/١٦٧)، برقم: [٤٤٣]، وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٣/١٤١٤)، برقم: [٥١١٣].

(٢)أخرجه أحمد في ﴿المسند﴾ (٤٣/٣٧٨) برقم:[٢٦٣٦٠]، وأخرجه أبو داود في ﴿سننه﴾ باب: [فِي الطَّلَاقِ عَلَى غَلَطٍ] (٢/٢٥٨) برقم: [٢١٩٣]، وحسنه الألباني في ﴿إرواء الغليل﴾ (٧/١١٣) برقم: [٢٠٤٧].

أعلم ..

i

٤٤٤. سُئِلَ الشيخ عن :قول أحدهم السورة الصعبة، أو هذه الآية صعبة. هل فيها سوء أدبٍ مع القرآن الكريم؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله، هذه الكلمة كلمةٌ مُجملة، تحتمل الحق والباطل، ففيها معانٍ مردودة، وفيها معانٍ مقبولة.

والمتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الألفاظ المجملة لا تُقبل مطلقاً، ولا تُرد مطلقاً، بل هي موقوفةٌ على الاستفصال، حتى يتميز حقها فيُقبل من باطلها فيُرد، فإذا كان قصده بهذه الصعوبة قصده أمراً يرجع له هو لعدم قوة حفظه، وعدم فراغه لحفظ هذه السورة، أو لصعوبة ألفاظها عليه هو، في أمرٍ يرجع إليه هو، فإن هذا أمرٌ لا بأس به، فإن الناس يتفاوتون في حفظ القرآن، فمن الناس من عُسِّر عليه الحفظ، سواءً في القرآن أو غير القرآن.

فإذاً قصده في الصعوبة ليس في ذات كلام الله عز وجل، ولا في تطبيقه، ولا في قراءة ألفاظه، ولا في العمل بشرائعه، وفهم قصصه، وأمثاله، فإن القرآن ميسرٌ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧]، فإذا كان يقصد بالصعوبة أمراً يرجع له هو، من قصور فهمه، أو قصور حفظه، أو ضعف إدراكه، فإن هذا لا حرج فيه، فإن هذه الفروق الفردية تختلف بين الناس، فمن الناس من يحفظ السورة في مرة، بينما من الناس من لو قرأ السورة مائة مرة وحاول أن يكرر أكثر من ذلك، فإن الله عز وجل لم ييسر له الحفظ.

فالصعوبة ترجع لك أنت، ترجع لفهمك، ترجع لحفظك، ترجع لقدراتك،

ولكن أما في ذات السورة فإن الله عز وجل يسّر ألفاظها، ويسّر فهمها، ويسّر إدراكها، ويسّر العمل بها، فالقرآن ميسرٌ، وتيسير القرآن مطلقٌ، فيدخل فيه تيسير الألفاظ، تيسير قراءتها، وتيسير حفظها في ذاتها، وتيسير العمل بها، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧]، ولكن الصعوبة لا ترجع إلى شيء من ذات القرآن، ولا إلى خللٍ فيه، وإنما يرجع إلى خللٍ فيك أنت.

فإذا كنت تقصد بالصعوبة أمراً يرجع لك فلا حرج عليك، أنت تخبر بصعوبةٍ أنت سببها، أو حفظك سببها، لكن أما في ذات كلام الله فلا صعوبة فيه، فإذا كنت تقصد ما يرجع لك أنت فهو كلامٌ مقبول، وإذا كنت تقصد أمراً يرجع لذات القرآن فهو كلامٌ مردود، والله أعلم ..

i

٤٤٥. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم الله يأمر عليك، أو قول الله لا يأمر عليك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، المتقرر عند علماء أهل السنة والجماعة أن الألفاظ المجملة لا تُقبل مطلقاً، ولا تُرد مطلقاً، وإنما هي موقوفةٌ على الاستفصال، حتى يتميز حقها فيُقبل، من باطلها فيُرد، إذا عُلم هذا الأصل العظيم عند أهل السنة والجماعة فليُعلم أن أهل السنة رحمهم الله تعالى قد قسّموا الأمر الصادر من الله عز وجل إلى قسمين: إلى أمرٍ كوني قدريّ، وإلى أمرٍ شرعيٍ دينيّ، فالأوامر الصادرة من الله عز وجل قد تكونُ أوامر كونية، وقد تكون أوامر شرعية، فإذا عرفت هذين القسمين، فلا بد أن تعرف

الفرق بينهما.

وقد فرّق أهل السنة بينهما كما فرّقوا بين الإرادة الشرعية و الإرادة الكونية، فقالوا إن أمر الله عز وجل الكونيّ نافذٌ لا بد أن يقع، ولا يستلزم محبة الله عز وجل، وهو مرادٌ لغيره لا مرادٌ لذاته، بمعنى أن الله عز وجل قد يأمر في كونه أمراً كونياً هو لا يحبه ولا يرضه، وعلى ذلك تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الإسراء:١٦]، فالأمر الصادر من الله هنا ليس هو الأمر الشرعي؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف:٢٨]، وإنما الأمر في الآية الأولى إنما هو أمرٌ كونيٌ قدري.

فإذا قال الإنسان ﴿الله لا يأمر عليك﴾ إذا كان المقصود به أي لا يأمر عليك أمراً كونياً يوجب هلاكك، ويوجب عطبك، ويوجب ذهاب مالك، ويوجب خسارتك، أو يوجب إذهاب سعادتك؛ لأن كل هذه أوامر كونية تنزل من الله، فالموت أمرٌ كوني، والمرض أمرٌ كوني، الخسارة أمرٌ كوني، المصائب أمرٌ كوني، فإذا قال: ﴿الله لا يأمر عليك﴾ ويقصد به نفي الأمر الكوني الذي يضر بالإنسان نزوله، يكون من جملة المصائب والحوادث والآلام والمصاعب والكروب، فهذا قولٌ صحيح ولا حرج فيه؛ لأنك تدعو لأخيك ألا يصيبه شيء من أقدار الله عز وجل المؤلمة، يعني تسأل الله عز وجل أن يعصمه من كل، من كل سوءٍ وبلاءٍ وفتنة.

وأما إذا كان يقصد به الأمر الشرعي فإن هذا خطأٌ عظيمٌ جسيم؛ لأن الإنسان لا بد وأن يدخل في مقتضى أوامر الله الشرعية، الله أمر شرعاً بالصلاة، وأمرنا شرعاً بالزكاة، وأمرنا شرعاً بالحج والعمرة وبر الوالدين، وأمرنا شرعاً باتباع

الرسول وطاعته الاستقامة على منهجه ودينه، كل هذه أوامر شرعية، فيجب على العبد القيام بمقتضاها، فالله يأمرنا ونحن نطيع ونسمع، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فإذا كان المقصود بقوله ﴿الله لا يأمر عليك﴾ الدعاء لأخيه بأن يقيه الله عز وجل شر ما ينزل مع الأوامر الكونية، الشر في آثار الأوامر الكونية بالمصائب والآلام، فإن هذا لا حرج فيه إن شاء الله، وأما إذا كان يقصد خروج العبد عن دائرة مقتضى الشرع، فهذا قولٌ باطلٌ ولا جرم في ذلك، وعلى كل حال فيجب علينا أن نترك العبارات الموهمة للحق والباطل، سداً لذريعة فساد الاعتقاد؛ لأن أغلب ما دخل الفساد على كثيرٍ من الناس في عقيدته إنما هو بسبب قبول هذه الأطروحات من الألفاظ المجملة، المحتملة للحق، المحتملة للحق والباطل.

فأعيد الجواب مختصراً، أمر الله عز وجل نوعان: أمرٌ كوني وقد يكون فيما لا يحبه الله ولا يرضه، فالمصائب أمرٌ كوني، الحوادث أمرٌ كوني، بل والكفر أمرٌ كوني، ووجود إبليس أمرٌ كوني، ووجود الزنا والسرقة والآلام والأمراض، الكروب والهموم والغموم، كلها أوامر كونية، والفيضانات والهلاك والحروب، كلها أوامر كونية، فهذا يقول ﴿الله لا يأمر عليك﴾ بمعنى الله يقيك من شر الآثار المترتبة على الأمر الكوني، فإن هذا دعاءٌ لأخيك بالحماية والحفظ، وأما إذا كان يقصد خروج العبد عن دائرة الأوامر الشرعية فإن هذا لا يجوز أبداً، إذ أن أحداً لا يستطيع وليس في إمكانه أبداً أن يخرج عن دائرة الشريعة التي جاء بها محمدٌ ﷺ، والله أعلم ..

i

٤٤٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قولهم أو قول أحدهم بذمتك وإن لم يقصد بها الاستحلاف بل تحكيم الذمة والضمير كما هو شائع عندهم يقول على السنة أهل مصر؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقة ولا ترد مطلقة وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد فإذا قال الإنسان بذمتك أو في ذمتي فإن كان يقصد يمينا فلا يجوز لأن الذمة مخلوقة والمتقرر في القواعد أنه لا يجوز الحلف بالمخلوقات وإن عظم شأنها عند الله عز وجل لقول النبي ﷺ لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا بالطواغيت ولقوله ﷺ : ((مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا)) [١] ولقوله ﷺ: ((مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)) [٢]

وأما إذا كان ذكر الذمة يجرى مجرى العهد فإنه لا بأس بها فإن الله عز وجل قد خلق الذمة وجعلها مؤهلة لتحمل الأشياء فإذا كان يقصد بقوله في ذمتك أو بذمتك يعني أن ذمتك تتحمل نتائج عدم صدق هذا الخبر فلا بأس ولا حرج ولذلك قرر الفقهاء بأن الأصل براءة الذمة من الحقوق فمن عمر ذمته بتحمل عهد أو عقد فإن ذمته تتحمل فإذا كان يقصد بقوله في ذمتك اليمين والحلف بالذمة فلا يجوز لأنها مخلوقة والحلف بالمخلوق لا يجوز وإذا كان يقصد به

---

(١)أخرجه أبو داود برقم ٣٢٥٣ وصححه الالباني في صحيح الترغيب برقم (٢٩٥٤)

(٢). أخرجه البخاري برقم (٢٦٧٩) ومسلم برقم (١٦٤٦)

تحميل الذمة شيئا من العقد فإنه لا بأس به فالله خلق الذمم وجعلها صالحة للتحمل والله أعلم .

i

٤٤٧ . سُئِلَ الشيخ: البعض يتناقل بعض العبارات عن شهر شوال كأنه طويل أو كانه شهر ملل فهل يعتبر هذا من سب الدهر؟

فأجاب – عفا الله عنه –: الحمد لله رب العالمين إذا كانوا ينشؤون هذه العبارات ويقصدون بها سب هذا الزمان فلا جرم أنها تعتبر من عبارات السب والمتقرر في القواعد أن كل عبارة تتضمن التسخط على الزمان أو التضجر منه أو ذمه وتقبيحه فإنها محرمة لقول النبي ﷺ ((لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ))[(١)]. ولقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ((قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَالَ اللَّهُ تعالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ))[(٢)]، فينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه عن مثل تلك العبارات التي تتضمن سب الدهر والتي يجعل أصل إنشائها إظهار التسخط الذي يحسه في قلبه من هذا الزمان أو طول هذا الزمان أو الملل العظيم من هذا الزمان أو نحو ذلك كلها من العبارات التي تتضمن سب الزمان وتقبيحه أو ذمه فلا يجوز صدور مثل هذه العبارات ولا يعتبر ذلك من باب الإخبار لأن الإخبار هو أن تخبر عن شيء يكون حقيقة في هذا الزمان كقولك هذا زمان

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ] (١٧٦٣/٤) برقم:[٢٢٤٦].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]](١٤٣/٩)، برقم: [٧٤٩١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ](١٧٦٢/٤)، برقم:[٢٣٤٦].

حار وهو حار حقيقة أو هذا زمان بارد وهو بارد حقيقة لكن أن تقول هذا الزمن ملل فإنك تنسب الملل لذات الزمان مع أنه كسائر الأزمنة والملل إنما شيء تحسه من نفسك ولكنك برأت نفسك ونسبتها إلى الزمان فهذا من باب سب الدهر الذي لا يجوز النطق به والله أعلم .

i

٤٤٨. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم فلان أعطاك عمره يقصد بها أنه مات؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد المتقرر في القواعد أن الألفاظ العرفية يجب أن تحمل على معناها العرفي وهذه اللفظة إنما جرت على لسان أهل العرف ولا يقصدون بها ظاهرها وإنما يقصدون بها التعبير عن موت الإنسان وبناء على ذلك فلا بأس بهذه اللفظة ولا حرج فيها إن شاء الله لأنهم إنما يقصدون بها الإخبار عن موته والمتقرر في القواعد أن الأصل في العادات والأعراف ألفاظا وأعمالا الحل والإباحة ما لم تخالف دليل الشرع والله أعلم.

i

٤٤٩. سُئِلَ الشيخ: ما رأيكم في قول بعض الناس أصابتني لعنه فلان فها هي المصائب تلاحقني و قول بعضهم أصابتني لعنه الصين ويقصد بها وباء كورونا أو أصابتني لعنه البرد أو البرود فلم يعد لدي مشاعر أو أصابتني لعنه القسوة فلم أعد أرحم هل هنالك خلل عقدي فيها حيث أننا نسمعها كثيرا؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين هذا من الألفاظ التي لا تجوز لأن نسبه الشيء إلي الشيء لابد فيها من دليل قدري أو شرعي فلا يجوز للإنسان أن ينسب ما أصابه سببيا لشيء أخر إلا إذا كان هنالك دليل شرعي أو دليل قدري يدل عليه لأن قوله أصابتني لعنه كذا وكذا أو أصابني ضر كذا وكذا هذا يثبت سببية والسببية لابد أن يقف وراءها دليل الشرع أو دليل القدر و حيث ليس هنالك دليل يثبت أن ما أصابه إنما هو بسبب كذا وكذا أو أن هذا من أثار هذا الشيء المعين فإنه لا يجوز للإنسان أن ينسب هذا الشيء إلي لعنه فلان أو إلى لعنة علان كل ذلك من الألفاظ التي جرت علي خلاف العقيدة الصحيحة لأنها اعتقاد سببية لم يدل على سببيتها دليل الشرع ولا دليل القدر والله أعلم .

i

٤٥٠. سُئِلَ الشيخ: كيف نرد على هذه العبارة أن الله يملك السماء البعيدة لكنها تملك أذنان ذات سمع عظيم أخبرني دائماً ما يبكيك، السماء التي تسمعني وتسمعك تنجيك؟

الشيخ: الحمد لله هذا كلام مجمل فيه حق وباطل هذا الكلام فيه حق وباطل فالحق الذي فيه إن كان يقصد قائله إثبات السمع لله عز وجل وأنه لا يخفى على سمع الله عز وجل شيء ولا يخفي عليه عز وجل شيء مما يكون في سماواته وأرضه وجميع جزئيات الكون فهذا حق لا باس بذلك بل يجب اعتقاد ذلك لقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[العنكبوت:٦٢] فمثاقيل الذر لا تخفي على الله عز وجل فما

تسقط من ورقه إلا يعلمها ولا حبه في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين لا يخفي على الله عز وجل شيء أبدا قال الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[إبراهيم:٣٨].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا اله إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:٦] ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١] تقول عائشة رضي الله عنها: ﴿سبحان من وسع سمعه الأصوات فإنه يخفي علي بعض حديث المجادلة﴾، ومع ذلك أنزل الله عز وجل في كتابه الكريم أنه سمع من فوق سبع سماوات قول هذه المجادلة والتي خفي قولها على من معهم في الغرفة من بني آدم وهي عائشة فلا جرم أن مسامع الله عز وجل لا يخفي عليه شيء فإذا كان المقصود بهذا الكلام هو هذا المقدار وهذا الحجم فلا جرم أنه قد دلت عليه الأدلة المتواترات من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها والأدلة الدالة على إثبات السمع والبصر لله عز وجل كبيرة ذكرت لكم شيئاً منها فالله عز وجل يسمع ويرى كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا اسمعُ وَأَرَى﴾[طه:٤٦] وقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[العلق:١٤] ولكن في هذا الكلام شيء من الألفاظ التي لا تليق بالله عز وجل من الألفاظ التي لا ينبغي إصدارها بحق الله تبارك وتعالى والتي لا نعلم عن أحد من أهل السنة أنه ذكرها من ذلك إثبات الأذنين لله عز وجل فقوله أن هذه السماء لها أذنان لا يخفي على سمعها شيء هذا إن كان يقصد إضافة هذين الأذنين لله فهذا خطأ عريض عظيم جداً

فإن الواجب علينا في باب الأسماء والصفات أن نقف فيهما على ما أثبته الدليل خاصة فلا نثبت لله عز وجل إلا ما أثبته لنفسه في كتابه أو أثبته له نبيه ﷺ في صحيح سنته من غير تمثيل ولا تعطيل ومن غير تحريف ولا تمثيل لأن الله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا يجوز لنا أن نثبت لله عز وجل شيء إلا وهذا الإثبات دليل من الشرع.

فالله أثبت السمع وليس هناك دليل يثبت أن هذا السمع من أذنين فلا يجوز لنا أن نتخوض في أمور الغيب بعقولنا واستحساناتنا وعواطفنا بل لابد أن يكون ذلك مبني على الكتاب والسنة فإن المتقرر أن أمور الغيب مبنية على التوقيف فنحن نثبت لله عز وجل السمع وأما الأذن فإنه ليس هناك دليل لا يثبتها من الكتاب والسنة وليس هناك نقول عن أهل السنة تثبت ذلك، والأمر الذي لا ينبه عليه أيضا هو نسبة الإنجاء إلى السماء فقوله أن السماء تنجيك هذا لا ينبغي أبدا لأن السماء لا تملك نفعا ولا ضرا فهي مخلوقة مدبرة مربوبة لله تبارك وتعالى لا يملك النفع والضر على الحقيقة إلا الله عز وجل ولا يملك كشف الضر إلا الله كما قال الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢] وقال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨] قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧].

فنسبة الإنجاء إلى السماء ونسبة تفريج الكرب إلى السماء ونسبة السمع إلى السماء كل ذلك من النسبة الخاطئة وإنما الأمر بيد الله تبارك وتعالى فهو الذي يغيث اللهفات وهو الذي يفرج الكربات وهو الذي يكشف المدلهمات عز وجل فعلى العبد أن يتجنب مثل هذه الكلمات المجملة المحتملة للحق والباطل وعليه في مثل هذه الأبواب الغيبية ألا يعبر إلا بتعبير النص وألفاظه لأن هذه معاني شرعية والمتقرر عند العلماء أنه التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولى فالواجب محو هذا الكلام وعدم إرساله وعدم الاعتماد عليه والتعبير عن ما نريده من هذه الرسالة بألفاظ الشريعة كتاباً وسنة والله أعلم ..

i

٤٥١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول ينصر دينك أو الله ينصر دينك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله هذا من جملة الدعاء بنصرة الدين وهو أمر مطلوب هذا أمر مطلوب كل إنسان يدعوا للدين الإسلامي أن ينصره الله عز وجل على من غالبه أو على من ناوئه وأراد دحره وهزيمته فلا جرم أن هذا من الدعاء الطيب الذي تعم مصلحته جميع المسلمين، وإن كان الله عز وجل قد تولى نصرة دينه قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣] ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر:٥١]،ويقول الله عز وجل: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[المجادلة:٢١].

ويقول النبي ﷺ ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ

مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)) وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: ((قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ))(١) فالدين منصور، بنصر الله عز وجل ولكن لا يجوز للأمة أن تعتمد على هذه على هذا الوعد فقط وتترك الأخذ بالأسباب فالأخذ بالأسباب أمر متروك لأمر الله عز وجل ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]،ولذلك نحن لا نزال نقول في خطب الجمعة اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم انصر الإسلام والمسلمين فهو من الدعاء الطيب والمتقرر عند العلماء أن باب الدعاء مبني على الحل والإباحة ما لم يتضمن الدعاء شيئاً من المخالفات الشرعية، والله أعلم ..

i

٤٥٢. سُئِلَ الشيخ عن: صحة وصف النبي ﷺ بالعظمة أو بالعبقرية؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن والاه وبعد، الله عَزَّوَجَلَّ لما خلق البشرية اختار منهم بحكمته وعلمه عَزَّوَجَلَّ وخبرته بهم جملة من الناس ليكونوا أنبياء ورسلاً فيما بينه وبين عباده يبلغون الناس رسالته، ويبينون لهم شريعته، هؤلاء هم الذين سماهم القرآن بالأنبياء والرسل، والذين أولهم آدم، وهو أول نبي،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٤/٢٨)، برقم: [١٦٩٥٧]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٠/١)، برقم: [٤٢].

ونوح وهو أول رسول، وآخرهم وتمام بنيانهم محمد ﷺ، فهؤلاء لم يصفهم الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن إلا بالنبوة والرسالة، فهم وإن كانوا بشرًا من جملة البشر إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ فضلهم واختصهم واختارهم لتبليغ رسالته ونبوته.

فهم أنبياء ورسل، فالذي ينبغي في هذا المقام أن نصف هؤلاء بما وصفهم الله عَزَّوَجَلَّ به وهو النبوة والرسالة، النبوة والرسالة، وأجمع علماء أهل السنة -رحمهم الله تعالى- على أن النبوة والرسالة مبناها على الاصطفاء والاختيار، لا على الكسب، وأجمعوا -رحمهم الله تعالى- على أن باب النبوة قد انغلق بمحمد ﷺ فهو خاتم النبيين والمرسلين، وهم أرادوا بذلك أن يباينوا مذهب الفلاسفة في هذه المسألة، فإن الفلاسفة يعتقدون أن باب النبوة لم يغلق بعد، وإنما هو باب مبني على الاكتساب والقدرة بالشروط التي يتحلى بها الإنسان، فإنه يمكن أن يكون نبيًا في يوم من الأيام، كما قالوا: قوة النفس، وقوة التخييل، وقوة الفهم، إلى غيرها مما ذكروه في هذا الباب.

ومن المعلوم عند أهل السنة أن من قال بذلك فإنه كافر، فهؤلاء الفلاسفة من أعداء الإسلام تأبى ألسنتهم أن تصف النبي ﷺ بأنه نبي ورسول؛ لأنهم لا يؤمنون لا برسالته، ولا بنبوته، وإنما يكتفون بوصفه بأنه عظيم من عظماء التاريخ، أو بوصفه بأنه عبقري من عباقرة بني آدم، وداهية من دهاة العالم، فيصفونه بمثل هذه الصفات بالذكاء، والدهاء، والعلم، والعظمة، والعبقرية، لكن تأبى نفوسهم وألسنتهم أن تنطق بوصفه بما وصفه الله به في قوله: يا أيها الرسول، وقوله: يا أيها النبي، فلا يجوز للمسلم أن يتابع أعداء الإسلام في مثل هذه الأوصاف، ويكثر من وصف النبي ﷺ بها، لأن أول من أطلقها عليه إنما

هم أعداء الإسلام.

فأعداء الإسلام يصفون النبي ﷺ بأنه عظيم، أو بأنه رجل عادل، أو بأنه عبقري، وهذه وإن كانت من جملة صفاته، إلا أن فوقها صفة أعظم منها، وهي صفة النبوة والرسالة، فلا ينبغي لنا أن نصف النبي ﷺ وأن نجعل عليه شعارًا من الصفات إلا ما وصفه الله به، وهو النبوة والرسالة، فهو عبد الله ونبيه ورسوله ﷺ، وهم يقصدون بوصفه بأنه عبقري، يقصدون به شيئًا آخر، لا يفهمه كثير من المسلمين، وهي أنه يعني أن لكل أحد بلغ في العبقرية ما بلغه النبي ﷺ أنه يمكن أن يكون نبيًّا، فيجعلون طريق النبوة العبقرية، فهو وصل إلى رتبة النبوة لعبقريته، فمن كان عبقريًّا مثله.

وذكيًّا مثله، فإنه سيكون نبيًّا مثله، ومن اعتقد هذا الاعتقاد، فلا جرم أننا نحكم عليه بالردة والعياذ بالله، فإننا نجزم جزمًا يقينيًّا قاطعًا بأن الإنسان مهما كان متفوقًا في ذكائه، ومتفوقًا في عظمته، ومتفوقًا في دهائه وخبرته، وعلمه، ومتفوقًا في عبقريته، مهما أوتي من العبقرية والذكاء، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة الأنبياء، ولا إلى مرتبة الرسل، فإذًا أعداء الإنسان يدندنون ويصفون حول هذا الوصف، وهو وصف النبي ﷺ بالعبقرية فقط، حتى يجعلوا باب النبوة بابًا مفتوحًا لكل عبقري، ثم أعلم -رحمك الله- أن الإنسان مهما بلغت عظمته، ومهما بلغ ذكاؤه.

ومهما بلغت عبقريته، فإنه لابد وأن يصدر منه شيء من الأخطاء، وشيء من الهفوات، وأما النبي والرسول، فقد اتفقت الأمة على عصمته، على عصمة تبليغه ورسالته، فما يبلغنا به عن ربه -عَزَّوَجَلَّ من أمور التشريع والنبوة

والرسالة، فإنه لا يُتصوَّر أن يقع فيه الخطأ ولا التقصير مطلقًا، فإذًا فالعبقرية ليست بمعصومة، ولكن النبوة معصومة، العظمة ليست بمعصومة، الذكاء ليس بمعصوم، العقل ليس بمعصوم، ولكن الرسالة معصومة، فيجب علينا أن نصف نبينا ﷺ بالوصف الذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ به حتى ننبئ عن عصمته فيما يبلغه عن الله تبارك وتعالى، فلا يجوز لنا أن ندرج النبي ﷺ من جملة عباقرة العالم حتى نجعله من جملتهم، فلا يتميز، وكأنه من جملتهم فلا يتميز عنهم بشيء، أو نجعله من عظماء العالم فقط.

حتى نوهم أنه من جملتهم فلا يتميز عليهم لا بنبوة ولا برسالة ولا بعصمة، فإن هذا من باب هضم مقام النبي ﷺ، وهذا أمر لا يجوز متابعة هؤلاء فيه، والواجب علينا أن نستقل بديننا وشخصيتنا الإسلامية، فلا نصف نبينا إلا بما وصفه الله عَزَّوَجَلَّ به، وأكثر من وصفه به وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ﴾، فوصفه بالنبوة، و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُول﴾ فوصفه بالرسالة، أما أن نجعله من جملة عظماء التاريخ فقط، أم أن نجعله من جملة دهاة أو أذكياء أو عباقرة التاريخ فقط، ونقتصر عند هذا الحد، فإن هذا لا ينبغي، ولذلك أنكر كثير من أهل السنة والجماعة من العلماء على بعض الأدباء لما ألفوا كتابًا أسموه -عبقرية محمد- ﷺ، فهو يوهم أن ما جاء به النبي ﷺ من هذا العدل.

ومن هذا الوحي، ومن هذا الخير، ومن هذا التشريع العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إنما هو من ذكائه ودهائه ومن عبقريته وعظمته، وفهمه وخبرته وعلمه، وهذا ليس بصحيح بل هو أميّ ﷺ، وإنما جاءه هذا من وحي الله -تبارك وتعالى كما نطق القرآن بذلك: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، فالخير الذي جاء به إنما هو من عند الله تبارك وتعالى -لما جعله نبيًّا رسولا، فإذًا الخلاصة، أن الاقتصار على وصف النبي ﷺ بمجرد العظمة، أو الاقتصار على وصفه بمجرد العبقرية، هذا قصور في حقه، وهضم لدرجته ومنزلته ومقداره ﷺ، فلا ينبغي متابعة أهل الباطل في مثل هذه الأمور، والله أعلم.

i

٤٥٣. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز قول أحدهم التعلم عن الله؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، هذه الكلمة لا أرى بها بأسًا إن شاء الله، إذا كان المقصود منها أننا نتلقى العلم عن الله عَزَّوَجَلَّ بواسطة النبي ﷺ، فالمقصود أننا نتعلم من الكتاب والسنة، فهذا لا بأس به، لأن علم الكتاب والسنة، إنما مصدره ومشرعه ومقرره إنما هو اللهتبارك وتعالى- وقد قال اللهعز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة/ ٢٨٢].

والله عَزَّوَجَلَّ هو العليم اسما، وذو العلم الكامل صفة، فالله هو الذي يعلم عباده لكن عن طريق الرسول، عن طريق الرسل، فنحن إنما نعبد الله عَزَّوَجَلَّ بتلك العبادات القلبية واللسانية والعملية، لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بذلك عن طريق الرسل، فقول القائل: نحن نتعلم عن الله، إذا كان يقصد به هذا المعنى فلا جرم أنه معنى صحيح، أي نتعلم من الرسل الذين جاءوا بذلك العلم من الله عَزَّوَجَلَّ عن طريق الوحي، أي نتعلم من الوحي.

وأما إذا كان المقصود كما يقصده الصوفية، يعني نحن نتعلم عن الله بمعنى أننا لا نحتاج إلى وساطة رسل، بل قلوبنا تتلقى عن اللهعز وجل -مباشرة بالكشف والفيوضات، فإن هذا المعنى لا جرم أنه معنى باطل، لأنه يتضمن إبطال الرسالات، ويتضمن اعتقاد جواز الخروج، أو القدرة على الخروج عن دائرة التشريع، فإذا كان المقصود نحن نتعلم عن الله بمعنى أنه لا حاجة للرسل.

لأن قلوبنا تتعلم وتتلقى من فيوضات الله عَزَّوَجَلَّ مباشرة، كما يقولون هم، فإن هذا معنى باطل ولا يجوز، هذا معنى باطل ولا يجوز، وأما إذا كان المقصد نحن نتعلم عن الله بمعنى نتعلم من وحي الله الذي جاءت بالرسل ونزلت به الكتب، فإن هذا معنى صحيح، فإذًا الخلاصة، أنها كلمة مجملة تحتمل الحق وتحتمل الباطل، والمتقرر عند أهل السنة أن الألفاظ المجملة لا تُقبل مطلقًا، ولا تُرد مطلقًا حتى يتم الاستفصال فيها فيتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد على ما فصلته في موضع آخر، والله أعلم.

i

٤٥٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم القول على المعلمة التي تربي الروح: أمي الثانية، أو وهل يدخل هذا في وعيد النبي ﷺ: ﴿لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إِلَّا كَفَرَ﴾؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، إن انتساب الإنسان إلى غير أبيه إما أن يكون انتساب نسب، وإما أن يكون انتساب تقدير واحترام؟، فإذا كان الإنسان يريد أن ينسب نفسه إلى غير أبيه، نسبة نسب، بمعنى أن ينقل نسبه من

نسب أبيه إلى نسب هذا الرجل، فإن هذا هو المحرم، وهو المعتبر في الشريعة كفرًا، لقول النبي ﷺ: ((لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ - وَهُوَ يَعْلَمُهُ - إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))(١).

ولكن كون الطالب يقول لأستاذه: أنت أبي، أو التلميذة أو الطالبة تقول لأستاذتها: أنتِ أمي، فهي لا تريد بهذا الانتساب أن تنتسب لها نسبة نسب، فتكون أمها النسبية، فهذا لا يخطر ببالها مطلقًا، ولكن هذا انتساب تقدير واحترام، يعني أنتِ لي بمنزلة أمي تقديرًا واحترامًا وإنزالاً لمنزلتك التي تليق بك، فهذا قول جائز ولا بأس به، ومثله قول النبي ﷺ للصحابة: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَي عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّة))(٢).

ولما جاء أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- يسأل عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها، عن مسألةٍ فيها شيء، فأبدى اعتذاره عن هذا السؤال، وقال: إني أجد في نفسي حياء منك، فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك، فهذا من باب قول اللهعز وجل: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب/ ٦]، في التعظيم والتقدير والاحترام، وغير ذلك من

---

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [نِسْبَةِ اليَمَنِ إِلَىَ إِسْماَعِيلَ] (١٨٠/٤) برقم: [٣٥٠٨].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٢٦/١٢) برقم: [٧٣٦٨]، وأخرجه النسائي في «سننه» باب: [النَّهْيُ عَنِ الاِسْتِطَابَةِ بِالرَّوْثِ](٣٨/١) برقم: [٤٠]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [كَرَاهِيَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ](٣/١) برقم: [٨]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٣/١) برقم: [٢٣٤٢].

هذه المعاني، فكون الإنسان يقول لمن هو أكبر منه سنًّا أو يقول لمعلمه وشيخه، أو الطالبة لتقول لأستاذتها: أنت أمي، فهذا من باب التعظيم والتقدير والاحترام، فلا بأس به والله أعلم ..

i

٤٥٥. سُئِلَ الشيخ عن: حكم المزح ببعض الألفاظ الشرعية، وإدخال بعض جمل من القرآن في المزاح؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله،

هذا مزلقٌ عظيم، ومسلكٌ وخيمٌ، يجب الحذر منه الحذر الشديد ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً، فإن من جملة نواقض الإسلام العشرة التي نصّ عليها العلماء رحمهم الله تعالى، وأجمعوا على أنها من جملة ما يوجب للعبد الردة عن الإسلام أن يسخر بالقرآن، أو بالنبي ﷺ، أو بشيء من أسماء الله وصفاته، أو بشيء من دينه وشريعته، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، أو أن يسخر بعباد الله المؤمنين، يعني على أنهم التزموا بالإسلام، فهو يسخر من دينهم، ومن الشريعة.

فإذا وقع الإنسان في شيء من ذلك فلا جرم أنه كافرٌ، خالعٌ ربطة الإسلام من عنقه بالكلية؛ لأن الاستهزاء بشيء مما جاء به رسول الله ﷺ يعتبر كفراً وردةً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]، فلا يجوز هذا الأمر مطلقاً، فلا يجوز أن نتخذ آيات الله هزواً ولعباً، كأن يقول الإنسان ما ذكره

السائل الكريم.

فإن هذا من جملة السخرية بالقرآن، الذي ما نزل إلا لهداية الناس، ودلالة الناس على أقوم السبل، كتابٌ فيه الهدي، والشفا، والفرقان، والحق، والنور، فهو نورٌ، وروحٌ، لا ريب فيه هدىً للمتقين، كتاباً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:٥٢]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى:٥٢]، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[فصلت:٤١-٤٢].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ثم يأتي بعض السفهاء يسخروا من هذا القرآن، الذي هو كلام الله منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذا كله سخريةٌ بكلام الله عز وجل، وبوعده ووعيده، وآياته، ومحكم تنزيله، وهذا كفرٌ وردة ففاعل ذلك حقه أن يُستتاب ثلاثاً، فإن تاب، وإلا قُتل كافراً مرتداً.

ولا ينبغي أن نتهاون في مثل ذلك؛ لأننا مهما تهاونا فإن الناس لا يقفون عند حدٍ، بل سوف ترى من صور الاستهزاء والسخرية أعظم من ذلك، فالواجب أن نأمر من يقع في شيء من ذلك بالتوبة، والإنابة، والندم على ما مضى من هذه الألفاظ الكفرية، والأقوال الشركية، التي لا يحبها الله عز وجل، ولا يرضها من عباده، وهي من ذلل اللسان الذي ربما يهوي بسببه في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وهو لا يدري عن مبلغه، ولا يدري أنه سيصل به إلى هذه النتائج.

إياكم يا إخواني من سقطات اللسان، إياكم من سقطات هذا اللسان، فإن أكثر ما يُدخل الناس النار يوم القيامة حصائد ألسنتهم، وأعظم شيء يلج به الناس يوم القيامة تلك السقطات والهفوات التي ينطقون بها، وهم لا يدرون عن مبلغها الذي ستبلغه، يقول النبي ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ))(١)، ويقول ﷺ: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))(٢)وفي رواية: وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاه))(٣).

فالواجب أن تأمروا هؤلاء بالاستغفار، وبالندم، وبعدم العودة لمثل هذه السخرية بكتاب الله عز وجل، فإننا إذا سخرنا بالقرآن فأي شيء يبقى لنا في هذه الدنيا! وأي شيء يُحترم بعد أن يسخر المسلم بكتاب الله عز وجل! كتابٌ أُمرت بالإيمان به، حقه أن تعظّمه، وأن تقدّره، وأن تُنزله منزلته، كيف تجعل ما أُمرت بأن تؤمن به مثاراً للسخرية، والفكاهات والضحكات من هاهنا وهناك، فهذا أمرٌ لا يجوز.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠٠/٨) برقم: [٦٤٧٤].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨) برقم:[٦٤٧٨].

(٣)أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٠/٢٥)، برقم: [١٥٨٥٢]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٢/٢)، برقم: [٣٩٦٩]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [فِي قِلَّةِ الكَلَامِ](٥٥٩/٤)، برقم: [٢٣١٩]، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٣٧٩/١٠)، برقم: [١١٧٦٩]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٧/١)، برقم: [١١٢٨]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٤/١)، برقم: [١٦١٧].

فالواجب علينا جميعاً أن نتقي الله، وأن نعظّم كتاب الله، وأن نقدّسه، وأن نكبّره، وأن نُنزله منزلته، فإنه كلام الله عز وجل، وهو آخر الكتب، وأعظم الكتب، والمهيمن على الكتب، وهو أفضلها، وأرفعها عند الله عز وجل قدراً ومنزلة، فيه نبأ من قبلنا، وخبر من بعدنا، وفصل ما بيننا هو الجد ليس بالهزل.

لو أنزل الله هذا القرآن على جبل لرأيناه خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وكذلك يفعل في قلوب الصالحين ما ذكره الله عز وجل في آياتٍ كثيرة، فكيف نجعله كلاماً بهذه المثابة، كيف نجعله مثاراً للسخرية والاستهزاء، نسأل الله أن يعافينا وإخواننا من كل ما يوجب الكفر والردة، والله أعلم .

i

٤٥٦. سُئِلَ الشيخ عن: هذه الرسالة ﴿أضحك بوجه الزمن لو أن الزمن ظالم، وأقول وجهٌ طيب وشوف الهم ناداني، تدري متى أحس أني أسعد العالم؟ إذا شفت ضحكة أمي وراحة إخواني﴾ هل فيها محظورٌ شرعي؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، هذه الأبيات طبعاً نبطية، والسائل أخرجها على وجه، على ما وردت به، وهذا من الأمانة في السائل، أنه لا يغيّر شيئاً من حروف الرسالة، حتى وإن كان هو لا يقر بمضمونها ولا ببعض دلالاتها، لكنه يسأل على حسب ما ورد؛ لأن الناس أعلم بحاجاتهم.

أقول: هذا البيت، البيت الأول لا يجوز، الشطر من البيت الأول لا يجوز، وفيه خللٌ عقدي؛ لأنه يصف الزمان بالظلم، وهذا من سب الدهر، من قال ﴿قبّح الله وجه هذا الزمان﴾، ﴿لعن الله هذا الزمان﴾، ﴿ضيّق صدورنا هذا

الزمان﴾، ﴿لم نرتح في هذا الزمان﴾، ﴿هذا الزمان زمانٌ معتدي﴾، ﴿هذا الزمان زمانٌ ظالم﴾، ونحو تلك العبارات القبيحة القذرة هذه كلها عباراتٌ تضرب في العقيدة، لا تجوز مطلقاً، وهي من جملة ما يغضب الله عز وجل

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ))[1]، وقد نهى النبي ﷺ عن سب الدهر لعدة أمور:

الأمر الأول: لأنه سب من لا يستحق السب، فإن الدهر الذي هو مرور الأيام، الذي هو الأيام والأعوام والشهور والدقائق واللحظات، هذا عبدٌ مربوبٌ مُتصرفٌ فيه من قِبل الله عز وجل، فالدهر لا يملك لا نفعاً ولا ضراً، وإنما الله هو الذي يقدّر هذه الأقدار، ويُجري هذه المجريات، ويقدّر اختلاف الأحوال على العبد.

فالدهر لا يملك شيئاً حتى نتوجه له بأن نسبّه، أو نتسخّط عليه، هو عبدٌ ضعيفٌ مربوبٌ، لا قدرة له ولا نفع عنده ولا ضر يملكه، وإنما الله عز وجل هو الذي يتصرف في هذه الأيام، ويعطي ويمنع، ويضل ويهدي، ويوفّق ويخذل، ويغني ويُفقر، ويوجد ويُعدِم، ويُصح ويُمرض، كل ذلك بيد الله عز وجل، الدهر لا يملك من ذلك شيئاً وسب من لا يستحق السب أمرٌ محرم؛ لأن هذا من الاعتداء، ولذا حرّم الشارع سب الدهر؛ لأنه سب من لا يستحق السب، ومن لا يستحق أن يُسب فسبّه ظلمٌ واعتداءٌ وتجاوز، هذا أولاً.

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ] (١٧٦٣/٤) برقم:[٢٢٤٦].

الحكمة الثانية: سداً لذريعة انقداح أن الدهر له تصرفٌ، وعطاء، وإعطاء، ومنع، فحينئذٍ من اعتقد هذا فهو كافرٌ مشركٌ بالله عز وجل في توحيد الربوبية، فإن الإنسان إذا سبّ الدهر، معتقداً أن الدهر هو الذي أوجد هذه المشكلة بذاته من غير تقدير الله عز وجل، فإن هذا شركٌ أكبر مُخرجٌ من الملة بالكلية.

بل حتى لو سبّه معتقداً أنه مجرد سبب، وأن الله هو المقدّر، فمجرد اعتقاد سببية الدهر في هذا القدر أو هذا الأمر الذي حصل عليه هذا شركٌ أصغر، فمن سبّ الدهر معتقداً بأن الدهر هو الفاعل لهذا الأمر الذي ضرّه أو آذاه، فإنه كافرٌ خالعٌ ربقة الإسلام من عنقه بالكلية.

وأما إن سبّ الدهر معتقداً أن الدهر مجرد سبب فإنه مشركٌ شركاً أصغر، وأما من سبّه سباً مجرد من هذا الاعتقاد فهو محرمٌ لا يوصف بأنه شرك، لكنه يبقى في دائرة التحريم، وفي دائرة الكبيرة من كبائر الذنوب؛ لأنه توجهٌ للسب لمن لا يستحق السب، فهو ظلمٌ وعدوانٌ وتجني.

فيجب علينا أن نحذر من وصف الزمان بأي عبارةٍ من عبارات السب، وإنشاء اللعن، كالعبارة التي ذكرها صاحب البيت، الزمان ظالم، أو الدهر ظالم، كل ذلك من الأمور المحرمة عقدياً، المُجمع بين العلماء، المتفق بين العلماء على تحريمها، والله أعلم.

i

٤٥٧. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم: فلانٌ سلبه الله نعمة كذا؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، لا جرم أن الله عز وجل هو المتصرف في هذا الكون، فالله عز وجل هو الذي يُعطي عباده ما شاء من النعم، وهو الذي يمنع عن عباده ما شاء منعه من النعم، فلا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، وبيده عز وجل أن يضر من شاء وأن ينفع من يشاء، فلا يملك النفع على وجه الحقيقة إلا الله، ولا يملك الضر على وجه الحقيقة إلا الله.

فالله عز وجل هو الذي يعطي عباده هذه النعم، سواءً نعمة السمع، أو نعمة البصر، أو نعمة الحركة، أو نعمة الحياة، أو نعمة الصحة، كل ذلك بيد الله عز وجل، والله عز وجل الذي يعطيها العبد متى شاء، ويرفعها عن العبد متى ما شاء، أولا ترى أن الله عز وجل يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾[النحل:١١٢] فإذاً من الذي أعطاهم هذه النعمة؟ إنما هو الله، ثم قال تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من الذي بدّل عليهم هذه النعمة؟ الله.

وكذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥] من الذي أعطاهم هذه النعمة؟ الله، ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ:١٦] فإذاً الله هو الذي يعطي النعم، والله عز وجل هو الذي يأخذها.

ولكن أخذ الله عز وجل للنعمة لا جرم أنه نوع ابتلاءٍ وامتحانٍ يبتلي الله به عبده ليختبر إيمانه، فالواجب على العبد أن يقوم بمقتضى واجب هذه النعم حتى تدوم، فإن النعم لا تدوم إلا بالشكر، وتذهب بالكفر كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، الله هو الذي يعطي نعمة العلم، ولكن العالم إذا لم يقم بالواجب عليه تجاه هذه النعمة فربما تُسلب منه هذه النعمة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ(١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦]. فالله عز وجل هو الذي يعطي النعم وهو الذي يسلبها، يعني وهو الذي يأخذها، فإذا أعطاك الله عز وجل نعمةً فأري الله عز وجل من نفسك خيراً، وقم بالواجب عليك تجاه هذه النعمة، وهي شكرها الشكر الكامل، الشكر القلبي، والشكر اللساني، والشكر العملي، أما الشكر القلبي فهي الاعتراف الجازم بأنها من الله عز وجل، وأن الله هو الذي قدّرها لك، وأنه الذي تفضل بها عليك، ليس من واجب استحقاقٍ منك عليه، فالعبد لا يستحق شيئاً من الله عز وجل، إلا ما أحقه الله عز وجل على نفسه لعبده تفضلاً وامتناناً،

وكذلك أن تشكرها بلسانك، أن تتحدث بهذه النعمة تحدث الشاكرين الحامدين المُثنين على ربهم بهذه النعمة، يقول النبي ﷺ: ((إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))(١)

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ] (٤/٢٠٩٥) برقم: [٢٧٣٤].

وكذلك أن تحمد نعم الله عز وجل، أن تشكر نعم الله عز وجل بجوارحك، وهي أن تكون هذه النعم حاملةً لك على طاعة الله عز وجل، وأن تسخّرها فيما يقربك من رحمته ومغفرته ورضوانه.

وإذا سلب الله عز وجل منك شيئاً من النعم ومنعها عنك وأخذها منك، فالواجب عليك أن تعامل ذلك بعظيم الصبر، واحتساب الأجر، وأن تتفقد نفسك، وأن تُحدث عند ذلك توبةً ورجوعاً وأوبةً إلى ربك عز وجل؛ لأن النعم لا تؤخذ هكذا من العبد جزافاً، وإنما لا تؤخذ إلا لحكمة، إلا لحكمة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥- ١٥٧].

ويقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (((إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ)) [(١)])) إذاً كل شيء بحكمة،، وكل شيء يفعله الله عز وجل فيريد به الحكمة العظيمة والمصلحة المتناهية، فعند النعم يشكر العبد، وعند المصائب وسلب النعم يصبر العبد ويتفقد نفسه ويُحدث عن ذلك توبة.

فقولهم أعطى الله عبده نعمة كذا قولٌ صحيح، وقولهم سلب الله عبده نعمة كذا قولٌ صحيح، فسواءً عبّرنا عنها بأخذ الله النعمة من عبده، سلب الله النعمة من عبده، منع الله عبده هذه النعمة، كلها تعبيراتٌ تصب في ميزابٍ

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٣)

واحد، تصب في حوضٍ واحد، وهي أن التصرف المطلق في هذا الكون إعطاءً ومنعاً يرجع إلى الله عز وجل، والله أعلم.

i

٤٥٨. سُئِلَ الشيخ: انتشرت عادةٌ عند الشباب إذا قيل له هذا الشيء خطأ، رد عليك من باب الضحك وقال: أصلاً حياتي كلها خطأٌ في خطأ، فما حكم هذه المقولة؟

فأجاب – عفا الله عنه–: هذه مقولةٌ محرمة لا تجوز؛ لأنها قادحةٌ في حكمة الله عز وجل في خلقك يا ابن آدم، والله عز وجل لم يخلقك خطأً، ولا قدّر عليك الأقدار خطأً، فلا يجوز للإنسان أن ينسب وجوده للخطأ، فأنت موجودٌ بحكمةٍ بالغة ومصلحةٍ متناهية، إن جهلتها فإن جهلك لا يدل على انتفاء نفس الأمر.

والله عز وجل خلقك لعبادته وتوحيده، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، فيجب على المؤمن أن يقرّ بأن وجوده إنما هو لحكمةٍ بالغة، ومصلحةٍ متناهية، وأن ربه الذي أوجده وقدّر أمور حياته ربٌ حكيمٌ اسما، وذو الحكمة المطلقة المتناهية صفةً، وأنه لا يفعل عبثاً، ولا يُتصور في فعله الخطأ عز وجل، فالخطأ يُنسب لنا نحن، وليس لتقدير الله عز وجل وحكمته سبحانه وتعالى.

والنبي ﷺ بيّن لنا أن حياة المؤمن كلها خير، فكيف يصف الإنسان حياته بأنها خطأ، وهي خيرٌ بالنص النبوي ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ

ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))(١)، فأنت أيها المسلم موجودٌ لعبادة الله، ولتعمر أرض الله عز وجل بعبادته وذكره وحمده وشكره والثناء عليه.

فلا يجوز لنا أن نتكلم بمثل هذه الكلمات التي نتخوّض فيها؛ لأنها ربما تكون هي الكلمة التي توجب علينا سخط الله، وغضبه، ومقته ونحن لا نشعر، فالواجب علينا أن نتقي فلتات ألسنتنا، فإنه ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]، و((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))(٢) فالمسلم لا يجوز أن يقول لنفسه، وأن يحكم على نفسه وحياته بأنه خطأٌ في خطأ وغلطٌ في غلط.

فأبعد عنك هذا الفهم، استعذ بالله من الشيطان الرجيم، واستغفر الله عز وجل، وتب إلى الله من هذه الكلمة، ولا بد أن نبيّن للشباب ممن حولنا حرمة هذه الكلمة، وقبح هذه الكلمة؛ لأنها تضرب في حكمة الله، وتضرب كذلك في خلق الله عز وجل، وتضرب في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

فلا يجوز السخط على أقدار الله، ولا التشكيك في حكمة الله، ويجب علينا أن نعتقد أن لنا غايةً ومصلحةً لا بد أن نحققها، والله عز وجل لم يخلقنا سُدى، ولم يتركنا هملاً رعاعاً، كيفما شئنا نتصرف، وكيفما شئنا نفعل، بل يجب علينا أن نحقق ما يريده الله عز وجل منا وهي إقامة شريعته، فحياة المؤمن ليست بخطأ، وجود الآدمي في هذه الدنيا بل بقدرٍ وحكمةٍ بالغة، فالواجب الحذر

---

(١)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ](٤/٢٢٩٥) برقم:[٢٩٩٩].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[حِفْظِ اللِّسَانِ](٨/١٠١) برقم:[٦٤٧٨].

من هذه الكلمة القذرة الخبيثة، والله أعلم ..

i

٤٥٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم تسمية أحدهم عاشق أو عاشقة، كأن يقول عاشقة الجنة، أو عاشق الأم، أو عاشق الطعام، أو نحو ذلك؟.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسول الله الأمين وبعد،

من المعلوم في لغة العرب أن العشق هو الإفراط في الحب، ويكون صادراً من الإنسان إذا أفرط في حبه لشيءٍ معين، ومن المعلوم في الاستعمال الدارج أن هذه اللفظة إنما يستعملها العشاق فيما بينهم، فينبغي الابتعاد عن هذه الكلمة ما استطاع الإنسان إلي ذلك سبيلاً، فإذا كان هذا العشق في شيءٍ من الأمور التعبدية فهو من الألفاظ التي لا نعلم احد من السلف رحمهم الله تعالى استعملها في شيءٍ من العبادات.

فلا ينبغي للإنسان أن يكني نفسه بأنه عاشق للصلاة، عاشق الصوم، عاشق العبادة، وأما إذا كان في أمرٍ من أمور العادات كحب البلدان وغيرها، فالأولي أن يعبر الإنسان عن العشق بالحب، فكلما أبعد الإنسان عن التعبير عن هذه الغريزة في نفسه بكونها عشقاً، كلما كان أبعد له وأسلم لقلبه إن شاء الله، فحب البلدان وغيرها الأولي أن يعبر عنه بالحب لا بالعشق، كما في الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ: ((مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ،

وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ))[١]،

وكذلك يقول النبي ﷺ لجبل أحد ((هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ))[٢]، فبدل أن نقول: عاشق الجنة تقول: محب الجنة، وبدل أن تقول: عاشق الشيء الفلاني تقول: أحب الشيء الفلاني، فإن التعبير بالحب هو التعبير باللفظ الوارد، وأما التعبير بالعشق فإنما يعبر به في الأشياء المذمومة لا ينبغي صدورها من المسلم، فإذاً صارت المسألة تنقسم إلي حالتين، أما في الأمور التعبدية فلا ينبغي التعبير عنها بالعشق، فلا يقال عاشق الجنة، عاشق الله، عاشق رضوان الله، عاشق الطاعة، عاشق العبادة، عاشق الصلاة، عاشق الصدقة.

فالأمور التعبدية لا ينبغي التعبير عنها بالعشق، إنما يعبر عنها باللفظ الشرعي وهو الحب.

فإن المتقرر عند العلماء أن التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولي، قال الله تبارك وتعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، لم يقل يعشقهم ويعشقونه، فإضافة العشق إلي الله عز وجل صدوراً ووروداً كلها من الأمور التي لا ينبغي التعبير بها، لأن التعبير عن مثل هذه المسائل ينبغي أن يمنح التعبير الشرعي بالألفاظ الشريعة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [فِي فَضْلِ مَكَّةَ](٥/٧٢٣)، برقم: [٣٩٢٦]، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢/٨٣٢)، برقم: [٢٧٣٤].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الخِدْمَةِ فِي الغَزْوِ](٤/٣٥) برقم:[٢٨٨٩]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا](٢/٩٩٣) برقم: [١٣٦٥].

وأما الحالة الثانية فهي التعبير بالعشق عن أمرٍ من أمور الدنيا، كقوله: عاشق والديه، عاشق الطعام الفلاني، عاشق وطنه، عاشق سيارته، عاشق بيته، عاشق القرية، فهذه تعبيرُ بالعشق عن أمورٍ دنيوية، فالأولي أن يترك الإنسان التعبير بها في هذه الحالة، وخلاصة هذه الفتية أن تعبير العشق يرجع إلي العبادات أمرُ محرمُ لا يجوز، وأما التعبير بالعشق عن أمرٍ من أمور العادات الدنيوية فإن الأولي تركه والتعبير بما عبرت بيه النصوص وهو الحب، والله أعلم ..

i

٤٦٠. سُئِلَ الشيخ عن: مقولة: أنت حُر ما لم تضر أحد؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين...

المُتقرِّرُ في القواعِدِ أنَّ الأصلَ في النَّاسِ الحُريَّة المُنضَبِطَة بثَلاثَةِ ضَوابِط؛ ألَّا تَكونَ حُريَّةً تُسقِطُ حَقًّا مَن حُقُوقِ اللهِ عزّ وجل، وألّا تكونَ حُريَّةً تُسقِطُ حَقًّا مِن حُقُوقِ النَّفس، وألّا تكونَ حُريَّةً تُسقِطُ حَقًّا مَن حُقوقَ الآخرين أي مِن سائرِ المَخلوقِين، فكُلُّ حُريَّةٍ أهدَرَت حَقًّا مِن حُقوقِ اللهِ فهِيَ حُريَّةٌ بَاطِلة، وكُلُّ حُريَّةٍ أهدَرَت حَقًّا مَن حُقُوقَ النَّفسِ فإنّها بَاطِلَة وأيُّ حُريَّةٍ أهدَرَت حَقًّا مِن حُقوقِ الآخرينَ فإنَّها بَاطِلة، ولكنَّ الحُريَّة التي تكونُ مُنضَبطةً فلا تُهدِرُ شيئاً مِن حُقُوقِ الله ولا مِن حُقُوقِ الخَلق ولا مِن حُقوقِ النَّفس فإنَّها حُريَّةٌ مَقبولةٌ بل الأصل في النَّاس هذه الحُريَّة، فإذا كانَ قَولُهُ أنتَ حُرٌّ مَا لَم تَضُر يَقصِدُ أن لا تَضُرَّ حُريَّتُك حَقًّا مِن حُقوقِ الله وألّا تَضُرَّ حُريَّتُك حَقًّا مِن حُقُوقِ نَفسِك وألّا تَضُرَّ حُريَّتُكَ حَقًّا مِن حُقوقَ الآخرين فهي كَلِمَةٌ طَيبة، وأمَّا إذا كانَ قَصدُهُ أنتَ حُرٌّ ما لم تَضُر بأحدٍ ولكنَّهُ ينسَى حَقَّ اللهِ عزّ وجلّ وحَقّ نفسِه

فإنَّها عِبارَةٌ قَاصِرة لا يَنبغِي اعتِمَادُها بِمعنى أنَّ الإنسان لا يَجُوزُ لهُ أن يَتعدَّى على أحدٍ فَيحفَظُ حُريَّةَ الآخرين لكن لَهُ الحَق أن يَدِينَ بِمَا شاء فَينتَهِكُ حقًّا مِن حُقُوقِ الله ولَهُ الحَق أن يَعتَقِدَ أيَّ عَقيدَةٍ شاء فَهوَ حُرٌّ لأنَّ عَقيدَتَهُ لا تَضُرُّ أحداً فهذا ادِّعاءٌ بَاطِل ولذلكَ الكَلِمةُ الطَّيبَة هي التي قُلناها في أوَّلِ الأمر وهي أنَّ كُلَّ حُريَّةٍ أهدَرَت حَقًّا مِن حُقُوقِ الله أو حَقًّا مِن حُقوقِ المَخلُوقين أو حَقًّا مِن حُقُوقِ النَّفس فإنَّها تُعتَبَرُ حُريَّةً بَاطِلة والله أعلم ..

i

٤٦١. سُئِلَ الشيخ: لو رأيت أحد أمامي وعلقت عليه بصوت داخلي دون أن أنطق شيئا وأحيانا أتنبه واستغفر وأحمد ربي وأحيانا يكون بدون انتباه فهل ابتلي بنفس الشيء؟

فأجاب – عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء: أن وسوسة الصدور وحديث النفوس معفون عنهما ما لم يقارنه كلام أو عمل وأصل هذه القاعدة ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ))(١)، وهذه عبارة عن نفخة إبليسية أو نفحة شيطانية نفثها في صدرك يريد منك أن تسخر من أخيك المسلم بسبب خلق أو خلق فيه لا يعجبك، فأراد منك أن تسخر وأن تستهزأ بعباد الله عز وجل ولكن الله عز وجل بصرك ونبهك وأيقظ قلبك وإيمانك فاستبدلت هذه السخرة بالاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل فهذا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ فِي العَتَاقَةِ وَالطَّلاَقِ وَنَحْوِهِ، وَلاَ عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللَّهِ](١٤٥/٣)، برقم: [٢٥٢٨].

يدخل في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

فمادام هذا الأمر لا يزال في حيز الباطن ولم ترضي به ولم تسترسل معه بل حاربته بالاستغفار وحاولت أن تخرجه من قلبك بتذكر نعم الله عز وجل عليك، وبادرت بالحمد فإن هذا أمر يدل على إيمانك إن شاء الله ويدل على صدقك ويدل على عدم رغبتك في هذا الوارد الشيطاني الذي نفخ به إبليس في قلبك، وعليك أن تحمد الله بأن وفقك بأن تخرجه من قلبك، هذا بالنسبة لإجابة سؤالك ولكننا نزيد الإجابة فائدة فنقول لا جرم إن السخرة والاستهزاء بالناس وهيئتهم وصورهم هذا من أعظم الأخلاق المذمومة المحرمة التي لا يحبها الله عز وجل، بل هي من الجهل كما قال الله عز وجل عن موسى في قصة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة:٦٧] فالاستهزاء بخلق الله ابتداء هذا جهل وحمق وقلة إيمان، بل إن هذا الاستهزاء لا يصدر إلا ممن أعجب بنفسه وكملت عنده ذاته وشخصيته وهذا من العجب والكبر وقد قال النبي ﷺ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، وليس في خلق الله عز وجل ما يستدعي أن تسخر به فإن الله حكيم لا يخلق إلا لحكمة ولا يفعل إلا لمصلحة.

فعلى الإنسان أن لا يكون جاهلا فيسخر أو يستهزأ بعباد الله فإن من سخر بالمؤمنين سخر الله منه ومن استهزأ بعباد الله الصالحين استهزأ الله به قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[التوبة:٧٩] وقال الله عز وجل ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤] فعلى الإنسان أن يتذكر عظيم نعمة الله عليه بالصحة والعافية وأن يرحم أخاه وأن لا يجعل هذا العيب الخلقي أو الخلقي سببا للضحك منه أو الاستهزاء به فلربما يكون من استهزأت به أعظم من ألف رجل منك، كما قال النبي ﷺ يجيء بالرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة.

وكما في الحديث عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ((أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مِمَّ تَضْحَكُونَ؟)) قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ))[١]، فإذن ليست القضية قضية سمن ولا نحافة ولا طول ولا قصر ولا بياض ولا سواد وإنما القضية إيمان وعمل فأكرمنا عند الله أتقانا فينبغي لنا أن نذكر أنفسنا بهذه المعاني الجليلة الشرعية التي نبهنا القرآن عليها في مواضع متعددة والله أعلم ..

i

٤٦٢. سُئِلَ الشيخ: هل هذه الأبيات صحيحة وجائزة أم هي من الغلو يقول فيها ﴿

أدم الصلاة على النبي محمد فقبولها حتما بغير تردد.... أعمالنا بين القبول وردها

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٩٨/٧)، برقم: [٣٩٩١]، وأخرجه البزار في «المسند» (٢٢١/٥)، برقم: [١٨٢٧]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨/٩)، برقم:[٨٤٥٢]، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٨٢/٧)، برقم: [٣١٩٢].

إلا الصلاة على النبي محمد؟

فأجاب - عفا الله عنه-: المتقرر عند العلماء: أن جميع العبادات قولية أو فعلية لا يقبلها الله إلا بشرطين بشرط الإخلاص في قولها وفعلها وبشرط المتابعة للنبي ﷺ في كنهها وصفتها، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا صوابا، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على وفق سنة النبي ﷺ وهذا يدخل تحته جميع العبادات قولية كانت أو فعلية أو مركبة من قول وفعل، فالصلاة لا يقبلها الله أقصد الصلاة المفروضة لا يقبلها الله إلا بالإخلاص والمتابعة والزكاة لا يقبلها الله إلا بالإخلاص والمتابعة والحج لا يقبله الله إلا بالإخلاص والمتابعة وكافة الأذكار لا يقبلها الله إلا بالإخلاص والمتابعة.

ومن جملة ما يذكر الله عز وجل به: الصلاة والسلام على نبيه ﷺ فهي من جملة الأذكار القولية الخاضعة لهذه القاعدة، فلا يقال فيها إن من صلي وسلم على النبي ﷺ فإن عبادته مقبولة مطلقا وجزما من غير نظر إلى شرط العبادة. هذا قول خطأ، وهذه الأبيات بنيت على مخالفة شرعية؛ بل حتى الصلاة والسلام على النبي ﷺ لابد في قبولها من الإخلاص والمتابعة بمعنى أن الإنسان لو صلي وسلم على النبي ﷺ صلاة المرائين الكذابين المسمعين بلا إخلاص قلبي ولا نية تعبد لله عز وجل بهذه الصلاة، فإنه لا ثواب ولا قبول لهذه الصلاة، وكذلك لو أنه اخترع صلاة على النبي ﷺ تتضمن شيء من الغلو المخالف للأدلة كصلاة الفاتح وغيرها من الصلوات الصوفية فإنها تتضمن كثيرا من المخالفات الشرعية من الغلو وغيرها، فهذه الصلوات غير مقبولة حتى وإن كانت قلوب أصحابها مخلصة لفوات شرط القبول الثاني وهو المتابعة، فإذن لا يقبل الله الصلاة على النبي ﷺ.

إلا كما يقبل سائر العبادات وسائر العبادات لا يقبلها الله إلا بالإخلاص والمتابعة، فهذه الأبيات بنيت على الجزم بقبول الصلاة الصادرة منا للنبي ﷺ بغير نظر في نية مطلقها ولا كونه تابع فيها أو لا يتابع، وهذا خطأ على الشرع بل جميع العبادات القولية أو العملية لا يقبلها الله إلا بالإخلاص والمتابعة، وبناء على ذلك فهذه الأبيات لا يجوز اعتقاد مدلولها في هذه الجزئية التي أبطلناها وبينا الأدلة والأصل في بطلانها، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[الزمر:٢] هذه من أدلة الإخلاص فمن فعل عبادة بلا إخلاص ولا نية التعبد فعبادته مردودة حتى ولو كانت صلاة وسلام على النبي ﷺ.

وأما المتابعة فشرطها قول النبي ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))[١]، وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فمن اخترع من عنده صيغة صلاة وسلام على النبي ﷺ تتضمن مخالفة شرعية فإن الله لا يقبل صلاته وسلامه بل هو إلى الوزر أقرب منه إلى الثواب والأجر، والخلاصة أنه لابد من توفر شرطي قبول الأعمال حتى ولو في الصلاة والسلام على النبي ﷺ والله أعلم ..

i

---

(١)أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ] (١٨٤/٣) برقم:[٢٦٩٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ] (١٣٤٣/٣) برقم:[١٧١٨] واللفظ للبخاري.

٤٦٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول عبارة إلا رسول الله ويقصد بها الدفاع عنه ضد المستهزئين به؟

فأجاب - عفا الله عنه-: فإن من أصول الإسلام وجوب الدفاع عن النبي ﷺ بما أوتينا من قوة وقدرة، فيجب على كل من يؤمن به أن يدافع عنه وأن يدافع عن دينه وشرعيته وأن يدافع عن سنته وأن يقف في وجه كل من أراد النيل من الدين والشريعة أو من ذات وشخص النبي ﷺ فإن الدفاع عنه من قضايا الإيمان العظيمة، وهذا من تعظيم رسول الله ﷺ ومن توقيره ومن محبته ومن احترامه ﷺ. يقول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾ [التوبة: ٦١] فويل لمن وقع في رسول الله ﷺ عند الله عز وجل، ويقول الله عز ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨]، فيجب على كل مسلم أن يرفع راية الجهاد في الدفاع عن النبي ﷺ كما كان السلف الصالح لا يرضون أن يقع أحد في رسول الله ﷺ وعلى اله وصحبه وسلم، وهذا من توقيره وتعزيره، يقول الله عز وجل ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال ونصروه مع أن الله عز وجل قد تولى الدفاع عنه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]

ولكننا نريد أن ننال شرف الدفاع عن رسول الله ﷺ وقد كان الصحابة يدافعون عن جسده يدافعون عن دينه يدافعون عن سنته وملته، ولكننا في

هذا الزمان لا نستطيع أن نخرج صورة الدفاع عنه إلا بالدفاع عن سنته ودينه وشريعته والذب عن سنته ﷺ، ولما كان كعب بن الأشرف يؤذي النبي ﷺ قال ﷺ: ((مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))(١).

فانتدب لهذه المهمة العظيمة محمد بن مسلمة رضي الله عنه فذهب إليه في مكانه وقتله في قصة معروفة في السنة الصحيحة والحديث رواه الإمام البخاري من حديث جابر رضي الله تعالى عنه، والأحاديث في السنة الواردة في شأن نصرة النبي ﷺ كثيرة وقد أجمع أهل العلم رحمهم الله تعالى عن وجوب قتل ساب النبي ﷺ ولكن اختلفوا هل يستتاب أم لا وأصحوا القولين في هذه المسألة، أنه لا يستتاب فسب النبي ﷺ منكر عظيم ولابد للمنكر أن ينكر فقد أخرج ابن ماجه من حديث عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لَكُمْ))(٢).

فمحبة النبي ﷺ دين ديننا الله عز وجل به، وسبه ردة وكفر ومن انتقصه أو

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [رَهْنِ السِّلاَحِ](١٤٢/٣)، برقم: [٢٥١٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ طَاغُوتِ الْيَهُودِ](١٤٢٥/٣)، برقم: [١٨٠١].

(٢)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥٢/٣٨)، برقم: [٢٣٣٢٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ](١٣٢٧/٢)، برقم: [٤٠٠٤]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ](٤٦٨/٤)، برقم: [٢١٦٩]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٩/٢)، برقم: [١٣٧٩]، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» (٤٦٨/٤)، برقم: [٢١٦٩].

آذاه أو لمزه أو غمزه فدمه هدر وعهده منقوض والواجب قتله، ويجب أن ينتدب لنصرة النبي ﷺ عامة الدول الإسلامية، فلا يكتفي في نصره بمجرد أقوال الأفراد أو جهود الأفراد، بل يجب على الدول الإسلامية إن كانت صادقة في إسلامها صادقة في انتسابها لهذا الدين، أن تقف حصنا منيعا في النيل من رسول الله ﷺ وأن نطالب دول وجماعات وأفراد بمقاضاة ومحاكمة من يهين أو يسيء إلى مقام النبي ﷺ وعلى اله وصحبه وسلم.

ولا يجوز لنا أن نسكت بل يجب أن نهب هبة واحدة دول وطوائف وجماعات وأفراد في الوقوف في وجه من أراد النيل من رسول الله ﷺ، وأنا أنادي أمة المليار مسلم ويزيدون ماذا ينتظرون وقد أهين النبي عليه الصلاة والسلام من قبل دول الكفر التي يرعاها النصارى والصهاينة، يدعون كذبا وزورا أنها تكفل حريات الأديان وأنها تحترم رأي الطرف الآخر، وها هم يقعون في ديننا سبا وفي نبينا شتما وإساءة ولا تزال متطأطئة رؤوسنا إلى التراب فإلى متى ونحن في ذلة وخنوع وخضوع واستكانة وضعف ونحن أمة المليار ونملك من العتاد والقوة ما لم يملكه غيرنا، وهي قوة الإيمان والتوحيد والاعتصام بالله عز وجل، فيجب على الدول الإسلامية أن تحقق مقتضي من مقتضيات انتسابها لهذا الدين ومحبة النبي ﷺ وهي نصرته وغريب من هذه الدول التي تحتفل بمولده حبا له ثم لا تصدر ولو بيانا واحد في الإنكار على هؤلاء الذين يسيئون للنبي ﷺ في إعلامهم وفي رسوماتهم، هذا هو الذي ندين الله عز وجل به، هو وجوب الدفاع عنه وعن سنته ودينه وشرعيته وملته، ولا يجوز لنا أن نقصر في ذلك مطلقا لا في صدر ولا ورد، ثم نأتي بعد ذلك إلى أصل السؤال وهي قول إلا رسول الله فسواء أجبنا بالمنع أو بالجواز لا يهم لأن جميع

من يقول ذلك.

إنما لسان حاله ومقاله يقول لو أنكم سببتم أبي وسببتم أمي واستهنتم وأسأتم إلى شخصي وأولادي ووالدي ووطني وجميع ما أملك لكان ذلك أهون على من أن تؤذوا رسول الله ﷺ بشطر كلمة، فكأنه يقول إلا رسول الله فلا أستطيع أن أتحمل الإهانة له إلا رسول الله لا أستطيع أن أصبر على أن اسمع من يسيء له وأسكت، نعم قد أغلب مصلحة السكوت في الإساءة لشخصي وذاتي وأولادي ووالدي، وأما إذا طالت الإساءة رسول الله ﷺ فلا نستطيع أن نحتمل ولا أن نصبر بل لابد أن نهب هبة رجل واحد ونقف في وجه من أراد ديننا ونبينا بالإساءة أو التنقص هذا هو المقصود، فلا داعي إلى التشكك في صحة هذه الكلمة فهي كلمة صحيحة ولها معنى صحيح بل هي نابعة من عقيدة سلفية سنية قد دلت على صحتها الأدلة من الكتاب والسنة والله أعلم.

i

٤٦٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم حديث الرجل مع امرأة ليست أجنبية أي أنه قريب لها إما من طرف الأم أو الأب والهدف من الحديث هو الاطمئنان على الحال من كلا الطرفين زادكم الله من فضله ونفع بكم الأمة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: خلاصة ما قاله الفقهاء في صوت المرأة: أنه ليس بعورة باعتبار ذاته ما لم يصاحبه تكسر أو تخضع أو دلال، فقد كانت المرأة تأتي إلى النبي ﷺ وتخاطبه بخطابها العادي وتسأله وتسمع جوابه وتستفيد منه في محضر الرجال، ولم يكن النبي ﷺ ينهاها عن مثل ذلك، ويقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فالمقصود أن صوت المرأة ليس بعورة ما لم يصاحبه شيء من التأنث والدلال والتغنج لقول الله عز وجل يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا.

فليس المحذور هو صوت المرأة وإنما المحذور هو التخضع بالقول والتأنث والدلال والتغنج وتميع الكلام، فالواجب على المرأة القول بالمعروف ومعناه كما قال المفسرون أي لا ترقق الكلام إذا خاطبها الرجال ولا تلين القول، والحاصل أن المطلوب من المرأة المسلمة في كلامها مع الرجل الأجنبي إن تلتزم بما ورد في هذه الآية، فتمتنع عن من هو محذور فقط، فإذا خاطبت أحد أقربائها أو رجل آخر في أمر تحتاجه أو سلم عليها أحد أقربائها وسألها عن حالها وحال أولادها وزوجها وردت عليه بخطابها العادي بلا تأنث ولا تغنج ولا دلال ولا فتنة فإن هذا من الأمور التي لا بأس بها ولا حرج فيها إن شاء الله والله أعلم .

i

٤٦٥. سُئِلَ الشيخ عن: حكم الدعاء على كافرٍ معين ولعنه، سواءً كان محارباً أو غير محارب، أو الدعاء على المجاهرين بالفجور والفسق؟ أحسن الله إليك.

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،

لا جرم أن الإضلال والهداية إنما يكون بأمر الله عز وجل، فالله يهدي من

يشاء ويضل من يشاء، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والذي أضل هؤلاء الكفار قادرٌ على أن يهدي قلوبهم عز وجل، والذي هو قادرٌ على أن يهلكهم قادرٌ على أن يعافيهم ويدل قلوبهم على الإسلام، فأنا أدلك على أفضل من ذلك وهو أنك تدعو لهم بالهداية.

والأصل جواز الدعاء لعموم الكفار بالهداية، أما إذا كان الكافر مسالماً غير محاربٍ، ولم يصدر منه أذى للمسلمين، فإنه أولى وأحرى بالدعاء له بهدايته؛ لأن في ذلك إنقاذاً له من النار ودخولاً في طاعة الله عز وجل، وهذا غاية ما يقصده المسلم ويرجوه، وما بُعث النبي ﷺ إلا رحمة للعالمين كما أخبر بذلك الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقد دخل النبي ﷺ على عمه أبي طالب وقد كان يحوطه وينصره، فكان حريصاً على هدايته في حال سكرات الموت فقال: ((يَا عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ))[(١)]، وكذلك عاد ذلك الغلام اليهودي في أواخر لحظات حياته وعرض عليه الإسلام، كان حريصاً عليه الصلاة والسلام أن يؤمن الجميع، وأن يهتدي الجميع، وأن يسلم الجميع، وأن يرجع الجميع إلى الله عز وجل.

فلا ينبغي للإنسان أن يكون دائماً دعّاءً على الناس حتى ولو كانوا كفرة، بل يُعود لسانه الدعاء لهم، حتى ولو كانوا كفرة لعل هذه الدعوة تكون سبباً لهدايته ورجوعه للحق، وإسلام قلبه فيكون لك في ذلك الأجر العظيم فَوَ

(١)أخرجه.البخاري برقم (١٣٦٠) ومسلم برقم (٢٤)

اللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))[١]، فخرج النبي ﷺ من عند هذا الغلام اليهودي بعد أن قبل الدعوة وأسلم فقال: وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ))[٢]، أو كما قال ﷺ.

وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لما جاءه أبو هريرة وقال يا رسول الله: ﴿ادعُ على دوس وهم كفرة، وقد أذوا المسلمين، ادعُ على دوس﴾ فقال: ((اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ))[٣]، ومن فقه الإمام البخاري رحمه الله أنه بوّب على هذا الحديث بقوله ﴿باب الدعاء للمشركين﴾.

وفي حديث أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ((كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأسمعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأسمعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللهُمَّ اهْدِ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ](٤/٤٧)، برقم: [٢٩٤٢]، وأخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ باب: [مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ](٤/١٨٧٢)، برقم: [٢٤٠٧]، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ](٢/٩٤)، برقم: [١٣٥٦].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ](٨/٨٤)، برقم: [٦٣٩٧]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مِنْ فَضَائِلِ غِفَارَ، وَأَسْلَمَ، وَجُهَيْنَةَ، وَأَشْجَعَ، وَمُزَيْنَةَ، وَتَمِيمٍ، وَدَوْسٍ، وَطَيِّئٍ](٤/١٩٥٧)، برقم: [٢٥٢٤].

أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ)) فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا اله إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ)) فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي.))[(١)].

وكذلك الحديث عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالُوا: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ. قَالَ: ((اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا))[(٢)] يعني أنهم إذا رموا بالنبل أصابوا، فأذوا المسلمين بمثل ذلك فقال النبي ﷺ: ((اللهم اهدِ ثقيفاً، اللهم اهدِ ثقيفاً)) وفي حديث بن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اللهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلامَ بِأَحَبِّ هاذين الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ](١٩٣٨/٤)، برقم: [٢٤٩١].

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥٠/٢٣)، برقم: [١٤٧٠٢]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [فِي ثَقِيفٍ وَبَنِي حَنِيفَةَ](٧٢٩/٥)، برقم: [٣٩٤٢]، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٥٢٧/١).

الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ))[١].

وهما من هما في إيذاء النبي ﷺ وفي إيذاء المؤمنين.

فبدل أن ندعو على هذا الكافر المعيّن بالهلاك، والعطب، والويل، واللعنة، والثبور نستبدل ذلك بكلامٍ طيبٍ ندعوا الله عز وجل له بالهداية، وبأن ينشرح صدره للإسلام فإن مثل هؤلاء الذين يغلّظون على المسلمين، ويخططون على المسلمين من الكفرة إذا هداهم الله صاروا سلاحاً لنا، صاروا سلاحاً نقلبه في نحور الكفار حينئذٍ، فالذي هو قادرٌ أن يهلكهم، وأن يدمرهم، وأن يسحقهم سحقاً قادرٌ على أن يهديهم، وأن يشرح صدورهم للإسلام والحق فيستفيد منهم الإسلام حينئذٍ.

فلذلك دعا النبي ﷺ أن يهدي الله عز وجل أحب هذا الرجلين إليه، لِمَ؟ لشدتهم، ولقوتهم في الباطل فأراد النبي ﷺ أن يسخّر هذه القوة في الحق، أراد أن يسخّر هذه القوة في الحق.

وأما إذا أبت النفوس إلا الدعاء عليه، فعندنا قاعدة فيمن ندعو عليه، كل من عظم ضرره وأذاه لعباد الله جاز الدعاء عليه، جاز الدعاء عليه دعاءً متوسطاً على قدر أذاه من غير إفراطٍ، ولا تجاوزٍ، ولا يعني، ولا عدوة، كل من ثبت ضرره وأذاه وخطره على المسلمين فيجوز الدعاء عليه ولا حرج في ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥٠٦/٩) برقم: [٥٦٩٥]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [فِي مَنَاقِبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ](٦١٧/٥) برقم: [٣٦٨١]، وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٢٩/١٠) برقم: [٦٨٤٢].

فقد دعا موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون وقومه بأن يهلكهم الله عز وجل ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[يونس:٨٨] وهذا أمرٌ ثابت، وواضح، وظاهر بالأدلة.

بل إن النبي ﷺ لما اشتدّ أذى قريش عليه قال: ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ))[١]، يعني أنه يصيبهم القحط، فأصابهم بسبب دعوة النبي ﷺ القحط العظيم، حتى صاروا يأكلون الجلود، وثبت كذلك عن النبي ﷺ كما في الحديث أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ)). ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: ((اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ)) - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [سُورَةِ الرُّومِ](١١٤/٦) برقم: [٤٧٧٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الدُّخَانِ](٢١٥٥/٤) برقم: [٢٧٩٨]، واللفظ للبخاري.

يَحْفَظْ -، قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرْعَى، فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ))[١]

استجاب الله عز وجل فيهم دعوة نبيه ﷺ. وكذلك ثبت عن النبي ﷺ في غزوة الأحزاب أنه دعا على المشركين، دعا على الأحزاب بقوله: ((اللَّهمَّ مُنْزِلَ الكتاب، ومُجْرِيَ السحاب، وهازمَ الأحزاب، اهْزِمهُمْ وانْصُرْنا عليهم))[٢]، أو كما قال ﷺ، وكذلك في الصحيحين من حديث علياً رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا على الأحزاب يوم الخندق أيضاً

فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: حَبَسُونَا عَنْ صَلاَةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، مَلأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ أَوْ: أَجْوَافَهُمْ نَارًا)))[٣]، وكذلك في الصحيح من حديث أَنسٍ قَالَ: (قَنَتَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا، يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ)[٤]، فالدعاء على الكافر الذي بان ضرره، وعظم أذاه على

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ المُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ، لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ](٥٧/١)، برقم: [٢٤٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ](١٤١٨/٣)، برقم: [١٧٩٤].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ](٦٣/٤)، برقم: [٣٠٢٤]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ](١٣٦٢/٣)، برقم: [١٧٤٢].

(٣) أخرجه البخاري في تفسيرالبقرة باب حافظوا على الصلوات.. برقم (٤٥٣٣) ومسلم في المساجد باب الصلاة الوسطى صلاة العصر برقم (٦٢٧)

(٤) أخرجه « البخاري» كتاب الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده برقم (١٠٠٣) «وأخرجه مسلم» في المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة، رقم:«(٦٧٧)»

المسلمين هذا أمرٌ، لا بأس به، أمرٌ داخلٌ في دائرة الجواز

ولذلك تارةً ندعو لهم، وتارةً ندعو عليهم فالأفضل والأحسن أن ندعو لهم حتى وإن صدر منهم شيئاً من الأذى كما بيّنت لكم بعض أدلته، ولكن إذا أبت نفوسنا إلا الدعاء عليهم فحينئذٍ يكون دعاؤنا عليهم مبنياً على أن ضررهم عظم علينا، وأن أذاهم قد وصلنا إلى بيوتنا، أو إلى أعراضنا، أو إلى ديننا فحينئذٍ يُدعى على كل من ثبت ضرره وعظم أذاه على عباد الله عز وجل، فإذا دُعي عليه فهذا لا بأس به، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾[النساء:١٤٨] إلا من ظُلم، ولعلنا بهذا التفصيل بيّنا الحال، والله أعلم.

i

٤٦٦. سُئِلَ الشيخ: نشاهد بعض مما يظهر عليهم علامات الاستقامة تخرج منهم فيما بينهم بعض الكلمات والألفاظ المستهجنة القبيحة فبماذا تنصحهم علما أنها تكون في مجالسهم الخاصة؟

فأجاب - عفا الله عنه-: القاعدة المتقررة في هذا الباب هي قول الله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[الإسراء:٥٣] وقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة:٨٣] وقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]

وقول النبي ﷺ:(مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)[١].

وقول النبي ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ))[٢]

وقول النبي ﷺ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَاله كُفْرٌ))[٣].

وقول النبي ﷺ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟))[٤].

وقول النبي ﷺ: ((إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))[٥]. وقوله ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))[٦]

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠٠/٨) برقم: [٦٤٧٤].

(٢)أخرجه الترمذي برقم ١٩٧٧ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٣١٢/٢٣٧

(٣)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [خَوْفِ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ] (١٩/١) برقم: [٤٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَاله كُفْرٌ»] (٨١/١) برقم: [٦٤].

(٤)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٦٣]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٤/٢) برقم:[٣٩٧٣]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ](١٢/٥) برقم: [٢٦١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣/٢) برقم: [٥١٣٥].

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠١/٨) برقم:[٦٤٧٨].

(٦)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظ اللِّسَانِ](١٠١/٨)، برقم: [٦٤٧٨]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ](٢٢٩٠/٤)، برقم: [٢٩٨٨].

وكما: ((سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ النَّارَ، فَقَالَ: ((الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ ((، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حُسْنُ الْخُلُقِ))(١).

فيجب على الإنسان أن يتحفظ من سقطات لسانه وفحش ألفاظه وأن يتخير القول الجميل في مخاطبة إخوانه وأن يضع المهاترات الكلامية وألفاظ السوء ما استطاع إلى ذلك سبيلا فإن كل ما تنطقه بلسانك سيسجل ويحسب عليك وستراه في صحيفة حسناتك يوم القيامة، فالواجب علينا أن نتقي الله في هذا اللسان وأن نعلم عظيم نعمة الله علينا به، وأن الله تبارك وتعالى إنما خلقه فينا لنوصل المعاني القائمة في نفوسنا وننتفع به بذكر الله عز وجل ونحيي به سنة التقرب إلى الله تبارك وتعالى بكثرة حمده وشكره وتلاوة كتابته والثناء عليه وكثرة ذكره فلا يجوز لنا أن نستغل هذه النعمة في قول الفحش والتراشق بالتهم والكلام الفاحش البذيء والله أعلم.

i

٤٦٧. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز لعن أم الكافر؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الأصل في المسلم أن يمسك لسانه عن لعن أي

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨٧/١٣)، برقم: [٧٩٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [ذِكْرِ الذُّنُوبِ](١٤١٨/٢)، برقم: [٤٢٤٦]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ](٣٦٣/٤)، برقم: [٢٠٠٤]، وأخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣٦٠/٤)، برقم: [٧٩١٩]، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٦٩/٢)، برقم: [٩٧٧].

مخلوقًا حتى لو كان المخلوق دابة أو بهيمة فلا يجوز للإنسان أن يلعن أحدا أو يباشر معينا باللعن وإنما الوارد في الأدلة لعن الصفات والأفعال والطوائف والجماعات وأما الأعيان فإن الأصل فيهم عدم اللعن إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع فالمؤمن ليس بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش البذيء وقد قال النبي ﷺ (لما سُئِلَ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ)[١] فإذا لعنت الكفار على وجه العموم فلا حرج عليك وإذا لعنت اليهود على وجه العموم والنصارى على وجه العموم ولعنت الفساق والظلمة على وجه العموم فقلت لعنة الله على الظالمين لعنة الله على اليهود والنصارى لعنة الله على الكفرة لعنة الله على الظالمين فإن هذا لا حرج فيه لأن الأدلة ثبتت بلعن هؤلاء.

ولكن المتقرر عند العلماء: أن اللعن بالوصف العام لا يستلزم لعن المعين إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع فإذا كانت اللعنة بالوصف العام فإنه لا حرج فيها فنحن نلعن من لعنه الله ورسوله ﷺ وأما إذا كان اللعن متوجها إلى كافر بعينه أو ظالم بعينه أو فاسق بعينه فإنه لا يجوز لنا أن نلعنه إلا بعد ثبوت الشروط المقررة عند العلماء وتنتفي الموانع، فإذن لابد أن نفرق في هذا المقام بين ما كان عاما على الطائفة كلها وبين ما كان معينا على شخص بعينه فإذا قلت لعن الله الكفرة فهذا جائز لكن إذا قلت لعن الله فلان الكافر أي بعينه فهذا لا يجوز إلا بعد ثبات الشروط وانتفاء الموانع والله أعلم.

i

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٧٩٠٧) والترمذي برقم (٢٠٠٤) وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٢٢/٢٨٩)

٤٦٨. سُئِلَ الشيخ: ما رأيكم في مقولة بعضهم النية تجارة العلماء يقول فقد أنتشر بعض الرسائل بين الناس يقول ينبغي لك عند قراءة القرآن أن تستحضر عدة نوايا كنية الاستشفاء ونية التلاوة ونية التدبر يقول حتى تصل بعضها إلى سبعة عشر نية هل هذا أمر موافق لفعل السلف؟ أم إنه أمر فيه تكلف؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين لا جرم أن هذا من الأمور التي فيها تكلف ظاهر وتجعل العقل مشوشا والقلب منشغلا بتحقيق هذه النوايا عن تدبر القرآن وتأمله لكن الأمر لا بد أن نرده إلى أصل عظيم وهو أنه يغتفر في المقاصد الأصلية التبعية ما لا يغتفر في المقاصد الأصلية الأساسية فالإنسان ينبغي له أن يكون مبدأ مقصودة في شيء في أي تعبد كان قوليا كان أو عمليا إنما هو الإخلاص لله عز وجل وإرادة وجهه والدار الآخرة. فلا يجوز أن يزاحم هذا المقصود بأي مقصود أخر. ثم لا بأس بالمقاصد الثانوية الفرعية التبعية أن يقصد الإنسان شيئا من الأمور كالاستشفاء أو حفظ المال أو الصحة أو غير ذلك. فهذه يتوسع فيها في المقاصد التبعية الثانوية الفرعية. وأما المقصود الأصلي الأساسي فلابد أن يكون في كل تعبد الإخلاص لله عز وجل هو الراية الأولى والمقصود الأول.

فلا ينبغي أن يزاحم هذا المقصود بأي مقصود آخر. هذا بالنسبة المسألة ثم أعود فأقول لا ينبغي أن يتكلف الإنسان مثل هذه النوايا عند مثل هذه العبادات لا ينبغي أن يتكلف الإنسان كل هذه النوايا عند هذه التعبدات إذ أن منها ما يحصل تبعا من غير استشعار له بخصوصه ومنها ما لم يدل دليل أصلا على استشعاره حتى قرأت لبعضهم هداه الله أنك عند قراءة القرآن لا بد أن تستحضر سبع عشرة نية ومن قال لك ذلك وما أصلك في ذلك

وما سلفك في هذا؟ فلذلك نحن مأمورون أن نفرغ قلوبنا عند كتاب الله عز وجل حتى تجتمع نفوسنا وتدبر قلوبنا على تفهم معاني كلام الله عز وجل. فإذا كان الإنسان إنما يريد أن يستجمع تلك النوايا فلا بد وأن يشتغل القلب استحضارها و المتقرر في القواعد (أن المشغول لا يشغل) فلا بد من تفريغ القلب من كثير من هذه الأمور والصوارف حتى يتمخض لتدبر كلام الله عز وجل والله أعلم.

i

٤٦٩. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول الناظم محمد المختار من خير العرب؟ يقول أنه عليه الصلاة والسلام هو خيرهم فما قولكم فيه ﴿من﴾ هنا؟

الحمد لله نعم ولكن لابد أيها السائل وفقك الله أن تفرق بين من الجنسية ومن التبعيضية فإذا قلت لك باب من ذهب هل هذه تبعيضية أو جنسية؟

فأجاب – عفا الله عنه– :هي من الجنسية وكذلك قول الله عز وجل ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

هذه ليست من التبعيضية وإنما هي من الجنسية وكذلك قول الله عز وجل في شأن الصحابة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ مِنهُم مَّغفِرَةً وَأَجرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]

هل هذه من التبعيضية والعياذ بالله أو أنها من الجنسية لا جرم أنها من الجنسية فلعل الناظم أو هذا الشاعر يقول من خير العرب أي من جنس العرب وليس

من التبعيضية وأظن هذا هو المعنى الصحيح فلا بد أن تفرق حتى يزول عنك الإشكال بين من المقتضية للتبعيض ومن المقتضية لبيان الجنس والله أعلم.

i

٤٧٠. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم لصاحبه ﴿ما أنا إلا بكم﴾؟، أو ﴿ما أنا إلا بك﴾؟، يقول: ما حكم هذه المقولة؟ وهل هي من باب طلب الفزع في أمرٍ ما لغير الله سبحانه وتعالى؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه واهتدى بهداه، هذه العبارة التي ذكرها السائل وفقه الله من جملة العبارات التي لا ينبغي إطلاقها بهذا الأسلوب؛ لأن طلب المعونة من المخلوق وإن كان في أصله مما يجوز إذا كان الأمر المستعان فيه يدخل تحت طاقته وقدرته، إلا أن من كمال توحيد العبد أن يستعين بالله عز وجل أولاً، فلا ينبغي للإنسان أن يقول: - أنا بكم- بمعنى طلب المعونة.

وإنما ينبغي له أن يقول: -أنا بالله- أي أُنزل حاجتي بالله أولاً، واستعين بالله أولاً، وأتوكل على الله عز وجل أولاً، وأطلب حاجتى من الله أولاً، وأسأل تيسيرها من الله عز وجل أولاً؛ لأن أزمّة هذا الكون بيد الله تبارك وتعالى، فإذا أراد أن يعطي فلا مانع لما أعطى، وإذا أراد أن يمنع فلا معطي لما منع، وكل شيء بقضاء الله عز وجل وقدره، فلا ينبغي للإنسان أن يتمثّل قوة المخلوق ويغفل قلبه عن قوة الخالق، ولا أن يتمثّل الاستعانة بالمخلوق ويغفل قلبه عن الاستعانة بالخالق، فإن المخلوق إنما هو سببٌ في إيصال ما

يريده الله عز وجل، إيصاله لك من الخيرات، أو في دفع ما يريد الله عز وجل دفعه عنك من المضرات.

فصواب هذه الكلمة أن يقول: -أنا بالله ثم بكم-، أنا مستعينٌ بالله في إنهاء هذا الأمر، ثم مستعينٌ بكم، أي في الأمر الذي يقدر عليه المخلوق، وأما إطلاقها هكذا -أنا بك-، -أنا لست بشيء إلا بك-، ونحوها، فهذه إطلاقاتٌ منافيةٌ لكمال التوحيد، فالواجب التنبيه عليها، والله أعلم.

i

٤٧١. سُئِلَ الشيخ عن: يتناقل البعض رسالة مفادها قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى(١)أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾[عبس:٢]، يقول: جاء النهي عن العبوس في وجه الأعمى وهو لا يرى، فكيف بمن يرى!، تبسّموا لمن حولكم فالحياة قصيرة، فهل هذا صحيح؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: لا بأس بهذا الكلام إن شاء الله؛ لأنه يتضمن تحقيق مقصودٍ من مقاصد الشارع، وهو بعث الألفة والمحبة والتواد، والإخاء، وتقوية أواصر الأخوة الدينية الإيمانية، فإن تبسّم المسلم لأخيه المسلم يحقق هذا المقصود الشرعي.

وعلى ذلك قول النبي ﷺ: ((إنّكمْ لَا تَسعُونَ النَّاسَ بأمْوَالِكُمْ ولكِنْ لَيَسَعْهُمْ مِنْكمْ بَسْطُ الوَجْهِ وحُسْنُ الخُلُقِ))[1]، وقال ﷺ: ((لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ

(١)أخرجه البزار في «مسنده» (١٧٧/١٥)، برقم: [٨٥٤٤]. وقال الألباني في صحيح الترغيب حسن لغيره برقم ٢٦٦١

شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ، فَالْقَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))[١] رواه الإمام الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان، وفي الحديث عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: ((مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي))[٢]، ويقول ﷺ: ((تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ))[٣].

وكان النبي ﷺ من أكثر الناس تبسماً، وكان ضحكه تبسماً، وكان يضحك حتى تبدو نواجذه ﷺ، فهذا من باب الإيناس، وانبساط النفوس، وانشراح الخواطر، وتقوية أواصر الألفة، فلا حرج في هذا التعبير، وأرى أنها رسالةٌ صحيحةٌ، وذلك لأن النبي ﷺ عبس في وجه من جاءه أعمى لاشتغاله بدعوة بعض كبراء وصناديد قريش، فنهاه الله عز وجل عن العبوس في وجه من جاء يسعى وهو يخشى، بحجة الاشتغال بغيره، وهذا من المواضع التي عاتب فيها الله عز وجل نبيه ﷺ، فإذا كان قد عاتبه ونهاه عن ذلك فيكون هذا من الأحكام الثابتة في حقه ﷺ.

والمتقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى: أن كل حكمٍ ثبت في حقه ﷺ فإنه يثبت

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ] (٢٠٢٦/٤)، برقم: [٢٦٢٦].

(٢)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [التَّبَسُّمِ وَالضَّحِكِ](٢٤/٨)، برقم: [٦٠٨٩]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [مِنْ فَضَائِلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ](١٩٢٥/٤)، برقم: [٢٤٧٥].

(٣)أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ](٣٣٩/٤) برقم: [١٩٥٦]، وصححه ابن حبان في «صحيحه» باب: [ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ لِلْمُسْلِمِ يَقُومُ مَقَامَ الْبَذْلِ لِمَالِهِ عِنْدَ عَدَمِهِ](٢٢١/٢) برقم:[٤٧٤]، وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٣/٨) برقم: [٨٣٤٢]، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٦/٢) برقم: [٥٧٢].

في حق أمته تبعاً إلا بدليل الاختصاص ؛لأن الأصل في التشريع التعميم، فإذا كان منهيّاً عن العبوس في وجه الإنسان وهو أعمى، فيكون أمته كذلك اقتداءً به، ولقد قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] فلا أرى حرجاً في إرسال هذه الرسالة، لما تتضمنه من تحقيق مبدأ من مبادئ الشرع، وقاعدةٍ من قواعده، وهي تقوية أواصر الأخوة الدينية الإيمانية والله أعلم.

i

٤٧٢. سُئِلَ الشيخ: هل يصحّ أن يقول أحدهم ﴿سمائي﴾ أي السماء، وهو يعلم أنها سماء الله، ولكن يقصد بذلك أنها فوقه فقال ﴿سمائي﴾؟، هل يجوز مع الاعتقاد الصحيح أنها سماء الله؟.

فأجاب – عفا الله عنه-: لا بأس بذلك إن شاء الله؛ لأن نسبة السماء والأرض له ليست نسبة خلقٍ وإيجاد، وإنما هي نسبةٌ أخرى، فنسب السماء إليه باعتبار كونها السماء الدنيا، وأنها فوق رأسه، ونسب الأرض إليه باعتبار أنها الأرض التي خُلِق منها، والأرض التي تربى عليها، بل لو أن الإنسان تملّك أرضاً، فإنه يجوز له أن ينسب هذه الأرض له، فيقول: (هذه أرضي)، بمعنى أنني أملكها.

فمثل هذه النسبة لا بأس بها إذا كان يُراد بها معنىً صحيح، فهو لا يقول سمائي بمعنى أنني الذي خلقتها وأوجدتها، هذا لا يُتصوَّر قوله من أحد، وإنما يقصد بهذه سماؤنا وهذه أرضنا بمعنى الأرض التي نمشي عليها، والأرض التي خُلقنا من ترابها، ووُجدنا فيها، فهي تكفتنا أحياءً على ظهرها، وتكفتنا أمواتاً تحت، في باطنها، وهذه سماؤنا التي تظلنا ونعيش تحتها، فمثل هذه

النسبة لا بأس ولا حرج فيها إن شاء الله، والله أعلم ..

i

٤٧٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذه الأبيات(الله يا زينة الدنيا وما فيها، الله يا أعذب الألفاظ، في لغتي، الله وإن ضاقت الدنيا فألجأ إليها، ففيها ما يجلّيها)، يقول هل هذه الأبيات جائزة؟.

فأجاب - عفا الله عنه-: هذا الكلام لا بأس به إن شاء الله تعالى؛ لأن له معنى صحيحاً لعل الشاعر هو الذي يقصده، ولا نظنه بأنه يعتقد حلول الله عز وجل في هذه الدنيا.

فإن المتقرر عند العلماء: أن ذات الله عز وجل عليةٌ فوق الخلق، فالله عز وجل عالي بذاته فوق الخلق ليس في ذاته شيء من ذوات خلقه وليس في ذواتهم شيء من ذاته تبارك وتعالى، فنحن لا نظن أن الشاعر يقصد هذا مُطلقاً إن شاء الله، وإنما يقصد ذِكر الله عز وجل واسمه الأعظم، فإن ذكر الله عز وجل من أعظم ما يُسعد النفوس بهذه الدنيا ومن أعظم ما يبعث على السعادة ومتعة النفس، كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴿٩٧﴾فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴿٩٨﴾وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر:٩٩].

فأعظم أُنس يستشعره العبد الأُنس بقرب الله عز وجل ولذة مناجاته، وإيناس النفوس، وانشراح الصدور، وتنوير البواطن بكثرة ذكره، وحمده، والثناء عليه، فهو لا يقصد أن الله حالٌّ في شيء من ذوات خلقه، وإنما يقصد بذلك ذِكر الله

تبارك وتعالى. فالعبد كلما تعرف على الله عز وجل على مقتضى أسمائه وصفاته، وكلما كان أعبد له بكثرة ذكره وحمده وسائر العبادات له، كلما كان أعظم متعةً، وأكثر انشراحاً، وأوسع صدراً، ويعني تكون نفسه مطمئنة، مرتاحة في غاية الطمأنينة والراحة.

وهذا لا يستشعره إلا من عرف الله عز وجل حق معرفته، وتعبّد إليه حق عبادته، فنسأل الله عز وجل أن نكون من هذا الصنف الذي يأنس بقرب الله عز وجل وينشرح خاطره بذكره.

بينما هناك أُناس على وجه هذه الأرض تضيق صدورهم عند ذِكر الله عز وجل وتكفهر وجوههم، وتتغير ألوانهم قال الله عز وجل عن هؤلاء: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمر:٤٥]، ويقول الله عز وجل: ﴿ويعبدون﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾[الحج:٧٢]، نعوذ بالله من هذا الصنف، وأما أهل الأيمان فإنهم كما قال الله عز وجل، كما قال الله تبارك وتعالى في كثير من الآيات أنهم عند سماعهم لشيء من القرآن: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[الزمر:٢٣]

فالشاعر يقصد بالله أي ذكره، والأُنس بقربه، وعبادته، والإخلاص له هذا هو المعنى الصحيح في هذه الأبيات، فإن كان الشاعر يقصد هذا المعنى فلا جرم أنها معانٍ صحيحة قد دلّت عليها الأدلة الكثيرة، والله أعلم.

i

٤٧٤. سُئِلَ الشيخ عن: قول أحدهم: انكسر الشر، عند انكسار شيء من أثاث البيوت فما حكم هذه الكلمة هل فيها نوع تطير أو تشاءم؟

فأجاب - عفا الله عنه-: قبل أن أبدأ في الجواب أشكر لك أيها السائل هذا الأدب الجم في طرح سؤالك وهكذا ينبغي للإنسان إذا سأل أحدا من الناس أن يكون مبدأ سؤاله مبدأ الاستفسار والاستعلام بالعبارات الرقراقة، بالعبارات الأدبية الطيبة هكذا ينبغي أن نتعامل فيما بيننا أيها الإخوان ففي الحقيقة ما استفدناه من أسلوبك الجميل أعظم وأكبر مما سوف تستفيده من هذا الحكم الذي سوف أصدره إن شاء الله، كثر الله من أمثالك من أهل الأدب، وأهل الخير، وأهل الاستفادة، وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يشرح صدرك، وأن يغفر ذنبك، وأن يُعلي قدرك على هذا الأدب الجم.

الجواب: إذا انكسر كأسٌ أو أُريق ماءٌ أو حصل شيء من حوادث الدهر مثلاً كحادث أو سقوط شيءٍ أو تلف شيء فإن الناس يقولون: تلف الشر؟ فنقول: هذا لا أصل له لا في السنة ولا في غيرها، بل إنه يدخل حينئذ من باب التطير لأن هذا كونه خير أو شر هذا أمر لابد في إثباته من دليل، فلا نحكم عليه بأنه خير ولا نحكم عليه بأنه شر باعتبار عينه، لكن هذا لا يؤخذ منفردا بل لا يؤخذ إلا بالنظر إلى أحوال المسلم على وجه العموم، وهي: أن كل ما يصيب المسلم إنما هو خير له، كما في الصحيح يقول النبي ﷺ: ((مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ

يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))(١).

فلا جرم أن الإنسان إذا تلف شيءٌ من أثاثه الغالي عليه، فأعقب هذا وصب، وتتعب نفسه بسبب ذلك لكنه خير باعتبار الإجمال والعموم، لأن أحوال المسلم كلها خير، ويقول النبي ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))(٢)، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، فأمور المسلم كلها خير انكسر الكأس، أُريق الماء، كل ذلك من الخير باعتبار النظر إلى عموم أحواله، وأما الشهادة المعينة بأن هذا الشيء الذي حصل خير أو شر فإن هذه الشهادة من أمور الغيب فلا ندري أهي شرٌ أو خير عند الله عَزَّوَجَلَّ بخصوصها فنكتفي بالشهادة العامة ونجتنب الشهادة الخاصة لعدم ثبوت الدليل بها والله أعلم.

i

٤٧٥. سُئِلَ الشيخ: انتشر في الآونة الأخيرة بين المستقيمين تناقل النكت عبر وسائل التواصل الاجتماعي فما حكمها وتوجيهكم نفع الله بعلمكم؟ وبعض الشباب يقول: إنها جائزة بحجة أنه من المعلوم أنها مؤلفة لدى الجميع وهي بغرض إدخال السرور على المسلم وكتب الله لكم الأجر؟

---

(١)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب:[مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ] (١١٤/٧) برقم:[٥٦٤١]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب:[ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا] (١٩٩٢/٤) برقم:[٢٥٧٢]، واللفظ للبخاري.

(٢)أخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ](٢٢٩٥/٤) برقم: [٢٩٩٩].

فأجاب - عفا الله عنه-: الكذب كله حرام فلا يجوز للمسلم أن يكذب لا جادًا ولا مازحًا ولا هازلًا الكذب كله حرام بمختلف أشكاله وتعدد صوره، فالأصل المتقرر عند العلماء في باب الكذب: أنه على التحريم، بل الكذب صفة من صفات المنافقين فقد أخبر النبي ﷺ أن المنافق ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[(١)].

والأدلة في تحريم الكذب كتابًا وسُنة كثيرة، وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى: هل الكذب كبيرا أم من جملة الصغائر؟ والقول الأقرب إن شاء الله: أن أكثره كبيرة ولكن في بعض صوره قد يكون من جملة الصغائر، ولن يرخص الشارع في شيء من الكذب كما في الحديث: (لَا يَحِلُّ الكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالكَذِبُ فِي الحَرْبِ، وَالكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ)[(٢)].

من جملة ما رُخص فيه الكذب: الحرب، فقد قال النبي ﷺ: ((الحَرْبُ خَدْعَةٌ))[(٣)]، وكان ﷺ إذا أراد جهةً ورى بغيرها.

---

(١): أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [عَلَامَةِ المُنَافِقِ](١٦/١) برقم: [٣٣]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ](٧٨/١) برقم: [٥٩].

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» باب: [لاَ يَحِلُّ الكَذِبُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالكَذِبُ فِي الحَرْبِ، وَالكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ](٣٣١/٤) برقم: [١٩٣٩]، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٣٦/٨) برقم: [٨٥٨٨]، وحسنه الألباني في « سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٥/٢).

(٣)متفق عليه: أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [الحَرْبُ خَدْعَةٌ] (٦٤/٤) برقم: [٣٠٣٠]، وأخرجه مسلم في «صحيحه» باب: [جَوَازِ الْخِدَاعِ فِي الْحَرْبِ](١٣٦١/٣) برقم: [١٧٣٩].

والأمر الثاني: أن يكذب الرجل على زوجته من باب الحاجة ليرضيها إذا كان إرضاؤها لا يمكن إلا بطرق هذا الباب.

والأمر الثالث: أن يكذب الإنسان من باب السعي في الإصلاح بين المتخاصمين، وهذه الأمور قلنا بأنها من الكذب الجائز لورود الأدلة بتخصيصها ولا تعارض بين عامٍ وخاص، وتبقى سائر الصور من الكذب محرمة على أصل التحريم، فمن خصص جواز المزاح بجواز الكذب فيه فإنه مُخصص للأدلة العامة ومن خصص شيئًا من الأدلة العامة فإن تخصيصه هذا انتقالٌ عن الأصل، لأن المتقرر عند العلماء: أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المُخصص، ولأن المتقرر: أن الدليل يُطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه، فلا نعلم دليلاً يدل على جواز الكذب في المزاح فلا يجوز الكذب في المزاح مطلقا، والكذب عرفه علماء الشرع واللغة: بأنه الإخبار بخلاف الواقع، والكذب يُوصف بأنه كذبٌ حتى وإن كان المستمع يعرف أنه كذب، وقد قال النبي ﷺ في حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده وهو حديث لا بأس به: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَه))[1].

والنبي ﷺ حرم الكذب جادًا أو مازحًا، فلا يجوز للإنسان أن يجعل المزاح

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٤/٣٣) برقم: [٢٠٠٤٥]، وأخرجه أبو داود في «سننه» باب: [فِي التَّشْدِيدِ فِي الْكَذِبِ](٢٩٧/٤) برقم: [٤٩٩٠]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُضْحِكُ بِهَا النَّاسَ](٥٥٧/٤) برقم: [٢٣١٥]، وأخرجه النسائي في «سننه» باب: [سورة المطففين](٣٢٧/١٠) برقم: [١١٥٩١]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٩٩/٢) برقم: [٧١٣٤].

سُلمًا يرتقي بها إلى ارتكاب ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، وإن هذا الكذب ليقبح إذا دار بين أهل الاستقامة والالتزام على منهج الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يقبح بهم كثيرًا لأنهم أهل الصدق، وأهل الأمانة، وأهل الثقة، فلا ينبغي أن تنطق ألسنتهم بالكذب مطلقًا لا جدًا ولا هزلا، وينبغي أن يكون مزاحهم هو المزاح الطيب المزاح النقي عن شوائب الكذب، أو شوائب الاعتداء والظلم والغيبة والنميمة أو السخرية والاستهزاء والعدوان، فإن هذا وإن كان قبيحًا من عموم المسلمين فإنه يقبح من أهل الدين وطلبة العلم على وجه الخصوص فالواجب علينا: أن نكون قدوةً صالحةً للناس، فإن الناس ينظرون لنا بعين التعظيم والإجلال والإكبار، فلنكن عند حُسن ظنهم تعبدًا لله عَزَّوَجَلَّ لا رياءً وسمعة، والله أعلم.

i

٤٧٦. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول البعض على بعضهم بين المسلمين؟ يا كافر أو يا فاجر يا فاسق؟؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله هذه من الأوصاف الشرعية التي لا يجوز أن يصف مسلم مسلمًا بها إلا إذا كان متصفا بمقتضاها الشرعي وقد أجمع أهل السنة على أنها أحكام شرعية وأن الأصل في إثباتها على أحد من الناس إنما هو النص؛ فالتكفير والتفسيق حكم لله ورسوله ونحو ذلك من الأوصاف التي لا يجوز إثباتها في حق أحد إلا إذا ثبت الدليل بها؛ وأجمع أهل السنة على أنه لا مدخل في هذه الألفاظ إثباتا أو نفيا لا للتشفي ولا للانتقام ولا في المعاملة بالمثل ولا لدرك الغيظ أو إطفاء جذوة، فلا مدخل لمثل هذه الأمور النفسية والخلجات الروحية في إثبات شيء من هذه الأحكام على الأخرين أبدا، وأجمع

أهل السنة على أن هذه الأحكام لها أصولها ولها قواعدها التي لا بد من تحققها ولابد من النظر في شروط إثباتها وفي موانع إثباتها ونحو ذلك، فالواجب على الإنسان أن يتقي الله فإن هذه السقطات اللسانية من أعظم ما ينبغي الحذر منه يقول النبي ﷺ (أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا.)[1]

وقال النبي ﷺ (وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ)[2] وغير ذلك من الأدلة الدالة على حرمة إطلاق هذه الألفاظ إلا إذا وجد مقتضاها والله أعلم.

i

٤٧٧. سُئِلَ الشيخ: أحسن الله إليك يوجد شباب في مجتمعنا ومن زملائي في العمل والأقارب يقول بدأت ألحظ عليهم من كلامهم وتعليقاتهم الهمز واللمز في الملتزمين وطلبة العلم وتصيد أخطائهم والفرح بها وجعلها عذرًا لهم في تقصيرهم يعنى أخطاء الملتزمين فهل من كلمة توجيهية لذلك وخصوصًا بعد انتشار بعض رسائل التواصل وفيها الهمز واللمز من هذا النوع؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العامين وبعد

الجواب هذه من الأمور التي أبتُلى بها الكثير من الناس في هذا الزمان بل هي بلوى كثير من الناس في كل زمان، وعياذ بالله منها، وهي من جملة غثاء

---

(١)أخرجه البخاري كتاب الأدب بَابٌ: مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ برقم (٦١٠٤) ومسلم قي الإيمانبَابُ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ برقم (٦٠)

(٢)أخرجه البخاري كتاب الأدب بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ برقم (٦٠٤٧) ومسلم ي الإيمان، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ برقم (١١٠)

الألسنة وآفات المنطق الذي يجب علي الإنسان أن يتقي الله -عز وجلَ- فيها صيانةً وحمايةً وحفظًا للسان، فإن من أعظم ما يوجب الخطر على الإنسان في الدنيا والآخرة فلتات لسانهِ.

فعلى الإنسان أن يحفظ لسانهُ، وأن يتقىَ الله عَزَّوَجَلَّ في أعراض إخوانه وإلا فإن هذا اللسان من جملة الشهود على العبد يوم القيامة قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور: ٢٤)

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]

يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح ((سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ النَّارَ، فَقَالَ: ((الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ))[1]. ويقول ﷺ كما في مسند أحمدَ والترمذي بسند حسن من حديث معاذَ رضي الله عنه:)) ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ. قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨٧/١٣)، برقم: [٧٩٠٧]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [ذِكْرِ الذُّنُوبِ](١٤١٨/٢)، برقم: [٤٢٤٦]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ](٣٦٣/٤)، برقم: [٢٠٠٤]، وأخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣٦٠/٤)، برقم: [٧٩١٩]، وصححه الألباني في «السلسة الصحيحة» (٦٦٩/٢)، برقم: [٩٧٧].

حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[١]

يقول النبي ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)) [٢].

ويقول النبي ﷺ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[٣]

ويقول الرسول ﷺ: (وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)، وفي رواية (يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) وعند مسلم (بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ).[٤]

والنصوص المحذرة من آفات لسان، ومبينه لخطره وعظيم وقعهِ وقبيح ذللهِ كثرةٌ جدًا لا تكاد تحصى فينبغي على العاقل الذي يريد لنفسه النجاة أن يحفظ

---

(١)أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٣/٣٦) برقم: [٢٢٠٦٣]، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» باب: [كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ](١٣١٤/٢) برقم:[٣٩٧٣]، وأخرجه الترمذي في «سننه» باب: [مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ](١٢/٥) برقم: [٢٦١٦]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩١٣/٢) برقم: [٥١٣٥].

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب: [حِفْظِ اللِّسَانِ](١٠٠/٨) برقم: [٦٤٧٤].

(٣) () متفق عليه: أخرجه البخاري في ﴿صحيحه﴾ باب: [قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ﴾] (٢٤/١) برقم: [٦٧]، وأخرجه مسلم في ﴿صحيحه﴾ باب: [تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ] (١٢٠٥/٣) برقم: [١٦٧٩].

(٤)أخرجه البخاري في الرقاق باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٧) و(٦٤٧٨) ومسلم كتاب الزهد والرقائق بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ برقم (٢٩٨٨).

لسانه، وأن يتأمل في منطقهِ، ولا يتكلم بالكلمة إلا بعدَ أن يعلم من يتلقفها من الملكين أهو ملك الحسنات، أو ملك السيئات لاسيما إذا كان من تكلمت فيه من أهل العلم والصلاح بل قد يكون عند الله من الصديقين والشهداء فإن الأمر حين أذٍ يكون أفدح وأعظم.

فعلى الإنسان أن يحفظ أعراض إخوانه، وأن يدافع عنهم وأن لا يغتابهم أو ينم عليهم أو يجعلهم فاكهةً يتفكهبها في مجالسهِ أو يجعلهم نوادر يتندر بها في فكاهته فكل ذلك من الأمور المحرمة التحريم الشديد فإن أعراض المسلمين عند الله عز وجل غالية لاسيما أعراض أوليائه من العلماء والصديقين والشهداء والصالحين ومنهم من خيرة المجتمع وممن انتفعت الأمة بهديهم وصلاحهم فلا يجوز أن نجعل من أخطائهم سلما لأعراضهم وتفكه بهم وتندر بهم، ولا يجوز لنا أن نجعل أخطائهم أو تقصيرهم في بعض الأمور والجوانب سلمًا لنا لنقصر في جنب الله عَزَّوَجَلَّ فكل ذلك مما لا يجوز أبدًا بل هو من جملة أفعالَ أهل النذالةَ والسفلة مما لا يقدرون الله عَزَّوَجَلَّ حق قدرهَ

وهذا لا يصدر غالبًا إلا من عبيدِ الشهوات الذين يريدون أن يتذرعوا ويحتجوا في تقصيرهم في جنب الله بهذه الأخطاء، فلا تراهم يربون لحاهم؛ لأن فلان العالم أخطأ أو ذلَ في كذا وكذا.

ولا تجدهم يحرصون على صلوات الجماعة، ولا على مجالس الخير بحجةِ أن فلان المستقيم أخطأ في حقهم أو رأوا عليه بعض مظاهر التقصير فيسوغون لأنفسهم التقصير في جنب الله بسببَ أخطاء فلان، وفلان، وليس ذلك بعذرٍ لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ إنما هي سفالة في نفوسهم، وشهوات في بواطنهم أرادوا أن ينفثوها وأن يتسلقوا على سُلَّمِ هذه الأخطاء حتى يحتجوا بها أمام الناس لكي

لا ينتقدهم أحد، وإلا في الحقيقة أنهم عبيدُ شهواتهم أعوذ بالله، وعندهم فتور وكسل في طاعة الله ولكنهم يريدون أن يعتذروا لأنفسهم عن هذا الكسل والتقصير بأن فلانًا العالم أخطأ وبأن الشيخ فلاني ذلَ، وأن المستقيم الفلاني ظهر عليه علامات التقصير كذا وكذا

فالواجب علينا أن نتقى الله في أعراض المسلمين فلا نهمز في عرض أحدٍ منهم ولا نغمز فيهم، ولا تتفكهون بأعراضهم؛ بل علينا أن ندافع عنهم، وكل ذلك دليلاً على ضعف ميزان التقوى في قلب العبد ووصيتي لنفسي ولإخواني المسلمين أن يتقى الله في ألسنتهم، وأن يتقوا الله في أعراض إخوانهم، وأن يتقوا الله في علاقتهم مع ربهم وأن يجتهدوا في طاعته وألا يحملهم تقصير فلان وفلان على أن يقصروا هم في جنب الله عَزَّوَجَلَّ نسأل الله أن يطهر بواطننا وظواهرنا وألسنتنا والله أعلى وأعلم

i

٤٧٨. سُئِلَ الشيخ: تنتشر عند بعض الطلاب مقولة - نزل عليه الوحي- وهي دلالة على أن الشخص الناجح أو الشخص الذي عرف الإجابة في نهاية الوقت عند الاختبار فما حكم ذلك جزاكم الله خيرًا؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

هذه كلمة مجملة تحتمل الحق والباطل والمتقرر في القواعد أن الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تقبل مطلقًا لما فيها من الباطل ولا ترد مطلقًا لما فيها من الحق.

وإنما هي موقوفة على الاستفصال حتى يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق ويرد الباطل فقوله نزل عليه الوحي إذا كان يقصد به الوحي الذي تحصل به النبوة والرسالة فهذا كفر والعياذ بالله وذلك لأن هذا الوحي قد انقطع بعد موت النبي ﷺ فرسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل.

فلا يمكن أن يوحي الله عز وجل بعده إلى أحد وحيًا تحصل به النبوة أو الرسالة، لقول الله – عَزَّوَجَلَّ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ -للَّهِ وَخَاتَمَ -لنَّبِيِّين﴾ [الأحزاب: ٤٠] ولقوله ﷺ: وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي [(١)] فمن كان يقصد بقوله نزل على فلان الوحي. يقصد به الوحي الذي تحصل به النبوة والرسالة فهذا كفر والعياذ بالله.ولكن إن كان يقصد بالوحي الإلهام العام .كقوله عز وجل :﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أي ألهمهن وكقوله عز وجل :﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٧] أي ألهمناها أن تفعل ذلك .فإن ذلك جائز لا بأس به إن شاء الله ولا حرج فيه فإن النجاح والتوفيق من الله عز وجل نوع من أنواع الوحي بمعنى الإلهام. والدلالة على الخير وأن يأخذ الله عز وجل بناصية العبد للبر والتقوى وأن يدله على مصالحه الدينية والدنيوية وأن يبسطها وييسرها عليه

وبهذا التفصيل يتبين الجواب إن شاء الله فإن كان يقصد بهذه الكلمة الوحي الذي تحصل به النبوة والرسالة .فهذا من الكفر والردة والعياذ بالله .وأما إذا كان يقصد بالوحي الإلهام العام فإنه جائز لا حرج فيه إن شاء الله والله أعلم

i

(١)أخرجه البخاري برقم (٣٤٥٥) ومسلم برقم (١٨٤٢).

٤٧٩. سُئِلَ الشيخ: عن حكم سب أو شتم الغيم والسماء كقول بعضهم يعني كلمة فيها لعن الغيم؟

فأجاب – عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد:

المتقرر في القواعد حرمة سب الشيء الكوني الذي هو من فعل الله عز وجل فما كان من الأمور الكونية بفعل الله تبارك وتعالى فيحرم سبه وقد دل على هذا الأصل السني الكبير عدة أدلة:

الأول: النهي عن سب الريح لأن الريح أمر كوني من فعل الله عز وجل فقد نهى النبي ﷺ عن سب الريح وقال (لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنَّهَا مَأمُورةٌ [١]) وفي رواية أخرى أن رجلا لعن الريح بين يدي النبي ﷺ فقال ((لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ) [٢]وقال ﷺ (لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ [٣]) الحديث بتمامه فلا يجوز للإنسان أن يسب الريح والعلة من ذلك أنها من فعل الله عز وجل ومن الأدلة أيضا: النهي عن سب الأمراض كما في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم السائب (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ

---

(١)أخرجه أبو داود برقم (١٩٧٨) والترمذي برقم (٥٧٤٥) وصححه الألباني.في السلسلة (٦/٦٠١)برقم (٢٧٥٦)

(٢)أخرجه أبو داود برقم (١٩٧٨)والترمذي برقم (٥٧٤٥) أحمد (١٢٣/٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢٣١/٦) وصححه الألباني.في السلسلة (٦/٦٠١)برقم (٢٧٥٦)

(٣)أخرجه الترمذي برقم (٢٢٥٢) وصححه الألباني.في السلسلة برقم (٢٧٥٦)

أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟ قَالَتِ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا فَقَالَ: لَا تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)[١]

فنهى النبي ﷺ عن سب الحمى أو غيرها من الأمراض لأنها أمر كوني من فعل الله عز وجل ومن الأدلة كذلك النهي عن سب الدهر كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) متّفق عليه، وفي رواية (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ)[٢] فأخذنا من هذه الأدلة بمجموعها أن كل أمر كوني من فعل الله عز وجل فإنه لا يجوز سبه وبناء على ذلك فلا يجوز سب البرد الشديد لأنه أمر كوني من فعل الله عز وجل ولا الحر الشديد لأنه أمر كوني من فعل الله عز وجل ولا سب السحاب أو الغيث لأنه أمر كوني من فعل الله عز وجل، والله أعلم

i

٤٨٠. سُئِلَ الشيخ: هل يجوز لنا أن نقول ستخلق الشركة وظائف جديدة أو سيخلق هذا القطاع وظائف جديدة؟ وجزاكم الله خيرا.

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله رب العالمين، هذا فيه تفصيل، فهي كلمة تحتمل الحق والباطل، فهي من الألفاظ المجملة التي لا تقبل مطلقا ولا تنفي مطلقا وإنما هي موقوفة على الاستفصال، حتى يتميز حقها فيقبل من باطلها

---

(١)أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٥)

(٢)أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦) ومسلم برقم (٢٢٤٦)

فيرد، فإن كان الخلق المقصود هنا بمعنى الإيجاد من عدم. فهذا من خصائص الله عز وجل، فلا خالق أي لا يوجد الشيء من عدم إلا الله تبارك وتعالى، وأما إذا كان المقصود بالخلق هنا أي التمكين والتصيير فإنه جائز لا بأس به، فإن هذه الوظائف كانت موجودة ولكنهم مكنوا الناس منها، وإلا فهي موجودة أصالة فهم لم يوجدوها بمعنى عفوا فهم لم يخلقوها بمعنى أنهم أوجدوها من عدم وإنما صيروها للناس ومكنوا الناس من الالتحاق بها، فقولهم الشركة تخلق وظائف أي تصير وظائف وتمكن الناس منها ولا يقصد به الخلق أي الإيجاد من عدم الذي هو من خصائص الله والله أعلم

i

٤٨١. سُئِلَ الشيخ عن: حكم القول عندما نريد أن نحفز أحدهم للمذاكرة أن نقول له إن الله لا ينسى لك تعب؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، لا بأس بذلك وذلك لأن النسيان في لغة العرب له معنيان نسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء وهذا ينزه الله عز وجل عنه فالله لا يغفل ولا ينسى بهذا الاعتبار، وهو النسيان المنفي في قوله عز وجل ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] وأما النسيان بالمعنى الآخر وهو معنى الترك عن علم وعمد جزاء ومقابلة وعقوبة للمتروك فهذا من جملة صفات الكمال التي يوصف الله عز وجل بها وهي النسيان المثبت له في بعض الآيات كقول الله عز وجل ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركوا الإيمان به عن علم وعمد وعناد فنسيهم الله أي تركهم جزاء وعقوبة لهم على تركهم، والترك عن علم وعمد في لغة العرب يطلق عليه بأنه نسيان، وكذلك

قول الله عز وجل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦] فإذا أضيف النسيان إلى الله فإنما المراد به الترك عن علم وعمد، وإذا نفي النسيان عن الله عز وجل فالمراد به الغفلة والذهول، فإذا قلت إن الله لا ينسى لك عملا أي بمعنى لا يغفل ولا يذهل عن عمل صالح عملته أو عمل سيء فعلته فإن ذلك جائز لا بأس به، فإن فرعون لما سأل موسى فيما قاله الله عز وجل في كتابه الكريم قال ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه:٥١، ٥٢] أي لا يغفل ولا يذهل عن المحسن وعمله وعن المسيء وعمله فأنت إنما تنفي عن الله عز وجل النسيان بمعنى الغفلة والذهول فلا بأس عليك في هذا النفي والله أعلم.

i

٤٨٢. سُئِلَ الشيخ عن: حكم هذه المقولة إن الله يحب أن يسمع شكواك؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله، لا بأس بها إن شاء الله؛ ولكن إثباتها لمعين دون معين هذا من باب الكلام على أمر غيبي، وإنما نقول بأن الله قد يجري بعض الابتلاء على عبيده ليسمع أنينهم وليسمع ابتهالهم وليسمع دعاءهم وليستجيب نداءهم وليرد قلوبهم إليه فهذا يجوز إذا كان من باب الأمور العامة أو الأوصاف العامة، وأما أن نثبت لإنسان بعينه أن الله يحب أن يسمع نداءك أنت أيها الشخص بعينه فإن هذا لا يجوز وقد قررنا لكم سابقا أنه يجوز في باب العموم ما لا يجوز في باب الخصوص

فيجوز هذا القول إن كان من باب العموم ولا يراد به شخص بعينه، ولا يجوز

إذا أريد به شخص معين، والله أعلم.

i

٤٨٣. سُئِلَ الشيخ عن: حكم قول أحدهم فلان سجين القدر؟

فأجاب – عفا الله عنه–: الحمد لله ربّ العالمين وبعد، المتقرّر في القواعد أنّ كل لفظ يتضمّن سب الدّهر فإنّه مُحرّم، والمتقرّر في القواعد أنّ كل لفظة تتضمّن التّسخط أو التّضجّر من قضاء الله وقدره فإنّها مُحرّمة، ولا أظن هذه الكلمة أعني ما ذكره السّائل من قوله ﴿سجين القدر﴾ إلّا أنّها من سبّ الدّهر، وذلك لأنّ السّجين يصيبه من البلاء ويصيبه من الضّجر ويصيبه من التّسخّط ويصيبه من انكسار النّفس ما هو معلوم، فنسبة هذا السّجن للدّهر هو من باب سب الدّهر، ومن باب التّسخط والتّضجّر من قضاء الله وقدره، فلا تجوز هذه الكلمة، ولا يجوز أن يُنسب شيء من ذلك إلى الدّهر، وذلك لأنّ النّبيّ ﷺ قال فيما يرويه عن ربّه عزّ وجل (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ[١])، وفي رواية (لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ[٢])، والله أعلم.

i

٤٨٤. سُئِلَ الشيخ عن: حكم وصف المناظر الطبيعية الجميلة والخلابة بأنها قطعة من الجنة؟

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٤٨٢٦) ومسلم برقم (٢٢٤٦)

(٢)المرجع السابق.

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله، لا بأس بذلك باعتبار معناها العام وهو الجمال فإنما في الجنة يوصف بأنه جميل فإذا قيل هذا قطعة من الجنة باعتبار المعنى العام وهو الجمال فإنه لا بأس به ولا حرج ولذلك وصف الله عز وجل شيئا من جمال هذه الدنيا بأنه جنة في آيات كثيرة في قول الله عز وجل ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾ [القلم: ١٧-٢٠]فوصف بستانهم بأنهم جنة وذلك لجمال طلعته فإذا وصف الشيء الجميل بأنه قطعة من الجنة فإن ذلك وصف جائز سائغ تحتمله اللغة العربية ولكن الذي أخشاه أن يكون قصده أنه قطعة من عين الجنة التي خلقها الله في السماء بمعنى أن الله عز وجل انتزع من الجنة التي في السماء قطعة وجعلها في الأرض فمن دخلها فكأنما دخل الجنة التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة فإذا كان قصد الإنسان بقوله قطعة من الجنة أي القطعة الحقيقية من الجنة التي في السماء فهذا باطل البطلان المطلق ولكن لا أظن أحدا يقصد ذلك وإنما أظن أن المقصود بقول الإنسان للشيء الجميل بأنه قطعة من الجنة أي بالمعنى العام أنه شيء جميل المنظر، والله أعلم.

i

٤٨٥. سُئِلَ الشيخ عن: قول ﴿اصبر لي﴾ هل فيه محذور شرعين وهل الصبر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله؟

فأجاب - عفا الله عنه-: الحمد لله رب العالمين وبعد، المتقرر في القواعد وجوب حمل ألفاظ العرف على المتقرر في عرفهم وعادتهم، فلا يجوز لنا

نحاسب الناس في ألفاظهم العرفية بالمحاسبة الشرعية، وقد جرى عرف الناس في كثير من البلدان إذا قال الإنسان لغيره اصبر لي أي اصبر من أجلي لأنهي حاجتي أو عليك أن تترفق بي، ونحو ذلك، فلا يقصد بذلك اصرف تعبد الصبر لي أو تعبد لي بالصبر فالناس لا يقصدون ذلك أبدا فلا ينبغي مثل هذا السؤال لأن كلمة اصبر لي أو اصبر من أجلي كلمة عرفية يقصد بها الناس أن يوصي بعضهم بعضا بالصبر فيما بينهم والله أعلم.

i